

مجمع اللغة العربية

٧٣

(دمشق : كانون الثاني سنة ١٩٢٧ م الموافق رجب سنة ١٣٤٥ هـ)

المجمع العلمي العربي

« في سنة ١٩٢٦ »

—»»»»—

الرئيس : السيد محمد كرد علي

« الاعضاء »		« الاعضاء »	
محل الإقامة	السادة	محل الإقامة	السادة :
دمشق	١٣ عبد الله رعد	دمشق	١ اسعد الحكيم
=	١٤ فارس الخوري	=	٢ انيس سلوم (عامل)
=	١٥ مرشد خاطر	=	٣ بهجة البيطار
=	١٦ مسعود الكواكي	=	٤ خليل مردم بك
=	١٧ مصطفى الشهابي	=	٥ رشيد بقدرنس
بيروت	١٨ ابراهيم منذر	=	٦ سليم البخاري
=	١٩ امين الريحاني	=	٧ سليم الجندي
=	٢٠ بولس الخولي	=	٨ سليم عنخوري
=	٢١ جبر ضومط	=	٩ شفيق جبري
=	٢٢ شكيب أرسلان	=	١٠ عارف النكدي
=	٢٣ عبد الباسط فتح الله	=	١١ عبد القادر المبارك
		=	١٢ عبد القادر المغربي (عامل)

محل الإقامة	«الاعضاء»	محل الإقامة	«الاعضاء»
طول كرم	٤٥ سعيد الكرعي	بيروت	٢٤ عبد الرحمن سلام
النجف الاشرف	٤٦ رضا الشبيبي	=	٢٥ عبد الله البستاني
بغداد	٤٧ امين المعلوف	=	٢٦ فيليب حني
=	٤٨ انتناس الكرمل	=	٢٧ فيليب طرازي
=	٤٩ جميل صديقي الزهاوي	=	٢٨ لويس شينو
=	٥٠ عز الدين علم الدين	=	٢٩ عيسى اسكندر المعلوف
=	٥١ كاظم الدجيلي	النبطية	٣٠ احمد رضا
=	٥٢ معروف الرصافي	طرابلس الشام	٣١ جرجي بني
القاهرة	٥٣ احمد الاسكندري	اللاذقية	٣٢ سايمان احمد
=	٥٤ احمد تيمور	=	٣٣ ادوارد مرقص
=	٥٥ احمد زكي	انطاكية	٣٤ محمد زين العابدين
=	٥٦ احمد عيسى	حلب	٣٥ بدر الدين النعساني
=	٥٧ اسعد خليل داغر	=	٣٦ جرجس شلحت
=	٥٨ رشيد رضا	=	٣٧ جرجس منش
=	٥٩ عباس محمود العقاد	=	٣٨ راغب الطباخ
=	٦٠ محمد الخضر حسين	=	٣٩ عبد الحميد الجابري
=	٦١ يعقوب صروف	=	٤٠ عبد الحميد الكيالي
الاستانة	٦٢ زكي مغامر	=	٤١ قسطنطين الحمصي
تونس	٦٣ حسن حسني عبدالوهاب	=	٤٢ كامل الغزي
الجزائر	٦٤ محمد بن ابي شنب	=	٤٣ ميخائيل الصقال
الهند	٦٥ محمد أجمل خان	القدس	٤٤ اسعاف النشاشيبي

محل الإقامة	« الأعضاء »	
تونس	Marçais	٦٦ مارسيه
الجزائر	Massé	٦٧ ماسه
ازمير	Guy	٦٨ كي
طنجة	Michaux-Bellaire	٦٩ ميشو بيلير
باريز	Huart	٧٠ هوار
=	Ferrand	٧١ فرانت
=	Dussaud	٧٢ دوسو
=	Massignon	٧٣ ماسينيون
=	Bouvat	٧٤ بوقا
ايطاليا	Guidi	٧٥ جويدي
=	Nallino	٧٦ نالينو
اسبانيا	Asin	٧٧ آسين
البرتغال	Lopès	٧٨ لوبس
سويسرا	Montet	٧٩ مونته
=	Hess	٨٠ هيس
هولانده	Snouck-Hurgronje	٨١ سنوك هورغرن
=	Houtsma	٨٢ هوتسما
=	Arendonk	٨٣ اراندونك
انكلترا	Margoliouth	٨٤ مرجليوث
=	Bevan	٨٥ بفن
المانيا	Hommel	٨٦ هومل
=	Sachau	٨٧ ساخاو
=	Brockelmann	٨٨ بروكين
=	Horovitz	٨٩ هوروفيتز

محل الإقامة	« الاعضاء »	
المانيا	Herzfeld	٩٠ هرزفلد
=	Hartmann	٩١ هارتمان
=	Mittwoch	٩٢ ميتفوخ
السويد	Zetterstéen	٩٣ سترستن
الدانمارك	Ceustrup	٩٤ اوستروب
=	Buhl	٩٥ بول
=	Pedersen	٩٦ پدرسن
النمسا	Mzik	٩٧ موجيك
المجر	Mahler	٩٨ ماهلر
بولونيا	Kowalski	٩٩ كوفالسكي
روسيا	Kratchkovsky	١٠٠ كراشكوفسكي
تشيكوسلوفاكيا	Musil	١٠١ موزل
اميركا	Macdonald	١٠٢ ماكدونالد
فنلندا (١)	Karsikko	١٠٣ كرسيكو



(١) والاعضاء الذين فقدوا المجمع هم المرحومون : الشيخ طاهر الجزائري في دمشق . والسيد نخلة زريق في القدس . والسيد اغناطيوس غولدصهر في بودابست . والسيد مرتين هارتمان في برلين . والسيد رينه باسه في الجزائر . واحمد كمال باشا . والسيد مصطفى لطفي المنفلوطي في القاهرة . والسيد محمود شكري الالوسي في بغداد . والسيد غريفييني والسيد رفيق العظم في القاهرة . والسيد حسن بيهم في بيروت . والدكتور صالح قنباذ في حماة . والسيد مالنجو والسيد الياس القدسي في دمشق . والسيد براون في كبريج . أجزل الله ثوابهم .

سهل بن هرون^(١)

« منبته ونسبه » : — ولد سهل بن هرون^(٢) في مدينة ميسان بين واسط والبصرة وفي رواية في دسنة ميسان كورة بين الأهواز وواسط والبصرة ، في أواخر النصف الاول من القرن الثاني تقديراً ، ولا يعرف من نسبه الا انه سهل بن هرون بن راهيون (راهيون) وكنيته ابو عمرو ، فارسي الجنس ، أهوازي او خوزي المولد ، عراقي المنشأ . تحول الى البصرة في سن لم تعرف ، وكانت البصرة اذ ذاك مدينة العلم في الدولة الاسلامية ، بل مدينة العلم في العالم كله ، او كما قيل فيها « قبة الاسلام وخزانة العرب » ، حوت من حصائل العلم الانساني اصوله وفروعه ، ومن القائمين على نفعه مصافعه وفخوله ، فغذى روحه بلبان مجالسها ومجامعها ، واستنار عقله بما اقتبسته من نور معارفها ، فتخرج بعلمائها ، ولا شك انهم كانوا طبقة عالية جداً ، في كل مطلب من مطالب الآداب .

وكانت البصرة بل المملكة الاسلامية أخذت في تلك الحقبة ، تتأرجح فيها مدينة العرب بمدينة الفرس والروم والهند ، وبدأت المذاهب الفلسفية تنسرب في المجتمع الاسلامي ، وعلماء الامة يتعاورهم الجزر والمد على شاطئ بحر الحكمة القديمة ، شأن

(١) محاضرة السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي ألقاها في ردهة المجمع يوم ٣ كانون الاول سنة ١٩٢٦ . (٢) لم يترجم لسهل بن هارون القفطي في اخبار الحكماء ، ولا ابن خلكان في وفيات الاعيان ، ولا البيهقي في حكام الاسلام ، ولا السمعاني في الانساب ، ولا ابن الانباري في طبقات الادباء . وترجم له تراجم موجزة كل من الصفدي في الوافي بالوفيات والصلاح الكتبي في فوات الوفيات وفي عيون التواريخ ، وابن نباتة في شرح رسالة ابن زيدون وابن بدرون ، في شرح قصيدة ابن عبدون ، والثعالبي في المضاف والمنسوب . وترجم له كرام الهولاندي من علماء المشرقيات في المعلة الاسلامية ، واقتصر على مقاله المترجمون فيه وفاته انه كان من رجال الرشيد وقال انه لم يجتمع بالجاحظ مع ان الجاحظ يروي عنه كثير في كتبه المطبوعة .

مدينة البصرة مع خليجها ، يمد ماؤها ويجزر على الدوام ، وما زالوا هذا حالهم بغوصون في بحار الافكار حتى أخرجت عقولهم درراً غريبة ، كما يخرج بحرهم الجواهر واللاقي الثمينة النادرة . وكانت النفوس حريصة على الدين الذي دوتن وحرر ، راغبة كل الرغبة في الاخذ بما لا عهد لها به من علوم الامم السالفة . وفي هذا المحيط انبعث عقل سهل بن هرون لاول امره ، في ارض صالحة لانماء العقل واطلاقه من قيوده ، ولم يُعرف اذا كان سهل رحل الى الروم وفارس والشام ومصر ، والغالب انه لم تنعد لنقلاته مدينة الرقة فصبة ديار مصر ، والرصافة رصافة هشام في اول تجوم الشام ، واكتفى بالبصرة وبغداد . وجميع هذه المدن الاربع الرصافة والرقة وبغداد والبصرة هي من بناء العرب . وكانت بغداد أجمل مدن الارض في ذلك العصر ، وفيها كل شيء جديد سواء أكان ذلك في خططها ومرافقها ، او في عقول اهليها ونبوغ علمائها ، يُحمل اليها من الآفاق بدائع ماصنع البشر وتجت عقولهم . والدول سوق يحمل اليها ما يروج فيها . لا نعلم على التحقيق منشأ والده سهل ، ولا مظهره ومذهبه ، ولا أصل أم سهل وتربيتها ، ولا معلمه في بلده ، ولا أساتذته في البصرة ، ولا أترابه ولداته في صباه ، ولا غير ذلك من العوامل التي لها الشأن الاكبر في تربية الملكات ، وتلقين الاخلاق والعادات . يُنشأ عليها الفتي فتطبع حياته بطابع خاص ، نتعذر في عقود العمر الآخرة إحالتها واستحالتها . بيد انه من المعقول ان يكون قانون الوراثة اورثه جراثيم دم الفرس وحكمتها ونظامها وأدبها ، وضم اليها الثقافة العربية فجاءت منازعه خليطاً نافعاً ، ومداركه متينة رصينة .

أضف الى هذا ان مملكة بني العباس كانت سيدة الممالك ، على ما كانت البصرة سيدة البلاد بصفاتها وعتاتها ، وقوتها وعزتها ، وربما كان العصر الذي نشأ فيه سهل ابن هرون أجمل عصور التاريخ ، والمُلك موحد من المغرب في شمالي افريقية الى حدود الشرق ، وليس في الارض حكومة اسلامية غير الاندلس بيد بني مروان : لا غوائل ولا فتن - في الداخل والخارج ، يشتمل الناس على السلامة ، ويغتبطون بما أوتوا في سلطان بني هاشم ، وكلما نجم ناجم من العلويين او غيرهم كانت جيوش العباسيين تقضي عليه لساعته ، فضعف المنازعون الى منازعة الخوارج حبل السلطة .

وغدت ممالك الشرق والغرب لتنافس في رضا خليفة العرب ، والمملك من ملوك آسيا واوربا اذا تيسر لقاصده او سفيره ان يتشرف بالحضرة حضرة بني العباس ، يسعد ويعتز في سلطانه ، وعد ذلك نعمة حازها دون أقرانه .

« مذهبه وأخلاقه » : — قيل ان سهل بن هرون كان شيعياً ، وشيعة العراق في زمنه كانوا على الاطلاق معتزلة ، ولم يؤثر عنه ان تنقص احداً من الصحابة الكرام ، بلي عرف بالاعتدال مع الأموات اعتداله مع الاحياء ، وما أثر عنه انه خاض غمار مباحث الكلام التي كانت على أشد حرارتها اذذاك ، ولا سيما في البصرة ودار السلام بغداد . واتهموه بأنه كان من الشعوبيين الذين يصغرون شأن العرب ، ولا يرون لهم على العجم فضلاً ، واذا صححت هذه التهمة فمن الصعب التوفيق بين مذهب من يقول بالشعوبية ومن يقول بالتشيع ، على المعنى الذي فُسر به بعد قرون .

والشعوبي منسوب الى قوله تعالى : « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » . ونشأ مذهب الشعوبية على الأرجح بُعيد عصر الخلفاء ، باشتداد قوة التجاذب والتدافع بين أرباب العصبية ، وكان من أثر ذلك التناحر بالجنس الذي جاء الاسلام بابطاله ، ولو كان للجنس يفضل المرة في الامة ، ما نزل سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي من الرسول تلك المنزلة العالية . والدين لا يفاضل الا بالنقوى . على ان أعظم من كانوا يكيدون للعرب بالشعوبية السفلة والحشوة وأوباش النبط وأبناء أكره القرى ، لا أشرف العجم وذوو الاخطار واهل الديانة ، على ما رأى ابن قتيبة . اذا عرفت هذا فادفع عن سهل دعوى الشعوبية ، غير خائف ولا متلجج ، فاعتداله يمنعه الا ان يقدر لكل عنصر خصائصه ، وهو لم يعد رجلاً مذكوراً الا بالاسلام ، والأخذ عن علماء العرب ، وركي في مظاهر الدنيا حتى وصل الى أعظم خطاء العباسيين هرون الرشيد وعبدالله المأمون . وكان بفضل العلم احد أئمة البيان والحكمة في الامة العربية ، ودعي لحكمته وعقله يُزجر جهر الاسلام . وبزرجير وزير انوشروان العادل ، من ملوك آل ساسان ، اشتهر بالعدل والحكمة . وصفه الجاحظ فقال : كان سهل سهلاً في نفسه ، عشيق الوجه ، حسن الشارة ، بعيداً من القدامة ، (الرعي) معتدل القامة ، مقبول الصورة ، يقضي له بالحكمة ،

قبل الخبرة ، وبرقة الذهن ، قبل المخاطبة ، وبدقة المذهب ، قبل الامتحان ، وبالنبيل ، قبل النكشاف (الظهور) . وكان الجاحظ مازجه وثاقفه . وقيل للحراني ولعله ابراهيم ابن ذكوان كاتب الهادي ووزيره : بينك وبين سهل بن هرون صداقة فانعمت لئلا كي نعرف فقال : هو كالخير ، وازن العلم ، واسع الحلم ، ان حودث لم يكذب ، وان موزح لم يغضب ، كالغيث اين وقع ، نفع ، وكالشمس حيث أولت ، أحييت ، وكالارض ما حملتها حملت ، وكالماء ظهور للملثمه ، وناقع لغلة من أحرأ اليه ، وكالهواء الذي تُقطف منه الحياة بالنفس ، كالنار التي يعمش بها المرقور ، وكالسماء التي قد حسنت باصناف النور اه . صورتان جميلتان في وصف سهل صورهما مصوران مبدعان ، عاشا بقربه وفننهما بخلقه وخُلُقِه .

واتهموا سهل بن هرون بالبخل وأوردوا له قصصاً ونوادير ، وعده الجاحظ من « متعاقلي البخلاء وأشتاء العلماء » قال : ما علمت ان احداً جرد في البخل كتاباً الا سهل بن هرون وابا عبد الرحمن الثوري . والبخل في الفرس غالب في الجملة ، غلبة الكرم على طبائع العرب . فافتضى ذاك التفريط الذي رآه سهل في تبذير العرب ، ان يبدلي اقومه بأرائه المفرطة في الاقتصاد والإمساك . وماشوهه فقط تفريط الا والي جانبه إفراط . وربما كان اتهامه بالبخل مبالغاً فيه 'تراد به النكته والنادرة . حكى الجاحظ قال لقي رجل سهل بن هرون فقال : هب لي ما لا ضرر به عليك فقال : وما هو يا اخي . قال : درهم . قال : لقد هوئت الدرهم وهو طائع الله في ارضه لا بعصي ، وهو عشر العشرة ، والعشرة عشر المئة ، والمئة عشر الالف ، والالف دية المسلم ، ألا ترى الى اين انتهى الدرهم الذي هوئته . وهل يهوت الاموال الا درهم على درهم . فانصرف الرجل ولولا انصرافه لم يسكت .

وحكى درعيل الخزاعي الشاعر قال : أقفنا يوماً عند سهل بن هرون ، وأطلنا الحديث حتى أضرَّ به الجوع ، فدعا بقدرائه ، فأثي بصحفة فيها مرق تجتمه ديك هرم ، فأخذ كسرة ونفقدها في الصحفة ، فلم يجد رأس الديك ، فبقي مطرقاً ثم قال للغلام : اين الرأس قال : رميت به قال : ولم قال : لم أظنك تأكله قال : ولم ظننت ذلك فوالله اني لأمقت من يرمي برجله فكيف برأسه ، ولو لم أكره ما صنعت الا للطيرة

والفأل لكرهته ، اما علمت ان الرأس رئيس بنفأل به وفيه الحواس الخمس ، ومنه يصح لديك ، ولولا صوته ما أُرِبد ، وفيه فرقه الذي يتبرك به ، وعينه التي يضرب بصفتها المثل فيقال شراب كعين الديك ، ودماغه عجب لوضع الكلبة ، ولم أر عظماً قط أهش تحت الاستنان منه ، وان كان بلغ من أبلك انك لا تأكله ، فعندنا من يأكله ، او ما علمت انه خير من طرف الجناح ومن رأس العنق ، انظر اين رميته ، فقال : والله ما أدري قال : انا والله أدري انك رميت به والله في بطنك فالله حسيبك .

ولما صنف سهل كتابه في البخل أهداه للحسن بن سهل واستماحه فكتب اليه الحسن : قد مدحت ما ذمه الله ، وقبحت ما فحجه الله ، وما يقوم بفساد معنك صلاح لفظك ، وقد جعلنا ثواب مدحك فيه قبول قولك ، فما نعطيك شيئاً . والحسن بن سهل وزير المأمون كان فارسياً ايضاً ، ولكنه في الجود آية الآيات . والطبايع اراثية وللتشأ والعادة دخل كبير فيها ، ومع كل هذا فقد صح من شعر سهل قوله :

وما العيش الا ان تجود بنائل والا لقاء الاخ بالخلق العالي

ومن يقول هذا الشعر ، ويقصد هذا المعنى ، لا يكون من البخل على ما وصفوا ، ومن أفاد مالا فادخره الى الايام السود ، كان في احتياطه على مثال ابناء البلاد الباردة الذين قد بذخرون . ووثنتهم سنين وثلاثاً اما اهل البلاد الحارة فلا يفكرون الا في اليوم الذي هم فيه على الأعم الأغلب من حالاتهم . وقال غولدصهير المجري : ان تمدح ابن هرون بالبخل ، نزغة من نزغات الشعوبية ، أراد بمدحه الخط من قدر العرب الذين جعلوا الكرم من مفاخرهم الوطنية .

« طريقته في الكتابة وتأليفه » : — ان رجلاً بفضل الجاحظ و يصف براعته وحصافته ، ويحكي عنه في كتبه ، ويظهر إعجابه به اذا ذكر ، ويروي حديثه ومجالسه ، هو ولا شك المثل الاعلى في صنوف العلم والآداب ، بلغ الذروة فيما نورد به واشتهر بمعرفته ، وكان اهل عصره مجمعين على الاقرار بفضلته ، قلما بداخلهم الحسد له ، فكان منقطع القرين في فنه ، نابغة في العلم الذي يمت به ، وناهيك بعالم كبير كالجاحظ وهو في البلاغة يجري مع سهل كفرسي رهان ، وفي العلم والعقل المثل

المضروب ، كان يؤلف الكتاب الكثير المعاني ، الحسن النظم ، فينسبه الى نفسه فلا يرى الاسماع تصغي اليه ، ولا الارادات تميم نحوه ، ثم يؤلف كما قال عن نفسه ، ما هو أنقص منه مرتبة وأقل فائدة ، فينخله عبد الله بن المقفع أو سهل بن هرون أو غيرهما من المتقدمين ، ومن طارت اسماؤهم في المصنفين ، فيقبلون على كتبها ويسارعون الى نسخها . وطريقة سهل في كتابته طريقة امير المؤمنين علي بن ابي طالب لا يتكلف كلامه فلا يشاهد فيه الناقد اثر التعمد ، بل لا يكلف بغير ارسال النفس على سجيتهما فهو وابن المقفع والجاحظ من غرار واحد . وقيل ان سهلاً كاتب سلاطين والجاحظ مؤلف دواوين . وكان كلامه نعمة موسيقية تعرف انتهاء جملته من رنتها ، بعد ان ملكت عليك مشاعرك ، وأدخلت السرور على نفسك ، لا يحفل بالاسجاع الا اذا جاءت عفواً خاطراً ، شأن بلغاء الصدر الاول . ولا يعتمد الجزالة الا اذا اقتضى الموضوع ذلك ، وقلماً خلا قوله من نكتة تحمده وتحمّل عنه . وكانك في انشاء سهل تقرأ المعنى قبل اللفظ ، وما نفع القوالب اذا لم يكن علم الكاتب بملي ، والمظاهر والديسانير مستتمة . في أسلوبه تقرأ للنظم ، وفي غيره تقرأ الناطقاً جميلة وقوالب محكمة ، وفي كلمة الطيب تقع على إشباع المعاني ، ونقطيع الجمل ، والابلاغ في المزاوجة بين الكلمات ليتأثر السامع ، ونفع البلاغة فعملها في نفسه من طريق الاقتناع والبرهان لا من مجرى النقفية والزخرف ، وتوازن الكلمات ورنه الفقرات .

كان سهل يقول الشعر ، واكثر شعره مما أملاه قلبه ، في غرض خاص من أغراض المجتمع ، وعده الجاحظ من الخطباء والشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار ، والكتب الكبار الجملدة ، والسير الحسان المولدة ، والاخبار المدونة . ولقبه مرة بالكاتب ، ولعل لقب الكاتب في شرفه أكبر من عالم . وذكره ابن النديم في البلغاء وقال انه شاعر مقل ، وعده في الشعراء الكتاب وقال انه كان من يعمل الامصار والخرافات على السنة الناس والطير والبهائم هو وعبد الله ابن المقفع وعلي بن داود كاتب زهيدة . وشعره خمسون ورقة . اما الدهشة في تأليفه فله ديوان رسائله ، وكتاب النمر والثعلب ، وكتاب اسباسيوس (اسانوس) في اتخاذ الاخوان ، كتاب اسد بن اسد ، كتاب سحره العقل ، كتاب تدبير الملك والسياسة ،

كتاب الى عيسى بن ابيات في القضاء ، كتاب الفرس ، كتاب الغزالين ، كتاب ندود وودود ولدود ، كتاب الرياض ، كتاب ثعلة وعفراء (وفي رواية ثلثة وعفرة) على مثال كتاب كيلة ودمنة قلده في أبوابه وأمثاله وقال المسعودي يزيد عليه اي على كيلة ودمنة في حسن نظمه وقد صنفه للمأمون . ومن تأليفه كتاب الخزية والخزومي ، كتاب الوامق والعذراء الى غير ذلك من المصنفات التي لم تبق الايام ويا للأسف على واحد منها فيما علمنا ، ومنها ما عارض به كتب الاوائل وجمعت الى الحكمة الفائقة البلاغة السريّة الغريبة .

ولا تعجب اذا رأيت بضعة من تأليف سهل في القصص والاسمار ، فان من الناس من يتلم بالاحتيال عليه ، وصعب عليك ان تلقنه الثقافة العالية والاخلاق الماضلة ، الا في قالب يبيل اليه بجماله ، ظاهره هنزل وإحماس ، وباطنه تعليم وإرشاد ، ومن أجل هذا كان هذا اللون من الأدب ، مما يلذ المطالع ويفيده علماً ، ويلقي عليه حكمة بالغة على نحو ما يفعل كبار القصصيين من اهل المدنية الحديثة . وكان حظ ابن المقفع في هذا الباب أجزل ، لان كتابه كيلة ودمنة الذي عربه من البهلوية اشتهر أكثر من اشتهار ثعلة وعفرة ، او غير ذلك من الاوراق التي كسرهما على القصص ، ولا تدل اسماء كتبه على انه كتب في موضوع أشبه بدني الهم الا كتابه في القضاء ، اما كتابه في تدبير الملك والسياسة فدليل على انه قرن العلم بالعمل في هذا الفن السهل الصعب .

« حياته السياسية » : — لم نهتد الى زمن انتقال سهل من البصرة الى بغداد ، وسكت التاريخ عن عهد رحيله من مسقط رأسه ، وعن سنة ولادته ، وغاية ما ذكر في ترجمته انه كان مختصاً بالفضل بن سهل اخي الحسن بن سهل وزير المأمون وان الفضل قدمه للمأمون ولكن كتب المحاضرات والتاريخ تقول ان سهلاً كان من رجال الرشيد ، وانه دخل عليه وهو يضاحك المأمون فقال : اللهم زده من الخيرات ، وأبسط له من البركات ، حتى يكون في كل يوم من ايامه مُربياً على امسه ، مقصراً عن غده . فقال الرشيد : يا سهل من روى من الشعر أحسنه وأرصنه ، ومن الحديث أفصحه

وأوضحه ، اذا رام ان يقول لا يعجزه القول . فقال سهل : يا امير المؤمنين ما ظننت ان احداً تقدمني الى هذا المعنى . قال : بل أعشى كهمدان حيث يقول :
 رأيتك امس خير بني أوي . وانت اليوم خير منك امس
 وانت غداً تزيد الخير ضعفاً . كذاك تزيد سادة عبد شمس

وهذا يدل على ان سهلاً اتصل بالرشيد ، والمأمون حدث صغير . وان سهلاً كان معروفًا برواية الشعر والحديث ايضاً . وقد شهد مقتل البرامكة في سنة ١٨٧ وحدث فيما كان عليه يحيى وجعفر من البلاغة فقال ان سباعي الخطب ومجبري القريض عيال على يحيى بن خالد بن برمك وجعفر بن يحيى ولو كان كلام بتصور دراً ، ويحمله المنطق السريّ جوهرًا ، لكان كلامها ، والمنطق من لفظها . ولقد كانا مع هذا عند كلام الرشيد في بديته وتوقعاته في كنهه ، قد من عَيْن ، وجاهلين أميين . ولقد عُمِرت معهم ، وأدركت طبقة المتكلمين في ايامهم ، وهم يرون ان البلاغة لم تستكمل الا فيهم ، ولم تكن مقصورة الا عليهم ، ولا انقادت الا لهم ، وانهم محض الانام ولباب الكرام ، وملح الايام : عشق منظر ، وجودة مخبر ، وجزالة منطق ، وسهولة لفظ ، ونزاهة نفس ، واكتمال خصال ، حتى لو فاخرت الدنيا بقليل ايامهم ، والمأثور من خصالهم ، كثير ايام من سواهم ، من لدن آدم ابيهم ، الى النفخ في الصور وانبعاث اهل القبور ، حاشا أنبياء الله المكرمين واهل وحيه المرسلين ، لما باهت الا بهم ولا عوت في الفخر الا عليهم ، ولقد كانوا مع تهذيب أخلاقهم وكرم أعراقهم ، وسعة آفاقهم ، ورفق ميثاقهم ، ومعسول مذاقهم ، وبهاء إشرافهم ، وتقارة أعراضهم وتهذيب أغراضهم ، واكتمال خلال الخير فيهم الى ملء الارض مثلهم ، في جنب محاسن المأمون كالنفثة (النفلة) في البحر ، والخردلة في المممة القفر » .

وهذا الكلام على ما فيه من حق في وصف البرامكة والرشيد والمأمون لا يخلو من مصانعة ، وفيه مبالغة فارسية لم تكن تعرفها العرب على هذا الوجه ، ومن الصعب ان يتجرد المرء عن كل أخلاقه ، ويخرج عن دمه الذي ورثه ، مما عولج بالتعليم والتربية . شهد سهل هذه المأساة مأساة مقتل بني برمك وقال : ان الرشيد لما قتل جعفرًا بعث اليه وكان معه في الرقة يحصل أرزاق العامة مع يحيى بن خالد — والرقة كانت

مصطاف الرشيد وكان يقول الدنيا اربعة منازل دمشق والرقعة والري وسمرقند — ولما حمل نبأ مقتل جعفر كان سهل بين يدي يحيى يكتب توقيعات في أسفل كتبه لطلاب الخوارج اليه قد كلفه إكمال معانيها باقامة الوزن فيها فلبس ثياب أجزانه لانه كان على صلة دائمة بالبرامكة قال : فلما دخلت على الرشيد ومثلت بين يديه عرف الدعر في تخرىض ربي ، والتاب في طريقي ، وشخصني الى السيف المشهور بصري فقال : إيه يا سهل من غمط نعمتي ، واعتدى وصيتي ، وجانب موافقتي ، أعجلكه عقوبتي » قال : فوالله ما وجدت جوابها حتى قال : « ليفرخ روعك ، وليسكن جأشك ، وتطيب نفسك ، وتطمئن حواسك . فان الحاجة اليك قربت منك وابتقت عليك ، بما ييسط منقبضك ، ويطلق معقولك ، فاقتصر على الاشارة دون اللسان ، فانه الحاكم الفاصل ، والحسام النازل ، وأشار الى مصرع جعفر وهو يقول :

من لم يؤدبه الجحيد ل في عقوبته صلاحه

قال سهل : « فوالله ما علمني عيب يجواب احد قط غير جواب الرشيد يومئذ ، فما عولت في شكره والثناء عليه الا على تقبيل يديه وباطن رجليه » . ثم قال لي : « اذهب فقد أحللتك محل يحيى بن خالد ووهبتك ما ضمنه أبيته وحوي سرادقه ، فاقبض الدواوين واحص جباة وجباة جعفر ، لأنمرك بقيضه ان شاء الله . قال سهل : فكنت كمن نشر عن كفن ، واخرج من حبس ، فأحصيت جباة هما فوجدت عشرين الف دينار .

وبذلك تبينت منزلة سهل وكيف أصبح بعد يحيى البرمكي صاحب دواوين الرشيد ومع ما كان له من الأجلال في الصدور خاف يوم النازلة بالبرامكة وكانت البرامكة كما قال ابن خلدون من محاسن العالم ، ودولتهم من أعظم الدول ، وهم كانوا نكتة محاسن الملة وعنوان دولتها — ان تضمنه القافية لصحبته لم وامتزاجه بهم . وناهيك به يومئذ من موقف صعب ، ولكن عقل الرشيد لاتعبث به الأهواء ، ويضن بعظيم من رجاله لأسباب نافذة فأبقى على سهل بن هرون لانه من مفاخر الملة والدولة . لا جرم ان سهل بن هرون كان في سياسته من حزب الحكومة او الحزب المعتدل ،

تعزب فطرته عن التطرف ، ويرى المصلحة في التآلف ، وبعد الخروج عن سبيل الجماعة خروجاً عن الطاعة .

والغالب ان عشرة سهل مع الرشيد دامت حتى مات هذا سنة ١٩٣ . ولم يجر له ذكر في عهد الأمين مدة اربع سنين وثمانية اشهر وكسر فالتزم على ما يظهر بيته ، واعتزل الفتنة بين الابين والمأمون ، حتى اذا كانت الخلافة للمأمون أصبح سهل ابن هرون من خاصته كما كان من خاصة ابيه الرشيد من قبل . وروى بعض الرواة ان المأمون كان استقل سهل بن هرون . وقد دخل عليه يوماً الناس على مرأته فتركهم المأمون بكلام ذهب فيه كل مذهب ، فلما فرغ من اومه أقبل سهل ابن هارون على الجمع فقال : ماكم تسمعون ولا تعون ، وتشاهدون ولا تفقهون ، وتنهمون ولا تثعجون ، ولتثعجون ولا تنصفون ؟ والله انه ليقول بفعل في اليوم القصير ما فعل بنو مروان في الدهر الطويل ، عربكم كجعمكم وعجمكم كعبيدكم ، ولكن كيف يعرف بالدواء من لا يشعر بالداء . فرجع المأمون فيه الى الرأي الاول . وفي ذلك ايضاً من حسن المأثي ولطف المدخل والمخرج ، ما يعرفه المبطل بعشرة الملوك والعطاء ، ولا سبيل الى الدخول على اكثرهم الا بهذه الطرق من التلطف والتزلف ، وان لم يصدق ذلك من كل وجه على الرشيد والمأمون . وهما ما هما في العقل والعلم والعدل . وأخرى وهو ان سهلاً بكلامه هذا ، ضرب الحاضرين في مجلس المأمون في الصميم وأنزل من مراتبهم ليستأثر وحده بتلك الرتبة السنية ، فانسبهم الى السكوت في مواطن القول والى القصور في ميدان الاستحسان والاستهجان ، ومن قعدت به القرينة عن الانبعاث حين الحاجة كان حرياً ان لا يعاشر تلك الطبقة من الخلفاء وهذا من دهائه الكسروي .

رجع المأمون عن رأيه في سهل ، وعرف انه الرجل كل الرجل في صورته وعقله ومفاكهته وغنائه وأدبه ، فقربه وأدناه على النحو الذي كان عليه في عهد والده . وكان سهل قد أسن بالطبع ، ويعرف المأمون مذ كان طفلاً عند الخليفة والده . ولكن المأمون يحترم الكبير وهو جده في جماع اموره . بيد انه لم يقبل باصطفائه الا بعد

اختياره . وعندما وقع عنده على امور تفرد بها وقد لا يجدها فيمن كانت اختارهم لعشرته من العلماء وهم عشرة اختيروا له من مئة .

« حياته العلمية » : — كان المأمون مولعاً بكتب القدماء والفلاسفة وعُدَّ ذلك من آكد أعماله في إنهاض مستوى العقل العربي فأنشأ داراً جمع فيها كل ما طالت يده اليه من كتب العلم باللغات المختلفة .

وكانت جزيرة قبرس في ذاك العهد تشغب كثيراً على الخلافة وقد سبي عمال الرشيد أهلها مرة حتى اذا أفضت الخلافة الى المأمون مادن صاحب قبرس وارسل اليه يطلب خزائن كتب اليونان وكانت مجموعة عندهم في بيت لا يظهر عليه احد ابداً فبا قيل ، فجمع صاحب هذه الجزيرة بطائمه وذوي الرأي في بلده واستشارهم في حمل الخزانة الى المأمون فكلهم أشاروا بعدم الموافقة الا مطراناً واحداً فانه قال : الرأي ان تعجل بانفاذها اليه فما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية الا افسدتها وأوقعت بين علماءها . فأرسلها اليه واغتبط بها المأمون . ثم صالح هذا الخليفة العالم صاحب الروم ميخائيل الثالث على ان يدفع اليه ما عنده من كتب القدماء وأرسل بعوثاً من ثقافته من المسلمين والتصارى لندخ ما لا يتأتى للملك الروم إخراجه من الكتب فاجتمع للمأمون بذلك خزانة عظيمة فوق ما حمل اليه من الشرق والغرب وجعل سهل بن هرون خازناً لها وسماها بيت الحكمة فاشتغل بها سهل وكثرت مادته من العلم وجعل معه عالماً اسمه سلم كما جعل شريكاً له سعيد بن هارون ولعله اخوه او ابن عمه .

ولا شك ان سهلاً تهيأت له أسباب البحث والنظر في بيت الحكمة التي أصبح ناظرها بما لم يتهيأ لغيره الوصول اليه . خصوصاً وهمة الخليفة منصرفة اي انصراف الى ترجمة كتب الفلسفة والعلوم والصناعات من اللغات الرومية والسريانية والفارسية والهندية . لا يهتأ له بال حتى تسمي المكتبة العربية تامة من كل وجه في علوم الدنيا على ما هي تامة في علوم الدين ، وقد كان شرع بالنقل عن اللغات الاخرى الأمويان العظميان خالد بن يزيد وعمر بن عبد العزيز في دمشق خلال القرن الاول وثني بذلك في بغداد الخليفةتان العباسيان المنصور والمأمون في القرن الثاني .

انسع الأفق أمام عقل سهل واستكملت أمامه عامة أدوات النبوغ ولم تقف

به الهمة عند الاخذ من كتب الفرس والفارسية لغته الاصلية بل تعدتها الى الاخذ من كل ما طاب له من ضروب المعارف البشرية خصوصاً وانتقاله الى بغداد بعد البصرة جاء متمماً له بغيته وكان اختلاطه رجال الخلافة وكانوا من كل صنف ونحلة وجنس معواناً له على الكمال وظهور جواهر نفسه . وقد يستفيد المرء بالعشرة والتلقي ما يستفيد من النظر في الكتب وتصفح دواوين العلم ومصاحف النضائل .

وذكر الصفدي ان سهل بن هرون تولى خزانة المأمون وتولى خزانة الحكمة له . اي انه كان له منصبان الاشراف على خزانة المأمون اي خزانة كتبه الخاصة والنظر على دار الكتب التي سميت دار الحكمة او بيت الحكمة . وكلا العاملين عظيم في بابه ولكنهما من نط واحد . وفي ذلك ما يشعر بان المأمون لم يكن بصبر عليه في قصره ولا يشبعه منه انصرافه الى المصالح العامة فقط او انه لم ير الكفاءة المطلوبة في غيره ليتولى هذين العاملين .

« ثمره وشعره » : — ان النزر القليل الذي وصل الينا من كلام سهل بن هرون يهيئ لنا السبيل الى الحكم عليه في بلاغته ورجاحته وعلمه وكلام المرء عنوانه ومראته به تعلم ميوله ومنازعه واستخرج دفائن نفسه . ومن كلام له في كتابه ثعلة وعفرة : « اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدماً ، قبل الذي تجودون به من تفضلكم ، فان تقديم النافلة مع الابطاء في أداء الفريضة ، شاهد على وهن العقيدة ، وتقصير الروية ، ومضر بالتدبير ومخل بالاختيار ، وليس في نفع محمد به عوضاً عن فساد المروءة ، ولزوم النقيصة . » وهذا مأخوذ من قوله في يحيى بن جعفر :

عدو تلاد المال فيما ينوبه منوع اذا ما منعه كان أحزما

مذل نفس قدأبت غير ان ترى مكاره ما تأتي من العيش مغنا

وكتب الى صديق له أبل من ضعف : « بلغني خبر الفترة في إمامها وانحسارها والشكاة في حلولها وارتحالها فكاد يشغل القلب باوله عن السكوت لآخره ونذهل الخيرة في ابتدائه عن المسرة في انتهائه وكان تغيري في الحالين بقدرهما ارتياعاً للاولى وارتياحاً للآخرى » .

ومن كلامه بعزّي : التهنئة بأجل الثواب ، اولى من التهنئة على عاجل المصيبة .
 وقال في المعنى : مصيبة في غيرك لك ثوابها ، خير من مصيبة فيك لغيرك ثوابها .
 وقال : حق كل ذي مقالة ان يبدأ بحمد الله قبل استئفانها ، كما بدى بالنعمة قبل
 استحقاقها . وقال : تعلموا العلم فلان يُندم الزمان لكم ، خير من ان يندم بكم . ومن
 كلامه : العفو الذي يقوم مقام العتق ماسلم من تعداد السقطات ، وخلص من تذكّار
 الزلات . وكتب الى جعفر بن يحيى :

اذا ما اتى يوم يفرق بيننا موت فكن انت الذي يتأخر
 وقال : الصديق لا يحاسب ، والعدو لا يحتسب له ، اي لا يعتدّ به ، وقال :
 من طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى توفيه رزقه فيها ، ومن طلب الدنيا طلبه الموت
 حتى يخرج منه .

وقال محمد بن زياد الزيايدي البصري : وجدت على سهل بن هرون في بعض
 الامراسم فكتب اليّ : « اما بعد فالسلام على عهدك ، وداع ذي ظن بك ،
 في غير مقلية لك ، ولا سلوة عنك ، بل استسلام للبلوى في امرك ، واقرار بالحاجة
 عن استعطافك ، الى اوان يأتك ، او يجعل الله لنا دولة من رجعتك والسلام » .
 وكتب في أسفل الكتاب :

ان كنت أخطأت أو أسأت في عفوكم مأوى للفضل والمنن
 أنيت ما استحق من خطيأ فجد بما تستحق من حسن

وهذا من أعظم مكارم الأخلاق . يُهجي وهو يسترضي حاجبه .
 ومن محاسن تعريضات سهل انه خاطب بعض الامراء فقال له : كذبت فقال :
 أيها الامير ان وجه الكذاب لا يقابلك يعني الامير بذلك لان وجه الانسان
 لا يقابله . ورويت هذه النكتة لغيره . وحكى الجاحظ ان ابا الهذيل العلاف المتكلم
 سأله رقعة يكتب بها الى الحسن بن سهل يستعينه على ضائقة لحقته فكتب رقعة
 وختمها ودفعها اليه فأوصلها الى الحسن فلما رآها ضحك وأوقف عليها ابا الهذيل
 واذا فيها مكتوب :

ان الضمير اذا سألتك حاجة لابي الهذيل خلاف مأبدي

فأمنحه رَوْحَ اليأس ثم أمدد له حبيل الرجاء بمخلف الوعد
والن له كنفًا ليحسن ظنه في غير منفعة ولا رِفْد
حتى إذا طالت شقاوة جده وغنائه فاجبه بالرد
وان استطعت له المضرة فاجتهد فيما يضر بأبلغ الجهد

ولما قرأ الحسن رقعته وقع فيها : « هذه لك الويل صفتك لا صفتي » وأمر
لابي الهذيل بالف دينار فعاد اليه فعانبه فقال سهل : « ترى ابن كعرب عنك الفهم
أما سمعت قولي ان الضمير خلاف ما أبدي فلو لم يكن ضميري الخير ما قلت هذا .
مال الجاحظ : هذه من مغالطات سهل وبلاغته .

وروى الثعالبي قال : « حاجة ابي الهذيل » يضرب مثلاً للحاجة يسألها الانسان
غيره ويضمر ضد ما يظهر ولا يجب قضاءها إما بخلاً بجاهه وأما لحاجة أخرى في
نفسه . قال وكان ابو الهذيل سار الى سهل بن هرون الكاتب وكان خاصاً بالحسن
ابن سهل يسأله الكلام في امره ويستعينه على ضائقة دفع اليها فسار سهل الى
الحسن فكلّمه وقال له : قد عرفت أيها الأمير حال ابي الهذيل ومحلّه وقدره في الاسلام
وانه متكلم قومه والزاد على أهل الإلحاد وقد فزع اليك لائِضاقة هو فيها فوعده
ان ينظر له ما يصلح حاله . وربما كانت أبيات سهل منبعثة من كونه لاحظ بعد ان
كلم الحسن بن سهل بشأن ابي الهذيل شيئاً من الفتور فلما أريد على الشفاعة بابي الهذيل
مرة ثانية كتب تلك الابيات ومع هذا ما خلت من نكتة جميلة .

وابو الهذيل هذا هو شيخ المأمون وكان يقول فيه « أطلّ ابو الهذيل على الكلام
كلّ طلال الغمام على الانام » وكان يأخذ من السلطان في كل سنة ستين ألف درهم
ويفرقها على أصحابه .

وأشدد الجاحظ لسهل بهجو رجلا :

من كان يعمر ما شادت أوائله فانت تهدم ما شادوا وما سمكوا
ما كان في الحق ان تأبى فعالهم وانت تحوي من الميراث ماتركوا
وأجل بهذا الهجو الذي اقتصر فيه على الموعظة الحسنة وهو القائل :
إذا مروء ضاق عني لم بضق خلقي من انت يراني غنياً عنه بالياس

فلا يراني اذا لم يزع آصرثي مسنم يادرراً منه بابساس
لا أطلب المال كي أغني بفضلته ما كان مطلبه فقراً الى الناس
ومن شعره :

أعان طرفي على جسيمي واعضائي بنظرة وقفت جسيمي على دائي
وكنت غمراً بما تجني عليّ يدي لا علم لي ان بعضي بعض اعدائي
هذا هو الشعر الذي يسميه الافرنج بالشعر الوجداني (Lyrique) واكثر شعر
العرب منه وهو مرآة شعور صاحبه وما يميله عليه قلبه ويزينه له طبعه .
ومن بدائع سهل : القلم لسان الضمير اذا رَعَف اغلق اسراره وابان آثاره .
وكان يقول : اللسان البليغ والشعر الجيد لا يكادان يجتمعان في واحد واعسر من
ذلك ان تجتمع بلاغة الشعر وبلاغة القلم .

وقال : لا يُقدم على الخطبة الا اثنان فائق او مائق اما الفائق فنقته بنفسه
لنفي عنه كل خاطر يورث الخجل والانتقطاع واما المائق فانه لا يبالي اخطأ ام اصاب .
وقال : لو ان رجلين خطبا او تحدثا او احتجا او وصفا وكان احدهما جليلاً بهياً
وليبياً نبلاً وذا حسب شريفاً وكان الآخر قليلاً قميئاً (صغيراً ذليلاً) وباذ
الحياة (رثياً) دميماً وخامل الذكر مجبولاً . ثم كان كلاهما في مقدار واحد من
البلاغة وفي وزن واحد من الصواب لتصدع عنهما الجمع وعامتهم تقضي للقليل الذم
على النبيل الجسيم وللأذ الهيئة على ذي الهيئة وكشغلهم التعجب منه على مساواة صاحبه له
ولصار التعجب منه سبباً للعجب به ولكن الأثر كثر في شأنه علة للأثر كثر في مدحه
لان النفوس كانت له احقر ومن بيانه اياس ومن حده ابعاد فاذا هجموا منه على مالم
يكونوا يحسبونونه وظهر منه خلاف ما قدره تضاعف حسن كلامه في صدورهم وكبر
في عيونهم لان الشيء من غير معدنه اغرب وكلما كان اغرب كان ابعد في الوهم وكلما
كان ابعد في الوهم كان اظرف وكلما كان اظرف كان اعجب وكلما كان اعجب كان
ابعد وانما ذلك كنود كلام الصبيان وملح المجانين فان ضحك السامعين من ذلك اشد
وتعجبهم منه اكثر .

والناس موكون بتعظيم الغريب واستطراف البعيد وليس لهم في الموجود الراهن

وفيات تحت قدرتهم من الرؤى والهوى مثل الذي معهم في الغريب القليل وفي النادر الشاذ وكل ما كان في ملك غيرهم . وعلى ذلك زهد الجيران في عالمهم والاصحاب في الفائدة من صاحبهم وعلى هذه السبيل يستطرون القادم عليهم ويرحلون الى النازح عنهم ويتركون من هو أعظم نفعاً وأكثر في وجوه العلم تصرفاً وأخف مؤنة وأكثر فائدة ولذلك قدم بعض الناس الخارجي على العريق والخارف على التليد .

الى ان قال : فاذا كان الحب يعمي عن المساوي فالبغض ايضاً يعمي عن المحاسن وليس يعرف حقائق مقادير المعاني ومحصل حدود لطائف الامور الا عالم حكيم ومعتدل الأخلاط عليم وإلا قوي المنة الوثيق العقدة والذي لا يميل مع ما يستحيل الجمهور الأعظم والسواد الاكثر .

وقال سهل يوماً وهو عند المأمون : من أصناف العلم ما لا ينبغي للمسلمين ان يرغبوا فيه وقد يرغب عن بعض العلم كما يرغب عن بعض الحلال . قال المأمون : قد يسمي بعض الناس الشيء علماً وليس بعلم فان كنت أردت هذا فوجهه الذي ذكرنا ولو قلت : ان العلم لا يدرك غوره ولا يسبر قعره ولا تبلغ غايته ولا تساقص أصنافه ولا يضبط آخره فالامر على ما قلت فاذا كانت الامر كذلك فابدأوا بالاسم فلاهم وابدأوا بالفرض قبل النفل فاذا فعلتم ذلك كان عدلاً وقولاً صدقاً .

ويقال على الجملة ان من النادرة ان يتم لانسان من المواهب والبيئة ما تم اسهل فهو من عنصر قوي ذي مدنية قديمة راسخة ثقته المحيط العربي في ارق بيئة عهدت في التاريخ الاسلامي وجاء في عصر زاهر بجملة ونصيلة ودخل في أمة قوية فتية فرفعه علمه وفضله الى اعلى مقامات الفضل والتبيل وهيئ له من أسباب التبوغ ما لم يكتب لغير بضعة من رجال الادب العربي وساعده على ذلك طول اجله . اذ لو فرضنا انه يوم دخل على الرشيد كان ابن ثلاثين وقد قبض سهل الى ربه في سنة اربع وثلاثين ومائتين . والرشيد نولى الخلافة سنة احدى وسبعين ومائة . واذا فرضنا انه اتصل بالرشيد في منتصف عهده فلا يكون سهل عمراً أقل من تسعين سنة او ما يقرب من عمر صاحبه الجاحظ خمس وتسعون . ومن بورك له بايام حياته يجي منه في العلم ما لم يجي من المعتبط كهلاً او شاباً .

«أثره الباقي» : — ومن امثل ما أثر سهل بن هرون من الكتب بل كتابه الوحيد الذي ما زال أهل الأدب يتناقلونه خلفاً عن سلف كتابه الى بني عمه من آل راهبون حين ذموا مذهبه في البخل وتبعوا كلامه في الكتب قال في فاتحته يحتاجهم : «بسم الله الرحمن الرحيم : أ صلح الله أمركم وجمع شملكم وعلمكم الخير وجعلكم من اهله . قال الاحنف بن قيس : يامعشر بني تميم لاتسرعوا الى الفتنه فان اسرع الناس الى القتال أفلهم حياء من الفرار وقد كانوا يقولون : اذا اردت ان ترى العيوب حجة فتأمل عيائباً فانه انما يعيب بفضل ما فيه من عيب . واول العيب ان تعيب ما ليس بعيب وقبح ان تنهي مرشداً او تعري بمشفق .

وما اردنا بما قلنا الا هدايتكم وتقويمكم وصلاح فاسدكم وابقاء النعمة عليكم . ولئن اخطأنا سبيل ارشادكم فما اخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم . ثم قد تعلمون اننا ما اوصيناكم الا بما قد اخترناه لانفسنا قبلكم وشورنا به في الآفاق دونكم . ثم نقول في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه : (وما أريد ان أخالفكم الى ما انهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) . فما كان احقكم في كريم حرمنا بكم ان ترعوا حق قصدنا بذلك اليكم على ما رعيناه من واجب حقكم فلا العذر المبسوط بالغفم ولا بواجب الحرمة قثم . ولو كان ذكر العيوب براً وفضلاً لرأينا في انفسنا عن ذلك شغلاً وان من اعظم الشقوة وابعد من السعادة الا يزال يُتذكر زلل المعلمين ويُتنامى سوء استماع المتعلمين ويستعظم غلط العاذلين ولا يحفل بتعمد المذولين » .

فبدأ كما ترون في تفرع اهله او الناقدين والناقدين عليه منهم ومن غيرهم في ايشار كرازة اليمين على بسطهما وانه اراد بارادتهم على الخير تعليمهم وحفظ فضل اموالهم وانهم اخطأوا في سوء فهم مراميه ولم يرعوا له حرمة ولا ذمماً . وذكرهم بحكمة جميلة وهو ان الناس يتذكرون خطيئات المعلمين ولا يذكرون جبل المتعلمين وعبر عنه بسوء الاستماع وهو من ارق النصاير . وذكرهم بالآية الكريمة التي جاءت في العبد الصالح . وبعد ان بالغ من قوله هذا الحد وبسط المسألة بينه وبين عاذليه على بجله ودعوة الناس الى طريقته وابان انه اشتهر بها في العالم وانها بما لا يعده

ثمة في الشرف بل فضيلة من فضائل النفس . بعد هذا اخذ يخاطبهم و يورد لهم الامثال التي وقعت له في هذا الشأن والتي وقعت لغيره فعدما عبرة فقال :
« عبتوني بقولي لخادمي : اجيدي عجنه خميراً كما اجدته فطيراً ليكون اطيب لطعمه وازيد في ريعه . وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورحمه لاهله : املكوا العجين (شدا عجنه) فانه احد الريعين . وعبتم عليّ قولي من لم يعرف مواقع السرف في الموجود الرخيص لم يعرف مواقع الاقتصاد في الممنوع العالي . فلقد أتيت من ماء الوضوء بكيلة بدل حجمها على مبلغ الكفاية وأشف من الكفاية فلما صرت الى نفر يقبض اجزائه على الأعضاء الى التوفير عليها من وظيفة الماء وجدت في الاعضاء فضلاً على الماء فملت ان لو كنت مكنت الاقتصاد في اوائله ورغبت عن التهاون به في ابتدائه لخرج اوله على كفاية آخره . ولكن نصيب العضو الاول كنصيب الآخر . فعبتموني بذلك وشتمتموه بجهلكم وفتحتهم . وقد قال الحسن : وذكر السرف : انه ليكون في الماعونين الماء والكلاء فلم يرض بذلك الماء حتي اردفه بالكلاء » .

وبذلك رأينا انه بسط قاعدته في البخل بسطاً بدعياً وبدأها بما وقع له في الماء ثم ثنى في الجملة التالية بما يأتية من الاحتياط في حفظ الفاكهة والماء كولات محالاً إقناع مخاطبيه بان الناس طبقات وليس من الانصاف ان يأكل السيد كالواشي فان اطعمهم الموالي والعبيد اطعموا وثمار الذبذة قد يمكنهم الاستغناء عنها ولكن ساداتهم لا يصبرون عليها اذا انقطعت عنهم بسبب امر افهم . وأشار الى انهم الاولاد وسوء ادارة النساء الى ان قال :
« وعبتموني حين ختمت على سلّ عظيم وفيه شيء ثمين من فاكهة نفيسة ومن رطوبة غريبة على عبد تنوم وصبي جشع وأمة لكعاء وزوجة خرقاء وليس من اصل الادب ولا في ترتيب الحكم ولا في عادات القادة ولا في تدبير السادة — ان يستوي في نفيس المأكول وغريب المشروب وثمان الملبوس وخطير المركوب والناعم من كل فن واللباب من كل شكل — التابع والمتبوع والسيد والمسود كما لا تستوي مواضعهم في المجلس ومواقع اسمائهم في العنوانات وما يستقبلون به من التحيات . وكيف وهم لا يفقدون من ذلك ما يفقد القادر ولا يكثر ثرون له اكثر من العارف ومن شاء اطعم كلبه الدجاج المسمن وعلف حمارة السمسم المقشّر . فعبتموني بالغنم وقد ختم بعض الائمة على مزود

سويقي وختم على كبس فارغ . وقال : طينة خير من ظنة . فأمسكتم عن ختم على لاشي . وعبتم من ختم على شي . »

ثم تحول في كلامه الى ذكر امور جوهرية في الحياة ، ذات شأن خطير في تدبير المنزل ، كالطعام واللباس . مستشهداً على صحة قضيته بهدي الرسول ، وايراد أمثلة ممن يقتدي بهم في هذا الباب من الناس . فقال :

« وعبتموني حين قلت للغلام ، اذ اردت في المرق فزد في الانفاج ، لتجمع بين التأدم بالحم والمارق ، ولتجمع مع الارتفاق بالمارق الطيب . وقد قال صلى الله عليه وسلم : (اذا طبختم لحماً فزيدوا في الماء ، فان لم يصب احدكم لحماً اصاب مرصاً) .

وعبتموني بخصف النعل (خرزها) ، وبتصدير القميص ، وحين زعمت ان الخوصفة ابقى واوطأ . واوقى وانفى للكبر . واشبه بالنسك . وان الترقيق من الحزم والتفريق من التضييع . والاجتماع مع الحفظ . وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يخفض نعله ويرفع ثوبه . ويلطع اصبعه . ويقول : لو دُعيت الى كراع لأجبت ولو أهدي الي كراع او ذراع لقبلت . ولقد ألفقت سعدى بنت عوف ازار طلحة وهو جواد قريش . وهو طلحة الفياض . وكان في ثوب عمر رفاع آدم . وقال : من لم يسبح من الخلال خفت مؤنته . وقل كبره . وقالوا : لا جديد ان لا يلبس الخلق . » وبعث زياد رجلاً يرتاد له محدثاً واشترط على الرائد ان يكون عاقلاً مسدداً .

فأتاه به موافقاً فقال : أكنت ذا معرفة به قال : لا ولا رأيته قبل ساعته . قال : انما قلته الكلام . وفاتحته الامور قبل ان توصله الي قال : لا قال : فلم اخترته على جميع من رأيته قال : يومنا يوم قانظ . ولم ازل انعرف عقول الناس بطعامهم ولباسهم . في مثل هذا اليوم ورأيت ثياب الناس جُرداً وثيابه أبساً فظننت به الحزم . وقد علمنا ان الجدد في موضعه دون الخلق . وقد جعل الله عز وجل لكل شيء قدراً وبوأ له موضعاً كما جعل لكل دهر رجلاً ولكل مقام مقالاً وقد احبى بالسم وامات بالغذاء واغص بالماء وقتل بالدواء . فترقيق الثوب يجمع مع الاصلاح التواضع وخلاف ذلك يجمع مع الاسراف التكبر . وقد زعموا ان الاصلاح احد انكسبين كما زعموا ان قلة العيال احد اليسارين . وقد جبر الأحنف يد عنز وامر

بذلك النعمان وقال عمر : من اكل بيضة فقد اكل دجاجة . وقال رجل لبعض السادة : أهدي اليك دجاجة وقال : ان كان لابد فاجعلها بيضة . وعد ابوالدرداء العراق (بقايا الحمض) جزر البهيمة .»

صفحة جميلة من تدبير المعاش والاقتصاد اراد بها تعليم المنقذين له درساً نافعا في الترتيب والنظام والقي عليهم مثلاً حسناً لا يسع حتى المسرف ان ينقضه وقد شفع كلامه بامثلة ليس في مقدور احد انكارها ولا تبلغ به الحال . مها بلغ من السرف والترف ان يقول ان من ذكرهم ليسوا قدوة صالحة . وبعد ذلك التفت الثفانة أخرى . وبين لخصومه فضيلة الامساك في المال والحرص عليه لما يجلب الاستمرار من العوز فقال :

«وعبتموني حين قلت : لا يعتز احد بطول عمره وثقوس ظهره ورقة عظمه ووهن قوته ان يُري أكرمته ولا يُخرجه ذلك الى اخراج ماله من يديه ونحويله الى ملك غيره والى تحكيم السرف فيه وتسليط الشهوات عليه فلعله ان يكون معمرّاً وهو لا يدري وممدوداً له في السن وهو لا يشعر ولعله ان يرزق الولد على اليأس ويحدث عليه بعض مخبات الدهور مما لا يحظر على البسال ولا تدركه العقول فيسترده ممن لا يرده ويظهر الشكوى الى من لا يرحمه اضعف ما كان من الطلب وافصح ما يكون به الكسب . فعبتموني بذلك وقد قال عمرو بن العاص :
إعمل لدنياك عمل من يعيش ابداً واعمل لا خزتك عمل من يموت غداً .

«وعبتموني حين زعمت ان التبذير الى مال القمار ومال الميراث والى مال اللقاط وحباء الملوك اسرع وان الحفظ الى المال المكنسب والغنى المحتلب والى ما يُعرض فيه لذهاب الدين واهتضام العرض ونصب البدن واعتماد القلب اسرع وان من لم يحسب ذهاب نفقته لم يحسب دخله ومن لم يحسب الدخل فقد اضاع الاصل وان من لم يعرف للغنى قدره فقد أذن بالفقر وطاب نفساً بالذل . وعبتموني بان زعمت ان كسب الحلال مُضْمَنٌ بالاتفاق في الحلال وان الخبيث ينزع الى الخبيث وان الطيب يدعو الى الطيب وان الاتفاق في الهوى حجاب دون الحقوق وان الاتفاق في الحقوق حجاز دون الهوى فعبتم عليّ هذا القول وقد قال معاوية : لم ارَ

تبذيراً قط الا والى جانبه حق مضى • وقد قال الحسن : اذا اردتم ان تعرفوا من اين اصاب الرجل ماله فانظروا في اي شيء ينفقه فان الخبيث انما ينفق في السرف •

« وقلت لكم بالشفقة عليكم وبحسن النظر مني لكم وبحفظكم لآبائكم ولما يجب في جواركم وفي ممالككم وملابسكم وانتم في دار الآفات والحوادث غير مأمونات ، فان احاطت بمال احدكم جائحة لم يرجع الى بقية فاحرزوا النعمة باختلاف الامكنة ، فان البلية لا تجري في الجميع الا مع موت الجميع • وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العبد والامة وفي ملك الشاة والبعير وفي الشيء الحقير اليسير : فرقوا بين المنايا • واجعلوا الرأس رأسين • وقال ابن سيرين لبعض الجربين : كيف تصنعون باموالكم قال : نفرقها في السفن فان عطب بعض سلم بعض ولولا ان السلامة اكثر لما حملنا اموالنا في البحر • قال ابن سيرين : تحبها خرقاء وهي صناع » (حاذقة) •

وبعد هذا الكلام المتع مثل سهل صورة جديدة في الاخلاق العارضة على من استغنى وحذر من الوقوع فيها امثالا تؤدي الى الفقر وهو اشنع ضروب المظاهر وبين العلة في قوله ان المال مقدم على العلم لان بالمال يكتسب العلم ويعرف قدر العلم فقال :

« وقلت انكم عند اشفائي عليكم ان للغنى سكرآ وان للمال لزوة فمن لم يحفظ الغنى من سكره فقد اضاعه ومن لم يرتبط بالمال بخوف الفقر فقد اعمله فعبثوني بذلك وقد قال زيد بن جبلة ليس احد اقصر عقلاً من غني آمن الفقر وسكر الغنى أشد من سكر الخمر • وقلتم قد لزم الحث على الحقوق والتزهيد في الفضول حتى صار يستعمل ذلك في اشعاره بعد رسائله وفي خطبه بعد سائر كلامه فمن ذلك قوله في يحيى بن خالد :

عدو تلاد المال فيما ينوبه ممنوع اذا ما منعه كان احزما

ومن ذلك قوله في محمد بن زياد :

وخليقتان لني وفضل تحرم وإهانة في حقه للمال

« وعبثوني حين زعمت اني أقدم المال على العلم لان المال به يغاث العالم وبه تقوم النفوس قبل ان تعرف فضيلة العلم وان الاصل أحق بالترفضيل من الفرع واني قلت وان كنا نستبين الامور بالنفوس فانا بالكفاية نستبين وبالخلة نعمي وقلتم كيف يقول هذا وقد قيل لرئيس الحكماء ومقدم الادباء العلماء افضل ام الاغنياء ؟ قال بل

العلماء قيل فما بال العلماء يأتون ابواب الاغنياء اكثر مما يأتون ابواب العلماء قال
لمعرفة العلماء بفضل الغنى ولجلل الاغنياء بفضل العلم . فقلت حالها هي القاضية بينهما
وكيف يستوي شيء ترى حاجة الجميع اليه وشيء يغني فيه بعضهم عن بعض .

« وعينوني حين قلت ان فضل الغنى على القوت انما هو كفضل الآلة تكون في
الدار ان احتجج اليها استعملت وان استغني عنها كانت عدة . وقد قال الحصين بن
المزدر وددت ان لي مثل أحد ذهباً لا ائلف منه شيء قبل فما ينفعك من ذلك
قال اكثرته من يخدمني عليه . وقال ايضاً عليك بطلب الغنى فلو لم يكن لك فيه الا انه
عز في قلبك وشبهة في قلب غيرك لكان الحظ فيه جسيماً والذفع به عظيماً .

وختم كتابه في انه لن يبدل من خلقه في الشئ وفي الدعوة الى تزيينه للناس
وأورد جملاً لجماعة من المشركين بالعقل وذكر جماعة في ختام حديثه بما يجب عليهم
قبل ان يذكروا ما لهم وذلك بقوله :

« ولست ا ندع سيرة الانبياء وتعليم الخلفاء ونأدب الحكماء لاصحاب الالهواء .
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر الاغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج .
وقال درهمك لمعاشك ودينك لمعادك فقسّموا الامور كماها على الدين والدنيا ثم اجعلوا
احد قسمي الجميع الدرهم . وقال ابو بكر الصديق رحمه الله اني لأبغض اهل البيت ينفقون
رزق الايام في اليوم الواحد . وكانوا ينفقون اهل البيت الاحرار من (Les carnivores)
(الذين يكثرون اكل اللحم) . وكان هشام يقول ضع الدرهم على الدرهم يكون مالا . ونهى
ابو الاسود الدؤلي وكان حكيماً ادبياً وداهياً اريباً عن جودكم هذا المولد وعن كرمكم
هذا المستحدث فقال لابنه اذا بسط الله لك في الرزق فابسط واذا قبض فاقبض ولا تجاود
الله فان الله أجود منك . وقال درهم من حل يخرج في حق خير من عشرة آلاف
قبضاً . وثلقط عمر^(١) من يريم فقال تضيعون مثل هذا وهو قوت امريء مسلم

(١) لعل العبارة محرفة واعلمها « عمرًا من ثرتي » العَرَمُ بقية القدر والثرت
كقنفذ ما فضل من الطعام والادّام في الاناء والقصة او ما تسميه باللغة الشامية
القحاطة .

يوماً الى الليل . وتلقط ابوالدرداء حبات حنطة فنهاه بعض المسرفين فقال (ايها ابن العيسية ان مرقة المرء رفقة في معيشته) .
 فلستم عليّ تردون ولا رأيي نفندون . فقدموا النظر قبل العزم وتذكروا ما عليكم قبل ان تذكروا ما لكم والسلام اهـ » .

« خاتمة » == وبعد فهذه صفات سهل بن هرون وهذا انشاؤه ونثره بل هذا فكره وعقله وما أوردنا الا مثلاً ضئيلاً مما كتب ووصل اليها وقد اتي عليه بعد احد عشر قرناً فتعرفنا على الجملة طريقته وحقيقته وكان علينا ان ننسج على غرارهِ في بيانهِ ونعلم كيف يبالغ في انتقاء ألفاظهِ حتى لا يتغير منها الوحشي النافر ولا المكرر الساقط يتنوق كرائعها ويسلكها في سلوكهِ ويرصعها في عقودهِ ويلبسها حلة من حلل قلبهِ فتجبي جزالة من دون تعمد وسلاسة من غير ما تبذل وغطاً عالياً من السهل الممنوع يتدفق حكمة ويسيل بياناً نتناوله الأذهان وننشر به الانفس عفواً صفواً فاذا أراد المقلد ان يحذو حذوه فهناك نفاضل العقول والقرائح . سهل بن هرون احد افراد قلائل زانوا بما صاغوا من الكلم الطيب تاريخ أدب العرب واختطوا لمن بعدهم خطط التفكير والتصوير على النمط الفارسي العربي وكلامه في بابهِ لباب البلاغة ومثال الفصاحة لا تبلى جدته على وجه الايام ولا يحتاج في الحكم عليه الى محكمة نقض وإبرام .

طرابلس وآثارها^(١)

طرابلس ولا ازيد كم علماً لفظة محرفة عن (Tripolis) اليونانية ومعناها المدن الثلاث . وقد أطلقها المكدونيون الذين قادم الاسكندر الكبير الى سورية على بلدة مثثة . فعرفت بها من يومئذ . اما اسمها الفينيقي الذي سميت به قبل اليونان فمجهول . لان التاريخ لم يبح به . ولا غرو فان التاريخ عودنا الصمت في مواضع شتى فكاد الدهر يطمس على كثير من الحقائق لولا ان الآثار والرقم (Les Inscriptions) لساناً صيره العلم بليغاً . فهل يرجي للآثار السورية ان تظهر للملاء مكنوناتها كما أظهرت بلاد النهرين .

ومن الغني عن البيان ان آثار بين النهرين قد جلت شيئاً عن أحوال سورية في بعض ازمنها . فان كان القدماء من سكان سورية على شيء من مماثلة الكلدان والاشوريين والبابليين وغيرهم من اهل بين النهرين او وادي النيل في عاداتهم اذن لاستبشرنا ان في طيات تربتنا الملاءى بالخرائب والأبقاض الشيء الكثير من تاريخ البلاد . على ان الفاتحين لم يقصدوا بكتابتهم على الحجر او الآجر او الهياكل الا تخليد أعمالهم والمفسخرة ببطشهم فظهرت الرقم لعهدنا هذا مملوءة بالفوائد . ولذلك لسنا لنعلمق آمالاً كباراً على وجود رقم ذات شأن لانه لم يبق في سورية دولة غازية .

وما يؤخذ من قول الفاتح الاشوري اسورناتسر بال فقرات ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ ما هو به : يومئذ احتلت مخدرات لبنان ونزلت الى بحر فينيقية الكبير وهناك عند البحر علق سلاحي وقدمت الذبائح للأرباب (واخذت) الجزية من ملوك ساحل البحر الصورين والصيدونيين والجبليين والمخالياتيين والمائزين والكايزين الفينيقيين واهل ارواد الخ . ولتجدن مترجم هذا الرقم العلامة سايس الانكليزي ينقل عن العلامة دالتزش الالماني انه يحسب المدن الثلاث محالات ومايز وكاييز هن التي تألفت من اجتماع مدينة طرابلس .

(١) مقالة للاستاذ المؤرخ السيد جرجي بني احد أعضاء المجمع تليت على أعضاء

المجمع بدمشق بمناسبة قبوله عضواً فيه سنة ١٩٢٢ م .

وكأنني بدالتزش يحسب الفاتح قد اخترق لبنان عرضاً فنزل في موضع طرابلس
او على مقربة منها . وان فيها اقتبل وفود الفينيقيين الذين جاؤه لعرض الطاعة واذ ذكرهم
ابتداء بسرد اسمائهم من الجنوب حتى انتهى الى الشمال . واذ ذكر المدن الثلاث
بين جبيل وارواد خيل للعلامة انها طرابلس .

ولكن هذه الرواية على علو سندها لا ندعم الا الظن بان البقعة التي قامت فيها
طرابلس لم تكن في الزمن الفينيقي بلقاعاً بل مأهولة بفريق منهم . وهذا ما ذهب اليه
العلامة رولنسون وهو الثقة الذي لا ينزع في التاريخ .

والمعروف من صفات الفينيقيين وأخلاقهم وعاداتهم انهم يسكنون المدن قرب
البحر يحملنا على قبول رأي دالتزش بانهم سكنوا ثلاث مدن هي محالات
ومايز وكايز .

وان صح ذلك وجدنا سبيلاً لقبول رواية مؤرخي اليونان وفي صدرهم ديودورس
ومؤدى الرواية ان الفينيقيين واثن كانوا أمة واحدة فانهم لم يجتمعوا على ولاء دولة
واحدة منهم . بل كانوا دولاً شتى تسنقل كل منها في شؤونها الداخلية . واشهرهن
صور وصيدا وأرود . الا انهن كن يجتمعن في الأزمات ويتألفن حلفاً لدفع
الطوارئ . وان هذا أفضى بهن لعقد ديوان عام يتولى النظر والتدبير وانهن اخترن
موقعاً متجايداً وان حب الاستقلال الداخلي دفع كلاً منهن الى الاحتفاظ بشأنها فبنى نواب
كل من الدول الثلاث حياً مخصوصاً لسكناء يبعد عن مثليه نحو ستاديا وأقام المئة نائب
عن كل من المدن الثلاث بنسائهم واولادهم وخدامهم في الحي المنسوب اليهم تسودهم
شرائعهم وأحكامهم .

فما أدرانا ان كل فئة من اولئك النواب اختارت لسكنائها حياً او بليدة من المدن
التي ذكرها اسورناتسربال حتى اذا جاء اليونان رأوا المدينة مثلثة فسموها المدن الثلاث :
ثم كرت الايام وتوالت الحروب والزلازل فلم تبق للمدينة المثلثة من أثر . ولذلك
اختلف الرواة في مواقعها فقالوا — وقد تابعتهم او نقلت عنهم ما قالوا في تاريخ سورية
المطبوع — ان احدا الاحياء كان في السرفتانية والثاني في موقع البلدة اوفي الجحصاص
والثالث في موضع الميناء . اما الآن فاني أنبذ القول بذلك لان البعد بين الأحياء هو

ستاديا واحدة كما قال سترابو والستاديا ٦٠٦ من الاقدام الانكليزية وبعض أجزاء القدم والحال ان المسافة بين المواقع المذكورة لانتقص عن ميلين خطأ مستقيماً . وان موقع البلدة الحالي لم يكن عامراً قبل الزمن الصليبي . وان الفينيقيين كانوا تجارة وتجاراً فلا يرتاحون للسكنى بعيداً عن البحر . ولهذا كله ارجح الظن بان الاحياء الثلاثة كانت على سيف البحر ممتدة من موقع الميناء الحالي حتى المبحص او ما يدنو منه .

مضى ذلك الزمن الفينيقي ولم يخلف لنا أثراً . وأعقبه الزمن السلوقي ولم تذكر فيه طرابلس الا قليلاً . على ان علم السكة المضروبة (Numismatique) يدل على ان في آخريات ذلك العهد تراخت قبضة السلوقيين فكان في طرابلس طاغيتها المستبد .

وكان بنو قيطور من بني اسماعيل قد دخلوا سورية وألقوا دولة عربية في جهات الجيدور وحوران ورستخت أقدام اصحابها ولكنهم مع عربوهم اكتسبوا من مجاورهم في سورية وفلسطين ظواهر الحضارة اليونانية واتخذوا الاسماء اليونانية حتى اوشك الانتحال ان يطمس على أصلهم .

فهذه الدولة المعروفة بالايطورية تقدمت الى البقاع فامتلكت شاليس (عين جر) واتخذتها عاصمة ثم علت قن لبنان وانحدرت منها الى ساحل البحر فامتلكت طرابلس وجعلتها عاصمتها الثانية .

ومع اننا لا نجد لتلك الايام أثراً فان في جوارنا من أعالي لبنان قرية يقال لها ايطن تقع على طريق الانحدار من الجبل الى السهل فلعلها تخلد باسمها ذلك العهد .

وعندما فتح الرومانيون سورية وجدوا الطاغية الأخير من الايطوريين في طرابلس وله في جوارها حتى البترون معاقل وحصون فغلبوه عليها ودكوها .

وجاء بعد ذلك الزمان الروماني والبيزنطي وليس لطرابلس فيها ما يذكر ومثلها كان العهد الاسلامي الاول . ولم تخلف تلك الايام لنا أثراً لانها ضمت على الماضي ولم تبق لنا من المدن الثلاث الا بلدة واحدة هي القائمة في موقع الميناء .

وما يروى ان طرابلس أدركت في القرن الحادي عشر مقاماً مذكوراً . وذلك انها تقدمت في تجارتها وصناعاتها وعلومها وآدابها . حتى وجد الصليبيون فيها اربعة

آلاف نول ودار علم نفحة ومكتبة عامرة بالوف الكتب التي كان قد جمعها صاحبها القاضي ابو الحسن بن عمار .

فلما جاء الصليبيون ونزلوا على عرقا وهي لصاحب طرابلس نجر الملك محمد بن عمار بعث هذا فاسترضي الغزاة وفتح لهم ان يتجاوزوا الموضعين من غير ان يسوهما بضر .

ولكن ماعتم ان ظفر الصليبيون بفتح القدس وهي ضالتهم المنشودة فرجع منهم فريق يزعمه ريمون ديه سان جيل كونت ديه طولوز المعروف في تواريخ العرب بامم صنجيل .

فنزّل على ما يظهر حوالى موقع القلعة بدليل ان الافرنج أطلقوا على الهضبة اسم تل الغرباء او الحجاج (Des pèlerins) كما كانوا يسمون انفسهم . واظنهم اختاروا هذا المنزل لبعده عن البلدة نحو ميلين ولقربه من نهر ابي علي (قاديشا) ولاشرافه على السهل الموصل الى المدينة . اما السهل فكان يزرع ويدّر على اصحابه ريعاً وافراً .

وقد آثر البجاجة الالمانى رويخت عن الراهب اكاهارد قوله ان ريمون هاجم البلدة سنة ٤٩٣ هـ فلم ينل منها أرباباً غير ان المؤرخين لم يذكرها تلك الهجمة بل ذكروا انه لما ظفر ريمون بجناح الدولة صاحب حمص سنة ٤٩٥ خطر على باله ان يحصر طرابلس ثم اكتفى باخذ الجزية .

فريمون لم ينزل جوار طرابلس وبقضي السنين الطوال وهو يأوي مع رجاله الى الخيام بل في اثناء الفترة بنى له حصناً يسمى حصن صنجيل وشاد من حول الحصن على منحدر الهضبة بيوتاً لأصحابه .

وفي تلك السنة أنجحت دمشق طرابلس فتشدد ابن عمار ورد عنه هجوم ريمون . فسكن هذا عن الهجوم ولكنه أفرط في اعنات البلد ثم استعان بسفائن جنوة وحصرها برأ ويحراً من غير ان ينال أرباباً لان الامراء الوطنيين كانوا يرسلون النجيدات للبلد . واولئك بنضمون الى الحماة ويدافعون عن طرابلس بل الحمية .

وفي ذات مرة خرج ابن عمار برجاله وبيت الافرنج في منازلهم وأضرم النار في الحصن فأحرقه غير ان الفرنج هبوا للدفاع فاسترجعوا موافقهم وردوا الطرابلسيين على أعقابهم . وكان ريمون قد صعد الى سطح حصنه ليشرف على القتال غير مبالٍ بالنار

المستعمرة فسقط السقف ووقع الأمير ثم مات متأثراً . وكانت ابنة غائباً في فرنسا فتولي ابن اخيه الاميرة .

اما الحصن المحروق فقد زعم بعض الآثاريين انه ذهب في الغابرين كما ذهب بانيه . ولكن الحقيقة التي تدل عليها التواريخ وتؤيدها المشاهدات ان الافرنج بنوا القلعة على أطلال الحصن المحروق . وان الجدران التي نمت عن غير البناء الصليبي انما شيدت ترميماً لما تدعى من الاصل . كما يتضح ذلك لمن يرى اركان البناء الداخلي ولمن ينظر الى السكة الطرابلية وقد رسمت عليها القلعة بتمامها . وعندني منها قطعة مضروبة على عهد الأمير بونط .

فالقلعة بناء صليبي الاصل ولكنها ترممت مراراً حجة بعد خروج الصليبيين وظل حمايتها يصلحون فاسدها حتى زماننا فلا غرو ان يطمس الترميم على الاصل حتى كاد يغلب عليه . بل أفضى الى قول بعض الناظرين ايها نظراً سطحياً انها من بناء غير الصليبيين . ولتجدن البهوت التي بناها الفرنج تحت كنف القلعة ما زالت ماثلة ولئن طرأ على بعضها الترميم والتبديل . ولهذا نجس المباني القديمة اذا عرضت لفحص الآثار بين تظهر شأنها . ولا يمكن للدور المشيدة على منحدر الهضبة وفي السويقة وسوق حراج وأماها الا ان تظهر للباحث تاريخها القديم . لا سيما تلك التي رسمت على أبوابها بعض شعائر المسيحية وما برحت آثارها بادية .

ومما روى علماء الآثار أخذاً عن مؤرخي العهد الصليبي ان طرابلس كانت تحوي كثيراً من الكنائس والاديار والملاجئ والمستشفيات . وقد حاول بعضهم تحقيق مواقعها ولكنني لا احسب ذلك مستطاعاً لخلو الوطاب من سند صحيح وانه ليظل مجهولاً حتى تقوم على كشفه بعثة علمية صالحة للعمل .

اما جسر السويقة فوق نهر ابي علي فالظاهر انه من بناء الصليبيين ايضاً . غير اني لا اعني ان الجسر الحجري القائم اليوم هو المبنى منذ ثمانمائة سنة بل انه شيد هنالك جسر ورد اسمه جسر التجاج نسبة للهضبة التي شيدت القلعة عليها .

اما الماء الجاري الى طرابلس فله تاريخه الخاص . اذ لا يعقل ان المدن الثلاث تبني بعيدة عن الماء الشروب . فالنهر بعيد عن مواقع المدن وجدول اليجصاص

لا يجري الا زمن الشتاء . فالضرورة تقضي بحجر الماء في القني . وآثار تلك القني وجدت منذ عشرات السنين قرب الميناء فحسبها الناس كانت لجمر ماء النهر . ثم ظهرت قني أخرى عند قرية مجديا فدلّت على ان طرابلس القديمة كانت تستقي ماءها من الضنية . وربما اعتاض الاهلون ولاسجا في الميناء بحجر الآبار والصهاريج اما في البلدة التي عمرها الصليبيون فان في جوار النهر لهم غني . وكأني بهم شعروا بعهد حين بالحاجة الى ماء أصح من ماء النهر واتق . فجروه من نبع رشعين (رأس العين) وانا ولئن عرفنا ان جر الماء عمل صليبي فالحديث المنقول بالتسلسل لا يكفي . انما بدانا على صدقة ان القادة تمر على قناطر شيدت فوق نهر ابي علي اسمها قناطر البرنس . والبرنس كلمة افريقية ومع ذلك ما برحت على السنة الناس .

لكن من هو البرنس ؟ نجب ان الامراء الذين سادوا في طرابلس وما اليها (من حد بلاد المرقب حتى المعاملتين قرب جونية) كان واحدهم يلقب كونت وتسمى امارتهم كونتيد . فحدث ان اولئك الكونتات اصمروا الى امراء انطاكية الذين يلقبون بالبرنس .

وفي سنة ١١٨٩ توفي كونت طرابلس فاستولى برنس انطاكية صهره على بلاده وجعل ابنه كونتا عليها . فقال يحكمها الى سنة ١٢٠١ حين توفي ابوه البرنس وانتهت إمارة انطاكية للابن الكونت فصار برنسا وهو بهوموند الرابع صاحب طرابلس . الذي جمع بين الامارتين وآثر لقب برنس فيها جميعا . وظل على إمارته حتى مات سنة ١٢٤٣ خلفه ابنه ثم أحفاده ولكن آجال إماراتهم كانت قصيرة وابامهم لم يغلب فيها الصفو والهاء . ولذلك ترجح ان بهوموند الرابع هو الشارع في جر الماء وبناء القناطر . الا ان الماء المذكور على ما قال النويري توزع في أرجاء طرابلس ودخل بيوتها على عهد سيف الدين بلهان الطباخي نائب الفتوحات اي بعد ان استرجع المسلمون البلد . واني لأخشى ان يكون المؤرخ من الناسحين على منوال سائر مؤرخي تلك العصور في إلقائه الكلام من غير ثبوت وتحقيق وانما ابتغاء اظهار فضل قومه . ولا أقول هذا الا لاني قرأت له رواية تخالف شهادة الآثار البادية للعيان فقد قال عن الميناء بعد فتحها وهدمت المدينة . . . ثم عمر المسلمون مدينة مجاورة للنهر واختلفوا فيها (اليها)

وعمرها فيها حمامات وقيامر ومساجد ومدارس للعلم الخ . وكلامه هذا يدل على ان المدينة الحاضرة كلها من بناء المسلمين مع ان آثار الهندسة الفرنجية ظاهرة في كثير من مبانيها . فنجدها البجاعة سو برنهام يؤثر عن برشم قوله ان طرابلس ما برحت محافظة على شكل مدينة من مدن العهد الصليبي لما فيها من الأفواس (القناطر) التي تجعل الأزقة كالأقبية . وثمة ثلاثة قناطر غوطية (gothique) ربما كانت شكها مأخوذاً عن المباني المسيحية القديمة . فأحداها قنطرة الباب في حمام عز الدين الذي بناه عز الدين ايبك والثانية على باب الجامع الكبير وهي ممنازة بكاملها في شكها والثالثة على باب البلدية . وهناك ايضاً قنطرة على الطرز البزنطي قائمة فوق مدخل من أبواب الجامع الكبير الخ .

اما الميناء فان الدهر قد طمس على آثار الصليبيين فيها لان الفاتحين دكوها الى الارض لكن بقي عند طرفها الجنوبي على طريق فوق الريح قطعة من السور العتيق تنم عن الحد الذي بلغته البلدة يومئذ . اما الابراج القائمة على سيف البحر فقد كانت عدتها سبعة بدليل قول الشاعر :
(وارجها عدا الكواكب سبعة) الخ .
وان البرج الواقع قرب مصب النهر يسميه العامة برج السبع وليس برج السباع كما ترجمه بعض الفرنج الى لغاتهم .

ويغلب على الظن ان هذه الابراج لم تكن من بناء الفرنج بل من بناء المسلمين بعد الصليبيين . لان شكل البناء ليس بافرنجي . ولان طرابلس في الزمن الصليبي لم تكن تخشى غزاة البحر وانما صارت تحاذرهم لما استفحل امر القرصان ولاسيما من اهل قبرس وفيها مقر الملوك من آل لوزنيان الذين كانت لهم مملكة القدس بالاسم .

والنهر الجاري في طرابلس يعرف عند منبعه حتى اليوم بنهر قاديشا اي المقدسين ويجري فضاف اليه بعض الجداول وقد ذكره الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته الطرابلسية باسم الغضوب او الغضبان اشارة الى شدة حمولته ويعرف الآن باسم نهر ابي علي . ولا ندري كيف اطلق عليه هذا الاسم ولكن قد يمكن ان يكون وضع له اشارة الى الغلظة والشدة لان في الاحاديث الموضعية حكاية يتوارثها الالباء عن الآباء انه كان في البمارستان القائم قرب جسر السوق عريف شديد الغلظة اسمه

ابو علي . وقد درج على السنة الناس قولان كادا بذهبان مثلين احدهما اذا عيّر انسان بالغلظة يكنى بابي علي فيحسبها المكفى سبة ، وثانيهما قولهم ابو علي ثقل حديدته كناية عن استئفال جنون المحكى عنه . ولعل تسمية النهر مستفادة من ذلك .

واللاسماء شأن خطير في الدلالة على الاصل . فالهضبة التي بنيت القلعة عليها لم تبق موسومة بهضبة الغرباء او الحجاج كما سماها الصليبيون انما تعرف البقعة الواقعة في قديمها بمار بوحنا والارجح انها اكتسبت هذا الاسم من مستشفى القديس بوحنا الذي كان على الهضبة على ما يؤخذ من كلام العلامة راي .

وفي جوار طرابلس عند طرف الجصاص الجنوبي موضع يقال له ابوحلقة وهذا الاسم كان حيرة بعض المؤرخين من قومنا وانما حاروا لانهم لم يفهموا المعنى فكان قوم يقولون الحلقة الطرابلسية بالفاء او بالقاف ناقلين ما قيل عن حوادثها في بعض التواريخ القديمة من غير تحقيق عن اصلها .

انما الحلقة عند سلاطين مصر من الممالك عبارة عن الجند المرابط . ومتى عرف هذا الاسم اتضحت روايات غم ففهمها .

والمكان الذي قرب طرابلس واقع على سيف البحر وفيه الطريق اليها فليس بعيداً ان يكون ولاه الامر في ذلك الحين قد جعلوا على الطريق العام مخفراً او مقرأ لرجال من الحلقة الطرابلسية وكرت الايام فسماه الناس ابا حلقة .

فيا سادتي الاعلام : حسبي الآن ما ذكرت . لاني أخشى ان ازبدكم تطويلاً فأفضي بكم الى السامة والشجر على ان في طرابلس آثاراً أخرى ما برحت ماثلة وقد سبق لي فأتيت على ذكر بعضها في مقالة عنوانها (آثار الاسلام في طرابلس الشام) نشرتها مجلة المباحث قبل الحرب فاذا لم تجدوا في تكرار التحدث عنها بأساً أعدت الكرة على كتابتها . والله المسؤول ان يأخذ بأيديكم وان يزيدكم نشاطاً لاتمام عملكم المبرور ويثبكم خيراً جزيلاً بكمه وكرمه .



قانون البلاغة

« رسالة مخطوطة »

كنا ظفرنا بين الرسائل المخطوطة في دار الكتب بدمشق برسالة في فن البيان (عدد ٢٣ من قسم المعاني والبيان) وقد كتب على ظهر الرسالة ان مؤلفها هو (نحر الدين ابو طاهر محمد بن حيدر البغدادي) ولم نظفر باسم المؤلف في كتب التراجم لنعلم في اي عصر كان . ولما تصفحنا الرسالة وجدناها ذات قيمة أدبية من حيث أسلوبها وبلاغتها عبارتها . نعم ان المباحث التي كتب فيها المؤلف هي في البيان والبديع وأنواعه ولم يجردنا المؤلف كما جودها من اتي بعده من المؤلفين ولا سيما تجويد ابي الهلال العسكري في كتابه الصنائع - لكن اطلاع علماء الأدب على هذا الكتاب يهيء لمادة في موضوع الفن وتاريخه وتطوراته منذ اول عهده . ولذلك حرصنا على تصحيح نسختنا فوفقنا الى تصحيح كثير من أغلاطها . وقد أعيننا امر التصحيح في مواطن كثيرة . ثم أعلننا المرة بعد المرة : نسأل رجال الأدب والفضل عن هذه الرسالة ومؤلفها ، ان كان لديهم خبر عنها فلم يلب احد طلبنا ولم يرشدنا الى مؤلف الرسالة في اي عصر كان ، وراجعنا ايضا فهارس المكاتب الكبرى في الشرق والغرب فلم تقع على ذكر لهذه الرسالة . وفي آخر الامر رأينا عجباً : رأينا العلامة شمس الدين سامي بذكر مؤلف الكتاب في كتابه التركي المسمى (قاموس الأعلام) وقد قال عن المؤلف ما ترجمته : « ابو طاهر محمد ابن حيدر كان من الشعراء وتوفي في سنة ٥١٧ هـ ومن جملة أشعاره هذه القطعة في وصف الخمرة .

(مرحباً بالتي بهما قُتِلَ الهـ مـ وعاشت مكارم الاخلاق)

(وهي في رقة الصباية والشوق - وفيه قسوة الجنات والفراف)

(است أدري أمن خدود الغواني عصرها ام من دم العشاق) «

هذا كل ما ذكره شمس الدين سامي عنه ، ولم يتعرض لذكر مصنفاته ، لا للفن الذي نطس فيه ، ويظهر من شعره هذا انه متمكن من فنون الأدب العربي

وذو سليفة شعرية صحيحة . وقد عزمنا الآن على نشر الرسالة في مجلة المجمع مع العود الى العناية بتصحيح عبارتها والتعليق عليها ، ولاغرو اذا بقي فيها بعض الاغلاط فنحيل امر تصحيحها الى قراء مجلتنا النضلاء فاذا اهتدى احدهم الى شيء من ذلك فليكتب اليها لنعلمن تصحيحه بعد تمام طبع الرسالة وكذلك اذا اهتدى احد القراء الى شيء من خبر المؤلف او عرف لهذه الرسالة نسخة او نسخاً فليهدنا اليها لتقابل نسختنا عليها .

المجمع العلمي

بسم الله الرحمن الرحيم

« رب انعمت فزد »

سألت أطل الله مدتك ، وأدام نعمتك ، وحرس دولتك ، عن البلاغة . والبلاغة ليست ألفاظاً فقط ، ولا معاني فحسب ، بل هي ألفاظ يعبر بها عن معاني ، ولكن ليس كما انفق ، ولا كيفما وقع ، لان ذلك لو جرى هذا المجرى ، لكان أكثر الناس بليغاً ، اذ كان أكثرهم يؤدي عن المعاني التي يولدها بالآفاظ تدل عليها ، لكنهم يخرجون عن طريق البلاغة ، ومنهاج الكتابة من وجهين ، احدهما ان تكون الألفاظ مستكرهة مستوخمة ، غير مرصوفة ولا منتظمة . والثاني ان تكون كثيرة يغني عنها بعضها ، ويمكن ان يعبر عن المعنى الدال عليها بأقل منها .

على انه ذهب قوم الى ان لتكثر الألفاظ المرصوفة في بعض المواضع دخلاً في البلاغة ، وذلك اذا كان موضع يحتاج فيه الى الخطابة في العامة ، ومن لا يسبق خاطره الى تصور المعنى في اول وهلة ، اما بعدد الذكاء والنظنة ، او لأن الموقف خالداً ، يكثر فيه اللفظ والخيبة ، فيحتاج الى إشباع المعنى وتوكيده وتكريره ، لمن لم يمكنه السبق الى تحصيله ، الا بالآلفاظ المترادفة . وهي التي يدل الكثير منها على معنى واحد بعينه ، مثل ان يقال في وصف السيف : الحسام الباتر ، الجراز القاطع . وفي وصف الشجاع : البطل القاتك ، النجد الباسل . وفي وصف

الجواد : الخرق^(١) الباذل ، الجم النائل ، الكثير الفواضل ، الغزير النوافل ، وفي سائر الأوصاف على ذلك .

وهذا يقع في باب المنكبات بالفتوح واليهود ، والصكوك والعقود ، وما جرى هذا الجري . ولهذا السبب قال بعضهم في وصف كاتب بليغ : ان اخذ شبراً كفاء ، وان تنازل طوماراً^(٢) أملاه . يذهب بهذا القول الى ان البليغ يحتاج في موضع الى الإطالة والإسهاب ، كما يحتاج في آخر الى الاختصار والإيجاز ، الا ان أكثر ما عليه الناس في البلاغة انها الاختصار ، وتقريب المعنى بالألفاظ القصار . حتى انه سئل بعض الناس عن البلاغة فقال : هي لحة دالة . وهذا مذهب العرب وعادتهم في العبارة ، فانهم يشيرون الى المعاني بأوحى^(٣) إشارة ، ويستحبون ان تكون الألفاظ أقل من المعاني في المقدار والكثرة .

فأما ما يصلح للكتاب ، ويليق بذوي الالباب ، ان تكون ألفاظهم غير ناقصة عن المعاني ، ولا زائدة عليها . كما وصف بعض الكتاب واصف فقال : كأن ألفاظه قوالب لمعانيه . يريد انهما مطابقة لها ، غير زائدة عليها ، ولا ناقصة عنها . وهذا المذهب هو الذي يجب ان يستعمله الكتاب ، اذا لم يكن موضع يحتاج فيه الى الإسهاب . فانه يحكى عن جعفر بن يحيى البرمكي وكان قرير دهره ، ووحيد عصره بلاغة في الكتابة ، وجودة لسان في المخاطبة ، انه قال : اذا كان الإيجاز كافياً ، كانت التطويل عيباً ، واذا كان التطويل واجباً ، كان التقصير عجزاً . وقال ابن الاعرابي : قال لي المفضل : قلت لاعرابي ما البلاغة فقال : الإيجاز من غير عجز ، والإطناب من غير خطل .

وينبغي ان تعلم ان البلاغة لما كانت احدى الصناعات ، كان لها مالكل صناعة من المبادئ والموضوعات والأدوات ، وانه ليس واجباً على كل متعلم لصناعة ان ينظر في مبادئها وموضوعاتها ، ولا ان يعلم أدواتها ، وهذا عام لجميع الصناعات المهنية التي يباشرها

(١) الخرق (بكسر الخاء) كالخريق بمعنى السخي او الفتى الحسن الكريم الخليفة .

(٢) الطومار الصحيفة المستطيلة تكتب وتطوى طياً اسطوانياً . (٣) أعجل وأسرع .

الصانع بأعضائه العقلية التي يستعمل فيها فكره ، فإن في الصناعات المهنية الصياغة ، وموضوعها الذمب والفضة . وليس يجب ان يعلم مع تعلمها ، كيف يستخرج هذات الجواهران من معدنها ، ولا ان ينظر في شيء من امرهما ، غير إقامة الصور فيها . وكذلك لا يعلم ايضاً كيف يعمل شيء من آلاتها ، مثل المبرد والمطرقة والسندان وغيرها ، بل تؤخذ أخذاً مسلماً ، على ان عملها مفوض الى الحداد . وكذلك صناعة الطب فانها تنقسم جزئين علي وعملي ، وكلا هذين الجزئين هذه حاله ، فانه ليس يتعلم « صنع » ^(١) المكوى ، ولا كيف يصنع الموضع ، ولا غيرهما من الآلات ، بل يتولى ذلك اهل صناعة أخرى . ولا في الجزء العلمي ايضاً يؤخذ في مبادئه ، بل يؤخذ أخذاً مسلماً فيه ، مثل انه ليس يُبحث عن الحرارة والبرودة لم كانا فاعلتين ، والرطوبة والهبوسة لم صارا منفعلتين .

كذلك من أراد ان يتعلم البلاغة لم يلزمه مع تعلمها ان يتعلم أدواتها التي لا تتم الا بها ، ولا ان يبحث عن معانيها وموضوعاتها التي يحتاج الى ضرورة فيها ، كما لا يلزم غيرها من الصناعات التي ذكرنا . فانه لو لم نسا البحث عن موضوعات البلاغة ، وتعلم أدواتها لاحتجنا الى النظر ^(٢) في اللغة والنحو ، وتعلم القياس والجدال مع تعلمها ، فطال ذلك وأدخلنا في الصناعة ما ليس منها فنقول الآن .

انا لما قلنا فيما مضى من المقدمة عند تعريفنا ما البلاغة ، انها ليست الفاظاً مجردة ،

(١) الكلمات الموضوعية بين هلالين صغيرين هي من زيادتنا لفهم المعنى .

(٢) وجد في هامش الاصل ما يأتي : اقول هذا موضع النظر لان النظر سيفي اللغة واجب حتى يستعمل ما كان أدور « على اللسان » فيقع فصيحاً ، وكذلك النحو لانه لو أهمل امر النحو فلا يكون التركيب مستقيماً ، وكيف لا والبلاغة شرطها معرفة هذه الأحوال مع أشياء أخر . وهامشة أخرى في المعنى ذاته : « انظر الى قوله لاحتجنا الى النظر فان فيه نظراً لانه يصرح بعد في بحث الاستعارة بقوله : ومن عيوبها ان تكون ملحونة خارجة على غير أساليب الاعراب فكيف يكون عيباً وهو متركب عدم معرفته اللهم الا ان يريد بالاحتياج الاحتياج التام فتأمل اه .

ولا معاني قائمة في النفس مفردة ، بل أقوالاً يعبر بها عن المعاني — وجب ان يكون الاضطراب دافعاً الى التوسع في اللغة التي مجراها مجرى الموضوع لصناعة البلاغة (لتعذر للبليغ^(١) اللفظ ، ويحدث عند الحاجة) ما يستعمله في البيان عن المعاني ، على سبيل الناظم للجواهر المرصع بها ما يقصد الى ترصيعه ان يكون معه جميع أصنافها ، وكذلك سبيل البليغ في حاجته الى الألفاظ .

فاما المعاني فالاضطراب اليها في البلاغة أشد منه الى الألفاظ ، وذلك ان المعاني هي الأغراض المقصودة للعبارة بالألفاظ ، والألفاظ مرتبة في مراتبها^(٢) لان المعاني اربعة مراتب : احداها أعيان الامور ، وذوات الاشياء التي توجد تلك المعاني فيها ، ثم بعد هذه المرتبة المعقولة التي تقوم معاني الموجودات في تصورها ، ثم الألفاظ التي تعبر عن تلك المعاني المتصورة في العقل بها ، ثم الحروف الموصوفة للخط الذي تكتب تلك الألفاظ بتأليفها .

فالبليغ الكامل هو الذي تكون الألفاظ عنده عديدة غزيرة ، والمعاني في نفسه حجة كثيرة ، فانه مع ذلك يجيش بحره ، ويسهل الكلام والكتاب عليه .

والذي يجب على البليغ في استعمال الألفاظ ان تكون سمحة سهلة ، لها حلولة وطلاوة ، وعليها رونق الفصاحة ، مع الخلوة من البشاعة ، فلا يكون متوعراً وحشياً ، ولا سافطاً عامياً ، ومن نعوتهما تصير الاجزاء متناسبة الوضع ، متقاسمة^(٣) النظم ، متعادلة الوزن ، متوختى في كل جزئين منها ان تكون مقاطعها^(٤) على حرف واحد في التسجيع ، او حرفين متقاربي الخرجين من القم ، فان انضاف الى ذلك ألفاظ الجزئين المتزاوجة مسجوعة كان أحسن ، مثل ما قال ابو علي البصير في بعض كلامه : حتى عاد تعريضك نصريحاً ، وتمر يضك نصيحجاً ، فأتي بجزئين متقاربين ، متوازنين ومسجوعين بالحرف نفسه ، وهو الحاء من غير استكراه ولا تعسف ومتزاجي الألفاظ مسجوعيهما حيث

(١) جعلنا العبارة التي تعذر ايرادها على وجه مفهوم صحيح بين هلالين كبيرين .

(٢) في الاصل المركب بدل المرتبة والمراتب بدل المراتب ولعل الصواب ما صححناه .

(٣) لعله متناسقة . (٤) خ مقطعاتها .

جعل بازاء التمريض من الجزء الاول التمريض من الجزء الثاني ، وذلك سجع بحرف الضاد وبازاء التصريح التصحيح بحرف الحاء ، فان لم نلوجه هذه المنزلة وهي أحسن المنازل فما دونها وهو السجع بالحرف نفسه فيما صارعه وخرج قريباً من مخرجه كما كتب بعض الكتاب :

« اذا كنت لا تؤتي من نقص كرم ، وكنت لا أوتي من ضعف سبب ، فكيف أخاف منك خيبة أمل ، اوعدولاً عن اغتفار زلل ، اوفتوراً عن لم تشعث واصلاح خلل » .
 فوضع نقص بازاء ضعف ، وكرم بازاء سبب ، وعدول بازاء فتور ، مناسبة في وضع الالفاظ ، وموازنة بينها ، والا فقد كان يمكن ان يقال مثلاً : مكان نقص قلة ، ومكان سبب شكر ، ومكان فتور نقصير . فلم تكن الالفاظ حينئذٍ لتوازن ، وان لم يتسهل ايضاً ان يكون الجزآن متوازنين في القدر ، فليكن الجزء الأخير أطول ، فان تعدى حتى تكون الالفاظ مضرسة^(١) ، والأجزاء مجتمعة ، وأواخرها غير مسجوعة لا بحرف واحد بعينه ، ولا بحروف متضاربة ، فذلك خروج عن حد البلاغة .
 ورأيت قومًا يذهبون الى كراهة^(٢) السجع والازدواج في الكلام ، من غير أن عرفتم لهم في ذلك حجة ، فعملت انهم ذموا ماراموه فلم يصلوا اليه ، وتعاطوه فلم يقدروا عليه ، والا فهذا القرآن وكلام الرسول وهما مسجوعان ، فاما الذي في القرآن فأكثر من ان يحاط ، اذ كان مبناه عليه . واما كلام الرسول فكقوله في عوذة سبطته : أعينك من الهامة والسامة ، وكل عين لامة . ألا ترى انه في أصل اللغة لمة ، فرام المقاربة فقال لامة : وقال : خير المال مؤمرة مأورة^(٣) ، وسكة مأبورة . وهو في اصل اللغة

(١) هل يريد يا ترى بقوله المضرسة ماورد في اللغة من ان المضرس نوع من الوشي فيه أشكال أضراس . (٢) في هامش الاصل : لعل قول من قال بكراهتها محمول على انه اذا كان لا يحصلان الابتكاف لامطابقاً فان علماء البيان قالوا : انما يقبل اذا كانت سجيعة . وحجة هذا انه بالتكلف يخرج عن السلاسة والفصاحة كما لا يخفى .
 (٣) أمر الرجل كثرت ماشيته والاصل مؤمرة على مفعلة ومعناها كثيرة النساج والنسل .

مؤامرة . فعدل عنها الى مأمورة وقال : ارجعن مأزورات^(١) من الواو الى الهمزة ،
لانه من الوزر كما كان مأجورات بالهمزة .

ومن نعوت الألفاظ الاشتقاق والمضارعة ، فالمشتق مثل ما قال خالد بن صفوان
للعبدى : شئتك هاشم ، وأمتك أمية ، وخزمتك مخزوم ، فأنت ابن عبد دارها ،
ومنهى عارها ، نفتح لها الأبواب اذا أقبلت ، ونغلقها اذا أدبرت .

فمثل هذا في الكلام الموزون ، بازاء هذا المنشور كثير ، ويسمى المتجانس^(٢) . وقد
شرحت حاله في كتاب الشعر .

فاما المضارعة : فكالذي جاء في الاثر اياكم والمشاركة فانها تميم الغرة ، وتحبي
الغرة . وكقول محب لمن قال : خصصتك ما خصصتني ، بل انما خصصتني . وكقول
الآخر عولت لدي على مالي وآمالي .

ومن نعوت الألفاظ التبديل^(٣) وهو ان يقدم في الكلام جزء الألفاظ منظومة
نظاماً تاماً ، فيجعل ما كان مقدماً في الاول ، متأخراً في الثاني ، مثل قول من قال :
اشكر لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكرك . وكقول^(٤) الآخر : اسود مني
ما كنت أحب ان يبيض ، وابيض مني ما كنت أحب ان يسود ، واشتد مني
ما كنت أحب ان يلين ، ولان مني ما كنت أحب ان يشتد . وكقول الآخر :
اللهم أغني بالفقرك اليك ، ولا تفقرني بالاسغناء عنك .

ومن نعوت الألفاظ الاستعارة وهي كقول القائل : مازال يفتل في الذروة والغارب^(٥)

(١) في الكلام نقص وهو ارجعن مأزورات غير مأجورات فعدل عن الواو
الى الهمزة . (٢) يعني المجانسة كذا في هامش الأصل . (٣) ويسمى طرداً وعكساً—
كذا في هامش الأصل . (٤) وهو قول معن في مسائله معاوية كذا في هامش الأصل .
(٥) ومن الجاز قولهم ما زال من فلات في الذروة والغارب اي يدور من وراء
خديمته . قال الصغاني : الفتل فيه اي في المثل بفعله خاطم الصعب من الابل
يحنله بذلك فجعله مثلاً للخفاعة والازالة عن الرأي . والذروة أعلى الشيء والغارب
ما بين سنام البعير وعنقه .

حتى لفته عن رأيه . وكقول الآخر : التبيذ قيد الحديث ^(١) وكقول الآخر :
فلان أملس ، ليس فيه مستقر خير ولا شر . وكقول الآخر : لا يتحدث وجه رضاك
بالتوبيخ ^(٢) . وفي نعت القلم لعبدالله بن المعتز : يخدم الارادة ، ولا يميل الاستزادة ،
يسكت وافقاً ، وينطق سائراً ، على ارض بها ضهاً ^(٣) مظلم ، وسوادها مضيئ ^(٤) .

ومن عيوب الألفاظ ان تكون ملحونة جارية على غير الاعراب والسبيل المني
عليه الكلام ، ثم ان تكون بشعة مستوحشة ، مضادة لما تقدم من نعوتها ، ثم ان تكون
ذات تعقيد . وفي وصية بشر بن المعتمر : إياك والتوعر ، فانه يستهلك معانيك ،
ويمنعك من مراميك .

ومن عيوب الألفاظ التجميع ، وهو ان يكون مقطع الجزء الاول من الجزئين
المتالين على وزن ما ، فيؤتى بالتالي له على وزنه ، ومنافراً في النظم له . مثل قول
حميد بن سعيد في اول كتاب من كتبه : فوصل به ما يستعبد الحر ، وان كان قديم
العبودية ، ويستغرق الشكر ، وان كان سالف فضلك لم يبق شيئاً منه . فالمقطع على
العبودية منافر للمقطع على منه .

ومن عيوبه ان يؤتى بالجزء الاول طويلاً ، فيحتاج الى إطالة التالي له ضرورة ،
فيصيره اما مثله في القدر ، او زائداً عليه ، فيضطرب حينئذ ويظهر عليه سياء التكلف .
ومن عيوبه التكرير وهو انت تعاد الكلمات أنفسها ، او حروف الصلات
والرباطات وما جرى مجراها في المدة القريبة . فأما إعادة حروف الصلات والرباطات
فمثل له وعليه او منه عليه او به له . فان فصل بين الحرفين بكلمة زال قبجه مثل ان
يقال أقمت عليه شهداء به .

ومن عيوبه ان يركب من الوحشي المتروك استعماله ، الثقيل في المستمع .
« للبحث صلة »

(١) لعل المعنى ان الحديث في مجلس التبيذ سرّ فكان التبيذ قيد له عن الافشاء .

(٢) في هامش الاصل والأحسن ان نقول لا يتحدث وجه رضاك باخفار التوبيخ .

(٣) في هامش الاصل اي بسواد المداد . (٤) في الهامش اي بيباض المعاني .

قبة جامع القيروان الكبير وسقوفه

للسيد جورج مارسه (عضو المجمع العلمي العربي في دمشق) طبع في تونس
و باريز ١٩٢٥ ص ٦٠ و ٢٨ رسم و ٣٣ لوحة مصورة :

Coupole et Plafonds de la Grande Mosquée de Kairou -
an par Georges Marçais, Tunis et Paris 1925

هذا التأليف هو بحث لسلسلة أبحاث تُعنى بنشرها ادارة الآثار القديمة والفنون
الجميلة في تونس وهي ايضا تبحث في آثار تلك البلاد والمدنيات التي تعاقبت عليها
وقد وضع المؤلف تأليفه هذا ليكون احدى حلقات هذه السلسلة وضمنه بحثاً جديداً
عن قبة جامع القيروان وسقوفه ذاكرآ الأيدي العاملة التي تداولت عليها في أزمنة
مختلفة خلال اربعة قرون (اي من القرن الثالث الى السادس هـ) . ومع ندرة الوثائق
التاريخية من مطبوعات ومخطوطات وغموضها تمكن المؤلف باقتداره وقوة استنباطه
من ايفاء هذا البحث حقه مسترشداً بما بقي في الجامع من آثار تلك العصور من نقوش
وزخارف معارضاً بينها وبين ما بقي من أمثالها في العراق ومصر والشام . وأظهر بعد
تحقيق وتدقيق ما كانت غامضاً وما عسر على غيره ادراكه . فجاء هذا البحث ثمة
لما نشره الاستاذان فلوري (S. Flury) وسادالان (H. Saladin) عن بناء
هذا الجامع ومحاسنه .

وبعد ان وصف المؤلف القسم العلوي من المحراب وزخرف عقده المزين برسوم
غصون الكرمه وعناقيدها (لوحة ٨) بحث - في الزمن الذي رسمت فيه تلك الرسوم
مسترشداً بما يماثلها في غير هذا البناء في سائر المدن العربية . ولما لم يهتد لشيء يستعين
به على إدراك غايته استدرك ذلك متسائلاً عما اذا لم يكن هنالك بعض الشبه بين
رسوم هذه الكرمه (شكل ١) وتلك الأخرى المذهبة التي وصفها مؤرخو العرب وقلوا
انه كان يزدان بها جدار قبلة الجامع الأموي في دمشق . وقد اكتفى المؤلف بهذا السؤال
اذ لم يجد ما يؤيد به نظريته لان الحرائق التي انتابت جامع دمشق منذ ذاك العهد ذهبت
بكرمه وجميع محاسنه حتي لم يبق فيه شيئاً من زخارف ذاك العصر حتي يسترشد بها .

كنت افضل ان امرّ بهذا البحث دون ان أقول كلمة فيه لولم أجد مستنداً يؤيد نظرية المؤلف . وقد عثرت في دار الآثار العربية في دمشق على لوحة رخام (شكل ٢) عليها نقوش نافرة (رقم ح ٨٨) النقطت من بين أنقاض الجامع الأموي ولعلها من بقايا كرمته الموصوفة ، على الرغم من تأثير الحريق الذي سودها ، فأن نقوشها محفوظة واضحة ، وظاهر عليها اثر الذهب المطلية به . ويرى الناظر اليها أغصان الكرمه وعنقودها كالتي في جامع القيروان حتى ليخل للناظر اليها كأنهما من صنع صانع واحد ، غير انهما اختلفتا باختلاف سطح الجدار الذي رسمتا عليه . فبينما ترى كرمه القيروان على سطح مقعر نرى كرمه دمشق على سطح مستو ، هذا من جهة ومن جهة أخرى رسمت كرمه القيروان بصباغ على خشب وكرمه دمشق بجفر ناتيء على حجر . ويستفاد من كتابة المؤلف ان الفن المعماري العراقي والمصري والشامي ظاهر في بناء جامع القيروان وهذا يحملنا على الاعتقاد بأنه كان بين عمال تونس من هم من تلك البلاد ولا يبعد ان يكون صانع المحراب دمشقياً متأثراً بنظر كرمه بلده فأتخذها نموذجاً لنسج على منواله . ولا ريب بان كرمه دمشق هي الأصل في هذا الباب ، وما كرمه القيروان الا نسخة عنها ، لأن جامع القيروان أنشئ سنة ٢٢١ هـ . وجامع دمشق حوّل الى مسجد في سنة ١٨٧ و ١٨٨ هـ . وجميع من وصفوا كرمه دمشق متفقون على انها من عهد الوليد وهو الذي أنفق عليها سبعين الف دينار كما ذكر ياقوت في معجم البلدان .

ولا يخفى انه لم يطرأ على جامع دمشق تغيير الا بعد حريق سنة ٤٦١ هـ لما دثرت محاسنه وزال ما كان فيه من الصناعات النفيسة ومن جملتها الكرمه المذكورة . ان اللوحة المحفوظة في دار الآثار هي ولا شك قطعة من هذه الكرمه ، وان صحت ذلك فيكون أصلح جواباً للمؤلف . واعتماداً على ما تقدم نقول بلا تردد ان كرمه القيروان هي نسخة من كرمه دمشق ، وهي من أقدم آثار جامع القيروان كما ان كرمنا من أقدم آثار مسجدنا .

مدير دار الآثار

جعفر الحسني

مطبوعات حديثة

شعراء النصرانية

« بعد الاسلام »

القسم الثالث في شعراء الدولة العباسية تأليف الاب لويس شيخو اليسوعي

طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٢٧ م

حوى هذا القسم ترجمة اربعة واربعين شاعراً نصرانياً ، اودجج المؤلف انهم نصارى ، معتمداً على أهميات الكتب المطبوعة في الشرق والغرب من كتب العرب في التاريخ والادب . ومما نقل عنه من المخطوطات « جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام » لعميد الدين ابن الغنائم مسلم بن محمود الشيرازي و « اخبار الملوك ونزهة الممالك والملوك في طبقات الشعراء للملك المنصور صاحب حماة » المتوفى سنة ٦١٢ هـ (١٢٢٠ م) وكلاهما من مخطوطات خزانة ليدن . و « دمية القصر وعصرة اهل العصر » لابي الحسن علي البخارزي ، ومقامات يحيى بن ماري وكلاهما من مخطوطات خزانة الامة في فينا . و « بغية الطلب في تاريخ حلب لجمال الدين الحلبي . وتذكرة العلماء والشعراء للمملوك تافى بك الخزندار وكلاهما من مخطوطات لندرا . الى غير ذلك من المظان المعتبرة . وقد نسق المؤلف الاستاذ كتابه واستقصى في جلب المواد الا اننا لاحظنا عليه انه غمط حق المسلمين في الحرية التي اطلقوها لابناء ذمتهم ولو كان تعصب خصومهم المسلمين كما قال في المقدمة الافرنسية كما زعم وان النصرانية ذلت في الدول الاسلامية لانقرض النصارى من الشام ومصر والعراق لا محالة ، بيد اننا رأينا خلفاء المسلمين وملوكهم وامراءهم واعيانهم وعلماءهم ولا سيما في عهد العباسيين يفتخون صدورهم وقلوبهم للمسيحيين والامريائيين والنجوس ، وما أهين احد لنحلته بل أهين المتطاول الى مالبس من شأنه ، على ما هو الحال في كل دولة وملة وعصر ، ولو كان التعصب الذي يذهب المؤلف الى تأصله في العصر العباسي عند المسلمين ا كان اليوم يستطيع هذا المؤلف ان يدون سيرة اربعة واربعين شاعراً نصرانياً يأخذ كلامهم وتراجهم من كتب المسلمين ، والمسلمون هم الذين رفعوا من

شأنهم وعاشروهم وأدخلوهم مجالسهم وأئمنوهم على حرمهم . ثم نوهوا بهم في كتبهم كما نوهوا بابناء مذهبهم . وخلصوا ذكرهم وما ثرم كآتهم ابناء عم لحناً ، فأين التعصب الموهوم بعد هذا ؟ ولماذا نرثي للظالم بزعمنا ولانسأل عن السبب الذي دعا الى ظلمه . اذا أحببنا الانصاف نذكر المسائل باعينها ، ولا ترسل الكلام على إطلاقه ، مثال ذلك في كتاب الاب شينجو نفسه فقد ذكر ترجمة ابن بطلان المسيحي الذي زار بعض مدن الشام في سنة ٤٤٤ هـ ، ونقل ياقوت وابن القفطي طرفاً صالحاً من رحلته واقتبسها المؤلف ، وحذف ما قاله ابن بطلان في « اللاذقية » وكانت في يد الروم سنة ٤٤٦ هـ وخلاصة ما قال انهم كانوا يتزايدون في حلقة المدينة مدينة اللاذقية على ميبت المومسات عند الغرباء او الراغبين في الخنا ، يأخذ كل من يريد العير من المحتسب خاتم المطران حجة معه ، واذا وجد انسان مع خاطئة وليس معه خاتم المطران ألزم خانه ! فمثل هذه القصة التي عدها ابن بطلان « أعجوبة » لانه لم يرها في بلاد الاسلام ، هل يمكن ان نخدعها حجة على فساد أمة او على فساد نخلة . الشذوذ موجود في كل مجتمع ، والعبرة بالسواد الاعظم ، والعدل يقضي على المؤرخ بالانصاف على كل حال .

محمد كرد علي

بيروت

« تاريخها وآثارها »

بقلم الاب لويس شينجو اليسوعي طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت

سنة ١٩٣٥ - ١٩٣٧ (ص ١٤٠)

وهذا من التأليف الجديدة التي عني الاستاذ شينجو بوضعها على نسق جديد عامداً الى مصادر مهمة استقى منها ووضعها في قالب مقبول في تاريخ نجر الشام وآثارها وقد زين كتابه ببضعة رسوم . ومما تلفت نظر المؤلف اليه ان كلامه على عمل الطوائف غير المسيحية في بيروت على عهدنا الاخير ناقص قليلاً ، وقد نقل عن الجغرافي اليعقوبي انه كان في عرفة وطرابلس قوم من الفرس وان اهل كور جبهل

وببروت وصيداء كلها قوم من الفرس نقاتهم اليها معاوية بن ابي سفيان . وأردف المؤلف هذا القول بقوله : « ولا شك ان المتأولة الشيعيين والنصيريين الذين في سواحل الشام حتى يومنا من ذرية هؤلاء الفرس » . ولعل غيرنا من الباحثين يحقق هذه القضية فان لنا شكاً فيها . وثني على مهمة الاستاذ المؤلف لما يعاينه في تأليفه وإيجائه من الجهد والعناية .

م . ك

كتب ورسائل مختلفة

- (١) التقرير الصحي السنوي لمديرية الصحة العامة في العراق خلال سنة ٢٥ و ١٩٢٤ و ٢٤ - ١٩٢٣ .
- (٢) حكاية ذي القرنين لابي مرثد الحميري وقصة الصنم والملك وابنته نشرها السيد (امليو غرسيه كومن) مع ترجمتها والتعليق عليها باللغة الاسبانية طبعت في مجريط سنة ١٩٢٦ .
- (٣) مملكة جهنم والخمر للفيلسوف نولستوي . نقلها الى العربية عن الروسية السيد سليم فبعين صاحب مجلة الاخاء . والطبعة الثانية في المطبعة التجارية الكبرى في القاهرة (ص ٨٨) .
- (٤) « درر الاحكام شرح مجلة الاحكام » الجزء الثاني تأليف السيد علي حيدر تعريب المحامي الاستاذ فهمي الحسيني صاحب مجلة الحقوق طبع في مطبعة الحقوق بپافا سنة ١٣٤٥ - ١٩٢٦ .
- (٥) « كتاب القراءة » للعلامة كراتشوفسكي لتعليم اللغة العربية لابناء روسيا طبع في لينينغراد سنة ١٩٢٦ (ص ٤٤) .



مَجْلَمُ الْعِلْمِ الْعَرَبِيِّ

(دمشق) : شباط سنة ١٩٢٧ م الموافق شعبان سنة ١٣٤٥ هـ ٧٤

اسم الآلة

« بين النخاة واللغو بين »

دارالبحث في بعض جلسات المجمع العلمي حول وضع كلمة عربية تقوم مقام مايسمي بالتركية (صوبا) فاخترت كلمة (مدفأة) بصيغة اسم الآلة لان ال (صوبا) آلة لتدفئة البيت وتسخين هوائه . فاعترض بعض الاخوان قائلاً : ان هذا لا يجوز لان النخاة اشترطوا في اسم الآلة ان يكون مشتقاً من الفعل الثلاثي المتعدي وفعل (مدفأة) اما (دفي) اللازم واما (أدفاً اودفاً) المزيد على الثلاثي ولايجوز اشتقاق اسم الآلة منها كليهما ^(١) . فقلت له : أما وقد استشهدت بقول النحويين فاني اذكر بجانبه ما يفعله

(١) من مستملح المصادفات انني جئت بمقالي هذا الى دارالمجمع العلمي وبحضور رئيسه وبعض اخواننا سلمته الى عامل المطبعة بيد وناولت باليد الاخرى جزء آب من مجلة (لغة العرب) لمنشئها العلامة الاب أنستاس الكرملّي فتصفحت افئناحيته فاذا هي تقرّبط لكتاب (الفيزيا) الذي ألفه الفاضل السيد عز الدين علم الدين . وقد قرظ الأب الكرملّي هذا الكتاب وأثنى عليه لكنه انتقد بعض كلمات جديدة جاءت فيه ، من ذلك كلمة (مدفأة) التي استعملها مؤلفه قائلاً : « المدفأة (بوال Poêle) آلة الدفء وهي من أوضاع الشيخ عبدالقادر المغربي » فعذّق الأب الكرملّي على هذه العبارة قوله : « اما نحن فنقول : لا يمكن ان تكون اللفظة رمدفأة وزان مكنسة بل مدفئة (على صيغة اسم الفاعل) من فعل أدفاً لأن اسم الآلة لا يصاغ من اللازم » اهـ . فلما قرأت قوله استرجعت مقالي

العرب وهو انهم قد يشقون أسماء آلات من الافعال الثلاثية اللازمة ومن الافعال
المزيدة بل ومن الاسماء الجامدة ايضاً ولديّ شواهد كثيرة على ذلك . ففي كلام النحاة
إذن نظر . ينبغي ان يحزر . ثم سألتني سائل آخر عن كلمة عربية تختلف كلمة
(تلسكوب) الافرنجية في معناها . فقلت ان التلسكوب انما هو آلة لادناء البعيد
فمنه (مدناة) على وزن مرقة اي آلة الدنو كما ان المرقاة آلة الرقي . فعاد ذلك الفاضل
الى اعتراضه قائلاً : وهذا ايضاً لا يجوز لان (الدنو) فعل لازم لا يصاغ منه اسم آلة .
فقلت وهذه (المرقة) اسم آلة وقد صاغها العرب من فعل (الرقي) وهو لازم . ثم أظهرت
الارتياب فيما قاله النحاة وسكت على مضمض . وأخذت من يومئذ استعرض في نفسي اسماء
الآلات الواردة في كلام العرب والشائعة على السنة اللغوية فوجدت طائفة كبيرة
منها لم تتوفر فيها الشروط التي اشتراطها النحويون : من كون الفعل ثلاثياً وكونه متعدياً .
فلم يعجني تشدد النحويين ولا تحجيرهم الواسع في هذه المسألة . وملت الى رأي اللغويين
الذين انما ينقلون الينا متون كلام العرب . فطربقتهم في إثبات اللغة وتحقيقها عملية
بخلاف النحويين فان طربقتهم نظرية في معظم مناحيها . فينبغي إذن ان يكون كلام
اللغويين هو العمدة في هذا الباب . ولا سيما ان نهضتنا اللغوية الحاضرة تستدعي التسامح
والافتاء باقوال الكوفيين ولو كانت ضعيفة شاذة ، فكيف بأمر نقله اللغويون ودوتوه في
كتبهم . وقد يماأ أحفظ تشدد النحاة وتعصبهم لقواعدهم — قلوب اهل اللغة والأدب
والبلاغة حتى قال ابو العلاء المعري وقد ضاق بهم ذرعاً : « لا يسخط عليك الله ولا
الملك اذا كنت لا تدرى لما ذا أضمت ناء المتكلم وفتح ناء المخاطب » وقال ايضاً :

من يد المنضدوا لحقت به هذا التعليق لأعجب القراء من هذه المصادفة ولأحقيق لهم بانني لم اكتب
هذا المقال انتصاراً للنفسي ولا تأييداً لآقول السيد عز الدين ولا ردّاً على العلامة الكرملي وانما
هو ابن المصادفة المحضة . ولعل في هذا الاتفاق ما يشفع برأيي لدى علامة العراق فيشابهه فيما هو
بسيّله من خدمة هذه اللغة العربية الذي هو والحق يقال من اكبر خدامها . العاملين على
توسيع نطاقها . ولكن هل رأيه هذا في اسم الآلة مما يوسع النطاق . او هو من قبيل شدّة
الوثاق . وتزنيق الجبل على الخناق ؟

(أفهم أهلك إذا نطقت ولا تُبَلِّ يا حارٍ قلت بذلك أم يا حارٍ) بل إن شذوذ النحاة أحياناً في بعض ما ارتأوه وخالفوا فيه اللغويين أخرج صدر إمامهم سيئو به نفسه : فقد عقد في مصنفه النفيس الذي أسماه (الكتاب) باباً ترجم له بهذا العنوان « هذا باب استكرهه النحويون وهو قبيح فوضعوا الكلام فيه على غير ما وضعت العرب » ثم ذكر أن النحويين جروا في استعمال (تباً وويحاً) على خلاف ما جرى عليه أهل اللسان . ومما قاله ابن خلدون في صدد بيان تدمره من النحاة هذه العبارة « خرفشة النحاة أهل الاعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق » ومعنى (الخرفشة) التخليط . ولا يعجلن الفارسي في لوم ابن خلدون حتى يعلم ما كان من رأي نحاة زمانه فيه فلم لهم كانوا يعيبون تصانيفه وينسبون الخطأ إلى أساليبه ويمسكون فيها قواعدهم وآراءهم مع أن ابن خلدون هو الكاتب العبقرى الذي أصبح أسلوبه مثلاً يحتذى . وإماماً يقتدى . وسبق كذلك على طول المدى .

وما زال يحظر في بالي هذا وامثاله وأقدم رجلاً وأؤخر أخرى في إعلان تحكة النحويين في مسألة (اسم الآلة) مذقية دوه بالفعل الثلاثي المتعدي حتى ظفرت وأنا نقب في كناشات المرحوم الشيخ طاهر الجزائري بهذا النص الصريح : « ذكر الفخر الرازي في كتابه (الحصول) في الفصل الذي عقده للكلام على مبادئ اللغة — « أن قول أهل اللغة في المباحث اللغوية راجع على قول غيرهم يعني النحاة اه . » فقلت في نفسي لا جرم أن هذا النص من كلام الرازي يمتد لي العذر في نصب الموازين . ومحكمة النحويين . والاحتجاج عليهم بقول اللغويين . لا سيما أن مسألتنا (اسم الآلة) مسألة لغوية في كتبها لأنها بحث في الصيغة والاشتقاق وليست مسألة نحوية يبحث فيها عن أواخر الحكم العربية . على أننا إذا لم نجيبنا ما قرره النحاة في اشتقاق اسم الآلة فليس معناه أننا ندعو إلى التمرد على كل ما قرروه ودوتونه . كيف وإن لأهل كل لغة كتباً في النحو والبيان يرجعون إليها . ويعولون في نقويم ألسنتهم عليها . وإنما نرى أن النحويين رحمهم الله لفرط إكبابهم على فهمهم ونفهمهم له مدة اثني عشر قرناً قد توسعوا فيه بأكثر من قدر الحاجة حتى أصبحنا مضطرين أن نختصر مما قالوا . ونوجز فيما أطالوا . وإن نطلق في بعض الأحيان ما قيدوا . ونخفف ما شددوا .

فاعلم أولاً أن اسم الآلة صيغة أراد العرب من وضعها اختصار التركيب الإضافي :
فقولهم مثلاً مفتاح انما أرادوا اختصار كلمتي (آلة الفتح) و (منخل) آلة النخل و (مبرد)
آلة البرد و (ملعقة) آلة اللعق وهكذا . وأشهر صيغة لاسم الآلة هي ما بدى بالميم .
وله وزنات (مفعول) كمقود و (مفعلة) كجمجرة وقد جاء اسم الآلة على غير هذين
الوزنين : فجاء على وزن فاعل بكسر أوله نحو (سداد) آلة السد و (ثقاب) ما يشعل
به النار من عيدان ونحوها فهي آلة الانقباب اي الايقاد و (ثقاف) آلة بثقف بها
صانع الرماح رماحه اي يسويها بها ويقومها . وما كان من اسم الآلة على وزن
(فاعل) لم يشترط فيه النحويون ان يكون مشنقة من فعل ثلاثي متعد : فان (سداد)
ان كان اشتق من (سد) الثلاثي المتعدي فهذه ثقاف مشنقة من ثقف الرفع بالشد
وهو ثلاثي مزيد . و (ثقاب) مشنقة من أثقب النار اذا أوقدها وهو ثلاثي مزيد
ايضاً او هي مشنقة من ثقبت النار اتقدت وهو فعل لازم لا متعد . فله يبق الا ان
النحاة اشترطوا كون الفعل ثلاثياً متعدياً في اشتقاق اسم الآلة الذي يكون على وزن
(مفعول ومفعلة) وها نحن أولاء نريد ان لا نشترط هذا الشرط فيها كما لم يشترطوه
في ما كان على وزن (فاعل) وذلك لتوفر الادلة على عدم لزوم اشتراطه .

قال النحاة في تعريف اسم الآلة : « هي ما صيغ من المضارع المعلوم لمعالجة
الفاعل المفعول به لوصول أثر الفعل اليه ولا تصاغ الا من ثلاثي مجرد » : فقولهم لمعالجة
(الفاعل المفعول به) هو نقر ير لشرط تعدية الفعل . وقولهم (ولا تصاغ الا من ثلاثي
مجرد) اثر ير لشرط كونه ثلاثياً مجرداً . هذا ما قالوه في كتب تعليم القواعد النحوية
او الصرفية وهو منقوض بالكلمات الكثيرة الدالة على معنى الآلة وليست مشنقة من
المتعدي ولا من الثلاثي المجرد بل هو منقوض ايضاً بتصرجات بعض علماء اللغة كما
بأني بانه . وقد اعتذر لهم بعض الفضلاء فقال : ان النحويين في تأسيسهم القواعد
وجمعهم الشوارد كثيراً ما يراعون في هذا الجمع والتأسيس التقريب والتسهيل على
الطلاب . فيقتصرون من أحكام اللغة العربية على الأعم الأغلب فيضعون له الأصل
ويعزرونه في كتبهم على انه قاعدة عامة لجميع الجزئيات ويكون هناك في بعض
الاحاين مسائل وجزئيات أخرى نطوي تحت قاعدة أعم وأشمل من تلك القاعدة

التي وضعها النحاة . كذا قال هذا الفاضل فيكون اساندة العربية على رأيه فريقين :
(فريق النحاة) وهؤلاء أكثر اتصالاً بالناشئين الشادين من الطلاب فهم من أجل
ذلك يسارعون في التسهيل عليهم فيضعون لهم من القواعد ما كان مبنياً على الاستقراء
الناقص كما فعلوا في تعريف اسم الآلة . ومن الغريب انهم مع هذا التعريف لم
يصرحوا بان كل ماعدا ذلك من أسماء الآلات المشتقة من الأفعال اللازمة والمزيدة
— شاذ لا يقاس عليه .

و (فريق اللغويين) وهؤلاء يضعون القواعد المبنية غالباً على الاستقراء التام
فتكون أعم وأشمل مما وضعه النحويون بحيث تصلح ان تكون عمدة لمن أراد النطق
(اي التخصص والإحصاء) في علم اللغة . ونقصي أسرارها . والتعمق في أغوارها .
ونحن اليوم معشر العرب في دور النهوض والاهتمام بتوسيع دائرة التخاطب بلغتنا
وتمهيد الطريق بين يديها لتجاري اللغات الحية . فلا يحسن ان تقتصر على ما قرره
النحاة مما يؤدي الى التجرد والنضيق وتقليل الانتفاع بالمادة اللغوية او بالارث اللغوي
الذي تركه لنا الأسلاف . وانما الواجب ان نستفيد من أقوال اللغويين الذين وسعوا
الدائرة بل من أقوال الكوفيين التي لم تشتهر في كتب النحاة ولم ينجحوا العمل بها كما
أباحوه بالنسبة لأقوال البصريين .

فكلمة (المدفأة) للصوبا و (المدناة) للتاسكوب اذا راعينا أقوال النحاة هجرناهما
وتحفظنا في اختيار كلمتين سواهما تكونان موافقتين لما اشترطوه في (اسم الآلة) اما اذا
راعينا أقوال اللغويين واعتبرنا شواهدهم قبلنا تينك الكلمتين وحملناهما على نظامها
التي سنسردها على القاري .

فعلماء اللغة يجوزون من وضع (اسم الآلة) في دائرة أوسع . ويمجرون على طريقة
أسهل وأتق . فهم يجوزون اشتقاقها من الفعل اللازم ومن الفعل المزيد على الثلاثي
ومن الاسم الجامد أيضاً . كما انهم يشقونها من الفعل الثلاثي المتعدي الذي هو والحق
بقال أكثر استعمالاً . وأوسع مجالاً .

﴿ أقوال اللغو بين الدالة على جواز اشتقاق اسم الآلة ﴾

« من اللازم والمزيد والجامد »

جاء في رسالة العلامة الكسائي التي سماها (ما تلحن به العوام) ما نصه :
 « وما كان من الآلات مما يوضع ويرفع مما سيفه أوله ميم فاكسر الميم ابتداءً إذا كان على (مفعول ومفعلة) نقول : هذا مشمل ومثقب ومقود ومنجل ومبرد ومقنعة ومصدغة ومجرة ومسرحة ومشربة ومرفقة ومخدة ومحسة ومظلة فهذا كله مكسور الاول ابتداءً سوى مُنْجَلٍ ومُسْعُطٍ ومُدْعُنٍ ومُدْقُوعَةٍ ومُكْحَلَةٍ فان هذه الأحرف جاءت عن العرب بضم الميم اه » . والشاهد في قول الكسائي أنه عدد هذه الكلمات وسماها كلها آلات وهي نحو عشرين كلمة نصفها نوفر فيه ما اشترطه النحويون في اسم الآلة أعني ان تكون مشتقة من ثلاثي متعدٍ ونصفها لم يتوفر فيه الشرط المذكور .
 فالنصف الاول : مثقب . مقود . منجل (من نجل الشيء إذا رمى به) مبرد . مشربة (من شرب الماء) محسة (من حسن الدابة وتسمى المحسة الفرجون ايضاً) مُنْجَلٌ . مُسْعُطٌ (من سعطه الدواء) مُدْعُنٌ . مُدْقُوعَةٌ . والنصف الثاني الذي لم يتوفر فيه الشرط هو : مشمل (نوع من البرود مشتق من الاشتمال المزيد لا من الشمل) مقنعة (من ثقتعت المرأة لا من قنعت) مصدغة (مشتقة من الصُدغ الجامد) مجرة (من الجر لانه يوضع فيها) مسرحة (هي المشط من مسرح الشعر بالتشديد لا من مسرحه الثلاثي) مرفقة (المتكأ والمخدة من ارتفق المزيد لا من رفق الثلاثي) مخدة (من اخد الجامد) مظلة (من الظل الجامد او من ظلله المزيد) مُكْحَلَةٌ (من الكحل الذي يوضع في المكحلة وليست من فعل كَحَلَ حتى تكون اسم آلة له وانما آتته تسمى المكحل والركحال وهو الملول ايضاً) فهذه كلها مسرح الكسائي بتسميتها أسماء آلات وهي لم نشق من الثلاثي ولا من المتعدي كما رأيت .

وقال صاحب التاج بمناسبة ان قومًا من اللغو بين ذهبوا الى ان (المجرة) هي بفتح الميم لا بكسرها بناءً على كونها اسم مكان بمعنى موضع الخبر — ما نصه :
 « والصحيح انها (اي الفتح والكسر) لغتان أجودهما الفتح ومن كسر الميم قال

انها آلة» فانظر كيف صرح بان بعضهم يسمي (الحبرة) اسم آلة مع انها مشتقة من (الحبر) الجامد وليست مشتقة من فعل ثلاثي متعد كما قال النحاة .

وقال صاحب التاج ايضاً (المقيلة) (بكسر الميم) وعاء قلم الكتابة . ثم قال « قال شيخنا : وكان المناسب لكونها وعاء الفتح (اي فتح اولها) على انها اسم مكان اذ مقتضى الكسر انها اسم آلة ويمكن ان يقال الوعاء آلة الحفظ اهـ » اي فلا نفتح الميم بل نبقىها مكسورة وان كانت وعاء باعتبار ان الوعاء آلة للحفظ وبهذا الاعتبار يجوز كسر ميمها . وتكون النتيجة ان (المقيلة) اسم آلة يتوسل بها الى حفظ الاقلام من التبدد والتكسر . وهي بلا ريب مشتقة من (القلم) والقلم اسم جامد لا فعل ثلاثي متعد .

وعقد امام اللغة الثبوت الحجة الفيومي صاحب المصباح فصلاً خاصاً باسم الآلة

قال فيه :

« فصل : اذا جعل المفعول مكاناً ففتح الميم فالمقطع اسم للموضع الذي يقطع فيه (المقص) للموضع الذي يقص فيه و (المفتح) للموضع الذي يفتح فيه . وان جعلت (المفعول) أداة (اي اسم آلة) كسرت الميم (فالمقطع) ما يقطع به و (المقص) ما يقص به . ثم قال : « وكذلك كل اسم آلة فهو مكسور الاول نحو (المخدة) و (المحفة) و (المقلم) و (المروحة) و (الميثرة) و (المكنسة) و (المقود) وشذ من ذلك أحرف جاءت بالضم ثم عدت منها (المسعط) و (المدخن) و (المُخرضة) و (المكحلة) و (المُنصل) و (المُلاءة) وشذ بالفتح (المنارة) انتهى قوله . فانظر كيف سمي هذه الكلمات كلها سواءً أكانت مكسورة او مضمومة او مفتوحة أسماء آلات وهي كلها او معظمها مشتقة من أسماء جامدة فلولا ان اللغويين لا يشترطون في اسم الآلة ما اشترطه النحويون لما سموها أسماء آلات بل كانوا يسمونها كما سماها بعض المتكلفين (أشباه آلات) !! ومعظم الكلمات التي سردها صاحب المصباح مر ذكرها في عبارة الكسائي السابقة وقد بينا اشتقاقها . اما التي لم يذكرها فهي : (المحفة) اسم آلة من الالتحف المزيد او من لحفه بمعنى غطاء (المروحة) مشتقة من الريح الجامد وياء الريح اصلها واو كما لا يخفى . (الميثرة) من الوثارة وهي لبن الفراش ووطاءته (المكنسة) من كنس الثلاثي المتعدي وهذا كما شرط النحاة . (المُخرضة) الوعاء الذي يوضع فيه الخُرْض

وهو الاشنان . (المنصل) السيف وهو مشتق من قبل نصل وكل معانيه تدور حول معنى الخروج . وأرى ان لا يجعل (المنصل) من اسماء الآلات لأن معنى الآلية فيه غير ظاهر . ومثل المنصل (المثلاة) اسم للثوب المخصوص ومعنى الآلية غير ظاهر فيها ايضاً .

مر معنا في كلام الكسائي وصاحب المصباح اسماء آلات كثيرة لم يتوفر فيها ما شرطه النجاة من كون فعلها ثلاثياً متعدياً ومع هذا فقد سمياها (أسماء آلات) مما ثبت انه لا يشترط في اسم الآلة ما اشترطه النحويون . وهاك أمثلة أخرى غير ما تقدم .

✽ أسماء آلات مشتقة من أسماء جامدة ✽

(مملحة) اسم للوعاء الذي يوضع فيه الملح فهي مشتقة من الملح الاسم الجامد . وليس هو (اي لفظ المملحة) اسم مكان لانه مكسور الاول واسم المكان مفتوح الاول وانما هو اسم آلة . ولا ريب ان الوعاء المسمى بالمملحة آلة لحفظ الملح فيه .

(المخصرة) اسم لضرب من العصي تسند به الخاصرة فهي مشتقة من الخصر .

(المثيرة) الوعاء الذي يوضع فيه الأبر وهو مشتق من (الأبرة) .

(المزود) الوعاء الذي يوضع فيه الزاد وهو مشتق منه ويكتب بالزاي . اما (المزود) بالذال المعجمة فهو (المعلف) اي الموضع الذي يوضع فيه علف الدابة . والظاهر انه مشتق من (الدرد) بمعنى الدفع والطرود ولكن لماذا سمي معلف الدابة (مذوداً) واي علاقة بينه وبين معنى الطرد ؟ ؟ .

(المعلف) المكاف يوضع به علف الدابة فهو مشتق من (العآف) الجامد وميمه

مكسورة . لذلك كان اسم آلة . والمكان آلة لتقديم العلف الى الدابة .

(المطر) ثوب ينقي به المطر ويسمي اليوم (المشتمع) والمطر مشتق من (المطر)

وهو اسم جامد .

فهذه الكلمات أسماء آلات وهي ليست مشتقة من الافعال المتعدية اللازمة فان ادعى مدع ان كلاً من هذه المذكورات اسم مكان لا اسم آلة يصح ادعائه فيما ورد مفتوح الميم منها او فيما أمكن ان يكون اسم مكان كالمعلف مثلاً اما المطر فلم يرد مفتوحاً ولا يصح اعتباره اسم مكان كما لا يخفى وانما هو اسم آلة محضة .

﴿ أسماء آلات مشتقة من أفعال ثلاثية لازمة ﴾

(المرفاة) السلم وهي اسم آلة من رقي بمعنى صعد وهو فعل لازم وبعضهم يفتح ميم المرفاة ويجعلها اسم مكان بمعنى انهبها موضع للرقى لا آلهة . ويجعل الـ الياء ان العرب لم ينطقوا بالـ المرفاة ولا بالحبرة مفتوحة الميم لتكونا اسم مكان وإنما بعض النحاة ادعى هذه الدعوى فيها إطراداً لقراءتهم التي قرروها من ان اسم الآلة يلزم ان يكون مشتقاً من الفعل المتعدي لا اللازم .

(المعراج) بمعنى السلم ايضاً اسم آلة من عرج في السلم او في السماء اذا صعد فيها .
(المصباح) اسم آلة مشتق من فعل (صَبَحَ) بمعنى كَمَعَ وأَنَارَ . او هو مشتق من اسم الصُبْحَ لانه يقوم مقامه في الاِنبارة و سلخ الظلام .

(المدخنة) اسم آلة من فعل (دَخَنَ) الدخان اذا ارتفع ودَخَنَتِ النارُ علاءِها .
(المنخر) العضو المعروف وهو اسم آلة من نخر نخرأ ونخيراً .

(المزrab) اسم آلة من فعل زرب الماء سأل .

(المعازف) آلات اللهو وهي جمع (معزف) من فعل عزف اللازم .

(الملاهي) جمع (ملهي) بكسر الميم وهو اسم آلة من لها الرجل يلهو .

وكل ما ذكرنا من الكلمات أسماء آلات وهي مشتقة من أفعال لازمة كما سمعت ومبانيها مكسورات فلا يسهل ادعاء كونها من أسماء الاُمكنة الالهية (الكلية (منخر) و (مرفاة) وقد قلنا كلمتنا في الأخيرة .

﴿ أسماء آلات مشتقة من أفعال مزيدة على الثلاثي ﴾

(المئزر) اسم آلة وهو مبني من فعل (إئزَرَ) الميزد على الثلاثي .

(المطهرة) اسم للآلة الذي يتطهر به فهو من تطهر .

(المبضأة) اسم للآلة الذي يتوضأ به من توضأ .

(المسطرة) اسم لما يقع به التسطير من سطر .

(المحرك) العود الذي تحرك به النار من حرك .

(المعلاق) ما بعاق به الشيء من عاق .

(المجداف) العود الطويل الذي يجدف الملاح به في سفينه من جدف .

(الملمسة) خشبة تُتمَّس بها الأرض أي تُسوَّى .
(المهدى) على وزان مفعول اسم للوعاء الذي تهدي فيه الهدية كالطبق من
فعل أهدي .

(المواح) البومة تشدّ رجلها ليُصطاد بها البازي : وذلك ان يطيرها الصائد
ساعة بعد ساعة فإذا رآها البازي أو الصقر وقع عليها فيأخذها . وسميت (مواحاً) من
لوح بثوبه إذا رفعه وحركه ليروح للناس فيراه . فمواح اسماً للبومة المذكورة
مشق من لوح المزد على الثلاثي .

(المثذنة) بكسر الميم المنارة التي يؤذن المؤذن من عليها — فهي من أذن المزد على الثلاثي .
فالكلمات المذكورة مكسورات الاول أسماء آلات وهي مبنية من المزد
لا من الثلاثي . وما صح اعتباره منها اسم مكان كالمثذنة بمعنى موضع الأذان فاحت ميمه
وقيل (مأذنة) ولعله لم يرد مأذنة بالفتح كما وردت المنارة بالفتح . ومالم يصح اعتباره
اسم مكان كالبوقي كان اسم آلة قطعاً .

وقد يحظر في البال ان يقال : كيف يصح اعتبار (المثذنة) بكسر الميم اسم آلة
وهي لا تمسك باليد ولا يعالج المؤذن بها أذانه كما يعالج الخياط صناعته بالمقص
والتجار بالمنشار والكتّاب بالرقم ؟ والجواب على هذا ان المعالجة التي تقع باسم الآلة
تختلف باختلاف نوع العمل الذي يعالج بها . على ان جهة النظر في اسم الآلة انما هو
ان يقع التوصل بها الى تحصيل غرض خاص سواء كانت المعالجة بها حقيقية كما اذا
قبضنا عليها بكتنا يدينا أو لا بأن نكون المعالجة اعتبارية . فالمؤذن الذي يريد ان
يسمع الناس أذانه لا يقدر على ذلك في أرض الشارع أو بين البيوت فيتوصل الى
غرضه بالمثذنة فيرتقي عليها فيسمعون صوته من فوقها . فالمثذنة إذن آلة لأنه يتوصل
بها الى الغرض وهو إسماع الناس الأذان . وان لم يحصل هذا التوصل بطريق المعالجة
الحقيقية كالمعالجة بالفتاح والمنشار .

والكلمات التي سردناها على صيغة اسم الآلة ولم يتوفر فيها شرط النحو بين انما
صنحت لنا سنوحاً من دون تعمد ولا استقصاء للبحث في المعاجم وكتب اللغة ولو فعلنا
لجمعنا من ذلك الشيء الكثير . على ان ما سردناه كاف للدلالة على تخلف شرط النحو بين

وانتقاضه وان الحق مع اللغويين الذين يجوزون بناء اسم الآلة من الفعل اللازم والمتعدي ومن الفعل الثلاثي والمزيد ولا أظن ان دعوى النحويين شذوذ ما ذكرنا من الكلمات مسموعة لان الشذوذ عن القاعدة انما يكون بورود كلمة او كلمتين او ثلاث لا بما يكاد يعد بالثلاث او اكثر . وكما ان دعوى الشذوذ غير معتبرة ولا مسموعة كذلك يجب ان لا تسمع دعوى كون كل واحدة من هذه الكلمات هي (شبه اسم آلة) لا اسم آلة : فان التسمية لا تحلل حراماً ولا تحرم حلالاً . وبديل ان تكلف الطالب تمقل اسم الآلة بشروطه ثم تكلفه مرة أخرى ان يتعقل شبه اسم الآلة وتنصبه في التفرقة والتمييز بينهما نعمد نوا الى اختصار الطريق عليه وتقرر له ما قاله اللغويون في اسم الآلة وان الآلية تكون حقيقية واعتبارية ثم نورد له الأمثلة الكثيرة على ذلك .

ومما يلتحق بهذا الباب ايضاً ان طائفة أخرى من أسماء الآلات وُصفت بها الأشخاص كقول الشاعر : (شريب خمر مسعر لحروب) وقول الآخر : (جمع الشجاعة والخشوع لربه ما أحسن المحراب في المحراب) فان كلا من (مسعر) على وزن منبر و (محراب) على وزن مفتاح اسم آلة وقد خالف النحاة اللغويين في ذلك ولم يريدوا ان يسموها اسمي آلة ولا ان يطبقوا تعريف اسم الآلة عليها بل سموها صيغة مبالغة . وقد اختلف نظر النحاة واللغويين في هذه المسألة شأنهم في مسائل كثيرة : فالتحوي يقول للطالب ان (مفعول) و (مفعول) من صيغ المبالغة : فمسعر حرب معناه البطل المغوار الكثير التسعير لنبرات الحروب والمنغمس والمحراب والمضياف والنتلاف كذلك هي صيغ مبالغة ومعناها الرجل الشجاع الذي لفرط شجاعته قد يغشم غيره اي يظلمه وهو غير مبال . والرجل الكثير الحروب او الشديد القوة في الحرب . والمضياف الكثير الضيافة للناس . والنتلاف الذي يكثر من إنتلاف ماله في سبيل الجود .

اما علماء اللغة فلا يذهبون هذا المذهب في تحليل (المسعر) و (المحراب) وأخواتها وانما يقولون انها أسماء آلات وان المبالغة في وصف الرجل بالشجاعة (في المسعر والمحراب) وبالجود في (المضياف والنتلاف) انما جاءت من صيغة الآلة نفسها : لان

الحكم على شخص بأنه آلة لامر من الامور يفهم منه بالضرورة انه متصف بذلك الامر أشد انصاف وتمكّن من التخلّق به فضل تمكّن . فالرجل الذي جعلناه آلة حرب وأطلقنا عليه اللفظ الذي يطلق عليها وهو (مسعر) والرجل الآخر الذي جعلناه آلة لإثارة الحروب بين القبائل فأطلقنا عليه اسم الآلة وهو (محراب) — لا يكون هذا الرجل بالضرورة جباناً ولا نكولاً عن الحرب وانما هو بالعكس شجاع لا يهاب الموت . وليس هو شجاعاً فقط بحيث ياتي بنفسه سيفه نار الحرب بل هو آلة لإيقادها وتشجيع غيره من الناس على خوض غمارها . واصطلاء ناراها . وقد لاحظ هذا المعنى في صبغة اسم الآلة الشاعر العربي مذقال : (اذا لم أجنّ كنت مجنّ جاني) يقول انه شرّير من الطبقة الاولى : فهو اذا لم يباشر عمل الشرّ بنفسه كان آلة يبد من يريد ان يعمل الشر وهذه مبالغة وإغراق في توصيف نفسه بالشر . فآل النظرين (نظر النحاة ونظر اللغويين) سيفه تحليل معني (مسعر) و (محراب) واحد لكن الطريق مختلف .

فنخلص مما تقدم ان اشتراط النحاة في اسم الآلة ان يكون مشتقاً من فعل ثلاثي متمم ينافية وجود السمكيات الكثيرة من صيغ اسم الآلة الواردة عن العرب والتي نقاها اللغويون وسمواها أسماء آلات كما سمت في تعريج الكسائي والزبيدي والنابلسي (صاحب المصباح) فان بعض تلك الاسماء مشتق من اسم جامد . وبعضها من فعل لازم . وبعضها من فعل مزيد على الثلاثي . وهي من الكثيرة بحيث تصلح ان يُنقض بها قاعدة النحاة المذكورة .

وهنا امور نختم بها مقالنا ولا يحسن إغفالها :

(الأول) ان في العمل بقول اللغويين توسعة وتمكيناً لنا من وضع أسماء للآلات الكثيرة التي لا يحصى عددها في هذا العصر : عصر الآلات والاختراعات بل يظهر انه سوف لا يحصى عددها ولا يتفد مددها في مستقبل الزمان .

(الثاني) أن رأينا في تقدم ما قاله النحاة في (اسم الآلة) قد يكون رأياً فطيرياً ينكره بعض اخواننا من اهل اللغة جملة واحدة و يراه بعضهم مقبولاً بالجملة لكنه ما زال محتاجاً الى زيادة تثبت وتمحيص . ويوشك ان أكون أنا من اصحاب

الرأي الثاني . فأقترح على هؤلاء الذين يرون في كلامي وميضاً من النور وبصيصاً .
ان يزيدوه توضيحاً ويقتلوه تحجيماً .

(الأمر الثالث) ان التوسعة في هذه المسألة (اي في اشتقاق اسم الآلة من
مطلق فعل او مطلق اسم) ينبغي ان تقابل بشيء من التحجير والنضيق بحيث لا يباح
لاي كان ان يشتق هذا الاشتقاق بل يرجع الأمر فيه الى الجوامع العلمية العربية
التي أصبحت او ستصبح كثيرة بحمد الله . والا تعدد الوضع . وأدى ذلك الى
الفوضى اللغوية بالطبع .

المعربي

—•••—

الفيضان في العراق

كفى بامسقط الوادي اندافا	ألا ترعى الجزيرة والعرافا
طفى الوادي كشعب أخرجوه	فما احتمل الموان ولا أطافا
ولما قيده لبسنيقدوا	أبى من قيده الا انطلافا
بربك أمها الوادي اندنا	وعلم كيف نفتك الوثافا
ألنا أمة ضجرت ومّت	من الباغين رفاً لانعتافا
نوخيت العائر باذخات	وجنبت الصغائر والدقافا
كأنك اذ تخيّر الملباني	هممت بهن قصداً لانقافا
كسا الفيضات اربعاً ثياباً	مصنّدة وأردية رشافا
فاونة مضاعفة غلاظاً	وأونة مهلملة رفافا
بغداد :	محمد رضا الشبيبي

—•••—

تهذيب اللغة للأزهري

وملنقطه للزحخشري

«نوطئة»

دُفِعَ الناس والحق يقال الى عصر كثير الآفات جم الخرافات فقد ظهرت الآراء وعُبدت الاهواء وادثرت الشهوة على الحكمة والهوى على العقل والفتنة ووطئ الجمهور أعقاب كتبة أغرار كثيري العثار وقلدوا رؤوس الفن ودعاة البدع ممن يرون من عناوين الارنقاء عبث الأحفاد بتراث الأجداد ومن شارات الحياة والبقاء رغبة الخلف عن طريقة السلف وذلك في أكثر الأوضاع وجل مطالب العمران والاجتماع فيها نحن نرى في صميم أقطار الاسلام وسرة بلاد الشرق قوماً مفتونين أبدوا صحتهم لغة القرآن وعيبة العلم والعرفان داعين الى استبدال أحرفها الهجائية بأحرف اللغة اللاتينية او الى الاستعاضة عن الفصحى باللغة العامية . مضمربن من وراء ذلك ما يستماذ بالله منه : من فساد دخلة وخبث طوية وسوء نية وهيهات يأبى الله ذلك واعلام الملة وأصحاب القبلة وكتب قيمة وصحف مطهرة بأيدي كرام برة .

لا نريد بهذا مجرد سرد الأفاويل وايراد الدعوى بلا دليل على غنى اغتنا المباركة وغزارة مادتها لكننا بدلاً من ذلك نلقدّم بما يقع شبهات المبطلين ومفتريات الاعاجم والمستعجمين وسائر من يقرف لغة الكتاب المجيد بضيق عطئها في المفردات والأوضاع الفنية وكل ما هو من شرط الجامع اللغوية فاننا ظفرنا خلال تصفحنا آثار الخزانة الشريفة العلوية في العراق وعثرنا على « ملنقط التهذيب » للامام فخر خوارزم جار الله الزحخشري النقطة من كتاب « تهذيب اللغة » للامام الأزهري والنسخة ظاهرة النفاسة معتنى بضبطها جداً منقولة عن خط الزحخشري بيده عن خط الأزهري كذلك في حجم رسالة لطيفة .

يتألف معظم هذه الرسالة الفذة من ألفاظ خاصة وأوضاع مختارة ومفردات جامعة لاوسع المعاني أحياناً في أوجز العبارات والمباني ويستفاد من درس الفاظها

ان الامام الزمخشري رمى في النقاطها الى ما يتوخاه ويرمي اليه فقهاء اللغة العربية وجهابذة الجامع اللغوية وتقدرة الأوضاع الفنية فاصداً أسرار الصنعة التي قصدوها رامية الى تلك الغاية التي رموا اليها من إصلاح المنطق وتحرير اللغة وتهذيب الكلام بطرق عديدة من جملتها انتقاء ألفاظ الخصوص لاستعمالها مكان ألفاظ الشيوع والعموم ونحو ذلك مما لا يستغرب من امام له في هذه العربية وآدابها غرر معروفة وآثار مشكورة كالفائق والأساس وغير ذلك .

« ملقط الملتقط »

فيما يلي نبذة التقطناها من ملقط التهذيب للتدليل على مذهب صاحبه في هذا الباب غلق عض لا يكاد ينفخ . انكرامة رأس الفخذ المستدير كأنه جوزة وموضعه التي تدور فيه من الورك . فلان عدادته في بني فلان اذا كان ديوانه معهم . هذه الدراهم عديدة هذه الدراهم اذا كانت بعددها . العديدة الحصة وجمعها عدايد . العدة البئر يخرج على وجوه الملاح . العوار بهار البر الواحدة عرارة . العداد يوم العطاء ويوم العرض . عرارة القارورة وكؤها . رجل لعانة (مشددة) يتكلف الألحان من غير صواب . العامة (مخففة) المعبر وهو عيدان يسند بعضها الى بعض ويعبر عليها . الاقطوعة شيء تبعث به الجارية الى صاحبها . المقطع الذي لا ديوان له . رجل مقعد الأنف هو الذي سيفه منخرجه سعة وقصر . القعدة دابة الركوب خاصة . المعرق حديدة تهرى العراق من اللحم يقال عرفت ما عليه من اللحم بمعرق اي بشفرة . القرع والدب والسبق الخط الذي يسبق عليه . القراع طائر له منقار غليظ أعقف بأقي العود اليابس فلا يزال بقرعه حتي يدخل فيه . الرقيع السماء الدنيا . المعلق ما يعلق عليه الشيء . الأعقاب خزف تجمل بين الآجر سيف الطي لكي يشتد . المعقب الرجل يخرج من حانة الخمار اذا دخلها من هو أعظم قدراً منه . القبة طوير أيقع كالصفور يكون عند حجرة الجرذان فاذا قرع الحجر^(١) . المعقمي من الكلام غريب الغريب يقال انه لعالم بعقبي الكلام وهو الغامض الذي لا يعرفه الناس وهو مثل النوادر قال ابو عمرو :

(١) لعل صواب العبارة هكذا : عند حجرة الجرذان فاذا قرع الحجر . (المجمع)

سألت هذلياً عن حرف غريب فقال هذا كلام عُمَيّ . الا كرع الدقيق مقدم الساقين .

« المجلدة الثانية »

العِجَازَة والعِظَامَة ما تُعْظَم به امرأةٌ عَجِيزَتُهَا . المِصَاجِيلُ مختصرات الطرق يقال خُذْ لَهُ مِصَاجِيلَ الطَّرِيقِ فانها أقرب . جمل مجال وناقة مجال اذا وثب قبل استواء الراكب عليه . رجل مجاعة يجب المجمع اي التمر في اللبن . العَرَشُ ظهرُ القدم . عرش الثريا كواكب قريبة منها . الاظفر الطويل الاظفار . المِعْضَادُ سيف مع القصابين تقطع به العظام . الباضع في الابل مثل الدلال في الدور . اللحم المُمْرَضُ الذي على الجمر فيختلط بالرماد والمملول الذي غبته في الجمر والمُفَادُ الذي شوبته فوق الجمر . المِصْنَعَةُ المِصْنَعَةُ للاخوان . النَصْعَانُ المكشوف الرأس ابداء حرارة . العَصَائِبُ العائم الواحدة عصابة . العزير ثمن الكلاء سوادية يقولون هل اخذت عزير هذا الحصيد اي هل اخذت ثمن مراعيها لانهم اذا اجدبوا باعوا مراعيها . المنزعة بكسر الميم خشبة عريضة كالملقعة ينزع بها المشتار النخل من الشهد اذا التصق به . معاقل المرأة مواقع حليها . القُطَاعَةُ اللقمة يؤكل نصفها ثم ترد الى الخوان وهو عيب . الناعط السي في الادب في اكله . العوطب اعرق موضع في البحر والوطب المظمن بين موجتين . الطبَّاعُ الذي يأخذ الحايطة فيسويها سكيناً او سيفاً او سناناً وحرفته الطباعة . اضر به على طبع هذا وغراره وصيغته . فلان طبيب الطعنة وخبيث الطعنة اذا كان من عادته ان لا يأكل الا حلالاً او حراماً . في بستان فلان من الشجر المِطْطَعُ كذا اي من السذي يؤكل ثمره . فوس مطعمة بصاد بها كثيراً . امرأة مطاع تطمع ولا تمكن .

« المجلدة الثالثة »

الْعِدَادُ المَلَّاحُ . الْعِدَادَةُ الْقَبِيلَةُ الْكَبِيرَةُ . رجل عِدْلَةٌ وقوم عِدْلَةٌ وهم الذين يزكون الشهود ويُعِدُّونهم . المَعَايِدُ المساحي والمرور . دُمَاعُ الْكَرَمِ ما سال منه ايام الربيع . الْعَتَاكَةُ الْمَدْرَةُ الْكَبِيرَةُ لتقلع من الارض اذا أثيرت . رجلٌ تَلَعٌ كثير التلعات . الذُبْبَةُ ما غبته من قدام السراويل اي جمعته وطوبته من مقدم الحجرة حتي تُشَمَّرَ . اتخذ في كرمه عذاراً من الشجر اي رسمة . العاذور ما يُقَطَّع

من مخفض الجارية • عَذَبَ الشِّيرَاكُ المرسلة منه • عَذَبَ السُّوطُ علاقته • عَذَبَ سوطك اجعل له علقه • العَرَنَ شجرة على صورة الدُّلْبِ يقطع منها خُسْبُ القصارين التي تدفن وجمعها عُرْنٌ وبيعها العُرَّان • العراب حمل الخزم وهو شجر تغفل منه الجبال الواحدة عرابية تأكله القروود والناس في الجماعة • العرابية واحدة العرايات وهي شُملُ ضروع الغنم والعرَّاب التي يعملها • الرباع الذي يكثر شرى الرباع اي المسايل • يرايعُ المثنى لحمه • غلامٌ مُعَبَّرٌ كَبَّرَ ولم يخن • النغاغُ واللغاديد اللحام التي بين الحنك وصفحة العنق • البنعة خروج الماء من الحوض • البرطسة اكتراء الابل والحميز للناس • البراغيل أمواه تقرب من البحر • البت القطع لما لا رخصة فيه •

« كلمة عن التهذيب المذكور »

من أجل الاصول اللغوية ومن الامهات النادرة والمفقودة كتاب (تهذيب اللغة) للامام ابي منصور محمد بن احمد بن الازهر الازهري اللغوي المتوفى سنة ٣٧٠ احد اعلام المسلمين الذين رحلوا وطافوا البلاد وتجشموا المشاق وجدوا واجتهدوا في طلب اللغة وتصحيحها وتحقيقها ، انفقت له في هذا الباب حكاية تكاد تلحق بالنوادر (راجع إرشاد الأريب ٦ : ٢٩٧) كما ان العناية والاهتمام بكتابته بلغا مبلغا يكاد يدخل ايضا في جملة الطرائف والحكايات (راجع وفیات الاعيان ٢ : ٢٣٣) وبالجملة فان التهذيب من الاصول الصحيحة المهمة لا تكاد تجد مرجعا من المراجع اللغوية المشهورة الجليلة خاليا عن الأخذ عنه والاقتباس منه والاحتجاج باقوال مؤلفه فيه •

النجف الاشرف : محمد رضا الشيباني
عضوالمجمع العلمي العربي

—→○○○←—

(١) راجع مجلة المجمع (ص ٢٧٠ مجلد ١) ترى فيه كلاما مسهباً عن (تهذيب الازهري) •
(المجمع)

قانون البلاغة

- ٢ -

أما حصر المعاني بقوانين كلية تستوعب أقسامها ، وتستوفي أحكامها ، فمفسر
لأنه يحتاج فيه الى تقديم صناعات كثيرة ، وعلوم شاقة ، إلا ان في فطر الناس
السليمة اتباع الصواب وقصده . والنّار من الخطأ والحياذ عنه ، فقد يكتفي من سلم
فكره ، ولم يضطرب ذهنه ، بما معه من المعرفة التي يوقع (?) العبارة عنها . إلا ان
لهذه الصناعة خاصة أغراضاً من المعاني ، يلزم الكلام فيها ، ومقاصد لا يسع
الإخلال بها .

فأما نعوتها فمنها صحة التقسيم ، وهي ان يؤتى بالأقسام مستوفاة ، لم يخل بشيء
منها ، ومخالصة لم يدخل بعضها في بعض ، كقول من قال : لم تخل فيما بدأتني به
من مجد أثنته ، أو شكر تعجنته ، أو أجر ادخرته ، أو متجر تجربته .

ومنها صحة المقابلات ^(١) : وهو ان يؤتى بعبارة يراد التوفيق بينها وبين معاني
آخر . والمضادة فيؤتى في الموافق بموافقه ، وفي المضاد بمضاده ، كقول القائل :
أهل الرأي والنصح لا يساووهم ذوو الألف والغش ، وليس من جمع الى الكفاية
الامانة ، كمن اضاف الى العجز الخيانة .

فمن تأمل هذه المعاني وجدها في غاية المعادلة ، لأنه جعل بازاء الرأي الألف ،
وبازاء النصح الغش ، ومقابل الكفاية العجز ، ومقابل الامانة الخيانة . فهذا التقابل
تعديل في الموافقة والمضادة .

ومن هذا الجنس قول هند بنت النعمان بن المنذر بن ماء السماء الملك للغيرة بن

(١) وجد في هامش الأصل ما يأتي : « والهاء لم فيها قوله تعالى : « فأما من أعطى
واثقي وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى
فسنيسره لليسرى » . لما جعل التيسير مشتركاً بين الإعطاء والإثفاء والتصديق ،
جعل في مقابلتها التيسير مشتركاً بين المنع والاستغناء والتكذيب فافهم اه .

شعبة بعقب إحسان منه اليها : شكرتك يدُ نالتها خاصة بعد نعمة ، وغابت عن يدِ نالت ثروة بعد فاقة .

ومنها صحة التفسير وهي ان توضع معانٍ تحتاج الى شرح احوالها ، فاذا شرحت أثني بتلك المعاني من غير عدل عنها ولا زيادة عليها ولا نقصان منها . كقول من قال : وانا اثق من مساءلتك في حال ، بمثل ما اعلمه من مشاركتك في أخرى ، لانك ان عطفت وجدت كدناً ، وان غمزت الفيت شيئاً .

وكقول آخر : واين يُذهب بك ، مع غزير انعامك ، وشديد احكامك ، واليم انتقامك ، ان تكون مشباعاً للضيف ، ومدفاعاً للحييف ، وممناعاً من الخوف .

ومن نعوت المعاني التثمين ، وهو ان توجد في المعنى كتابة او خطابة فيوفي بجميع المعاني المتممة لصحته ، المكاملة لجودته ، من غير ان يحلَّ ببعضها ، ولا ان يغادر شيء منها . كقول القائل : خلقت به اسباب الجلالة ، غير مستشعر فيها لنخوة ، وترامت به احوال الصرامة ، غير مستعمل فيها لسطوة ، هذا مع زمانة ^(١) في غير حصر ، ولين جانب من غير خور . فقد اتى هذا المتكلم بتثمينات المعاني التي جاء بها من غير ان يحلَّ بشيء منها .

ومن نعوت المعاني المبالغة ، وذلك ان يذكر معنى بما لو اقتصر عليه لكان كافياً فيما قصد له ، فلا يقتصر على ذلك حتى يؤكد معانيه ، ويعتمد المبالغة فيه . مثل قول الاعرابي : اللهم ان كان رزقي ثانياً فقر به ، او قريباً فيسره ، او مبسراً فجهله ، او قليلاً فكثره ، او كثيراً فثمره . فهذه مبالغات تؤكد المعنى وتزيد فيه .

ومن نعوت المعاني التكافؤ وهو ان يتكلم في امر من الامور ، فيؤتى فيه بعمان متكافئة ، واعني بتكافئة في هذا الموضع مقارمة اي ان كل اثنين منها متعاند حتى اذا قيل في معنى ان شيئاً اسود أتي باخر ، يقال فيه ان شيئاً ابيض الى غير ذلك من وجوه العناد . مثل قول من قال : كدر الجماعة ، خير من صفو الفرقة ، ومثل قول القائل : وكان اعتدادي بك اعتداد من لا انضب عنه نعمة تغمرك ، ولا يمر عليه عيش يحلو لك . فقوله بازاء انضب ، تغمر ، ويمر ، يحلو ، من التكافؤ .

(١) زمت الرجل زمانة وقر .

فاما عيوب المعاني فان من كان حافظاً لما قدمناه في باب نعوت المعاني فسيهون عليه تعرف عيوبها . وجماع ذلك ان تكون المعاني معدولاً بها عن الاغراض المنتهجة ، والمقاصد المتوخاة ، الا ان من تفصيل ذلك الاستحالة والامتناع والتناقض :

فاما المستحيل فهو الشيء الذي لا يوجد ، ولا يمكن مع ذلك ان يتصور في الفكر ، مثل الصاعد والنازل في حال واحدة ، فان هذه الحال لا يمكن ان تكون ولا ننصور في الذهن : واما الامتناع فهو الذي وان كان لا يوجد فيمكن ان يُتخيل ، ومنزله دون منزلة المستحيل في الشناعة مثل ان تتركب اعضاء حيوان ما ، على جثة حيوان آخر ، فان ذلك جائز في التوهم ، ولكنه معدوم في الوجود .

واما التناقض فبان تجمع بين المقابلة من جهة واحدة .

والمعاني تقابل على اربعة اوجه : اما على طريق الاضافة ، مثل الاب للابن ، والضعف للنصف ، والمولى للعبد . واما على طريق التضاد ، مثل الأسود للأبيض ، والحر للبارد ، والخير للشرير . واما على طريق الملكية ^(١) والعدم ، مثل البصير للاعمى ، والموسر للفقير ، وذو الوفرة للأصلع .

واما على النفي والاثبات مثل ان يقال : زيد جالس ، زيد ليس بجالس ، فالثلاث المقابلات الاولى تكون في المعاني ، والرابعة تكون في اللفظ وحده ، ولكن هذا التقابل الأخير لما كان قد يعنقداً ايضاً ، حتي لعل من بعدم اللفظ ، يشير الى ما في نفسه منه إشارة بغير اللفظ ، كما يشير الأخرس مثلاً بان يحيط يده الى أسفل في الإيجاب ، او يرفعها الى فوق في النفي ، وما جرى هذا المجري — أضفنا الكلام فيه الى الكلام في المعاني .

وقولي في جميع هذه المقابلات من جهة واحدة ، انما اردت به هذا هو الشنيع الجاري مجرى العيب . فاما ان يكون مثلاً في باب المضاف انسان ما ابناً لزيد ، وابناً ل بكر ، ومولى لفلان وعبد لآخر ، ويكون عدد ما ، نصفاً لعشرين وضعفاً لخمسة ، وكذلك في التضاد مثل ان يكون الفاسد حاراً عند البارد ، وبارداً عند المحرق ، وفي الملكية والعدم مثل ان يكون انسان بصير القلب ، أعمى العين ،

او معسراً من عرض ، موسراً من آخر ، وفي الاثبات والنفي مثل ان يكون زيد جالس الظاهر ، ليس يجالس العصر ، فجميع ذلك جائز .

فاما المنكر المستبشع الذي اومأنا الى انه اذا وجد في معنى كان معيباً ، فمثل ان يجعل رجل ما ، اباً لزيد وابناً له ، وعدد ما ضعفاً لخمسٍ ونصفاً لها ، وشيء ما حاراً عند رجل ، وبارداً عنده بعينه ، وانسان ما ، اعشى القلب بصيره ، ويجعل زيد قائماً في هذا الوقت ، غير قائم فيه نفسه ، فهذا كله فاسد لا يجوز ، لان التقابل جعل فيه من جهة واحدة ، فيصير حينئذ تناقضاً ، وهو من أغشى عيوب المعاني المعبر عنها بالكلام المنشور ، والكلام المنظوم ايضاً .

ومن عيوب المعاني فساد التقسيم وذلك يكون على ثلاثة أوجه : اما بتكرير المعنى ، او بان يؤتى منها ما يكون بعضه داخلاً تحت بعض ، او بان يخل بما يقتضي المتكلم فيه استيفاءه . فاما التكرير فمثل ما كتب بعضهم الى عامل : ففكرت مرة في عزلك ، وأخرى في صرفك ، وتقليد غيرك . ومثل قول هذا الرجل لهذا العامل : فتارة تسترق الأموال وتحتزلها ، وتارة تقطعها وتحتجنها .

واما دخول بعض الأقسام في الآخر ، فمثل ما سأل بعض الذوكرى فقال : اخبروني عن علقمة بن عبدة جاهلي هو ام من بني تميم . ومثل قول بعض المترسلين في فتح : فمن بين جريج مضر ج بدمائنه ، وهارب ما يلففت الى ورائه . فكل هذين القسمين يدخل في الآخر ، لان الجريج قد يكون هارباً ، والهارب قد يكون جريجاً . واما الاخلال ببعض الأقسام فمثل قول القائل : انك لا تخلو في هربك من صارفك ، ان تكون قدمت اليه اساءة خفت منه معها ، او خنت في عمالك خيانة ، رهبت بكشفه إياك عنها ، فان كنت اسأت فأول راض سنة من يسيرها ، وان كنت خنت خيانة ، فلا بد من مطالبتك بها . فكتب العامل تحت هذا ، هذا التوقيع : قد بقي من الأقسام ما لم تذكر : وهو اني خفت ظلم إياي بالبعد منك ، ونكشيره عليّ بالباطل عندك ، ووجدت الهرب الى حيث يمكنني فيه دفع ما يتخرصه اني للظنة عني ، والظلم عن لا يؤمن ظلمه اولى بالاحتياط لنفسي .

ومن عيوب المعاني ، فساد المقابلات ومن كان حافظاً لما ذكرنا من صحة المقابلات

في باب نعوت المعاني ، وقف سهولة على الوجه في فسادها ، وذلك ان يُذكر معنى يقتضي الحال ذكر ما يوافقه ويعانده ، فيؤتى بما لا يوافق ولا يشاكل ، او بما لا يقاوم ولا يعادل ، فليس المقول فيه من الناس انه خير على الاطلاق معانداً للمقول منهم انه مارق ولا موافق .

ولهذا لا يحسن في البلاغة ، وكلام اهل الحجبى — لم يأتني من الناس أسود ولا أبيض — بل الأجل ان نقول ولا أبيض ، لان الاسمر ليس يعاند الأسود غاية المعاندة ، ولا يوجد منه في غاية المبادعة . وكذلك لو قال قائل : ما صحبت في هذا البلد خيراً ولا شيراً ، كان ذلك أذهب في سبيل السداد ، من قوله خيراً ولا سارقاً . ومن عيوب المعاني فساد التفسير ، ومن كان ذا كراماً لما قدمناه من نعت هذا الباب ، عرف الوجه في عيبه . ومن المثالات سيف ذلك قول بعض المترسلين الى عامل من عمال الأطراف : ومن كان لأمر المؤمنين كما انت له من الذب عن ثغوره ، والمسارة الى ما يهيب به اليه ، من صغير خطب وكبيره ، كان جديراً بتصح امير المؤمنين في أعماله ، والاجتهاد في ثمر أمواله ، فليس التي قدّم من الحال التي عليها هذا العامل في الذب عن الثغور ، والمسارة في الخطوب ، مما سبيله ان يُفسّر بالنصح في الأعمال ، وثمر الأموال ، اذ كان الذي قدّمه لا يلزم عنه ما فسر به . ومن نعوت البلاغة : ان البلاغة ثلاثة مذاهب يقصد في استعمالها : المساواة والإشارة والتذليل . فالمساواة ان يكون اللفظ كالقالب للمعنى لا يفضل عليه ، ولا ينقص عنه . والإشارة ان يكون اللفظ مشاراً به الى المعنى كاللحمة الدالة . والتذليل إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد بعينه . حتى يظن لمن لم يفهمه ، ويشوكد عند من فهمه ، ولكل مذهب من هذه المذاهب موطن يليق به ، ووقت لا يصلح فيه غيره .

فاما المساواة فأولى المواطن بها اذا كانت الخاطبة للنظراء ، ومن ليست له مآرب تشغله ، ولا شؤون تصرفه ، عن استيفاء المعنى الى آخره .

واما الإشارة فأولى الأوقات بها الوقت الذي يخاطب او يكاتب فيه ذوارب العلية ، والشؤون الكثيرة ، والهجم المنقسمة ، لان من كان في هذه الطبقة احتاج

ان لا يشغل خاطره بمعنى واحد بعينه ، ولا ينفد زمانه اهتمام بغيره ، وكان الوحي ^(١) عنده أنفق من الإطالة ، والإشارة اليه اولى من تطويل المقالة .

واما التذليل فانما سبيله ان يستعمل في المواطن الجامعة ، والمواقف الحافلة ، وقد قال بشر بن المعتمر : ينبغي للتكلم ان يعرف أقدار المعاني ، فيوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، ويجعل لكل طبقة كلاماً ، ولكل حال مقاماً ، حتى يقسم اقدار المعاني ، على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين ، على تلك الحالات .

واذ قد ذكرنا من أحوال هذه المذاهب الثلاثة ما أنبأ عن صورته الأمر ، فانا نأتي في كل مذهب منها بمثال مما تقدم استعمال البلغاء إياه في جنسه ، ليزيد ذلك من عمله شرحاً لما وعاه من معانيه ، وينبئ من لم يفهمه عن حقيقة الحال فيه ، وابدأ من ذلك بمذهب الإشارة .

قال احمد بن يوسف الكاتب : دخلت يوماً على المأمون وبهده كتاب يعاود قراءته تارة بعد أخرى ، وبصعد فيه طرفه ووضوب ، فلما مرت على ذلك مدة من زمانه ، التفت الي وقال : يا احمد أراك مفكراً فيما تراه مني ، قلت : نعم فقال : ان في هذا الكتاب كلاماً نظير ما سمعت الرشيد يقوله في البلاغة ، زعم ان البلاغة انما هي التبعاد عن الإطالة ، والتقرب من معنى البغية ، والدلالة بالقليل من اللفظ ، على كثير المعنى ، وما كنت أتوهم ان احداً على ذلك حتى قرأت هذا الكتاب ، ورمي به الي وقال : هذا كتاب عمرو بن مسعدة الينا . ففككته فاذا فيه :

« كتابي الي امير المؤمنين ومن قبلي من قواده ، ورؤساء أجناده ، في الانقياد والطاعة ، على أحسن ما تكون طاعة جند تأخرت أرزاقهم ، وانقياد كفاة تراخت أعطياتهم ، فاختلفت لذلك أحوالهم ، والثالث معه امورهم » . فلما قرأته قال : ان استجدي إياه ، بعثني ان امرت للجند قبله بأعطياتهم لسبعة أشهر ، وانا على مجازاة الكاتب بما يستحقه من حل محله في صناعته .

(١) الوحي المكتوب والرسالة وكل ما ألقينه الي غيرك ليعلمه كيف كان ثم غلب على وحي الانبياء . وقيل الوحي إعلام في خفاء ، فالمراد هنا اعلام في ايجاز كلام مربع التلقين .

وأمر المأمون عمرو بن مسعدة ان يكتب لرجل به عناية الى بعض العمال في قضاء حقه وان يختصر كتابه ما أمكنه ، حتى يكون ما يكتب به في سطر واحد ، لا زيادة عليه ، فكتب عمرو : كتابي كتاب واثق من كتب اليه ، معني بمن كتبت له ، ولن يضع بين الثقة والعناية حامله .

وكان جعفر بن يحيى^(١) يقول لكتابه : ان استطعتم ان يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا . وكتب ابراهيم بن ابي يحيى الى بعض الخلفاء يعز به ، ويجري في المذهب الذي نحن بسبيله وهي : اما بعد فان أحق من عرف حق الله عليه ، فيما اخذ منه ، من عظم حق الله فيما بقاه له ، واعلم ان الماضي قبلك ، هو الباقي لك ، وان الباقي بعدك ، هو المأجور فيك ، وان أجر الصابرين فيما يصابون به ، أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه .

ودخل بعض البلغاء على بعض الامراء فقال : السلام عليك ايها الأمير ، سلاماً يتصل أمثاله بسمعك ابدأ ما بقيت ، إماماً من وليك ، بطوع قلبه ، وصادق ودء ، وإماماً من عدوك برغم أنفه ، وذلل خده .

ومن نعوت إشراك اللفظ والمعنى الإرداف : وهو ان يراد للدلالة على معنى ، فلا يؤتى باللفظ الخاص ، بالدلالة على المعنى نفسه ، بل بلفظ هو ردفه ، وتابع له ضرورة ، ليكون في ذكر التابع ، دلالة على المتبوع ، وهذا المذهب يوجد كثيراً في الاشعار ، وبلاغة الأعراب ، مثل ما قالت أعرابية تصف رجلاً : ولقد كان منهم عمار ، وما عمار ، لم تخمد له قط نار ، طلاب باوتار . وانما أرادت بقولها لم تخمد له قط نار : كثرة إطعامه الطعام ، فلم تأت باللفظ الدال على هذا المعنى نفسه ، بل ذكرت إيقاده النيران ، لان ذلك تابع لاختاذ الطعام . ومثل قول أخرى وصفت زوجها فقالت : اخذني من اهل غنيمة بشق فجعلني في اهل صهيل وأطيط ودائس ومنق . فأرادت انه اخذها من اهلها وهم فقراء لهم غنم قليلة ، فجعلها في قومه ، وهم أغنياء لهم خيل تسهل وإبل تخط اي ترغو ومزدرع يغل . فأكثر هذه المعاني التي

(١) وفي الهامش : وهو قريب دهره ونسج وحده في معرفة البلاغة اه .

أنت بها ، إنما هي أرداف معانٍ أشارت الى الدلالة عليها . وكذلك قول سائر الاعرابيات اللائي هن في حديث أم زرع وقد ذكرنا صدرآ في كتاب تقدير الشعر .
ومما جاء في ذلك من بلاغات المحدثين : ما كتب به بعض الكتاب الى صديق له فقال : وكيف لا أتمسك بعهديك ، وأتثبت بعلائقي وذلك ، وانت ممن لا ثقلى صحبته ، ولا تحشى غيبته ، ولا يكذب الصديق عتبه ومعاتبته ، فهذه الألفاظ مجرأة مجرى الإرداف . فأراد بقوله لا ثقلى صحبته اي لا يسي الى مصاحبه ، وإذا لم يسي لم يُقل ولا تحشى غيبته ، انه ليس بشيرير ، ولا وقاعة في الناس ، ولا يكذب ذلك انه لا يجننى على صديقه فيعاتبه فيما لا اصل له ، ولا يسي عشرته فيجوجه الى معاتبته .

ومما جاء من ذلك قول من قال حتى اذا ثار النقع ، والنف الجمع بالجمع ، واحمرت الأحداق ، وقامت الحرب على ساق . وكل هذه الاشياء تدل على معركة الحرب . ومن نعوت إشراك اللفظ والمعنى التمثيل وهو ان يراد الإشارة الى معنى فتوضع الفاظ تدل على معنى آخر ، وذلك المعنى وتلك الالفاظ ، مثال للمعنى الذي قصدت الإشارة اليه ، والعبارة عنه . واكثر الاستعمال لهذا المذهب إنما هو في البلاغة الشعرية . وقد استعملها الكتاب في رسائلهم ، والخطباء في خطبهم ، فيكون ذلك مما يحسن موقعه ، ويبين في البلاغة موضعه .

ومن الأمثلة في ذلك كتاب يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد ، وقد بلغه « انه » يتلكؤ في بيمته . اما بعد فاني أراك تقسم رجلاً وتؤخر أخرى ، فاعتمد على أيتها شئت والسلام . فلو كتب : اذاك أذاك كتابي هذا فبابع لم يكن للفظه من العمل في المعنى ، ما للتمثيل الذي أتى به .
« للبحث صلة »



الدكتور صالح قنبار

فجع المجمع العلمي العربي بعضو عامل من جهابذة أعضائه الدكتور صالح قنبار ففقدت الشام بفقدته أستاذاً مربيًا ، وطبيبًا نطاسيًا ، وأديبًا خطيبًا ، ومخلصًا صالحًا في سيره وسيرته . هو صالح بن محمود بن صالح قنبار . ولد في حماة في حجر الطهر ومخافة الله ، من ابوين كريمين في سنة ١٣٠٥ هـ - ١٨٨٧ م فغذاه والده بلبان الفضائل ، وطبعه بطابع التدين ، وأتم دراسته الأولى في بلده ، فظهرت آثار نبوغه ، وجمال أدبه ، وانقلب بعد ذلك الى المدرسة الأميرية في سنة ١٣١٥ هـ فدرس فيها العربية والتركية والفرنسية ومبادئ العلوم . وكان خلال ذلك يدرس علوم الدين واللسان على أساتذة خاصة . ولما أنجز دروسه في هذه المدرسة مُرِنِبًا بذكائه ودروسه على عامة أقرانه ، دخل المدرسة الثانوية في دمشق فتنقحت كُنْه ذكائه ونجحت آثار قواه العقلية ، وتعرف الى الطبقة العلمية العاملة اذ ذاك وكانت على رأسها المرحوم الشيخ طاهر الجزائري ولزم مجالسهم واخذ من علمهم وافكارهم ، وامتاز في درس الرياضيات امتيازاه في سائر الدروس .

ولما أتم دروسه الثانوية تحوّل الى مدرسة الطب في دمشق ثم ذهب الى الاستانة وعاد بعد مدة لأكال طبه فأتمه ، وكان اختصاصه بالامراض الباطنية ، ونال شهادته في سنة ١٣٢٨ هـ وعاد الى بلده بطب المرضى ويوامي الباسئين ، ويخدم الامة بمعارفه ، ويلقي بعض الدروس في المدارس النظامية ، وأهم ما غلب عليه وعلق باجزاء نفسه علم التربة والتعليم ، لفته من الكتب ، وثقف أكثره بالتجربة ومعاونة التدريس ، وكانت له الرأي الجميع والقول الفصل في جميع ما وسد اليه من امور المعارف ، وما شارك فيه بالرأي في مجالسها ومدارسها ، او كما قال فيه احد المترجمين له : « ولا يعرف الحمويون مشروعا نافعا تم في بلدهم ولا حركة مباركة قاموا بها الا كان هو رأسها او التيار الكهر بأني في اسلاكها » .

وأدخل الجيش طبيبًا في الحرب العامة فطاف الفامر من بلاد الشام وزار المدينة

المنورة . ولما وضعت الحرب أوزارها أسس بمعاونة صديقه السيد نورس الكيلاني مدرسة وطنية دعيت « دار العلم والتربية » فكانت منظمتها وعميدها ومن أفضل أساتذتها . وهذه المدرسة الوطنية الوحيدة التي غنيت ببنائها وواقفها بما اغدق من المعاونات المالية عليها . وقد تم لها ذلك بفضل بعد نظر عميدها وكثرة مساعيه مع اهل الطبقة المثلى في بلده . وانتخب عضواً في المجمع العلمي في ٤ نيسان سنة ١٩٢٣ وسيفي تشرين الاول ١٩٢٤ رحل الى باريز للبحث في المكتشفات الطبية الحديثة ومشاهدة دور الآثار والعلم فيها فالتحقته الجمعية الآسيوية سيفي باريز عضواً فيها ، وعاد بعد ان قضى في عاصمة فرنسا نحو سنة وحج قبل ان يعوج بوطنه ، فكان حجه حجاً علمياً وحجاً دينياً .

والتي لدن عودته من الديار الحجازية والاقطار الفرنسية عشر محاضرات سيفي النادي الادبي في حماة ، افاض فيما يجب علينا اخذه من المدنية الغربية ، وما يجب التبعاد عنه ، ومثل الحياة الغربية سيفي نظامها وترتيب دورها ومعاهدها واعمالها واقتصادها ومظاهرها ، مما كان له الاثر الطيب في ناشئة بلده . وللفقيد العزيز عدة تأليف لم تمثل بالطبع ، وكان يلقي بعضها على تلامذته منها كتاب الدرس الابتدائي في الفلسفة مع نظريات تاريخها ترجمه عن الفرنسية لمؤلفه اميل بوراك ، والف عدة كتب سيفي العلوم الطبيعية وحفظ الصحة والنباتات ودروس الاشياء والاقتصاد للصفوف الثانوية ، ورسائل في تجويد القراءة وأخرى في تعليم الف با وثالثة في علم الفرائض ، شفعها ببحث في اصول تقسيم الاراضي يحسب القوانين الموضوعه اخيراً ، هذا عدا عشرات من محاضرات في التاريخ والادب والتربية غذى بها ارواح طلاب الاستفادة . وعشرات من المقالات العلمية والأدبية والسياسة التي فاضت بها قريحته في الصحف والمجلات ، وله مفكرات نفيسة ولا سيما في دور الكتب التي زارها سيفي مصر والشام وفروق وباريز ومكة والمدينة .

وخص الفقيد بطلاقة في لسانه ادبته سيفي عداد الخطباء العلماء ، يخطب ساعة وساعتين بكلام ملؤه ادب ، وسداه الاخلاص ولحمته حب النهوض ، وله شعر لطيف خصه باغراض عالية من اغراض النفس ، وهالك نموذجاً منه قاله سيفي وصف وادي

النار بين معان والعقبة والفرنديل ووصف قاطنيه من عشيرة الحو بطات وغيرهم ونعرض فيه لظلم العثمانيين وفساد إدارتهم :

سهول زانها شيج وعشب	وأخرى كل تربتها رمال
واؤدية تخددها سهول	بها رثم ورمت او سيال ^(١)
مياه نضحها نضح شحيح	وكم من مثلها غدر وآل
وغابات بوادي العرب قامت	تطل على جوانبها الجبال
تتر الشمس مشرقة عليها	فتحرقها ومغربها « القنال »
وتبدو انجم حيناً فقري	ثقلاً ثم تغرب والهلال
بها قوم مساكنهم جميعاً	كهوف او خيام او ظلال
سعيدون رهط لابن جاد	حو بطات وكلهم قلال
رؤوس ملؤها عقل وجهل	ولم يمنع تقدمها العقال
عراة في اديم من سواد	حفاة الجلد أخصها نعال
يطوفون النياقي كالجواري	وهم في عين جارية عيال الخ

وله مقاطيع وانشيد وطنية جميلة اشتهرت في المدن الداخلية في الشام . ولما ثارت الفتنه في حماة يوم ١٧ ربيع الاول ١٣٤٤ (٤ تشرين الاول ١٩٢٥) قام بواجبه الانساني في تضييد جراحات الجرحى ، ومن الغد سمع من داره صوت احد ذوي قرباه فهب لنجدته فأصيب برصاصتين أصابتا منه مقتلًا فاستأثر به مولاه ، حميد الاثر ، مجيد الخطر .

اهم صفات المترجم له التؤدة والدؤوب ، والصبر والجد ، والسعي الى ترقية الامة من طريق التهذيب في هواة وسكون طائر ، وفي الحق انه لم يفتري حياته عن بث دعوته الاصلاحية ، بالطرق العملية والعلمية ، وكانت محبباً الى النفوس موقراً في

(١) (الرمث) نبت ابري الورق تطعمه الغنم وقد يصير شجراً و (الرمت) لا يطول كثيراً وهو ذو شوك قصير ترعاه الابل و (السيال) نبت ذو شوك ينبت في الارض الرملية و يصير شجراً وورقه ريشي صغير ترعاه الانعام فتسمن به .

الصدور ، قوي الحجمة والعارضة ، ولو طال ابامه لسمع صوت اصلاحه ومبادئه في التعليم والتهديب في الشام بأسرها ، بل وتعداها الى الاقطار المجاورة .
وان كل من عرف الصديق الراحل ، ليقضي له بالفرد بين ابناء جيله في علمه ونهذهيه ومراميه العالية في الاصلاح الاجتماعي الذي بدأ به من المدارس الوطنية القائمة على تقوية الملكات والعواطف القومية الشريفة . رحمه الله عداد حسناته لهذا الوطن وعزى الفضائل والآداب بهذا الرجل الصالح الذي استولى في هذا العمر القصير على خصل السبق في مضمار الجهاد العقلي والحياة الانسانية الكاملة فكان حقاً وصدقاً طيب اشباح وحكيم ارواح .
م . ك



اعضاء المجمع في الغرب

« السيد يوحنا اهتينين كرسكو »

هو يوحنا بن صموئيل اهتينين كرسكو وزوجه الشرعية لوفيز كلاهما من طبقة الفلاحين . وهو استاذ للفلسفة خريج جامعة « هيلسينغفورس » قاعدة الجمهورية الفنلندية ، ومدير مدرسة بلدة كنفاسالا من اعمال فينلنديا (سوومي) . ولد في اليوم الثاني عشر من شهر كانون الاول سنة ١٨٨١ . وبدين بالمسيحية على مذهب الفرقة « النقوبة » المنشعبة من الطائفة الانجيلية اللوثرية .

دخل المدرسة الاعدادية في خريف سنة ١٨٩٣ وأتم دروسه في ربيع سنة ١٩٠٢ ثم التحق بجامعة هيلسينغفورس في خريف سنة ١٩٠٣ وأنجز دروسها في ربيع سنة ١٩٠٨ وأحرز شهادة أستاذ في الفلسفة في اليوم السادس عشر من شهر شباط سنة ١٩١٢ .

وفي اول سنة ١٩١٣ دخل فرع اللغات الشرقية في جامعة لينيفراد فدرس اللغات : العربية والفارسية والتركية وتمرن فيها الى نهاية سنة ١٩١٤ وتولى إدارة المدرسة الاعدادية الفنلندية في ضواحي لينيفراد الى نهاية سنة ١٩١٧ ثم تحرير صحيفة فينلندية في مدينة أبو عاصمة فينلنديا قديماً .

وكان قد درّس اللغات والعلوم في مدارس وطنية في سني : ١٩٠٢ — ١٩٠٣
١٩٠٥ — ١٩٠٦ و ١٩٠٩ — ١٩٢٤ .

اما اللغات الاجنبية فيحسن منها : الروسية والالمانية والاسوجية والفرنساوية والانكليزية ويعرف اللاتينية والسلافية وفروعها السربية والبلغارية والبولونية وغيرها . وتزوج سنة ١٩٠٩ المعلقة ايريني ابنة انطون كرسكو ورزق منها ولدين ذكرًا وأنثى اسمها الممرى وروني .

وقد أحب اللغة العربية وهو صغير السن اذ كان يقرأ اخبار السّياح ومذكرات أستاذ اللغة العربية في جامعة هيلسينغفوس المرحوم عبد الولي (جورج والين) وصار همه الشاغل نشرها بين شبان فينلنديا وفيها ينشر في صحف الاخبار والمجلات المقالات المتممة تحقيقاً لهذه الغاية المحموده ، ولا يني حتى اليوم يسعى في نشر هذه الضالة المنشودة . وهذا هو تعريب شهادته :

« ما أبصر الله بإدارة الاشياء كلها .

» انه في سلطنة نقولا الثاني عاهل الروس كلهم وامير فينلنديا العظيم السامي

الجلال .

« رُفي الرجل الجليل جداً يوحنا صموئيل أهتتين كرسكو طالب الفلسفة الى درجة أستاذ للفلسفة وجُنّز بجميع حقوق هذه الدرجة وامتيازاتها وفقاً (لنظام اندراوس — الجامعة الامبراطورية) في فينلنديا — ووفقاً للامر المطلق الشرعي لهيأة نظام الفلاسفة العظيم في هذه الجامعة » .

في هيلسينغفوس في اليوم السادس عشر من شهر شباط من سنة ١٩١٢ .
وانا المعطي شرعاً حق هذه الترقية أثبت هذا القرار بتوقيعي وبوضع طابع نظام الفلاسفة .
أ . دونير

آراء وافكار

تعليق على رحلة ناصر خسرو القبادياني

قرأت في مجلة المجمع العلمي الزاهرة^(١) الشطر البديع الذي نقله الى اللغة العربية العلامة الرئيس الأستاذ كرد علي من رحلة ناصر خسرو القبادياني ففرت به عيني وشكرت للصديق المعن "المفن"، عنايته هذه التي لناولت نشر اول رحلة قام بها مسلم في ديار الشام، وقد استوقف نظري بعض هنات ربما كان مصدرها غلط النسخ وشطط المترجم — اي الذي نقل الرحلة من الفارسية الى الافرانية — ومن ذلك قوله (ص ٦٥) : « ومثل ذلك من حلب الى طرابلس (٢) » وأظن انه اراد ان يقول الى جرابلس بدليل تمام العبارة وهي : « ويقال ان المسافة الى القسطنطينية هي مائتا فرسخ » وجرابلس بين حلب والقسطنطينية . أقول ان هذا الغلط نشأ عن النسخ او المترجم لان الرحالة عاد فذكر المسافة بين حلب وطرابلس ومن الغلط ذكره قرية جند قنسرين فالقرية هي قنسرين على ما ذكرها علماء تقوم البلدان^(٣) وهي قاعدة الجند المسمى باسمها .

ومن ذلك نعت ابي العلاء المعري بحاكم معرة النعمان^(٤) فلعله يريد ان يصفه بانه حكيمها وهو عند وصفه ، بل وحكيم الشرق بلا مدافع . اما قوله بان نوابه يقضون مصالح الناس فقد تنصرف هذه الجملة الى مردي شيخ المعرة وتلاميذه الذين كانوا

(١) مجلد ٦ ص ٦٤ . (٢) وهكذا ترجمها لاستراخج مترجم الرحلة من الفارسية الى الانكليزية عن نسخة المتحف البريطاني في لندن . (٣) ذكرت قنسرين - في الاعلاق النفيسة لابن رسته والذنبه والاشراف للمعودي وصفة جزيرة العرب للهمداني والمسالك والممالك لابن خرداذبة واحسن التقاسيم للقدسسي وذكرها باقوت في مادة اجناد الشام الخمسة جزء ١ ص ١٣٦ طبع لبسك وذكرها في مادتها الاصلية قنسرين ج ٤ ص ١٨٤ من كتابه مهم البلدان . (٤) وهكذا ترجمها مترجم الرحلة الى الانكليزية .

وقد أحسن صديقنا العلامة صنعا في وضع لعلها البثرون الى جانب ترابرزت (ص ٦٨) ولكن هل البثرون بالناء او بالناء (?) فاذا كان القصد اسمها المعروف اليوم بين العوام فهو صحيح ولكن البثرون بالناء^(١) كما لا يخفى على الصديق الباقعة . على ان الترجمة الانكليزية نقول في الصفحة التاسعة من الرحلة ان ترابرزان هي تحريف نيوبروزبون وهو اسم رأس الشقعة باليونانية وهذا الرأس هو شمالي البثرون الحديثة .

(١) معجم البلدان ج ١ ص ٤٩٣ . (٢) رحلة ابن جبیر طبع مصر ص ٢٨٥ .
(٣) معجم البلدان ج ٣ ص ٧٠٧ . (٤) تحفة النظار في غرائب الأمصار طبع مصر
ج ١ ص ٣٥ . (٥) كتاب البلدان طبع ليدن سنة ١٨٦٠ ص ١١٥ وطبع ليدن
سنة ١٨٩١ بذيّل كتاب الأعلام النفيسة ص ٣٢٧ . (٦) الاغانى ج ١٨ ص ٧٠
من طبعة الساسي .

بكم وان في قيس نكداً واخلاقاً لا يحتملها الثغر وانا عارف بطاعتكم ونصحكم فأما اذ قد ظننتم غير ذلك فأنا أجمع فيه بينكم وبين قيس فتكونوا جميعاً فيه واجعل الغزو فيه عقباً بينكم فرضوا فعل ذلك به فيما بعد « وهو من أوقع المعاذير وأحكمها ويكفي ان يكون صادراً عن ذلك الداهية العظيم . وهذه هي الأبيات :

الا أيها القوم الذين تجمعوا بكم أناس انتم ام أباعر
أترك قيس آمنين بدارهم ونركب ظهر البحر والبحر زاجر
فوالله ما أدري وإني لسائل أهدان يحمي ضيها ام يحابر
ام الشرف الأعلى من اولاد حمير بنو مالك اذ تستمر المرائر
أأوصي ابوم بينهم ان تواصوا وأوصي ابوكم بينكم ان تدابروا

ومقام النبي صالح اليوم خارج سور عكا الذي رمه الظاهر عمر الزيداني سنة ١١٦٣ هـ ١٧٤٩ م وهو في وسط مقبرة المسلمين فاذا كان المقام كان في المسجد الاعظم وهذا كان في وسط المدينة كذا ذكر الرحالة فتكون عكا الحاضرة جزء أصغر من الاصل الكبير الدارس . وعكا أخت القسطنطينية العظمى ومجتمع الرفاق وميناء الحاج في القرن السادس^(١) وعين البقرة لانزال ينزل اليها بست وعشرين درجة . كان الذين تولوا عمارتها مرة بعد أخرى قد حافظوا على هندستها الأصلية . وليست هي نبتع من مكانها وانما يتصل اليها الماء من مجرى قديم قد امتلأ بالأتربة فصار يرشح الماء منه رشحاً وقد علمت ذلك بعد ان وكلت الى بعض العملة امتياح مائها والوصول الى قعر العين فظهر لي المجرى الذي يأتي اليها من الشرق ولم تمثل العين بالماء الا بعد مضي يوم كامل من امتياحها . وقد ثبتت هذا المجرى فتراءى لي انه ينفرع عن مجرى أوسع منه نطاقاً يأتي من الشمال الى الجنوب الى عين اخرى اسمها عين الست . وقد كان اهل عكا يستقون ماءهم منها لما كانت قناة ماء الكابرة مقطوعة عنها وذلك قبل اربعين عاماً تقريباً . وقد قال لي بعض شيوخ عكا ان الأهليين كانت لا تغارقهم الحميات بسبب رداءة ذلك الماء وكانت تغلو وجوههم صفرة المرض الى ان قبض الله لهم حاكماً عاملاً على الخير فرم القتي بين بستان البهجة وعكا واعاد مياه الكابرة الى مجاريها .

هذه هي العين التي زعموا ان آدم كان يسقي بقرته منها — تلك البقرة التي كان يحرق بها ارض مسجد عكا — وكان يحمل نفسه مؤونة النزول والطلوع اليها ومنها ايمتاح لها الماء الكافي . وقد علمت انها لم تكن عيناً وانما هي شعبة من قناة قديمة أو شكت على الانسداد .

على ان الخرافات في شرقنا لنقل من الاجيال الى الاجيال . فلا يزال الناس يعتقدون في هذه العين الكرامة ويقصدون اليها للاستحمام بمائها ويتركون برباريتها وقد لاحظت انه كان على واجهة القبة الصغيرة المبنية على العين لوح تاريخ قد رُفِع من مكانه فشفّر محله وقد أيدت ظني هذا امرأة أقامت نفسها قيمة على العين فهي تُعهد بها بالتردد عليها وكنس ادراجها وتنظيفها عند الحاجة ونصب الأعلام الخضراء التي ينذر بها لها الناذرون من السذج — وقالت ان بلاطة التاريخ قد سُرقت قبل ثلاثين عاماً وزادت على ذلك بانها تُؤلى خدمة هذه العين والنيام عليها بالوراثة عن والديها .

قالت وقد ظهرت منذ سنين قطعة من رخامة مكسورة بين الأتربة والحجارة التي كانت تجمعت في العين لا يقرأ منها الا كلمة «طوب» وهو اسم المدفع بالتركية واهل عكا بأنسون بهذه الآلة الجهنمية ويعرفونها حق المعرفة لان بلدكم كانت الى الايام الأخيرة قلعة حصينة والمدافع تكنفها عن ايمانها وعن شنائها .

اما انا فأظن ان هذه الكلمة ليست «طوب» وانما هي «طوبى» وهي اول كلمة من حديث من الأحاديث الموضوعة التي لفقوها على المدائن والأمصاّر وهذا الحديث هو «طوبى لمن رأى عكة» والظاهر ان بلاطته كانت ملصقة على قبة العين والاحاديث الموضوعة عن عكاء او عكة كثيرة سردها الشيخ محمد بن شيخ الاسلام جعفر الكتافي الحسيني في كتابه (شفاء الاسقام والآلام بما يكفر ما تقدم وما تأخر من الذنوب والآثام) ونفاها نقياً باتاً^(١) .

(١) شفاء الاسقام من ٤٣ وهذا نص ما ورد في الكتاب :

«الخلاصة الخامسة والعشرون . منها دخول مدينة عكاء بالمدة ويقال لها عكة بناءً للنائب وهي بلدة مشهورة من الثغور الشامية وكأنه للرباط فيها ان صحت الرواية

وعلى ذكر الأحاديث الموضوعة عن المدن والامصار أريد ان أجاهر برأيي ربما أثار غضب الجامدين . وهو ان هذه الأحاديث قد وضعت لأغراض سياسية شريفة وألبست ثوباً من الدين والدين سلطان تخضع له النفوس وتعنو أمامه الرقاب والغاية من ذلك هو حمل المسلمين وهم في بدء حياتهم السياسية على احتمال المشاق ، وتكبد الاسفار . وإحكام الدفاع عن الثغور والبلدان التي كانت لها ميزة حربية إذ كان من الصعب ان يستسهل المسلم البدوي الضارب في عرض الارض الساكن في بهوت الشعر الدخول الى القفص والاقامة بين الجدران لولا ذلك السلطان الديني .

ولنرجع الآن الى ما كنا عليه من التعليق على الرحلة : قال الرحالة (ص ٧٠) انه اجتاز بقرية برة ودمون وعبلين قبل ان يصل الى قرية حاضرة والقرى الثلاث الاولى لم يذكرها ياقوت ولكنهم الاتزال أهلة فالاولى وتسمى البروة عدد سكانها ٨٠٧ والثانية وتسمى الدامون بزيادة الف بين الدال والميم وسكانها ٧٢٧ والثالثة عبّابين وسكانها ٨١٧ نسمة . اما قرية حاضرة^(١) فأظن انها محرفة عن كفرمندة وهي التي فيها قبرا امرأة موسى كما ان جهة اربيل او اربد هي من ممتات تلك القرية التي فيها أيضاً قبور بعض ابناء يعقوب . وهذا ما يقوله ياقوت عنها^(٢) : كفرمندة قرية بين عكا وطبرية بالأردن يقال

بذلك ذكرها ابن حجر والخطاب ولم يذكر السيوطي . اخرج ابو الحسن الربيعي سيفه فضائل الشام ايضاً عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مدينة بين الجبلين على البحر يقال لها عكا من دخلها رغبة فيها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن خرج منها رغبة عنها لم يبارك له الله في خروجه وبها عين تسمى عين البقر من شرب منها ملأ الله بطنه نوراً ومن أفاض عليه منها كان طاهراً الى يوم القيامة قال الحافظ بن حجر حديث منكر جداً وفي استاده غير واحد من المجهولين قال الخطاب وفي الفاظه ركافة وآثار الوضع ظاهرة عليه اه . وهو حقيق بذلك كما لا يخفى على من مارس السنة وعرف جزالة الفاظها ومقاصد الشرع منها ومما يشبه ان يكون موضوعاً ايضاً ما ذكره الجوهري في صحاحه من حديث « طوبى لمن رأى عكة » .

(١) معجم البلدان ج ٤ ص ٢٩١ وعدد سكانها اليوم ٤٢٧ نسمة . (٢) في الترجمة

الانكليزية اقرأ حذيرة او هذيرة .

لها مدين المذكورة في القرآن والمشهور ان مدين في شرقي الطور وفي قرية كفر منددة
قبر صفوراء زوجة موسى عليه السلام وبه الجب الذي قلع الصخرة من عليه وسقى لها
والصخرة باقية هناك الى الآن وفيه ولدان ليعقوب يقال لها أشير ونفتالي .

واظن ان قوله (ص ٧٢) «وبلغني انه يستخرج من قعر بحيرة طبرية مادة في شكل
البيضة لونها اسود وتشبه الحجر ولكن ليس لها صلابته فتستخرج وتكسر وتحمل الى المدن
والولايات» يجب ان يكون مصروفاً الى بحيرة لوط فهي التي عُرِف عنها منذ ارسطو الترن
الرابع للهجرة انها تخرج ملحاً يصلح للصاغة وقير يسمى بالحر وهو قفر اليهود^(١) وقد اورد
الرحالة هذه العبارة بعد ذكره للبحيرة لوط وبها ختم حديثه عنها .

ويؤيد هذا الظن تعريب الترجمة الانكليزية لهذه العبارة فقد اورد المترجم
وهو يسوق الحديث عن بحيرة لوط :

« وقد اخبرني احدهم ان في مياه هذه البحيرة المالحه مادة تجمع من زبد المياه لونها
اسود تشبه في هيئتها جسم ثور عائم وهذه المادة (وهي الاسفلت) تشبه الحجر غير انها
اقل صلابه منه والناس يكسرونها وبعثون بها الى المدن تستعمل في قتل الديدان
والحشرات » .

وقبر ابي هريرة (ص ٧٣) لم يبق منه اليوم الا لوحه الذي زُبر عليه :
« هذا قبر ابي هريرة صاحب رسول الله » وهذا اللوح محفوظ في ضريح السيدة
سكينة الكائن بين مدينة طبرية وبين حماماتها المعدنية .

وقد افادنا بعض العارفين ان هذه البلاطة وُجِدَت في الايام الاخيرة الى جانب
محراب قديم في الطابق السفلي من دار كانت لرجل يدعى عبد الله الحسين باعها من
آخر يسمى مصطفى سنجو فدرس المحراب والبناء القديم ونقلت البلاطة الى ضريح
السيدة سكينة . وعلى ذكر ابي هريرة يجدر بنا ان نصح ما يذهب اليه بعضهم من ان
قبره في طبرية كما ذكره هذا الرحالة او في الرملة كما ذكره غرس الدين خليل بن شاهين
الظاهري^(٢) او في قرية بُبْنِي من قرى مقاطعة غزة من فلسطين كما ذكره العماد

(١) المسالك والممالك لابن خرداذبة (ص ٧٩) واحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم
للمقدسي (ص ١٨٤) . (٢) زبدة كشف الممالك وبان الطرق والممالك (ص ٤٢) .

الاصفهاني الكاتب الذي يقول انه زاره وجيش صلاح الدين يوسف بن ايوب وبادروا للتين به اليه في طريقهم الى عسقلان^(١) وكما كان ذكره ياقوت في معجم البلدان (ج ٤ ص ١٠٠٧) اذ يقول « فيه قبر صحابي بعضهم يقول هو قبر ابي هريرة وبعضهم يقول قبر عبد الله بن ابي مروح » وقد نفى مجير الدين الحنبلي مؤرخ القدس والخليل (ج ١ ص ٢٣٣) وجود قبر ابي هريرة في بيتي وقال عنه هو بعض ولده .

والحقيقة ان ابا هريرة قد توفي في قصره بالعقيق وحمل الى المدينة ودفن فيها^(٢) ولكنه من أجله اصحاب الرسول الذين كانوا يرافقونه في خلاته وجوانه ومن الذين دخلوا الارض المقدسة ابان الفتح الاسلامي .

وقرية كفر كذا (ص ٧٢) التي عاد منها الرحالة الى مدينة عكا لاتزال آهلة وقد ضبطها ياقوت في معجمه^(٣) بالالف خلافاً للرحالة التي ضبطها بالتاء المربوطة وهي اليوم على قارعة الدرب المسلولك بين الناصرة وطبرية وعدد سكانها ١١٧٥ نسمة .

والكنيسة التي جاءها الرحالة بعد حيفا (ص ٧٢) لا وجود لها اليوم وانما في الجانب الغربي من قرية الطيرة التي كانت تسمى قديماً طيرة اللوز وعلى ساحل البحر المتوسط خرابة تدعى الكنيسة وآثارها تنطق بممرانها القديم ولعل اهل هذه القرية هم الذين انشأوا قرية الطيرة المحاذية لها إثر حادث من حوادث التاريخ فانقلبوا من الشاطئ الى سفح جبل الكرمل وتربة هذه القرية التي تحوي ٢٣٤٦ نسمة من السكان خصبة وحارة ويجود فيها البطيخ وتسبق جميع بلاد الساحل باستواء زروعها ونفج غلاتها لاسيما الزيتون .

اما وادي التماسيح الذي يأتي بعد الكنيسة (ص ٧٢) فعلى ما اظن هو زور الزرقاء وهناك نهر صغير تعيش فيه التماسيح وقد شغل بالي وجودها في ذلك النهر الصغير مدة طويلة وبحث عن علة وجودها فيه فقبل لي ان جيش ابراهيم باشا لما قدم الشام من مصر خيم في تلك الارض الفسيحة فأخذت الحميات الناشئة عن البطائح والمستنقعات المتكونة من مجرى النهر الهادي فملك يجنوده مما حمله على نقل بعض التماسيح من نهر النيل اليه

(١) الفتح القدسي طبع مصر (ص ٣٠٥) . (٢) الاصابة في تمييز الصحابة (ج ٧

ص ٢٠٧) . (٣) معجم البلدان (ج ٤ ص ٢٩٠) .

لتلنقط جراثيم البعوض من البطائح فيأمن بذلك مغبة انتشار الحمى وكدت ان أقبل هذا الرأي لقربه من العقل وكانت يؤيد ذلك عندي ما اعلمه من اسم التماسيح وانها لا توجد الا في نهري النيل ومهران في مصر والهند^(١) ولكن هذه الرحلة قد كشفت لنا الغطاء وأثبتت وجود التماسيح في ذلك الوادي قبل قرون متطاولة وان لم تصرح بوجودها. الا ان تسمية المكان بوادي التماسيح لاتدع مجالاً للشك والارتياب في نسبته اليها . ولم يذكر ياقوت الحموي وادي التماسيح في معجمه .

اما قيسارية (ص ٧٣) المذكورة في معجم البلدان لياقوت^(٢) والتي حافظت على كيانها وعماراتها دهوراً طويلة فهي اليوم قرية حقيرة عدد سكانها ٣٤٦ نسمة . ومن المستبعد على الرحالة اي يشبه الرمل الذي بين قيسارية وبين كفر سابا برمل مكة ونرجح انه شبه برمل عكة وقد وصفه (ص ٧٢) بانه يستعمل للصياغة في بلاد فارس^(٣) .

اما كفر سابا التي ذكرها ياقوت^(٤) فهي اليوم من القرى الصغيرة وعدد سكانها ٥٤٦ نسمة وقد قرن الرحالة كفر سلام بكفر سابا ظناً منه انها واحدة مع ان ياقوت^(٥) أفرد لكل منهما مادة مستقلة ولا أثر اليوم لكفر سلام .

وقد جاء في وصف الرملة (ص ٧٣) « وتعرف هذه المدينة في الشام والمغرب باسم فلسطين » والى جانب فلسطين « كذا » مما يدل على ان المترجم لم يتثبت من هذه التسمية مع ان بعض جغرافيي الغرب ورحالتهم ذكروها بذلك الاسم ومن هؤلاء ابن بطوطة^(٦) فقد قال « ثم سافرت منها الى مدينة الرملة وهي فلسطين الخ » وقال ابن فضل الله العمري^(٧) « الرملة وهي فلسطين » ويظهر ان هذه التسمية هي من قبيل اطلاق الجزء على الكل او الفرع على الاصل .

- (١) احسن التماسيح (ص ٢٣) . معجم البلدان (ج ٤ ص ٢١٤) . (٣) في الترجمة الانكليزية يقول ان رمل قيسارية هو من النوع الذي يسمى رمل مكة . (٤) و (٥) معجم البلدان (ج ٤ ص ٢٨٨) . (٦) تحفة النظار في غرائب الامصار (ج ١ ص ٣٥) . (٧) التعريف بالمصطلح الشريف (ص ١٧٧) .

وخطون التي ذكرها الرحالة (ص ٧٤) هي مصحفة عن أطرون المذكورة في معجم ياقوت (ج ١ ص ٣١٠) وتعرف اليوم بالأطرون كما علق على ذلك العلامة الرئيس وعدد سكانها اليوم ٥٩ نسمة ويحاط بها دير يسمى دير الاطرون عدد سكانه ٣٧ نسمة .
وقرية العنب التي ذكرها بعد أطرون (ص ٧٤) معروفة اليوم باسم قرية ابي غوش جد ابدالبيوتات القديمة وفيها من السكان (٥٤٨) نسمة وهذه القرية قد ذكرها ياقوت في معجمه ^(١) باسم حصن العنب وهي في الشرق من الرملة حيث طريق بيت المقدس التي سلكها الرحالة .

هذا وقد ورد في ثانيا النعرب اسماء لمقاييس فارسية مثل آرش وكوز وكز وهذان الاخبار يجب ان يكونا شيئاً واحداً — بهم القاري معرفتها ولذلك فاننا نبسط للقاري ما استنتجته عنهما السيد جاي لاستراخ (Guy Le Strange) الذي ترجم الرحلة من الفارسية الى الانكليزية فقد قال في الصفحة التاسعة من مقدمته ان الآرش والذراع متعادلان وان الكوز عادل احياناً البرد الانكليزي واحياناً الذراع العربي وانه هو والآرش في رحلة ناصر خسرو شيء واحد اه .

قلنا والظاهر من استعمال الرحالة لهذين المقياسين في مواضع مختلفة ان الآرش للمساحات المسطحة والكوز للأطوال والعروض . اما الترجمة الانكليزية التي اخذنا عنها فقد طبعت سنة ١٨٨٨ م في المجلد الرابع من الرحلات التي نشرتها (Palestine Pilgrim Text Soc.) وهي مترجمة عن نسخة المتحف البريطاني في لندن . وقد حدثت أغلاط مطبعية في أرقام السنين في مجلة المجمع فقيل ان الرحلة ابتدأت سنة ٤٣٧ هـ ١٠٣٥ م وصوابها ٤٢٧ هـ وانتهت سنة ٤٤٤ هـ ١٠٤٢ م وصوابها ٤٣٤ هـ كما ينضح من الارقام الاخرى المعربة عن الرحلة والواردة في سياق الكلام .

هذا ما اردنا تعليقه على رحلة ناصر خسرو وعلى الله قصد السبيل .

حيفاً : عبد الله مخلص



(١) معجم البلدان (ج ٢ ص ٢٧٧) .

مطبوعات حديثة تحت راية القرآن

« المعركة بين القديم والجديد » بقلم السيد مصطفى صادق الرافعي طبع بالمطبعة
الرحمانية بمصر ١٣٤٥ - ١٩٢٦ بعناية المكتبة الاهلية ص ٤٣٧

لما نشر المرحوم قاسم امين كتابه «تحرير المرأة» ثم «المرأة الجديدة» في مصر قام بعض المفكرين والادباء وألقوا في الرد عليه بضعة كتب ميزت الامة عقبها الخطي من المصيب . ولما ألف الاستاذ السيد علي عبدالرازق كتابه في الخلافة قام بعض الفضلاء فردوا عليه ونشروا ايضا عدة كتب في تخطئته فعرف المنصفون الخطي من المصيب . ولما نشر الاستاذ الدكتور طه حسين في السنة الماضية كتابه « في الشعر الجاهلي » قلنا في وصفه (ص ٢٤٠ م ٦) : « ولا شك ان كتابه سيجد من مخالفه مقاومة شديدة يرجع العلم الحديث عقباها كتاباً آخر يناقض هذا الرأي وعندئذ يخسر الدكتور طه قضيته او يرجحها » . وهذا الكتاب « تحت راية القرآن » احد الاسفار التي نشرت في مصر للطعن في رأي صاحب الشعر الجاهلي ، ابان فيه المؤلف بما عنده من النصوص ان خصمه مخطي في كل الخطا في رفع الثقة من جميع ما قيل في شعر الجاهلية وأظهر ما ارتآه من مخالفة اقواله للشريعة والقاء الشكوك في تاريخ الامة ، بيد انه استعمل لساناً حاداً في التخطئة والنقد ، كادت تحيل كتابه الى قصة يراد بها السخرية والنكسة ، لا الفائدة المتبغاة من تقرير حقيقة ، فضاع الجد في تضاعيف الهزل . وهذه طريقة لبعض المؤلفين قلما يعمد اليها الناقدون الذين ينزهون العلم عن العبث ويتوخون الاحتفاظ بجماله وجلاله . ونحن ممن يريد ان ينزه النقد عن التحامل والشخصيات ليحسن موقع القول في نفوس الموافقين والمخالفين . ولا يسعنا هنا الا الثناء على صديقنا المؤلف لعمته وصدق عزيمته ولتبريزه في ميدان البلاغة والبيان ، فان انشاءه الرائق المتين يذكرنا بعهد ارتقاء اللغة العربية في بعض قرونها الذهبية . ونحث على مطالعة كتابه فانه نموذج مهم في الادب الجديد .

محمد كرد علي

الشهاب الراصد

تأليف السيد محمد لطفي جمعة طبع بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر

سنة ١٣٤٤ — ١٩٢٦ ص ٢١٧

هذا بحث تحليلي انتقادي ورد على ناري ينجي على كتاب « في الشعر الجاهلي » وصديقنا مؤلفه احد اركان النهضة المصرية الحاضرة وله تأليف وابحاث كثيرة ونظر دقيق في تطور المدنيات القديمة والمدنيات الجديدة . ساعده عليه تمكنه من آداب العرب والانكليز والفرنسيس وقد تلمظ بتناول الرد على صاحب الشعر الجاهلي باسلوب علمي جمع فيه البراهين على إسقاط دعوى خصمه بلسان الناقد الحريص على اظهار الحقيقة سوزلك على الطريقة العصرية وقسم موضوعه الى ابواب وفصول بين فيها طريقته في نقده وذكر بعض نقاد الادب العربي في القديم والحديث وفن النقد في الآداب الفرنسية قديماً وعلى عهد (بسكال وديكارت) وفي العصر الاخير وشرح مذهب ديكارت واثبت ان مؤلف الشعر الجاهلي القائل بمذهبه والداعي اليه ناقض مذهب في كثير من المواطن وابان ان الشعر الجاهلي مرآة الحياة العربية قبل الاسلام في كل مظاهرها وان الامم القديمة واهل المدنيات الحديثة تعنقد بوجود الجن ، والشعر المنسوب اليهم عند العرب كالشعر الذي يؤلفه المصريون ويتمسون الالهام من ربة الشعر . واستشهد على قضاياه باقوال علماء المشرقيات في معظم الامم الغربية الذين عالجوا الموضوعات العربية والاسلامية وتعرض للعرب وشعوبهم وقبائلهم وانسابهم ولهجاتهم في جنوبي الجزيرة وشمالها وكيف كانت قریش كالمجمع اللغوي تسيطر على لهجاتها وتتهذب اللغة في الاسواق الادبية . والم بفضل لغة قریش على سائر لغات العرب قبل الاسلام والهجاء في اليونانية القديمة واللغة الفرنسية وغيرها وقارن بين العرب واليونان والرومان في الفتوح واورد كيف كانت الشعر في صدر الاسلام وشرف الرسول وسيادة قبيلته ورداً ما ادعاه الاستاذ هوار من ان أمية بن ابي الصلت أثر بشعره في القرآن الكريم ، وما كان من امر الشعوبية والرد عليهم وما قاله علماء المشرقيات في صحة الشعر الجاهلي وذكر ما هيبة الانحلال في الجاهلية والاسلام . كل ذلك يبحث مشبع

بانتزاهة مأخوذ من المظان المعتمدة عند العرب والافرنج دل على رسوخ المؤلف في نيه ووقوفه على روح الامم وروح المؤلفين فمنهته بهذا التأليف الذي هو الثاني من نوعه في نقد قضية الاستاذ الدكتور طه حسين .
م . ك

== ❦ ==

سورية والسوريون

« من نافذة التاريخ »

للدكتور فيليب حتي طبعت سنة ١٩٢٦ في المطبعة التجارية السورية

الاميركية في نيو يورك ص ١٠٧

هذه محاضرات القاها الدكتور حتي احد اعضاء المجمع العلمي العربي في نيو يورك ونشرت في مجلة «العالم الجديد» ذكر فيها اصول الشعب السوري ، وما استغاده الغرب من الشرق في الحروب الصليبية في العلوم والصناعات ومرافق الحياة ، وما بلغته الشام في اعلى قم مجدها في العصر الاموي وذكر فتوحات الامويين ومدنيتهم وفهم الاندلس وما اليها من بلاد البربر في افريقية . وكل ذلك بلسان المؤرخ المنصف وبحقيق عودنا اياه رصيفنا العلامة حتي . وشتات بين من يعمل مثل هذا المؤلف للعلم الخفض وجلاء الحقيقة ، ومن يعمل لنشر دعوة خاصة ونحلة معروفة ويستروء جدران التاريخ وقد لاحظنا عليه فقط قوله في (ص ٣٥) ان العرب المسلمين كان همهم في الدرجة الاولى جباية الجزية وجمع الاموال من ابناء البلاد الاصليين ، وليس من مصلحتهم الاقتصادية ان تدين الامة المغلوبة بدين الغالب اذ الجزية تسقط بالاسلام . فمفذه القضية غير صحيحة لان العرب خيروا الامة المغلوبة بين ثلاثة اشياء « الاسلام او الجزية او السيف » . والدعوة دينية صرفة ولكن « لا اكراه في الدين » وقد عد بعضهم هذا التسامح المحمود ضعفاً وعزوه الى مسائل اقتصادية . ونشكر للرصيف اجتهاده في خدمة امته وبلاده .
م . ك

== ❦ ==

الآراء والمعتقدات

تأليف الدكتور غوستاف لوبون ونقله الى العربية الاستاذ محمد عادل زعير
ونشره الاستاذ الياس انطون الياس صاحب المطبعة العصرية بمصر
هذا كتاب اجتماعي يبحث في مصدر المعتقدات غير العقلي والعناصر التي تتألف
شخصية الانسان من مجموعها ، وفي الارادة غير الشاعرة وفي العراك بين المنطق العاطفي
والمنطق الديني ومنطق الجمهور والمنطق العقلي ، وفي اسباب اختلاف الآراء وانتشارها
وقد قال المؤلف في آخر كتابه : وهكذا توصلت الى ناموس فلسفي مهم وهو ان مبادئنا
تشتق من انواع المنطق المختلفة ، لا من مصدر عقلي مشترك ، فمن تغلب احد هذه
الانواع على الاخرى او تصادمها ظهرت اكبر حوادث التاريخ . . . وكل ما نعرفه
حتى الوقت الحاضر هو اننا مسيروا بثلاث حقائق « أعني الحقائق العاطفية والحقائق
الدينية والحقائق العقلية » وانه لا قياس مشترك بين هذه الحقائق الصادرة عن
انواع المنطق المختلفة .

هذا مغزى الكتاب ، والمؤلف من فلاسفة فرنسا الاحياء مشهور بالبحاث النفسية
والفلسفية والتاريخية لا يحتاج الى تعريف ، اما المترجم فهو من اساتذة نابلس ومن اهل
الثقافة الحديثة ترجم قبل هذا الكتاب « روح الاشتراكية » للمؤلف نفسه ، وعبارته
سهلة مقبولة أشبه بعبارة المؤلف الاصيل في سلاسة قلمه . فنشكر للمعرب والناشر
عنايتهم باخراج مثل هذه الاسفار النافعة للناس ، يزيدون بها مادة البحث والتفكير .
لا جرم ان المعرب المجيد لا يقل في فضله عن المؤلف مباشرة ، وكثير من المباحث
نحتاج فيها اليوم الى التعريب اكثر من الوضع .

م . ك

— (٩١) —

الحديث

مجلة شهرية تصدر في حلب وتبحث في الأدب والتاريخ والعلوم الاجتماعية
اصحابها السيدان سامي الكيالي وادون رباط قال منشئها « نحن لا نريد ان ننكر
هذا الماضي الخالد بذكراته الرائعة — وذكراته هي كل ما بقي لنا من تراث الاجداد —

ولكننا نتساءل أينعنا هذا الحرص على الماضي ان نكون جامدين الى حد ان لا نفهم هذا التراث على صورته الحقيقية . وفي هذا الجزء مقالات مهمة نافعة منها مقالة في الكتابة واثرها في حياة الامم لاحمد لطفي بك السعيد ومدارس الشام في الاسلام للسيد محمد كرد علي والمجلات واثرها لاسماعيل بك مظير . ومن المقالات المعربة « مقالة المدنية الفينيقية » و « ما افاده العلم للانسان » الى غير ذلك من الابحاث والفوائد مما مثل للقاري بدوق وأدب . فنثني على منشئها الفاضل الكيالي ونرجو زيادة العناية بمجلته في تجويد موضوعاتها والتوقي من الاخطاء والاغلاط ما امكن ، حتى تكون مجلة «الحديث» من العوامل المفيدة في نشر العلم ومرجعاً من مراجع الآداب عند العرب .

—•••••—

مرقاة المترجم

تأليف الاب يوسف علوان اللعازري طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٢٦ مجلدان كل مجلد يقسم الى قسمين كتاب المعلم وكتاب التلميذ هو سفر وضعه مؤلفه للصفوف العالية في اللغتين الفرنسية والعربية كسره على مسائل تجارية وقضائية وبعض أمثال وحكم وأشعار وقصص واخوانيات ليلقن الطالب روح الترجمة من الافرنسية الى العربية وقد شفع ذلك بمعاجم صغيرة حوت الألفاظ التي يحتاج اليها الطالب ومصطلحات الشام والغرب في التجارة والقضاء وغير ذلك مما هدته اليه التجارب والمران على الترجمة وتعليمها زمناً ولم نلاحظ على المؤلف الفاضل الا بعض التساهل في اختيار بعض الألفاظ العربية ولعله يتوخى التفهم بالمصطلح ولو كان غير فصيح ذهاباً مع من يقول : « الخطأ المشهور خير من الصواب المعجور » على ان المؤلف يمدح قصده وتشكر همته . وعساه في الطبعات المقبلة يضع هذا المعنى تحت النظر .

م . ك

—•••••—

الجزء الاول

« من مبادي الفيزياء »

تأليف فرنان ماير وتعريب السيد ابي قيس عز الدين علم الدين النوخى

طبع في مطبعة الفرات في بغداد سنة ١٣٤٤ - ١٩٢٦

تخطو اللغة العربية في سبيل العلم بخطوات بطيئة غير انها مطردة تبشر بمستقبل حميد . ومن تلك الخطوات المحمودة « الجزء الاول من مبادي الحنكة الطبيعية » تأليف فرنان ماير الذي عربه بتصرف حسن ، السيد عز الدين علم الدين النوخى عضو الجمع العلمي العربي بدمشق ومدرس الطبيعيات في دار المعلمين العليا والابتدائية ببغداد تحت عنوان « مبادي الفيزياء » وفيه ثلاثة أبواب : هي التناقل وموازنة السوائل والحرارة . والكتاب غزير المادة جيد الاسلوب متقن الطبع جاء في زهاء ٢٣٤ ص . وفيه كثير من الرسوم التي لا يستغنى عنها في درس هذا الفن . فنشكر المؤلف الفاضل الجهد الذي بذله في تعريب هذا الكتاب المفيد الذي سد ثلثة واسعة في كيان التدريس العربي . وقد تصفحت هذا الكتاب فترأى لي في تضاعيف سطوره شيء من الخطأ الصادر عن السهو مما لم يرد ذكره في صفحة التصويب منه .

ص	س	خطأ	صواب
٥٢	١٨	تقدير	تقديره
٨٦	٣	٧٢٨٠٠٠	٨٢٨٠٠٠
١٠٤	١٣	١٠٠٠×٠٦٠٠١٣	٥٠×١٠٠٠×٠٦٠٠١٣
١٣١	٣	٦٧٦٥٥ م	٦٧٦٥٥ سنتيمتر
١٣١	٥	١٣١٦×٧٦٦٥٥	١٣١٦×٦٧٦٥٥
١٤٣	٥	١٠٣٣=١٠-١٠٣٣	١٠٣٣=
١٦٥	١٣	١٨٧	١٨٨
١٨٠	٧	٠ الى ١٥	٠ الى ١٠٦٥

وفي ص ٩٢ في السطر الاخير (اي ثقل حجم من الماء يساوي ثقل الجسم) في

حين ان ثقل حجم الماء المزاح لا يساوي ثقل الجسم . ولعل المؤلف يريد ثقل حجم من الماء يعادل حجم الجسم .

وفي ص ١٢٠ في مادة تدبير المنطاد ذات الرقم ١٤٥ (في بدء الامر يحمل المنطاد اكياساً من الرمل تقوم مقام الصابورة فاذا اراد الطيار الصعود التي شيئاً من صابورة منطاده) فان لفظة الصعود في هذه الفقرة مطلقة في حين ان المعنى المقصود هو غير الصعود المطلق فنعماً للالتباس ارى ان تعين جهة المصعد .

وفي ص ١٢٢ في السطر الثالث (اذا تحرك سطح في الهواء بسرعة متر في الثانية قاومه الهواء بقوة ٧٥ غم) ولم تعين مساحة ذلك السطح المتحرك في حين ان المقاومة المذكورة مقيدة بالسطح الذي مساحته متر واحد .

وفي ص ١٤٣ س ١٣ (وبما ان ثقل هذا العمود المائي الطويل يساوي الضغط الجوي) في حين ان طول هذا العمود هو ٥٠ سم ومساحة قاعدته سم^٢ واحد فيكون ثقله ٥٠ غم وهذا الثقل لا يساوي الضغط الجوي .

وفي ص ٢١٦ س ١٢ (كانت الفراء والاقشة والصوف والريش من اسباب توقي البرد لانها توصل حرارة الجسم الى الخارج بسرعة) والصواب هو انها لا توصل الحرارة بسرعة الى الخارج .

هذا ما وقع عليه نظري من الخطأ المتعلق في المادة اما ما هو متعلق بالقالب فاني اترك القول فيه لعلماء اللغة في المجمع العلمية . على اني لا اكتم المؤلف الفاضل رأبي في هذا الموضوع وهو : ان لغة العلم لا سيما المدرسي الابتدائي تستوجب الوحدة المطلقة في جميع الاقطار ذات اللغة الواحدة خشية عدم تفاهم ابناء الامة الواحدة مما يعمل على تفرقها ويحدد فائدة المؤلفات التي توضع في كل قطر من اقطارها . وخير للامة ان لتعارف بكلمة اجنبية من ان لا تفاهم بالفاظ فصيحة . فليت المؤلف الفاضل ألف ما بين الافكار على قبول المصطلحات التي استحسناها قبل نقشها في أذهان الطلبة لا سيما وان منها ما قد يقع الخلاف في قبول استعماله كاشتقاق اسماء الموازين والمقاييس على وزن مفعال كحمرار ومرطاب ومرواج ومرواز ومملاح الخ . وذلك لاسباب منها : ان في هذه الصيغة معنى الفاعلية النوعية فاذا قلنا محرار يفهم منه آلة تحدث الحرارة مع انها

آلة مفعولة للحرارة ومنها ان هذه الصيغة لا تدل على معنى الوزن او القياس بل هي تدل على معنى الآلة فحسب . ومنها ما يتولد من الالتباس في فهم كثير من الاسماء التي هي على هذا الوزن فلا يتبين هل يراد بها معنى القياس والوزن او الفاعلية النوعية . كمنفاخ ومصباح ومقلاع الخ . مما يفضي الى التساؤل بل حسب سياق الكلام ، وهذا تجه لغة العلم وتأباه . ومنها الخروج عن المتعارف في القطر السوري والمصري بلاهر لان الفاظ ميزان او مجس او مقياس الحرارة والضغط مثلاً الخ المصطلح عليها فضيحة صريحة . فعسى ان يلاحظ المؤلف الفاضل تلك الهنات في تعريف الاجزاء الباقية التي ترقب خروجها الى حيز الوجود في وقت قريب تعميماً لخدمتها ولغة العربية وابنائها .

اسعد الحكيم
عضو المجمع العلمي العربي

اخبار الحق والمعلمين

للعلامة الحافظ ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى ببغداد سنة ٥٩٧ هـ
طبع في مطبعة التوفيق بدمشق سنة ١٣٤٥ (ص ١٧٢) . ويطلب من

السيد صلاح القدسي بدمشق

نشرنا في السنة الماضية ثلاث مقالات (مجلة المجمع م ٦ ص ١٩ و ٥٥ و ١٢٢) في وصف هذا الكتاب ، وبيننا فيه من النكات والألفاظ والمعاني ، واقتبسنا منه طرفاً صالحاً . ويقينا ان القراء ما زال على بالهم ما قرأوه بشأنه ، وقد أحسن احد أدباء هذه العاصمة بطبعه مأخوذاً عن نسخة دار كتبنا معارضة بنسخة ثانية كانت العلامة الامير شكيب أرسلات استنسخها من مكتبة المدينة المنورة . وصدر الناشر هذا الكتاب بمحاضرة الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي احد اعضاء المجمع العلمي في هذا السفر وما حواه من البدائع . وقد التزم الناشر طبع اخبار الحق والمعلمين برمته لم يحذف منه ما ربما يشتمز منه بعض المتأدبين من العصر بين فعمد الى الامانة في النقل وهي من جيد المنازع وكنا نود لو شفعه بفهرس للاعلام والقوافي والموضوعات على

الطريقة التي جرى عليها علماء المشرقيات في طبعهم كتب العرب ليسهل متناولها على كل مطالع ومراجع .

م . ك



ذكرى شكسبير

نظم الدكتور احمد ذكي ابو شادي طبع في المطبعة السلفية بمصر (ص ٣٣) مجموعة شعرية نظمها الدكتور الفاضل بمناسبة فتح ممثلي «تياترو» شكسبير التذكاري نقديراً لزيارته شكسبير شاعر الانكليز الاعظم ، وآثاره الخالدة ، وقدم مثل بعضها بالعربية ونقل بعضها ولكن من الصعب نقل شعر الى شعر ومما قاله في عبقرية شكسبير :

فان الحياة كعوج الضياء	تشق الفضاء وتطوي البحارا
ولن يعلم الناس ما اصلاها	اكانت حجي في العلي ام غبارا
ولكن لعقلك اني الضمين	فقد كان كاور حيا وزارا
فما لوئنته ذنوب الانا	مولا كان الا السنا والارارا
اشعته عمرها كالزما	ن تبث الرجاء ونقصي البوارا
وتهدي حرارنها للنفو	س وجودا جديدا وكونا مدارا

م . ك



مجلد المجلد العربي

(دمشق) : آذار سنة ١٩٢٧ م الموافق رمضان سنة ١٣٤٥ هـ ٧٥

تاريخ الزراعة

« في بلاد العالم العربي ^(١) »

للبلاد التي يتكلم سكانها العربية اليوم ماضٍ آخر ومدنية موطودة الأسس قامت في وجه الدهر فعاركتها آلافاً من السنين يوم لم يكن الا هي كوكبٌ يسطع في حلك الجاهلية والوحشية . ومن عربية او جزيرة العرب موطن الساميين الاصلي نزحت أجيال عظيمة وأُم شني في دهور واغلة في القدم فألقت عصاها في سقي الفراتين فنشأت كلدية وعيلم وآشور ، ومنهم من اكتسح ديار الشام فنشأ الفنيقيون والكنعانيون فليس إذن من الغرب ان يقول العالم مسيو رينجلمان (Ringelmann) « ان جزيرة العرب في التاريخ المتراخي الآفاق كالكأُس كلما تملأت سال منها الى الشمال رجال » . وتمدن كلدية أقدم من تمدن مصر ولم ينشأ تمدن مصر سِوى القرون القديمة الا على اثر موجة بشرية امتدت من كلدية الى مصر حاملة معها الحضارة والعرفان ولذا قال مسيو مورغان (Morgan) « أبقت وانا في وادي النيل ان طلائع المدنية سِوى اوائل عهد المملكة المصرية وردت من كلدية فيكون سقي الفراتين إذن مهد رقي البشر » . وقال المؤرخ الشهير مسيرو (Maspero) « لرؤوس المصريين الاقدمين والعرب والفنيقيين والكنعانيين روابط تشد بعضها الى بعض وليس المصريون غير ساميين انفصلوا عن مهد الساميين قبل غيرهم » . ولقد كان من الواجب ان أبدأ خطابي بزراعة

(١) محاضرة ألقاها الأستاذ صاحب الامضاء سِوى ردهة الجمع العلمي بدمشق

بمناسبة انتخابه عضواً فيه .

أم العراق لولا ان تاريخ التمدن المصري القديم قد استبان قبل تاريخ الحضارة في بلاد الرافدين ولذا أبداً بمصر على عهد اقدم ممالكها المعروفة اي منذ نحو ٦٠٠٠ سنة الى نحو ٥٠٠ سنة قبل الميلاد . ولا بد لي قبل ذلك من التنويه بان ما ألقبه عليكم أيها السادة ليس سوى رؤوس أقلام لان الموضوع فضفاض يملأ كتاباً برأسه .

الزراعة في عهد المصريين . — اشتهرت مصر على عهد الفراعنة بزراعة الحنطة والشعير والفول والبرسيم والكتان والقنب وكثير من البقول كما اشتهرت بغرس الكرمه واشجار الفاكهة . واهم هذه الاشجار مما رسموه على هيسا كلهم القديمة الزمان والشمش والزيتون والدراق والتين والتفاح . وورد في التوراة ان العبرانيين بعد خروجهم من مصر اسفوا لفرافهم ما لذ وطاب فيها من الخوخ والبطيخ الاصفر والبصل والثوم . وقال هيرودوتس : « ان المصريين كانوا مكلفين بزرع الذرة البيضاء خاصة وانهم ما كانوا يقيمون لحبز البر وزناً ، اما الفول فما كانوا يألفون زرعه وهم لم يزرعوه الا للاتجار والمقايسة » . وذكر غوستاف اوزه (G. Heuzé) ان المصريين كانوا يزرعون قصب السكر واللوبياء والبامياء والفاقاس والفسفاش الذي منه يستخرج الافيون كما انهم كانوا يستخرجون الصمغ العربي من السنط النيلي . ولم يجد علماء الآثار اثرًا للمنسوجات القطنية في اقدم ايام مصر لكن بلينيوس يقول ان القطن كان يزرع في مصر العليا ولعل ذلك في ابامه . واشتهرت مصر في نبات النيلوفر والقصب والبردي وكانت ساق البردي تبلغ خمسة امتار احياناً يستعملونها في البناء وفي صنع أحذية للكهان وفي غير ذلك . ومن الياف سوق البردي كانوا يصنعون الورق .

وكانوا يربون البقر والمعزى والحمر والخنازير . اما الخيل والابل فما كان لها اثر في اقدم ايامهم بخلاف التماسيح والكركدن ويظهر ان موجة العرب الرعاة الذين يدعون هيقسوس ساقط الخيل الى مصر في نحو القرن العشرين قبل الميلاد ولذا بدأت آثار الخيل تظهر في السلالة الثامنة عشرة . ولم تألف الخيل اقليم مصر باديء بدء فكانت تمس الحاجة الى نقلها من الشام من حين الى آخر . لكنه اتى بعد ذلك زمن كان لتربية الخيل فيه شأن كبير حتى ان الملك سليمان كان في كل سنة يبتاع من مصر عدداً عظيماً من الخيل يستخدمها في قضاء حاجاته او يبيعها من ملوك الحبش وغيرهم .

من الخيل
التي
كانت
تمس الحاجة
الى نقلها
من الشام
من حين الى آخر

وكانوا يعتقدون ان الآله اوزيريس هو الذي علمهم صنع ادوات الحرث وتجهيز التربة وغرس الكرمة والأشجار المثمرة وحصد الذرة والشعير وان امرأته ايزيسا علمتهم الطحن والخبز والنسج وكانوا قبل ذلك نصف وحشين يأكلون لحم الانسان ويقتاتون من ثمار الارض فالآله اوزيريس هو رب المعول والمحراث عندهم .

والمصريون الأقدمون من أقدر الشعوب على معالجة الارض العطشة بالأسقاء والارض المستنقع بصرف النقم عنها . ولهم حنكة في صنع الاسداد والحواجز لان ارضهم قحلة لا تنبت ولا تكون مغلالاً الا اذا رويت بماء النيل .

وكان القساؤون باعمال الحرث والزرع العبيد والحير والبقر ثم الخيل بعد حين . فالعبيد كانوا كثراً رجالاً ونساءً وجلهم أسرى يساعون مع الارض ويشرون ولهم حصة من المحاصيل كأنهم شركاء بالمزراعة ولكن مقسورون على العمل في الارض . ومن الغريب ان المصريين الأقدمين كانوا يكرهون الحر ويضطهدونها معتقدين ان الشر متجسم فيها مع انها من انفع الحيوانات الدواجن . اما الابقار فكانت مقدسة فلا تذبح ولا تؤكل واكهم احسدوا غيظاً من اليونانيين عقب استيلائهم على مصر اذ شرعوا يذبجون الأبقار ويغتذون من لحومها . وقد كف المصريون عندها عن استعمال السكاكين خشية ان يكون اليونانيون عاجلوا بها ذبح البقر .

ومحار بشهم ومناجلهم شبيهة بامثالها اليوم . وكانوا يحصدون بالمناجل السبل وحده دون سوق الزرع لا سيما اذا كان الزرع متأصراً او مستأسداً . ويدرسون الحصاد دوساً بارجل البقر الا الذرة فانهم كانوا يزعرون حبها بآلة لها أسنان كالمشط . وقيل انهم عرفوا النورج واستعملوه لكنه لم يعثر على رسوم قديمة لنم عنده . ومما لا ريب فيه انهم عرفوا الحميرة واستعملوها منذ أقدم ايامهم .

ومساكن الفلاحين الاولى بيوت صغيرة من قصب . ثم بنوا بالخشب فبالطين والآجر . ولا شبابهك لبيوتهم غالباً وان فتحوا شبابهك فبالسقف الجريان الهواء . وكانوا يبنون البيوت قرى بة بعضها من بعض فنشكوت منها قري مقسمة الى حارات . ونذر بناؤهم بيوتاً منعزلة .

اما من حيث الضرائب فكانت تجبي غلة . وجاء في التوراة ما يستنتج منه ان

يوسف أوجد ديواناً للتأمين وآخر للمساحة والإحصاء وأنه جبي الغلات ووضعها
لا سيما الخنطة في مخازن عظيمة ثم فرقها في فقراء المصريين في سني المجاعة . وفي آخر
سني الجذب جبي يوسف من المصريين خمس غلاتهم حتى كآث مصر صارت كلها
ملكاً للدولة . وهو أول من أوجد مفتشين للزراعة وليت المال مع كل ما يتعلق بهم
من نظار وجباة وكتاب وذلك لمعرفة مساحة المستغلات وجباية حصة الحكومة من
الحاصل على وجه الضبط .

و يفيد قبل انهاء هذه الخلاصة في زراعة مصر بين الأقدمين ان اذكر اقوال بعض
العلماء فيما كان يعرفه هذا الشعب العربي في المدنية من العلوم والمعارف . قال هيرودوتس
ان الآلهة والعبادة والشرائع والعلوم والصناعات والتعاليم الاجتماعية كلها ولدت على
شاطئ النيل . وجاء في الأساطير ان النبي موسى درس علومه في مصر وان ابراهيم هبط
مصر لدرس مدنيتهما . وقال رنجلمان ان مصر مهد العلوم والفنون وأنه يعزى اختراع
الحساب والهندسة الى المصريين . و يظن اسحق نيوتن (Newton) ان الآله توت
وزير سيزوستريس هو الذي اوجد الهندسة لمعرفة حدود الارض واقسامها كما عادت
المياه الى مجاريها بعد فيضان النيل . وعلى ذكر ذلك اقول انه لا يزال اقباط اليوم على دربة
عجيبة في معرفة مساحة الارضين بالقصبة وأجزاءها دون استعمال اداة هندسية . هما تكن
الارض منعرجة . وذكرا قليدس وغيره من علماء يونان غير مصر ان مصر مهد الهندسة .
وقال ارسطوطاليس في فلسفته (ما وراء الطبيعة) « ان الرياضيات نشأت في مصر لان
كهناتهم كانوا في معزل عن شواغل الحياة اليومية فأمكنهم الانقطاع الى الدرس » .
الزراعة في العراق . — قلت ان مدنية سقي الفرائين اقدم عهداً من مدنية مصر
لكن ما استبان منها في عهد كلدية وعيل واشور لا يمتد الى ابعد من ثلاثة آلاف سنة
قبل الميلاد ، فكلما اذن يختص بزراعة أقوام العراق منذ ذلك العهد الى استيلاء
الفرس سنة ٥٣٩ قبل الميلاد . وقلت ان سكان العراق الأصاين نزحوا اليها من جنوبي
جزيرة العرب وكانوا بشكون لغة قريبة من الآرامية والفنيقية . وقد وجد سيف عيل
آثار ترجع الى ما قبل التاريخ اي الى عصري الحجر والخماس .
وكان الكلدانيون يعتقدون بوجود غول أو آله اسمه نرود او اوانس (Oanès)

شبيه بآله المصر بين اوزيريس ، منه يستمدون العلوم والآداب والصناعات والهندسة والزرع والحصاد وتشبيد الأبنية والمعابد . اما الفلاحة فلها آله خاص اسمه نينيب (Ninib) . ويعتقدون بان البشر ما كانوا يعملون بما يوحيه ثرود اليهم ولذا انقمت الآلهة فأوجدوا الطوفان . وقد نشر مستر سميت (Smith) صفائح وجدت في نينوى وردت فيها قصة الطوفان وفلك نوح .

وكان سكان كلدية وعيلم وأشور يعرفون كثيراً من النباتات التي تزرع ، ويرى كثير من علماء النبات ان آسيا الغربية وخصوصاً الشام والعراق وفارس تعد المهد الاصلي لعدد عظيم من اهم النباتات واعظمها فائدة للانسان كالحنطة والشعير وغيرهما ولقد نشرت منذ سنين مقالاً في هذا الصدد ذكرت فيه انه عثر على الحنطة البرية جنوبي الشام منذ عهد قريب وانني النقطت منها كثيراً من السنبال . وما كان يزرع في العراق الفول والعدس والحمص والحبلة والجلبان والخشخاش والكتان والسمسم والخروع والقرطم والفوه والخس والهندبا والاسباناخ والرجلة وقره العين والجزر والبصل والثوم والباذنجان والبايمايا والبطيخ . وفي آثارهم رسوم شبيهة بالدباب والسنط والسرو والطرفاء . واشتهر من الاشجار والشجيرات المثمرة الخوخ والشمش والكرز والاوز والنفاح والرمان والتين والكمثرى والزيتون والكباد والفستق والتخيل . قال توفراستس انهم كانوا يغرسون الكباد ويسمونه نفاح ميديا او نفاح فارس . وقال استرابون « يسد التخيل كل حاجات الأهلين لانه يصنع منه نوع من الخبز ونبذ وخل وعسل ورب ومائة نوع من الانسجة » هذا وكل جزء من النخل له فائدة فقد ذكرت في كتاب (الاشجار والانجم المثمرة) انهم يصنعون حصراً وسلاطاً من وربقات الخوص وأسرة من الجريد ومكانس من مدقوق قواعد الجريد وحبالاً من الليف المحيط بهذه القواعد ثم ومن أعواد العراجين بعد دقها الخ .

ويعرف سكان كلدية وعيلم بسكونهم وانكبتهم عن الشر وحبهم للفلاحة . وهم أوجدوا مدينتهم من أساسها . اما الاشوريون فانهم اقتبسوا كل معارفهم عن الكلدانيين الا صنعة الحروب فلم فيها حذق ودهاء وكانوا غزاة سفكة لا يرحمون احداً . وكان أقوام العراق في تلك العصور يعدون الارض ملكاً للآلهة ولبن يمثلهم اي

للملوك . وهؤلاء يهبونها لارباب الوجاهة وأفراد الشعب فيستغلونها او يبيعونها او يقسمونها بين ورثتهم . ومنهم من كانوا يستغلون الارض مباشرة وآخرون بواسطة عبيد مزارعين . وكانت ضريبة الارض تجبي غلة فتوضع في أنابيب شيدت في انحاء البلاد يقوم عليها جيش من عمال بيت المال . وكانوا يخطون بالقلم المساري علومهم واساطيرهم وما يهمهم حفظه في صفائح من طين مُمَلَأً وترسل الى الخزافين فيشؤونها فتلصق كل الصلابة اذ منها ما مر عليها ٤٠ الى ٥٠ قرناً وهي لا تزال جلية تسهل قراءة ما كتب عليها . قال المؤرخ مسبرو « وكان اكل ارض صفيحة من خزف دوتت فيها مساحتها واسم صاحبها واسم اصحاب الارضين المجاورة لها وما فيها من القنوات والأنهار والبيوت الخ . وكثيراً ما كانوا يضيفون الى الصفيحة مخططاً يستبين به ما يشكل ادراك موضعه . وليس من الصعب بعدما ذكر ان يكون في مستطاع رجال بيت المال في كلدية وضع ضريبة الارض على أسس وطيدة » . والكلدانيون من امهر الأمم القديمة يمسح الارض بها تكن موجة فتلقد كانوا يرسمون مخططات للزراع والمدن وبلغ من جرائهم ان حاولوا رسم مخطط للكرة الأرضية اولما كانوا يعرفون منها .

وذاعت شهرة الشرائع التي سنّها حمورابي وهي ترجع الى نحو ٢٢٠٠ سنة قبل الميلاد . ومن الجائزها المزارعة والاسقاء ورعي الماشية وقلب الحافل ميافل واستيجار الرجال والحيوانات وادوات الزراعة وعقاب من يعذبون الرجال والماشية واجور العمال وشراء العبيد وحقوق السادة والعبيد المتقابلة والحقوق التجارية الخ وقد ذكرت كل هذه المواضيع العمرانية المهمة بعدل وحكمة . وكانوا يحفظون هذه الشرائع وامثالها في خزانات مقدسة يتعاهدها الكهان اي علماء ذلك الزمان، ويغلب على الظن ان اليونانيين اقتبسوا منها خلاصة ما تركوه للأعقاب في هذه المواضع .

ومواشي الكلدانيين الأبقار المعروفة والأبقار ذات السنام والخليل والحمير . اما محاريبهم فشبيهة بمحاريب المصريين والمحاريب البلدية في هذه الأيام . وكذا آلات الحصاد والدراس .

وانى ملوك الكلدانيين باعمال عظيمة في إسقاء الارض ففتحوا الانهار وشقوا منها الجداول لتغفل مياهها في الارض بينة وبسرة . وثفاخروا باعمالهم هذه وأطلقوا

اسمهم على الأنهار كنهر حمر الشهير . ويكفي اليوم ان تعاد هذه الانهار والجداول الى سالف عهدها حتى يصبح العراق من اغنى اقطار العالم . وكانوا يستخدمون الاسرى في جفر مجاري الماء وانشاء السدود والقناطر . وقد لبثت كل الفنى والمجاري للمعاقد وينفع بها ايام الخلافات العربية الى ان اجتاحت البلاد جيوش النتر والمغول الوحشية .

الزراعة القديمة في الشام واليمن . — هبط الفنيقيون سواحل الشام الوسطى والشمالية آتين من شرقي جزيرة العرب فأوجدوا في صور وصيدا وبيروت وجبل وغيرها مدنية ذاع صيتها بما اكتشف العلماء من الآثار في تلك الاماكن الشاميه . وكان الفنيقيون من امهر الامم في ركوب البحر والاتجار مع من جاورهم من الأجيال ولم يشتهروا بالحرث والزرع الا في شمالي افرقية كما سيجي . لكنهم زرعوا الاماكن التي حلوا بها ورووا ما امكن إرواؤه منها فسكانت سهول صور وصيدا الخصبة الريا بالماء فنبت اصناف الحبوب والثمار . وحذق الفنيقيون غرس الزيتون والكرم وصنع الخمرة حتى ان اليونانيين والرومانيين كانوا يرغبون في انبذتهم . وعثر علماء الآثار في ضواحي صور على آلات زراعية اتم وافوى من الآلات الزراعية التي كانت يعرفها الشعوب المجاورون لهم . وجاء في معلة العلوم الافرنسية « ان ام الاعمال الزراعية التي اشتهر الفنيقيون بها هو تأليفهم في قرطاجنة كتابا قيمة تبحث في ما انصل بهم من نتائج التجارب الزراعية لانهم كانوا يضعون نصب اعينهم استغلال الارض للحصول على غلات تجزون بها . واشير كتبهم كتاب الجنرال ماغون (Magon) الفه في القرن الخامس قبل الميلاد وسماه (الاقتصاد الزراعي) وهو ٢٨ جزءا ولذا سمي ماغون اب الزراعة . « والف هاميلقار (Hamilear) ابن ماغون كتابا زراعية كآبيه . وقد نقل اليونان والرومان هذه الكتب الى لغتهم ورجعوا اليها في ابحاثهم فكانت اهم مقتبس لهم . ولا شك ان الفنيقيين لم يتوصلوا الى ذكر ما دونوه في الزراعة الا بعد ان مارسوا الاعمال الزراعية قرونًا عديدة وكتبهم هذه تبدل على علو كعبهم في الفلاحة على ما فيها من ابحاث بعيدة عن الاسلوب اليقيني » .

واذا انتقلنا في بحثنا الى ذكر العبرانيين او الاسرائيليين بعد ان نزحوا من مصر واستوطنوا جنوبي الشام قبل الميلاد ببضعة عشر قرنا نرى انهم كانوا ارباب زراعة

يسرون على ما اقتبسوه من مصر ابان مدينتها الزاهرة . وقد كثر سيفه جنوبي الشام على عهدهم غرس التين والزيتون واللوز والرمان والكرمة كما كثر غلات الخنطة والشعير والقطاني وعدد من البقول . وبالغ بعض المؤلفين من يهود او ممن يتعصبون لهم او ينقلون عنهم فيجملون فلسطين جنات تجري من تحتها الأنهار لاسيما في عهد الملك داود حتى ان احدهم جعل مساحة الارض المكسوة بالشجر الفاكمة في تلك الايام عشرة ملاهين دونهم ثقباً وهو وهم لا يقره العقل بعد محاكمة تاريخية فلسفية على أسلوب يقيني . والحقيقة التي عليها اكثر المؤرخين هي ان الاسرائيليين مع اشتغالهم في الارض قليلاً لم يوجدوا في الزراعة شيئاً يذكر وكذا في العلوم التي كانت معروفة في تلك العصور .

وسكن الشام اجيال كثيرة غير من ذكرنا منهم المتوغلون في القدم كالعمو واللودانيو، وآخرون اقرب عهداً كالحثيين والاراميين والعموريين وغيرهم وقد انت الدهور على آثارهم فلم يستطع تدوين حال العلاحة في ايامهم .

ومن اقدم الامم التي حلت الشام وشادت فيها الممالك قبل الاسلام اجدادنا العرب . قال رئيسنا العلامة صاحب خطط الشام : « ان العرب في الشام منذ زها ٢٥٠٠ سنة واصله بعضهم الى نحو ٤٠٠٠ سنة » واشهر دولهم فيها دولة النبط والفساسنة والنوخيين والابطوريين ناهيك عن القبائل العديدة التي كانت تضرب في أنحاء البلاد . فالنبطيون في البتراء وان لم يشتهروا بالفلاحة فقد الفوا قبل اليونانيين والرومانيين كتاباً زراعياً غاية في الجودة نقله احمد بن علي بن المختار المعروف بابن وحشية وقد صرح علماء الغرب بان هذا الكتاب هو الصلة الوحيدة بين زراعة الممالك الآسيوية القديمة وبين الزراعة الحديثة . وقال العالم الفرنسي رنجلان « ان اول من دون الأعمال الزراعية التي البستها التجارب حلة فن ثابت هم الانباط » . وقال : « ان هذا الكتاب معلمة زراعية ثمينة » . وقد طالعت في خزانة بايزيد في القسطنطينية فألفيته سفرأ فنيماً لم يكتف فيه ابن وحشية بذكر ما يحتويه الاصل بل اضاف اليه كثيراً من الأبحاث الزراعية سيفه ايامه . واهم ابحاثه استنباط المياه وهندستها وحفر الآبار واطلاع الماء من عمق قريب واختلاف طباع المياه واصلاح الضياع وتغيريات

ابن وحشية

الأهوية ودلائل مجيء المطر والأوقات الموافقة لضروب الأعمال والاراضي المحتاجة الى الإصلاح وغرس الزيتون وبعض الأشجار المثمرة وزرع الحبوب من حنطة وشعير وغيرهما وزرع كثير من البقول ومن النباتات الزيتية والليفية كالجزر والبصل والكراث والسمسم والكتان والخشخاش وزرع عدد من نباتات الأزهار والرياحين وأشجار الزينة كالبنفسج والسوسن والنيلوفر والزرعس والأقحوان والياسمين والنسرين والآذريون والبهار والخزام والدردار والأزادרכת .

لأن من محبوب منكم أيها السادة مناطق الشام الشمالية الشرقية لا سيما ارباض سليمة والجرء ومنيج يشاهد في تجواله قنوات عديدة تنساب مياهها مع انحدار الارض حتى تبلغ سطحها فتسقي ما اطمان منها، و يرى ان كثيراً من القني لا يزال مدثوراً يلزم كربه وارجاءه الى سالف عهده فهذه القني القديمة يعزي بعضهم فتحها الى الفرس على اثر افئادهم الشام . ولا ريب ان للرومانين ثم لأجدادنا العرب بدأ في تزييد عددها لان انحاء سليمة كانت ساتين وغياضاً زاهرة في عهد الممالك العربية .

ومما يلفت النظر جنوبي حمص بحيرة قطينة او بحيرة قدس والسد الذي قام في وجه العاصي لتحويل قسم من مياهه الى المدينة وبساتينها . فقد ذكر الأب لويس شيخو في مجلة اشرق انه ورد في تلودي اورشليم وبابل ان الامبراطور ديوكسيان (٢٨٤ - ٣٠٥ م) هو الذي سقى بحفر البحيرة واقامة السد . لكنه يرجع ان البحيرة اقدم منه عهداً . وجاء في تقويم البلدان ان سد بحيرة قدس هو من عهد الاسكندر الا انه لم يبق صاحبه دليلاً على ذلك . وللا مير جعفر الحسني مدير متحفنا رأي وجيه في هذا الصدد وهو انه اذا كانت العلماء لم يستقر رأيهم على نسبة السد الى الرومانين او اليونانيين مع ما يكون في آثار هذين الشعبين من الخصائص التي لا تدع مجالاً للشك في نسبة آثارهما اليهما ، فلعل هذا السد من صنع الحثيين لا سيما وحمص كانت بيئة حثية محضة .

هذا في الشام . وانظر الى قطر عربي عريق في عروسته بعيد عن الشام كل البعد وهو القطر البجاني حيث كان العرب الأقدمون يهتمون بشؤون الزراعة فلقد ذكر بلينيوس ان المعينيين يقيمون في بلاد كثيرة الغاب والأغراس . وقال استرابون ان

أخصب بلاد العرب هي بلاد سبأ وقال ان من محصولاتها المرّ والجوز والقرنفل والبلسم
وسائر العطريات فضلاً عن النخيل والنباب . وقال الهمذاني ان في وادي ظهر في
اليمين نحو عشرين نوعاً من الأعناب وفيه من أصناف الأجاص الفارسي والحميري
والتين والكثير ما لا مثيل له في الأرض . وقال جرجي زيدان « ان من محبوب
بلاد العرب حتى يأتي حيث كانت مدائن معين وسبأ وحمير وغيرها من الدول القديمة
لا يرى اليوم الا رمالاً محرفة وجبالاً جرداء والحقيقة ان تلك البلاد كانت على
عهد ذلك التمدن بسائين وغياضاً فيها الأغراس من الأشجار وفيها الرياحين
والخنطة والازهار » .

و يوجد نقوش كثيرة في الحجر تدل على اشتغال عمالقة اليمن بحوث الارض
و آثار اسداد ضخمة شادوها لجمع الأمطار ومعالجة الارض بالاسقاء . واضخم هذه
الاسداد سد العرَم او سد مأرب الشهير و يليه اسداد قصفان وربوان وشحرات
وعباد وغيرها .

الزراعة في عهد العرب بعد الاسلام . — العدل والأمن هما أساس الملك ودعامة
ال عمران فيها استطاع اجدادنا العرب ان يبدؤوا الممالك القديمة و يؤسسوا فيها مدنية
عربية اسلامية سطعت انوارها يوم كان العالم سادراً في ملك الجهل و غياهب الهمجية
ولئن عجبتم فاعجبوا الشعب بدوي جاهل يغزو ممالك عريقة في الملك فما هي الا رمشة
عين في حياة الأمم و اذا بهذا الشعب يحترم اديان المغلوبين وعاداتهم و يؤمن الخائف
و ينصر المظلوم على الظالم و يقر الناس على اموالهم و زرعهم و ماشيتهم و يسوس الجميع
بعدل و حكمة و حكمة و بترجم و يؤلف و يتعلم و يعلم و يسبق من كانوا قبله و من عاشوا
معه . حقاً ان الانسان اذا اعمل الفكر في هذا الشعب العربي اكبره .

وسمّ العرب علومهم الأصلية — في عهد الأمويين والعباسيين ونقلوا الى العربية
علوم اليونان والفرس والهنود والكلدان والسر يان والنبط و اوجدوا مدنية شهد لهم
اعدائهم بعظمتها فما ذا كان حظ الزراعة من ذلك ؟ هذا ما توخيت ان اوجزه في هذه
العبارة . ان اول ما هم معرفته حالة الارض وطرق تملكها و ما وضع العرب عليها من
الضرائب و ما سنوه من الشرائع الزراعية .

العدل

الدعوة

كان المجاهدون العرب في اول الفتوح الاسلامية يودون لو جعلوا الارضين التي
 تقع بايديهم غنية تقسم بينهم كسائر الغنائم لكن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
 حرم على المسلمين كما قال المأثور يزي اقناء الضياع والمزارع واجرى عليهم الرواتب
 والأرزاق من بيت المال ولم يستثن عيالهم وعبيدهم ومواليهم . وذكر ابن عساكر ان
 اهل الذمة اذا اسلم احد منهم صارت داره وما كان يملكه من الارض الى اصحابه من
 اهل القرية وهم يؤدون خراجها . ومن السهل ادراك الغرض من هذه السياسة القوية
 التي سار عليها الخلفاء الراشدون فلقد كان عدد المسلمين قليلاً وكانت البلاد التي دخلت
 في حوزتهم مترامية الاطراف وكانوا الزموا انفسهم فريضة الجهاد . ولهذا كانت من
 الواجب ألا تلبهم الارض عن القتال في سبيل الغاية المحموده التي انشدوا لها وفضلوا
 الأرقام بها . أفلسنا نرى اليوم كثيراً من الحكومات الاوربية تمنع زواج الضباط الى
 حد محدود وتكف عن ارسال الجنود والضباط الى المستعمرات الا بارادتهم خوفاً من
 ان يلبهم الحنين الى ارضهم ومساكنهم واولادهم عن القيام بما تستلزمه الجندية من
 الكد والتعب ومواجهة الاخطار . وثمة غرض ثان حمل الخلفاء الراشدين على اتبع
 السياسة المذكورة وهو كما قال ابن عساكر ان يبقى اهل الذمة وارضهم مصدراً للمال
 الذي يحتاج اليه المسلمون في اتمام الجهاد دون ان يستأثر بجراجها بعض المسلمين دون
 بعض اذا تملك بعضهم الارض . فيتضح مما ذكر ان العرب في صدر الاسلام لم يمتنعوا
 عن الزراعة واقناء المزارع احقاراً للأكارين ومهنتهم كما ذكر بعض الشعوبين
 ومتعصبى الفرنجة بل كان لا تمتهم في ذلك غرض اسمي . ولئن امتنع العرب انفسهم
 عن الاشتغال بالزراعة في اول عهد الاسلام فلقد كانوا عليمين بان هذه الصناعة هي
 ركن ثروة البلاد ومصدر الغنى لبيت المال ولذلك عطفوا على الفلاحين وابقوا دراوين
 الخراج اي ضريبة الارض على ما كانت عليه ايام الروم والفرس وكانوا ارفق بمن
 تقدمهم في حياية الخراج وعدلوا فيه على مقتضى الأحوال في مختلف البلاد التي دانت
 لهم وخضعت لسلطانهم . وسواء أكان الخراج بالمقاسمة او بالمساحة « اي بنسبة الغلات
 او ضريبة مقطوعة على المساحة » فما كان يزيد على عشر المحاصيل مطلقاً على حين
 نصت شرائع الدولة التركية على استيفاء ثمن المحاصيل عدا ضريبة الارض . وكان

السور
 حاتم
 ١٠٧

غير المسلمين ملزمين بالجزية وهي ضريبة لم يحدتها العرب بل كانت الأثم القديمة تعرفها من اغريق ورومان وفرس وهي توضع لقاء حماية اهل الذمة من التعدي عليهم والتصدي لهم لانهم ما كانوا ملزمين بالقتال للذب عن حياتهم . فالجزية اذن شبيهة بما يسمى « بدل العسكرية » ايام الترك اي الضريبة التي كان يجمعها الترك من المسلمين وغير المسلمين للتخلص من الجندية . ولم يضع العرب الجزية على النساء والصبيان والرهبان واهل المعاهدات . وكانت مقدارها مختلفاً باختلاف درجات الناس وقما كانت ثقيلة الوظطة الا في حالات خاصة كانت تمس الحاجة الى المال لقتال عدو او لاغراض أخرى ذات بال .

ولم يدم ابتعاد العرب عن التصرف بالارض طويلاً فان معاوية ايام كان عاملاً على الشام رأى ان جانباً كبيراً من القرى كان ملكاً لحكام الروم وقوادهم فلما قبل بعضهم بعض لبثت تلك القرى بلا صاحب فكتب معاوية الى عثمان ان ما اجراه عليه من الرزق لا يقوم بمؤنة رسل الروم ووفودهم ورسلا امراء الجند وغيرهم وسأله ان يقطع تلك الضياع والمزارع لانها لا صاحب لها فأجابه عثمان الى طلبه . وهكذا أخذ العرب يقتنون الضياع إما باقتطاع ما ليس لها مالك او بشراء التي أقرت لاصحابها من اهل الذمة . والارض التي كانوا يقطعونها هي الارض الموات والتي تسميها اليوم محمولة او خالية اي التي فر اصحابها او قتلوا او كانت مستنقعا او معطلة مدة طويلة لسبب من الاسباب . وظلت ملكية الارض للإمام والناس يستغلونها اي لم يحق التصرف بها . ولبثت هذه القاعدة في انحاء بلاد العرب الى اليوم الا في مصر حيث أصبحت الارض ملكاً صرفاً للمصريين من ايام الخديوي سعيد باشا وهذه هي الحال في بلاد اوربا في ايامنا هذه . وبعد ان اقتطع المسلمون الارض وابتاعوها أخذوا يدفعون العشر عنها اي عشر غلاتها كما في الخراج . وما عثم العرب عثب اقتنائهم المزارع واستغلهم بالارض حتى تغلبوا على عناصر المزارعين او الأكره الأصيلين كما تغلبت اللغة العربية على لغتهم كاليونانية والسرانية والارامية والفارسية والقبطية وهكذا عمت العربية البلاد التي بعيننا امرها وانقرضت لغاتها القديمة وصارت هذه البلاد تعد بلاداً عربية محضة .

وما بلغت النظر ما في الشرع الاسلامي من القواعد الاقتصادية القوية فصرية

المستغلات مثلاً هي عشر المحصول من ثمار او حبوب اذا كانت الارض تسقى سيجياً اي من المطر والأنهر بلا تعب . اما اذا كانت تسقى بتعب فالضريبة نصف العشر . ومما يدهش ايضاً ان هذه الضريبة (وكانت هي الصدقة او الزكاة باديء بدء) ما كانت تؤخذ الا اذا زاد المحصول عن كذا من الغلة اي عن المقدار الضروري لقوت الأسكار وعياله اما الشرائع التي أبقاها الترك لناسا فهي تلزم الفلاح بدفع ثمن المحاصيل عامة سواء كانت سنه سنة خصب او محل . أفليس يعلم كل منا ان قرية كذا أمحلت في سنة كذا حتى ان زراعتها لم يحصلوا على سوى بذارهم ومع ذلك جبت الحكومة التركية حصتها بتمامها من ذلك المحصول الضئيل . ان القاعدة التي ذكرتها كانت تمنع أجدادنا العرب عن مثل ذلك . ومن القواعد الاقتصادية المهمة ايضاً ان الصدقة كانت تضاعف احياناً بنسبة ثروة الانسان . وهذه القاعدة يسير عليها اليوم كثير من الحكومات الاوربية في استيفاء الضرائب فالذي يكون صاحب ثلاثمائة دينار مثلاً يدفع دينارين عن المائة الاولى وثلاثة دنانير عن المائة الثانية واربعة دنانير عن المائة الثالثة وهكذا تزداد نسبة الضريبة بنسبة ازدياد ثروة المرء وتقل بقلتها . ولم تفرض الصدقة على الخيل والحمير والبغال لما لها من الفائدة . وكانوا اذا وضعوا العشر او الخراج بالمساحة ينظرون الى بعد الشقة بين الارض والمدن فكان الضريبة تدفع في الارض التي أنتجت المحصول وذلك عدل .

وجاء في الشرع الاسلامي قواعد في استغلال الارض وعمارتها غاية في الحكمة . مثل شروط المساقاة والمزارعة وكري الانهار والخاري واصلاحها وحريم الآبار والقني والانهر واحياء الارض الموات وإباحة الانهار العامة والبحار والبحيرات والأعشاب والأشجار التي تنبت بها الطبيعة والآبار التي لم تحفر بسعي الناس الى غير ذلك مما يدل على بعد نظر في عمارة الارض واستغلالها وعلى براعة في سياسة الشعوب لا ينكرها الا كل جهول او صاحب تعصب ذميم .

يستنتج مما ذكرت أولاً ان العرب في صدر الاسلام أقروا سكان البلاد التي فتحوها على ارضهم ولم يقطعوا لانفسهم سوى الارض الموات والتي لا صاحب لها . ثانياً انهم وضعوا على الارض ضريبة معتدلة متناسبة مع غلاتها فلما أربت على عشر هذه الغلات . وقد

كانت تبلغ نصف العشر أحياناً . وإن زادت على العشر في بعض الأحيان فما كانت وطأتها شديدة لاستجار العمران ورخاء العيش . ثالثاً أنهم وضعوا شرائع زراعية وضح فيها حق كل اكار او رب ارض وامتنع بها تعدي بعض الناس على بعض . فلامحجب بعد هذا ان ينشط الاهلون الى استغلال الارض وعمارة المزارع والقرى وان يبلغ ارتفاع الخراج في الأقطار التي خفت في ربوعها رايات الدول العربية أضعافه في يومنا هذا مع رخاء السعر في تلك الايام . وقد أسهب مؤرخو العرب في ذكر ما كان يجري في مختلف الأقاليم أيام الخلفاء الراشدين والأُمويين والعباسيين في المشرق والمغرب مما لا يمكن ذكره في هذا البحث الموجز . بل يكفي ان أنقل ما جاء في تاريخ التمدن الاسلامي وهو ان ما كان يرد الى بيت المال في عهد المأمون بقدر نحو ٣٦٠ مليون درهم وكان ينفق منها في مصالح الدولة نحو ٦٠ مليون درهم فبقى ٣٠٠ مليون درهم اي عشرة ملايين جنيه تقريباً . واذا قلنا عشرة ملايين جنيه في تلك الايام فكأننا قلنا خمسين مليون جنيه في ايامنا هذه . فأى دولة من دول العالم اليوم يفيض في خزائنها هذا المال العظيم . ثم يجب ان يلحظ ان معظم واردات بيت المال كان مصدرها الخراج اي ضريبة محاصيل الارض وفي ذلك أجل دليل على ما كان للزراعة من الشأن في هاتيك الايام الزاهرة . ولما كان الملك والمدينة وكل شيء لا يقوم الا بالمال حقاً لنا ان نقول ان الزراعة ومنوجات الارض هي أكبر عامل في تكوين المدينة العربية الاسلامية بكل مظاهرها . فهي التي جعلت الخلفاء يبنون المدن كبغداد والبصرة والكوفة والقاهرة والرقّة ويشيدون القصور والجوامع والمدارس والتكايا وينفقون عن سعة على العلماء والادباء والشعراء والمترجمين ويوسعون على العمال والجنود والشرط لصيانة الملك وإقامة العدل بين الناس .

وكان لا رباب الوجاعة والمال عناية باصلاح الري . يدلنا على ذلك مثال ذكره قدامة بن جعفر وهو انه انبثقت بشوق في دجلة ايام الحجاج فلم يشبه اشتغاله في الحروب عن ان يكتب الى الوليد بن عبد الملك يخبرها بانها تستلزم اتفاق ثلاثة ملايين درهم فلما استكثرها قال له اخوه مسلمة بن عبد الملك « انا أتفق على سدها من مالي على ان تعطيني خراج الأرضين المنخفضة التي ببق فيها الماء بعد اتفاق المال على ابدي ثقتك

فرضي الوليد بذلك فحصل له ارضون وطاسيح كثيرة فخر نهرين سماهما السبين وتألف الأكرة والمزارعين وعمر تلك الأرضين . وجرى الناس على ذلك الى أواخر بني أمية .
 وكان العباسيون أكثر امتناعاً من الأمويين في شؤون الفلاحة وتعمير القرى والدساكر لاسيما في السواد اي بين دجلة والفرات حيث كان مقر ملكهم فلقد احتفروا الأنهر والمجاري وأقاموا الأسداد وأنشأوا الجسور حتى أصبح ما بين النهرين على اتساعه شديداً بالغوطتين من حيث اشتباك الأنهار ومجاري الأسقاء . ولدينا مثال أقرب في قنوات سلمية وأطرافها فإن التاريخ يذوننا بان أرباض سلمية بين حمص وحماة كانت أيام الدول العربية رياضاً غناء تسقى بقي عديده لم تدع للاعذاء أثراً . وقد ردمت هذه القنوات كما انبثقت أسداد دجلة والفرات ودمت أنهارهما ومجاريهما بعد ان ضعف شأن الخلافة العربية وانهاك عليها من المشرق برابرته . وكانت خلاصة تقرير السير ويلكوكس المهندس المائي الشهير الذي كانت الحكومة التركية انديته لدرس الري في العراق (وقد ترجمته بالعربية) عبارة عن إعادة فتح الأنهار والمجاري وإقامة الأسداد التي كانت أيام الرشيد والمأمون .

وكان سكان الشام والعراق أضعاف سكانها اليوم كما ان سكان مصر كانوا يقدرون بنحو ٢٠ مليوناً . وهذا لا يستغرب . أفلم يكن سكان مصر ثلاثة ملايين منذ اقل من قرن فاذا بهم اليوم نحو ستة عشر مليوناً بعد ان عدل محمد علي وذريته بين الناس وبعد ان أنشأت القناطر الخيرية وسد أصوان وفتحت مجاري الري واكتشف ان القطن الجيد الشعر بألف تربة مصر وإقليمها .

والأشجار والزرع التي كان يزرعها العرب عدد عظيم بل هي كل ما نعرفه في أيامنا هذه الا ما نقل حديثاً من العالم الجديد اي اميركة الى العالم القديم مثل التبغ والطماط والفاولياء وغيرها او نقل اليها من البلاد البعيدة التي استعمرها الاوربيون كالقشطة والنخيل والشمس الهندي وأضرابها . وكانت لم حذق بالتجارب الزراعية واصطفاء الأصناف النباتية الجيدة وتكثيرها ولا أنواع الشمس والتين وخلافها من الفواكه اصناف تعد بالعشرات . ومن البديهي انه لا يقني أصنافاً عدة كهذه الا الذين يعرفون مزايها كل منها ويعرفون كيف الحصول عليها .

وتلعب العرب فضل في نقل كثير من النباتات المفيدة الى اوربا وتعريف الفرنجة بها .
 ذكر مؤلفو الافرنج ان العرب هم الذين نقلوا القطن الى الاندلس وصقلية فاقبست
 الاوربيون زراعته عنهم . وقالوا ان اول من بحث في القطن فأسهب في زرعه ودون
 ما كان يعرفه فيه المصنفون المصريون والفرس القدماء هو ابو زكريا يحيى بن محمد بن
 العوام الاشبيلي في كتابه الشهير « الفلاحة الاندلسية » واقتبس العرب من الصينيين
 زرع قصب السكر واستخراج السكر منه فنقلوهما الى مصر وصقلية والاندلس وهناك
 تناولها الاوربيون ولا سيما البرتغاليون ثم نشرت زراعة هذا النبات في اميركة بعد
 اكتشافها وخصوصاً في كوبه والمكسيك . وذكر اكبر علماء النبات ان العرب هم الذين
 يرجع الفضل اليهم في نقل معظم اشجار الفصيلة البرتغالية من شرق آسيا ونشرها حول
 بحر الروم . فالأترج مثلاً مهده الاصل في الهند وقد نقله العرب منها في القرن الثالث
 من الهجرة وأذاعوه في البلاد التي امتد سلطانهم عليها . ومهد اليمون الحامض هو في
 الهند ايضاً وقد نقله العرب الى العراق والشام والمغرب والاندلس فوجده الصليبيون
 متأصلاً في الشام فنقلوه الى ايطاليا وغيرها . وهكذا يقال في البرتقال والليمون الحلو
 الا لكباد فالليونانيون كانوا يعرفونه . اما المندرين (يوسف افندي) فحديث وكذا اليمون
 الهندي او الفراسكين . واخذ الفرنج عن العرب زرع البطيخ والشمش والحوخ كما نقلوا
 من مصر والشام الى بلاد الفرنجة عدداً كبيراً من العقاقير الطبية والأبازير والافاويه
 التي منابتها الهند وغيرها من البلاد الحارة .

وترجم العرب عن اليونانية والنبطية كتباً كثيرة في النبات والحيوان والماشية
 والزراعة . وأشهر الكتب الزراعية التي ترجمت بالعربية كتاب الفلاحة النبطية الذي
 تقدم ذكره . ثم كتاب لا بأس به وهو كتاب الفلاحة الرومية لقسطا بن لوقا البعلبي
 وأشهر كتاب هو الذي ألفه ابن العوام في القرن السادس من الهجرة ومما (كتاب
 الفلاحة الاندلسية) . قال العالم الفرنسي ريجلمان « كانت ابن العوام يسكن اشبيلية
 وكان يجرب تجارب عديدة على جبل الأشرف وليس كتابه معرض فصاحة وبلاغة
 بل هو مجموعة أجمل الأبحاث والقواعد الزراعية التي كتب فيها الأنباط واليونانيون
 والرومانيون عدا ما كانت يتبع في الاندلس » . وقال العالم الزراعي انطوان باسي

نقل العرب الى مصر
القطن

السكر
السكر

الفضل اليهم
الفضل اليهم
الفضل اليهم

الفضل اليهم
الفضل اليهم

(Antoine passy) في نقر برتدمه الى الجمعية الوطنية الزراعية الفرنسية سنة ١٨٥٩ « ان ما لكتاب ابن العوام من عظيم الشأن لا يقتصر على كونه حاوياً للفنون الزراعية القديمة مع التي نتج في الاندلس بل لهذا السفر قيمة ثانية وهو انه كشف النقاب عن انه كان للعرب نظرات في الطبعة والكيمياء لم تكن نرقب وجودها . وهو سفر مملوء بالفوائد يطل بنا في شكل . وجز على ما كانت عليه زراعة الامم القديمة ثم ما بلغته بعدها في الاندلس وفي جميع البلاد الاسلامية ابان الفتح الزاهر . وفي الاختصار ان هذه الدائرة الزراعية التي خص بها القرن الثاني عشر من الميلااد هي كاملة » .

يستخلص مما ذكرته عن الزراعة في عهد العرب بعد الاسلام انه حق لأجدادنا الفخر لاحتفاظهم بكثير من علوم الأقدمين الزراعية و باضافتهم تجاربهم وملاحظاتهم اليها مما لا يخلو من فوائد عملية ومن حقائق علمية نقر ما عقولنا اليوم . فكما فيض التاريخ هذه الامة الكريمة للاحتفاظ بعلوم اليونان والرومان والفرس والهنود والأباط في الفلسفة والطب والملك والري باضيات وغيرها وذلك في القرون الوسطى يوم لم يكن غيرهم في عالم المدنية فلقد جعلهم ايضاً حفظة العلوم الزراعية بفروعها . وهذه الحقيقة التي لم يكتب فيها احد الى الان على ما أعلم يجب ان ترسخ في أذهاننا حتى اذا جاء ذكر العرب ابان مدنياتهم الزاهرة نقول بملء فمنا انهم عرفوا ان يحفظوا و يوسعوا كل العلوم المفيدة التي كانت للعالم المتقدم من قبلهم بلا استثناء .

مصطفى الشرايبي

عضو المجمع العلمي العربي

قانون البلاغة

- ٣ -

ومن هذا الجنس كتاب الحجاج الى المهلب يستزيده في قتال الأزارقة : فان انت فعلت ذلك ، والا شرعت عليك الرمح . فقال المهلب في الجواب : ان شرعت اليّ الرمح ، قلبت عليك ظهر الحن . فهذا المذهب الذي هو التمثيل معاكس لمذهب الإرداف ، اذ كان في ذلك قوة الأيسهاب والبسط . وفي هذا قوة الإيجاز والجمع ، وهو ايضاً مستعمل في العبارة الشعرية . وقد ذكرنا وجه استعماله في الشعر في الكتاب الذي أفردناه في البلاغة الشعرية .

ومن عيوب اشتراك اللفظ ، والمعنى ، (الإيخلال) ، وهو ان يخلّ من اللفظ بما فيه استيفاء المعنى وتتمام المقصد به ، مثل ما كتب كاتب فقال : فان المعروف اذا زجا ^(١) كان أفضل منه اذا توفّر وابطأ . فأرى ان هذا الكاتب انما أراد ان يقول له : فان المعروف اذا قلّ وزجا ، كان أفضل منه اذا كثر وابطأ ، فترك ما به يتم المعنى ، وهو ذكر القلة .

ومن عيوب هذا الجنس الإيخلال بالافادة ، وهو ان يؤتى في الكلام بزيادة لفظ يفسد المعنى ، كما لو قال قائل مثلاً : فان الامر والهي ، لو ذفتها ، طهسان . فقوله لو ذفتها زيادة تفسد المعنى ، وذلك انه لو لم يذفها لم يكونا طهسين ، وليس الطيب والكريم انما يكونان كذلك بذواق الذائق لهما بل هما على هذه الحال بانفسهما .

ومن عيوب اشتراك اللفظ ^(٢) ان تقدم الفاظاً تقتضي جواباً يأتي بعدها باعادة ما تقدم منها ، فلا يؤتى بالالفاظ باعيانها ، بل ينقل المعنى الذي تدل عليه الالفاظ الى الالفاظ آخر غيرها ، مثل ما كتب بعضهم : فان من افترف ذنباً عامداً ، واكتسب جرمًا قاصداً ، لزمه ماجناه ، وحق به ما توخاه . فنقل لفظي الاقتراف والاكتساب ، الى لفظي الجنابة والتوخي . وكان الأحسن ان يأتي بهما باعيانها فيقول : لزمه

(١) زجا الامر تيسر واستقام . ولعله (وحى) بمعنى اسرع ليقع في مقابلة (ابطأ)

(٢) اسم هذا العيب ساقط من الاصل .

ما اقترفه ، وحق به ما اكتسبه ، اذ كان ذلك هو الذي يخناره البلاء .

ومن عيوب هذا الجنس ، الهذر والتبعيد ، عند الحاجة الى الایجاز والتقريب ، وهذا هو زيادة الألفاظ على المعاني من غير سبب يدعو اليها ، او حاجة تبعث عليها ، والمثالات في ذلك موجودة كثيرة من كلام العامة والدخلاء في الصناعة .

ان من آلة الكنايب وأداته ان يضيف الى الاحسان في الكتابة ، مثل ذلك في المحاورة والمخاطبة ، حتى تكون ألفاظه مهذبة ، وإشاراته مستعذبة ، والنفوس نحوه اذا نطق منصفته . فمن المحاورة المستحسنة قول الفضل بن الربيع فقد قال له الرشيد : كذبت . قال يا امير المؤمنين : وجه الكذب لا يقابلك ، ولسانه لا يخاطبك ^(١) ، فوصله . وقال : كذبتني فوصلته ، لحسن جوابه . ودخل سعيد بن مرة على معاوية فقال له : انت سعيد بن مرة فقال انا ابن مرة وانت السعيد فوصله لحسن جوابه . وقال السجاح او المنصور للسيد الباقر أأنت السيد . فقال : انا ابن ابي وانت السيد . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمه العباس : انت اكبر مني فقال : انا أسن ، وانت اكبر مني . وقال سعيد بن عمرو بن عثمان لطويس الخثعمي : ابنا أسن فقال : يا بني انت وامي ، لقد شهدت زفاف امك المباركة الى ابيك الطيب . فلو جعل الطيب وصفاً للام قد هجَّن بالابن . وعلى حسب ما يستحسن هذا الجنس من الجواب ، يستقيم ما كان خلافه من الخطاب . كما يروى ان رجلاً مرَّ بابي بكر او يعمر ومعه ثوب وقال تبيعه قال : لا عافاك الله فقال قد علمتم لو تعلمون هلا قلت لا عافاك الله .

ومما جاء من الدلالة على تفضيل البلاغة ما انا ذاكره في هذا الكتاب قال العباس يا رسول الله فيم الجمال ؟ فقال في اللسان . وزعمت الحكماء ان اعلی الخلق مرتبة الملائكة ثم الانس ، وانما صار لهؤلاء الفضل على سائر اصناف الخلق بالعقل والنطق . وقال مسلمة بن عبد الملك مروءتان ظاهرتان الرياش والفصاحة . ودخل ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر فاحتقره لدماثة كانت فيه فقال تسمع بالاميدي خير من ان تراه . ويقال لا ان تراه . فقال ابيت الا معن ان الرجال ، لا تُكَلَّ بالقفزان ،

(١) تروى هذه العبارة لسهل بن هرون بأسلوب آخر .

ولست بمسوك^(١) يستقى فيها . وإنما المرء باصغريه قلبه ولسانه ان صال صال يجنان ،
وان قال قال بلسان . قال الشاعر^(٢) :

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته او نقصه في التكلم

ومما جاء في وصف البليغ وترتيب البلاغة ما انا ذا كره : حكى الجاحظ عن بعض
حكماء الهند انه قال : اول البلاغة جماع آلة البلاغة . وذلك ان يكون الخطيب
رابط الجأش ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الامة ،
بكلام الامة ، ولا الملوك بكلام السوق ، ويكون معه من القوة ما يصترف به لفظه في
كل طبقة ، حتى لا يبدق المعنى اذا خاطب أوساط الناس ، ولا يبدع ذلك اذا خاطب
حكماً او كاتب فيلسوفاً .

وقال الجاحظ من شروط البليغ ، ان يكون ذا كراً لما عقد عليه اول كلامه ،
ويكون تصفحه لمصادره ، في وزن نصفه لموارده . قال : وكان خالد بن صفوان
يوصف بانه اذكر الناس لاول كلامه ، وأحفظهم لكل ما سلف من منطقه ، فقال
فيه الشاعر :

علم بتأويل الكلام ملقن ذكور لما سدد اول اول
يبد^(٣) قريع القوم في كل مجمع وان كان سبحان الخطيب ودغلا
ترى خطباء الناس عند ارتجاله كأنهم انكروا ن عابن أجدا

وقال بعض أئمة الكلام : جماع البلاغة حسن الموقع ، والمعرفة بساعات القول ،
وقلة الخرق بما التبس من المعاني ، او غمض بما بعد من القول او شرد . وقال بعضهم
في تقدير الكلام وترتيبه : ليكن صدر كلامك دليلاً على حاجتك ، كما ان خير أبيات
الشعر ما اذا سمعت صدره عرفت قافيته . مثال ذلك ان تفرق بين صدر خطبة
النكاح ، وبين صدر خطبة الصلح ، حتى يكون لكل فن من الفنون صدر يدل على
عجزه ، واول يشير الى آخره .

(١) المسك الجلد او خاص بالسخلة جمعه مسوك والمراد بها القرب والزايا .

(٢) وفي هامش الاصل الخزاعي . (٣) في الاصل يبد - يفوق .

وقال أعرابي في دعائه : اللهم اني أعوذ بك من فقرٍ مُكَبَّرٍ ، وضرعٍ الى غير محب . وقال بليغ : بقدر السمو في الرفعة ، تكون الوقعة . وقال بعض الخطاب : لا يكن حيك كلفاً ، ولا بغضك تلفاً . وذم أعرابي رجلاً فقال : كان صغير القدر ، قصير الشبر ^(١) لئيم النجر ، كثير الفخر .

وسمع الحسن بن علي ان نافع بن جبير قال : كان معاوية يسكنه الحلم ، وينطقه العلم . فقال : بل يسكنه الحصر ، وينطقه البطر . وقال بليغ : من عرف الناس داراهم ، ومن جهلهم ماراهم . وقال علي بن ابي طالب : هل من خلاص ، او مناص ، او فرار ، او غفار ^(٢) ، او منجا ، او ملجأ ، او معاذ ، او ملاذ . وقال رجل لآخر : أتعرفني فقال : أعرفك كثير السعاية ، قليل التكاية . قال المهلب لمالك بن دينار : أتعرفني فقال : نعم انت الذي اوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قدرة ، وهو فيما بينهما يحمل العذرة . فقال : لقد عرفني حق المعرفة . ووصف اعرابي ناقة فقال : هي كالعقرب اذا هوت ، والحية اذا تلبّت ، تطوي القلاة وما انطوت .

وقيل للاحنف : كيف تسود الناس فقال : بالخلق السبيح ، والكف عن القبيح . وقيل لبنت الخُسّ ^(٣) : اي الرجال أحب اليك فقالت : القريب الآمال ، الوامع البال ، الذي يوفد عليه ولا يفد . وقال كاتب : الشكر ^(٤) ، وان قل ، ثم اكل نوال وان جل . وقيل لبعضهم : اي اخوانك أوجب عليك حقاً فقال : الذي يسد خالي ، ويغفر ذللي ، ويقلل علي . وأوصى حكيم رجلاً فقال : سائل العلماء ، وجالس الحكماء ، وخالط العلماء . فان مجالستهم غنية ، وصحبهم سليمة ، ومواخاتهم كريمة .

وخرج شبيب بن شبة من دار الخلافة ف قيل له : كيف رأيت الناس فقال : رأيت الداخل راجياً ، والخارج راضياً . وقيل لصعصعة بن معوية : هل كان من مطر قال نعم حتى عفى الاثر ، وأنصر الشجر ، ودهده الحجر . وسأل الحجاج رسوله

(١) في الاساس : فلان قصير الشبر مقارب الخلق (٢) كذا في الاصل فليحمر .

(٣) ابنة الخُسّ مشهورة في النصيحة عند العرب وهي من بني إيباد جاءت عنها

الامثال نقول اين بنت الخُسّ ، من فصاحة قس . (٤) في الهامش الشكر عند الكريم .

الراجع من السند اليه عنها فقال : ماؤها وشل ، ولصتها بطل ، وتمرها دقل ^(١) ، ان
كثير الجيش بها جاعوا ، وان قلوبا ضاعوا . ووصف بليغ منطقاً فقال هذا كلام يكتفى
باولاه ، وإشغني بأخراه . وقال الجارود بن أبي سبرة : سوء الخلق يفسد العمل ، كما
يفسد الخل العسل . وقال بليغ : ليس بكريم من لم تُذهب القدرة حفيظته ،
والبلى ضغينه .

ووصف اعرابي حرباً فقال : اولها شكوى ، واوسطها نجوى ، وآخرها بلوى .
ووصف اعرابي رجلاً فقال : مارأيت أضرب لمثل ، ولا اركب لجل ، ولا اصعد في
فلل منه . وقال عمر بن عبد العزيز ، انما هلك من كان قبلكم بمنعم الحق حتى يشتري ،
ويسيئهم الظلم حتى يفترى . وقال الخُصُّسُّ لينسه أريد شراء فحل للابل . فقالت :
ليكن أسبح ^(٢) الخدين ، غائر العينين ، ارقب ^(٣) اخزم ^(٤) اعكر ^(٥) اكوم ^(٦) ان عُصي
غشم ^(٧) ، وان أطيع تجرثم ^(٨) . ولما سئلت عن الفها الغلام قالت : طول السواد ^(٩) ،
وقرب الرساد .

وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة اشياء لا تنقص
ولا تزيد . اللفظ والاشارة والعقدة والخط والنسبة وهي الحال الدالة التي تقوم مقام
تلك الاصناف ، ولا تقصر عن تلك الدلالات ، والكل واحدة من هذه الخمسة صورة
بائنة عن صورة صاحبا ، وحلية مخالفة لحلية أختها ، وهي التي تكشف لك عن اعيان
المعاني في الجملة ، وعن حقائقها في التفسير ، وعن أجناسها وأقدارها ، وعن خاصها
وعامها ، وعن طبقاتها في السار والضار ، وعمما يكون لغواً بهرجاً ، وساقطاً مطرحاً .

وانا اذا ذكر لك بعض الرواية في مدح الكتابة ونعت آلائها ، وما يحتاج الكاتب

- (١) أردأ التمر . (٢) الاسبح البعير الرقيق المشفر . (٣) الارقب الغليظ الرقبة .
- (٤) الاخزم المذلل ، وفي رواية الاحزم وهو الغليظ موضع الحزام مع شدة . (٥) كثير
- شم السنام . (٦) الاكوم المرتفع السنام . (٧) غشم الراعي البعير غشماً هنأه بالهناء
- اي القطران لا يترك من الهناء شيئاً الا يتهناه . يصبه على صحيحه وسقيمه . (٨) تجرثم
- اجتمع ولعله يعني بذلك استنساخ . (٩) السواد بكسر السين مصدر ساوده اذا سارته .

ان يأخذ نفسه به فيها ، ويستعمله في احكامه وبعثه ، من العلوم التي بها قوامها ونظامها ، ومنها موادها وعليها اعتمادها . قال احد الحكماء المنطقيين ، وزعماء الخطابة ، وفرسان الكلام : ان الله جعل للكتابة حظاً بارزاً ، ومكاناً ظاهراً ، ومحلاً بادياً ، تدركه الابصار بالروية ، وتراه العيون بالابصار ، ونسأله المشاعر بالاشتمال . يكون عند النسيان مرجعاً ، ولين عدم ثقافة الذكاء مكرراً ، وعند عوارض العلل مآباً . ثم سماه باحسن تسمية ، وحلاه باجل رتبة ، فسماه بالعربية عقلاً ، وجعل ذلك له شرفاً وفضلاً . فذلك تأويل الكتاب عند العلماء ، ونفسيره لدى الحكماء ، الذين يتأملون مخارج التدبير ، وينفقون إصابة التقدير . فتجمل في صدورهم حكمة الخلاق العليم ، ويعلو في اعينهم آثار صنع المقتدر الحكيم . فتأخذ في افئدتهم محبة امره ، ويستولي عليهم رفيق معادن حكمته ، والشغف بظاهر نوره ، وسمي من اهله له عاقلاً ، وبالفارسية دوفير ايه ذو كتابة ^(١) ثم جعله نوراً يستضاء به ، ودليلاً يعتمد على هدايته ، وشاهداً يسكن الى عدالته ، وصوتاً يبلغ الآفاق في غير اشتراك من الكل في استماعه ، يسمع به الثائي البعيد محله ، ويستتر عن الداني القريب قربه ، وسهماً صائباً لغرضه في غير تجرم للتوسطات دونه ، ومصاحباً يدرك به الكاتبون ما استتر على الامهين ، وهم في الحضور مشتركون ولاحضر منه (؟) مشرفون ، وحارساً لحقوق المستحقين ، وديوت الغارمين ، من مقرض امهل ، ومبايع أجل ، ومتاجر آخر . هي مخاطبة غيبية ، ومناجاة خفية ، ومراسلة عقلية ، وأدعية حسية . مع دلالتها على الصانع الحكيم ، الذي جعل بين حظوظ العالمين ، على ابد الابدن . فروقاً مميزة ، وفصولاً مينة . كاختلاف السننهم وألوانهم ، واقتراق صورهم وابدانهم . فسبحان من ليس لقدرته شبه ، ولا يدرك لحكمته كنه ، وهو بكل شيء عليم .

وجدنا هذا العلم الذي هو إناء الحق ووعاؤه ، وخاف الاشياء والبدل منها ، وصور الامور ومثلها ، محصلاً بالحفظ ، محفوظاً محروساً بالعقل ، مجدداً بالذكور ، مسترجعاً بالتذكور ، مستنبطاً بالتفكر . مقبولاً بالفهم ، ممتلئاً بالذكاء ، مستحضر

(١) وفي هامش الاصل اي ذو خاطرين ولعل صوابه دودبير اي كاتبان .

بالذهن ، رابياً بالتعهد ، مدركاً بالطلب الذي يدعو اليه الانتياب ، ويجدو عليه
الحرص ، ونتاجه العناية . وتأمر به الالباب ، وتثمره السعادة ، ويجمع امره التوفيق .
ووجدناه كثير الآفات عند الاعداء ، مستجمع الاضداد ، حاضر الانداد . فالنسيان
يذهب به ، والشغل يحول دونه . والوذية تقصده ، والفتور يفنيه ، والرّين يعمي على
رويته . والفدامة^(١) تثبط عن دركه ، والاضراب يعقّي سبيله ، والامراض تنهك
آتته ، والعمل تحرب محله ، والبطالة تخلّ به . والشيطان بصدّ عنه ، والأمتارة بالشّر
تعمي الطريق اليه . وملاك الامر فيما تأخذه به نفسك في اراغة المعاني ومساواة
الالفاظ ، ورياضة الطبع في تخيير الكلام ، واستعمال التريجة في اختلاف عرر الالفاظ ،
ليتكامل حظك من الدربة ، ويقوى مضائك في مذاهب البلاغة . فقد قيل : ان
رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدربة ، وجناحها رواية الكلام ، وحليها الاعراب ،
وبهاؤها تخيير الالفاظ ، والحنة (كذا) . قرينة بقلة الاستكراه .

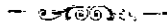
وقد حكى عمرو بن بحر عن ابي الاشعث انه قال : قلت لهيلة الهندي ايام اجتلب
يجي بن خالد أطباء الهند الى خدمة دار السلطان : ما البلاغة عند الهند ؟ قال بهيلة :
عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة ولكن لا أحسن ترجمتها ولم أعالج هذه الصناعة فأثق
من نفسي بخصائصها ، وتلخيص لطائف معانيها . قال ابو الاشعث : فليقت بتلك
الصحيفة التراجمة فاذا فيها : اول البلاغة ، اجتماع آلة البلاغة . وذلك ان يكون
الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيد
الامة بكلام الامة ، ولا الملوك بكلام السوقة . ويكون في قوله^(٢) فضل للتصرف في
كل طبقة ، ولا يدقق المعاني كل التدقيق ، ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح ، ويصفى
كل التصفية ، ويهذبها غاية التهذيب . ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكماً وفيلسوفاً
علماً . ومن قد تعود حذف فضول الكلام ، واسقاط مشتركات الالفاظ . ومن قد
نظر في صناعة المنطق ، على جهة الصناعة ، لا على جهة الاعتراض والتفنج ، ولا على

(١) الفدامة مصدر قدم الرجل كان قدماً اي عيباً عن الكلام في ثقل ورخاوة
وقلة فهم وفطنة . (٢) في كتاب الصناعتين : ويكون في قواه التصرف في كل طبقة .

جهة الاستطراف^(١) والنظر . واعلم ان حق المعنى ان يكون الاسم له طبقاً ، وتلك الحالة له وفقاً . ويكون الاسم لا فاضلاً ولا مقصراً ، ولا مشتركاً ولا مضمناً . ويكون مع ذلك ذا كراً لما عقد عليه اول كلامه ، ويكون تصفحه لمصادره ، وفي وزن تصفحه لموارده ، ويكون لفظه موثقاً^(٢) ، وللقول في تلك المقامات معاوداً .

ومدار الامر على افهام كل قوم بقدر طاقتهم ، والحمل عليهم على أقدار منازلهم ، وان نوانيه آلتهم ، وانصرف معه أداته . ويكون في التهمة لنفسه معتدلاً ، وفي حسن الظن بها مقتصداً . فانه ان تجاوز الحق في فقدان^(٣) حسن الظن ، أودعها تهاوت الآمنين^(٤) ، ولكل ذلك مقدار من الشغل ، ولكل شغل مقدار من الوهن ، ولكل وهن مقدار من الجهل ، وقال بعض (بلغاء) الهند : جماع البلاغة البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة . ثم قال : ومن البصر بالحجة ان يدفع الافصاح بها الى الكناية عنها ، اذا كان الافصاح بها أوعر طريقة . وربما كان الاضراب عنها صفحاً ، أبلغ من الدرك ، وأحق بالظفر . وقال مرة : جماع البلاغة التماس حسن الموقع ، والمعرفة بساعات القول ، وقلة الخرق بها التمس من المعاني ، او غمض بما شرد عنك من اللفظ وتعدّر .

« للبحث صلة »



(١) في الصناعتين : الاستطراف والتطرف لها . (٢) في الصناعتين بدلاً من جملة وللقول الخ هذا : ومعناه نيراً واضحاً . (٣) في الصناعتين : مقدار . (٤) في الصناعتين بعد تهاون الآمنين هكذا : وان تجاوز بها مقدار الحق في التهمة ظلماً ولكل . . .

اعضاء المجمع في الغرب

اغناطيوس كراتشكوفسكي

« ترجمته بقلمه العربي »

ولدت في ٤ آذار سنة ١٨٨٣ في فيلينا عاصمة ليتوانية القديمة ، وكان والدي رئيساً لمدرسة المعلمين فيها . ولكن لم يمض من عمري سنان حتى ارتحلت عائلتي الى بلاد ما وراء النهر ، وعين والدي رئيساً لمدرسة المعلمين في تاشكند ، وبعد مدة وجيزة عين ناظرأ عاماً للمدارس في آسيا الوسطى . وابتدأت أذكر نفسي طفلاً صغيراً في تاشكند واول لغة تكلمها لغة أوزبكية لان حاضنتي كانت أوزبكية الاصل . وكانت تأثراتي الاولى في صغري بما وقعت عيني عليه من المساجد والاسواق الشرقية ، وبنوع الام والطوائف واختلاف الالبسة . وكان لهذه التأثيرات وقع شديد في نفسي ايام طفولتي . واكبر ظني اني غدوت ميالاً الى الشرق وان كنت غير مدرك هذا الميل الغريزي . وفي سنة ١٨٨٨ رجعت والدي الى ويلنا وصار مديراً للمكتبة العمومية ، ورئيساً في لجنة البحث عن الآثار التاريخية القديمة ، ولم يزل عاملاً فيها الى ان فاجأته المنية رحمه الله في سنة ١٩٠٣ . وكنت في صغري ضعيف الصحة لثلاثيني الامراض ، ولذلك كنت مع أمي الى سنة ١٨٩٣ في ملك صغير كان لنا في ولاية ويلنا ، وفيه كانت خزانة الكتب الكبيرة في أنواع متنوعة في العلم جمعها جدي والي وقد ضاعت في الحرب العالمية سنة ١٩١٥ مع كل ملك لنا . وكنت أنعم القراءة في هذه الكتب وقرأت كثيراً من المؤرخين والقصاصين في اللغة الروسية . كنت أصغر أولاد أبي وأمي ، ولذلك نشأت بعيداً عن العشير والارباب ، وربما صار هذا سبباً لحبي الوحدة وسوء الظن بالعالم ، والسويداء التي تعذبني أحياناً حتى الآن .

وفي سنة ١٨٩٣ دخلت المدرسة الاعدادية (الجيميناز) في ويلنا ، وأكملت دروسها سنة ١٩٠١ . وكانت مدرستنا من أشهر المدارس في ولايتها من حيث تاريخها ونزولها . قامت على أساس الكلية البولندية التي أنشئت سنة ١٨٣٣ على اثر الثورة البولندية على روسيا . وأصبحت مكتبة الكلية مكتبة عامة ، وبقي قسم منها

في مكتبة المدرسة ، ولذلك رأيت فيها بعض كتب المشرقيات كمؤلفات العلامة دي سامي . وقد حاولت في الصف الاخير ان أتعلّم اللغة العربية من كتابه في الصرف والنحو المشهور ، ولم يتيسر لي ذلك لضخامة الكتاب وعدم المرشد . تخرّج من كليتنا وفي مدرستنا عدد ليس بقليل من علماء المشرقيات المشهورين في روسية مثل سينكوفسكي المعلم الادل للغة العربية في كلية لينينغراد من سنة ١٨٢٠ الى سنة ١٨٤٥ وتورايف عضو اكااديمية العلوم ومؤسس الابحاث في قداماء المصريين في روسية المتوفى سنة ١٩٢١ . وقوتو يتش أستاذ اللغة المغولية في كلية لوف من بلاد بولونية الآن .

وكنّت أعفو ايام الطلب الى علوم اللغات والآداب ، لاسيما اللغات « الميتة » اللاتينية واليونانية . ومما كان يلذني ويشوقني تعلّم أغاني هوميروس والروايات التمثيلية التي كتبها شعراء اليونان فكنت استظهرها وارجمها . وكذلك كنّت أحب علم التاريخ والآراء ، وكنّت أتمرت في نظم الشعر ولكن لم أظفر منه بباطل . اما الرياضيات والطبيعات فلم ألق اليها نفسي ، وان كنّت غير قاصر فيها ، وأحرزت قصب السبق بين أقراني ونلت نوط الذهب عقي المدرسة .

ولم أتجاوز السادسة عشرة من عمري حتى قويت أميالي ونعيت غرايزي وصرت أفكر فيما أجعله غرض حياتي ، وقد رأيت بعد بحث طويل ان العلم يجذبني اليه بقوة سحرية ، وان الشرق يكون ميدان أفكاري . ولاغربة فقد زرت الشرق في طفولتي وكان ابدأ يتأثر نصب عيني . وكان لي مثال آخر في شخص ابي فاني كنّت أراه مكباً على الكتب والاوراق في الليل والنهار يبحث عن ماضي الزمان ورجاله .

وفي سنة ١٩٠١ دخلت قسم اللغات الشرقية في جامعة لينينغراد مدفوعاً بعامل الميل وهوى النفس انضمت الى سلك تلاميذ فرع لغات الشرق الاسلامي . فصرفت اربع سنوات في دراسة اللغة العربية والفارسية والتركية والنثرية وبعض اللغات السامية كالعبرانية ولاسيما الحبشية القديمة ، ودرست هذه الاخيرة على وطني العلامة تورايف ، ولطالما فكرت ان أخصي فيها وأنعمق لكن اللغة العربية غلبت ضرئها وجذبتني جملة اليها . وكنّت أدرس تاريخ الشرق الاسلامي برياسة العلامة برنولد الذي ترجمت بعض تأليفه الى اللغة التركية مؤخراً . وله التأثير المع في حياتي العلمية

فانه بأسلوبه السديد المتين وانتقاده المدقق أطلعني على أسرار فلسفة التاريخ . وكذلك درست علم اللغات العام على المعلم ميلبورانسكي المنقل الى رحمة ربه سنة ١٩٠٦ وعلم تاريخ الآداب العامة على العلامة اسكندر فيسيولوفسكي ، وهو من اكبر علماء العالم بأسره في هذا الفن . وكان له في نفسي تأثير قوي كتأثير برتولد في التاريخ ، وغدت من ذلك الوقت أفكر في تطبيق أسلوبه التشبيهي على تاريخ آداب اللغة العربية ، وارجو ان اكون بلغت شيئاً من ذلك في مؤلفاتي عن العربيات .

اما العلوم العربية فدرستها على الاستاذ ميدينيوف مؤرخ فلسطين المشهور المتوفى سنة ١٩١٨ الذي أثنى على تأليفه الكونت كاتاني من اعضاء المجمع العلمي العربي . اما عمدي في العربية فهو العلامة فيكتور فون روزن عضو اكاديمية العلوم الذي طارت شهرته في بلاد الغرب والشرق (راجع المشرق سنة ١٩٠٨ ص ١٢٣-١٢١ والبشير عدد ١٨٤٥ للسنة ذاتها) . وكنت ايضاً أختلف الى بعض اولاد العرب الساكنين في روسية كفضل الله صرّوف الدمشقي المتوفى سنة ١٩٠٣ وانطون خشاب الطرابلسي آخذ منها قليلاً من اللغة العربية الدارجة . ولقد أنجزت دروسي في الكلية سنة ١٩٠٥ نائلاً مدالية الذهب مكافأةً لتألفي عن خلافة المهدي العباسي آخذاً عن المصادر العربية كالطبري وابن الاثير والعيني والمسعودي وغيرهم .

وبعد انتهاء دروسي في الجامعة كنت أواصل دروسي تحت انظار البارون روزن الموماليه خلال سنتين . وفي أواخر سنة ١٩٠٧ قدمت الفحص لنيل رتبة الماجستير في الآداب العربية . وبعد اشهر قليلة توفي استاذي البارون روزن وكانت وفاته ضربة هائلة علي ، شوشت صحيتي وحركت المرأة فيّ ، ولا غرو فاني كنت آخر تلاميذه وكان يسميني بلطفه المشهور بنيامين الصغير .

وفي صيف تلك السنة نفسها أرسلتني نظارة المعارف وجامعة بطرسبرج الى الشرق العربي لتعلم اللغة العربية الدارجة والتعرف الى علماء العربيات والنظر في عوائد ابناء الشرق وآدابها . وقد قضيت سنتين بعيداً عن الروسية زرت خلالها مدن سورية وفلسطين ومصر وتوغلت في ربي لبنان وغاباته ومروج الجليل وصحاري مصر أزم رحياناً المكاتب المشهورة وحينئذ اجلس أمام العلماء الكرمين ، وتارة أختلف الى المدارس

الكبيرة كاتلكية اليسوعية في بيروت والجامع الازهر والجامعة المصرية في مصر وزرت في سياحاتي مكتبة الملك الظاهر في دمشق والمكتبة الخالدية في القدس ومكتبة الموارنة في حلب والمكتبة الخديوية في القاهرة وغيرها مما تسنى لي الدخول والاشتغال فيه وجمعت المواد العديدة وكتبت بعض المقالات والانتقادات والاشعار المنشورة في الجرائد والمجلات العربية والروسية .

وتعارفت خلال إقامتي في الشرق العربي الى كثير من علماء العرب وأدبائهم وصحافهم ولا أنسى لطفكم وعنايتكم مدى الدهر . وكان هذا اللطف العربي المشهور من اهم الاسباب التي جذبتني الى الشرق جذبة لا تخلص منها ما دمت حياً . تعرفت الى كثير من العلماء الذين صاروا من اعضاء المجمع العلمي المكرمين فيما بعد . ففي القاهرة عرفت جرجي زيدان الذي اخترمه الشية سنة ١٩١٤ واحمد زكي باشا عضو المجمع العربي الحالي والاستاذ نايف الطلياني ، وفي فلسطين السيد خليل السكاكيني والشاعر الفاضل اسعاف النشاشيبي ، وفي بيروت حضرت دروساً للاب العلامة لويس شيخو ، وفي دمشق زرت إدارة مجلة المقتبس الغراء . واستندت في هاتين السنتين اكثر مما استندت طول حياتي . ولا أزال ارجو ان يرزقني الله رؤية تلك البلاد المحبوبة ومسامرة اعيان علمائها مرة ثانية ، ثم الله أمنيقي بالخير فهو السميع الحبيب .

وبعد رجوعي الى الروسية عٌينت في صيف سنة ١٩١٠ مديراً لمكتبة فرع اللغات الشرقية في كلية لينينغراد ، وفي خريف هذه السنة صرت معلماً ثانياً للعربيات فيها وفي سنة ١٩١٤ سافرت الى اوربا لدرس بعض المخطوطات في مكانها المشهورة مثل ليبسيك وهالة ولا سيما ليدن من بلاد هولاندا التي طارت شهرتها في الدنيا بسبب مجموعتها في الكتب . وقد اغترف منها كثير من علماء المشرقيات في اوربا . وعُينت سنة ١٩١٧ معلماً اول للعربيات في المدرسة المذكورة ، ولم ازل اجتهد في هذه الوظيفة حتى الآن على قدر الإمكان في ثقلات الزمان . وقد اصاب الدهر المستعربين غيري في لينينغراد . فمات الاستاذ الاول ميدنيكوف سنة ١٩١٨ ونوفي الاديب كوزمين احد تلاميذي سنة ١٩٢١ وقد كان مدة سنتين معلماً ثانياً في جامعنا . وعين صديقي

الفاضل الاستاذ شميذت سنة ١٩٢٠ مديراً لمدرسة اللغات الشرقية في تاشكند من بلاد ما وراء النهر وبقيت الى الآن اداًب وحدي في التعليم .

وفي سنة ١٩٢١ انتخبت عضواً عاملاً في اكاڤيمية العلوم الروسية في قسم التاريخ واللغات فجلست في مجلس كان فارغاً بوفاة استاذي البارون روزن منذ سنة ١٩٠٨ . وفي السنة التالية انتخبت كاتماً لاسرار القسم المذكور .

وفي سنة ١٩٢٣ انتخبت عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي في دمشق ، وكان ذلك اكبر شرف نلته مدة عمري وصار هذا التشريف مساعداً لي ومشجعاً في احوالنا الصعبة . ورأيت فيه تقديراً أنفاخر به لانعابي في التعليم والبحث والتأليف منذ عشرين سنة .

اما مؤلفاتي العلمية التي بدأت بكتابتها وطبعها من سنة ١٩٠٤ لجأتها ان لم اقل كلها في آداب العرب من بحث وترجمة وشرح وانتقاد ، وكتاب ومقالة ومحاضرة وملاحظة وعددها يربو على المائتين ولذلك لا يمكن وصفها بتدقيق . وقد طبع فيرستها سنة ١٩٢١ وقت انتخابي عضواً في اكاڤيمية العلوم الروسية وتكلم في تقدير عملي العلمي ثلاثة من اعضاء الاكاڤيمية الاخصائين في علوم المشرقيات ، وقد طبع تقريرهم مع الفهرست المذكور ولذلك اكتفيت بالإشارة اليه . ودوائر ابحاثي ثلاث : الاولى منها تاريخ الشعر العربي ونقده منذ قديم الزمان الى ايامنا هذه . والثانية آداب اللغة العربية بين نصارى العرب . والثالثة تاريخ آداب اللغة العربية منذ نهضتها الاخيرة في القرن التاسع عشر . وهذا الموضوع الاخير مما افتخر به فياني اول من كتب بالروسية فيه ، وقل من كتب عنها . من المستشرقين في اوربا . ولذلك قرظ . ولناقي تقريراً حسناً المرحوم مارتين هارتمن الذي كان مطلعاً على احوال العرب الادبية بمشاهداته الشخصية والاقامة بين اظهريهم .

ورجائي الآن ان اواصل ابحاثي في هذه الدوائر الثلاث وان يتيسر لي طبع ما تراكم لدي من الآثار الادبية والابحاث والمقالات . فهذه هي أمنيته الوحيدة والرجاء ان يبلغني تعالى سؤلي وان مع العسر يسراً وكل ضيق فالي فرج قريب .

الاستاذ كليمان هوار

فجع المجمع العلمي العربي بعضو عظيم من اعضائه ونابعة مع نوابغ المشرقيات في المغرب المرحوم العلامة كليمان هوار . ولد في باريز يوم ١٥ شباط ١٨٥٤ وتخرج في مدرسة اللغات الشرقية ونال شهادتها وشهادة مدرسة الدروس العالية (شعبة العلوم التاريخية واللغوية) ثم عين ترجماناً مبتدئاً في قنصلية فرنسا بدمشق في ١ آب ١٨٧٥ ثم ترجماناً ثالثاً في سفارة الاستانة ١٨٧٨ - ١٨٨٥ فترجماناً ثانياً ١٨٨٥ - ١٨٩٧ فقنصلاً من الدرجة الثانية في ٩ آذار ١٨٩٧ فكتم اسرار مترجماً في باريز ١٠ تشرين الاول ١٨٩٨ فمندوباً عن وزارة الخارجية في مؤتمر المستشرقين في الجزائر ١٩٠٥ فكتم اسرار مترجماً من الدرجة الاولى في ١ نيسان ١٩٠٧ فمندوباً عن وزارة الخارجية في مؤتمر المستشرقين في كوبنهاغن عن سنة ١٩٠٨ فقنصلاً عاماً في ١١ تموز ١٩١٢ . وقد انتخب عضواً في المجمع العلمي الافرنسي (Institut) في ١٧ كانون الثاني ١٩١٩ وكتم اسرار مترجماً من الدرجة الاولى للحكومة لدى وزارة الخارجية في اللغات الشرقية وكان استاذاً في مدرسة اللغات الشرقية الحية ومدير الدروس في مدرسة الدروس العالية العملية (شعبة العلوم الدينية) ونائب رئيس المجمع العلمي الافرنسي^(١) ثم انتخب باجماع الاصوات رئيساً له لسنة ١٩٢٧ .

وله عدة تأليف منها ما احياه بالنشر ككتاب البدء والتاريخ للمختار بن طاهر المقدسي المنسوب لابي زيد احمد بن سهل البلخي وهو في ست مجلدات نشره مع ترجمته بالافرنسية . وكتاب الآداب العربية باللغة الافرنسية وتاريخ بغداد وكتاب الخطاطين والقاشين في الشرق الاسلامي وكتاب دين البساب وكتابات عربية في آسيا الصغرى . وقونية مدينة درايش المولوية . ومختصر نحو اللغة الفارسية . وانبس العشاق مترجم عن الفارسية . ووثائق فارسية عن افريقية وكتابات عربية وفارسية في جامع كي فونغ فو وسينكان فو في الصين . وتاريخ العرب في مجلدين

(١) Académie des Inscriptions & Belles - Lettres

(وقد ترجم هذا الأخير الى الألمانية) وكلها باللغة الافرنسية الى غير ذلك من الكتب والرسائل والقوائم والفهارس والتقاريظ والانتقادات والمقالات التي نشرها في مجلة العالم الاسلامي والمجلة الاسيوية ومجلة تاريخ الاديان ومجلة الانتقاد والمجلة السامية والمجلة الفرنسية الكبرى والمجلة الاسلامية وهو يحسن من اللغات الشرقية العربية والفارسية والتركية . وتقديراً لعمله ونمحه عدة اوسمة من حكومته والحكومات العثمانية واليونان وتونس والمغرب الأقصى والعجم .

والنخب الفقيه عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق . وكان عالماً بلغات الشرق الاسلامي ودينه وآدابه وفنونه . وكان غيره مختصاً باحدى اللغات العربية او الفارسية او التركية اما هو فكان عالماً بكل منها و يُدرس جميعها . ولكن اللغة العربية اجتذبتة فكان يفضاها على سواها فاخصها باثنى اوقاته واستغرق اكثر جهوده لانه ممن يعتقدون بما للعربية من التأثيرات المستمرة في منازع الشعوب الاسلامية وآدابهم وفنونهم ويرى بانه لا يتيسر لاحد معرفة احداها الا اذا كان ضليعاً من العربية . ولذا كان يلقي درسه في تفسير القرآن الكريم في مدرسة العلوم العليا بباريز باللغة العربية وان قلّ المستفيدون منه لعدم معرفتهم لغة الكتاب العزيز .

كان السيد هوار آية في بعد الهمة ومضاء العزيمة والدؤوب المتواصل في التأليف والنشر مشهوراً بسعة المادة واختيار الموضوعات الطريفة المفيدة . وقد كانت له صلات علمية متصلة مع المجمع العلمي العربي بدمشق منذ اول انشائه ومما نشره في مجلته بحث ممتع في « الدروس العربية في فرنسا » (مجلة المجمع م ٥ ص ١٥٧) دل به على بعد غوره وفضل تحقيقه وانه من اساطين المشرقيات العربية في فرنسا .

بعد فقد الاستاذ هوار خسارة على علوم المشرقيات في الغرب والشرق ، وهو معروف جداً المعرفة في بلاد العالم الغربي . وقل من ضرب في العلوم الاسلامية بسهم الا وطالع كتبه واخذ منها . لاجرم انه كان في طليعة اعيان علماء المشرقيات لا في فرنسا فقط بل في اوربا واميركا ايضاً . وقد ظل على متابعة اجتهاده وتأليفه الى آخر ايام حياته . اجزل الله ثوابه وعوض العلم عنه خيراً .

محمد الحسني

آراء وافكار

« الشام » في معلة الاسلام

كتب الاسناذ الاب لامنس (Lammens) في آخر جزء صدر من معلة الاسلام (Encyclopédie de l. Islam) مبحثاً في « الشام » وقعت له فيه هنات لا يصح الاغضاء عنها ، فمنها (ص ٣٠٢) في فتح الشام ان الأعراب بعدة الردة وقيام ابي بكر الصديق تألفوا عصابات عملاً بأشارة الرسول او بغية غزو بلاد خلت من حماتها فرحلوا الى الشام وقابلهم سرجيوس قائد قيسارية للروم فغلبوه في دائن وكان في قلة من المتطوعة ثم ذكر ان خالد بن الوليد خف من العراق وهزم الروم في أجنادين بين ايليا وبيت جبرين ثم انهزم العرب في فحل الخ . ومعنى هذا ان مبدأ الفتح كان بعصابات على عهد ابي بكر فقط ، مع ان جميع كتب التاريخ مجمعة على ان صاحب الرسالة (عليه الصلاة والسلام) انفذ في حياته الشريفة خمس غزوات الى الشام وهي غزوة ديمة الجندل (في اول تخوم الشام) وغزوة مؤتة في ارض الشام وغزوة ذات السلاسل وغزوة تبوك وغزوة آبل الزيت . وفي عهد الخليفة الاول أرسلت الجيوش تبعاً درا كأ بقيادة جلة من الصحابة ومنهم خالد بن الوليد وكانت وقعة اليرموك هي الوقعة الفاصلة ، ولم يكن جيش العرب اقل من ٣٥ الفاً وجيش الروم نحو ٢٠٠ الف أنجد مرات . وأراد الاب لامنس ان يصغر من شأن هذا الفتح فنسبه الى عصابات مع انه كانت حربهم حرباً منظمة ولم يترك الروم في قوس المقاومة منزعاً . وما كان يقصد من الفتح الغزو والغنائم فقط كما قال .

وقال (ص ٣٠٤) ان الحركة العقلية كانت في العهد الأموي قاصرة على الشعر وفي رأسها الشاعر النعلبي الأخطل النصراني والخليفان يزيد الاول والوليد الثاني . مع ان شعراء الأمويين عدوا بالعشرات . والحقيقة ان الحركة العقلية لم تكن أدبية فقط فان خالد بن يزيد الأموي في دمشق امر بان تترجم له كتب الطب والفجوم والكيمياء وجلب فلاسفة من مصر والروم وأغدق عليهم الاموال لذلك . وأنشأ اول خزانة للكتب في دمشق بل في بلاد الاسلام . ثم جاء عمر بن عبد العزيز فأمر ان يترجم كتاب

اهر بن اعين) . فالحركة اذا لم تكن أدبية صرفة بل عملية فنية ولم يكن الاً خطل النصراني والغليفتان الأُمويان مستأثرين وحدهم بهذا الفضل (راجع كتابنا خطط الشام ج ٤ ص ١٨ — ٢٤) .

وذكر (ص ٣٠٤) ان القدرية اخذوا مبادئهم الفلسفية من مواطنهم النصراني وليس لهذا القول سند يركن اليه وكان ادعاه في كتابه مختصر تاريخ سورية فرددناه عليه (مجلة المجمع م ٢ ص ٢٧١ و ٣٣٧) . وقال ايضاً ان زراعة الشام ظلت زاهرة رغم إزهاق السكان بالضرائب مع ان الروم من اهل البلاد كما ثبت في التاريخ كانوا راضين عن هذا الحكم العربي اكثر من حكم الروم وتبين لم الفرق بين الإدارتين العربية والرومية .

وزعم ان نصارى لبنان حاولوا التخلص من مظالم عمال خلفاء بغداد فلم يفلحوا . مع ان نصوص التاريخ صريحة في ان الذين قاموا من اهل لبنان لم يكن قيامهم لمقاومة الظلم بل كانوا عمالاً لصاحب الروم وما كان لبني العباس ان يفضوا الطرف عن عمل لاعدائهم ويكيد لهم في ملكهم .

وقال (ص ٣٠٥) انه كان في دمشق معمل للورق في القرن العاشر للبلاد مع ان معامل الورق كانت في دمشق وطبرية وطرابلس وسماء وحلب وبنج وبدأت منذ اواخر القرن الثامن . وتدل القرائن على ان الوراقة كانت معروفة في الشام في اوائل الاسلام (خطط الشام ج ٤ ص ٢٤٣) .

وقال (ص ٣٠٦) ان الصليبيين فتحوا طرابلس في جملة ما فتحوه من الساحل الاول انهباهم على البلاد مع انه ثبت في التاريخ ان ابن عمار صاحب طرابلس وقاضيه هادنهم على ان يجتازوا من وراء مدينته وبقيت طرابلس بيد ابن عمار بضع سنين اوائل دخول الصليبيين . فكانت طرابلس آخر ما اخذه الصليبيون من مدن الساحل . وما قاله ان مدن الداخل قبلت ان تدفع الجزية للصليبيين وكان ما ادوه اموالاً نصالحوا عليها حتى لا تخرب البلاد . ودمشق لم تذكر انها أدت شيئاً من هذا القبيل . وغلا في تقدير عدد الاجانب في دولة دمشق اليوم فأوعلمهم الى ٤٩٠٠٠ في حين جعل عدد الاجانب في دولة حلب ٣٠٠٠ ولعله يريد ان يحذف صفرين فيكون عدد الاجانب في دولة دمشق

٤٩٠. وذكر ان الشام اليوم لناخم مملكة العراق من الغرب والصحيح من الشرق . وادعى ان العباسيين ظلوا على عدائهم للعلماء من الشاميين . ولذلك كان عملهم من العوامل التي حالت دون تقدم الافكار على ان العباسيين لم يضطهدوا من الشاميين او من عقلائهم وعلمائهم الا من جاهدوهم في محبة الأمويين ومن عداهم نزلوا بغداد على الرحب والسعة وشاركوا في الحركة العلمية ومنهم بضعة من الثراجمة والعلماء النصارى ، على ما ذكر ذلك القفطي وابن ابى أصيبعة ، ولكن كان الاولى ان يقال ان الحركة العلمية في الشام انتقلت الى دار السلام . وذلك بطبيعة الملك لان الخلفاء واهل الدولة كانوا في العراق وبعد الدور الثاني للعباسيين اخذت الشام تستقل عن بني العباس الا قليلاً .

وكان عليه ان يشير ولو بكلمة الى المدارس التي أنشئت في أمهات مدن الشام منذ القرن الخامس الى التاسع للهجرة ليبدل بها على مدنية القوم كما حرص على الإعجاب بالبيع التي أقامها الصابيون مثل بعة جبيل وبعة طرطوس وبعة بيروت التي هي اليوم الجامع الكبير . فان هذه المدارس هي التي نشأ منها للشام رجال الشريعة والادب والتاريخ والجغرافيا والفلك وناهيك بانه كان في دمشق فقط اربع مدارس للطب وواحدة للهندسة .

وكما قال ان الزراعة انحطت بدخول العرب الى الشام زعم ايضا ان التجارة لم تقم لها قائمة منذ عهد يوستنيانوس الرمي حتى جاءت مراكب البنادقة والجنو بين والبيز بين في الحروب الصليبية . وفاته ذكر اساطيل معاوية بن ابى سفيان وأخلافه ثم الطولونيين والفاطميين التي كانت مدة اربعة قرون لتقل التجارة - في أكثر موافي البحر الشامي كما تغزو اعداءها من الروم وجنوبي ايطاليا .

ولم يتعرض لذكر بعض المهندسين والفلكيين والرياضيين الذين قاموا في الشام على عهد الاسلام . بل ذكر بعض المؤرخين والجغرافيين والادباء واثنين من حملة الشريعة فقط . اما في العهد الاخير فلم يدون سوى اسماء اليازجيين ناصيف و ابراهيم ، وبطرس البستاني . وهذا كما ترى غمط لحق عشرات من الادباء والعلماء من المسلمين والمسيحيين الذين كانوا مادة المدنية الجديدة في الشام منذ أواسط القرن الماضي الى اليوم وهو ولا شك يعرفهم لكن يرقن عليهم لمقصد هو أعلم به .

هكذا يكتب الاب اليسوعي تاريخ الشام في هذا العصر وليته يقتدي بمن يكتبون

في هذه المعلة على بلاد الشام ايضا أمثال سوبرنهايم من يتجددون عن الغرض وبعيدون
عن الاهواء المذهبية وينصفون كل انسان وكل مجتمع ودولة . ومن الغريب ان هذا
المؤرخ اذا نُبه الى خطئه لا يناقش في الموضوع بل يقول ان ناقدية مجاولون ان تكتب
لم شهرة كشهرة ، وهم مغمورون خاملون جاهلون وبكيل له بكيل السخرية والمطاعن ،
بما يخرج عن حد النقد الادبي الذي هو حياة العلم والآداب ، فهو ابدأ شعوي من الطراز
الاول يغمط حق العرب والمسلمين من خدمة الحضارة ، وسلاحه السفسة بضعف كل
حقيقة اذا جاءت على ايدي العرب والمسلمين ، ويصور الشام في ماضيها وحاضرها في
بشاعة وان وجدت فيها الحسنات فهي لغير الفاتحين وأخلافهم .

وبينا نكتب هذه السطور قرأنا في رسالة « آراء غريبة في مسائل شرعية »
تعريب الاستاذ عمر فاخوري جملة للسيو دينه وسليمان بن ابراهيم في نقد كتابات
الاب لامنس وتحامله على الاسلام فما قاله : ان الاب لامنس في علم المشرقيات
كبطرس الناسك في الحروب الصليبية وقد جيز بهمة لا نعرف النكل صليبية دعية
في العلم طمعا بصرع الاسلام صرعة لا قيام منها . وقال فيه ايضا : كما ذكرت
الاحاديث والاختبار خلة حسنة ممدوحة في محمد وصحابته رأيت به يؤكد انهم كانوا
مصابين بالعيوب المناقضة لتلك الخلال وبكلمة موجزة نقول ان طريقة الاب لامنس
نقدم على « عكس » المتقول عكسا مطردا مقصودا . وقال في الحاشية : لا يعدل الاب
لامنس عن هذا الاسلوب الا حينما يجد أسلوبا أشد مكرأ في سوق الخبر الى معاني
السوء اه سامحه الله .

م . ك

فَعَالٌ فِي اللّٰغَةِ

« كل او جل ما ورد منه في كتب اللغة »

(بَلال) اسم مصدر من بل الرحم اذا وصله يقال هو يراعي بلال اي صلة الرحم
ومنها « تبلك بعدها عندي بلال » (بلاء) البلاء (بوار) اسم الهلاك . ومنه « نزلت
بوار على الكفار » . (تراك) اسم فعل معناه اترك كقوله :

نراكها من ابل نراكها اما نري الموت لدى اورا كها

(جَدَاع) السنة الشديدة التي تجدد بالمال وتذهب به ومنه «اجحف بهم جداع» وهي السنة لانها تجدد النبات ونذل الناس . (خَرَّاج) كلمة يقال في الخرج وهي لعبة لهم . (حَسَّاس) كلمة يقولها من طلب شيئاً فلم يجده . (خَزَاق) شتم للمرأة معدول عن الخزق بمعنى الذرق وهو مما يلزم النداء . (دَرَاك) اسم فعل بمعنى ادرك . (حَدَادِ حُدَيْه) كلمة يقال لمن تكره طلعت اي اصرفيه ومنه قوله «وحُدَيْ حَدَادِ شر احنه الرخم» . (حَزَام) اسم امرأة تلقب بزرقاء اليامة يضرب بها المثل في حدة البصر يقال هو ابصر من الزرقاء . (خَنَاث) وصف للانثى وهو مما لا يستعمل الا في النداء يقال لها يا خنث اي يا متكسرة . (دَبَاب) دواء للضع وهو اسم فعل بمعنى دُبِّي . (دَفَار) الدنيا والامة ويقال للامة اذا شتمت يادفار وعن عمر انه قال للامة التي عنك الخمار يادفار أنتشبهين بالحرائر واكثر ما ترد في النداء . (عَرَار) اسم بقرة ومنه باءت عرار بكحل وهما بقرتان انطختا فالتنا جميعاً اي باءت هذه بهذه يضرب لكل مستو بين . (فَجَار) اسم للفجور وهو معرفة كقوله فاحتملت برة وحملت فجار ويقال للمرأة بالفجار اي بالفاجرة وهي معدولة عن الفاجرة لا يستعمل الا في النداء . (قَسَاق) شتم لها يقال يافساق للنداء فقط . (يَافَشَاش) فشيته من اسنه الى فيه اي افعل ما شئت به فما به انتصار يضرب لمن يأتي امراً لا يقدر على اجرائه . (فَيَاح) اسم للغارة نقول فيحي فَيَاح اي اتسعي بالغارة وهو من قول مغاو يرم . (قَنَام) انثى الضبعان سميت به لانها تلطخ بدمعها ويقال الامة يا قَنَام . (زَاف) اسم فعل للامر يقال زاف ماء البئر اي استخرجه كله . (هَجَاج) ركب هجاج اي رأسه كقوله «وقدر كبوا على لومي هجاج» . (هَمَام) لا همام اي لا اهمم بذلك ولا افعله وجاء زيد همام اي بهمهم . (وَبَار) ارض بين اليمن ورمال بينين . (بَعَاط) زبر للذئب والخليل وقيل كلمة ينذر بها الرقيب اهله اذا رأى جيشاً قال :

وهذا سم قد علوا مكاني اذا قال الرقيب الا يعايط

(جَعَار) قومي جعار شتم للامة على تشبيهها بالضبع (حَلَاقِ جَذَابِ جِبَاذِ) الموت قال عمرو بن جميل :

فاجتبت اقزانهم جياذ ايدي سبا ابرح ما اجتباذ
وسميت المنية جذاب لانها تجذب النفوس وحلاق لانها تحلقها (حباقي) شتم لها
لازم للنداء (حداير) السنة لجذبة - وموضع (حذار) اسم فعل بمعنى احذر كقوله
«وحذار ثم حذار عنه بحاربا» (حضر) اسم فاعل بمعنى الحضر - ونجم يطلع قبل
سهيل فيظن انه سهيل (حناذر) من اسماء الشمس لحرارتها ومنه :
تستركم العلاج به حناذر كالارمد استنفضي على استنجاذ
(جمادى لفلان) نقال للخيول دعاء عليه اي لازال جامدا الحال (حماد) له نقال في المدح
اي حمدا له (حنناز) المنقة (ذمار) اسم فعل للحض على الحرب (رغال) الامة
(سباط) الحمى نقول نملأهم سباط (خابث) معدول عن خبيثة شتم لها لازم للنداء
نقول يا خباث (خصار) فرس مشهور وفي المثل اجرأ من فارس خصار (وقاع)
كية مدورة على الجاعرتين (بباس) السواة او الفندورة (يسار) الميسرة يقال انظر في
حني يسار (براح) الشمس يقال دلكت براح (خطاف) من اسماء كلاب الصيد
(سماع) اسم فعل بمعنى اسمع (سجارج) اسم امرأة ادعت النبوة قال الحريري
«انها ومرسل الرياح لا كذب من سجاح» (سراب) اسم ناقة البسوس التيممية التي
قتل كليب فيها فثارت الحرب بين البكر بين والنفل بين اربعين سنة لاجله فصارت مثالا
في الشؤم يقال هو اشأم من سراب (شجاذ) المطرة الضعيفة معدول عن الشجاذ بمعنى
الابتلاع (شلال) اسم للشلل يقال في الدعاء له لاشلال اي لا تشلل يدك (حرام)
من اسماء الحرب (ظفار) بلد باليمن قرب صنعاء (عفال) شتم لها يقال يا عفال
(عقاق) اسم للعقوق بالوالدين (علاق) اسم فعل للامر بمعنى تعاق (غدار) شتم
لها يقال يا غدار خاص بالنسباء (نعاء) اسم فعل للامر بمعنى انزع قال الاصمعي كانت
العرب اذا مات منها ميت له قدر ركب راكب فرسا وجعل يسير في الناس ويقول
نعاء فلانا اي انعم واظير خبر وفاته (يارطاب) كلمة نسب بها الامة (ظنار)
كل ارض ذات مغرة^(١) (لزام) يقال سبة لزام وضربة لزام اي لازمة (مساس) اسم
(١) كذا بالشديد وصوابه مغرة بالتخفيف وهي الطين الاحمر يصغ به وتسمى
هذه الارض ايضا (المغرة) (المجمع)

فعل بمعنى مسّ . ولا مساس اي لا تمسّ . وهو من الشواذ . (عواد) اسم فعل بمعنى عد (كرار) خروزة للتأخير نقول الساحرة يا كزار كرتيه ويا همرة اهمريه ان اقبل فسرتيه وان ادبر فصرته . (بداد) جاءت الخليل بداد اي منفردة ومنه قوله :

وذكرت من لبن المحدثى شربة والخليل تعدو في الصعيد بداد

ويا قوم بداد او بداد بداد اي لياخذ كل رجل قرنه . (خذاق) شتم لها خاص بالنداء . (حلاح) علم لمكة وقد تعرب . (صمام) علم للداهية الشديدة . وصمّي صمام اي زبدي ياداهية . وصمام صمام بمعنى الامر اي تصاموا في السكوت . (طبار) الداهية وبنات طبار الدواهي . (غثار) علم للضيع . (فعال) اسم فعل بمعنى افعل . (فغار) طعنة فغار اي نافذة . (قشاح نقاش) الضع . (ملاع) اسم ارض . (نضاد) جبل بالعالية . وبؤث وتيم تجربه مجرى مالا ينصرف . (مناع) اي امنع . (نظار) اسم فعل للامر بمعنى انظر . (فثام) اي اقم اسية اجمع مطرد عند سيوبه وموقوف عند ابني العباس . (ضراح) اسم فعل بمعنى اضرح . (كلاح) السنة المجدة . (امراة كعاع) لثيمة لا تستعمل الا في النداء وهي معدولة عن لا كعة . (كفاف) معدولة عن الكفاف بمعنى المثل يقولون دعني كفاف اي كف عني واكف عنك . (فثام) الغنيمة الكثيرة (فطان) علم للامة . (ففاس) الامة اللثيمة الرديئة . (نزال) اسم فعل للامر بمعنى انزل للمواحد والجمع والمؤنث . (آباب آباب) اي لا بأس وهي لغة حميرية وقيل آباب الكمال مأخوذة من هذا (جعار وام جعار) علم للضيع . نيسي جعمار او عيشي جعار مثل يضرب في ابطال الشيء والتكذيب به وانشد ابن السكيت

فقلت لما عيشي جعمار وجريسي بلحم امري لم يشهد القوم ناصره

«روعي جعمار وانظري اين المفرة» مثل يضرب ابن يروم ان يغلب ولا يقدر على ذلك . (لظاظ) السنة الحاجة عن الخير الساترة . (طمار) المكان المرائع يقال هوى من طمار وانصب عليه من طمار وبنات طمار الدواهي . (ازام) الشدة . (لخاص) اسم للشدة والاختلاط والداهية — وخطة تلخصك اي تلجئك الى الامر . (سكاب) اسم فارس .

النبك سالم خليل رزق

مطبوعات حديثة

ملق السبيل في مذهب النشوء والارتقاء

« تأليف اسماعيل مظهر طبع في المطبعة المصرية بمصر في ٣٤٢ صفحة »
« بانقطع الوسط »

الاستاذ اسماعيل بك مظهر من الذين ضربوا في الفلسفة بسهم وافر وهو واسع الاطلاع عليم بكثير مما صنفه الافرنج في ضروب الفلسفة . وفوق ذلك فهو جاد يستعمل القلم في نقل معلوماته الى العربية فيخدم بذلك ابناءها . ومما نشره اخيراً هذا الكتاب المفيد فجاء في اثني عشر فصلاً وهي « تمهيد ومقدمات ، الرأي المادي ومذهب النشوء ، دارون والمادويون ، مذهب النشوء ازاء الدين والآداب ، نظرة عامة في الرد على الدهريين ، اختلاط المقاصد في الرد على الدهريين ، الانقلاب الجيني واثره في تأييد مذهب النشوء ، قدم الأنواع وعلاقة الجيولوجيا بمذهب النشوء ، علاقة المتحجرات بمذهب النشوء ، اثبات مذهب النشوء بتعاقب المتحجرات خلال العصور الجيولوجية ، اصل الانسان ازاء مذهب النشوء ومذهب دارون في العصر الحاضر » .

طلعت هذا الكتاب فرأيت ان ألفت نظر المؤلف الفاضل الى الامور الآتية :

اولاً . — طعن بالماديين في الصفحات ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ وسفه رأيهم واتهمهم بالاحاد . ولو أنصف لطنن بالمخدين وحدهم ولفرق الفلسفة المادية عن الاحاد لان الاستاذ لا ينكر ان عنوان كتابه قائم على بحث من ابحاث العلوم المادية وان العلوم لم تنقدّم الا لما اخذ الانسان يبحث عن النواميس الطبيعية بأسلوب مادي او يقيني تاركاً البحث عن العلل الاولى والماهيات الى ارباب الدين وأصحاب الفلسفة الغيبية . فالفلسفة المادية نقضي بعدم البت في حادثة لا يقره العلم ولا يقع تحت الحواس . فاذا اتبناها ببراهين عملية ملوثة صدقتك والا بينت لك وجه الخطأ . فاما اذا رأت نفسها قاصرة عن ان تحيط بحقيقة ما تبديه فمرعاث ما تعترف بجهلها وبان العلم لم يدرك بعد حقيقة هذا الحادث . وهنا بيت القصيد اي ان الفلسفة المادية لا تلزم صاحبها بانكار وجود الخالق بل تدعوه الى عدم البت فيما لا يقوم عليه دليل علمي وهو بعد حر بان يعتقد بالخالق

او بالادبيات عن طريق المحاكمة العقلية او لا يعتقد . وكثير من الفلاسفة الماديين يعتقدون بالآله عاقل في تعليل الكون ومنهم دارون نفسه وليس كل فيلسوف مادي ملحداً ولكن بكثير عدد الفلاسفة الماديين الذين انت سألهم رأيهم في المبدأ والنهاية والعلة الاولى أجابوك بلا ادري لانها لا تلمسها الحواس بل لانها تخرج عن دائرة أبحاثهم هذا مع اعتراف الجميع بفوائد الدين الاجتماعية والادبية . وكأني بالمؤلف الفاضل اخذ على نفسه معاكسة الدكتور شميل في مذهبه في حقيقة الدين حتى استرسل في آراء فلسفية لا علمية قدر ما تمسك الدكتور في محدودات مادة .

ثانياً — ذكر في الصفحة ٤٩ الى ٥٣ وظيفة الدين الاجتماعية فبين تأثير الادبان اي « وازع ما بعد العقلية في ضبط سلوك الانسان تجاه الجماعة » وقال : « بعدم امكان قيام نظام اجتماعي على اساس الشرائع الوضعية » وباليات المؤلف انصف ونحن في القرن العشرين فاعترف بتأثير كثير من الشرائع المادية والمبادي الاجتماعية غير الدينية في تنظيم حياة الجماعات ومدنيتها ، دون ان يكون في اعترافه ادنى مس للادبان او نقص لنوائدها الاجتماعية والادبية .

ومن الغريب انه ختم بحث وظيفة الدين الاجتماعية بقوله : « ذلك هو الدين واثره فهل يحجده بعد الماديون » . ففي جحد أصحاب الفلسفة المادية الفوائد الاجتماعية العظيمة التي أفادت بها الأدبيات منذ أقدم العصور الى اليوم . وهذا او غوست كوت نفسه مؤسس الفلسفة المادية قد أطنب في فوائد الدين الاجتماعية اطناباً عده كثيرون اغرافاً .

وفي تضاعيف الكتاب حمل كثيرة سفه بها الاستاذ المصنف آراء الماديين لا سيما في بحث الاعتقاد بالله . اما اننا فلا يمكنني ان اعلل طعنه واستنتاجاته الا بكونها مقصودة اي انه توخى الطعن لغرض او لاعتقاد بالحقيقة ملموسة مادياً يقرها العلم او تقرها الفلسفة المادية التي لا تتركز على الفرضيات البعيدة عن الحس ولا على الجدول والوهم والخيالات الفلسفية . هذا وقد كانت بإمكانه اثبات وجود العلة الاولى وكونها عاقلة مدبرة بالاستنتاجات العقلية التي ما يروح أصحاب الفلسفة الدينية يطرقون أبوابها ، دون ان

يطعن بالفلسفة المادية لان هذه الفلسفة لا تتخالفه الا بكونها تعترف بجمل الانسان عن إدراك الماهيات بطريقة علمية مادية وهذا ما لا ينكره احد .

ثم ان من يطالع الكتاب ليحار في تبين مذهب المؤلف الفلسفي خصوصاً من حيث الأديان ، فهو بينما تراه يدافع عن الدين كل الدفاع واذا به يسكت عن معظم تاليه لانه لا يعتقد على ما يستنتج الا بوجود علة العلل اما اكثر القواعد الدينية الاخرى فهو يضرب صفحاً عنها لاسيما اذا كان العلم المادي لا يقرها (صفحة ٥٣ و ٢٩٥) .

ثالثاً . — ذكر « حظ العرب من البحث اليقيني » فعزا اليهم نقائص وحنات كثيرة وكاد يجردهم من كل أثر علمي او ادبي او فلسفي كل ذلك تمهيداً للرد على الشيخ جمال الدين الافغاني ولدهض ما ورد في رسالته « الرد على الدهريين » .

وهنا ايضاً حاد المؤلف الفاضل بنظري عن جادة الانصاف لانه لو سار في محامته على أسلوب يقيني محض لوجب ان يذكر ان العرب لم ينفردوا بأصولهم الغيبي (ثم بما يسميه الشك التقليدي) بل كان هذا الاسلوب طابع مدنية من عاشوا معهم ومن درجوا قبلهم ، وانه لا يرجى من شعب عاش في القرون الوسطى ان تكون جميع أبحاثه في مختلف العلوم يقينية باعثة الى إعجاب أساتذة القرن العشرين ، وان العرب حسبهم ان يكونوا في التاريخ حفظة العلوم القديمة وموسعيتها على قدر ما بلغت طافة البشر في هاتيك الايام . ولم ادر كيف خص المؤلف العرب وحدهم بالنقائص التي ذكرها مع انه قال في الصفحة الثامنة « زمان انطوى فيه كتاب مديننا العربية تلك المدنية الشرقية البحتة التي ظلت منارة العالم المتمدن وكعبة سياسة الشعوب ومهبط وحى العلم والآداب ونبع الفلسفة الفياض طوال القرون الوسطى » حقاً انني كدت اتهمه بالشعوبية لو لم أعد الى تلاوة ما أورده في الصفحة الثانية .

رابعاً . — أظن ان الذي لا يكون قد درس دوساً اعدادية على الافل ووقف على آراء العلماء في نواميس النشوء لا يقوى على فهم كثير من أبحاث الكتاب لان المؤلف لم يصنفه وفقاً للطريقة المدرسية (Classique) فانا ارى انه كان من المفيد بل من اللازم ان يتلافى الاستاذ ذلك فيجمل في اول الكتاب بحثاً موجزاً في تعريف النوع والصنف والرسم (العرق) ، وحصول التبدلات (التغايرات) في النبات والحيوان واشكال

هذه التبدلات وما يدعو الى حصولها ، ثم نظرية الوراثة وأشكالها وما ينتج عنها ، واخيراً الانتخاب الطبيعي فالانتخاب الصناعي وأشكاله وقواعده . ولا مشاحة في ان بحثنا كهذا يجعل فصول الكتاب أقرب منالاً على القاري لا سيما اذا لم يكن له سابق عهد بهذه الموضوعات .

خامساً . — لم يمن الاستاذ باغة الكتاب قدر عنايته بمعانيه ولذا جاء فيه من الجمل الركيزة والألفاظ المغلوطة عدد كبير وهذا بعضها :

١ — تراكيب في المنسوب والمنسوب اليه لا يأتيها الذوق كالانقلاب الاسلوبى والانحرافات التركيبية والارتقاء النشوي والمثالية الأخلاقية والحركة النبوية والسببية العلمية والتقليد الشكي والشك التقليدي (للمعنى الواحد) والأطوار الانقلابية والمستكشفات التشرىجية والعضوبات الحفرية ، الى كثير من أمثالها في حين ان كتاب العرب في صدر الاسلام كانوا يعدلون حتى عن المستساغ من هذه الالفاظ الى استعمال المضاف والمضاف اليه فيقولون مثلاً انقلاب الاسلوب وانحراف التركيب الخ .

٢ — ألفاظ لم ترد في كتب اللغة بنائاً او بالمعنى الذي يريد كاستعمال والاستكشاف (بمعنى الاستكشاف) والنعف والارتكاز والاشحواز والإدحاض وموضوعية العلم والاحتراز والأسقية والتمتت .

٣ — أفعال عداها بغير الحروف التي تعدى بها مثل أَرَّ على وهو يتعدى بحرف في . وباع على (صفحة ٤٤) وهو يشدى بنفسه او بحرف من . وتأمل من وهو يتعدى بنفسه او بحرف في . وبحث الموضوع بدلاً من بحث عن الموضوع اوفيه . وأهل بالباحثين الى معرفة كذا بدلاً من اهلهم لمعرفة كذا . واضطر للعمل بدلاً من اضطر الى العمل .

٤ . — مسميات علمية لم يترجمها باسماء عربية سليمة او بالالفاظ التي اتفق كتاب العرب عليها فقال التمع بدلاً من الطلع او غبار العالم . والاستيانة بدلاً من المهبل او المثك او السمة . والحفريات بدلاً من المتحجرات (Fossiles) . والنويع بدلاً من الصنف (Variété) والصفة النافرة (Caractère dominant) عوضاً عن الصفة السائدة او البارزة (واتى فعل نفر بمعنى غلب) . والصنة المنفورة (C. recessif) عوضاً عن الصفة المنحية او الكامنة .

٥ — غلطات شتى لا تغنفر وهي كثيرة مثل لبس سوى جسم (ذو) تركيب، ينكرون للعالم الخارجي (وجود حقيقي) في ذاته ، لم يجعل لأثر الحالات الخارجية (شأن) بذكره ، لا (يؤيهون) بالبراهين ، مرّ على تاريخ الأرض (عصوراً) ليقام له بين عشية وضحاها (تمثلاً) .
والخلاصة ان كتاب الاستاذ اسماعيل مظهر بك على ما فيه مما يؤخذ به هو من أنفع الكتب الفلسفية . ولا أشك ان المؤلف الفاضل اذا تعاد لغة . ولفاته بعنايته واستقر على اتباع فلسفة بعضها فانه يخدم العربية خدمة كبيرة عن طريق الفلسفة لغزارة مادته فيها .
عضو المجمع العلمي العربي

مصطفى الشهابي

— «(X)» «(X)» —

الموشح

« في مأخذ العلماء على الشعراء »

تأليف أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ عنيت
بنشره جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٣٤٣ و طبع بالمطبعة السلطانية
و يطلب من مكتبتها في مصر (ص ٤٧٧)

أحسنّت هذه الجمعية كل الاحسان بنشرها مثل هذا الكتاب المفيد لمثل هذا
الامام المحقق في مثل هذا المظهر البديع . فان العلامة المرزباني لم يطبع له فيما
علمنا شيء حتى الآن مع ان تأليفه بلغت خمسة وخمسين مصنفاً ومنها ما وقع في خمسة
آلاف ورقة او في عشرين مجلداً وهو واسع المادة ، جيد التأليف ، امام في اللغة والنحو
والادب والتاريخ ، حتى قيل انه من محاسن الدنيا وأنه كان في عصره أحسن تصنيفاً
من الجاحظ . ومعنى المرزبان عند العجم الرجل المقدم العظيم القدر او حافظ الحد .
اما تصنيفه هذا فهو مجموع ما رواه عن أئمة هذا الشأن ممن وقفوا للشعراء جاهليهم
ومخضرميهم واسلامهم قدمائهم ومحدثيهم ، يقومون لهم كلامهم و ينقدون اشعارهم
ويخلون جيدهم عن رديتهم . وقد اخذ المؤلف بالواسطة عن القاسم عبيد بن سلام
الجنحي صاحب طبقات الشعراء (المطبوع في لندن) وروى ايضاً عن قدامة بن جعفر

صاحب نقد الشعر (المطبوع في الاسنانه) واقنيس من الاشناند في صاحب معاني الشعر (المطبوع في دمشق) الى غيرهم من العلماء والباحثين . وروى السيد المرتضى في اماليه عنه كثيراً . وكذلك يافوت الحموي في معجم الادباء . وكتابه يعلم من بدارسه عيوب الشعراء ومنهم من لم يجر لم ذكر الا في مطولات كتب الادب ، واكثرهم من المشهورين النابهين . (من وقف على العيوب انقاما ، ومن عرف السقطة تبادعنها ، ولا يسلم من يأخذ نفسه باساليب البهان شعراً كان او نثراً او خطاباً الا اذا اطلع على ما اورده حذاق النقاد في نقد من عانوا هذه الصناعة من فحول الشعراء ورتوتهم في كل جيل . والكتاب نافع في باب لكل اديب ومثادب ، زادت به مادتنا من الامهات خصوصاً وهو من الكتب التي نقلها بخطه من اصول صحيحة نقلت عن خط المؤلف اللغوي الكبير في عصره محمد محمود بن النلامي الشنقيطي وعلق على الاماكن المشككة منها ، ثم تعاورتها زمرة من الادباء في مصر بالتصحيح والشكل وجعل للسفر فدرس جميل باسماء الاعلام نجاء الكتاب مسنوف في من كل وجه لا تجد فيه المغامر التي تعثر بها سيف اكثر ما يطبع لعهدنا من كتب الافنديين اقله العناية بنقوتها وخدمتها ومعارضتها بالاصول واتباعها بالنهارس التي تدل على مضامينها . وحبذا لو اكثرت هذه الجمعية من طبع مثل هذه الاسفار التي تقربنا من الفصحى وتعلمنا مناحي البغاء في تأليفهم وارضاعهم وتحبي آثاراً طالما اسهر فيها مصنفوها اجفانهم خدمة للعالم العربي وهذه الامة محمد كرد علي

== (X p X) ==

الازهر

« ماضيه وحاضره والحاجة الى اصلاحه »

تأليف السيد محب الدين الخطيب طبع في المطبعة السلفية بمصر في ٥٥ صفحة

بالقطع الصغير

لم يفكر احد في موضوع الاصلاح الاسلامي والنهضة الاسلامية الا وجهه نفسه وأعمل قلبه في بيان فضل الازهر ومبلغ تأثيره في الاصلاح المنشود فهو بالنسبة الى العلم

الاسلامي كالقلب بالنسبة الى الجسد . وصلاح الجسد بصلاح مضغته كما ان صلاح الاسلام بصلاح ازهره . ولكن توجد صعوبة في امر فهم ذلك الاصلاح والاتفاق على طريقة الوصول اليه بين المفكرين من فضلاء الكتاب المسلمين وبين القائلين بشؤون الأزهريين من عالج هذه القضية وقاسى منها ما قاسى هو أستاذنا الامام الشيخ محمد عبده وقد قام على أثره اليوم احد محبيه المتبعي طريقته في الاصلاح الاسلامي صدقنا السيد محمد الدين الخطيب صاحب مجلة (الزهراء) والمطبعة السلفية فوضع هذا الكتاب الموجز في جمعه المذهب سيف فائده . فأتى اولاً على تاريخ الازهر وما هي أوضاعه وأروقته وكتبه ومشايخه من القرن الحادي عشر الهجري الى اليوم ثم ذكر مبلغ تأثيره في التجدد او النهضة الاسلامية اذا أصلحت مناهجه وطرق التعليم فيه فاليبحث جليل سيف موضوعه عظيم في الهدف الذي يرمي اليه .

المغربى

اتجاه الموجات البشرية

« في جزيرة العرب »

تصنيف السيد محمد الدين الخطيب ايضاً طبع في المطبعة السلفية بمصر

في ٧٢ صفحة بالقطع الصغير

السبب في وضع هذا الكتاب ان المستر توينبي كتب مقالاً علل فيه اندفاع الموجات العربية من جزيرة العرب حيناً بعد حين — علله بما لا ينطبق على الحقيقة ولا ينفق دائماً مع الاسباب التاريخية للهجرات العربية الكبرى . فألف الاستاذ السيد محمد الدين هذا الكتاب وعرض على أنظار القراء صورة صحيحة لاتجاه الموجات العربية منذ ستة آلاف سنة نحو العراق والشام خاصة والبلاد السامية عامة وأثبت فيه ان اصل الكلدانيين والفنيقيين من العرب . فالكتاب كما ترى من أجود ما كتب في تاريخ العرب وفلسفة نهضاتهم والحامل لهم على انبعاث موجاتهم الكبرى لاسم الموجة الحمودية الاخيرة التي غمرت وجه العالم المتقدم في عصر ظهورها . ولا جرم ان يحل الكتاب محله اللائق به من نفس كل محب للتاريخ العربي الجيد .

(له)

كتاب تحفة الارب

« بما في القرآن من الغريب »

تأليف ابي حيان الاندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ طبع في مطبعة الاخلاص
بجاء سنة ١٩٢٦ في نحو ١٥٠ صفحة

لا تخفى منزلة مؤلف هذا الكتاب بين أئمة اللغة والأدب كما لا تخفى الحاجة الى هذا الكتاب على احد من الفضلاء اليوم . لاسيما متولي شؤون التربية والتعليم في البلاد العربية فان الطالب اثناء مدراسة القرآن وتفهمه معناه قد تمر معه كلمة من غريبة تخفى عليه او على اساتذه والرجوع الى هذه الكلمة في كتب اللغة ليس من الحزم في شيء اذ ان لغريب القرآن معاني لا يصح الرجوع اليها الا في كتب التفسير ، ومراجعة ذلك في كتب التفسير فيه صعوبة لا تخفى . فلم يبق امامنا الا ان نضع كتب خاصة في تفسير غريب القرآن تفسيراً موجزاً يناسب الطلاب وقد وضعت عدة كتب في هذا المعنى ولكن اوفاهها بالحاجة كتاب ابي حيان هذا الذي سماه تحفة الارب . لا حظ كل ما ذكره الاساذ العلامة الشيخ محمد سعيد النعماني مفتي حماة فانبرى لنشر هذا الكتاب وزاده فائدة بان كتب عليه تعليقة يبين فيها اوجه القراءات السبع مع ذكر ما أغفله المصنف من غريب القراءات . وعهد الى اخيه الفاضل الشيخ طاهر النعماني بتصحيح الكتاب وضبطه والوقوف على طبعه . فالتسكّر لها منذ أسديا هذا الكتاب . الى المحتاجين اليه من أساتذة وطلاب .

(له)



كتب ورسائل مختلفة

- (١) رواية الثورة الدرزية في الاراضي اللبنانية للسيد الياس جرجس شبل ابي نادر طبع في المطبعة التجارية السورية الامريكية في نيويورك ١٩٢٦ ص ٦٢ .
- (٢) ائمة المملوك رواية مصرية تاريخية تمثل فجر نهضة مصر ايام محمد علي بين سنتي ١٨٠٤ — ١٨٠٧ جزأين في مجلد واحد تأليف الاساذ السيد محمد فريد ابو حديد طبع في مطبعة الاعتماد بمصر ١٣٤٥ — ١٩٢٦ (ص ٤٣٥) .

(٣) « بسائط الطيران » تأليف الدكتور احمد عبدالسلام الكرداني طبع مصوراً بعناية لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر في مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٤ — ١٩٢٥ (ص ١٧٦) .

(٤) « خاطرات الماضي واحلام المستقبل » مجموعة أدبية اجتماعية أخلاقية تأليف السيد عزت مقدم طبع بمطبعة الحضارة بطرابلس الشام ١٣٤٥ — ١٩٢٧ (ص ٤٨) .

== «X» ==

هـ رية مطبعة المعارف

أهدى السيد نجيب متري صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر الى المجمع العلمي العربي واحداً وعشرين كتاباً من مطبوعاته التي ظهرت حديثاً منها :

- (١) كتاب وصف الأثار المصرية وسير مشاهير الرجال تأليف السيد محمد عبدالحليم عامر وفهمي فرح داود طبع سنة ١٩٢٦ في ١٣٠ صفحة صغيرة مصور . (٢) النيل في عهد الفراعنة والعرب تأليف السيد انطون زكريا طبع سنة ١٩٢٦ في ١٢٦ صفحة متوسطة مصور . (٣) السعادة والسلام تأليف اللورد افبري وتعريب السيد وديع البستاني وهو الطبعة الثانية سنة ١٩٢٦ في ٢٣١ صفحة صغيرة . (٤) معنى الحياة تأليف اللورد افبري وتعريب السيد وديع البستاني وهو الطبعة الثالثة سنة ١٩٢٦ في ١٢٧ صفحة صغيرة . (٥) جنابة اوربا على نفسها والعالم تأليف السيد احمد فهمي طبع سنة ١٩٠٦ في ١٩٧ ص متوسطة . (٦) أبطال الحرية بآلة انطون الجميل طبع سنة ١٣٢٧ هـ في ٤٩ ص متوسطة مصور . (٧) رواية الصديق المجهول تأليف السيد نقولا حداد في ٢٤٨ ص متوسطة . (٨) رواية الايمان وتعريب صالح جودت طبعة سنة ١٩١٤ وهي في ١١٥ ص . (٩) رواية فناء مصر تأليف الدكتور يعقوب صروف في ١٩١ ص متوسطة . (١٠) رواية القضاء السري وتعريب فيصر شميل طبعة سنة ١٩١٠ . (١١) رواية السموأل او وفاء العرب تأليف السيد انطون الجميل طبعة سنة ١٩٠٩ في ٩٥ ص متوسطة .

وغير ذلك من الروايات الأدبية المصرية فالمجمع العلمي يشكر اريحية هذا الفضل لهديته النفيسة في سبيل العلم والأدب .

مجمع اللغة العربية

(دمشق) : نيسان سنة ١٩٢٧ م الموافق شوال سنة ١٣٤٥ هـ ٧٦

شيء عن اناتول فرانس (١)

سير العلم - القديم والحديث - الكلام عن اناتول فرانس - تراجم الكتاب -
مذهب اناتول في الشك - النقائيل - الحزن واسبابه - المسامحة - الحب -
الاسلوب المدرسي - الاسلوب الوجداني - طراز اناتول في القصد - لغة لافونتين -
ميل اناتول الى لغته - حرصنا على اللغة

قال الاستاذ شارل ريشه احد اعضاء معهد باريز في كتابه (العالم) :

« يسير العلم في سبيله سيراً تحار ثواقب الانظار في سرعته ، على ان العلم لا يزال في
عنوان امره ورياً مان عمره ، فالعالم (ارخميدس) على نبوغ فضله وبراعته كان يجهل
ما يعلّمه المعلمون اليوم في المدارس الابتدائية ، وأجهل تلميذ من تلاميذ المدارس التجهيزية
يعرف من العلوم اموراً يجهلها العالم (غليله) نفسه ، ما بين العالم (فرانكلان) وبين العالم
(انشتين) مائة وخمسون سنة ، فتصور مسير العلم في مائة وخمسين سنة ! ما أعظم إقلاّب
الأفكار ! لم يكن من قبل 'علم' الاحافير ولا علم الجراثيم ولا علم النصور ولا الطيران
ولا خطوط الحديد ولا حلّ الطيف الشمسي ، فلا يتجاوز عمر علوم البشر قرناً ونصف
قرن وما هو قرن ونصف قرن - المشي غير وثيد ، اننا نسير الى معرفة الاشياء على
سلسلة هندسية متزايدة ، وفي يوم من الايام سيكون للرجل بفضل ما يقتبسه من العلوم
سلطان عظيم على المادة معها اختلفت اشكالها » .

(١) محاضرة الاستاذ المحقق السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع اقامها في

ردّة المجمع يوم ٢١ كانون الثاني سنة ١٩٢٧ م .

هذا ما قاله الأستاذ (ريشه) فلم يتجنب نهج الصواب في وجيز كلامه ، لقد ظهرت علوم في أيامنا لم نظير من قبل ، فانبسط آفاق المقول فتبدل بانسباطها طراز التفكير وتغير غط القد ، وطفق الكتاب بتغلغلون في حقائق الأمور ، فظهرت على كتاباتهم آثار هذا الانقلاب واختلفت أصولهم في التفكير عن الأصول التي كانوا يبنون عليها من ألف سنة ، لقد تبدلت الأرض غير الأرض والسموات ، واستعمل العمران واستفاضت مذاهب الحضارة فأصبح الجود على القديم متلفة للقراخ ، الا انه ما صكل قديم فاسد ولا كل حديث صالح ، واذا جازلنا ان نستعين البكاء على الاطلال او وصف مراض الغنم ومعاطن الاوبل في عصر طارت فيه الطيارات ودبت فيه الدبابات ، او اذا جاز لنا ان نستشنع الكلام عن قبة من اديم او مظلة من شعر او خباء من صوف او بجاد من وبر او خيمة من شجر او قفة من حجر في دهر ذهبت فيه القصور في السماء فلا يجوز لنا ان نشذ عن لغة تسجت أفواها الليالي وطرزت أبردها الايام فوسعت ما سفي السموات والأرض .

لقد انقلبت العقول والافكار فنشأ النط الحديث في الادب وليس في هذه الثورة الفكرية شيء يستكره اذا لم يكن معها ثورة نذهب بمحاسن اللغة والأدب فان الحياة تستلزم الحركة ولا ريب ، قال ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا المقيم :

« ومن ذا حظز على التأخر مضادة المتقدم ، ولمه تأخذ بقول من قال : ما ترك الأول للآخر شيئاً ، وتدع قول الآخر : كم ترك الأول للآخر ، وهل الدنيا الا أزمان ولكل زمان منها رجال ، وهل العلوم بعد الاصول المحفوظة الا خطرات الاوهام ، وتناج العقول ، ومن قصر الآداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ، ولمه لا ينظر الآخر مثل ما نظر الأول حتى يؤلف مثل تأليفه ويجمع مثل جمعه ، ويرى في كل ذلك مثل رأيه ، وما نقول لفقهاء زماننا اذا نزلت بهم من نوادر الاحكام نازلة لم تحظر على بال من كان قبلهم ، او ما علمت ان لكل قلب خاطراً ولكل خاطر نتيجة ، ولمه حجرت واسعا وحظرت مباحاً ، وحرمت حلالاً وسددت طريقاً مسلوكة ، ولواقصر الناس على كتب القدماء . اضاع علم كثير ولذهب أدب غزير ولفضلت افهام ثاقبة ،

ولسكت السن لسنة ولما توشى احد خطابه ، ولا سلك شعباً من شعوب البلاغة ولجأت
 الاُسماع كل مردد مكرر وللفظت القلوب كل مرجع ممضغ » .
 ابو الحسين هذا حفظه الله من المجددين او المتجددين على ما يستنبط من كلامه ،
 الا انه نشأ في عصر انتهت فيه اللغة الى ابعاد غايات الحسن وبلغت أقصى نهايات الجودة
 والظرف ، فكانوا اذا نزعوا عن اللغة برداً قشيباً خلعوا عليها برداً أقشب ، واذا
 جردوها من دهباجة طريفة ألبدوها دهباجة أطرف ، وحسي ان أذكر من أئمة ذاك
 العصر ابن العميد والخوارزمي والصائي والصاحب والبديع والثعالبي وأمثالهم من الذين
 حسنت بهم صناعة الانشاء ، وما بينهم وبين الجاحظ وابن المقفع وعبد الحميد الا فينة
 من الدهر ، فكانت اللغة في حصن حصين وركن ركين فلم يكن في تجديدهم خوف
 عليها ، وما انحطت اللغة عن طبقتها الا لما ذهبوا بين سمع الارض وبصرها . اما
 المجددون في هذا العصر فقد بالغت طائفة منهم في الامر ، حتى أصبح جديدهم خطأً
 رثيناً . فذهبوا الى إطراح كل قديم ومحدث ، وجاهلي ومخضرم ، واعرابي ومولّد ،
 فلم يستلج ذوقهم كلام الجاحظ وابن المقفع وعبد الحميد وأشباههم من امراء اليان .
 وزعموا ان أساليب المتقدمين لا تسع علوم هذا العصر ولا تستوعب طرائف الحضارة
 وبدائعها فاذا بدتوا أنماط التفكير لزهمهم ان يبدلوا أساليب الكلام ، وهذا موطن الغلو
 في آرائهم . لئن ارتقى الفكر البشري في هذا العصر فان كلام العرب منخط عن طبقتة
 في الجاهلية والاسلام . فاذا لم يبلغ كلامنا اليوم مبالغ كلام المتقدمين فأبي عذر لنا
 في الشذوذ عن أساليبهم ، وكيف نزع ان لغتنا اعلى من لغة القرآن والمنسحبين على
 أذيال القرآن .

نوح الدكتور ماردروس القرآن الى لغته الفرنسية بمعدات استعد لها الامر
 عشرين سنة وقد كتب عن هذه الترجمة الاستاذ بابلوسكي مقالة في مجلة
 (Les Annales) جاء في خاتمتها ما يلي :

« لقد بلغ من تأثير القرآن في قلوب الثلاثمائة مليون مسلم مبلغاً أجمع معه المبشرون
 على الاعتراف بانهم لم يستطيعوا ان يردوا مسلماً عن دينه حتى اليوم . واستلج الدكتور
 من ذلك ان الكلمة اذا وضعت مواضعها وأنزلت منازلها كانت محمراً حلالاً » .

فن الذي يتيح اليوم بان يأتي بكلام ينزل على أكباد ثلاثمائة مليون رجل نزول الماء الزلال على الكبد الحارتي . فاللغة التي تخرج عليها طائفة المجددين هي لغة جمهور من الكتاب والخطباء والشعراء تدارسوا كلام القرآن حيناً من الدهر طويلاً حتى وصلوا الى ما وصلوا اليه من شعاب البلاغة . ثم هذه الطائفة انما تذهب مذاهب الغربيين في كتابتها فكأنما خيل اليها ان أدباء الغرب لا يبالون بقدماء كتابهم وشعرائهم .

هذا اناقول فرانس باقعة دهره !

تحدثت اليه بلاغة المتقدمين غل في الانشاء المحل الارفع حتى اطبق أدباء وطنه وفيهم عدوه وصديقه على الاعتراف بان اناقول حفظ اللغة في القرن العشرين ، فلم يتطرق اليها الفساد ، فلولا حرص اناقول على اللغة القديمة وتعلقه باهداسها لم يكن له المنزلة الرفيعة في الأدب .

وما اللغة القديمة التي يحرص عليها اناقول الا لغة المدرسين اي لغة القرن السابع عشر والقرن السابع عشر أطيح عصور الأدب الفرنسي ، فقد بلغت فيه اللغة المبالغ وبينها وبين لغة كتابنا البلغاء امثال ابن المقفع شبه عظيم دان رجلاً حفظ لغة قومه لجدير بان نعرف سيرته ، ونقبل طريقتة .

الكلام عن (اناقول فرانس) بعيد الشقة ، مترامي الاطراف ، فلا يأمن الغائص على هذا اللاؤلؤ المكنون ان يفرق في لجة خضم ملتطم الأمواج . واني أخاف اذا حاولت ان اقول عنه كل شيء ان لا اقول شيئاً . واني لأخشى اذا اردت ان اعرض على الجمهور كل طرائفه ان لا اعرض طريفة . فأثرت ان أتم بانناقول إلماً دون الافاضة في مطولات اخباره وآرائه . ولو اردت ان أشبع القول في عبقريته لعمدت الى كتب ومجلات وصحف شتى توغل اصحابها في هذا الافق المبسط كل متوغل . بيد اني احببت ان أبرز آثاراً بقيت في نفسي ورسوماً رصحت في ذهني من مطالعة بعض كتب ألفها اناقول فرانس . واني ارى ان الباحث عن ادب من الادباء اذا اجتمعت له عناصر البحث ونوفرت لديه مواد التنقيب لزمه ان يكون مستقلاً في حكمه ، حتى يكون هذا الحكم صادقاً ، ولكنه اذا نقل ما قاله الناس دون اعمال فكره كانت الصورة التي يعرضها مزورة مرفقة .

ولد اناتول فرانس في بار يز سنة ١٨٤٤ فكان لمشاهد جواد بار يز الجميلة تأثير كبير في ذهنه فقد كانت هذه الجواد يومئذ هادئة مخضأة فكان اناتول يسرح الطرف في قصر (الوفر) و بصوب النظر و يصعد في قصر (مازاران) فملأت هذه المباني عينه ، وغمرت قلبه ففتح خلقه برواقها ومزج قريحته برقتها ، ولم يصدق انها من آثار البشر . فكان الشك يختلج في صدره ، وقد بعثه تأمله هذا على الشغف بالفنون والحسين الى الماضي وكان ابوه كتباً فأبقت فيه هذه الحرفة ولما بالادب القديم وبالكثابة .

من محاسن ادب الافرنجة انك اذا تفرغت للكلام عن اديب من اديبهم او شاعر من شعرائهم او خطيب من خطيبهم الى غير هذه الطبقات من الناس الذين يقبلون العالم بنسج طبائعهم وسبك افهامهم وصوغ اذهانهم وجدت في بعض الاحاين مجال القول ذا سعة ، فانك لا تشاء ان تعرف شيئاً عن اخلاق هذه الطبقات وآرائهم وعاداتهم وثقافتهم وادبهم ونشأتهم وسماتهم وحياتهم الا عرفت . وقد بالغوا في ذلك فوصفوا في كتبهم كيف ولدوا وكيف عاشوا وكيف رباهم اهلهم . ووصفوا اخلاق آبائهم وامهاتهم فيقيدون كل شاردة ويدنون كل نادرة وقد يتولى اديباؤهم وصف حياتهم باقلامهم ، والمرء اعرف بواطنه وكرامته من غيره ، وهذا القبط قليل في ادب العرب . من هؤلاء الكتاب الذين وصفوا في كتبهم بداية حياتهم وميعة شبابهم اناتول فرانس فهو يرى ان انقاس الكتاب لهذا الطراز اشد من انقاسهم لغيره فانهم يجدون لذة في هذا الوصف فيحملون القراء على مشاركتهم في اللذة ولما ينزل الوحي على كاتب مثل ما ينزل عليه وهو يكتب عن خوالجه ولواعجه ، فأجمل كتب روسو « اعترافاته » واجمل كتب شاتو بر يان « مذكرات ما وراء القبر » .

الف اناتول فرانس اربعة كتب رائمة تصرف به الكلام في تصوير حياته كل متصرف ، واناتول فرانس كف بالاستطراد في كتاباته فهو يخرج من الجد الى الهزل ، ومن الحزن الى السهل تقياً للكل وبعداً من الملل فكثيراً ما يجب ان يلهو في سبيله ، فاذا مضى لطيبته ولم يلهو على شيء وصل الى غرضه في طرفه عين وهذا

ما لا يريد ، فانه يرى اللذة في الجيئة والدهوب لان النقل في الكلام مدرجة الى الله وهذا هو طراز الجاحظ في الكتابة والتأليف .

كان والد اناتول يرى في اول نشأة ولده ان عقل كلبه يفوق أكثر من عقل ابنه ، فلم يقع في خلده انه يأتي يوم يصبح فيه اناتول مفرداً علماً يملأ الدنيا ويشغل الناس .

وقد كان بين اناتول وابيه خلاف في المعتقد والدين فكان والد اناتول يؤمن

بالله يخالف عن هذا العالم ، وروح يختلف عن هذا الجسم ، اما اناتول فانه لم يعرف

بما وراء الطبيعة ولم يصدق كل ما يقال له . وقد شرع وهو طفل صغير في تعلم

الكتابة فحاول ان يكتب في الملاهوت والأخلاق فافتتح كتابته بهذا الكلام « ما هو الله »

وعرض السبارة على أمه فأوعزت اليه في وضع علامة الاستفهام بعد كلمة « الله »

إشارة الى انه يسأل عن امر مجهول ، فاستعصى وقال : اني اعرف الله ولا استفهم

وطال الجدل بينهما وامتنع عن وضع العلامة .

قال اناتول : وقد تغير طبعي من ذلك الحين فاني لا امتنع عن وضع علامة

الاستفهام في كل مقام مناسب وقد أنعرض لوضع هذه العلامة في كل ما اكتب

واقول وفي كل ما أفكر فيه . ولو تراخى اجل أمي لقالت لي « لقد جاوزت الحد

يا اناتول » وفي هذا الكلام إشارة الى ان اناتول يشك في كل شيء في العالم . فان

فلسفته الشك ، ووضع علامة الاستفهام بعد الكلمة المانع الى الشك ، على انه يقول معها

كان شكنا الفلسفي فاننا مضطرون الى ان نعمل في الحياة كأننا لم نشك في شيء . فلم

يكن مذهب اناتول الشك المطلق فهو يخشى هاتين السكتين الجافتين « انا اشك »

لان المرة اذا كان شك في الامور وجب عليه ان يسكت فالكلام إثبات واناتول لم يجرأ

على السكوت والاعتزال فقد شاء ان يؤمن بآمن الا انه آمن بان الامور نسبية

في هذه الدنيا .

كان اناتول يرى ان ايمان ابيه بالله هو الذي جعله متفائلاً بالحياة ، الا ان هذا

الوالد كان مع تفاؤله سو بداوياً قليل الضحك قليل الميل الى المزاة ، اما اناتول فقد

أخذ عن ابيه مذهب التفاؤل الا انه كان فرحاً في حياته على خلاف ابيه ، فقد نظر

الى الحياة من وجهها الصحيح فلم تغلب عليه السو بداء التي غلبت على ابيه ، ولا مثلت له

الأوهام اموراً لا حقيقة لها ، فليس في الدنيا على ما يقول حياة حسنة ولا حياة سيئة ، لا شيء شريف او معيب في ذاته ولا شيء عادل او غير عادل ، لذيد او أليم ، صالح او فاسد . وانما الرجل هو الذي يجعل صفات للأشياء كما يجعل الملح طعاماً للآكل . هذا هو رأي اناطول في الحياة وهو يقول من عاش طمعت نفسه فطلب المطالب وبقدر ما يحسب المرء ان مطلبه حلو او مرّ تكون الحياة في نظره حسنة او سيئة . يألم الرجال لانهم ليس في ايديهم ما يظنون انه خير او اذا صار اليهم هذا الخير خافوا ضياعه ، و يألمون ايضاً لانهم يكابدون ما يظنون انه شر من الشرور فاذا بطلت هذه المعتقدات ذهبت آلامهم ، والناس سواء في عجزهم عن عمل الخير والشر فان الخير والشر لا اثر لهما الا في الرأي . والعافل من الناس يرى العادة والمصطلح اهل كل شيء . هذا هو معنى كلامه « الامور نسبية في هذه الدنيا » . وقد قذف ابو الطيب المذنب هذه الفلسفة في بيت فقال :

راعتك رائحة البياض بمفرقي ولو انها الاولى لراع الاسم

البشر في نظر اناطول هم الذين يستجلبون العذاب الى قلوبهم و يدخلون الآلام على نفوسهم فاسمع ما قاله في الحزن وكيف عاله .
« أشد ما يكون حزننا باستيلا ب العذاب الى قلوبنا ، وأعظم ما تكون مهارتنا في جر الألم الى نفوسنا ، لقد ضاقتنا آلامنا وتم انقضاء ازياء اللذة لحواسنا . لقد ظهت منذ بدء الخليقة ونشوء العالم امرأة مقنعة اسمها «السويداء» ولكن فلنعدل دون شيء من الاشتطاط فقد أضفنا ولا ريب بعض الشيء الى احزان النفس ولكل مننا نصيب في إنشاء هذه الآلام ، آلام الروح .

العلم لا ينشي شيئاً من السعادة ، فقد قطفنا ثمر شجرة العلم واكلناه ، ولم يبق منه في الأفواه الا طعم الرماد . لقد مشينا في مناكب الارض وخانطنا أمتاً شتى منها السود والحمر والصفر ، وبان لنا اختلاف البشرية ، ورأينا ان هذا الاختلاف اعظم مما كنا نتصوره ، ووجدنا انفسنا امام اخوات اجانب لا تشابه ارواحهم ارواحنا الا بقدر ما تشابهها ارواح الحيوانات ، ثم جلنا في الفكر كل مجال فقلنا ما هذه البشرية التي نغير سماتها وارواحها وألحمتها بتغير مبادئها ، كنا لا نعرف من الارض الا حقولها التي كانت تخرج لنا الخيرات وكانت هذه الارض كبيرة في اعيننا فلما عرفنا مقامها

سيفي العالم تصور لنا صغرهما ، فقد علمنا انها ما كانت الا قطرة طين ، فوضع هذا العلم منا ، وكنا محمولين على الظن بان اشكال الحياة والعقل كانت اعظم مما تمثل لنا ، وان في الكواكب والعوالم مجامعها مخلوقات تفكر ، ففهمنا بعد ذلك ان عقلنا صغير . ان الحياة سيفي ذاتها لا هي طويلة ولا هي قصيرة . والاعترار الذين يقبسونها بالنسبة الى مدتها الوسطى يقولون والحق يقولون ان المرء اذا مات بعد ان يحطه الشيب فقد قضى لبائنه من الحياة ، اما نحن فما ذا صنعنا ؟ فقد شئنا ان نحزر عمر الارض القديم وعمر الشمس وما نحن الآن نقيس حياة البشر على امدار طبقات الارض وعلى اعمار العوالم فرأينا بعد هذا القياس ان الحياة قصيرة ، غرقنا في بحر الزمن والمسافة فتبين لنا اننا لم نك شيئا فنقل علينا هذا الامر ولم نشأ ان نقول شيئا بسبب كبر بائنا نخجلنا واصفرت وجوهنا والخطب الجلل ان ايماننا ذهب بذهاب جهنمنا الحسنة ذهب رجائنا واضمحل املنا فلم نؤمن اليوم بالذي كان عزاء لا بائنا وهذا شديد علينا ، فقد كانت الايمان بجهنم نفسها يطيب ويعذب .

ومما زاد في يؤسنا ان تكاليف الحياة المادية اصحبت اثقل من قبل ، فان الجماعات الحديثة قد جوتت ضروب الأمان في فاستثارت بذلك كل مجهود . واصبح التزام على الحياة والنزاع فيها اشد من كل دهر وصار الظافرون احمق ، والمتكسرون اعظم انكساراً ، لقد اضعنا حب الخير بضياح الايمان والرجاء وكانت هذه الفضائل الثلاث تحمل الأرواح البائسة على ظهر هذا البحر ، بحر العالم ، فمن الذي يأتيها اليوم بالايمان والرجاء وحب الخير ! » .

كان انا ناول سعيداً في حداثة سنه ولكنني يقول : السعداء لا يعرفون اموراً كثيرة عن الحياة فالألم هو مذهب الرجال الأكبر والألم هو الذي علمهم الفنون والشعر والأخلاق وهو الذي اوحى اليهم البطولة والشفقة وهو الذي جعل قيمة للحياة عندما يتأمر الناس في حياتهم .
ومن كان متفائلاً بالحياة فأخلق به ان يكره الموت ، ويخاف شدته ، وانا ناول من الذين يكرهون الموت قال :

كان الموت في كل دهر من الدهور مخوفاً فظيماً ، ومهما قالوا لك لا ينبغي للمرء ان تأخذه الخفاة من ظلمة اللحد وضيق الأرباس فما الموت الا العدم فالرجل يجيب عن مقالم هذا بان الساعة الأخيرة تملأ القلوب خوفاً ورعباً . كان الاغريق يرهبون غم الضريح ويخشون هول الموت الا انهم لم يقبحوه ولا شنعوه ، فان مخيلاتهم قد زينت كل امر من امور الدنيا وجعلت لقاع الحياة بهجة ورونقاً اما القروى الوسطى فقد هوت علينا بنار جهنم وخوفنا بخيالات كئيبة مستكرهة فصورت لنا شياطين تمر بنا فتنتزع من بين جوانب المذنبين أرواحهم ورعبنا بصور المقابر المحزنة واشكال الهياكل العظمية والديدان التي تأكل لحم الاجسام الفاسد وعلى هذا كان الموت شديداً . ولم يذهب هول المقابر الا في القرن الثامن عشر فقد كانوا يجعلون في اعالي القبور الاواني المستظرفة والرياحين والأزاعير فكانت هذه القبور زينة إساتين الانسكيز وحدائقهم .

لم ألجج باريز وحدها باناتول فرانس وانما جعلت به البشرية برومتها ، لان اناطول رجل الانسانية وليس حظ وطنه منه بارز من حظ العالم بأسره . يقول اناطول : لا يكون الواحد منا انساناً الا اذا أشفق على أخيه ، فلا يليق بنا ان نستحيل جلود صخر فلتشفق على الضعفاء لانهم يألمون من الأقوياء ولترأف بالسعداء في هذا العالم فقد جاء في الكتاب « ويل للذين يضحكون » .

كان اناطول شقيقاً على الضعفاء وقد بلغت به شفقة المبالغ فكان عطفه على الضعفاء الذين يألمون من الضهد مثل عطفه على الضعفاء الذين ينشأ ضعفهم عن أعصابهم فيذهبون في الحب كل مذهب . ألف الكساندر دوما رواية يبحث فيها عن مقتل رجل لزوجته لخروجها عن العفاف . قال اناطول « لو كنت فاضياً لما برأت القاتل من جنائنه اللهم الا ان يطبق اطباء الشرع على انه مصاب بفالج في جملة اعضائه ، ولا عجب في ذلك ، فان قتل المرأة لأمر عجاب وهيئات ما يطاق الذين يجترئون على اشياء هذه المذامح . لا ريب في ان زوجة هذا القاتل كانت فاسدة الخلق ، ذات غرائز سيئة ، ولكن هل نسال عن غرائزنا ، ألم يك للتربية والميراث تأثير في اعمالنا . فمن موجب الاسف اننا نولد معوجين لا سبيل الى تقويم اعوجاجنا ، اننا نولد شبيهاً لا شباهاً . لو فكر القاتل

في العناصر التي تؤلف جسم زوجته اللطيف لما حطم هذه الآلة الدقيقة ، ولكن غفر
لهذه الروح المظلمة جنابة أعصابها ودمها . اسمع ما أقوله الفلاسفة الطبيعية في شعرها
« ان لأمو الحب أسراراً غامضة ، ان غرائز المتقدمين التي كانت في الاصل تجمع
في بطون الغاب بين أطراف الأبدان المعراة هي نفسها التي تخلق اليوم المرأة تحت
ثيابها النفيسة . ما فتئت المرأة تحفظ دم حواء الغابات الكبيرة على علمها بالغفر ،
وحرصها على القوانين » .

يعرف انانول كل ما يستوجبه الأدب ومعاذ الله ان يذهل عنه ، ولكنه يرى ان
الرأفة هي احسن الفضائل وان الفلسفة الطبيعية تعلم المسامحة وفضلاً عن ذلك فاذا
جاء امر الحب فلا نجد الى التمييز سبيلاً — حبك الذي يعني ويصم —
الحب في رأي انانول فرانس هو اللذة التي تحمل الأنواع الحيوانية على التزاوج
والناسل ، فهو عنده بمنزلة بقاء النوع عند علماء التاريخ الطبيعي ، وقد آتاه في كتاباته ،
فهو في نظره أقدم الآلهة .

لما ولد هذا الآله لم يكن في العالم اثر من آثار العدل والعقل فلم يجد هذا الآله
النفس شيئاً يخلق به دماغاً وعيوناً وآذاناً . ولد أعمى فهو الآن على الصورة التي ولد
عليها وسيبقى على هذا الشكل في كل دهر ، يعمل فيخبط في اعماله خبطاً دون شيء من
الروية ، التي نظرة على اعماله انها عظيمة ! لقد خلق كل شيء ولكنه خلق بغير عقل
ولا فهم ، لقد برأ في اول الامر . حيوانات لله درها من حيوانات ! انه خلق أصدافاً
وأشماكاً وزواحف ، وقد كان هذا الآله يومئذ يعيش في الماء ثم حشّن على سبيل
الانفاق والتدريج طرائقه فخلق الحيوانات اللبونة ، التي أتعبت وأجهدت ثم خلق القردة
فبقيت القردة زمناً طويلاً آياته الرائعة ، وقد خلق الانسان بعد القردة فلم يغير هذا الآله
من طبيعته ، ولم يبدل من طريقته ، فبقي اعمى كما كان ولم يستعن بالعقل ولن يستعين
به سيجس الليالي وهو محق في ذلك لان الحياة سرعات ما تنتهي اذا كانت نشرها
معموداً بالعقل .

ان هذا الآله اعمى ولكنه يقودنا والشر كل الشر في ذلك ولكنه شر ايدي ،
لان الحب يدوم ما دامت العوالم ، اننا نقاومه ونستولي عليه اذا كانت اضعف منا ،

ولكنه اذا اشتد استولى علينا وهذا ما يسمونه : منازعة الهوى ومثل الارادة والفرصة
كمثل كفتي ميزان فالكفة الثقيلة هي التي ترجح وتميل .

هذا هو الحب في نظر اناتول فرانس فقد كان سبب حياة الحيوانات من أدناها
الى ارقاها ، وهو غريزي في البشر من مبدأ الخليفة الى منتهاها . وهذا ما حمل اناتول
على الرأفة بالفاجرة التي خرجت عن العفاف لانها لم تنجح عنه الا بعوامل غريزية
ممكنة من لحمها ودمها وأعصابها فلا سبيل لها الى التخلص منها ...

قلت في صدر المحاضرة كانت بين اناتول وبين أبيه اختلاف في المعتقد وقد
امتد هذا الاختلاف الى الذوق فقد كان اناتول يميل الى النمط المدرسي ، ما هو النمط
المدرسي ؟ بعد ان همت شأبيب الثورة الفرنسية ولعت عوارضها انفجرت ثورة
أدبية خلقية قلبت طرائق التفكير والحس واسمها النمط الوجداني بدأ بها مدام ستال
وشاتوبريان وتجلست في اربعة شعراء كبار وهم : لامارتين وموسه وفيني وهوغو كان
المدرسيون أمثال الشعاعين بوالو ورامسين يرون ان يمثلوا في فنهم جمال الحياة
ويعتبرون العقل في الشعر الملكية الغالبة ويقتبسون عن التاريخ القديم نماذج فنهم
و يستنزلون وحيمهم من سماء الامم المتقدمة تخرج الوجدانيون على هذه القواعد بمخادفها
وهدموا بناء المدرسين ، فأروا ان يمثلوا في فنهم كل ما هو شنيع ومضحك في الحياة ،
وان يكون الخيال الملكية الغالبة ، وان يستنزلوا وحيمهم من ادب الامم العصرية فيأخذوا
عن غيني وشار وبايرون وشكسبير ، فبدلاً من ان يكتبوا عن اساطير الاولين كتبوا
عن الفن النصراني في القرون الوسطى .

فاناتول فرانس كان يميل الى الفن المدرسي اي انه كان على النمط القديم ، وله في
النقد أسلوب خاص فهو من فرقة النقد الذاتي فانه يفتن فرصة ظهور كتاب من الكتب
فيفصح عن خواجه نفسه ، ويعرب عن رأي يخامر ضميره وقد جمع رسائل نقده في اربعة
كتب سماها « الحياة الادبية » تكاد هذه الكتب تكون مملة . يرى اناتول ان النقد
انما هو ضرب من الروايات على نحو الفلسفة والتاريخ تستعمله العقول الفطنة الطلعة
وكل رواية اذا فهمناها كل الفهم انما هي ترجمة المؤلف بقوله ، فالناقد الخاذق هو الذي
بروي خواجه نفسه في اثناء روايات المؤلفات وهذا الطراز في النقد يسمى النقد الذاتي ،

قال انا تول : « لا يوجد نقد موضوعي اكثر مما يوجد فن موضوعي ، وكل الذين يتبحرون بانهم يضعون في مؤلفاتهم شيئاً غير لوايح انفسهم فهم واهمون ، فالحقيقة ان المرء لا يخرج من نفسه ابداً وهذا من اكبر شقاء الانسانية .

انا محبوسون في انفسنا فكأننا في حبس ابدى ، فالذي يليق بنا ان نعمله هو ان نعرف بحالتنا الفظيعة ونقر باننا نتكلم عن انفسنا كل ما عجزنا عن السكوت فاذا كان الناقد حراً وجب عليه ان يقول :

« سادتي اني اريد ان اتكلم عني في اثناء كلامي عن شكسبير او راسين او باسكال او غيتي فان في ذلك فرصة جميلة » .

قال انا تول تعرفت الى المسيو كوفيليه فلوري وقد كان ناقداً قديماً ، وفي ذات يوم انطلقت نحوه وهو في داره الصغيرة فأراني مكتبته الحظيرة التي كان يفخر بها وقال :

« سيدي انك لتجد كل الأنواع ممثلة في هذه المكتبة كالبلاغة والآداب الرفيعة والفلسفة والتاريخ ما خلا النقد فانه يحيط بكل الانواع ، نعم يا سيدي فالسائد يكون تارة خطيباً ، وتارة فيلسوفاً ، وتارة مؤرخاً » . لقد أصاب المسيو كوفيليه فلوري في كلامه فالناقد يجمع كل هذه الصفات او انه قد يمكنه جمعها فاذا أراد ان يبرز اندر القوى العقلية واشدها تنوعاً واختلافاً امكنته مناخر الرص ، وهو يعمل تاريخ البشر العقلي من دون ان يخرج من نفسه ، فالنقد من حيث التاريخ هو آخر صيغة من الصيغ الادبية كلها وربما وصل الى استغراق هذه الصيغ كلها فانه يليق كل اللياقة بالجماعة الممدنة التي تكون ذكراً لها كثيرة وثقاليدها طويلة وعلى الخصوص فانه مناسب للجماعات الطلعة ، المتعلمة ، المصقولة ، وثقافة النقد يستلزم ثقافة اكثر مما تستلزمه كل الصيغ الادبية الباقية . ابتدع النقد مونتان وبارنتوف وهبل ومونتسكيو فانه يتحدر من الفلسفة والتاريخ وقد استوجب انتشاره وترفيعه جيلاً اطلقت فيه الحرية العقلية » .

هذا هو نظر انا تول فرانس في النقد وقد كان نقده اشبه شيء باحاديث بطارحها اهله وخلطاءه وكان يسير فيه سير المتنزه . فيقف حيث يطيب له الوقوف ويستمر الى اذواقه وخيالاته على شرط ان يكون في هذا كله صادقاً ، اميناً ، رؤوفاً فلا يريد

ان يعرف كل شيء ولا يشاء ان يفهم كل شيء و يعتقد باختلاف الآراء وتباين
العواطف ويتكلم عما يجب أن يجب .

شفغ اناطول فرانس بالنمط القديم شغفا عظيماً ، فانظر الى رأيه في هوغو وهو
من اكبر الشعراء المجددين .

« لا جرم ان علاج هوغو للكلمات كان اكثر من علاجه للافكار فقد ظن انه
أدمج في أسس الفلسفات طائفة من الخيالات والاحلام منقطعة مبتذلة ، والذي يؤمننا
وبفزنا اننا لا نرى في تأليفه الكبيرة بين الكثير من الشخصا الفظية صورة بشرية .
قال الأخرى : الرجل مقياس كل شيء الا ان فيكتور هوغو جاوز كل قياس لانه
غير انساني ولم ينكشف له قط سر النفوس . لم يخلق هوغو ليفهم ولحب ، وقد شعر
بذلك من غريزته ولهذا فقد أراد ان يدهش الناس وقدر على ذلك حيناً من الدهر
طويلاً ، ولكن هل يستطيع المرء ان يدهش غيره في كل وقت . عاش فيكتور هوغو
ثلاثاً تسكره الألوان ورنات الأصوات وقد أسكر العالم بذلك . هذه هي عبقريته
كلها انه ذوافكار غريبة وانه متفنن منقطع النظر وهذا شيء كثير ولكنه ليس بكل شيء .
هذا هو رأي اناطول في هوغو فان اناطول شغف بلغته القديمة ، ذاهب في الحرص
عليها كل مذهب ، ولم يفرقات اللغة لانه يرى في هذه اللغة صورة وطنه وقومه من
قديم الدهر وحديثه ، ومرآة لتعكس فيها حضارة أمته ، فاللغة ملكة عليه عقله ولبه
فهو يحب مميزات اللغة لانها تحتوي على شيء جميل فم فقد قال :

« انظر الى معجم غازيه او غيره من المعجمات ، وتصور انك ترى روح وطننا في
هذا المعجم ليتصور ذهنك ان في هذه الصفحات عبقرية فرنسة وطبيعتها . ليتصور ذهنك
ان فيها أفكارنا وأفكار اجدادنا ، وأفراحنا وأفراحهم ، وأعمالنا وأعمالهم ، وآلامنا
وآلامهم . ليخطر ببالك ان في هذا المعجم آثار الحياة العامة وحياة الدور والمنازل ،
وآثار الذين استنشقوا الهواء الصالح وشموا النسيم الرقيق الذي تشمه اليوم . ليخطر
ببالك ان كل كلمة من كلمات المعجم يقابلها فكر من الأفكار كان فكر طائفة من البشر
لا يعلم عديدهم ، وعاطفة من العواطف كانت عاطفة جمهور من الناس لا يحصى مقدارهم ،
ليجس في صدره ان كل هذه الكلمات المجموعة انما هي لحم الوطن والبشرية وقدمها وروحها . »

بحث اناطول فرانس في كتابه «العبرة اللاتينية» عن لغة الشاعر لافونتين فقال :
كان لافونتين يولع بالكلمات ويعرف كيف ينخبها ، ولا يكون المرء كاتباً الا اذا
حسن اختياره للألفاظ . فالكلمات هي افكار ، ولا سبيل الى الإصابة في الحكم
الا بالتمسك من النحو والمفردات الصحيحة . واطن ان الشعب الاول في العالم انما هو
الشعب الذي يملك احسن الاصول في النحو وتنسيق اللفظ . قد يقع في أغلب الحالات
ان الرجال يتساحرون بسبب كلمات لا يدركون معانيها ، ولو فهم بعضهم كلام بعض
لنعاثقوا . ولا شيء يعمل على رقي العقل البشري مثل معجم بضيء طمعة كل شيء .
اني لاجد عناية في بيان المأخذ التي أخذ عنها لافونتين أسلوبه ، لقد أخذ عن
المقدمين من الشعراء والمفصّلين ، نجح لافونتين العبارات القديمة فاذا وقع نظره على
كلمة قديمة جزلة المعنى استخرجها من موضعها واستعملها في شعره في المقام المناسب .
وقد استعمل ايضاً في أشعاره عدداً كبيراً من التعابير التي استعملت في عصر غير
عصره ، ولكنه أعاد الى هذه التعابير شبابها .

فلا ينبغي لنا ان نضيع شيئاً مما يمكن ان نبتعنا ، وهذه حكمة اقتصادية تنطبق على
كل الخيرات ، فهي تنطبق على خيرات اللغة كما تنطبق على غيرها فاذا أضاعت كلمة
طيبة الأصل معناها الاول واصبحت لا تستعمل الا في معناها الخاص او في معناها
الخراف ، نجد بالكتاب الحكم ان يعيد الى هذه الكلمة سعة معناها الاول وفتحته
وعلى هذا مشى راسين ولافونتين . ثم قال :

يتبين لنا ان لافونتين الذي استعمل هذه الكلمات كلها لم يخترع شيئاً منها وليعلم
الانسان ان حذاق الكتاب هم في الأعم من الأحوال قليلو الميل الى توليد الألفاظ ،
فان كنز اللغة المشترك كاف وهذا الكنز لا ينقب فيه الذين يكتبون على السواء ،
فكثير منهم لا يجدون فيه ما يحتاجون اليه اما لكسبهم واما لفقدان عبقرتهم .
اما لافونتين فقد استخرج منه كنوزاً .

وبعد ان اشبع اناطول الكلام في لغة لافونتين قال :

« انني لو اني آرائي هذه تقوي في بعض العقول حجة لغتنا ، لقد تغيرت هذه
اللغة مرات كثيرة ، ولكن لم تتغير الا محاسنها . لقد قوي اسرها ، وانبسط أفقها »

واغشاها كل نشء من عنده بكلمات تدل على افكار وعواطف وافراح وآلام وعلى مجهود ملايين من الناس ، لقد جاءت الينسا على هذا النحو مترعة الجوانب من قرن الى قرن ، وهذا الميراث الوطني عزيز على كل النفوس التي تحب وطنها .

هذا بعض ما تمثله الخاطر وتصوره البال من آيات اناطول فرانس ، وما ذكرته انما هو غيض من فيض . ولئن فأنني كثير من صوب عقله ، ونسج طبعه . فلا يفوتني حفظه لغة قومه في القرن العشرين ، ودعوته شباب وطنه الى محبة لغتهم . فقد ملكت عليه لغته مشاعره ، احسن اليها ولم يسيء ، وبرتها ولم يعق ، واشفق عليها ولم يك جباراً عنيداً ، ولم يرف فيها رأي طائفة من أدبائها في هذا العصر رغبوا عن لغتنا القديمة كل مرغب ، وانقبضوا عنها كل منقبض على انه ما اذخرت الآباء للابناء ، ولأبقت الموقى للأحياء شيئاً افضل من هذه اللغة . ولئن عبثت الايام بمديد ملكتنا فانها عجزت عن العبث بميراثنا الوطني وهو اللغة . صارعت لغتنا لغات شتى تعاقبت في آفاق الشام من قديم الدهر^(١) فصرعت هذه اللغات بجذافيرها ، بعد ان سلبت حضارات اهلها اجمل جمالها واحسن حسننها وتمكنت في ربوع الشام وكثير من بقاع الارض تمكن الاحياء الذين صارعتهم الطبيعة وصارعوها ومارستهم ومارسوها فنجزت عنهم فتركهم وشأنهم يستضيئون بضياءها ويستنشقون من نسيمها ، اشتهت لغتنا على بدواة الجاهلية وحضارة الاسلام . واستوعبت شدة بني أمية ورخاوة بني العباس . ولئن درست رسومنا وطعنت آثارنا فأضعنا ما أضعنا فقد بقي لنا رمم حفظ لنا ما قدفت به الخواطر وجاشت به الصدور . فرحم الله امرءاً تعهد هذا الرسم ونقده ، فزاد في محاسنه ونقص من مقابحه !

— ٢٥٥ —

(١) ألقى نظرة على الجزء الاول من خطط الشام للاستاذ العلامة رئيس مجمعتنا العلمي ، وتدبر فيه فصل « لغات الشام » البارع

قانون البلاغة

- ٤ -

قال الاصمعي : البليغ من طبق المفصل ، وأغناك عن المفسر . وقيل للعنابي : ما البلاغة فقال : كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ، ولا حبة ولا استعانة فهو بليغ . فان أردت اللسان الذي يروق الألسنة ، وبفوت كل خطيب ، فاظهار ما غمض من الامر ، ونصوير الباطل في صورة الحق . واعلم أسعدك الله انه لا يتسع جربك في مضمار البلاغة ، وان كانت القرحة في نهاية الذكاء والثقافة ، الا بالاتساع في دراسة العلوم ، والافتنان في الآداب ، وحفظ مجامع اللغة ، والنظر في احكام الكتاب والسنة ، لتتفقه في لحن المنطق والتفهم في معرفة الألفاظ ، فلا تبدع في بداهة بل تتجول (في خطاب) كذا (او كتاب ابتداء) وجوابا عن جواب لفظ من اللغة ، او استعجاب غريب من القول عليك ، فيكشفتك من الحصر ما اكتشف عمرو بن مسعدة عند مجادلة الحائك إياه : فانه حكى يوسف بن حماد قال : سمعت عمرو بن مسعدة ^(١) يقول : كنت مع المعتصم مقدمه من الثغر فلما بلغنا الرقة قال لي : يا عمرو الا تعجب من داود بن سليمان الرجعي ^(٢) بالاهواز وفي بيت المال ونيله الدنيا : عنده اموال مجتمعة وقد كتب اليّ بأشياء لا يعذر مثله في مثلها فاخرج اليه حتى تحمله في الحديد ونقل ما قبله من المال فخرجت فينا انا اسير بين دير هرقل

(١) في الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة ان هذه القصة وقعت للرشد مع وزيره عمرو بن مسعدة (راجع ص ١٥٦ من الجزء الثاني طبعة محمد مصطفى فهمي المصرية) وفي العقد لابن عبد ربه انها وقعت للمعتصم مع عمرو بن مسعدة وهو غير صحيح لان عمرأ هذا توفي سنة ٢١٧ . وفي هامش النسخة الاصلية هكذا : طبقات الكتاب المشاهير عبد الحميد وابن العميد واحمد بن يوسف واسماعيل بن صبيح وعمرو بن مسعدة . (٢) قوله الا تعجب الى آخره مكان هذه العبارة من كتاب الامامة والسياسة مانصه : ما زلت تكلمني وتستلطفي في الرجعي حتى وليته الأهواز فقعده في سرّة الدنيا بأكلها خفياً وقصماً ولم يوجه اليها درهماً ، فاخرج اليه الخ .

ودير العاقول في وقت الهاجرة في زلال^(١) فيه خيش وتلج ، سمعت صائحاً ينادي باملاح صوتاً بعد صوت فلما كثر ذلك عليّ رفعت صحيفة الزلال ، فاذا انا بشيخ حاسر الرأس حايي الرّجل على الشط فحملته فلما دعوت بالطعام دعوته فأكل أكل متأدب ، فلما رفع الطعام قدّرت انه يقوم كما يقوم العامة من موائد الخاصة ، فلم يفعل فاستحيته فقلت : ما صناعتك فقال : حائك أعزك الله . ثم قال : وانت اي شيء تعمل جعلت فداك قلت : كاتب فقال : اصلحك الله من اي الكتاب انت فانهم خمسة أصناف . قال عمرو فوردت عليّ منه ظامة ثم قلت له : سمّهم فقال : كاتب خراج ، وكاتب رسائل ، وكاتب حاكم ، وكاتب جند ، وكاتب معونة .

اما كاتب الخراج فيحتاج الى ان يكون عالمًا بالطسوق^(٢) والمساحة والمقاييس خبيراً بالحساب . اما كاتب الرسائل فان يكون عارفاً بالاصول والفروع ، والفصول والوصول ، حاذقاً بالايجاز والصدور ، والفتوح والعمود . واما كاتب الحاكم فان يكون عالمًا بالاحكام حافظاً للشروط حاذقاً باختلاف الناس ، في الاموال والفروج . واما كاتب الجند فان يكون عالمًا بشيآت الخيل وحلى الرجال . واما كاتب المعونة اي الشرطة فان يكون عالمًا بالقصاص والجراحات والحدود .

فقلت له : فاني كاتب رسائل . فقال لي : أخ من إخوانك واجب الحق عليك ، تزوجت امّك كيف تهنؤه ، ففكرت ساعة ولم يتجه لي شيء ؟ فقلت : لا أكاتبه لانه بالمصاب أشبه فقال : فعزّه إذن ، ففكرت ساعة فلم يبيّثني فيه شيء ؟ فقلت له : افلني من هذا الفن فاني كاتب خراج قال : فان سلطانك بعثك على ناحية ، ونقدّم اليك بالعدل والانصاف ، وامرك ان لا تدع شيئاً من حق السلطان بضيع ، وحذرك ان تُشكي ، فأخرجت عمالك ، ونقدمت اليهم بالعدل ، وحذرتهم ان يُشكوا ، فقدم

(١) الزلال كغراب ضرب من السفن التي تسير في دجلة كالخرافة والطيار .

(٢) الطسوق ما يوضع من الوظيفة على الجرباس من الخراج المقرر على الارض

وكتب عمر الى عثمان : ارفع الجزية عن رؤوسها وخذ الطسوق من ارضيها . وقيل

شبه الخراج له مقدار معلوم .

عليك اهل الناحية يشكون عمالك ، فأشخصتهم وسألتهم عن ذلك ، غلبوا بالله لقد انصفوهم
ولقد خشوا ان يكونوا جافوا ^(١) على السلطان فخرجت الى العمل بنفسك ناظراً ، فوقفوا
بك على قراح ^(٢) لان تمسحه كيف تمسحه ففكرت ساعة وتجاهست في الجواب ثم قلت :
أخذ وسطه ثم أخذ طوله فاضربه فيه ، فقال : تختلف عليك العطوف ، قلت : أخذ
طوله وعرضه من ثلاثة مواضع فقال : ان طرفيه محدودان ، وفي تحديدهما تقويس .
ففكرت ساعة فاعيناني الجواب فيه ، ولم ينجه لي فيه شيء فقلت له افلني من هذا الفن
فاني كاتب قاض . فقال : ان رجلاً أحبل حرة له وسرية فولدتا في ليلة واحدة ،
فولدت الحرة جارية ، والسرية غلاماً ، فحملت الحرة الغيرة الى ان حولت الابن الى
مهدها والبت الى مهد السرية ، فتحاكمتا اليك ، ما كنت تقضي بينهما فقلت لا علم
لي بذلك انا كاتب جند قال : فان رجلين تقدمتا اليك من اهل عسكر واحد سهمها
واحد . ذا اسمه احمد وذا احمد . هذا مشقوق الشفة العليا وهذا مشقوق الشفة السفلى
كيف تخايمها قلت اكتب لهما احمد الاعلم واحمد الاعلم . قال : اذا يأخذ ذا رزق
ذا ، وذا رزق ذا ، فنقع بينهما في حيرة ، فتفكرت ساعة فلم ينجه لي فيه شيء . فقلت :
لا علم لي بذلك انا كاتب شرطة ^(٣) قال : فان رجلان تقدمتا اليك احدهما قد شج
موضحة فوثب عليه المشجوخ فشجه مأومة ، كم تجعل بينهما من الابل قلت : لا ادري
فقال : فلست كاتب شرطة ، فقلت ففسر لي ما قلت قال حباً وكرامة . اما الرجل
الذي تزوجت امه ، فالوجه ان تكتب اليه ان الافدار تجري بغير محاب الخلقين ،
ولموت في عافية خير من شائبة في الملك ، والله يخنار للعبد بخار الله لك في قبضها
اليه فان القبور (اكرم) الا كفاء . واما القراح فتمسح اعوجاجه كم يكون قصبة ، ثم
تضرب بعضه في بعض ، فاذا استوى سيف يدك عقد تعرفه ، رجعت الى المستوي فيه
فضرته فيه . واما الحرة والسرية فانه يوزن لبنهما فن كانت أخف لبناً فالابن ^(٤) لها

(١) لعل صوابه جنفوا على السلطان اي جاروا . (٢) القراح الارض لاء فيها
ولا شجر وقيل المخلصة للزرع والفرس جمعه اقرحة . (٣) قوله كاتب شرطة في هامش
الاصل اي ديوان المظالم والشحن وسمي ديوان المعونة ايضاً كما تقدم ذكره . (٤) كذا في
الاصل والظاهر فالبت لها وهكذا في العقد والامامة والسياسة .

واما الجند فيكتب احمد الأعم مشقوق الشفة العليا واحمد الأفلح مشقوق الشفة السفلى .
واما الشجة ففي المأمومة ثلاث وثلاثون من الإيبل وثلاث وفي الموضحة خمس من الإيبل
فيرد عليه ثمانية وعشرين وثلاثاً قلت : الست زعمت انك حائك قال : نعم ولكن أحوك
الكلام واذا رجل قد أدبه الزمان ، وأحكمه العلم .

والمعاني اسعدك الله لمع ، والألفاظ مشتركة ، فمن سبق الى معنى ثم جاء بعده
من يتعاطاه ، فان أخذه بلفظه كما هو كان سارقاً ، وان أخذه ببعض لفظه كأن
ساحلاً ، وان أخذه وكساه من عنده كان هو اولى به من الاول .

ويقال ان ابا عذرة الكلام من سبك لفظاً على معنى ، لا من اخذ معنى بلفظ ،
وقلما تجد شعر شاعر ، اورسالة كاتب ، او خطبة خاطب ، الا وجدت فيه معنى مسبوفاً
اليه ولفظاً مشهوراً قبله . وقد قال ابو تمام يصف ذلك :

يقول من يقرع أسمائه كم ترك الأول للآخر

فمن ذلك ان اسماعيل بن صبيح كتب الى بعض الامراء : في شكر ما تقدم من
إحسانك ، شاغل عن استنباط ما تأخر منه . فأخذ هذا المعنى احمد بن يوسف فقال
في بعض كتبه : أحق من أثبت لك العذر في حال شغلك ، من لم يخل ساعة من
برك في وقت فراغك . ثم أخذه سعيد بن حميد فقال : لست مستقبلاً لشكر ما مضى
من اياديك ^(١) ، فأستبطي درك ما أوّمل من مزيدك . ثم أخذه حمد بن مهران
فقال : لان تعذرت حاجتي قبلك ، لطالما تيسر لي امثالها عندك ، ولست اجمع الى
العجز عن شكر ما أمكن ، التسرع الى الاستبطاء فيما تعذر . وسلك الى الطريقة
ابو نواس فقال :

لا يتحدثني الي عارفة حتى أقوم بشكر ما سلفا

وقول ابي نواس اربى على جميع ما تقدم في اخذ هذا المعنى . وسلك هذا الطريق
من جهة أخرى الضرير فقال : وفد اليّ انك أصبت بشيء من مالك ، لو لم تصب به
لأمرعت النوائب اليه ، واتي كرمك عليه .

وكما انه مطلق لمن لطف في اخذ المعنى فكذلك هو محظور على من لم يكن فيه آلة

الأخذ انت بطور به ^(١) لان الحاذق والبارع يخفي ديبه الى الشيء حتى يستخرجه ،
والمختلف البليد يظهر تسوره على الامر اذا اراده .

اللسان هو ترجمان القلب ، وأداة يدرك بها التأليف ، ويلمس بها التقطيع ، وبه
يظهر ما يجتبه الفكر . وقيل في المثل المرء مخبوء تحت لسانه . ويقال : ان روح الحياة
اذا كان ظاهراً كان جمالاً ، واذا كان باطناً كان لساناً . وقال علي بن عبيدة :
اللسنة ^(٢) القلوب يؤدي عن ضمائرنا المنطق بالفاظ شرايع ^(٣) ما تستنبطه من الحكمة
واللسان كاشف لما يخفيه الاغماض .

وفي كتاب الموسيقى ان الانسان حاس ، والعقل لطيف ، وليس لفكرة العاقل
غاية يدركها اللسان . ومع هذا فان اللسان ترجمان ، وليس للترجمان ان يبلغ منزلة
المترجم . وقيل اللسان عضو فان مرثله كمران . وان تركته كحران . واللسان فضائل
معدومة في الجوارح ، ودرجة عالية على درجاتها ، لما خصه الله به من استعماله في
المنطق والبيان .

قال عمرو بن بجر : في اللسان خصال هو أداة يظهر بها البيان ، وشاهد يبرهن عن
الضمير ، وشافع تدرك به الحاجة ، وواصف تعرف به الاشياء ، وناطق ^(٤) يفصل
الخطاب ، وناطق يرد به الجواب ، وواعظ ينهي عن التبع ، ومميز يبرهن به الاحزان ،
ومعتذر يذهب بالضغينة ، وملهم يوقن الاسماع ، وزارع يحرز المودة ، وحاصد يستأصل
العداوة ، وشاكر يستوجب المزيد ، ومازح تستحق به الزلفة ، ومؤنس يذهب بالوحشة
ومزين يدعو الى الحسنى .

الصوت هو آلة اللفظ ، والذي به يبلغ السامع ما يدركه الفكر .
الفكر هو مستنبط الحكمة ومستشار الصوت ، ومستوضح غوامض الأدلة ، وكاشف
ضباب الغفلة عن الافئدة .

البيان هو اسم لكل شيء كشف لك قناع المني ، وهتك حجب الضمير ، وايدى مكنونه .
(١) يقال انا لا اطور بفلان اي لا احوم حوله ولا ادنو منه . (٢) لعله سقط هنا
لفظ «يريد» او «ترجمان» او مامثلها . (٣) لعلها شرائف او شريفة . (٤) لعل
صوابه قاض .

المعاني هي الحادثة بالذكر ، المتصورة للعقل ، الجائئة في الفكر . وهي بعيدة وحشية ، معدومة في حال ، موجودة في أخرى ، ممتدة الى غير غاية ، ومبسوطة الى غير نهاية . البلاغة هي ان يبلغ السامع أقصى نهاية المعنى الخاطر بقلبك ، فتصوره لك كنصوره عندك ، بالابانة عنه والافصاح به .

وقيل : الفصاحة لمحّة دالة . وقال بعضهم : البلاغة التقرب من المعنى البعيد ، والتباعد من حشو الكلام ودنو المأخذ ، وإيجاز سيف صواب ، وقصد الى الحجة ، وحسن الاستعارة .

وقال آخر : البلاغة ان يعرف الفصل من الوصل ^(١) . وقال ثمامة بن الاشرس : قلت لجعفر بن يحيى ما البلاغة فقال : ان تكون تحيط بمعناك . وتحكي عن مغزاك . وتخرجه من الشركة . ولا يستعين السامع عليه بطول الفكرة . ويكون سلباً من التكلف . بريئاً من الصنعة . بعيداً من التعكير . غنياً عن التأويل .

وقال الحجاج لابن القرية : ما الحرف وما الكلمة وما الكلام . فقال : الحرف فرد والكلمة جماعة . والكلام على عشرة أبواب : سبعة فواتح وثلاثة جوامع . فالفواتح جرأة الصدر ، وفقدان الحصر ، واتساق القول وبان الكلام ، وقلة التفتيح ، والقول متى شاء ، والوقوف اذا شاء . والجوامع ان يشبه اول قوله آخره ، ويختار حسن اللفظ ويعرف قصة (?) الكمية . وقال معوية : البلاغة كلام يتحدر على الطبع كما يتحدر الماء على الكبد الحرّ . لا يحمل الطبع فيه على غير مذهبه . فيظهر فيه نقيصة التكلف وعيب الخلق . وقال قائل : عيوب المنطق صنفان صنف مذموم وصنف خلقية ^(٢) لا سبيل الى الانتقال عنها . والمذمومات توجب الدم اذا كان الافلاح عنها الى غيرها ممكناً . والخلقية كاللغة واللفظة ^(٣) والرتة والحبسة والحكمة والفأفة واللجة والتمتمة .

(١) وفي هامش الاصل وقال ابوتام : حد البلاغة معرفة مواقع الفصل والوصل .

(٢) اي من قبيل العيوب الخلقية . (٣) اللفظة المعية (الرتة) بالضم والتشديد ردة فيجاء في اللسان وقيل هي الجمعة في الكلام كالحكمة والفأفة هي صفة الفأفء وهو الذي لا يقدر على إخراج الكلمة من لسانه الا يجهد ببتدي في اول إخراجها بشبه الفاء ثم يؤدي بعد بالجهد حروف الكلمة على الصحة هكذا فسرّها المطرزي .

ومن فساد المنطق فساد مخارج الصوت مثل الهجة وعدم اعتدال المخارج من الحلق والحناسيم والصدر فاللشغة تكون في الرأ لنقلب الى العين او الياء او الدال واللفظة ان ان لا يخرج الكلام الا بشق الأنفس والرتة والحبسة واحد والحكمة كالهجة حتى كأنه يسر كلامه والفاء التردد في الفاء والتمتعة التردد في التاء .

وقال عمرو بن بحر : من عيوب المنطق التصحيف وسوء التأويل والخطأ في الترجمة فالتصحيف يكون من وجوه : احدها من التخفيف والتثقيب ، ومن قبل الإعراب ومن تشابه صور الحروف . وسوء التأويل يكون من الاسماء المتواطئة وهو انك تجد اسماً بمعانٍ فتأويل بغير المراد ، وكذلك سوء الترجمة . غير ان الكلام المحتمل على المعاني يكون بالفارسية المنقولة الى غيرها . وقال العنابي : الاستعانة من فساد الكلام . فمثل عن التأويل فقال : اذا قال عند مقطع قوله يا هناة ، واسمع مني ، وافهم عني ، وما أشبه ذلك كله عي^(١) .

ومن لمع صناعة الشعر للاردستاني^(٢) وهو محمد بن احمد قال : وكانت العرب انما تفاضل بين الشعر لشرف المعنى ، وجزالة اللفظ ، وصحة المبني ، فتسلم النسق فيه لمن وصف فأصاب وألطف ، وشبهه فسدّد ، ولمن كثرت له سوائر الأمثال ، وشوارد الأبيات ، ولم يكن يهتم بتشيع البدع اذا حصل له عمود الشعر ، ونظام القريض ، على انه قد كان منهم من يعتمد لتشيع شعره ، ويعمل لتحسين ألفاظه وتشذيبها ، وترصين مبانیه ومعانيه وتهذيبها ، مثل زهير والاعشى والخطيئة وابي صخر الهذلي وعدي بن

(١) في الهامش هذه العبارة : وقيل فتل الأصابع والنكت على الارض هو ايضاً من العي^(٢) . هو غير كتاب معاني الشعر للاشنانداني وفي دار الكتب العربية بدمشق نسخة مخطوطة من هذا الكتاب وقد أورد صاحب كشف الظنون اسم كتابين باسم « صناعة الشعر » احدهما للحسين بن محمد الرافعي المعروف بالخالم المتوفي بعد ثمانين وثلاثمائة والآخر لابي سعيد حسن بن عبد الله السيرافي النخوي المتوفي سنة ٣٦٨ . وقد طبع كتاب الاشنانداني مؤخراً في دمشق (١٣٤٠) والاردستاني نسبة لاردستان مدينة بين قاشان واصهبان في فارس .

الرفاع وابي المثلث والخنساء وغيرهم . فان اثر الصنعة ظاهر في اشعار هذه الطبقة ، ودال على مقاصدهم فيها ، وشاهد بمعرفتهم بها ، وبدل على ذلك افتخارهم في اشعارهم بالتجويد . ووصفهم لمصابة القول ومكابدة السهر فيه والتخير منه . والصبر على عرضه وعمله حولا . حتى قالوا : خير الشعر الحولي المنقح . يروى ذلك عن الخطيئة فقالوا : حوليات زهير . وقد ذكرت الشعراء ذلك في مفاخرهم فقال سويد بن كراع بذكر نقويمه شعره وطول مصابريته له :

ابيت بابواب القوافي كأننا اصادي^(١) بها مبرأ من الوحش نزعا
أكالها^(٢) حتى اعراض بعدما يكون سحيرا او بعيدا فأجعا
اذا خفت ان تروى علي رددتها وراء التراقي خشية ان تطلعا

فاخبر ان القوافي تعاض عليه وانه يكالها ويكابدھا ويسهر لها الى ان تنقاد له . وقال حارثة بن بدر :

فج الآله الالاف الاماضى والشعر بعد مرقش ومهلل
وابي دؤاد او عبيد كلما نطقوا أصابوا فيه فص المفضل

فمدحهم بالاصابة والتجويد . وقال عدي بن الرفاع :

وقصيدة قد بثت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف في كعوب فناته حتى يقيم ثقافه منادها
فأخبر انه يعاود النظر ويكرره حتى يشقه . وقال عمرو^(٣) بن هند :

فان اهلك فقد اقيت بعدي قوافي تعجب المثلثينا
لذيذات المقاطع محكمات لو ان الشعر بلس لارندينا
(للبحث صلة)

(١) صاداه عارضه يقال (من صادك فقد صادك) . (٢) كالبه ضايقه مضايقة الكلاب بعضها بعضا عند المباشرة . (٣) في الاصل (عمرو بن) فجاء بعض النساخ وزاد كلمة (هند) .

كتابات تدمرية وتفسيرها

يوجد في دار الآثار العربية بدمشق مجموعة نفيسة من العاديات التدمرية ، معظمها تماثيل قبورية وعلى أكثرها كتابة موجزة باحرف تدمرية ، تشير الى اسم المتوفي ونسبه وفي بعض الاحيان الى تاريخ وفاته ، شأن معظم الكتابات القبرية المكتشفة في اطلال تدمر . وهذه التماثيل هي غاية في الايقان ، ولها فائدة أثرية وكتابتها شأن خصوصاً في علم الخطوط وتطوراتها .

سأُنشر رُقم^(١) هذه التماثيل تبعاً في مجلة المجمع العلمي العربي مع صورها وتفسير كتاباتها ليتسنى للذين يهمهم هذا البحث الاطلاع على هذه المجموعة ، واذا كان بعض هذه التماثيل قد ملكه قبلنا أناس آخرون فنحن بالطبع لا ندرى اذا كان سبق لغيرنا وكتب شيئاً عن الكتابات التي عليها لعدم وجود المراجع الكافية لديّ اللهم الا القليل منها الذي نشره علماء الآثار ومنهم من أخطأ بقراءة بعض الاسماء لعدم حصولهم على النسخة الاصلية ، او لغلط في النقل ، او لعدم وضوح الرقيم . ولذا سأعيد نشرها مع الاشارة الى ذلك .

« الكتابات الاولى »

تمثال نصفي لامرأة تدمرية (شكل ١) كتب على يسارها العبارة الآتية :

١ هدير (بنت)

٢ امحاحا برت اخا ، بنت

٣ بولحا

٤ بر برعا ، بن برعا ،

٥ بر زبدعتا بن زبدعتا

٦ حبل وأسفاه !

٧ بيرح بشهر

(١) الرُقم جمع رقيم وأصبح يراد به كل كتابة أثرية محفورة او منقوشة على صخر (Inscriptions) .

٨ נִיסָן نيسان

٩ שָׁנָה سنة

٤٨٠ ٤٨٠ { ١٠
١١

من السهل قراءة هذه الكتابة لانها واضحة جلية ، وان كان قسم منها غير ظاهر في الرسم ولكنه محقق في الاصل . وجميع اعلامها معروفة وشائعة الاستعمال في الكتابات التدمرية وليس فيها لفظ غريب .

س (١) הדירת (مديرة) علم مؤنث اتى ذكره في بعض كتابات ضريح (إله بل) المعروف اليوم بقصر العروس في تدمر (Chabot, Choix d'Inscriptions palmyreniennes) وقد أغفل النحات كلمة (بنت) بعد هذا العلم حسبا أشرنا و احيانا يستغنى عن هذه اللفظة في مثل هذه الكتابات وتذكر الانساب بدونها .

س (٢) אֶפִּיג (اخي) علم مؤنث معروف - Chabot - Notes d' Epigraphie et d' Archéologie orientale No 16)

س (٣، ٤، ٥) בִּוְלָחָא (بولخا) و בִּרְעָא (برعا) و זְבִדְעָתָה (زبدعته) جميعها اعلام مذكورة وقد جاء ذكر الثاني منها في بعض الكتابات التي نشرت في (Melanges de la Faculté Orientale pp.170 et 171. — Revue bibliques 1897 P. 594)

والثالث نشر في (Chabot-Choix d' Inscrip. palmyr. p. 66)
واما كلمة السطر السادس בִּבְלָ (خبل) فقلما تخلو منها كتابة قبرية تدمرية وهي لفظة تنيد التحسر على التقيد وتعريبها (وأسفاه) !

ومما يزيد في شأن هذه الكتابة انها مؤرخة بما يفيد وقت الوفاة وهو شهر نيسان سنة ٤٨٠ سلوقية ^(١) الموافقة لسنة ١٦٩ ميلادية .

(١) يتبدى التاريخ السلوقي في ١ تشرين الاول سنة ٣١٢ قبل الميلاد .

وقد نشر هذه الكتابة كل من الاساتذة : مولر (Müller No 15) وشابو (Chabot No 50) وجوسن (Jaussen No 5) عن صور غير واضحة أو نسخ مغلوطة . فأخطأ الاول بقراءة السطر الثاني فقرأ بر (ابن) عوضاً عن ברת (بنت) وعلى الرغم من كون تاء التأنيث واضحة في الكتابة فإن العام الذي قبلها مؤنث ولذا يجب ان تكون هذه اللفظة مؤنثة ايضاً . وقرأ ايضاً السطر الرابع ברת (برعن) ولكنه استدرك خطأ الناسخ واقترح تصحيحه (برعا) كما ترجمته آتفاً وقراءة بقية الاساتذة متفقة مع ما أثبتناه .

« الكتابة الثانية »

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ٢) وعلى يساره قد كتب هذه العبارة :

١ חירן בר خيرن ، بن

٢ מרדא مردا

٣ בר ידי بن ، يدعي ،

٤ חבל وأسفاه

س (١) חירן (خيرن) علم مذكر شائع بين الاعلام التدمرية .

س (٢) מרדא (مردا) جاء في الكتاب المقدس علم يقاربه وهو מרד (مراد) (١٠١ اي ٤ : ١٧ و ١٨) .

س (٣) בר ידי (يدعي) علم تدمري معروف معناه الحبوب ويقابله من الاعلام التي جاءت في الكتاب المقدس ידי (يدو) .

س (٤) ولفظة السطر الاخير هي كلمة (خبل) المعروفة كما بينتها اولاً .

« الكتابة الثالثة »

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ٣) والكتابة واقعة على اليسار وهي :

١ מלכו בר ملكو بن

٢ ידי בר يدعي بن

٣ פתיחב فتيح

٤ חבל وأسفاه

س (٢١ و) ٣٧٣٦ (ملكو) و ١٦٦ (بدّي) علان شاع استعمالها في تلك العصور، وقد جاء ذكر الاول في (Chabot Choix d' Inscrip. palmyr. p. 120) والثاني في الكتابة التي قبل هذه . واما العلم الثالث فبالرغم من ان قراءته لا تدع مجالاً للشك بصحتها لوضوح حروفها . فانه لم يسبق العثور على هذا العلم ، ولعله جديد بين الأعلام التدمرية . وقد نشر هذه الكتابة الاساتذة : جوسن (Jaussen) ومولر (Müller) فأشكل عليها قراءة العلم الثالث فقرأوه 𐤁𐤓𐤕𐤓𐤕𐤓𐤕 (فتخرب) والأصح ما ذكرنا لانه لا أثر للحرف (آ) في الأصل . وختمت هذه الكتابة بكلمة (خبل) المعهودة .

« الكتابة الرابعة »

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ٤) والكتابة على جهة اليمين هكذا :

١ 𐤁𐤓𐤕𐤓𐤕𐤓𐤕 والأسفاه ١

٢ 𐤁𐤓𐤕𐤓𐤕𐤓𐤕 حيرن ، (بن)

٣ 𐤁𐤓𐤕𐤓𐤕𐤓𐤕 مردا

قد سبق في الكتابة الثالثة ذكر العلمين المذكورين في هذه الكتابة . وهذه الكتابة تختلف عما سبقها بشكل حروفها وخصوصاً (٦) وقد سطرت عمودياً وأهمل النحات كلمة (ابن) ولذلك اشكل على معرفة اي منها ابن للآخر . وكلمة (خبل) لا نفيدنا شيئاً هنا لان هذه اللفظة تفتتح الرقعة القبرية بها او تختم او يجمع بينها .
(للكلام صلة) مدير دار الآثار العربية

جعفر الحني



عثرات الافلام

— ٣٠ —

ومن عثراتها قولهم (لا تريد ان تشور عليكم في هذه المسألة) صوابه (نشير) من أشار ولم يرد شار عليه ثلاثياً بهذا المعنى .
ومنها قولهم (فكتمت عنه ما كان يجوش في خاطري) صوابه (يجيش) من جاش جيشاناً وهو لم يرد بهذا المعنى الا يائياً .
ومنها قولهم (سافر الى باريز وعهد الى فلان زمام الأعمال) صوابه عهد اليه في زمام الأعمال على ان كلمة (الزمام) لا تناسب هنا فالأصح حذفها ويقال (عهد اليه في أعماله) او يقال (سلمه زمام أعماله) او (ألقى اليه زمام أعماله) .
ومنها قولهم (اولاده يتناغون جوعاً) لا يوجد لناغى بهذا المعنى وانما هو (يتضاغون) جوعاً او (يتضورون) جوعاً .
ومنها قولهم (وله خط دقيق الحرف بالكاد لا نقرؤه) . وبعضهم يقول (بالكاد نقرؤه) من دون حرف النبي . وكلاهما خطأ : اذ المراد من الجملة ان قراءة الخط صعبة لا تسهل قراءتها على الانسان الا بعد تعب وجهد . فاذا كان معنى (كاد) القرب كان فعلاً ماضياً ولا يصح ادخال لام التعريف عليه . وان كان معناها التعب والاحاح وجب ان يقال : (بالكاد) بتشديد الدال كما يقولون أحياناً . ومهما يكن فان الجملة غير صحيحة التركيب والصواب ان يقال مكانها (خطه دقيق لا يكاد يقرأ) او (لا تكاد نقرؤه) او (لا يتبينه الطرف) او (قلما نلتبس قراءته) او (لا يقرؤ بسهولة) او (يقرأ بالكد والتعب) او غير ذلك .

المجمع العلمي العربي

« يوم ٤ شباط ١٩٢٧ و ٢ شعبان ١٣٤٥ »

غضت ردهة المحاضرات في المجمع العلمي العربي في هذا اليوم لسماع محاضرة رئيسه وموضوعها « ابو حيان التوحيدي وفلسفته ونصوفه وعلمه والجمعيات العلمية السرية والجهزية والجماع والمجالس الادبية في القرون الرابع » . وقد حضر المحاضرة سعادة المسيو بيراليب المندوب الممتاز لدى دولة سورية وحكومة جبل الدروز ومعه معاونه المسيو فيبر وكان الترجمان يترجم لسعادة المندوب كل جملة يلقيها المحاضر . وبعد ذلك عقد المجمع جلسته فحضرها المندوب المشار اليه وغبطة العلامة السيد غريغوريوس حداد بطريرك طائفة الروم الارثوذكس وغيرهم من الفضلاء . فبدأت الجلسة ونعى الرئيس للاعضاء عضو المجمع العلمي العربي في باريز العلامة المرحوم كليمان هوار واقترح ايقاف الجلسة خمس دقائق اكراماً لخدمته وايفاً لحقوق الزمالة ثم تلا امين السر محضر الجلسة الماضية وعدد الرئيس ما ورد على المجمع منذ الجلسة الماضية من الكتب المهمة فكان خمسة وسبعين مجلداً وأشار الى الاثر النفيس الذي عثر عليه في دمشق من القرن الخامس وما في وضعه في دار الآثار من الشأن العظيم للتاريخ وعلم العاديات الاسلامية . وجرى البحث بعدئذ في عيد دار الكتب الحسيني الذي سبب راسه العلامة الاستاذ سليم افندي البخاري احد مؤسسي تلك الدار تحت رعاية سمو رئيس الدولة وان المعارف ستنزل عن جميع المدرسة الظاهرية الى المجمع العلمي فيخصها بدار الكتب . ثم تلا الرئيس اقتراحاً وارداً من الاستاذ الاب بطرس البستاني من علماء العربية في لبنان يرمي الى توسيع اعمال المجمع العلمي في البلاد العربية . فاقترح بعضهم ارجاء البحث في هذا الموضوع الى الجلسة القادمة . وتذكروا في موضوع محاضرة تاتي في العربية والافرنسية في الدين الاسلامي من حيث الاجتماع على نزلاء دمشق من الاوربيين فلم يتم في ذلك رأي . ثم تفاوض المجمع في ان يقترح على الحكومة وضع رسم على الداخلين الى دار الآثار على ان يجعل الدخول يوم الجمعة من كل اسبوع مجاناً لمن اراد . وان يكون الرسم طفيفاً ياديء بدء لا يتجاوز عشرة قروش سورية

ينفقها المتخف في تنظيم اموره . وبعد ذلك تناقش الاعضاء في عثرات الاقلام وانقضت الجلسة . وكان الرئيس يترجم لسعادة المندوب الممتاز المشار اليه كل دقيق وجليل بدور في الجلسة فسرّ حضرته سروراً زائداً ، وقال للرئيس عضوا على مجمعكم بالنواجذ وحافظوا عليه بكل ما اوتيتم من قوة ومتانة وعلم ، فانه عمل نافع جداً للبلاد كما قلت لكم ولا ازال أقول . ولا عجب فسعادة المندوب من الافراد الذين عرفوا بسعة فضلم وله مصنفات عظيمة واعمال ادبية مجيدة واكثرها مطبوع ، ومثله من يقدر الاعمال العلية قدرها .



مخطوطات مكتبة جامعة برنستون

جاء من الاستاذ العلامة السيد فيليب حثي احد اسانذة جامعة برنستون كتاب ختمه بقوله : (هل ذكرت لكم ان في جامعة برنستون الفين وخمسمائة مخطوط عربية فهي أعظم مكتبة عربية في العالم الجديد . وسيكون نصيبي في الحياة احياء هذه المكتبة بالطبع والنشر والترجمة فضلاً عن تدريس الطلبة فلا تحسبوا اننا هنا فقدنا رغبتنا في الاسلام والعرب والعربية ومتكلمها) .

فخيا الله الاستاذ وسائر اخواننا العرب في العالم الجديد الذين ما زالوا يثبتون عربيتهم وتعلقهم بوطنهم العربي مع التجرد عن الصبغة الطائفية اثباتاً يشكرون عليه ويجب ان يحتذى مثالهم فيه .



مطبوعات حديثة

مفكرات في العهد الحميدي

مهما موّه الراضون عن عهد عبد الحميد وسكتوا عن نقائصه فأنث ثفنن الرجل بالمحافظة على حياته ثابت لا يحتاج الى برهان ، وله في ذلك بعض العذر لانه رأى ملكين قبله قد خلعا ، وكاد السلطان يترك مهام السلطنة ليستمتع ليل نهار لجواسيسه وعيوننه ، ينفق في ذلك أموالاً لو صرفت في المشاريع النافعة مدة ٣٤ سنة لآتت بوارد تغني السلطنة لا محالة ولصاف ذاك الملك العظيم من التمزق بادخال الدساتير النيابية الحرة . وقد أشبه عهد عبد الحميد بدور الفتور ، فان الدولة بعد ان غلت مراجعها مدة ستة قرون انتهت ايامها الاستبدادية بأخريزي من أزياء الاستبداد وهو العهد الحميدي فأدخل فيها آخر طراز من الفساد ونعني به فساد الاخلاق ، وهو من أعظم ما يقضي على الدول والأمم فينسفها نسفاً .

اكتب هذا وانا أتلو كتاباً صدر حديثاً باللغة الافرنسية كتبه رجل عاقل غريب عن العثمانية ، مطلع على عجزها وبجرها ، ولعل هذا السفر أصبح مصدر يصح الاستشهاد به على فساد دور عبد الحميد . واسم المؤلف (لوي رامبر)^(١) واسم مؤلفه « مفكرات وتأثرات عن تركيا » او الدولة العثمانية على عهد عبد الحميد الثاني من سنة ١٨٩٥ — ١٩٠٥ طبع في جنيف من بلاد سويسرا . وكان هذه المفكرات هو سويسري الاصل خالي الغرض في الجملة ، ولو كان من أبناء دولة كبرى لاتهم بان له ضلماً معها ويحاول النيل من العثمانيين ونشر هذه المفكرات الآن هو ابن كاتبها (١٨٣٩ — ١٩١٩) نشرها بعد ان طويع ذلك البساط بما عليه جملة . نشرها للتاريخ ، وأعظم بنشرها من خدمة .

المؤلف من اعل الطبقة العليا في اهل سويسرا حقوقي اداري مالي أديب مفنن ،

(١) هكذا اسم الكتاب بالافرنجية :

Louis Rambert : Notes et Impressions de Turquie
L'empire Ottoman sous Abdul - Hamid II 1895 1905

أنشأ في صباح جريدة يومية وناب عن أمته في مجلسها العالي ، وكان محامياً مشهوراً وله بد طولي في فتح نفق سان غوتار المشهور بين إيطاليا وسويسرا ، وطلب اول مرة الى الشرق ندبه لذلك نوبار باشا وزير مصر في عهد الخديوي اسماعيل في جملة من . اختار من رجال الغرب لخدمة مصر فوصلها ، وكان اسماعيل قد خُلع فرجع من حيث أتى . وبعد مدة ندبته شركة افرنسية لانشاء سكك حديدية في السلطنة الدثانية ، ثم نولى أعمالاً كبرى وأهمها نظارة إدارة حصر الدخان في الاستانة فأبان في حياته علواً في الفكر وخبرة بحياة الناس وحياة الأعمال ، ومعرفة بمعاناة المسائل الكبرى حتي صار لا يلامس منها الا الامور العملية ، وينظر فيها فيعرف المدخل والمخرج من اول وهلة وقد استبطن أسرار السياسة والمالية فكان إدارياً مدهشاً كما قال فيه واصفوه .

أطلت في تعريف الرجل لان للتعريف به دخلاً كبيراً في تسهيل الاعتقاد بصحة احكامه على تلك السلطنة الكبرى وعلى ذلك الرجل الذي سقطت على يده وبهده . ومما يزيد في الثقة بما رواه المؤلف انه كان قريباً جداً من مصادر الحوادث التي وقعت في دار الملك الدثاني وكانت له صداقات مؤكدة مع اكبر وزراء السلطنة وولايتها وعملها وهو على اتصال مع الطبقة السامية من الاجانب فيها ومنهم السفراء ورجال السياسة والاعمال ، فكلامه اذاً كلام الخبير الصادق لا تقرأ فيه شيئاً من الغرض بلي تبين فيه التحقيق ومعرفة تامة بالحياة وبجتها وتدقيقاً قل ان تراه لغربي كتب على الشرق وكيف ذلك وليس لجميع من كتبوا مثل ادواته حتى تصح احكامهم وتجدوناً ليفهم .

دخل المؤلف الاستانة قبيل العهد الذي نشبت فيه الثورة الأرمنية ، التي هلك فيها الوف من الأرمن في الاناضول والاستانة اي في سنة ١٨٩٥ وظل يكتب مذكراته حتى هلك سنة ١٩١٩ . وقد قال ابنه في هذه الحوادث الارمنية في مقدمة الكتاب ما تعريبه : « ينظر عادة الى مذابح الارمن في الغرب بانها نتيجة النصب الاسلامي ، على حين ان السبب الاصلي هو سياسي (Opportuniste) اكثر مما عوديني . والظاهر ان قليلاً من الأدب ان كانت من التسامح على مثال الدين المحمدي ، وأحسن دليل يورد في هذا الشأن كثرة عديد الارمن واليهود والروم وغيرهم ممن كانوا يعيشون مع الانراك على صفاء في الجملة الى عهد الحرب العالمية . وكثير منهم شغلوا اسمى المراكز

في حكومة السلطنة وإدارتها» الى ان قال وهو عين الانصاف : وكان الداعي في تدبير المذابح الارمنية بيد عبد الحميد وحاشيته سياسياً صرفاً لانهم حاولوا ان يقيموا لهم ملكاً بين السلطنة العثمانية وبلاد روسيا تكون عاصمته ارضروم .

هذه المفكرات قطع تختلف بطولها من بضعة اسطر الى بضع صفحات بحسب الموضوع ويؤرخها مؤلفها باليوم والشهر اللذين كتبت فيها بعبارة عالية لتجلى فيها روح المالى والاداري والفنان والاجتماعي، بعيدة كل البعد عن البذاء والهراء وفيها احبائنا الاحماض اللطيف والتمكم بادب قل ان عهد الا في كتابات الشعوب التي بلغت أقصى درجات الحضارة تزينها حسن الاخلاق وجمال الثقافة . وكثيراً ما دون صاحب المفكرات اشياء ربما لا تفيد كل الناس وهي قليلة جداً ولكن نفسه كانت تهتم لها كتفاصيل بعض الحوادث ومنها ما له علاقة ببيتته وعمله الخاص ومنها تهتم كيف يعيش ارباب الاعمال من الغربين في الشرق .

تكلم في مفكراته (٣٠ تموز ١٨٩٩) على المشاريع التي قام بها الافرنسيون في بلاد الشام فقال في خاتمها بعد وصفه مشاريع السكك الحديدية « يرجع اخفاق المشاريع في الشام الى الطريقة التي يدرك بها ارباب الأموال من الفرنسيين الاشغال الشرقية . فان هذه الاعمال كلها قليلة الربح قليلة النجاح في السنين الاولى . فالواجب اذاً ان يراعى في عملها الاقتصاد ما امكن برأس مال قليل وانظار ارباح العمل حتى يتدرج الى النجاح . بيد ان الجماعات من الافرنسيين يعملون عكس ذلك فانهم يعينون رأس المال سلفاً على أساس الواردات الموهومة وينقسمون الارباح المقدرة بصورة زبادة في أسعار البناء او في قيم السهام التي تصدر الى ساحة التداول ، وقد أمر فوا في اتفاق المال على هذه الأعمال في الشام اسرافاً فاضحاً ولتناول القائمون بالعمل مبالغ طائلة لانفسهم في قالب حصص (Apports) الى الشركات . فرأس المال الذي طلب هو اعظم كثيراً مما يقتضيه المشروع ولم يكد البناء يتم حتي زهقت روح الشركة . التجربة ثابتة كما هي ضارة ، لا جرم انه لن يستفيد احد من هذه العظمة » .

وجاء في مفكرته يوم ١٥ نيسان سنة ١٩٠٠ « ان فقراء الفلاحين الذين يزداد في أعشارهم الى الحد الذي لا يطاق ، لا يجدون من يدافع عنهم ، ويحملون الظلم الذي

بقع عليهم صابرين ، الا ان إرهاب الفلاح وهو المقضي عليه باداء كل ضريبة وسخرة بدون رحمة قد نشأ منه الآن الداء المعضل وهو خلوة القرى من سكانها . ويقال على الجملة انه ستزيد الحركة ونفنى معها المادة التي يمكن ان تؤخذ منها الضرائب . تصح تركيا اليوم بعد اليوم مملكة تحت النصفية ، ولا تزال تذكر انها أضاعت ولاياتها في البلقان الواحدة تلو الأخرى بفعل المعاهدات الاوربية والحملات المشؤومة ، فقد فقدت كريت مؤخراً عقيب حرب ظافرة . وفي ذلك طريقة النصفية مباشرة وإضاعة البلاد او التخلي عنها بدون حاجة . ويمكن الوصول الى نفس هذه النتيجة من طريق غير مباشر وذلك بالنضيق على سكان الولاية في معاشهم وبجعل البلاد المنتجة قفراً . فان آسيا الصغرى لنصفى بالطريقة الثانية على حين ان املاك تركيا في اوربا تنقطع إرباً أرباً . أصبح القسم الشرقي من المملكة في آسيا أشبه شي بالقفار فان مذايح الارمن وهجرتهم الى ولايات الشمال وتخرب الكنائس الحميدة والقبائل الرحالة في الجنوب في وادي دجلة والفرات ، كل هذا قد أحدث في بضع سنين تأثيرات عظيمة . نذب مديراعمال ادارتنا (كاب) آخراً للتجوال في هذه الأصقاع ودرس مشروع سكة حديد بغداد فقص علينا انه بحث كثيراً عن القرى التي ذكرت بعثة بونس انها موجودة على طول الطريق . وهذه البعثة قامت بمثل هذا الغرض منذ ست او سبع سنين . وكانت القرى القائمة اذ ذاك تعد بالمئات تخربت وعفيت آثارها كأنها لم تكن بالامس عامرة . اما بقية بلاد آسيا الصغرى فهي موقوفة ابدأ على التدرج في زيادة الاعشار بحيث تصبح الزراعة متعذرة وتزيد رداءة الحال الى ما يدعو الى انقراض السكان من القرى . ثم تكلم على المهاجرين من الافطار الاخرى الى بلاد السلطنة اذ ذاك وقال ان هذا مرض مزمن خاص بدور النصفية الذي نحتاجه الخ .

وقال في كلامه على نفي السلطان لبعض الاعيان : وصعب ان يدرك المرء كيف يصرف السلطات جهده في مراقبة جميع دسائس الشرطة ، خصوصاً اذا نظر ان فكره المريض من قلة الثقة بهم لا بالاخطار الموهومة التي يرى نفسه محاطاً بها في عاصمته ، بل بجميع الاعمال المشتبه بها التي تحدث في أرجاء سلطنته وهذا مما لا يكاد يصدق . في حلب وال اسم رائف باشا كان ناظراً للاشغال العامة وهو رجل

معروف . ذكر لنا ابنه امس ان اباه أراد ان يزور احدى مدن ولايته فأرسل الفرسان في أثره وعادوا به الى حاضرة الولاية كأنه مجرم ، وذلك لان القائد العسكري في الولاية أبرق الى السلطان ان رائقاً هرب فصدر اليه الامر في الحال ان يقبض عليه .

وقال في وصف القدس ان الناظر الذي يرى الاشياء بالعين المجردة يرى القدس اليوم (في عهده) أثراً من آثار نفوق الاسلام و يرى المسلمون في حالها دليلاً ظاهراً على نفوق دينهم ، وليس ذلك الا وهم من أوهم النظر فان الاحوال السياسية وان قضت على الحكومة العثمانية بالتسامح الواسع ، قد اضطرتها الى تنظيم ادارة سيادتها وحكمها على الارض المقدسة عند اليهود والنصارى ، وهؤلاء تركوا شأنهم ولم ينظمهم نظام عام فأفرطوا في أهوائهم الشخصية والمذهبية . فان السلطة التي تنفذ بحذق واعتدال وما هناك من اناية ومطامع لا نهاية لها قد أحدثت تناقضاً مذللاً نأذى به أبصارنا ! وقال في دمشق : لا بأسف الانسان في مكان بقدر ما يعرفه من الأسف عندما يرى هذه البقعة الجليلة من الارض سلت الى بلادة الادارة العثمانية وطمعها .

وصف (١٣٣) عبد الحميد وعهده فقال : حقيقة من الغرائب ما يرى من السلطة النافذة بالخوف والإرهاب في هذه البلاد النعسة . فان السلطان محكوم عليه بالارهاب وجميع أعماله منبعثة من الخوف . وقد عهد الى جماعات من الجواسيس ان يحموه من الأخطار الموهومة التي يعتقد انه محاط بها . ولما كان هؤلاء الجواسيس يستفيدون بذلك فليس لهم من هم الا ان يدوم لهم سلطان الوهم يدونه ويهيئونه بما عندهم من القوى . وان كبار رجال الدولة والوزراء والحجاب والقواد ليعيشون بالخوف وهم يعتقدون ان خوفهم ليس عن وهم صرف لان للسلطان مطلق التصرف في استعمال ما يخطر له من نقي من أراد ونكبتة والحكم عليه بالموت او بالحياة . فان دسيسة مدبرة بحذق او خيانة في عمل سري ووشاية جاسوس مقدّم يتأتى منها لكل واحد منهم ان يجني أفعع النتائج . وعندئذ فلا تراه الا مراقبين بعضهم على بعض و يستقرون أخبار الجار لانهم يحاذرونه ويعدون السلاح ليستطيعوا ان يدفعوا عن انفسهم او يهجموا اذا قضت الحال ، ويحاذرون ان يتعرضوا ما تدور عليه أعماله وأمراره الخاصة . وما من عمل سافل ولا من خيانة يتدد احد في إتيانها اذا كان فيها رضا السلطان او إسقاط من نال حظوته .

وكل هذا أحدث تلبلاً ووشايات وقصصاً مستحيلة تسير بين الناس وتصادم وتعارض وتتساقط وكان منها الصالح لكاذب والمداوات والدسائس والدنئات يرفرف عليها كلها سلطان الفزع والإرهاب الخ .

وقال (١٦٢) ان النظر الى مجموع هذه المملكة غريب جداً فان فكر الانقراض والعصيان ومحاربة الشقاء والثورة على البؤس مماثلون له فظائع اجتماعية مثل الفوضوية والعمدية وقتل الملوك والحكام اما هنا فالامر على عكس ذلك فان الناس كلهم يحنون رؤوسهم والملوك يعمل ما شاء في تدبير الدسائس على رعاياه ليسلمهم أموالهم ويحيط به خدامه ويسلم البلاد اليهم يسلبون الامة ويمتصون دمائها . واذا نشأ بالمصادفة رجل ذو إرادة سيئة وزارته يكون عرضة لكل مراقبة ولا يلبث ان يغيب مبعداً أو سجيناً أو منفياً أو يصيبه غير ذلك . فالفوضي في كل مكان والأشرار يعيشون في كل صقع فساداً وهم مدججون بالسلاح والناس الساكنون يؤذون أنواع الأذى وليس هناك من حماية ولا شرطة ولا إدارة بل ان السلطان الأكبر للسلطات الذي يدير هذه العمدية وينفذها . والوظائف في الولايات لا تعطى بحسب الاستحقاق وقد يحسنون على رجال عظام بوظائف في الولايات إرادة إبعادهم عن الاستانة ولذلك تجد في الولايات مثل دمشق وطر بزون وقسطموني رجالاً عظاماً . . .

وقال يصف تأخر المملكة العثمانية ونفسها بعد ان عاد من اوربا وقال ان رجعته الى الاستانة وتغير عظيم وراحة للفكر والجسم فان المرء ينتقل هذا بين الاستانة واوربا لا ينتقل فقط في المسافات بل ينتقل في الاوقات والادوار . فان ثلاثة قرون تفصل بين أترك اليوم وطر بقتهم في فهم الاشياء وصلاتهم الاجتماعية وحياتهم العامة ، وبين ارتفاع اوربا الغربية وفضلاً عن هذا التباين المحسوس فان تركيا تهوي قليلاً قليلاً الى درجة سوأى من الانحلال والاستسلام على حين تسير اوربا بخطى واسعة ونلتفع بالاختراعات الحديثة وتغني أدبياً ومادياً . وذكر بعد صفحات وقد عرضت عليه الدولة ان تبتاع سهام إدارة حصر الدخان قوله : حقاً ان هؤلاء القوم عجائب بسذاجتهم فأنهم كلبوا في نقض البنيان الموجود وإلقاء العثرات في سبيل عمل يسير وهذا لا يواز به الا عدم كفايتهم لايجاد شيء ثابت دائم مهما كان نوعه .

وقال في وصف الأروام : اننا نعيش في الاستانة الى جنب الأروام كثيراً وهم
ثرثارون مثل اهل مرسيليا مفرطون في كلامهم يتكلمون باصوات عالية و باشارات
عظيمة ، وكل ذلك ليعبروا عن امور نافلة او لا أصل لها . فهم مهذارون الى التي ليس
بعدها و يفيضون اليك و يسرون في أذنيك بأكاذيب هائلة يعتقدونها كل الاعتقاد .
لا جرم انهم أناس عاديون غير متمسكين ، رأينا فيهم ما عرفناه عن الروم القدماء ،
وكننا نذهب الى ان ما أثر عن قدماء يونان من الاعمال والانتصارات والمجد هو من
صلفهم و صلف الجنوب و مبالغاتهم و مبالغاتهم مؤرخيهم و شعرائهم قياساً مع أروام اليوم ،
لولا ان في زيارة المصانع القديمة في يونان و ذكريات العصر اليوناني العظيم مما يزيل
هذا الظن ، فانت البراهين على الثقافة العالمية والاقتصاد والاهتمام العالي محسوس
لا نزاع فيه .

وقال (ص ٢١١) : زارني هذا الصباح عظيم من عطاء القصر فنعيت اليه قدرتي
بك (والي طربزون وكان إدارياً حكماً) فضرب يديه سروراً وصرخ صرخة الفرح ،
واذ قد رأي صامتاً دهشاً قال لي : وهذا وال سينصب له خلف ، والغنى لنا في ذلك
لان خلفه يجب عليه ان يؤدي على الأقل من ثلاثة الى اربعة آلاف ليرة الى صندوقنا
المشترك . ولقد هممت ان أدفعه الى أسفل السلم لكلامه هذا واكفيت بان قلت له
بلهجة استغريها : ان الفضل يرجع الى قدرتي بك بحماية بلاده من ان تكون طربزون
مكدونية ثانية على الحدود الروسية ، وان التفكير في اتمام السياسة التي سار عليها قدرتي
بك أهم من تسرب بضعة آلاف ليرة الى صندوق كصندوقهم .

وذكر بداعي وصف احدى الجرائد السويسرية لحال مقاطعته في الأزمان الغابرة
ان تبدل الأخلاق وما يتمتع به الجمهور من المرافق العامة يرجع السبب فيه الى أسباب
بعيدة صعبة أكثر من التبدلات الساذجة في اصول الحكم والسياسة في شعب . فان
هذه التبدلات نفسها ليست سوى نتائج حدثت من أسباب أخرى هي قائمة بانتشار
التربية العقلية التي تخلق وتموت في أطراف العالم منبعثة من أسباب عرضية من مثل
ظهور رجل عظيم او نبي كريم . ومن الأمة المنورة بنشأ الذكاء في طبقات الخاصة
الذين يوجدون العلم و يكشفون عن محيا امور نهجها او يوحون اليها بشرائع ادبية خصبة

بنائها ٠٠٠ والفلاح هنا يعيش تيساً في كوخه جاهلاً بما يجري على ميل من مقره لا يملك نقداً ويحصل على حاجياته بطريق المقايضة . وهنا أيضاً لاشان للنظام والتنظيم الذي هو من شأن المجالس البلدية ، والطرق غير امينة ولا سبيل الى النقل الا بحفارة . وهنا ايضاً احفظ القوم باساليب التعذيب والعقوبات التي كانت تجري على عهد شارلوكات ٠٠٠

وكتب (ص ٢٦٨) زرت هذا الصباح الصدر الأعظم في قصره وكان يشكو أنا في ضرره فقص عليّ الدسائس التي تحيط به وما يتهم به النامون قال : ان في الولايات ولاية لا شأن لهم الا ان يذهبوا الدولة ويسلبوا الامة اقترحت نفيهم او نقلهم وعبثاً حاولت لان جلالته لا يصفق على ذلك لان بعض الافاقين او الخدم او احدي نساء الحرم تحمي الوالي ، فيوهمون السلطان اني أعمل بوسائل جنسية ضد مصلحة الدولة والسلطان يعتقد باقوال هؤلاء الساقطين اكثر من أقوالي .

ومن مفكراته (ص ٣٤٢) : ان الألمان منافسون وفيهم الخطر : ذلك لان سفارتهم وبهوتهم المالية الكبرى لضغط بكل ثقلها على مفاوضات الحكومة العثمانية ومفارضات السلطان ، وترى الافرنسيين يوماً ناجحين ومن الغد منقهرين ، وهكذا تمر الاسابيع والشهور . وجميع العقبان والبواشق في القصر السلطاني من كبار رؤساء الجواسيس والحجاب وأمناء السر والباشاوات وبعض الوزراء يراقبون هذه الحركات والقلق آخذ منهم ، وأعناقهم ممتدة ، وافقين بالمرصاد للغنائم منظرين صدور الارادة السلطانية في تعيين الظافر وظهور المنكوب السعيد يوزع عليهم « البخاشيش » عندما تكتب له الغلبة . وما أغرب شأنهم ذاك اليوم . منظر جدير بمثل هذه المملكة مملكة عبد الحميد ٠٠٠ في ادارتي رجل مستقيم فعال اسمه حاجي اوليا عهدنا اليه باستثمار الدخان في ولايات ساحل البحر الاحمر اليمن والحجاز وقد أصبح واسطة لجميع العلاقات بين الدولة وتلك البلاد في البياعات ونقل الجنود والبضائع والمواد . اتى يوم وقد أصبح له في ذمة وزارة المالية ٢٤ الف ليرة عثمانية وتعذر عليه ان يقبض فلماً واعترفت النظارة بصحة حساباته بعد صعوبات جمة وفضى مجلس النظار بان يؤدي اليه مطلوبه ، ضرورة ان الدولة ستطلب منه خدماً أخرى ، وحاول عيشاً استصدار الارادة السنية بذلك ،

وهو منذ أشهر بأتينا شاكياً متوجساً خيفة من إفلاسه القريب ، وها قد أتى امس الى إدارة حصر الدخان متهللاً كأنه عاد فتيماً عشرينين الى الوراق ينعنى باماديج السلطان ، ويحمد الله على توفيقه . فسألته ماذا جرى لك يا حاجي اوليا فأجاب لا تعرف ماجرى باذا السعادة ان اخي فكر فكراً حسناً فأرسل اليّ من اليمن اربع بقرات غريبة اكل منها سنام في ظهرها فقدمتها هدية الى السلطان فصدرت ارادته بعد اربع وعشرين ساعة وسألني السلطان ان أجلب له طيوراً من بلاد العرب وهاءنذا أقبض الاربعة والعشرين الف ليرة وقد أنقذت مما كان يتمددني . اما نحن فاننا نقاسي منذ سنين الامنى من سخط السلطان وذلك لاننا لم نعرف المدخل والمخرج ولم نستطع جلب اربع بقرات محدودة الظهر فالواجب ان نفكر في طريقة أخرى .

- ومن مفكراته يوم ٢٢ آذار ١٩٠٥ : لنابع الفضائح الداخلية في القصر السلطاني .
ويوم السبت الماضي كانت لجنة حربية منعقدة للنظر في حوادث صنعاء وحالة اليمن والحجاز المضطربة فان كثيراً من القبائل العربية قد انقضت وهي محاصرة مدينة صنعاء شرقي جدة ، وشاع في الأيام الأخيرة ان المدينة قد سلمت . ومها يكن من الامر فان المناقشة في اللجنة العليا كانت محتدمة على ما يظهر عندما دخل الكاتب الثاني عزت باشا المشهور وانقدم يشارك اللجنة في مذاكراتها فقام ناظر الحربية اذ ذاك وسأله بشدة كما يسأل صعلوك بتدخل فيما ليس من شأنه ، وأضاف الى كلامه حركته وتنادل كرسياً بيده وكسره على رأس ذاك السوري الصغير فوق اضطراب واستدعي الطبيب زامباكو باشا وقد أخرج الصدر الاعظم منديله ليقطع به الدم المهرق . جميع اهل المندى يقصون هذه القصة وكل انسان يأسف لان أثاث القصر لم يكن متيناً والا لكان الوزير حطم رأس الباشا بدلاً من ان يكسر الكرسي فقط . وليت شعري اي معروف كان أسدى لبلاده ! وسيان وفق في ضربته ام لم يوفق فان حركة الوزير كانت جميلة في النظر ، ترى فيها البادن العظيم رضا باشا بقامته الكبيرة يحمل كرسياً ليسحق به هذا الافعوان المضر . وليت شعري ما كانت أجمل الصورة الشمسية التي تستخرج بنقل هذا المشهد .

هذه نموذجات من كتاب السويصري في العهد الحميدي البائد وانما المرء حديث

بعده . وأظن ان هذه الوقائع تكفي في إقناع من يحاولون غش التاريخ ومادح ذلك الدور في الحقيقة الا الذين حلبوا العزة المسكينة واكلوا درها ثم نفقوا صوفها وعزقوا عظمها .

محمد كرد علي

تاريخ الادب العربي

تأليف السيد احمد حسن الزيات طبع بمطبعة الاعتماد بمصر . الطبعة الثانية (ص ٣١٣) طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر المؤسسة سنة ١٩١٤

مؤلف هذا الكتاب من نوابغ الادباء الذي أحكوا القديم من أدوات الكتابة ، وضموها اليها ما ينفعها من الحديث . وقد علمنا من حياته انه بعد ان حفظ في الأزهر القرآن ودرس التجويد والقراءات وعلوم الشريعة واللسان وقرأ أمهات كتب الأدب على العلامة سيد بن علي الرضوي حذق اللغة الفرنسية ودرس الحقوق بها ، وأحرز شهادة العالمية من جامعة باريز ، وغذى عقله ببحر الجمة ومحبة النقد ، ثم انصرف الى تدريس آداب العرب وعني بالتأليف والترجمة . وكتابه هذا من خير ما أخرج للناس من الأسفار ألفه بحسب برنامج معارف مصر للمدارس الثانوية فجاء مما يستفيد منه كل من تطمح نفسه الى الإلمام بهذا الفن الواسع الاطراف ، المتشعب المناحي . بدأه بالكلام على أدب اللغة ومنزلة الأدب العربي وتاريخه وفائدته ونقاسيه وعلوم العرب واللغة ولهجاتها وأطوارها وخصائصها والنثر والحكم والخطب والشعر وأوليته ونقاسيه عند الفرنج وأبان السبب في خلوة الشعر العربي من القصص وميزات الشعر الجاهلي والرواية والمعلقات والحماسة والمدح والهجاء والثناء والاعتذار والوصف والنسب وأورد تراجم جميلة مع الایجاز لشعراء الجاهلية والاسلام والخطباء والكتاب ، ولم يتدرج اللغة وما أثره الاسلام فيها وتأثيرات القرآن الكريم وإعجازه وأسلوبه وتأثيره وجمعه وتدوينه . وعرض لعبد الحميد الكاتب وأثره في الكتابة والموازنة بين الكتابة في عهده وبينها في الجاهلية وأثر الخطابة في الاسلام وأورد تراجم علي بن ابي طالب ومحبان وزباد والحجاج بن يوسف ومثالات من خطبهم ومن النثر في عهدهم وذكر الشعر في

العصر الأموي وسيرة طائفة من الناهيين من شعرائه ونماذج من أقوالهم . وانقلب بعد ذلك الى العصر العباسي وما آل اليه الأدب بتأثير الحضارة الفارسية فيه وترجم لأعيان الكتاب والشعراء والادباء والنحويين واللغويين والفلاسفة والمحدثين وألم بما صارت اليه كتابة التاريخ وتدوينه وعلوم الحديث والفقه والفلسفة وما صارت اليه اللغة في العصر التركي وذكر بعض أعلام الأدب ووصف ضعف ملكة البيان حتى كان الاحتلال الفرنسي في مصر وما تبع ذلك من عمل محمد علي الكبير فأضت اللغة الى بعض رونقها وترجم من المعاصرين في الأدب اربعة رجال وامرأة من المصريين وذلك بحسب الخطبة التي رُسِمت للكتاب وهم المرحومون محمود سامي البارودي ومحمد عبده وحفني ناصيف والشيخ حمزة فتح الله وملك ناصف ابنة حفني ناصف المعروفة بباحثة البادية . وذيل الكتاب بمجم صغير للفسير ماورد في الكتاب من الألفاظ الغريبة والتراكيب الغامضة .

هذه رؤوس المسائل في هذا الكتاب الذي جود مؤلفه تصنيفه وجمع الى الجزالة الرشافة فأتى بمجموعه مثال الكلم الطيب والقول البلغ والتخري في البحث وانه ناف زهرات أئمة الأدب وإدماجها في أسلوب يجيب تلاوته ومراجعتها ، ولقد يكتفي طالب هذا الفن بهذا المثال الجيد من أدب العرب ، و يتبلغ به هذه الزبدة الطيبة تملأ وطابه وتغنيه في سن الدراسة عن الرجوع الى المطولات . وعسى ان تصح عزيمة المؤلف النابغة على وضع كتاب مطول في هذا الفن الذي قال فيه انه علم حديث النشأة ابتدعه الايطاليون في القرن الثامن عشر وفضل جهولاً في الشرق حتى اشتد خلاطه بالغرب فكان اول ما نقله الاستاذ المغفور له حسن توفيق العدل اقتبسه من المانيا ودرسه في دار العلوم ^(١) بمصر .

(١) ألف صديقي العلامة المرحوم حسن توفيق العدل كتاباً في آداب اللغة العربية ونفضل ودفع اليّ في سنة ١٩٠١ بمصر مسودات الجزء الاول فقرأته واعدته اليه ولا أعلم اذا كان مثل بالطبع ، ومما قرأته من الفوائد فيه ان اوزان الاعراب من مخترعات العرب الصرفة وانهم لم يأخذوا وزناً من غيرهم بل اخذ عنهم كثير من أم اوربا انواعاً من القافية .

ومما قاله في الرواية والمعلقات (ص ٢١) « قال ابو عمرو بن العلاء : (ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله . ولو جاءكم واغترأ لجاءكم علم وشعر كثير) ولكن هذه الكثرة متهمة وروايتها مرية ، فان الشعر لم يدون الا في منتصف القرن الثاني للهجرة ، وان في نقله على الألسنة طول هذه الأزمنة مظنة للتبديل والاختلاق والتزويد » اه .
وقد ثبت ان التدوين سبق هذا العهد فان زيد بن ثابت الف كتاباً في علم الفرائض وكان عبد الله بن عمر يكتب الحديث وذكر مسلم في صحيحه كتاباً ألف في عهد ابن عباس في قضاء علي . فليس من المعقول ان يتأخر العرب في تدوين شعرهم وهو ديوان معاخرهم وصحيفة ادبهم وتاريخهم الى منتصف القرن الثاني .

وقال (٨٢) : وقامت خلافة الأمويين على غير عمد من الحق فساسوا الناس بالنزوى وإحياء العصبية واوقدوا نار النافس بين الشعراء وكأنا الناس عن الخصومة في خلافتهم بالخصومة في امر جرير والفرزدق والأخطل ، وحل المربد في الاسلام محل عكاظ في الجاهلية ، فعلوا ذلك بالشام والعراق فظهر الهجاء السياسي وهو فن من الشعر جديد واعنقوا شباب الهاشميين وسراهم في مدن الحجاز ، وسلطوا عليهم الترف ، وشغلهم بالمال ، وخابوا بينهم وبين الفراغ ، فتدفقوا في اللهو ، وعكفوا على الغناء . . . اه . وليس هذا الكلام صحيحاً على إطلاقه لان الأمويين كخصومهم طلبوا دولة فبلغوها بمضامهم وعصبيتهم وحسن سياستهم ، واذا كان الهاشميون من طينة غير طينة العرب او البشر في الفضل والنقى فلماذا مالوا كل الميل الى ما حملة الامويون اليهم من اسباب الترف والسرف . ولو وقف الامر عند الحد الذي أراده الحجازيون والعراقيون اذ ذاك لما انتشر الاسلام هذا الانتشار المدهش ولا بلغت فتوحاته المغربين والمشرقين .

وقسم المؤلف العصر العباسي الى اربعة اعصر تبعاً لاحواله السياسية والاجتماعية ، فالعصر الاول من ابتدائه الى خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ ، والثاني من خلافة المتوكل الى استقرار الدولة البويهية في بغداد سنة ٣٣٤ ، والثالث من تغلب البويهيين الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ ، والرابع من دخول السلاجقة بغداد الى سقوطها

سنة ابدى النثر سنة ٦٥٦ وهذا التقسيم سار عليه ايضا بعض المؤلفين المحدثين الذين دونوا شيئاً في تاريخ الادب عند العرب .

واعتذر الاستاذ عن إغفال ذكر الشاميين وأثرهم في النهضة العربية بقوله : وما كان أروح للنفس لو اتسع صدر هذا الكتاب لتراجم مواطني وجيرتي ! ولكن البحث محدود والقلم موجز . ومهما يكن من شيء فلن يفوتنا ذكر اسمائهم مئة مئة باسماء معاصريهم في العراق والمغرب ، اعترافاً لهذه النفوس الكبيرة المظمنة بالاحسان والفضل » .

وقد وقعت بعض هنات قليلة جداً للمؤلف أكثرها من غلط الطبع مثل « اعنق الاسلام » وهذا من التعابير الافرنجية والآلى النحل او دانت او غير ذلك . ومنها (ص ٢٣٢) ان الاستاذ جوبدي الايطالي وضع فهرساً ابجدياً مطولاً للاغاني وطبعه بمصر سنة ١٣٢٢ والصحيح ان الاستاذ الايطالي وضع جداول الاغاني بمؤازرة ثمانية من علماء المشرقيات وطبعه في ليدن سنة ١٩٠٠ وما طبع في مصر من نخل من الطبعة الفرنسية ومنقول عنها . وروى (ص ٢٤٥) ان كتاب البدء والتاريخ هو لابي زيد البلخي ولكن تبين آخر أنه للطهر بن طاهر المقدسي ، وان ابن ابي أصيبعة صاحب طبقات الادباء والصحيح ان صاحب هذه الطبقات ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان وكتاب ابن ابي أصيبعة اسمه عيون الأنباء في طبقات الاطباء . وقال ان ابا الفداء وصل في كتابه المختصر في اخبار البشر الى سنة ٩٢٩ وصوابه ٧٢٩ وابو الفداء مات سنة ٧٣٢ كما جاء في الكتاب نفسه . وجميع صفحات الكتاب درر وعرر . محمد كرد علي



آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف «جوت» الالماني نقله عن الفرنسية السيد احمد حسن الزيات

الطبعة الثالثة طبعت بعناية لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر في مطبعة

الاعتماد سنة ١٣٤٢ — ١٩٢٤ ص ٢٠٨

اشتهرت هذه القصة في الأدب الغربي وبالغ الغربيون في الإعجاب بها ، وقد نقلها نابغة الأدب الاستاذ الزيات ايضاً بمارزق من القوة على تذليل صعاب اللغتين وبرشاقة

وذلافة دل بها على علو كعبه في ممارسة القلم العربي الذي يتوفر على إرجاعه في أسلوبه الى عهد ابن المقفع والجاحظ وسهل بن هرون . خاصة امتاز بها بعض من درسوا الأدب العربي حتى دراسته ، وتشبعت نفوسهم بالأدب الفرنجي . أمثال شكيب وطه والعقاد والمازني وغيرهم من أعيان البيان في هذا الزمان . وقد برز في هذه الطريقة خصوصاً نوابغ الازهر بين الذين عالجوا الادب ومقوماته ، ونوابغ دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي ، وكل فيهم من لم يشتهر اليوم بكتيب من السهل الممتنع الذي لم ينهض بمثله كتاب القرن الخامس والسادس . وقد قدم لهذا الكتاب صديقي المؤلف وتريه وقسيمه الدكتور طه حسين مقدمة قال فيها ان «جوت» وصف في هذا الكتاب الحياة النفسية لكل شاب وشابة على اختلاف الازمنة والامكنة وعلى تباين الحالات ، وانه من الكتب التي أنشئت لتبقى ابد الدهر ، تخلد لانها لا تصف الأشخاص التي تفتى وتزول وانما تصف النوع الذي يبقى ويدوم ، وخصلة أخرى قضت لهذا الكتاب بالبقاء والخلود هي انه لم يقف عند حد تمثيل الحياة النفسية للشباب في طور من أطوارها وانما وضع للانسانية مثالاً من الفضيلة تحس كل نفس الميل اليها وترد لو بلغته او دنت منه . . . ان آلام فرتر ليست قصة مثقلة او بناءً متكافئاً استعيرت اجزائه المتكلفة من الخارج ، انما هي قصة ما أصاب «جوت» نفسه ارباب شبابه . ومن هنا يري الكتاب مما يشوه غيره من آفة الكذب والاختراع .

وقد وضع المترجم بعض الألفاظ للدلالة على بعض السمات الفرنسية . مثل بيان (Piano) او المضرب . عصير (Goutier) الوجبة الخفيفة التي تؤكل وقت العصر . لكلمة عَدَفَ ونَعَدَفَ ، كَمَجَجَ ونَلَمَجَجَ ، تلقى عند العصر وجمع اسمها على عصور . قديج (Gratin) الأشنان (Mousse) وربما كان الأولى يطلق عليها اسم طُحْلَب ولعلها الأشننة (شبيهة او كشة العجوز) . وفَنَزَج (bal) اي المرقص . واستعمل كلمة «ظروف» بدل الاحوال و«قتل الوقت» بدل صرفه وقطعه والقفل هنا اعجمي . وجمع الوادي على وديان والمعروف الاودية والادواء والاودية . وقال (اشجار الدوح) . والدوح الشجر العظيم فلا حاصل لمعنى (اشجار الاشجار) . ومن النصح والتراكيب الجميلة التي يزيد احياءها : «متع الحياة . متوع النهار . لتهدى الناظر ونعاجز المراقب .

نُزبة (حدة) من الشوق • يزوجون بينهم من بناتهم بدالا • يوم قاتل نثوقدهواجره •
 ونفترق سمائهم • السمكات المنديبة — الخجلة • خشاة ان — خشية ان • رجاء ان —
 رجاء • رَجِيَّة وامل — رجاء • الصاغر المشدود • اصحر القلب (اصحر بما سيف قلبه
 اظهروه) وضاح الجبين • تركته بع بعبابه • ثقل خلاطهم (مخالطتهم) على طبعه •
 تعلم منذ بعيد • اجزت الفناء — جزته • عدّوا الدار — بعدها • امرأة نصفاً تغترق
 الابصار ملاحه • عقرت — فجأني الروح فلم اقدر ان اقدم او اناخر • معيشة ضنك
 ومسترد حرج • العيش الرفيع — لعله الرفيع بالعين المعجمة من رفع العيش اتسع •
 محشوشب الجسم • يحذونهم على مثالم • عصاه العقدا • رثدا — قرنبا في السن •
 ينجلون المرعى يحشونها • الود المصفق • مؤانستها والتظرف اليها • أبقى على نفسي
 واهاونها • ربكها حمله • ارفه على نفسي • لثا الموت شدته وكربه • نعم ونعام
 عين • لا يقع الا ندورا • زهاه النصر ولج به الفخر • كان مُحَمَّماً مأفوناً • رجل
 مأفون مباحك • راقصة مرجحة • التي الخبر على رُسَيْلاته — من دون ثبث • تقع
 هذه السمكات وجدائها • الداء الثبات المعجز عن الحركة • عرفت لهذا الخطب صبرت
 وتجلدت • اري له صورةً اليّ اي ميلاً بالود • صب جلده وارتمكت مفاصله •
 استنشيت ذكرى ما نعمت به • كظمني الحزن ولاع قلبي الم • اعمد في جوف غابة
 واخبط في الادغال الشواجن • لن تراني عَوْض • كظمت على جرّتي • ادهام المشى
 بالخضرة النظرة • زهفت الى الموت • الهندام المشياً — الخلف القبيح • يستمعون عنه
 اي يذيعون منه عيباً وفضيحة • يبرجون السنتهم في عرضه — يطلقونها في الدم
 والاغتيال • اُفد الوقت (دنا) • يفري القرّئي يأتي بالعجاب في عمله • امرأة عجفاء
 معروفة العظم مسقامة • اثنتان الحديث • استمر الكأس واجتواها اي وجدها مرة
 وعافها وكرها • اقهي عن الطعام كرهه • خب المرأة على زوجها — حملها الى النفور
 منه • نروها على سوقها ونثبتها بنصها • شقق الماء الارض غمرها • اقربت السماء
 بالمطر — دامت ولم تقاع • اصب له على حقد اضمره ونواه • يوزعها الصبر ويشعب
 قلبها بالسلاوة • الى عشرات غيرها من النصيح في التركيب الحري بالاقباس والاحتذاء •

رفائيل

لشاعر الحب والجمال (لامرئين) نقله عن الفرنسية السيد احمد حسن الزيات
الطبعة الاولى بعناية لجنة التأليف والترجمة والنشر طبع بمطبعة الاعتماد
بمصر (ص ٢٦٢)

وهذا ايضا من نقل الاستاذ الزيات وآخر ما خطته يده الصنّاع ، وذوقه المحجب ،
وأدبه المتمتع ، قدم له الاستاذ الدكتور منصور فهمي من حكماء مصر في هذا العصر
مقدمة شائقة قال فيها : « فكأن الاستاذ الزيات باختياره ترجمة هذه القصة التي
استمدّها كاتبها من جمال الطبعة ، وجلال الايمان ، وشرف العاطفة ، قد حرص على
ان يقرئنا صحيفتين فيها دقائق الكونين من عالم الغيب والشهادة ، او من عالم المعنى
وعالم الحس ، وبهذا الحرص قد خدم اللغة العربية أجل خدمة . واي خدمة أعظم من ان
يعين الانسان لغته على بلوغ دقة الوصف ورشاقته وتحليل الشعور ودقته . » فاذا
نقل الينا الناقلون كتاباً حديثاً يتضمن أوصافاً لارض غير التي ذكرها العرب ، ويحتوي
مشاعر غير التي أحسها العرب ، فانهم بعملهم هذا يمدون في لغتنا سبباً يضيفون الى
رهراتها زهوراً ، والى نغماتها ألحاناً ، والى حياتها حياة . » وخير برهان على ذلك
ان قصة رفائيل التي نحن بصددّها يقرأها الانسان عربة صحيحة على أسلوب العرب ،
وببان العرب ، وفيها رخامة ألحانهم ، ورنات أوتارهم ، وهي تحمل الينا كل ما قاله
وصوره كاتب من اكبر كتاب الفرنجة بلغة الفرنجة وأسلوبهم ولحنهم . أو يقول
المتطرفون بعد ذلك ان اللغة جامدة ! او يقول الجامدون بعد ذلك ان نفوسنا لاننا نثر
بما نقله الينا اللغة من مشاعر الغير وأساليبه في نصوير الوجود ؟ . ثم قال ان للترجمة
كما قال الصفدي طريقتين ترجمة حرف بحرف وهي ترجمة رديئة و ترجمة المعنى وهو ان
يأتي بالجملة فيحصل معناها في ذهنه ، ويعبر عنها من اللغة الاخرى بجملة تطابقها ،
سواء ساوت الألفاظ ام خالفها . قال الدكتور فهمي ان مترجمنا هذا جمع في منهجه
في الترجمة فضائل الأساليب جميعاً فلم يفرط في نظام الكلمات اذا سلم المعنى ولم يفرط
في معنى اذا لزم الامر للفرط في مبنى قال : « وبين تزويجه للطريقين قد افاده تمكنه

من اللغتين المنقول إليها والمنقول عنها ، فتخير الألفاظ وصقل الأسلوب ، وادى الامانة بما تقتضيه الدقة والايجاز . والخلاصة ان الاستاذ الزيات كان فناناً في نقله ، أميناً في فنه ، موفقاً في عمله .

وهذا الكتاب كصنوه « آلام فرتر » ينطوي على أجمل التراكيب وأفصح الألفاظ أحياها كثيراً منها حرياً بالكتاب ان يتعاوروا استعمالها كما أحيوا مئات من مثلها . وقد وقعت للمترجم ألفاظ من الفاظ الصوفية جاء بها للتعبير عن المعاني الروحية التي أرادها المؤلف الأصلي وهذا من جميل العناية البالغة في اجادة التصوير . وقد وقعت له بعض الفاظ لم تؤثر لاحد من البلغاء منها . يتراوح بين فرسخ وثلاثة والاولى يختلف لان التراوح ان يفعل هذا مرة وهذا أخرى . بلغ اربعة وعشرين ربعمائة سنة ولم يعهد استعمال الربيع بمعنى السنة وهو استعمال افرنجى . والتخوير بدل التبديل والتغيير والتخوير التبييض . في بحر يوم وليلة . والاولى في سخابة يوم . سمع البندول (الرقاص) بدق الثواني . الكنية لذلك الكرسي المستطيل . البرز — الشبه اولى منها . تضي بنفسها في سبيل . يرضخا (بعطيا قليلا) الي شيتا من مالها والحري يقول بدربعات رضح بها له . يقتلوا ساعات من الزراع فقتلوا غير عامدين ساعات من الهناء ومثلها اقتل الوقت .

وان في اقبال القراء على ما تجود به قريحة الاستاذ الزيات في هذه الترجمات البارعة لبرهان قاطع على ان في جمهور المتعلمين من ترويقهم روعة هذا اللون من الانشاء الرصين ، ولا يرتضون بعد الآن غيره من النمط النازل عن درجات الفصحاء والبلغاء .

م . ك



هدية

اهدى الى المجمع العلمي الاستاذ العلامة السيد رشيد رضا صاحب المنار بعض مطبوعات مكتبته وهي : (١) أسرار البلاغة و (٢) دلائل الإعجاز والجزء الثامن من تفسير القرآن الذي ينشره في مجلته ورسالة التوحيد للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فالمجمع يشكر له هديته .

مجمع البحوث العربية

٧٧

(دمشق) : ايار سنة ١٩٢٧ م الموافق ذي القعدة سنة ١٣٤٥ هـ

البلاغة سبيل الوزارة^(١)

« وعمر بن مسعدة وعصره الزاهي »

عصر عمرو بن مسعدة :

من أجل العصور بل أجل عصور الامة العربية هذا العصر عصر المأمون العباسي الذي دام عشرين سنة ونحو نصف سنة ، كان السلطان الاكبر فيه للعقل في السياسة والادارة ، وقلّ المتوثبون على الخلافة ، والعابثون باهواء الناس ، وانصرفت الامة الى شؤونها في ظل السلام فزادت سعادتها وشماتها الرفاهية والهناء . نظر المأمون في ماضي الملة وحاضرها ، فرأى ان من اعظم ما يكدر شرعة سياستها ، طموح آل البيت الى الخلافة ، وقعودهم لها بكل مرصد ، واستماتتهم في سبيلها بالخطوب والكوارث . رآهم منذ مقتل الحسين بل منذ أوائل العهد الأموي يهتبلون الغرة للاستيلاء على زمام الامر ، فيضطرب كل بلد نجم فيه ناجم منهم ، وتلثات الاحوال ويخشى سوء المآل ، فلم يرحمه الله الا ان يعمد الى الرفق والرحمة للكي من جراح العلويين وتأليف شاردهم . وكان آل امير المؤمنين علي بن ابي طالب منذ عهد المنصور ومن بعده يتوجسون خيفة من قوة العباسيين ، فيستخفون ويتعدون عن الناس ، تخفيت بعزائهم عن العوام حقيقة امورهم وظنوا فيهم ما يظنون به بالانبياء ، وأنشأوا بفقوهون في صفتهم بما يخرجه عن الشريعة من التغالي . فنظر المأمون في هذا الامر نظراً بليغاً وقال : لو ظهروا للناس ورأوا فسق الفاسق منهم ، وظلم الظالم ، اسقطوا من اعينهم ولاقلب شكرهم لهم

(١) محاضرة للسيد محمد كرد علي القاها في ردهة المجمع العلمي في ١١ آذار

سنة ١٩٢٧ .

دما . ثم قال : اذا امرناهم بالظهور خافوا واستتروا وظنوا بناس سوء ، وانما الرأي ان تقدم احدهم ويظهر لم إمام ، فاذا رأوا هذا ، أنسوا وظهروا ، وأظهروا ما عندهم من حركات الأدمةين فيتحقق للعوام حالم ومأم عليه مما خفي بالاخفاء . واستشار المأمون خاصته فأشاروا عليه بعلي بن موسى الرضا ، فعقد له ولاية العهد من بعده ، « لما رأى من فضله البار ، وعلمه الناصع ، وورعه الظاهر ، وزهده الخالص ، وتحليه عن الدنيا » ولقبه الرضا من آل محمد وزوج ابنه محمداً من ابنه ، وسأوى بين آل علي وآل هاشم ، غاضاً الطرف عن شكايه بني العباس . وكانوا قد بلغ عددهم لعهده ثلاثة وثلاثين ألف انسان . وبذلك استقرت الحال وكفبت المملكة شر الغوائل الداخلية زمناً . تحلى عقل المأمون في هذه الطريقة الجديدة كل التحلي ، بهد ان عمله لم يرض عنه الشيعة ولا السنة : الشيعة لا يرضيهم الا القبض مباشرة على قياد الامر وإزالة كل ملك الا لشيعتهم والقضاء على كل خليفة وخلافة ، والسنة لانه عهد بولاية العهد الى أمثل رجل علي في عصره ، فحاذروا ان تخرج الخلافة عنهم ، ونهاسوا بشيعة المأمون وهو فوق مانصوروا وقدروا ، واتخذ خصومه من هذا العمل حجة لإفشاء الخلافة اليهم فأبدوا نواجذ الشر ولكنهم لم يفلحوا .

اما صلات المأمون مع الدول المجاورة فكانت حسنة في الجملة خصوصاً مع صاحب الروم ، ومملكة هذا ظلت في ذاك العصر على شيء من التماسك والقوة أمام سلطات العرب . بيد ان كلمة المأمون كانت هي العليا في فض كل خلاف يعث بحقوق الجوار ، ويشوه وجه السلام الجميل . كتب توفيل بن عيائيل صاحب الروم مع وزيره يطلب من المأمون الصلح وعرض الفدية ومما قال في كتابه : وقد كنت كتب اليك داعياً الى المسالمة ، راغباً في فضيلة المهادنة . لتضع أوزار الحرب عنا ، ونكون كل واحد لكل واحد ولياً وحزباً ، مع اتصال المرافق ، والفسح في المتاجر ، وفك المستأسر ، وأمن الطرق والبيضة . فكتب اليه المأمون يهدده برجاله « الذين ينقبون الى الله بدماء الروم وهم اظلم الى ورود المنايا منهم الى السلامة » . جاء في آخره « غير اني رأيت ان اتقدم اليك بالموعظة التي يثبت الله بها عليك الحجة من الدعاء لك ولمن معك الى الوحدة والشرعية الخفيفة ، فان ابنت ففدية توجب ذمة » .

ومن دعوة المأمون ملك الروم الى الاسلام نفهم غيرة الامة الى عصره . ثم حدثت احداث في بعض بلاد الشرق وديار مصر وربعة واليمن ، فأطفئت نائرتها لم تلعد الارض التي انبعثت شرارتها منها . ولم تهزلها عامة طبقات المجتمع في تلك الامبراطورية العظيمة . قال الهمداني : وقد كانت للخلفاء فتوح ولكنه لم ينسق لاحد ما اتسق للمأمون وعبد الملك بن مروان والمعتصم بالله . الا ان فتوح المأمون وعبد الملك كانت لمن قصد الى ملكها قبلها في ذلك ما لم يبلغه احد في الاسلام من الملوك . والسبب في نجاح سياسة المأمون ابدأ انه كان يحسن اختيار رجاله ، واختيار المرء قطعة من عقله ، ولا يعرف الرجال الا رجل ، ومن يختار لحماية البيضة وقيام الدولة امثال طاهر بن الحسين وعبدالله بن طاهر والفضل بن سهل وسهل بن هرون وعمرو بن مسعدة — موضوع محاضرنا الآن — الى غيرهم من القواد والوزراء والكتتاب والعمال لابنال عمله غير النجاح ، ولا يعتري سلطانه ضعف ووهن .

الحالة العلمية في عهد عمرو بن مسعدة

اتم المأمون ما بدأ به جده وابوه المنصور والرشد من ترجمة كتب الادائل ، واستجد مهرة الترجمة لنقل الكتب التي اخذها من الروم ، وانفذ الى بلادهم لآخذها العجاج بن مطر ويوحنا بن البطريق وسلمة الحراني صاحب بيت الحكمة ، وجلب المترجمين من اطراف مملكته . وقد ندب المأمون ابن البطريق هذا الى الروم ليأتيه بكتاب السياسة لارسطو الذي الفه للاسكندر فلم يدع كما قال عن نفسه هيكلًا من الهيكل التي اودعتها الحكماء اسرارها الا اتاه ، ولا عظيمًا من عظماء الرهبان الذين انقطعوا معرفتها الا قصده وانقاه ، حتى وصل هيكل عبدة الشمس الذي كان بناء هرميس الاكبر لنفسه فظفر فيه بناسك مترهب ، ذي علم بارع ، وفهم ثاقب فتلطف به واستنزه ، واعمل الحيلة حتى اباح له المصاحف المودعة فيه فوجد سيفه جملتها الكتاب المطلوب الذي كان امره امير المؤمنين بطلبه مكتوباً بالذهب المحلول في رق مضبوط بالزفير منقوطةً بالفضة البيضاء المحلولة ، فرجع الى الحضرة المنصورة ظافراً بالمراد وسعى بعون الله وبمساعدة امير المؤمنين واجده في ترجمته ونقله من اللسان اليوناني الى اللسان العربي .

وكان المؤمنون يخلو بالحكماء ويأمنس بمنظرهم وتلذذ مذاكراتهم ولطالما أراد المترجمين وأهل المملكة على أن ينبذوا التعصب ظهرياً وهم مؤلفون من مجوس ويهود ونساطرة وباقية مسلمين على اختلاف المذاهب . وادعى أنه رأى فيما يرى النائم أنه رأى رجلاً على كرسي جالساً في المجلس ، فتعاضمه وتهيبه وسأل عنه فقبل هو ارسطاطاليس فقال : أسأله عن شيء فسأله فقال : ما الحسن ؟ فقال : ما استحسنته العقول . فقال : ثم ماذا ؟ فقال : ما استحسنته الشريعة . قال : ثم ما ذا ؟ قال : ما استحسنته الجمهور . ثم قال : ماذا ؟ قال : ثم لا ثم . فكان هذا المنام من أؤكد الأسباب في استخراج الكتب على ما زعموا .

ولم يكن المؤمنون في حاجة الى هذه التوطئة بعد أن بدأ أبوه الرشيد بترجمة الكتب الطبية القديمة التي وجدها بانقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين انفتحها . ولما ولي المؤمن الخلافة أتم ما كان شرع فيه أبوه فأخذ يصدق نعمه وصلاته على المترجمين والفلاسفة ، حتى كان يعطي حنين بن اسحق زنة ما ينقله من الكتب الى العربي مثلاً بمثل من الذهب وكان حنين رئيس الترجمة عنده ، ومن رؤساء الترجمة يوحنا بن ماسويه وعمر بن الفرخان . وربي المؤمن بني شاكر محمداً واحمد والحسن حتى صاروا علماء ، وكان أبوهم لصاً فلما اشتد ساعدتهم حققوا طول محيط الارض ، وكانوا يرزقون القلة بنحو خمسمائة دينار في الشهر ، وكان دخل محمد وحده اربعمائة الف دينار . وهؤلاء الاخوة الثلاثة الذين أولدهم لص ليكنوا علماء أشبه بالاخوة الثلاثة أبناء بوبه الذين أنجبهم صياد ليفتحوا البلاد ويسوسوا العباد . ومن النقلة حبش بن الحسن وثابت بن قرة والحجاج ابن مطر وحبيب بن بهرز وعلي بن يحيى النجم وابو نوح النصراني . وكان جرجس ابن يحنشوع عند المؤمن مثل أبيه اذا خاطبه كناه بابي عيسى جبرائيل واكرمه زيادة على ما كان أبوه يكرمه . ومنهم يحنشوع بن جرجس وجبرائيل بن يحنشوع .

ومن منجميه حبش الحاسب واحمد الفرغاني وسند بن علي والعباس بن سعيد الجوهري وعبد الله بن سهل بن نويخت ويحيى بن ابي منصور وكانت هذه في بيت الحكمة ، ومن علمائه محمد بن موسى الخوارزمي صاحب الازياج وصورة الارض ، كان منقطعاً الى خزانة كتب الحكمة للمؤمن ، وكذلك علان الشعوبي كان ينسخ للمؤمن

كما كان سهل بن هرون رئيس بيت الحكمة ، والغالب انه كان في بغداد عدة بيوت تدعى دور الحكمة او بيوت الحكمة ^(١) الى غير هؤلاء من المترجمين والمؤلفين في العلوم المادية . والمأمون هو الذي جمع بعض حكماء عصره على صنعة الصورة التي نسبت اليه ودُعيت الصورة المأمونية صوروا فيها العالم بافلاكه ونجومه وبره وبحره وعامره وغامره ومسكن الامم والمدن الى غير ذلك ، وهي احسن مما تقدمها من جغرافية بطليموس وجغرافية مارينوس . وقد وضع له علماء رسم الارض — قال الزهري : انهم كانوا سبعين رجلاً من فلاسفة العراق — كتاباً في الجغرافيا أعان عمال الدولة على التعرف الى البلاد والامم التي أظلتها الراية العباسية . هذا الى عنايته بالفلك ، وفلكيته الفزاري اول من استعمل الاسطرلاب من العرب . وعُني بالطبيعة والرياضيات فوق عنايته بالطب ، ومعرفة العقاقير والنبات والحيوان الى ما شاكل تلك العلوم مما كان له الأثر المحسوس في إدخال المدنية على دولة العرب ، وفتح به المأمون باب العقل على مصراعيه في كل مطلب وشأن .

قال صاعد : ان المأمون أقبل على طلب العلم في مواضعه واستخرجه من معادنه بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة فدخل ملك الروم وأتحفهم بالهدايا الخطيرة وسألم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة فبعثوا اليه منها بما حضرهم من كتب أفلاطون وارسطاطليس وأبقراط وجالينوس وأقليدس وبيطليوس وغيرهم من الفلاسفة فاستجماد لها مهرة التراجمة وكلفهم اى حكام ترجمتها فترجمت له على غاية ما امكن ثم حض الناس على قراءتها ورغبتهم في تعلمها فنفتت سوق العلم في زمانه وقامت دلة الحكمة في عصره وننافس اولو النباهة في العلوم لما كانوا يرون من إحظائه لمتعلميها واختصاصه لمنقلديها فكان يخلو بهم ويأنس بمنظرهم و يلتذ بمذاكرتهم فينالون بذلك عنده المنازل الرفيعة والمراتب السنية ، وكذلك كانت سيرته مع سائر العلماء والفقهاء والمحققين والمحدثين والمتكلمين واهل اللغة والاختبار والمعرفة بالشعر والنسب فألقن جماعة من ذوي القبول والتعلم في

(١) كان جد احمد الضبي المعروف بالصنوبري الحلبي صاحب بيت حكمة من بيوت حكم المأمون .

ايامه كثيراً من أجزاء الفلسفة وسنوا لمن بعدهم منهاج الطلب ومهدوا اصول الادب حتى كادت الدولة العباسية تضاهي الدولة الرومية ايام اكتهاها وزمان اجتماع شملها .
 وازدادت عصر المأمون بكثير من حملة الشريعة والادب ومنهم يحيى بن اكيثم وابو محمد اليزيدي والحسن بن زياد وابو داود الطيالسي وابو عبيد القاسم بن سلام وابن الأعرابي والضر بن شميل وابو عمرو الشيباني ومحمد بن عمر الواقدي وابو عبيدة والفراء والاختش والاصمعي والصغاني والضيبي والشافعي وابن سعد وابن داود وابن ابي دؤاد وابن حرب وابن حنبل والجاحظ والقواريري وقتيبة وسعدويه الواسطي وابن الجعد وابن علي الاكبر وابونصر التمار وابومعمر القطيعي وابوالعوام البزاز وابن شجاع وبشر المريسي وبشر بن الوليد وسجادة ومحمد بن نوح وابو هرون بن البكاء والهدي محمد بن الهذيل وابو زكريا المري ومحمد بن مبشر ، الى مئات غيرهم كانوا فخر الدولة وعنوان نبوغ الامة . اما الشعراء والكتاب فكانوا طبقة عالية كثيرة العدد والخصى ، جيدة النحى والأسلوب تغلب الرقة والجزالة على اهل هاتين الصناعتين ، تأثروا كلهم بالحضارة الجديدة حتى غدا الشعر المدني البديع ظاهر الاختلاف عن الشعر الجاهلي ، بعيداً عن وصف الاطلال والدمع والركاب وطلب النار والمفاخرات الفارغة . هذا وكان الجمهور يشارك الادباء في فهم الشعر ، وقدر الخطب والرسائل قدرها ، فلم يكن الشعراء في وادٍ والامة في آخر ، بل كان الشاعر او الكاتب اذا قرض شعراً او حبر خطاباً تنافله الابدي في الحال ، ونماوره الرواة فيفسو في الامصار . وهذا ما كان يزيد في طلالة أدب الاديب ، وشعر الشاعر ، وخطبة الخطيب ويحمله على تجويد مقاله .

أعمال الكبير كبيرة ، والمأمون العظيم باعماله وأقواله لم يخرج عن هذا الحد ، فكان خليفة المسلمين بكل ما في لفظ الخلافة من معنى شريف يجمع مصالح الدين والدنيا . كان رحمه الله يفكر منذ عهد بعيد في خلق القرآن حتى اعتقد ان كل من لم يقل بقوله ضالٌّ ، فوضع هذا المبحث موضع المناقشة بين العلماء فقال السواد الأعظم بقوله ، وأبي بعضهم تورعاً ان يوافقوه على ان القرآن مخلوق ، فطلبهم للبحث وكان في مصيغه في الرقة فكُتِبَ الى عامله في بغداد ان يتحنن القضاة والمحدثين ويكشفهم

عما يعتقدون في خلق الله القرآن وإحداثه ، وقال له « واعلمهم ان امير المؤمنين غير مستعين في عمله ولا واثق فيما قلده الله واستحفظه من امور رعيته بمن لا يوثق بدينه وخلوص توحيده وبقينه » و « انه لا توحيد لمن لم يقر بان القرآن مخلوق » وامر ايضا بان يكتب الى الآفاق بذلك فوافق اكثر المحتجين وهرب افراد وحاولوا التملص . وقد أحدث هذا الرأي ضجة في الامة شأت كل فكر جديد ينقسم فيه الناس بين مثبت وناف . ودل بعض الممنعين عن التصريح بما لا يعتقدونه على الاخذ بالاحتياط في دينهم ، فأوذى بعضهم وما أراد المأمون اذاهم ، وقبض الى ربه وبعض الذين توفقوا عن التصريح بما أريدوا على اليان فيه قيد السجن . وكان من مفاخر هذا الخليفة ايضا تحكم العقل في الشريعة فاتخذ أعداؤه من ذلك سبيلا الى النيل منه وسموا ذلك الحقنة . وفي هذا العصر الزاهر نشأ عمرو بن مسعدة وكان من جملة رجالات السياسة فيه .

اصل عمرو بن مسعدة وحليته ونشأته :

هو عمرو بن مسعدة بن سعد بن صُول بن صُول . وصُول (بضم الصاد) كان رجلاً تركياً وكان ملكاً واخوه فيروز على جرجان وتنجسا بعد التركيبة وتشبه بالفرس وصول كما قال البيروني لقب ملوك دهستان كان يطلق عليهم كما يطلق شاهنشاه وكسرى على ملوك الفرس الساسانية وباسيل وهو قيصر على ملوك الروم وبظليوس على ملوك الامكنسدرية وتبع على ملوك اليمن وخافان على ملوك الترك والخزر والقرغز وحنوته على ملوك الترك الغزية وبغفور على ملوك الصين وبلهرا على من ولي الهند وراجي على من استأثر بقرعة وج والنجاشي على صاحب الحبشة وكابيل على ملوك النوبة ومهراج على ملوك جزائر البحر الشرقي وإضافة يند على ملوك جبال طبرستان ومصمغان على ملوك ديباوند وشار على ملوك غرجستان (غرجستان) وزادويه على ملوك مرخس وبهمنه على ملوك آسا وأبوزرد ونيدون على ملوك كاش وإخشيد على ملوك فرغانة وأفشين على ملوك أشروسنة وندن على ملوك الشاش وماهويه على ملوك مرو وكنباز على ملوك نيسابور وطرخون على ملوك سمرقند والحجاج على ملوك السريز واناheid على ملوك جرجان وقباز على ملوك الصقالبة ونمروذ على ملوك السريانيين وفرعون على ملوك القبط

وشير باميان على ملوك باميان والعز يز على ملوك مصر وكابل شاه على ملوك كابل وترمذ شاه على ملوك الترمذ وخوارزم شاه على ملوك خوارزم وشروان شاه على ملوك شروان وبخار خداه على ملوك بخارا .

ولما وافى يزيد بن المهلب بن ابي صفرة سيفه ولاية سليمان بن عبد الملك بن مروان جرجان أمنهما فأسلم صول على يده وغدا محمد بن صول من رجال الدولة العباسية ودعاتها بعد ذلك . وكان بعض اهلهم ادعوا انهم عرب وان العباس بن الاحنف الشاعر خالم . وكان مسعدة والد عمرو مولى خالد بن عبد الله القسري امير العراق وكان يكتب له . وكتب لخالد بن برمك ثم كتب بعده لابي أيوب وزير المنصور على ديوان الرسائل . وكان لمسعدة أربعة بنين مجاشع ومسعود وعمرو ومحمد . ومجاشع هو الذي يقول فيه ابو العتاهية :

علمت يا مجاشع بن مسعدة ان الشباب والفراغ والجدة

مفسدة للراء اي مفسدة

بدأ عمرو بن مسعدة في خدمة الدولة عاملاً من العمال فظهرت كفايته وبلاغته ، وبالبلاغة توصل الى الخليفة فعدّ احد أفراد قلائل في رجاله ، قال احمد بن يوسف الكاتب : دخلت يوماً على المأمون وبهده كتاب يعاود قراءته تارة بعد أخرى ، وبصعديه ويصوت ، فلما مرت على ذلك مدة من زمانه التفت اليّ وقال ، يا احمد أراك مفكراً فيما تراه مني ، قلت : نعم ، فقال : ان في هذا الكتاب كلاماً نظير ما سمعت الرشيد يقول في البلاغة ، زعم ان البلاغة انما هي التبعاد عن الاطالة ، والنقرب من معني البغية ، والدلالة بالقليل من اللفظ ، على الكثير من المعنى ، وما كنت أنوهم ان احداً بقدر على ذلك . وقال : هذا كتاب عمرو بن مسعدة اليّنا ، ففككته فاذا فيه : « كتابي الى امير المؤمنين ، ومن قبلي من قواده ، ورؤساء أجناده ، في الانقياد والطاعة ، على أحسن ما تكون طاعة جند تأخرت أرزاقهم ، وانقياد كفاة تراخت أعطياتهم ، فاختلت لذلك أحوالهم ، والتأثت معه امورهم » . فلما قرأته قال : ان استحساني إياه بعثني ان امرت للجد قبلكه بأعطياتهم لسبعة اشهر ، وانا على مجازاة الكاتب بما يستحقه من حل محله في صناعته . وفي رواية ان المأمون امر عمرو بن مسعدة برزق ثمانية

اشهر وانه قال لاحد بن يوسف لله در عمرو ما ابلغه ، الا تري الى ادماجه المسألة في الإخبار ، واعفائه سلطانه عن الإكثار .

وكان عمرو بن مسعدة وكنيته ابو الفضل ابيض أحمر الوجه ، وكان المأمون يسميه الرومي لبياض وجهه وكان يخضب وتوفي بأذنة سنة سبع عشرة ومائتين . ولم نعرف منشأه ومولده وأساتذته وغاية ما عرفناه انه كان احد أخوة اربعة احسن ابوم — وكان كاتباً ايضاً — تربيتهم كل الاحسان حتى جاءت من احدهم هذه البلاغة النادرة التي كان من اثرها ان أصبح عشير المأمون ، وكان هو وابو عباد ثابت بن يحيى يكتبان بين يديه ويخلوان معه ويمازحانه . ولكي يصل الرجل الى هذا المقام مع مثل هذا الخليفة العظيم في كل شؤونه يجب ان ينطوي على صفات عالية يعزها مثلها في الأقران والأتراب .

قال عمرو بن مسعدة : كنت أوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي فرغ اليه غلانه ورقة يستبدزنه في روايتهم فرمى بها الي وقال : أجب عنها فكنت : « قليل دائم خير من كثير منقطع » فضرب بيسده على ظهري وقال : اي وزر في جلدك . وقد شهد لعمرو بن مسعدة بالبلاغة أعيان البهسان في عصره ومنهم الفضل بن سهل فقال فيه : انه أبلغ الناس ، ومن بلاغته ان كل احد اذا سمع كلامه ظن انه يكتب مثله فاذا رآه بعد عليه . وهذا كما قيل لاحد البلغاء ما حدث البلاغة فقال : التي اذا سمعها الجاهل ظن انه يقدر على مثلها ، فاذا رآها استصعبت عليه .

ولم يؤثر عن عمرو انه الف في موضوع خاص وأفرد مسألة في التأليف ، وعده ابن النديم في الشعراء الكتاب ولم يذكر الا ان له ولاخيه مجاشع خمسين ورقة من الشعر وهي من الضائع ايضاً . والغالب ان مهام الدولة لم تترك له وقتاً يصرفه في درس خاص ، او وضع كتاب او رسالة : وما تلقطه العلماء والادباء من كلامه ، فهو مما صدر عنه بالمناسبات ، ورواه له المعجبون به ، وما أعظم المفقود منه . والمظنون ان لو كانت جمعت له رسائله على ايجازها لكان منها ديوان كبير ، لان من صرف أعواماً طويلة وهو قابض على براعته يعالج بها الموضوعات السياسية والادارية في ذاك المجتمع العظيم لا شك انه يجتمع له صفحات كثيرة مهما كان مقلداً معروفاً بالايجاز .

وأفادنا ابن عساکر مؤرخ دمشق أن عمرو بن مسعدة زار هذه العاصمة مع المأمون ،
 وأنه من رجال الحديث فأُسند حديثاً عن المأمون في سنده ذكره عن عمرو بن مسعدة
 قال : سمعت المأمون أمير المؤمنين يقول حدثني أبي عن أبيه عن عمه عبد الصمد بن علي
 ابن عبد الله بن عباس عن أبيه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : علقوا السوط حيث يراه أهل البيت فإنه أدب لهم . وفي الأمثال « علق سوطك
 حيث يراه أهلك ، والمعنى اجعل نفسك بحيث يهابك أهلك ولا تغفل عنهم وعن
 تجويفهم وردعهم » .

ولم نعلم نوع الدراسة التي انصرفت إليها عمرو بن مسعدة في صباه حتى بلغت
 به البلاغة ذاك المقام ، بيد أن ظواهر الحال تدل كل الدلالة على أن من كان هذا
 شأنه من الإنشاء في ذاك العصر الزاهي بمن يشار إليهم بالنبان في البيات ،
 يستحيل أن يبلغ هذا المبلغ إلا بآدوات كثيرة ، بل لا يتأتى له ذلك إلا بجمع آدوات
 البيان والشربعة ، يجمعها إلى ما خصت به فطرته من سلامة الطبع وجودة الابداع ،
 وفوق ذلك لا بد له من التخرج بهذه الصناعة أعواماً طويلة . وصحف التاريخ لم
 نعرفنا إلى عمرو بن مسعدة إلا أنه تام الآدوات ، كأف بلاغته مما ارتجل ارتجالاً
 أو وهبته أباه الفطرة عرضاً . وصرف عمرو أيام حياته على ما يظهر بانفاذ امر ولي امره
 وجعل نفسه وقفاً على مهام الخلافة ، فأقبلت عليه الدنيا اقبالاً عظيماً نفعم ولد واغبط
 وقصده القاصدون ، وطابت نفسه باصطناعهم والاحسان إليهم ، وعطف على العفاة
 والقصاد فاستكثر من الأنصار ، وانبسطت نفسه وبده بالمطاء فتعشقت نفوس الناس
 وأهل الدولة ، والخليفة من وراء ذلك يمدد ويطلق يده في المال والنوال . ومن جعل
 وكده في هذه الأعمال يتعذر عليه أن ينقطع إلى نفسه أياماً يصرفها في عمل يخلد به
 ذكره ويعم القاصي والداني والحاضر والمقبل نفعم وذلك لأن هذا العمل مما يستغرق
 العمر ، ولا يبرز فيه إلا من حكموا على أوقاتهم وموتوا بالفراغ ، ولا سبيل إلى أن
 يجمع التطل إلى ذلك بينه وبين شيء آخر من أعمال العالم وما جعل الله لرجل من
 قلبين في جوفه .

واختلفوا في كون عمرو بن مسعدة ولي الوزارة أو لم يتولها فقال ياقوت : سماه

بعض الشعراء وزيراً لعظم منزلته لا لانه كان وزيراً وهو قوله :

لقد اسعد الله الوزير ابن مسعدة وبث له في الناس شكراً ومحمداً

وقال المسعودي : ان المأمون استوزر الفضل بن سهل ثم أخاه الحسن بن سهل فلما اظهر العجز عن الخدمة لعوارض من العلل ولزم منزله ، عدل المأمون الى استكتاب كتاب الحلة بكتابهم وجزاتهم ، وانه ليس في عصرهم من يوازيهم ولا يدانهم فاستوزرهم واحداً بعد واحد اولهم احمد بن ابي خالد ثم احمد بن يوسف ثم ابو عباد ثابت بن يحيى وعمرو بن مسعدة بن صول ، وكان يجري مجراهم ولا بعده كثير من الناس في الوزراء ، قال : ولم يكن يسمي بين يدي المأمون احد من كتابه وزيراً ، ولا يكتب بذلك فلاجل هذا ترك كثير من الناس ان يعد من ذكرنا في الوزراء . ومهما كان فالرغبة التي بلغها عمرو بن مسعدة وزارة وزبادة .

روى البيهقي ان المأمون قال لولده وعنده عمرو بن مسعدة ويحيى بن اكثم : اعتبروا في علو الهمة بين ترون من وزرائي وخاصتي انهم والله ما بلغوا مراتبهم عندي الا بانفسهم ، انه من تبع منكم صغار الامور تبعه التصغير والتحقير وكان قليل ما ينفقد من كبارها اكثر من كثير ما يستدرك من الصغار فترفعوا عن دناءة الهمة ، وفرغوا لجلائل الامور والتدبير واستكفوا النقائص وكونوا مثل كرام السباع التي لا تشتغل بصغار الطير والوحش بل يجلبها وكبارها واعلموا ان اقدامكم ان لم تقدم بكم فان فائدكم لا يقدمكم ولا يغني الولي عنكم شيئاً ما لم تعطوه حقه . وكان اليه ديوان الرسائل وديوان الخاتم والتوقيع والازمة ويندبه الخليفة في مهام السلطنة .

وسواء تقلد ابن مسعدة الوزارة ام لم ينقلدها فان المهمات السياسية التي كان يندب اليها مهمة للغاية تدل على الثقة به ، فقد حكى ابن منصور وكان على يد عبد الله بن طاهر يخبر المأمون ان عبد الله بن طاهر يخرج في كل ليلة من عسكره ويخرج اليه نصر بن شبت فيجتمعان ويتحدثان ، فدعا المأمون بعمر بن مسعدة فأمره ان يظهر علة يحتاج ان يقيم لها في منزله وان يخرج على خمس عشرة دابة من دواب البريد ، ولا يعلم احداً حتى يصير الى عبد الله بن طاهر ويقول له : يا ابن الفاعلة لقد هم امير المؤمنين ان يأمر عبد اسود ثم يوجهه مكانك ومجملك سائلاً له . وامر عمر ان لا يسلم عليه ولا يسمع

له جواباً . فخرج عمرو فلما اجتمع مع عبد الله لم يسلم عليه حتى بلغه الرسالة على رؤوس الناس ثم انصرف ، ولم يسمع منه جواباً . فلما كان يوم الاربعين من مصير عمرو وافي نصر بن شيبث . ونصر هذا كان عصي على المأمون وعبد الله بن طاهر من أجل قواد المأمون .

وذكروا ان المأمون^(١) قال لعمرو بن مسعدة وهو في الرقة : ما زلت تسألني في الرّاحي حتى وليته الأهواز ، فقم في سرّة الدنيا يأكلها خضماً وقضماً ، ولم يوجه اليها بدرهم واحد ، أخرج اليه من ساعتك ، قال عمرو : فقلت في نفسي أبعد الوزارة أصير مستخفاً على عامل خراج ، ولكن لم أجِد بداً من طاعة امير المؤمنين ، فقلت اخرج اليه يا امير المؤمنين فقال : احلف لي انك لا تقم ببغداد الا يوماً واحداً ، خلفت له ، ثم انحدرت الى بغداد في سفينة فلما صرت بين ديرهزقل ودير العاقول اذا رجل يصيح ياملاح رجل منقطع . فأمر بان يركب معه ، وكان من حديثه معه بعد ان ادعى انه حائك فكان حائك كلام ، وأعجز عمرو بن مسعدة بأسئلته ما هو مدون في كتب الادب ، ولما عاد الى الخليفة اخبره خبر الحائك وحديثه حديثه ، فقال له الخليفة فلاني شيء يصلح هذا الرجل فقال هذا أعلم الناس بالمساحة والهندسة فولاه المأمون البناء والمرمة .

شيء من كلامه

ومن كلام عمرو بن مسعدة : أعظم الناس أجراً ، وأنهمم ذكراً ، من لم يرض بموت العدل في دولته ، وظهور الحجّة في سلطانه ، وابصال المنافع الى رعيته في حياته ، وأسعد الرعاة من دامت سعادة الحق في ايامه ، وبعد وفاته وانقراضه . وقال : الخط صور الكتب ترد اليها ارواحها .

(١) في رواية ابن عبد ربه في العقد ان المعتصم هو الذي عهد الى عمرو بن مسعدة وليس ذلك بصحيح لان عمراً مات قبل المأمون وعزّا ابن قتيبة القصة الى الرشيد ولم يعلم من طريق مأمون ان عمراً بلغ الوزارة في ايام الرشيد بل ان المأمون هو الذي رفعه اليها .

وقال عمرو بن مسعدة (او ثابت ابو عباد) لا تستصحب من يكون استمتاعه بمالك وجاهك ، أكثر من امتاعه لك بشكر لسانه وفوائد علمه ، ومن كانت غايته الاحتيال على مالك وإطراءك في وجهك فان هذا لا يكون الا ردي الغيب ، سريعا الى الدم . وكتب الى الحسن بن سهل : اما بعد فانك ممن اذا غرس سقي ، واذا أسس بني ، ليستم تشييد أسسه ، ويحني ثمار غرسه ، وثناؤك عندي قد شارف الدروس ، وغرسك مشفى على الهبوس ، فتدرك بناء ما أسست ، وسقي ما غرست ان شاء الله . وكتب الى بعض أصحابه في شخص يعز عليه : اما بعد فوصل كتابي اليك سالم والسلام . أراد قول الشاعر :

بديروني عن سالم واديرهم وجلدة بين العين والانف سالم
اي يحل مني هذا الحل .

وكتب الى المأمون في رجل من بني ضبة يستشفع له بالزيادة في منزله وجعل كتابه تعريضا : « اما بعد فقد استشفع بي فلان يا امير المؤمنين لتطولك علي » ، في الحافه بنظرائه من الخاصة فيما يرثقون به ، وأعلمته ان امير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين ، وفي ابتدائه بذلك تعدي طاعته والسلام » فكتب اليه المأمون قد عرفنا توطنك له وتعريضك لنفسك وأجبتك اليها ووافقتك عليها . وقوله : « ان امير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين وفي ابتدائه بذلك تعدي طاعته » من الكلام السري الذي يدل على مبلغ أدب عمرو وبعد غوره في السياسة ووقوفه على روح عصره ونفسية الخلفاء .

قدم رجل من أبناء دهاقين ^(١) قريش على المأمون لعدة سلفت منه ، فطال على الرجل انتظار خروج امر المأمون ، فقال لعمرو بن مسعدة : أوصل مني رقعة الى امير المؤمنين تكون انت الذي تكتبها تكن لك علي نعمتان . فكتب : « انت رأي امير المؤمنين ان يفك أمر عبده من ربة المطل بقضاء حاجته ، او يأذن له بالانصراف الى بلده فعل ان شاء الله » فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمرأ فجعل يعجب من حسن

(١) الدهاقين الزعماء ارباب الاملاك بالسواد واحدهم دهقان بكسر الدال معرب .

لفظها ، وإيجاز المراد . فقال عمرو : فما تتيبها يا امير المؤمنين . قال : الكتاب له في هذا الوقت بما وعدناه ، لثلاثاً بئاً خرفضل استحسننا كلامه ، وبجائزة مائة الف درهم ، صلة عن دناءة المظل ، وسماجة الاغفال اه . وهذا مما يدل على سعة عقل المؤمن وولوعه بالبلاغة وتقديره اهلها حق قدرهم ، دع ما هنالك من نفس ما أحببت الالجود والعطاء . ومن حكم عمرو بن مسعدة : العبودية عبودية الاخلاء ، لا عبودية الرق .

الود أعطف من الرحم . ان الكريم ليرعى من المعرفة ما رعى الوصل من القرابة . عليكم بالاخوان فانهم زينة في الرخاء ، وعُدّة للبلاء . مَثَلُ الاخوان مثل النار ، قليها متاع وكثيرها بوار . النفس بالصديق ، آنس منها بالعشيق ، وغزل المودة ، أرق من غزل الصباية . من حقوق المودة ، عفو الاخوان ، والاغضاء عن تقصير ان كان . ذكر رجل رجلاً فقال حسبك انه خالق كما تشتهي اخوانه . المودة قرابة مسفداة . ما تواصل اثنان فدام تواصلها ، الا لفضلها او فضل احدهما . أسرع الاشياء انقطاعاً مودة الأشرار . المحروم من حرم صالحى الأخوان . لقاء الخليل ، شفاء الغليل . قلة الزيارة ، أمان من الملالة . اخوان السوء كشجر النار يحرق بعضه بعضاً . علامة الصديق اذا أراد القطيعة ان يؤخر الجواب ، ولا يبتدي بالكتاب . لا يفسدك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له . من لم يقدم الامتحان قبل الثقة ، والثقة قبل الانس ، أثمرت مودته ندماً . اذا قدمت الحرمة ، تشبهت بالقرابة . العتاب حياصة المودة . ظاهر العتاب ، خير من باطن الحقد . ما أكثر من يعاتب لطلب علة . وبقى الود ما بقي العتاب . كمون الحقد - في الفؤاد ككمون النار في الزناد . القريب بعيد بعداوته ، والبعيد قريب بمودته . لا تأمن عدوك وان كان مقهوراً ، واحذرته وان كان مفقوداً ، فان حد السيف فيه وان كان منعموداً . لا تنعرض لعدوك في دولته فانها اذا زالت كفتك مؤونته . نصيح الصديق تأديب ، ونصح العدو تأنيب .

روى البيهقي قال : أخبرنا بعض أصحابنا قال : شهدت المؤمن يوماً وقد خرج من باب البستان ببغداد فصاح به رجل بصري : يا امير المؤمنين اني تزوجت بامرأة من آل زياد وان ابا الرازي فرتق بيننا وقال هي امرأة من قريش قال : فأمر عمرو ابن مسعدة فكتب الى ابي الرازي : انه قد بلغ امير المؤمنين ما كانت من الزيادة

وخلمك إياها اذ كانت من قریش ففتى تحاكت اليك العرب لا أم لك في أنسابها ،
ومنى وكتلتك قریش يا ابن النخاء^(١) بان أُلصق بها من ليس منها ، نخل بين الرجل
وامراته . فلئن كان زياد من قریش انه لا ابن سُمَيَّة بغي عاهرة لا يفخر بقرابتها
ولا يتناول بولادتها ، ولئن كان ابن عُبَيْد لقد باء بامر عظيم اذ ادعى الى غير ابيه
لحظة نجله ومُلك قهره اه .

وامر المأمون عمرو بن مسعدة ان يكتب لرجل به عناية الى بعض العمال في
قضاء حقه وان يختصر كتابه ما امكنه ، حتى يكون ما يكتب به في سطر واحد
لا زيادة عليه فكتب عمرو : كتابي كتاب واثق بمن كتبت اليه ، معني بمن كتب
له ، وان يضع بين الثقة والعناية حامله .

وكتب الى بعض الرؤساء وقد تزوجت أمه فسأه ذلك ، فلما قرأها ذلك الرئيس
تسلي بها ، وذهب عنه ما كان يجده ، وقيل ان هذه الرسالة من إنشاء ابن العميد وهي :
الحمد لله الذي كشف عنا ستر الحيرة ، وهدانا لستر العورة ، وجدع بما شرع من
الحلال انف الغيرة ، ومنع من عضل الامهات ، كما منع من وأد البنات ، استزالا
للنفوس الأبية ، عن الحمية حمية الجاهلية ، ثم عرَّض الجزيل الاجر ، من استسلم لواقع
قضائه ، وعوَّض جليل الذخر من صبر على نازل بلائه ، وهناك الذي شرح للنقوى
صدرك ، ووسع في البلوى صبرك ، والهمك من التسليم لمشيئته ، والرضا بقضيته ،
ما وفقك له من قضاء الواجب في احد ابويك ، ومن عظم حقه عليك ، وجعل الله
تعالى جده ما تفرغته من أنف ، وكظمته من أسف ، معدوداً فيما يعظم به اجره ،
ويجزل عليه ذخره ، وقرن بالحاضر من امتعاضك بفعلمها ، المنشطر من ارتماضك بدفنها ،
فتستوفي بها المصيبة ، وتستكمل عنها المثوبة ، فوصل الله لسيدي ما استشرعه من الصبر
على عرسها ، بما يكتسبه من الصبر على نفسها ، وعوضه من امرة فرشها ، أعواد نعشها ،
وجعل تعالى جده ما ينعم به عليه بعدها من نعمة ، معرى من نقمة ، وما يوليه بعد
قبضها من منحة ، مبرأ من محنة ، فأحكام الله تعالى جده ونقدست اسمائه ، جارية على

(١) الأَخْذَاءُ الأَمة المُنْتَنة المَغَانِبُ .

غير مراد الخلقين ، لكنه تعالى يختار لعباده المؤمنين ما هو خير لهم في العاجلة ، وأبقى لهم في الآجلة ، اختار الله لك في قبضها اليه ، وقدمها عليه ، ما هو أنفع لها ، وأولى بها ، وجعل القبر كفواً لها والسلام .

أقول وهذه رسالة أشبه بكلام ابن العميد للتوازن والترصيع والمزاوجة الظاهرة في إسجاعها ، ثم للطول الذي لم يكذب يؤثر في شيء مما انتهى إلينا من كلام عمرو بن مسعدة ، وكلامه بالإيجاز أشبه بالتوقيعات . وهناك قرينة أخرى وإن كانت ضعيفة جداً وهي أن عمرو بن مسعدة لما سأله حائك الكلام في السفينة وهو قاصد إلى الأهواز كما مر بنا قبل هذا عن طبقات الكتاب وقال له أنا كاتب رسائل قال الحائك لعمرو : « فصدى لك نكاته في المحبوب والمكروه تزوجت أمه كيف نكتب اليه تهنيئه أو تعزیه . قال عمرو : هو والله إلى الذمزية أقرب قال : كيف تعزیه قلت : لا جدد إلى ذلك سبباً . إلى أن عاد ذلك الحائك وأجاب عن طبقات الكتاب طبقة طبقة ثم قال في حل الاشكال : « أما الرجل الذي تزوجت أمه فتكتب اليه أن الأقدار تجري بخلاف محاب الخلقين ، وستر في عافية خير من شائنة في أهلها ، والله يختار للعباد ، فخار الله لك في قبضها اليه ، فإن القبور أكرم لها والسلام » . وبهذا رأينا أن الذي أجاب في هذه المسألة هو الحائك لا سيد الكتاب عمرو بن مسعدة الذي فحذته التجارب وراجت بضاعته بهذا الضرب من الكتابة فقد قال عن نفسه أنه كتب إلى عامل دسنة جي كتاباً أطلاله فأخذه المأمون بيده وكتب « قد كثرت شاكوك فأما عدلت ، وإما اعتزلت » .

ولا أرى أن نمر بهذا الإيجاز بل الإعجاز دون أن نعرض له بشيء يبقى على ذكر منا . فالإيجاز في اصطلاح علماء البيان هو اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل . وقال ابن الأثير هو حذف زيادات الألفاظ ، وهذا نوع من الكلام شريف لا يتعلق به الأفرسان البلاغة من سبق إلى غايتها وما صلى ، وضرب في أعلى درجاتها بالقدح المعلي ، وذلك لعلو مكانه ، وتعذر إمكانه ، والنظر فيه هو إلى المعاني لا إلى الألفاظ ، فرب لفظ قليل يدل على معنى كثير ، ورب لفظ كثير يدل على معنى قليل ، ومثال ذلك الجوهرة الواحدة بالنسبة إلى الدراهم الكثيرة فمن ينظر إلى طول الانفاط

يؤثر الدرام لكثرتها ، ومن ينظر الى شرف المعاني يؤثر الجوهره الواحدة لنفاسيتها .
والبلاغة كما قال ارسطاطاليس ان تجعل في المعنى الكثير كلاماً قليلاً ، وفي القليل
كلاماً كثيراً . وهذه البلاغة الموجزة يلبسها المرء في كلام هذا الفنان الفتان الذي قن
نظراءه بفنه ، ولسان حال ما يقوله المناطقة العبرة بالكيفية لا بالكمية .

لا نجد في الفاظ عمرو شيئاً من الوحشي ولا السوقي ، فالفاظه مخنارة مخولة ،
ترضيها وتنفهمها عامة طبقات القارئ والسماعين . اما تركيبه ونسجه ، وهناسر فصاحته ،
فهو أيسر تركيب يجري مع الطبع ، كأنه في ايراده يتكلم كلامه المعتاد معرباً ويسطره
في الورق . نعم وهناك صعوبة تحدية في جوامع كلمه . الاحجار الكريمة والمعادن الثمينة
قد انتقل في الايدي وبسبب بها ناظروها ، ويفاخر بها مالكوها ، ولكن متى وصلت الى
ايدي الصائغ الحاذق والجهنذ النقاد ، تزيد بها ورؤاء ، وتنجلي فيها يد الصناع وفكر
الفنان . فالسبك الحسن في كلام عمرو هو الذي نفرد فيه ، ولما رأى انه أبدع فيه زاد
في تجويده وطال مرانه عليه ، لانقطاعه معظم حياته الى الخدمة ، والسياسي من جملة
خصائصه ان يوجز ويجمع احياناً ويعرض لئلا يؤخذ باقراره وتؤول له عباراته ،
فكان في ذلك اكبر عون لعمرو على النبوغ في هذه الطريقة طريقة ابن المقفع وسهل
ابن هرون واضراهما .

قلنا أمثلة قليلة من نثر عمرو بن مسعدة اما شعره فقليل جداً . ذكر المترجمون
له انه كان له فرس أدهم أغر ، لم يكن لأحد مثله فراهةً وحسنًا ، فبلغ المأمون خبره
وبلغ عمرو بن مسعدة ذلك ، فخاف ان يأمر بقوده اليه فلا يكون له فيه محمدة ، فوجه
به اليه هدية وكتب معه :

يا اماماً لا يدا	نيه اذا عدا امام
فضل الناس كما يف	ضل نقصاناً تمام
قد بعثنا بجواد	مثله ليس يرام
فرس يزهي به لل	حسن سرج ولجام
دونه الخيل كما مش	لك في الفضل الانام
وجهه صبح ولكن	سائر الجسم ظلام

والذي يصلح للمو لي على العبد حرام

وعمره هو القائل :

ومستعذب للهجر والوصل اعذب أكلته حبي فينأى وأقرب
إذا جدت مني بالرضا جاد بالخفا وبزعم اني مذنب وهو أذنب
تعلت الوان الرضا خوف هجره وعلمه حبي له كيف بغضب
ولي غير وجه قد عرفت طريقه ولكن بلا قلب الى اين أذهب
قالوا وهذان البيتان الاخيران مننازعان . على ان محمد بن عمرو بن مسعدة ذكر
ان اياه لم يقل من الشعر شيئاً الا بيتاً واحداً فوقع في ظهر رقعة لرجل :
اعزز عليّ بأمر انت طالبه لم يمكن النجح فيه وانقضى أمده

محاسنه للشعراء والادباء والعلماء

ثبت ان عمرو بن مسعدة كان يعطف على الشعراء ويرتاح الى الشعر والادب
كل الارتياح ، وذكروا ان شقيقه مجاشع بن مسعدة كان صديقاً لابي العتاهية الشاعر
يقوم بجوائحه كلها ، ويخلص مودته ، فمات ، وعرضت لابي العتاهية حاجة الى اخيه
عمرو بن مسعدة فتباطأ فيها فكتب اليه ابو العتاهية :

غَنَيْتَ عَنِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ غَنِينَا وَضَيْعَتِ وَدّاً بَيْنَنَا وَآسِنَا
وَمِنْ عَجَبِ الْإِيَّامِ أَنْ مَاتَ مَا نُنِي وَمَنْ كُنْتَ تَغْشَانِي بِهِ وَبَقِينَا

فقال عمرو : استطال ابو اسحق اعمارنا وتوعدنا ، ما بعد هذا خير ، ثم
قضى حاجته .

ومرَّ عمرو بن مسعدة مرة بابي العتاهية وهو جالس على الطريق ، فوقف عليه
يسأل عن حاله ، فما قام اليه ورفع اليه رأسه وهو يقول :

أَقْعِدْنِي الْيَأْسَ مِنْكَ أَرْفَعُ رَأْسِي إِلَيْكَ مِنْ كَسَلِي

وعرفنا من هذا ان ابا العتاهية كان يدلُّ على عمرو بن مسعدة وكلاهما كان
يعرف لصاحبه قدره .

وهجا شقيقه مجاشع حمادَ عجرد وهو صبي حينئذ فشبب حماد بأمه فبلغ الشعر عمرو

ابن مسعدة فبعث الى حماد بصلة ، وسأله الصفيح عن اخيه ، ونال اخاه بكل مكروه ،
وقال له : ثكلتك أمك ألتعرض لحما ، وهو بثاقف ^(١) بشاراً ويقاومه ، والله
لو قاومته لما كان لك في ذلك نحر ، ولئن تعرضت له لينهكنك وسائر اهلك ليفضحك
فضيحة لا ينسلها ابداً عنا .

لما أعيت الحسين بن الضحاك الحيلة في رضا المأمون عنه رمى بامرء الى عمرو بن
مسعدة وكتب اليه :

انت طودي من بين هذي الهضاب	وشهائي من دون كل شهاب
انت يا عمرو قوتي وحياتي	ولساني وانت ظفري ونائي
أُراني أنسى اباديك الي	ض اذا اسود نائل الاصحاب
ابن عطف الكرام في مأقط ^(٢) الحما	جة يحموت حوزة الآداب
ابن اخلافك الرضية حالت	في ام ابن رقة الصكتاب
انا في ذمة السحاب وأظا	ان هذا لوصمة في السحاب
قم الى سيد البرية عني	قومة تستجر حسن خطاب
فلعل الآله يطفئ عني	بك ناراً علي ذات التهاب

قال : فلم يزل عمرو يلطف للمأمون حتى اوصله اليه ، وادرك رزقه .

وفي عمرو بن مسعدة يقول ابو محمد عبد الله بن ايوب التيمي :

أعني على بارق ناضب	خفي كوحيك بالحاجب
كأن تألقه في السما	يدا كاتب او بدا حاسب
فروتي منازل تذكارها	يهيج من شوقك الغالب
غريب يحن لأوطانه	وبكي على عصره الذاهب
كفأك ابو الفضل عمرو والندي	مطالعة الامل الصكاذب
وصدق الرجاء وحسن الوفاء	لعمرو بن مسعدة الكاتب
عريض الفناء طويل البناء	في العز والشرف الثاقب

(١) بثاقف يخاصم . (٢) المأقط موضع القتال .

هو المرتجى لصروف الزما ن ومعتصم الراغب الراهب
جواد بما ملكت كفه على الضيف والجار والصاحب
بأدم الركاب ووشي الثيا ب والطرّف والطفلة الكاعب
نؤمله لجسام الامو ر ونرجوه للجلل الكارب
وختمها بقوله :

كسبت الثناء وكسب الثنا ء افضل مكسبة الكاسب
بقينك يجلو ستور الدجى وظنك يخبر بالغائب

وأنشد محمد بن داود بن الجراح لمحمد البهدي النصيبي وقيل لمسلم بن الوليد
في عمرو بن مسعدة وقد اشتكى :

قالوا ابو الفضل معتل فقلت لهم نفسي الفداء له من كل محذور
يا ليت علته بي ثم انت له اجر العليل واني غير مأجور

وكان بين عمرو بن مسعدة وابراهيم بن العباس الصولي مودة وقراية فحصل لابراهيم
ضائقة بسبب البطالة في بعض الاوقات فبعث له عمرو مالا فكتب اليه ابراهيم :

سأشكر عمرآ ما تراخت منيني ابادي لم تمنن وان هي جلت
فتي غير محجوب الفنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها فكأنت قذى عينيه حتى تجلت
وذكر درعبل الشاعر ان عمرو بن مسعدة كان يقوم بامر عمرو بن ابي بكر يعني
المؤملي قاضي دمشق وكان محمد بن داود يحمل عليه فقال :

لشتان بين المسدعين وزارة وبين الوزير الحق عمرو بن مسعدة
فهمهم في الناس انت يجهوهم وهم ابي الفضل اصطناع ومحمد
فأسكن رب الناس عمرآ جنانه وأسكنهم دارآ من النار موصدة

قال حميد بن بلال : ولي عمرو بن مسعدة فارس وكرمان فقال له بعض اصحابه :
ايها الامير لو كان الحياء يظهر سؤالا ، لدعاك حيائي من كرمك ومن جميع اهلك الى
الاقبال علي بما يكثر به حسد عدوي ، دون ان اسألك . فقال عمرو لا تبغ ذلك

بابتذالك ماء وجهك ، ونحن نفنيك عن إراقتك في خوض السؤال ، فارفع ما تريد
في رقعة يصل اليك سرّاً . ففعل .

ولقد جرى ذكر عمرو بن مسعدة في رسالة الحَيَيدة وفيها وصف ما جرى من
المنظرة بين عبد العزيز بن يحيى المكي وبين بشر بن غياث الرئيسي بحضرة امير المؤمنين
المأمون في مسألة خلق القرآن جاء فيها كلام لعمرو بن مسعدة . ومنه ما قاله عبد العزيز :
فلما كان يوم الاثنين صليت الغداة في مسجد ذي الذي كان على باب منزلي فلما فرغت من
الصلاة اذا بمخليفة عمرو بن مسعدة قد جاءني ومعه جمع من الفرسان والرجالة فحملني
مكرماً على دابته حتى صار الى باب امير المؤمنين فأوقفني حتى جاء عمرو بن مسعدة
فدخل مجلس في حجرته التي كان يجلس فيها ثم أذن لي بالدخول عليه فدخلت فلما صرت
بين يديه أجلسني ثم قال لي : انت مقيم على ما كنت عليه او قد رجعت عنه فقلت :
بل مقيم على ما كنت وقد ازددت بتوفيق الله تعالى اياي بصيرة في امري فقال لي
عمرو بن مسعدة : ايها الرجل قد سمعت نفسك على امر عظيم ، وبلغت الغاية في
مكروهاها ، وتعرضت لما لا اقوام لك به في مخالفة امير المؤمنين ، وادعيت بما لا يثبت
لك به حجة على مخالفتك ، ولا لاحد غيرك ، وليس وراءك بعد الحجية عليك الا السيف ،
فانظر لنفسك وبادر امرك ، قبل ان تقع المناظرة وتظهر عليك الحجية ، فلا تنفعك
الندامة ولا يقبل منك معذرة ولا نقال لك عثرة ، فقد رحمتك واشفقت عليك مما هو
نازل بك ، وانا أسئلك امير المؤمنين وأسأله الصفع عن جرمك ، وعظيم ما كان منك
اذا اظهرت الرجوع عنه والندم على ما كان ، وآخذ لك الامان منه والجائزة ، فان
كانت لك ظلامة ازليها عليك وان كانت لك حاجة قضيتها لك ، فانما جلست رحمة
لك مما هو نازل بك بعد ساعة ان أقمت على ما انت عليه ورجوت ان يخلصك الله تعالى
على يدي من عظيم ما أوقعت نفسك فيه .

عظمة أخلافه

روى ابن نافيا في كتاب ملح المألحة قال : دخل الحسن بن سهل على المأمون
فقال له : كيف علك بالمرودة قال : ما أعلم ما يريد امير المؤمنين فأجيبه . قال :

عليك بمرو بن مسعدة قال : فوافيت عمرًا وفي داره صناع وهو جالس على آجرة ينظر إليهم فقلت : ان امير المؤمنين يأمرك ان تعلمني المروءة . فسدنا بآجرة فأجلستني عليها وتحدثنا مليًا وقد امتلأت غيظًا من نقصيره بي ثم قال : يا غلام عندك شيء ؟ يوكل قال : فقدم طبقًا لطيفًا عليه رغيفان وثلاث سكرجات^(١) في احدها خل وفي الاخرى مري^(٢) وفي الاخرى ملح فأكلنا وجاء الفراش فوضأنا ثم قال : اذا شئت فنهضت محفظًا ولم أودعه فقال لي : ان رأيت ان تعود اليّ في يوم مثله . فلم اذكر للمؤمن شيئًا مما جرى . فلما كان في اليوم الذي وعدني لقياه سرت اليه فاستوثق لي عليه فتلقاني على باب الدار فعانقني ، وقبل بين عيني ، وقدمني أمامه ، ومشى خلفي ، حتى أفعدي في الدست^(٣) وجلس بين يدي ، وقد فرشت الدار وزينت بانواع الزينة واقبل يحديثي وينتادر^(٤) معي الى ان حضر وقت الطعام ، فأمر فقدمت أطباق الفاكهة فأعبنا منها ونصبت الموائد فقدم عليها انواع الاطعمة من حارها وقارها وحلوها وحامضها ثم قال : اي الشراب أعجب اليك فافترحت عليه . وحضر الوصائف للخدمة ، فلما أردت الانصراف حمل معي جميع ما أحضر من ذهب ونفضة وفرش وكسوة وقدمت الى البساط فرس به ركب ثقيل فركبته ، وأمر من يحضرته من العلمان الروم والوصائف حتى سعوا بين يدي وقال : عليك بهم فهم لك ثم قال : اذا زارك اخوك فلا ننكف له واقتصر على ما يحضرك واذا دعوته فاحنفل واحتشد ولا تدعن ممكنًا ، كفعلنا بك عند زيارتك إيانا وفعلنا يوم دعوناك .

وما الحسن بن سهل الذي يُعلم المروءة وهو الوزير العظيم العاقل العالم الذي كان مثال المروءة زوج ابنته بوران من المؤمنين فعمل « من الولايم الافراح مالم يمهده مثله في عصر من الأعصار وكان ذلك بقم الصلح وانتهى امره الى ان نثر على الهاشميين والقواد والكتاب والوجوه بنادق مسك فيها رقايع باسماء ضياع واسماء جوارٍ وصفات دواب وغير ذلك فكانت البندقية اذا وقعت في يد الرجل فتحها فيقرأ ما في الرقعة فاذا علم ما فيها مضى الى

(١) السكرجة قصاع يوكل فيها صفار . (٢) المُرِّي رب ملح ونقول له سلامورة . (٣) الدست صدر البيت . (٤) تبادر علينا حدثنا بالنواتر .

الوكيل المرصد لذلك فيدفعها اليه ويتسلم ما فيها سواء كان ضيعة او ملكاً آخر او فرساً او جارية او مملوكاً ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدرهم ونواذج المسك وببض العنبر» وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين الف الف درهم . لا جرم ان في امر المأمون عمه بالذماب الى عمرو بن مسعدة يتعلم منه المروءة ما يشعر بمنزلة عمرو من الخليفة وانه عظيم في أخلاقه ويعرف كيف يربي الناس عليها .

قال ابراهيم بن الحسن بن سهل كننا في مجلس المأمون وعمرو بن مسعدة يقرأ عليه الرقاع فجاءته عطسة ، فلوى عنقه فردها ، فرآه المأمون فقال : يا عمرو لا تفعل فان رد العطسة وتحويل الوجه بها يورثان انقطاعاً في العنق . فقال بعض ولد المهدي ما أحسنها من مولى لعبد ، وامام لرعيته ، فقال المأمون وما في ذلك ؟ هذا هشام اضطربت عمامته فأهوى الأبرش الكبي الى إصلاحها ، فقال هشام انا لا اتخذ الاخوان خولاً فالذي قال هشام أحسن مما قلته . فقال عمرو : يا امير المؤمنين ان هشاماً يتكلف ما طبع عليه ، فما تعدل^(١) به ، ليس له قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قيامك بحق الله وانك والملك كما قال النابغة الذهبي :
الم تر ان الله أعطاك سورة^(٢) يرى كل ملك دونها يتذبذب
لأنك شمس والملك كوكب اذا طلعت لم يبد منها كوكب

ثروته ونعمته

ظهر ان عمرو بن مسعدة كان ذا نعمة وافرة وثروة طائلة ، على كثرة ما بذل من العطاء للعلماء والشعراء ، والاحسان على فاصديه ومن انتهى اليه ، ومت اليه بسبب من الاسباب . وقد كان له قصور في دار السلام وله ساباط يعرف به يقال له ساباط^(٣) عمرو بن مسعدة وهو فوق الجسر ومن منازله منزل بمحضرة طاق الحرافى ابراهيم بن ذكوان . جمع كل هذا من مال دولة خدمها بالاخلاص والعقل وربما كان فيها مأخذ

(١) يقال ما يعدل لك عندي شيء اي ما يشبهك . (٢) السورة الشرف والفضل والرفعة . (٣) الساباط سقيفة بين دارين او جدارين والطاق عقد البناء حيث كان والجمع أطواق وطبقات .

من غير حله ان صح ما روي ان المأمون وقّع في قصة منظم من عمرو بن مسعدة :
« يا عمرو عتر نعمتك بالعدل فان الجور يهدمها » ولما مات عمرو رُفِعَ الى المأمون
انه خلف ثمانين الف الف درهم . فوقع على الرقعة « هذا قليل لمن انصل بنا ، وطالت
خدمته لنا ، فبارك الله لولده فيه » . اي اب عمرأ خلف ثمانية ملايين دينار واذا
جعلت نسبة بين قيمتها منذ نصف واحد عشر قرناً وقيمتها اليوم لا يبعد ان يكون
ماخلفه نحو اربعة وعشرين مليوناً من الجنيهات . وروى المسعودي انهم عرضوا لمال
عمرو ولم يعرض لمال وزير قبله والرواية الاولى أصح وهي عن الصولي ابن عم عمرو
ابن مسعدة . والمسعودي يقصد بقوله هذا الخط من قدر المأمون لعداوة مذهبية كأن
المأمون كان يخاف عمرأ في حياته فيغضي عنه وأراد الانتقام منه بعد مماته بان
يصادر اولاد احد رجاله بعده .

خلف عمرو هذه الثروة من مال الدولة التي أخلاص لها الخدمة في سره وجهره
بعد ذاك البذخ والرفاهية في زمن كانت الخلافة العباسية الكل في الكل ، وفي أيام
خليفة يعرف أقدار الرجال ويرى انه يقل في اصطناعهم كل بر ومكرمة ، وكان
يعتمد على عقلهم وإخلاصهم في تدبير ملكه ، وللعقل قيمة عظيمة دونها كنوز الارض
وركازها في نظر المأمون . ولقائل ان يقول ومن اين لفرد ان يجمع مثل هذه الثروة
العظيمة وهو مقيد بخدمة الدولة ، لا يعمل فيما يجهد له الناس في الجمع ليكون عضاً
مال حسن القومة عليه . فالجواب ان الخلفاء كانوا يُطْرَعُونَ رجال دولتهم الولايات
العظيمة وربما نزلوا لهم عن خراجها السنة او السنين . ويهبونهم من ضروب العطايا
من ناطق وصامت وعقار ومتاع ما يتأثلون به ويرتاشون . والدولة التي قدرت مساحة
ممالكها بنحو مساحة قارة اوربا اليوم وضمت جميع الاقطار العامرة في آسيا وافريقية —
اذا جمعت جميع دخلها لا تحتاج اليه ، ونقف الحركة الاقتصادية في البلاد لا محالة ،
فترى من الحكمة ان ننقل الثروة في الابدني . وما كانت الدولة في الحقيقة تحتاج
يومئذ الى نفقات كبيرة لا طعام الجيوش وإعداد الاساطيل وتجهيزها بالمدمرات
والمهلكات شأن دول اليوم ، والحروب المدمرة في هذه الحضارة الحديثة لم تُعرف في
عصر العباسيين . وليس غير الحروب تستنزف الاموال وتذهب بارواح الرجال .

ولقائل من تشبع بروح الديمقراطية في هذا العصر وهل هذا هو المعقول في قيام الملك من الإفراس في الإفضال على أفراد يسوّغون جباية قطر أو أقطار صبرة واحدة وهي تجمع بالدائق والدرهم . وهل يمثل هذا نصح الخلفاء الأول أو أرباب الدول الغربية اليوم . فالجواب ان طبيعة القرن الثاني والثالث غير طبيعة القرن الاول وهذان القرنان الاخيران لا يشبهان بحال قرون البشر منذ عشرة قرون خصوصاً اذا وضعنا موضع النظرايضاً اتساع رقعة الملك، وعمران العراق وحده دع غيره من الاقطار، فان كل هذا أعظم حامل على البذل . ولهذا كان للخلفاء في هذا العطاء بعض مبرر لاعالمهم ، وان كان لا مبرر من إسراف ، لكن حالة العمران اقتضت ذلك في الدهر السالف . وكان الاولى ان يعمدوا الى القصد في الأخذ والقصد في العطاء ، ويقموا بما يفضل المصانع والمعالم في أرجاء المملكة والمنصف يقول ان هذا النظام البديع في تنظيم الموازنات هو وليد العصور الجديدة . وهذا التقدير وهذا التقدير حتى في التافه والقطمير هما من خلق دول الغرب . وكان ذلك على حالة ابتدائية في عصر الامويين والعباسيين ولم تكن أسباب الحياة تشعبت هذا الشعب . ولا الاوضاع هذه الاوضاع ولا الابداع في النظم هذا الابداع .

هذا أقصى ما أبقت له الايام من أخبار هذا الوزير العربي النابغة بدهائه السياسي وبلاغته ، ومن الأسف فقد ما فاضت به قريحته البراقة التي عرفت بالبلاغ المتمتع وعرفنا من سيرته ما أطلنا به من نافذة ضيقة على ما خُصت به نفسه وانطوى عليه من الصفات السامية التي كانت بها عظمته . وربما لم يخل عصره من بلغاء أمثاله لو فتح لهم الطريق لاغنوا غناؤه ولكن الطبائع تختلف وهذه الرفقة في السياسة يصعب ان يبرز فيها كل انسان فهو كما كتب الحسن بن سهل الى محمد بن سماعة القاضي وقد احتاج الى رجل بولييه بعض الاعمال فقال انه يريد رجلاً جامعاً لخصال الخير ذا عفة ونزاهة طيبة^(١) . قد هذبته الآداب . وأحكمت التجارب . ليس بظنين في رأيه . ولا بطعون

(١) في الاساس : ومن المجاز فلان طيب الطعمة وخبيث الطعمة بالكسر وهي

الجهة التي منها يرتق بوزن الحرفة .

في حسبه . ان اؤمن على الأسرار قام بها وان قلدها من الامور اجزاً^(١) فيه .
 له سن مع أدب ولسان . تقعه الزانة ويسكت به الحلم . قد قرأ^(٢) عن ذكائه وقطنة .
 وعرض على قارحة^(٣) من الكمال . تكفيه المحظرة . وترشده السكتة . قد أبهر
 خدمة الملوك وأحكمها . وقام في امور محمد فيها . له أناة الوزراء . وضوالة الامراء .
 وتواضع العلماء . وقهم الفقهاء . وجواب الحكماء . لا يبيع نصيب يومه بجرمان غده .
 يكاد يسترق قلوب الرجال بحلاوة لسانه . وحسن بيانه . دلائل الفضل عليه لائحة .
 وأمارات العلم له شاهدة . مضطجاً بما استنهض . مستقلاً بما حمل اه .
 ومثل هذه الصفات هي صفة روين مسعدة . وأنعم به وبنيده وسقياً ورعيماً
 لعصر أخرج عظماء يحق لنا التمجيد بهم مهما به مد عهدنا بهم .



(١) اجزأني كذا : كفاني وهذا مجزئ . (٢) اي جرتب واختبر فيها واصله
 من فرة الدابة كشف عن اسنانها لينظر ما سنها . (٣) قوله وعرض على قارحة الخ
 كناية عن بلوغه درجة الكمال .

مناقشة لغوية

عثر رصيفنا الفاضل الاب انتاس الكرملي في (عثرات الأفلام) التي ينشرها
المجمع العلمي - على ثلاثة مواضع جسمها محلاً للنقد والمؤاخذة فذكرها في مجلته
(لغة العرب) (جزء ٧ ص ٤) وعلق عليها تخطئةً ونقداً . وقد رأينا ان ننهيها
الى مجنتنا فيها :

(١) قلنا في عثرات الأفلام ان قولهم (طاف جسده على وجه الماء) صوابه
(طفا جسده) فرد الاب هذا وعاقب عليه كلاماً ذكر فيه (ان طاف مقلوب طفا)
بمعنى يجوز استعمال كل منهما مكان الآخر . ولا نظن هذا صحيحاً لوجوه : الاول
ان جمهور اللغويين قالوا (طفا الشيء فوق الماء اذا علا عليه ولم يرسب) وقالوا (طاف
جول الشيء وبالشئ اذا دار حوله . (الوجه الثاني) ان القلب في مثل هذا مما عي كما نص
عليه الرضي في شرح الشافية . ولم نظفر بنقل عن اللغويين بصرح بان (طاف مقلوب
طفا) . (الوجه الثالث) على فرض صحة ان (طاف مقلوب طفا) لا يلزم منه ان يصح
حوله محله في كل استعمال . نعم ورد الجواز في مثل (عاث) مقلوب (عثا) و (راء)
مقلوب (رأى) و (ناء) مقلوب (نأى) اما في (طاف) على فرض انه مقلوب (طفا)
فقد خصوا الاول بالانقال من مكان الى آخر او الاستدارة حول الشيء ويقال في
ضده ثبت وسدك ولزم مكانه كما خصوا الثاني وهو (طفا) بالجسم الذي يعلو وجه الماء
سواء انتقل او لم ينتقل وضده رسب . ومثل (طاف وطفا) في تحالف الاستعمال قولهم :
(غام وغمى) خصوا الاول بغطية السماء بالسحاب . والثاني بغطية سقف البيت
بالطين والخشب .

(٢) قلنا في (عثرات الأفلام) في تخطئة من يقول (الاركان على النفس علامة
النجاح) : انه لم يرد (اركان رباعياً) بدليل ان الموثوق بهم من ارباب المعاجم لم
يذكروه كصاحب اللسان والتاج والصاح والاساس . نخطأنا الاب في هذا وقال
ان صاحب الكشف روى جواز (اركان) رباعياً في قراءة من قرأ (ولا تركنوا
الى الدين ظلموا) على البناء للمفعول من اركنه اذا أماله . ونقول في الجواب اننا في

(العثرات) انما خطأنا من استعمال (الاركان) اي الرباعي اللازم بمعنى (ركن) الثلاثي اللازم اي بمعنى مال كما اذا قال قائل (أفهم زيد) يريد (فهم زيد) فنقول له هذا لا يجوز اذ لم يرد في كلام العرب (أفهم) رباعياً ولا شك ان السياق يعين مرادنا وانما انما نعني ان (أفهم) الرباعي لم يجيء لموافقة (فهم) الثلاثي فلا يصح ان يعترض علينا بانه ورد (أفهم) رباعياً متعدياً . ويعلم الله اننا رأينا (أركان) الرباعي المتعدي بمعنى أُمال في تفسير البهزاوي واي حيان عند قوله تعالى (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) بالبناء للجهول كما رأى الاستاذ ذلك في الكشف . لكننا لم ننبه عليه في (عثرات الأقسام) خشية التطويل الذي نتجنبه جهد طاقتنا في (العثرات) . والحاصل ان (أركان) رباعياً لم يرد بمعنى (ركن) كما ورد (أقاله) البيع بمعنى قاله . وانما ورد (أركنه) بمعنى أماله على ان تكون همزته للتعدية لا لموافقة الثلاثي وهذا خارج عن موضوعنا .

(٣) آخذنا الاب الفاضل في كلمة ثالثة وقبل ان نوردها نقدم بين يديها ملاحظة لنا على رصيفتنا وعضو مجمعنا المحترم: ذلك انه كلما رأى احداً فتح نافذة لاصلاح اللغة العربية وثنية كلماتها وتسبيل قواعدها والتوسعة على الناطقين بها في بعض ما حظهروا الاقدمون — بادرا الى سد تلك النافذة قائلاً ان في هذا الفتح . الضر والبرح . وعلى العكس اذا رأى احداً سدت نافذة يكون من شأنها الاي فساد في اللغة عارضه وفتحها مثالياً ان سيكون في هذا الفتح . الربح والنفع . فمثال النافذة التي سدها المجمع ففتحها هو قولنا في العثرات انه لا يجوز ان يقال (مكثنا مع الاخوان فويّق ناقة) على ان يكون (فويّق) تصغير (فويق) وعللنا ذلك بانه من الامثال والامثال لا تغير . ولا نريد بذلك الامثال نفسها بل ما يعمها ويعم ما كان من قبلها ثقة منا بان قراء مجملتنا انما هم من اهل الفضل الذين يفهمون المراد من مثل هذا الاطلاق . فلم يعجب الاب سدة النافذة على هذه الصورة وقال ما نصه : « نحن لا نعتبر قولهم فويق ناقة من الأمثال بل من الأقوال السائرة مسير الأمثال — ولهذا لا نرى مانعاً من اعتبار (فويّق ناقة) بتصغير فويق — من الغلط » اه فالأب اعطى فتوى يجاوز استعمال (فويّق ناقة) بالتصغير وان لم ينطق به العرب الخالص . ولا غرو ان يكون في قوله هذا توسعة وتخفيف واغراء لنا باستعمال نظائر (فويّق) مما فيه مخالفة لاهل اللسان فنقول من دون ان يكون ثم ضرورة (على

طرف الثيم (بالتصغير مكان (الثام) بالتكبير و (حمى الوطيس) مكان (الوطيس) و (لحم على وضم) مكان (وضم) و (مات حُمِيف أُنيقه) مكان حَتَف أَنفه وضغيت على أبيبيلة مكان ضغث على ابالة في نظير ذلك مما يشكره عليه ارباب (الباب المفتوح) في اللغة ١١١ .

اما مثال النافذة التي فتحناها للإصلاح اللغوي وقام هو فسدّها في وجهنا ووجه الناطقين بالضاد فهو قولنا في اثناء الكلام (وتبعه على ذلك صاحب أقرب الموارد الخ) فانتقد تعدية فعل تبع بعلى . فروى عبارتنا هذه قائلاً هكذا (وتبعه على (كذا) ذلك) يشير بكلمة (كذا) الى هذا الخطأ الفاضح . ولعله يريد ان الواجب ان يقال (وتبعه في كذا) . وجمنا نحن في ذلك او في فتح هذه النافذة ما اشتهر بين علماء اللغة من ان حروف الجر ينوب بعضها عن بعض وان (على) خاصة تنوب مناب (في) كقوله تعالى : (ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها) اي سيفه حين غفلة كما صرح بذلك اهل اللغة والتفسير . ولعله يقول ان معاجم اللغة لم تنقل (تبعه على كذا) بخصوصه فالواجب ان ننابههم على ما قالوا . اُرايت كيف ان الأب المحترم سدّ هذه النافذة الموصلة الى تلقي الهواء الطلق كيلا تموت اللغة اختناقاً . بل اُرايت كيف ان الاب يصرح في نفس رده علينا بقوله : (عدم ورود كلمة اُركن سيفه دواوين اللغة لا يني وجودها اذ لغتنا اوسع من ان تضمها دفنا معجم فهي بحر لجي لا قرار له) اسمع ما احسن هذا التصريح وما احسن فتح النوافذ على هذه الصورة للإصلاح اللغة . ولو فتح غيره هذه النافذة لعارضه لعمرى وقام في وجهه كما عارضنا وقام في وجهنا مذقلنا (تبعه على كذا) وان لم نقله المعاجم ونحن نريد ان نفتح نافذة استعمال حرف جر مكان حرف جر كما جوزّه اهل اللسان فمعنى (تبعه على كذا) تبعه في كذا . ثم ان كان رصيفنا الأب يسد علينا هذه النافذة فهل يسد علينا نافذة أخرى في تصحيح هذا الاستعمال ؟ (نافذة التضمين) اي ان فعل (تبع) ضمناه معنى (وافق) فعدي تعديته والتضمين في اللغة اشراب كلمة معنى كلمة أخرى فنعدى تعديتها . فنحن اُشربنا فعل (تبع) معنى (وافق) فعديناه بعلى مثلها . وبكفي حجة لنا في جواز هذا التضمين ما قاله ابن جني في الخصائص وهذا هو نص عبارته : (وجدت في اللغة من هذا الفن (التضمين) شيئاً كثيراً لا يكاد يحاط به ولعله

لو جمع أكثره لأجمعه لجاء كتاباً ضخماً فاذا مر بك شيء منه فقبله وانس به فإنه فصل في العربية لطيف حسن اهـ) فالنافذة التي فتحها ابن جني وتبعناه نحن على رأيه في فتحها يقوم صديقنا العلامة فيوصلها ويقول للناس انظروا الى المجمع العلمي كيف يريد ان يفسد اللغة !! ألا يفهم من هذا انه يحاول احتكار فتح النوافذ في الإصلاح اللغوي ؟ وبوشك انت نبارك له نحن فيما يريد ولكن بشرط ان ينسبه فلا يفتح ما سد ولا يسد ما فتح .



اعضاء المجمع العلمي

« في الغرب »

(الاستاذ ادوار مونت (Montet)

ولد السيد مونت في ليون سنة ١٨٥٦ وعاش في تلك المدينة حيث درس الحقوق الثانوية وجاز فحوص البكالوريا (العالمية) الى سنة ١٨٧٤ ثم اخذ يدرس دروساً عالية تامة وذلك بالاشتغال في جامعات جنيف وبرلين وهايدلبرغ ثم في جامعة باريز حيث نال رتبة دكتور في اللاهوت (مدرسة اللاهوت البروتستانتي) وذلك في سنة ١٨٨٣ وقد قدم كتاباً اسمه في اصول الفرقتين الصدوقين والفريسيين وتاريخهم الى ولادة السيد المسيح . وفي سنة ١٨٨٥ عين المسيو مونت في جامعة جنيف استاذاً للعبرية والارامية والعهد العتيق . ومنذ سنة ١٨٩٤ اخذ يدرس في تلك الجامعة ايضاً العربية وتاريخ الاسلام .

ان مقدرة السيد مونت التي عرفها الخاص والعام في كل ما له مساس بالمذنبات السامية ولا سيما بالاسلام قد دعت الحكومة الافرنسية مرتين لتسديه الى مراکش في بعثة علمية . المرة الاولى كانت سنة ١٩٠١ والمرة الثانية سنة ١٩١٤ وفي سنة ١٩١٠ دعي لبلقي سلسلة من المحاضرات على الاسلام في كولينج دي فرانس بباريز . وكان الاستاذ مونت في رئيس جامعة جنيف من سنة ١٩١٠ — ١٩١٢ .

ان المقالات التي نشرها هذا العالم في كثير من المجلات والصحف وقائمة أهم تأليفه

التي نقرأونها في أسفل هذه المجالة تشهد شهادة ناصعة بان جهاد هذا الاستاذ قد قسمه خلال حياته بين الدروس التي لها علاقة بالعربية والعهد العتيق والدروس الاسلامية .
« قائمة أهم كتب ادوارد مونتيه باللغة الافرنسية »

باكورة في اصول الفرقتين الصدوقية والفرسية وتاريخها الى ولادة السيد المسيح (باريز ١٨٨٣) .

• مختصر نحو العبرية والارامية الكتابية (باريز ١٩٠٥) .

• مبادئ النحو العربي (جنيف ١٨٩٦) .

• تاريخ لسكان مقاطعة الفو من التيمون (باريز ١٨٨٥) .

الدرس الشريف وهو نص غريب نشره عن نسخة مكبر دج وذكر اختلاف النسخ بينها وبين نسخة جنيف ودوبلين مع ترجمتها بالافرنسية وترجمتها بلغة الفو الحديثة (باريز ١٨٨٨) .

• تاريخ شعب اسرائيل أخذاً من العهد القديم (باريز ١٩١٠) .

• سياحة في مراکش (سياحة العالم) (باريز ١٩٠٣) .

• حاضر الاسلام ومستقبله (ترجم الى الايطالية والمجرية والعربية) (باريز ١٩١٠) .

• الاعتقاد بالاولياء المسلمين في افريقية الشمالية ولا سيما في مراکش (جنيف سنة ١٩٠٩) .

• دروس شرقية ودينية (باريز ١٩١٧) .

• الاسلام (باريز ١٩٢١) .

• وقد انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي منذ اول نشأته .



الغزالي أم الغزالي

لما وجدت الخلاف قديماً وحديثاً في ضبط هذا الاسم رأيت ان اجمع أقوال العلماء لتصحيح هذا الرسم .

قال ابن خلكان (ط . مصر . ١٣١٠ ج ١ ص ٢٩) في ترجمة أبي الفتح أحمد أخي أبي حامد الغزالي : والغزالي بفتح الغين المعجمة وتشديد الزاي المعجمة وبعد الألف لام هذه النسبة إلى الغزال على عادة أهل خوارزم وجرجان فانهم ينسبون إلى الفصّار القصّاري وإلى العطار العطاربي . وقيل ان الزاي مخففة نسبة إلى غزالة وهي قرية من قرى طوس وهو خلاف المشهور ولكن هكذا قاله السمعاني في كتاب الأنساب والله أعلم .

أما ما نسبته ابن خلكان للسمعاني فهو غير موجود في كتاب الأنساب المطبوع في ليدن سنة ١٩١٢ بل ليس فيه ذكر لهذه النسبة .

ولكن قال ابن نفري بردي في النجوم الزاهرة (ط . بركلي ١٩٠٩ - ١٩١٢ ج ٢ ص ٣٥٨) في حوادث سنة ٥٠٥ ان السمعاني ذكره في الذيل ولعل هذا الذيل هو ذيل تاريخ بغداد لأبي بكر الخطيب .

ونقل أبو الفداء في تاريخه في حوادث سنة ٥٠٥ ما ذكره ابن خلكان فيما يخص التشديد فقط .

وذكر السيوطي في أبّ الباب (ط . ليدن ١٨٤٠ ص ١٨٦) القولين مع تضعيف التخفيف .

وقال ابن الوردي في تاريخه في حوادث سنة ٥٠٥ وتخفيف الزاي وتشديدها من الغزالي مشهور وانشد ^(١) بيتاً فيه التخفيف :

(بدر تم - اضحى بسيط غرامي فيه يروي عن طرفه الغزالي)

(١) قوله (وانشد بيتاً فيه التخفيف) راجعنا تاريخ ابن الوردي فوجدناه قد استشهد بهذا البيت من دون ان يصرح انه شاهد على التخفيف والظاهر انه شاهد على التشديد . (المجمع)

وقال الياضي في روض الرياحين (ط . مصر ١٠ ص ٣١٠) وفي مرآة الجنان (ط . حيدر اباد ١٣٣٨ ج ٣ ص ١٨٦) قصيدة في مدح الغزالي فيها هذا البيت .

(ابو حامد غزال غزل مدقق من العلم لم يغزل كذاك بمغزل)
وقال الشيخ مرتضى في تاج العروس في مادة (غ ز ل) : وغزالة كسحاب قرية من قرى طوس قيل واليه ينسب ابو حامد كما صرح به النووي في التبيين وقال ابن الاثير : ان الغزالي مخففاً خلاف المشهور وصوب فيه التشديد وهو منسوب الى الغزال بائع الغزل او الغزالي على عادة اهل خوارزم وجرجان كالفصاري الى الفصاري ، وبسط ذلك السبكي وابن خلكان وابن شعبة .

وقال محمد طاهر الفطنى في المغني (دهل ١٣٢٠ ص ٦٠) بعدما ضبط الغزالي بالتشديد وروى عن الغزالي انه انكرها وقال انما انا الغزالي بخفة زاي نسبة الى غزالة قرية بطوس .

وحكى طاش كبرى زاده في مفتاح السعادة (حيدر اباد ١٣٢٩ ج ٢ ص ١٩٢) ان والد الغزالي كان يغزل الصوف وبيعه بدكان بطوس وروى ايضا ان الغزالي حكى ان ابيه كان فقيراً صالحاً لا يأكل الا من كسب يده في عمل غزل الصوف .
وبتلخص من هذه النقول ان التشديد هو المشهور الجساري على لسان العلماء قديماً وحديثاً وان التخفيف مبني على قول السمعاني في الذيل الذي ذيل به تاريخ الخطيب البغدادي لانه يُعرف له ذيل لكتابه في الانساب .

ومن جهة أخرى فاني راجعت معاجم البلدان المطبوعة في اوربا مثل معجم ياقوت وكتاب الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري والمكتبة الجغرافية فلم أعثر على قرية اسمها غزالة كما ذكر السمعاني وانما الموجود فيها ان طوس مشتملة على بلدين يقال لاحدهما نوقان والاخرى طابران وبها مات ابو حامد ودُفن بظاهرها .

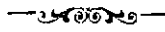
ومما يؤيد التشديد العصري نسبة الى العصار قال السمعاني في كتاب الانساب المذكور (ورقة ٣٩٢ وجه ١) هذه النسبة الى العصار وقد ذكرناه وقد جرت عادة عدة من البلاد ان ينسب اهلها الى الحرف مثل خوارزم وجرجان وآمل طبرستان

وذكر هذه النسبة السيوطي في لب الباب (ص ١٨٠) وذكر يافوت في معجم البلدان
أبا محمد العباس بن محمد العطار الطوماني من أصحاب طابران .

واقطعت من لب الباب للسيوطي التتائي نسبة الى بيع التبن والجوازى الى بيع
الجوز والجلابي الى جلب السلع والحدادي الى الحديد كالحداد والخطاطي كالخطاط
الى بيع الخططة والخبازي كالخباز الى الخبز والخفافي كالخفاف الى الخراف
والخطاطي كالخطاط الى خياطة الثياب والرواسي كالرواس الى بيع الرؤوس والصائغي
كالصائغ الى الصياغة والمطرزي كالطرز الى الطرازة .

الجزائر : محمد بن ابي سئب

عضو المجمع العلمي العربي



حول الكراس الشارد

كنت كتبت في مجلة المجمع (جزء ١١ من السنة الماضية) مقالاً في وصف
كراس مخطوط ظفرت به في مكتبتي وسألت اهل العلم والفضل ان يذكروا لنا من امر
المخطوط الذي شرد منه هذا الكراس . ولقد كتبت ذلك المقال وانا على يقين ان
الصديق احمد تيمور باشا سيكون اول من يحقق امر ذلك الكراس ويكشف عن
نسبته الغموض والالتباس فكان ما قدرته وروّته في نقسي صحيحاً فقد جاءني كتاب
من العلامة المشار اليه قال فيه ما يلي :

الكراس الشارد الذي تسكّتم عنه في المجلة هو من رحلة كبيرة لاحمد الادهمي
اسمها (تحفة الادب في الرحلة من دميّاط الى الشام وحلب) عندنا منها نسخة تقع في
٤٧٩ صفحة منقولة من دار الكتب المصرية واول ما في كراسكم يقع في ص ١٠ منها .
وقد اورد المؤلف أبياتاً لوالده في ص ٧٠ ترجم لها بقوله : « ونعجبني قول الوالد الهام
في مدح طرابلس الشام » وكتب بعضهم على حاشية نسخة الاصل (اي والده صالح
افندي الادهمي) . وترون في سلك الدرر جزء ١ ص ١٦٩ ترجمة له جاء فيها انه
احمد بن صالح بن منصور المعروف بالادهمي الحنفي الطرابلسي وانه نشأ بدمياط ونولي

الافتاء بها ثم نقابة الاشراف بمصر وتوفي سنة (١١٥٩ هـ) ولكن ليس بها ذكر هذه الرحلة . وقوله في ص ٤٨٣ من المجلة (فتوجهت الى العذبة) صوابه (العزبة) بالزاي وهي الضيعة او القرية بلغة عوام مصر ولم نزل هذه القرية باقية الى الآن على الشاطيء الشرقي للنيل شمالي دمياط وتسمى بعزبة البرج . والبكري الذي ذكره يغلب على الظن انه احد أفراد أسرة البكري الباقية الى اليوم بدمياط . واذا شئتم الاطلاع على الرحلة لكتابة شيء عنها أرسل بها اليكم في البريد . اه المراد من كتاب العلامة وهو آية عظمي على فضله ولولعه بخدمة العلم ونشر أسفاره . والنش عن كنوزه وآثاره . اما تصويبه (للعذبة) (بالعزبة) فصحيح ولكننا نحن أبقينا الكراس على أخطائه وأشرنا لذلك في أول هامشة علقناها عليه . وقوله : « ان (البكري) الذي ذكره صاحب الكراس يغلب على الظن انه احد أفراد أسرة البكري الباقية الى اليوم في دمياط » فيه نظر لانه لم يقل (البكري) وانما قال (الحاج بكري فتح الله) وهذا يدل على ان (بكري) اسمه لا اسم أسرته وان اسم أسرته (فتح الله) وربما كانت هي أسرة فتح الله المشهورة في بيروت الى اليوم . واما أسرة الادهمي المذكورة فما زالت من أمر طرابلس المشهورة بعراقة النسب ونعرف منها اشخاصا مارسوا الادب والشعر أشهرهم السيد اسحق الادهمي وهو شاعر مشهور له ديوان شعر مخطوط وله قصائد في مدح الامير عبدالقادر الجزائري ولم يخلف سوى ولد ذكر لا نعلم ان كان حيا او لا وقد توفي السيد اسحق في أوائل هذا القرن الهجري .

المفربي



مطبوعات حديثة

المرأة في شرع الاسلام

« للسيد عبد الله اليافي — الدكتور في الحقوق »

Condition privée de la femme dans le Droit de l'Islam

رأى فريق من فتيان هذه الامة النابيين ممن قصدوا الى الغرب في طلب العلم ، ان من مصلحة الوطن ، وحق الامة عليهم ، تعريف قومهم الى الغربيين تعريفاً صحيحاً كي لا يظل بعض هؤلاء على رأيهم الفاسد في هذه الامة العربية . فخذوا سيف وضع أطروحاتهم لنيل العالمية ، عن المسائل العربية . ننويراً للاذهان الغربية في الشؤون الاسلامية الشرقية . فجاءت رسائلهم غريبة اللفظ ، غريبة الروح .

وفي جملة من قصد هذا القصد ، السيد عبد الله اليافي . فلقد جعل موضوع أطروحته « مكانة المرأة في شرع الاسلام » . والمرأة العربية — ولا سيما من حيث حقوقها — هي أحوج ما تكون الى التعريف . لذلك احسن الدكتور اليافي الى أمته برسالة هذه ، إحساناً لا يفيه بعض حقه ، الا ان يشار الى الموضوعات الممنعة التي عالجها فيها .

قسم السيد اليافي أطروحته الى : مقدمة . وثلاثة ابواب . وخاتمة .

فنناول في المقدمة العهد الجاهلي . فوصف شيئاً من عادات العرب وادبائهم وطباعهم . وحالة المرأة في ذلك العهد . واما في الباب الاول فقد بحث عن المرأة في العهد الاسلامي ، ورد مزاعم الغربيين الذين ينعون على محمد (ص) معاملته للمرأة . واثبت انه ليس في المتقدمين من المشتريين من عطف على المرأة عطفه . وعاملها بالرحمة والعدل مثله . ذلك على الرغم مما كان يعترض احكامه هذه من فسوة العرب ومستحکم عاداتهم . وذكر في فصول هذا الباب عمل المرأة من حيث هي أم ، وما اوجبه لها الشرع الاسلامي من الحرمة والمكانة . وان الاسلام اذا كان رغب للمرأة ان تكون قيمة منزلها ، وفضل لها الاشتغال بتدبير المنزل ، فليس في شيء مما جاء به ما يدل على

انه حرم عليها الاتجار والعناية بالشؤون الاجتماعية ، بل السياسية . وهو اذا لم يكن جعلها ربة المنزل ، فلقد جعلها فيه مساوية للرجل .

ثم انه سرد جملة من الأحاديث التي تدل على قيمة المرأة في الاسلام وعلى معاشره الرسول لنسائه بالإحسان ، ومعاملته لهم بالمعروف . وأشار الى الاسباب الاجتماعية التي اقبلت في الاسلام شيئاً من الفرق بين الرجل والمرأة . على انها امام الله والقضاء سيان . واتي بادلة بينة على ان حقوق المرأة هي في كثير من القوانين الغربية ، دونها في الشريعة الاسلامية . وان المرأة في الاسلام قد تولت الملك والحكم . على حين لم تتمتع في بلجيكا وابطاليا واسوج ونروج وفي فرنسا — الى اخر ايام الملكية فيها — بشيء من هذا الحق . قال : واذا كانت المرأة قد ضُربت في الاسلام ، فقد ضُربت ظلماً وعدواناً ، لا يوجب شرعي اقرته القوانين ، كما كانت الحالة في الغرب ، والى هذا اليوم في البورتنغال . ثم تكلم عن حق المرأة في النفقة والسكن وما اليها . وعن حقوقها في عقد العقود مستقلة عن الرجل . وعلل الاسباب لنقصان حظها في الارث والشهادة تعليلاً مقبولاً ، مستشهداً في ذلك كله بادلة عقلية وعقلية . مثبتاً ان حظ المرأة الغربية من قوانينها ، لم تكن بافضل من حظ نساينا شهادة وإراثاً .

وفي الباب الثاني : وعنوانه (الحقوق الموضوعة) فصل شيئاً من مسائل الزواج والوجهة الاجتماعية الاسلامية فيه . وشرائطه الشرعية . وتعدد الزوجات ، واسبابه وفوائده ومضاره . وجاء بما ينبغي ان تكون الشريعة اجازت لابوي البنت ان يزوجاها كيفما ارادا . ثم عقد فصلاً للحجاب . وقال انه اثر من آثار الروم والفرس ، اكثر منه عادات عربية موروثه . وأشار الى ملاقته المرأة من الضيق في كل أمة من أم الغرب . ثم نوه بالامتيازات التي منحها الشريعة للمرأة : كالحضانة ، والمهر ، وان هذا لا يراد به شراء المرأة بالمال كما يتوهم بعضهم ، بل هو تليط لعادة قديمة ، ومعاونة للمرأة على قضاء حاجاتها وسداد عوزها .

ثم اجمل في الخاتمة ما كان بسطه في الفصول السابقة . والذي يزيد في قيمة هذا الكتاب ان مؤلفه مضى فيه بروح مشبعة من الاعتدال ، فكتب ما كتب ورائده الحقيقة ، يملئها عليه عقله وعلمه ، لا نزعة وحسه .

واری قبل ان أنهي هذه الكلمة ان ألفت نظر السيد اليافي الى ان بعض العبارات ترجمت ترجمة لا تتخلو من شيء من التوسع .

من ذلك ما استشهد به من قول صفيّة للرسول « نُتجّدث مع ابنة اليهودي في يومي وانت رسول الله » — وهذا قول لم نقله صفيّة بل قالته لها ام سلمة — وقد جاء في الترجمة « وانت تزعم انك رسول الله » ولادري من اين جاءت « تزعم » هذه . فلا ظاهر العبارة المترجمة يدل عليها . ولا ما في نفس ام سلمة وهي زوجة المؤمنة ينمّ بها . ومثل ذلك « ان دين الله الاسلام » بدلاً من « ان الدين عند الله الاسلام » وبين العبارتين فرق . وشيء آخر يخالف الصديق فيه ، وهو ما ذكره في سياق كلامه عن المعاملة الحسنة التي ارادها الرسول للمرأة : مساواة بالرجل احياناً ، وفضلها عليه حيناً . فلقد قال : « ومع ذلك كله لم يُنفّس عن المرأة . والسبب في ذلك ان الرسول كان سيف الاصلاحات الاجتماعية يلجأ الى الدين ، ويعتقده عاملاً كافياً لتحول جوهرية في الاخلاق » الى ان يقول : « وليس — في الوعد والوعيد بالنواب في الآخرة والعقاب — غناء عن القصاص العاجل . ولا سيما في قوم عصاة كانوا كالعرب . ولكن النبي لم يأخذ بهذا ، ورأى في العقوبة الدينية الكفاية » ولست ادري كيف رأى السيد عبد الله هذا الرأي ، وهو يعلم جد العلم ان الشرع الذي جاء به صاحب الرسالة كان شديداً في الحق ، صارماً في العقاب . ردّاً لتلك الامة عن روح الاجرام والعصيان . ولم يُنظر النبي العربي الى الآخرة جرماً يجب ان يُعاقب به في هذه الدنيا . اما الوعد بالآخرة ترغيباً في حرمة الام ، وإحسان ادب البنات ، واسباغ النعمة عليهما ، مما استشهد به المؤلف . فتلك اقرب الى النوافل التي تدخل في الحقوق الطبيعية . ولا عقوبة على من لا يفعلها حتى اليوم . فكأن محمداً (ص) اتخذ لها من الآخرة شبه قوة منفذة . اما ان المرأة لم يُنفّس عنها التنفيس الذي اراده لها صاحب الرسالة كله . فذاك لا يعود الى نقص في الشرع ، ولا الى خطأ في ترتيب العقوبة ، ولكنه يرجع الى قوة في الرجل وضعف في المرأة . والصديق أعزّه الله يعلم ما تفعل القوة والضعف بالام فكيف بالنساء ؟

عارف النكدي

من اعضاء المجمع العلمي

مصنفات الامير عمر طوسون

تفضل صاحب السمو الامير عمر طوسون واهدى المجمع العلمي خمس مجلدات من تأليفه ، في النيل وتاريخه ، وفي مالية مصر منذ عهد الفراعنة الى ايامنا هذه ، وفي جغرافية مصر على عهد العرب كتبها بالفرنسية على احدث اصول في التأليف وجود موضوعاتها وشفعها بمصورات وخطط بديعة دلت على علو كعبه في العلم وشدة شغفه بالبحث وقدمها الى المجمع المصري فنشرت تحت رعاية صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول ملك مصر المعظم . وقد كننا رجونا العلامة الاستاذ احمد زكي باشا احد اعضاء مجمعنا العلمي ان يفضل بالكتابة على هذه الاجزاء كتابة علمية ليستفيد منها القراء علماً منا بان ابن النيل أحق الناس بالكلام على نيله المبارك وعلى عمران قطره المحبوب ، وعساه يفعل و يبر بوعده . ولا يسعنا هنا الا شكر الامير المؤلف على هديته وأفضاله على الآداب . فقد اشتهر بالامس الامير باحسانه وصدقائه ، واليوم يعرف باحسانه في العلم والتأليف . أقر الله به عين الامة العربية . وهذه اسماء هذه التأليف الممتعة بالفرنسية .

(١) Memoire sur les anciennes branches du Nil (épo - ques ancienne et arabe)

(٢) Mémotre sur les Finances de l'Egypte (depuis les pharaons jusqu'à nos jours)

(٣) Memoire sur l' Histoire du Nil, « 2 Vol. »

(٤) La Géographie de l'Egypte à l'époque Arabe « T.I »

م . ك

—>>><—

النشر في القراءات العشر

معني المتقدمون من علماء الاسلام بالاختصاص ببلغ كل منهم شأواً عظيماً فيما اختص به ، ومن حفظ لهم التاريخ بين طياته صفحة بهضاء لحياهم الطبية (الامام

الحافظ ابو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (المتوفي سنة ٨٣٣) تخصص المذكور في علمي التجويد والقراءات فحاز قصب السبق فيها حتى شهد له بذلك علماء عصره ومن اتى بعدهم — رغمًا عما يوجد بين المعاصرين من الحسد — قال الحافظ ابن حجر : انتهت اليه رياسة علم القراءات في الممالك ، وقال الحافظ السخاوي : فنه الذي مهر فيه القراءات ، وقال العمادي في الشذرات عنه : مقري الممالك الاسلامية — وفي موضع آخر — الامام الاعظم ، ولقبه الحافظ السيوطي في ائقانه بامام القراء ، وحافظ القراء ، وفي الشقائق النعمانية : ان يَمُور أولم ولاية عظيمة وعين جانب يساره للامراء وجانب يمينه للعلماء وقدم في ذلك المجلس الشيخ الجزري على السيد شريف الجرجاني . بلغ المترجم من ائقانه لهذين العليين ان ألف فيها وفي غيرهما كتباً قيمة بقيت أثراً خالدًا بعد وفاته . حتى قال الحافظ السخاوي عنه ، وكذلك نظم الهداية في أئمة العشرة وسماه الدرّة وله ثمان عشرة سنة وربما حفظها او بعضها بعض شيوخه . واذا كانت بعض شيوخه يحفظ ما نظمه وهو لم يتم العقد الثاني من عمره فما ذا نقول عن كتابه : (النشر في القراءات العشر) الذي ألفه وهو في العقد الثامن من عمره ؟ .

لقد أحسن — أجزل الله مثوبته — الى فن القراءات في كتابه هذا كل الاحسان . وما ذا اقول عن كتاب كفانا مؤنة المراجعة في نحو سبعين كتاباً لجمع مسائلها وفرائد ما فيه . وبكفي تقريب الحافظ ابن حجر له : بانه جوده . ولم يشأ رحمة الله الا ان يجعل كتاباً عاماً ينفع به المقرئ وغيره فضمنه مسائل علم التجويد وقواعده ، واتى بنحو مئتي ترجمة لمشاهير المقرئين حتى لو جردناها لأصبحت كتاباً جامعاً وهذا عدا ما ذكره من المسائل الاصولية والفقهية والتاريخية مما لا يسمح لنا المقام بشرحها . واليك كلمة للؤلف يصف كتابه هذا : وجمعها في كتاب يرجع اليه ، وسفر يعتمد عليه غير ما فيه من فوائد لا تحصى ولا تحصر ، وفرائد دخرت له فلم تكن في غيره تذكر ، فهو في الحقيقة نشر العشر ، ومن زعم ان هذا العلم قد مات قيل له حي بالنشر .

هذا ما أملاه المقرئ^١ الحجة الشيخ محمد القطب من قراء دمشق المشهورين وقد ظل هذا الكتاب على جلاله قدره نادراً لا ينفع به الا أفراد قلائل اندرة نسخة المخطوطة حتى قام الاستاذ الشيخ محمد احمد دهمان من قراء دمشق وصححه على اصول معتبرة

وطبعه (في مطبعة التوفيق بدمشق سنة ١٣٤٥ والجزء الاول منه في ٥٠٤ صفحات)
وقد عني بمعارضته والتعليق عليه وقدم له مقدمة تبين الغرض من نشره وترجم مؤلفه
الامام المشهور في هذا الفن فذكره كل من يهتمون لعلوم الكتاب العزيز . ولا غرو
فانه من الاسفار التي تنشر بها الخزانة ويتنافس في اقتنائها المتنافسون . جزاء الله
عن هذا العلم الجليل الفائدة خير جزاء . م . ك

ارشاد الارباب الى معرفة الاديب

المعروف بمعجم الادباء او طبقات الادباء لياقوت الرومي . نشره وصححه السيد
(د . س . مرجليوث) الجزء السابع بمطبعة هندية بالموسكي بمصر ١٩٢٥ ص ٣٦٦

أتم رصيفنا الاستاذ مرجليوث ما عثر عليه من هذا الكتاب النفيس في خزائن الكتب
المعروفة في العالم ، فبقي فيه نقص وهو حروف الخاء والذال والراء والزاي
والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء . وتمت بقية حروف المعجم فأنهى الجوزان
الاول والثاني والقسم الاول من الجزء الثالث بالحسن بن ميمون . ونقص من الاجزاء
القسم الثاني من الجزء الثالث والجزء الرابع برمته . اما الجزء الخامس فكله في حرف
العين وفيه السادس تكملة حرف العين وانتهى بمحمد بن الحسن والسابع هذا انتهى
بحرف الياء ، ولعل الزمان يظفر الاستاذ الناشر ببقية الحروف فيكمل بها هذا الكتاب
المتمتع الذي كشف لنا في الرجال عن طبقة مهمة ليس لها ما يعرفها فيما لدينا من كتب
التراجم المطبوعة الا قليلاً . وان فضل الناشر لا يقل كثيراً عن فضل المؤلف فان
من عانى مثل هذه الموضوعات بالنشر في هذا العصر وليس لديه نسخ متعددة مقروءة على
الثقات يعرف مقدار الجهد الذي بذله الاستاذ محيي الكتاب ، نخسدم بذلك الادب
العربي كما خدم في القرب الماضي الاستاذ وستنفيلد الجغرافيا والتاريخ بنشره كتاب
معجم البلدان لياقوت ايضاً . وبهذين الكتابين « معجم الادباء » و « معجم البلدان »
وبكتابه « المشترك وضعاً والمفترق صقلاً » عرفنا ايضاً مبلغ المؤلف رحمه الله من العلم
الناضج وما طالع من الكتب وكيف رحل في بلاد الاسلام لهذه اواخر المئة السادسة

الى ثلث المئة السابعة رحلات زادت فوائده كتبه ومادته العلمية . وما نظن الاجادة
تكتب لعالم من علماء العصر اكثر من ذلك على تيسر اسباب التأليف والنقل اليوم
لذلك ما زال يافوت الرومي الحموي موضع إعجاب علماء المشرقيات من الغربيين ،
وبفضلهم ظهر فضله لامته ولغيرها ، وبفضل كتبه عرفنا طرفاً صالحاً من مدنية قومنا
 واجتماعهم وأصقاعهم ومجالسهم ومراميمهم وأخلاقهم . وقد حوى هذا الجزء الأخير
٢٠٧ تراجم ليست في طولها على مثال ماورد للمشهورين من نوعها في الاجزاء السالفة .
ومن المشاهير التي وردت تراجمهم فيه ابن الاعرابي (محمد بن زياد) وابن السراج
البغدادي (محمد بن السري) والجمعي (محمد بن سلام) وابن زهر (محمد بن عبد الملك)
وغلام ثعلب (محمد بن عبد الواحد) وابن النعاويذي (محمد بن عبيد الله) والهروي (محمد
ابن علي) والمرزباني (محمد بن عمران) وابن القوطية (محمد بن عمر) والواقدي (محمد بن
واقد) والحافظ الحميدي (محمد بن فتوح) وابو العيناء (محمد بن القاسم) وابو بكر بن
الانباري (محمد بن القاسم) وابن لئلك (محمد بن محمد) والعماد الكاتب (محمد بن محمد)
والوطواط (محمد بن محمد) وابن شرف القيرواني (محمد بن ابي سعيد) وابن ظفر الصقلي
(محمد بن ابي محمد) ومحب الدين محمود النجار وقطرب وابن القيسراني الحلبي وابن عنين
الدمشقي وابن هاني الاندلسي وابن ولاد وابو عبد الله المرسي الخطيب المصقع والنجاشي الأزدي
البصري (محمد بن يزيد) وابو القاسم الزمخشري والمعاوية بن زكريا النهرواني وابو عبيدة معمر
ابن المثني والمفضل بن سلمة والمفضل الضبي ومكي بن ابي طالب ومنذر بن سعيد البلوطي الخطيب
المصقع ومؤرج بن عمرو البصري والجوالقي والمطرزي ونشوان الحميري ونصر بن عاصم
الليثي وابو عبد الله الشيرازي خطيب شيراز ونصيب بن رباح والنضر بن شميل وواصل بن
عطاء والبحثري ووهب بن منبه وابن سنا الملك والبديع الاسطرولاي (هبة الله بن الحسين)
وامين الدولة بن التميمي وابن الشجري وابن الكاكي وهلال الصابي حفيد ابي اسحق والفرزدق
(همام بن غالب) والهيثم بن عدي والشهاب الشؤرودي (يحيى بن حبش) ويحيى بن خالد
ابن برمك ويحيى بن زياد ويحيى بن بقي الاندلسي والخطيب التبريزي (يحيى بن علي) واليزيدي
(يحيى بن المبارك) وابن طباطبا العلوي (يحيى بن محمد) وابن ماري المسيحي وابن السكيت
(يعقوب بن اسحق) والسكاكي وابو العجاج الشنتمري المعروف بالاعلم الحموي ويونس بن

حبيب الضبي وغيرهم . وقد شفع الناشر كتابه بفهرس لاعلام هذا الجزء واسماء الكتب الواردة فيه . فنهضته بهذه التحفة التي أتحف بها العلم العربي ، ونشكر له همته وكثرة تحقيقه ، ونستمر الرحمة على جيب المستشرق الانكليزي الذي وقف اهله مبلغاً من المال لأحياء كتب العرب والفرس والتبرك فطبع منها حتى الآن ٣٩ كتاباً معظمها من الامهات واكثر من ثلاثة أرباعها من كتب العرب . وأنتم واكرم بكل من خدم لغتنا وآدابنا .

محمد كرد علي



مبادي الفلسفة

تأليف (أ . س . رايبورت) ونقله من الانكليزية السيد احمد امين

طبعة ثانية بمطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٩٢٢ ص ٢٢١

هذا الكتاب الصغير الجرم العظيم الخطر فيه خلاصة المنازع الفلسفية على ما يعرفها الغربيون ، واذ قد أغفل المؤلف الاصل التعرض لفلسفة العرب حشي الناقل كتابه بجملة صالحة في الفلسفة عند العرب ونشأتها . وقد تخير في الترجمة كرائم الالفاظ وأجمل التعابير ، والموضوع شاق صعب . ف قرب المعاني من الازهان ولم يخرج عن مصطلح العرب في الحكمة ، ووضع بعض الفاظ الاعراب عن الفاظ من مصطلح الفلسفة الحديثة ، وترجم للفلاسفة الذين ورد ذكرهم تراجم موجزة فعرّفهم الى القاري الغربي ، فاستحق المترجم شكر الآداب على هذه العناية وهذا الفضل .

م . ك



مؤتمر الآثار الدولي

« في سورية وفلسطين ١٩٢٦ »

G. Contenau : Le Congrès international d'archéologie de Syrie-Palestine, avril 1926

هذه رسالة ذكر فيها الاستاذ كونو أعمال المؤتمر الأثري في الشام خلال شهر نيسان من السنة الفائتة وما قيل في بيروت والقدس من الخطب مما ألقاه الاعضاء

او رئيس الوفد الفرنسي الاستاذ دوسو وما لقيه اعضاء المؤتمر من حفاوة الحكومتين
المنشدتين في سورية وفلسطين ومن بعض أعيانها . وكذلك ما شاهدوه من العناية في
المدن الاثرية التي زاروها مثل تدمر وبعبلبك وجرش وعمان ووادي موسى واريحسا
وحصن الاكراد وحبرون والناصره وطبرية وسبسطية محلى ذلك بصور الاماكن التي
تجري الحفريات فيها مثل جبيل وتدمر والسامرة وكفرناحوم وجرش وغيرها ، وفيه
ثناء على مدبري الآثار في المفوضية العليا في بيروت المسيو فيرولو ومدبر الآثار في
فلسطين والشرق العربي لما بذلانه من الاهتمام بالعاديات وإخراجها . وقد جاء في هذا
البيان ان مندوب الجزائر دعا المؤتمرين لما نقوض مجلسهم الاخير الى عقد اجتماعهم
القادم في سنة ١٩٣٠ في مدينة الجزائر وهي السنة التي يتم بها قرن كامل لافتنال
فرنسا مدينة الجزائر . وقال ان تدمر الآن على خمس ساعات في السيارة من حمص
وان بلاد الشام اذا صرفت العناية بفنادقها تصبح مقصد السياح من اهل الارض الخ .
م . ك

جامع التصانيف الجديدة

لجامعه ومرتبته السيد يوسف اليسان سر كيس الدمشقي طبع بالمطبعة العربية
بمصر اصاحبها السيد خير الدين الزركلي ١٣٤٥ - ١٩٢٧ ص ١٦٣
هذا كتاب في الاسفار والرسائل التي نشرت باللغة العربية في ست سنين في
الغرب والشرق رتبها الاديب جامعها بحسب الفنون فكانت ١٢٠٧ كتب يخرج منها
ما لا بال له من الروايات . وقد اعتمد المؤلف في ذكر بعض هذه الكتب على ما قرأه
عنها في المجلات وعلقه في الطبعة القادمة بدقق في الكتب التي وضعها في فن وهي
ليست منه ويبحث عما فاته من المطبوعات ومنها المفيد جداً . وأجل ما في هذا الكتاب
فهرس أسماء جميع المصنفين على حروف المعجم يسهل معه الاهتمام الى مصنفاتهم على
أسر وجه . وهذه فكرة جديدة جميلة فيها دعوة الى التعريف بالكتب المطبوعة
واقصاء في وقت الباحثين في المؤلفات والمؤلفين فنشكر ابا عذرهما ونأمل ان تكون
طبعته من قابل أنفع وأتم .
م . ك

عقلاء المجانين

للعامة ابي القاسم الحسن النيسابوري نشره وعلق حواشيه السيد وجيه فارس
الكيلافي بدمشق والكتاب في ١٦١ صفحة

لم يكذب ينشر كتاب (الحقّي والمغفلين) في أيدي الناس حتى تذكر فضلاء دمشق
الكتاب الآخر المسمى (عقلاء المجانين) للنيسابوري اذ ان الكتابين وضعاً على غرار
واحد وهما لمؤلفين واعظين كبيرين : ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ والنيسابوري
المتوفى سنة ٤٠٦ هـ وكان الفاضل السيد وجيه فارس الكيلافي شرع منذ حين بنشر
كتاب (عقلاء المجانين) لكنه لم يوفق الى إنجاز طبعه الا في هذه الآونة فطبعه
طبعاً حسناً وعلق عليه بعض الحواشي . والغرض من وضع الكتاب الاول أعني
(الحقّي والمغفلين) الذي ألفه ابن الجوزي هو ان تنعظ بمخالفاتهم فلا تحذو حذوها
ولا تنورط في مثلها كما ان الغرض من الثاني (عقلاء المجانين) هو ان تنعظ بحكمة المجانين
التي تصدر عنهم أحياناً مما قد يندر صدور مثله من العقلاء : فان سمعنا كلمات الحكمة
من المجانين له هزة في النفس وارتياح يحمل على الانتفاع بما قالوه ووعظوا به . وهذا
كثاثير المواعظ والأمثال التي يقال على السنة الطيور والحيوانات . فما جاء في كتاب
(عقلاء المجانين) ماروي عن بعضهم انه قال لمجنون لم ارج مجنوناً أعقل منك قال : الجنون
ما انت فيه : تأكل رزق الله وتطعم عدوه (يعني ابليس) . وقال الحسن بن علي بن
جعفر الخياط بالكوفة سمعت ابي يقول : رأيت مجنوناً في سوق دمشق وهو يقول :
(يا غافلاً مقبلاً على امله وجاهلاً والقصور في عمله)
(كم نظرة لامرئ يسر بها لعلها منه منهي أجله)

وانفق لكتاب هذه السطور امس انني صادفت في سوق دمشق رجلاً من ابناء اعيان
الشام . وعهدي به انه يجنّ ويفيق - فسلم عليّ وسلمت عليه وسألته عن حاله وقلت له :
اني لم أرك من مدة فأين كنت ؟ قال : في مكة ! وكشف جيبه فاذا تحت إبطه رسائل
ظننتها دلائل الخيرات او نحوها . وقال : انه كان يشتغل بامثال هذا في مكة . مشيراً الى
الكتاب ثم فارقتهُ وسألْتُ بعض من يعرفه عن أمره فضحك وقال : ان الرجل كان في

البيارستان طول هذه المدة . فقضيت عجباً من هذا وقلت : ان هذه النكتة ينبغي ان
 نسطر في كتاب (عقلاء المجانين) . اذ ربما كان مراده من وجوده في مكة ان
 الإقامة في البيارستان تظهر المجانين من لوث الجنون . كما ان مكة المكرمة تظهر
 المذنبين من من لوث الذنوب . وبالجملة فان كتاب (عقلاء المجانين) مما يحسن بكل
 عاقل ان يقرأه ويشكر لمن طبعه ونشره .
 المغربي

— ❦ —

عدة الاديب

وضعه وشرح ألفاظه اللغوية السيدان سليم الجندي ومحمد الداودي جزآن
 طبع الاول في مطبعة الترقى بدمشق ١٩٢٦ ص ٨٤ والثاني ايضاً في مطبعة
 الترقى في ٨٨ ص سنة ١٣٤٥ — ١٩٢٦

هذا كتاب في مبادئ الادب اختار لها الاستاذان واضعا هذا السفر جملة صالحة
 مما تخبراه من الكلام المنظوم والمنثور او تخبره العلماء الذين شيدوا بنيان الادب
 مما حاكنه قرائح الشعراء والخطباء والحكماء واصحاب المقامات والمقالات على اختلاف
 موضوعاتها وقد شرحاه شرحاً مستوفياً بقرب مناوئها من اذهان الطالبين الذين يرغبون
 في ان يشدوا شيئاً من أدب العرب وجعلنا الحظ الاوفر للشعر القديم ، فدل على حسن
 ذوق في الاختيار ومعرفة بحمل العقول على تدبر كلام البلغاء وعسى ان يوفق الاستاذان
 المحققان الى انجاز هذه السلسلة التي تغني طلاب الادب عن المطولات وتندرج بهم
 في مراقي الكلام .
 م . ك

— ❦ —

كتاب الاخلاق

تأليف أستاذ علم الأخلاق بمدرسة القضاء الشرعي سابقاً ، والقاضي بالحاكم
 الشرعية في مصر ، السيد احمد امين ، طبعته دار الكتب المصرية على نفقة لجنة التأليف
 والترجمة والنشر بالقاهرة طبعة ثالثة أكمل من سابقتها وأوسع وقعت في ثلاثمائة
 صفحة ونيف ، فيه كفاية لمن اقتصر عليه وإعداد لطلاب التجرد في علوم الأخلاق

والنفس والاجتماع ، قد أحسن مؤلفه في اختيار أهم المساحات الأخلاقية وانتقى له أفضل الشواهد ، أخذاً من زهاء ثلاثين كتاباً من الكتب الإسلامية واليونانية والانكليزية ، بعبارة فصيحة صحيحة وطبع منقن ، الا هنات لا خطر لها .

هذا الكتاب وأمثاله من المؤلفات الحديثة في الأخلاق ، مما يجب ان لا تكون قراءته مقتصرة على تلامذة المدارس ، بل يجدر بكل قارئ ان يقرأها بامعان ، فان فيها إرشاداً للحاسن الأخلاق التي عليها مدار السعادة في الدنيا والآخرة ، فليؤلف واللجنة الناضرة الشكر على هذه الطرفة النفيسة .

من اعضاء المجمع العلمي
مسعود الكواكبي



الكشاف

هي مجلة بديعة صدرت في بيروت جاءنا العدد الاول منها وقد جعلت شعارها العمل على خدمة الإصلاح الاجتماعي عن طريق التربية والتهديب . وحت هذه الصحيفة مقالات جميلة منقحة للاستاذة ، صاحبها الرئيس الاستاذ السيد محيي الدين النصولي ومقالة لشيوخ الكشافة ومؤسسها السر روبرت بادن باول وثالثة للاستاذ السيد عبد الباسط فتح الله ورابعة في تأليف الكشافة وخامسة في الفلك اسمها نظرة الى السماء للاستاذ منصور جرداق وسادسة في حياة بيروت وتحولاتها للاستاذ السيد عبد القادر القباني وخطب للاستاذة السادة عمر فاخوري وعبد الله الياسي ومصطفى فروخ في التصوير وما اليه الى غير ذلك من الفوائد والاخبار العلمية التي تهتم الكشافة وغيرهم وقد زينت بعض صفحاتها بصور جميلة . فنحث الادباء على اقتناء هذه المجلة ومناصرتها خدمة للآداب .

م . ك



الآثار

هي مجلة عامة كان أصدرها في مدينة زحلة العلامة السيد عيسى اسكندر المعلوف احد اعضاء المجمع العلمي ثلاث سنين قبل الحرب ، فكانت من عوامل النهضة السورية

ودعامة من دعائم البحث . وها قد عاد الآن الى نشرها في تلك المدينة فسررنا بعودتها الى خدمتها النافعة للآداب . وليس صدقنا منشي هذه المجلة والذي يحتاج الى تعريف . فان قراءنا يعرفونه حق المعرفة وعلماء الامة يقدرون جهاده في التاريخ والادب والأبحاث العلمية التي عالجها فيما كتب ونشر ، ولذلك كانت عودة مجلته الى الصدور مما تبتهج له القلوب وتلج له الصدور .

م . ك

كتب ورسائل مختلفة

- (١) المختصر في ترغيب وترهيب حديث سيد البشر صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
الغرر للاستاذ الشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعي (ص ٦٣) من القطع الكبير . ومعه
اللطائف البهية في شرح الأربعين الحديث السيلقية (ص ٤٤) . والبدر المزيل للخبز
في فضائل اليمن ومحاسن صنعاء ذات المن (ص ٣٢) تطلب في مصر من المطبعة
السلفية ومكتبتها .
- (٢) تفسير سورة الفاتحة وحل مشكلاتها القرآنية للاستاذ الشيخ طنطاوي جوهري
طبع بمطبعة السيد مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر (ص ٦٤) .
- (٣) فهرست مكتبة السيد مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر عن سنة ١٣٤٥ (١٩٢٧)
- (٤) رواية رفائيل خزاعي في آداب المعاشرة بقلم المطران جرمانوس معقد بمطبعة
القدس بولس في حربصا (لبنان) ص ١٠٨
- (٥) دقائق تاريخية للكرسي الملكي الانطاكي — البطريرك مكسيموس الثالث
مظلوم سنوه الاخير (١٨٤٨ — ١٨٥٥) بقلم ابن اخيه الشماس نوما مظلوم بمطبعة
القدس بولس في حربصا (لبنان) ص ١١٠
- (٦) النفس الحائرة رواية اجتماعية خلقية غرامية بقلم الاستاذ فريد حبيش عني بنشرها
الاستاذ السيد الياس انطون الياس صاحب المطبعة المصرية بمصر .
- (٧) بول دي صوف الفاجرة . ترجمها الاستاذ توفيق عبد الله نشرها السيد
الياس انطون الياس صاحب المطبعة المصرية بمصر .

المجمع العلمي العربي

(دمشق) : حزيران سنة ١٩٢٧ م الموافق ذي الحجة سنة ١٣٤٥ هـ ٧٨

محاضرة

في الكرم وتأثيره في عالم الاجتماع

أيها السادة : لقد أسمعكم هذا المذبر منذ عامين محاضرات جمّة . وخطباً عديدة في الأدب واللغة وأنواع شتى من العلوم والفنون . فلاق في الآت ان انتقل بكم في محاضرتي هذه الى موضوع أخلاقي عمراني . هو مزينة من مزاياكم . ومكرمة من مكارم أسلافكم . له عظيم تأثير في حالة الاجتماع الانساني شرقاً وغرباً . بدواً وحضراً . الا وهو الكرم . وفي بقيني انكم تجدون فيه لذة وفكاهة . وارتياحاً وعبرة . فاقول :

(الأغنياء يعظمون لانهم أقوى على الإمداد والإحسان)
 (فاذا تباخّل ذو غني أضحى الله - قير أجل - نفعا منه للعراف)
 (فعلام بكم منكم ذو ثروة لم يُجيد خيراً عالم الانسان)
 (والام يُزرى بالنس ذو حرفة يشقى لينعم ذو الغنى المتواني)
 (سيجان ربي كم نرى في ذا الوري حيفاً وظلماً واضح البرهان)

الكرم ، والجود ، والسخاء ، والحياء ، والسماحة ، والعرف ، والمعروف ، والعرفان ،
 والنوال ، والنائل ، والرّفد ، والإحسان ، والبذل ، والجدي ، والتدي ، والنخ ،

(١) للاستاذ الشاعر الناثر سليم بك غنحوري احد اعضاء المجمع تليت في ردهة

المجمع العلمي العربي في ٧ ايلول سنة ١٩٢٣ .

والنفخ ، والسبب ، والنفل ، والهمة ، والصلة ، والهدية . كلمات مترادفة تدل مع بعض الفوارق على معنى واحد . يراد به العطاء نبلاً وأريحية . او عطفاً وشفقة . او إغاثة ومعوثة بلا مقابل مادي . او موجب ديني او قضائي .

فالكرم إذن يقتضى هذا التحديد والتعريف لا يكون اداء الدين او سابق حق . ولا وفاء لركافة او نذر . ولا اجزاء لمقبوبة . او ضماناً لغرامة . او صلحاً عن خصومة . او قياماً بما يلزم المرء عيالته من اليتمى والاقرين . فان هذه المعديدات وأشباهاها انما هي من قبل ايفاء الحقوق وبراء الذم والنهوض بالفروض والواجب فلا تحسب من الكرم في شيء كما تعلمون . والكرم نوعان اما خاص واما عام . فالخاص ما شمل شخصاً او أسرة او جماعة في حال من الاحوال . فيكون نفعه موقتاً ومختصراً بالحسن اليهم دون سواهم . والعام ما يهزل في سبيل خيرية او علمية . بحيث ينعم قوماً بجماعتهم او أمة بأسرها أمداً مديداً . وكلاهما مفيد ولازم للجامعة الانسانية . وان كان الثاني أنفع وأبقى وأعم وأتم . ولا فرق من حيث النتيجة بين ان يكون العطاء عفواً قبل الطلب . او تلبية للسائل بعد الطلب . وان كان الاول منها أوضح دلالة . وانصع برهاناً على علو كعب الكرم الجواد واتساع مروءته . ونزاعة غايته .

قال الحسن رضي الله عنه : المعروف ما كان ابتداءً من غير مسألة . فمن اعطيه بعد المسألة انما يأخذ بما يذل لك من ماء وجهه .

وكان قد دخل على أسامة بن زيد وهو يجود بنفسه فراه يتأوه لدين عليه : ستين الف درهم لا يجد له قضاء فحملها عنه قبل السؤال ومضى .

والى فضل هذا النوع من العطاء أشار يزيد بن محمد الملهبي مادحاً الوز برسليمان بن وهب :

(وكم ملحف قد نال ما رام منكم ومنعنا من مثل ذلك التجمل)

(وعودتمونا قبل ان نسأل الغني ولا يذل للمعروف والوجه يُبذل)

وشر العطاء ما جاء بعد وعدٍ ومطل . وتسويفٍ وتأجيل . ولذلك قيل :

« خير البر عاجله » .

مدح إشار بن برد احد الاسراء فوعده بجائزة ثم مطله زماناً ، ثم حجبه فاعترضه يوماً في الطريق بعد ان سئمت نفسه وقبض على شكيمة فرسه وأنشد :

(أظلت علينا منك يوماً سحابةً
(أضأت لنا برقاً وأبطار شاشتها)
(فلا غيمها يصحو فبأس طامع
(ولا غيمها يهيج فتروى عطاشتها)
نفجّل الأُمير وبذل له صلته .

وقد تعجبون يا سادتي لكثرة السمات الدالة على معنى الكرم . ولكن هذا العجب يزل متى عرفتم ان العرب من شأنهم اذا أحبوا شيئاً ، او خافوا شيئاً ، او نفّسوا في شيء ، اكثروا له من اسماء الذات والصفات حتى لقد يتجاوزون في بعضها المئات : كالأبل والأسد والخيول والحيتان ، والسيف والرمح والمرأة ، والخمرة ، وغيرها . تلك مزية نفردت بها هذه اللغة الشريفة فلا يضارعها غيرها من سائر اللغات . والكرم كما تعلمون من مميزات هذه الامة . وأسمى مفاخرها . وبه اشتهرت في كل دور من أدوارها — اي حال جاهليتها واسلامها . وفي أطوار بداوتها وحضارتها . وفي عهد تقدمها وتأخرها — فلا عجب اذا تكاثرت فيها اسماءه وتعددت صفاته . وهو في عرف اهلها سجية من سجايا النفس يهتزلها الجواد اهتزاز المهنّد في كف الشجاع . فلنفيض يده بما نفيض إحساناً على من يريد ، فيضاً لنبسط له روح الحسن كما تُسرّ به نفس المحسن اليه . على حد قول القائل :

(تعوّد بسط الكف حتى لو انه اراد أنقباضاً لم تطمه أنامله)
(بفيض سروراً كلما فاض سيّبه كأنك معطيه الذي انت نالته)
(فلو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتقى الله سائله)

وهذه السجية موهبة من مواهب الله عز وجل تخصّ بها من طاب عنده . وسمت أعراقه من عباده . فلا تأتي تكلفاً ولا تطبعاً : فان الخيل اذا تظاهر الجود حيناً من الدهر لغرض في النفس . او حياء من الناس او تطال لمنزلة الاجواد لا يبطي ان يعود الى سالف حاله . وسابق رخسّه . ولقد صدق من قال :
(كل امرئ راجع يوماً أشيمته وان تخلف اخلاقاً الى حين)

وكفى بالكرم شرفاً انه من صفات الجمال المطابق والكمال الآهي والله فيه من الاسماء الحسنى . الكريم . والاكرم . والجواد . والمُعطي . والحنن . والواهب . والرهاب . والرازق . والرزاق . وما بعد ذلك من حاجة لمستزبد .

وللعرب في الكرم كما قلنا الطراز المعلوم . والحظ الأوفر . والذكر الشائع . وإن أمة نشأ فيه أمثال (كعب بن مامة) الأيادي الذي آثر رفيقه على نفسه بنصيبه من الماء وهو يموت من الظما . واضراب (حاتم الطائي) الذي ذبح أيام المجاعة فرسه ليطعم ضيوفه وأهل بيته ، وهو جائع لا يبق لنفسه قوتاً . واشباه (هريم بن سنان) المرتي الذي كان يحمل الديار عن ذوي الثارات ليصلح بين القبائل حجاً للدماء ، وإزالة للشحناء . وأنداد (صعصعة بن ناجية) الدارمي التميمي جد الفرزدق الشاعر المشهور محبي الوئيدات أي البنات اللواتي اعتاد العرب في جاهليتهم أن يدفنوهن حيات ليأمنوا شرّ إملاقهن في الجماعات وعارسين في الغارات : فإن (صعصعة) هذا كان يفتدمن من آبائهن بالمال استخياءً لهن حتى جاءهم الاسلام فخرم فيما حرم الوأد . ومنعه بعد اذ كان (صعصعة) استخيا اربعائة فتاة وفي ذلك يقول حفيده الفرزدق :

(وجدتني الذي منع الوائدات واحي الوئيد فلم يواد)

أجل ! إن أمة نبغ فيها أمثال هؤلاء الأجواد في الجاهلية . ومثبات بل الوف غيرهم في الاسلام ممن نصرب بجهودهم الأمثال . ونفيض بذكر ماثرهم الاندية والادوية — لجديرة بالقول انها الجلية في مضمار البذل والعرفان بين أم الأكوان . منذ خلق قحطان حتى هذا الزمان .

ولم يقتصر الكرم العربي على الرجال فقط فقد نبغ في نسائهم من حاكينهم فيه : فسةانة بنت حاتم كانت كأبيها تقري الضيوف وتهب الالوف وتكسو الفقراء الشفوف . ولانباي . وأم البنين بنت عبد العزيز الأموية تعنق في كل يوم رقبة وتحمل عتيقها على فرس وتقول « لو كان البخل قيصاً ما لبسته . ولو كان طربقاً ما سلكته » .

وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : ارسل اليها عبدالله بن الزبير مئة وثمانين الف درهم فقسمتها بين الناس فمأمت وعندها منها درهم واحد . ولقد روي عنها ايضاً انها احسنت بسبعين الف درهم في يوم واحد وهي في درع مرفع لا ثوب لها سواه . وسكينة بنت الحسين رضي الله عنها كان يحتمك اليها مجيدو الشراء كالفرزدق وجرير وجميل وكثير ونصيب فتسمع ما يقولون وتحكم بينهم ثم تحسن اليهم حتى انها اعطت جميلاً العذري في يوم واحد كسوة وطيباً وخمسمائة دينار ولكل من رصفائه مئة مئة .

وزبيدة ابنة جعفر زوج الرشيد : لقيها نصيب (الصغير مولى المهدي) في طريق الحج فترجل وأنشد ابناً منها :

(سيستبشر البيت الحرام وزمزم بأُم ولي العهد زين المواسم)

(ويعلم من وافي المختب أنها ستحمل ثقل الغرم عن كل غارم)

فجادت عليه بعشرة آلاف درهم وفرس .

والعباسة بنت المهدي مدحتها جند بنت نصيب هذا باربعة ابيات آخرها :

(عليك ابنة المهدي عودي ببابها فان محل الخير في حيث حلت)

فأمرت لها بثلاثة آلاف درهم وكسوة وطيب .

وأُم سلمة زوج السفاح سمعت كلاماً مستحسنًا قاله خالد بن صفوان لزوجها فأمرت

له بخمسة بدر وخمسة حلل .

وفما ذكر غنى عما لم يذكر من امثال هذه النوادر الدالة على جود ربات الحجال

فان المقام مقام الماعز واليماز لا مقام تفصيل وإسهاب .

ولم ينه الكرم باهله الى هذا الشأو ، ويرتفع بصاحبه الى الأوج الاسمى من المجد

والسؤدد الا لانه المرأة الصافية التي تتجلى من شعاعها عاطفة الانسان نحو اخيه

الانسان . ومبلغ ما تكنه الافئدة النقية من شواعر الرقة والرأفة والحنان . فهو كما

لا يتجهلون ابن الرحمة وأثرها الظاهر للعيان : فان الأريحية لا تلبث في النفوس

فتنفض على الأ كف فتتهلل لها الوجوه بحيث تكشف ضياءً ، وتزحزح بلاءً ، وتدفع

مصيبة . الا اذا مست الرحمة قلوب أصحابها ، وتسربت الشفقة الى صميم شغافها .

فتحدو بها الى اغانة ذي الحنة بالمال الذي يسمونه سيد الارض ، وعديل الروح ،

وقاضي الحاجات — وما إطلاقه من الايدي بالهين السهل — لولا ذلك الشعور

الفاعل بالاعصاب الحساسة فعل الكهرباء الا وهو الرحمة الباعثة على المكارم .

ولقد جاء في الحديث النبوي الكريم « ارحموا من في الارض يرحمكم من في

السماء » فالمراد من الرحمة هنا ليس التوجع والتفجع لمصائب الناس فحسب ، بل يراد بها

مع ذلك ظهور آثارها بالمعونة والإغاثة والامداد مالا وجاهاً وعملاً على قدر الوسع

والطاقة بلا من ولا إذاعة ولا استعلاء . لان الرحمة غير المقرونة بالإحسان والإسعاف

لا نفع لها ولا جدوى مادامت مقصورة على التأوه والتألم فقط ولا نهدها الى الإغاثة والمعاونة التي هي أس العمران ودعامة الحياة وركن الاجتماع .

يظن بعض الناس ان التعاون انما يراد به ان يكون احدا مثلاً نسيجاً والآخر حرأناً ، والآخر نجاراً . فيتبادل كل منا حاجته من الآخرين بالشراء بحيث تستغني الافراد عن تعدد الاعمال التي تقتضيها الحياة . وهو ما يقال له (توزيع الاعمال) وتبادل المنافع . وعليه تجري جميع أمم الارض . وبه تقوم الحضارة . ويصلح شأن الجماعات في كل عصر ومصر .

أجل ان ما وصفناه هنا انما هو ضرب من ضروب التعاون الذي هو نتيجة ضرورية وطبيعية لحياة المجموع . وليس هو التعاون كله : فان له ضروراً أخرى أهمها ما كان صادراً عن عاطفة الرحمة : فان الحياة الدنيا كثيرة المعثر والصدقات والجوائح والأمراض . فاذا لم يكن كل فرد عوناً لصاحبه او لمن حوله من بني نوعه حال عثاره ومحنه سقط المجموع لتخاذل الافراد وآل امره الى النعس والشقاء المؤدبين الى الضعف والوار والانقراض وهيمات يتوفر لأمة حظ او يستقيم لها شأن الا بهذا الضرب من التعاون المجاني الطوعي الذي نسميه هنا كرمًا وإحساناً وعاطفة ورحمة بل بمقدار ما يزداد عداد الرحماء الكرماء المحسنين في قوم زادت حياتهم بسطة ومنعة ومعيشتهم راحة ودعة . وظهر في أفرادهم ومجموعهم من آثار القوة والنعمة ما ينيلهم الغبطة والسعادة والنعيم والهناء والعكس بالعكس . ولكن قل من يفكرون .

لقد مرّ بكم ياسادتي عن الكرم واسمائه ومعانيه وحدوده ومنزله وأنواعه وتأثيره في المجتمع الانساني ما يحتمله المقام . ولقد رأيت قبل ان أعالج تقسيمه الى اقسام تميز فيها منافعه من مضاره ان أروي لكم لمعاً من مكارم الأجواد من السلف مما فيه فكهة وعبرة وذكرى .

فمن هؤلاء (حاتم الطائي) الذي مرّ بكم ذكره وهو أشهر أجواد العرب ذكراً وأبعدم صيتاً . واليه ينسب الكرم في الجاهلية . فيقال (كرم حاتم) كما ينسب في الاسلام الى البرامكة وزراء الرشيد فيقال (كرم برمكي) .

وكان حاتم هذا مع جوده شاعراً مطبوعاً وبطلاً مغواراً وغازياً مظفراً اذا قاتل

غَلَبَ ، واذا غَنِمَ أَنهَبَ ، واذا سئِلَ وهبَ ، واذا ضرب بالقَداح فاز ، واذا سابَقَ سبقَ ، واذا أَمَرَ أطلقَ .

ومما نفوّق به على أقرانه حتى كان سبباً لشهرته وإذاعة صيته انه كان يرسل عبده في ليالي الشتاء الباردة المظلمة فيضرمون النار على رؤوس النجاد ، وفي مفارق الطرق ، ليهتدي به أبناء السبيل ، فيقصدونه للقرى والمبیت . فاذا جلبت النار ولو ضعيفاً واحداً عتق موقدها من الرقّ سروراً بضيئه . وفي ذلك يقول مخاطباً عبده :

(اوقد فان الليل ليلٌ قَرٌّ عسى يرى نارك من يمرّ)

(ان جلبت ضياءً فأنت حر)

وكان اذا أهلّ الشهر الاصم الذبيّ تعظمه العرب في الجاهلية فخر كل يوم عشراً من الابل . فيطعم الناس . فلما زاد إتلافه للمال وهو لا يزال سيفه حجو اوليائه ارسله ابوه وقيل جده الى المراعي ليعمده عن الناس . فمرّ به هناك ثلاثة من الشعراء وهم عبيد بن الابرس وبشر بن ابي حازم وثابتة بن ذبيان . ففرّق بينهم مالا أهله من الابل وقفل الى الحبيّ مسروراً كمن عاد من ظفر او غنيمة . ولما سأله جده سعد عن الابل قال له « طوّقتك بها طوق الحمامة مجدّاً وكرماً » فقال مغتاضاً (شهد الله انني لا أساكنك بعد اليوم ابداً) ثم ترك له جاريةً وفرساً ذات فليج ورحل عنه . وفي ذلك يقول حاتم من ابيات :

(وما ضرّني ان سار سعدٌ باهله وافردني بالدار ليس معي اهلي)

(سيكفي ابنتا المجد سعد بن حشرج واحمل عنكم كل ما ضاع من نفلي)

فما عثم ان جاءه جماعة من بني أسد وقيس . وقالوا له : ان لنا صاحباً فقد راحلته فقال حاتم خذوا فرسي هذه واحملوه عليها . فلما اخذوها تبعها المهر فجرت الجارية وراءه لتمسكه وتعيده فصاح حاتم بالقوم « ماتبعكم فهو لكم » فذهبوا بالجميع اي بالفرس والمهر والجارية . وبقي وحده لا يملك شيئاً .

ومرّ في احد الاشهر الحرم بقوم من بني غنزة واذا باسير لم يدعوه باسمه ويقول له : انقذني فقد اكثني الاسار . فقال له : ويحك ما انصفتني فقد نوهت بي واستجدتني وانا هنا غريب ولا مال لي . ثم ساوم القوم واقتداه منهم على مال معلوم . وقال لهم :

خأوا سبيله . وانا أقيم مكانه في قيده حتى أعطي الفداء ففعلوا وما يرح أسير القوم
يقامي الدل والامتهان حتى تيسر له الوفاء .

وقيل نزل عليه ضيف ولم يكن عنده شيء فخر ناقة الضيف وأطعمه منها . ثم قال
له قد نحرت ناقتك فاحتكم قال (راحلتين) قال حاتم لك عشرون أرضيت قال نعم
قال فلك اربعون . ثم قال لمن لديه من قومه من اتاني بناقة الآن فله ناقتان بعد
الغارة فانوه باربعين فدفعها للضيف . وأدأها لهم ثمانين .

وكان قيس بن عاصم المنقرية من سادات العرب وأجوادهم فنزل به ذات يوم
ضيف فأطعمه وأكرمه جرباً على عادته . واذا بقومه بتصارخون ونسائه يبكين .
فسأل ما الخبر ؟ فقالوا له ان ابنه قُتل . وان القاتل هو الضيف . فقال ما لكم اليه من
سبيل . فقد دخل في ذممي وشترم بطعامي . ثم عزل من ماله دية القتل ودفعها
الى أمه . وما زال يرعى ضيفه ويتحارسه حتى بلغ حماء .

وكان قيس هذا اذا قدموا له طعاماً يقول التمسوا اكيلاً ايسه ضيفاً يأكل معي
فلم يأكل مرة وحده .

وسمى ناسف العرب بابواء الضيف وإطعامه كائناً من كان انما هو كونهم اهل
مضارب وخيام واصحاب إبل وشاء . يدفعهم الاحتفاظ بها . والقيام على تربيتها وانماها
الى اقتجاع منابت السكلاء وارتياذ مناهل الماء فهم ابدأ مشقة لون من مرتع الى مربع .
ومن سهل الى واد . لا يستقر بهم مكان . ولا يقوم لهم بنيان . فلا يجحد المسافرون
منهم في طول تلك البوادي وعرضها نزلاً او خاناً او دسكرة للبيت او الطعام كما
يوجد في المدن والعواصم على النحو المعروف منا الآن . فيلجأون بحكم الضرورة الى
استضافة بعضهم بعضاً التماساً للراحة والنوم والقوت . وتخلصاً من وحشة الانفراد في
حنادس الليل . ووقايةً لنفوسهم مما قد يفاجئها في تلك القلوات الخالية من عدوة
غادر ، او اسد كاسر ، او وحش جائع نافر .

فمن كان من ساداتهم واشرافهم كريم النفس ، واسع النعمة ، طلاباً للشهرة رفع عماد
سراجه ، وتوسطه الحي تمهيزاً له عن سواء ليقصده المسافرون فيبدل طعامه للصادرين
والواردين والرائحين والغادين ، ولو كابد في ذلك عرق القربة ومنعه المشقة .

ولقد شاعت هذه المكرمة فيهم . وتمكنت من خاصتهم وعامتهم . حتى عُدَّ
لأضرارها عنها والزهد فيها عاراً وسباً تشتم فيها البناء عن الآباء . وتذم الأحفاد
عن الأجداد . ولقد بطرق الضيف ارملةً عجوزاً وحيدة لا مال لها الا شاة او عزر
ثقتان بدرتها وتكتسي بصوفها او شعرها فتدبحها اكراماً لضييفها وهي طليقة الوجه مبدولة
الأنس ثم تبقى الى ما شاء الله أليفة الفقر حليفة البؤس فيحسب عملها هذا مأثرة لها
يتحدث بها فتيانهم . ويتناقضون ركبائهم الى امد مديد .

ولا يزال ذلك شأن البدو وبعض اهل المدر حتى يومنا هذا : فكم وكم في بلادنا
هذه من شيوخ عشيرة او قرية لا تطفأ ابدانهم ولا تنزل قدورهم ببسطون كل يوم
عشرات من الاسمطة للذاهبين والآيبين ويزلون العلف والماء لخيول المقيمين والراجلين
لا يلتمسون عن ذلك بدلاً ولا يبتغون اجراً . الا طيب الاحدوثة ونباهة الذكر . وغاية
ما يبتطلون اليه من دواعي الفخر ان ينزل بهم ضيف خطير فيخرون له كبشاً . ويطببخون ارزاً .
ويجمعون اهل الحي او القرية على جفائهم فيأكلون هنيئاً مريئاً . وينقلبون حامدين شاكرين .
واذا استقرأنا ياسادة مامراً بكم من اخبار الكرم الجاهلي نجده منحصر في اربعة انواع :
وهي بذل الديات عن متحاري القبائل والعشائر كما كان يفعل هـ ر م بن سنان ، واستحياء
المؤثودات من البنات بافتدائهن من آباءهن بالمال كلما ثور عن صمصعة بن ناجية جد
الفرزدق . واقتداء الاسرى بالمال او بالنفس كما فعل حاتم باسير بني عذرة . وقرى
الضيوف وابواء ابناء السبيل كما هو شائع عند الجميع .

وهذه الأنواع الاربعة منبثقة بالضرورة عن الحاجة فهي والحالة هذه متلائمة مع
عادات ومعايش الوسط الناشئة فيه . موافقة كل الموافقة لاقوام رحالين ذوي غزوات
لا تنقطع ، وأسفار لا تهدأ ، وعداوات لا تزدل . وفي ذلك برهان على ان اولئك
البدو أقدر من كثيرين منا على ازالة سخائهم مواضعه . بخلاف ما فعل حاتم من توزيع
مال جده برمته بين ثلاثة من الشعراء سرفاً وتبذيراً . واعطائه ضيفه بدل المائة التي
نحرها لأطعمته اربعين ثم أداء الاربعين الى قومه ثمانين بينما هو فقير وقير لا يملك من
حطام الدنيا الا ما يؤمل اغنائه من سلب ونهب عن طريق الغزو والحرب . فان سيفه
ذلك من سفه الرأي ما لا يصدر عن عاقلٍ مفكر بصير .

بعد ان ظهور الاسلام وانصواء منفرقي القبائل وشذاذ القوم كافة تحت لوائه
بعد ان كادت تطحنهم الأحقاد والضغائن . وتأكلهم الحروب والغارات . ثم دخولهم
عن طريق الجهاد والفتح في بلاد الفرس والروم وما برأهما من شواسع البلاد وأطراف
الممالك وانتقال الخلافة من الحجاز الى الشام على العهد الأموي ثم الى العراق على
العهد العباسي . كل ذلك قد وسّع نطاق الكرم العربي وحوّله الى جهات أخرى .
فلمن فيه أجواد ذلك العصر الذهبي ثقتنا ينطبق على حضارتهم المكتسبة وثروتهم المغنمة .
وترقيهم الناشئة حتى صار أميركم من زائدة الشيباني — وهو من صنائع المنصور ورجاله —
يركب في قسيته نصالاً من الذهب فيرمي بها العدو والصيد وفي ذلك يقول الشاعر :

(يركب في القسي نصال تبري و يرمي للعدى كرماً وجوداً)

(فالأسرى شفائه من جراح وأ كفان لمن سكن اللجوداً)

ومع هذا رجل عصامي . نشأ في بني شيبان وكان أدلّ بهدي على الخليفة المنصور
بان أنقذه من تهلكة فرفع شأنه . وأسنى مقامه . حتى صار أميراً مدحاً يشار اليه بالبنان .
وقد اشتهر بالحلم كما اشتهر بالكرم حتى قيل انه لم يغضب . ولم يمتنع قط .
ولما شاع عنه هذا الخلق وتداولته الألسن تراءى احد شعراء الأعراب مع قوم
على مئة بعير يُعطاه اذا استطاع إحراجه وإخراجه عن حلمه ويعطيهم مثلاً اذا أخفق .
ففاجأه يوماً وهو على سريره بين أشراف قومه وخاصة اهله . وابتدعه بلا تحية ولا
سلام بقوله :

(أتذكر اذ لحافك جلد شاة واذ نملاك من جلد البعير)

فبُهِتَ الحضور من حجة الرجل وسوء أدبه وتعمده الخط من كرامة الأمير .
اما معن فبقي محافظاً على سكينته وأجابه بلا حدة ولا استياء قائلاً : نعم اذكر ذلك
ولا انساه . فقال الشاعر :

(فسبحان الذي أعطاك ملكاً وعلمك الجلوس على السرير)

فقال معن : سبحانه على كل حال . فقال الشاعر :

(أمير يا أكل الفالوذ مرّاً ويطعم ضيفه خبز الشعير)

فقال معن : الزاد زادنا . نأكل منه ما نشاء . ونطعم ما نشاء . فقال الشاعر :

(فلست مسلماً ان عشت دهرأ على معن بتسليم الامير)
 فقال معن : السلام سنة تأتي بها كيف شئت . فقال الشاعر :
 (سأرحل عن بلاد انت فيها ولو جار الزمان على الفقير)
 فقال معن : ان جاورنا فرحباً بك . وان رحلت فمحبوب بالسلامة . فقال الشاعر :
 (بجدي لي يا ابن فاعلة بني . فاني قد عزمت على المسير)
 فقال معن : أعطوه الف درهم . فقال الشاعر :
 (قليل ما أتيت به واني لا أطمع منك بالمال الكثير)
 فقال معن : أعطوه الفاً أخرى . فقدم الشاعر الى سرير معن وقد يس من
 إغضابه فقبل يده وقال :
 (سألت الله ان يتيك ذخراً فمالك في البرية من نظير)
 فقال معن : أعطيناك على هجونا الفين فأعطوه على مدحنا أربعة آلاف . ولما
 عرف منه قصة الرهان الباعثة له على هذا التهجيم أعطاه ايضاً مئة بعير مكان التي
 خسرها بالرهان . ومئة أخرى بدل التي كان يتوقع ربحها .
 واحاديث معن في الكرم اكثر من ان تحصى . ومما قيل فيه رثاء له بعد موته :
 (كأن الشمس يوم أصيب معن من الظلماء لمبة جلالا)
 (وكان الناس كلهم ملعن الى ان زار حفرة عيالا)
 وقيل دخل يزيد بن مزبد مسجداً باليمن فوجد في قبلته مكتوباً :
 (مضى معن وخلفني بيعتي على معن بن زائدة السلام)
 فسأل يزيد عن قائله ولما اهتدى اليه أعطاه الف دينار . فقال الرجل يرحم الله
 معن : فقد أحسن اليّ حياً وميتاً .

ومن فنون السماحة عند العرب قبل الاسلام وبعده ان يقصد الرجل جواداً منهم
 يؤدي عنه مهر فتاة أحبها فخطبها ولا مال له فيحمل عنه المهر . ما كان جسيماً ويعطيه
 ما ينفق في ولاية بنائه بها . كما فعل عمرو بن أبي ربيعة الشاعر غير مرة . وهو ايضاً
 من أفضل أنواع الكرم وأنعمها في الحسن اليهم كما لا يخفى .
 اما صلات الشعراء بالألوف وعشرات الألوف فهو شأنهم بدواً وحضراً وجاهليةً

وإسلاماً . وقد فاضت بأخبارها كتب التاريخ . والأدب العربي حتى لم تبقى حاجة لمستزيد .
ومن لطيف فكاهات هذه الصلات . ان علي بن جبلة مدح أبا دُلف القاسم بن
عيسى العجلي أحد كبار قواد المأمون ثم المعتصم بقصيدة منها هذان البيتان :

(انما الدنيا أبو دُلف بين يديه ومحتضره)

(فاذا ولى أبو دُلف ولّت الدنيا على أثره)

فأعطاه ألف دينار . ثم بينما كان بعد أعوام يسير أبو دُلف في بعض الأزقة مع
رفيق له إذ أشرفت فتاتان من قصر فسمع احدهما تقول للآخرى « انظري : هذا
أبو دُلف الذي يقول فيه الشاعر » « انما الدنيا أبو دُلف الخ » فقالت الآخرى :
أو هذا هو ؟ قد والله كنت أحب ان أراه منذ سمعت ما قال فيه ذلك الشاعر . فالتفت
أبو دُلف الى رفيقه . وقال له : ما انصفنا علي بن جبلة ولا وفينا حقه . فانه اعطانا
مجداً باقياً . واعطيناه مالاً زائلاً . وان ذلك لمن اكبر همي . ثم بعث الى علي . وكان
مريضاً لا يقوى على مفارقة بيته بالف دينار ولا زال يبره ويواصل إحسانه اليه حتى مات .
ومن عجيب امر أبي دُلف هذا انه مع فرط سخائه بالمال كان بخيلاً بالطعام حتى
اشتهر عنه ذلك ف قيل فيه :

(أبو دُلف يجود بالف الف ويضرب بالحسام على الرغيف)

(أبو دُلف لمطبخه فتار ولكن دونه ضرب السيوف)

ومن أغرب نوادره سيف الصرلات انه لكثرة جوده قد ركبته الديون حتى لزم
داره واشتهر عنه ذلك فدخل عليه بعض الشعراء وأشد :

(أيارب المنايا والعطايا ويا طلق الحيا واليدن)

(لقد خبرت ان عليك ديناً فزد في رقم دينك واقض ديني)

فقضى دينه ووصله . وأبو دُلف كان مع كرمه الذي تجاوز حد الاسراف وحمله
الذي لم ينقذه ولم يتأخر عنه من بضائحه فيه ذا رأي أصيل وغناء رخم وشعر جيد
وبأس شديد . وهي صفات ومحمد قلما اجتمعت في غيره . ومن شعره محملاً ومفتراً :

(أجد نفسي دون قومي دافعاً لما نالهم قدماً واغشى الدواهي)

(واقتمم الامر المخوف اقتحامه لا إدراك مجده أو أعواد ثاوي)

وله الايات المشهورة في الغزل الممزوج بالفخر :

(أجبك يا جنات فأنت مني مكان الروح من جسد الجبان)

(ولو اني أقول مكان نفسي خشيت عليك بادرة الزمان)

(لا أقدامي اذا ما الخيل حامت وهاب كاتمها حرّ الطعام)

فما مرّ بكم من اخبار معن واني دُلف هذين يظهر لكم مبلغ إسراف أولئك الناس وإغراقهم بالجود والبذل حتى كانوا يستدينون ويهبون ويغنّون غيرهم وينفقون وكلما توسعوا سيف العطاء على طالبي رفقهم ومستجدي فضاهم كان هؤلاء يفتنون في استنباط الحيل واختراع الأساليب للمبالغة باستدراار النعم منهم واستزادة أنواع الصلات والهبات لهم . متزلفين اليهم بضروب من الوسائل لا تمر على خيال مفكر ولا تخطر على فؤاد لبيب . حتى صار الشعراء والرواة والمغنّون في تلكم العصور اكثر الناس مالا . وأعظمهم جاهاً . وأوسعهم نفوذاً وتبسطاً وترفاً .

فالأخطى النعاني الشاعر كان يدخل على الخلفاء والامراء من بني أمية وهو يتبختر مثلاً وعجباً وفي عنقه قلادة الذهب ثم يخرج وفي يده الصلات الكبار والهبات الجسام ثم يشفع فيمن يريد فلا ترد شفاعته . كل ذلك لانه مدّأهم الجيد القائل فيهم :

(شمس العداوة حتى يستقاد لهم واكرم الناس أحلاماً اذا قدروا)

وجريرو التميمي اخذ من عبد الملك بن مروان عشرة آلاف درهم وعشرين راحلةً وجاريةً حسناء . لقوله في المروانيين :

(أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح)

ومروان بن ابي حفصة كان يرفل بالحرير والخزّ وينقلب على الاستبرق والديباج ويأخذ من المهديّ العباسيّ فما بعده من الخلفاء حتى المتوكل مئآت الالوف من الدراهم والدنانير لانه رجّح أحقية الخلافة للعباسيين على الفاطميين من آل البيت بقوله :

(أني يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثه الأعمام)

فيل لما دخل على المهديّ اول مرة وأنشده الشعر الذي يقول فيه هذا البيت وصله بسبعين الف درهم . وقال له هي لك مني في كل حول مادمت حياً . وفي ذلك يقول مروان مفتخراً :

(بسبعين ألفاً راشني من رحبائه وما نالها في الخلق من شاعر قبلي)
 وأبانُ بن عبد الحميد اللاحقي اخذ من الرشيد عشرين ألف درهم في أول مرة
 دخل عليه لقوله ضارباً على الوتر ذاته الذي ضرب عليه مروان بما يتعلق بأثر الخلافة :
 (نشدت بحق الله من كان مسلماً أعمُّ بما قد قلته العجم والعرب)
 (أعمُّ رسول الله أقرب زلفاً لديه أم ابن العم في رتبة النسب)
 (وأيهما أولى به وبهمه ومن ذاك له حق التراث بماوجب)
 (فإن كان عباس أحق بقلكم وكان علي بعد ذاك على سبب)
 (فأبناء عباس هم يرثونه كالعالم لابن العم في الإرث قدحجب)
 وأبو العتاهية مات عن سبعة عشرة بدره من المال لانه كان ملازماً باب الرشيد
 وأعقابه من بعده منقرباً الى قلوبهم بما يبدو في شعره من آثار الزهد في الدنيا مع انه
 كان من أشد الناس حرصاً عليها وطمعاً بها .

وابن الخياط الشاعر دخل يوماً على المهدي مستجدياً مادحاً فأمر له بخمسين ألف
 درهم . فلما قبضها فرقها بين الناس وأنشأ يقول :
 (لمست بكفي كفه ابتني الغنى ولم ادر ان الجود من كفه يعدي)
 (فلا انا منه ما افاد ذوو الغنى أفدت واءاني فبددت ما عندي)
 فأعطاه خمسين ألف دينار :

ودخل اسحق الموصلي المغني على الرشيد يصحبه الاصمعي الراوية وكان الرشيد
 منقبضاً كثيراً . فأنشده ابناً مطلعها :

(وأمرة بالبخل قلت لها اقصري فذلك شيء ما اليه سبيل)

وختمها :

(وكيف أخاف الفقر وأحرم الغنى ورأى أمير المؤمنين جميل)

فقال له الرشيد : « لله درّ ابنا تأمينا بها ما اشدّ اصولها . واحسن فصولها .
 واقل فصولها » . ثم احسن اليه بخمسين ألف درهم . فقال له اسحق : ان وصفك لشعري
 يا امير المؤمنين احسن منه فعلام آخذ الجائزة ؟ فضحك الرشيد . وقال اجعلوها له
 مئة ألف درهم . فقال الاصمعي الآن علمت ان اسحق احق مني بصيد الدرام .

ودخل يوماً ابو دُلّامة الشاعر على ابي العباس السفاح وكان كثير الإِِدلال عليه فطلب منه كلب صيد فأعطاه . فطلب غلاماً بقود الكلب . فأعطاه . فطلب دابة تحمل الصيد فأعطاه . ثم طلب جارية تصلح الصيد فأعطاه . ثم طلب منه داراً تجمعهم فأعطاه . ثم مالا ثابتاً ينفق عليهم من غلته فأعطاه ارضاً عامرة وارضاً غامرة ثم استبدل العامرة بالعامرة فجعل له الاثنين عامرتين .

فتأملوا يارعاكم الله كيف فرّق ابن الخياط الدراهم ليأخذها دنائره وكيف احتال استحق حتى جعل الخمسين الف درهم مئة الف وكيف تذرّع ابو دُلّامة بطلب كلب للصيد حتى توصل ببعض كلمات الى نيل هذه النعم المتواليّة التي تعود عليه بالخير الكامل والهناء الشامل . وفي ذلك من شدة الحرص على ابتزاز الاموال ما لا يتجملون . وكل ما اشرت اليه من احاديث الجود على إفراطه . وما أثر الاحسان على عظمتها . لا بعدة شيئاً في جانب ما كان يصدر عن البرامكة وزراء الهادي فالرشيد من مدهشات العطاء الذي تجاوز حدّ المعقول . وكاد يحسب من مبالغات اهل التاريخ : فقد كان لآل برمك في هذا الخلق القديح المعلن والسهم الأثقل والنصيب الأوفر حتى قيل عنهم انهم شفاء اسقام دهرهم . وغياث اجداب عصرهم . ومنزعة ملهوف في زمانهم لاسيما احدثهم الفضل الذي قال فيه ابو النضر :

(وللناس معروف وفيهم منائع) ولن يجبر الاحزان الاجدا الفضل)

(اذا ما العطايا لم تكن برمكية) فلك العطايا ما تمر وما تحلي)

وهم ولئن لم يكونوا عرباً في الاصل بل كان جدّهم الاعلى فارسياً الا انهم نشأوا في العراق وترعرعوا في دور الخلفاء . وخالطوا خاصة العرب وعظمتهم واقتبسوا آدابهم وعاداتهم حتى اصبحوا كأنهم من صميمهم .

كان البرامكة يخرجون بالليل سرّاً وهم منذكرون معهم الاموال صرراً بين الثلاثة آلاف والخمسة آلاف فيطرقون الأبواب من بهوت المحايج اهل الستر والحرمان فيدفعون الى اصحابها الصرة بعد الصرة . وربما طرحوا ما معهم في عتب الابواب فكان الناس لاعتبادهم ذلك يعدون الى العتب اذا اصبحوا فيأخذون ما يجدون . واتصل بخلفاء المصريين ان يحيى بن معاذ في حاجة وقد ركب من الدين ثلاثمائة

الف درهم حتى أرغم على إغلاق بابه توارياً عن غرمائه . فأخبر الفضل بن يحيى .
فقال له : دللنا على مكرمة . ثم امر له بمائة ألف درهم . وحمل الي يحيى بن معاذ
ثلاثمائة ألف درهم قضى دينه بها .

وخرج الواقدي من المدينة بعد ان ساءت حاله وركبه الدين فاصداً البرامكة
وهو لا يعرفهم وهم لا يعرفونه . فدخل على يحيى بأسمال من الثياب تحيط به الكآبة
والبؤس وقصاري ما يتناه الف درهم فدفع اليه كيساً ولم يعلم ما فيه . فلما تناوله خرج
مهرولاً حتى اذا انتهى الى بيته فتحه فاذا فيه اربعة آلاف دينار . فكاد يغشى عليه
من السرور ثم ما ابطأ ان ابتاع اثواباً اصلح بها حاله وبكر من الغد على يحيى ليوذعه
ويشكره فتومم فيه يحيى علماً وفضلاً وادباً فقال له أقم عندنا ولك مثلها في كل عام
فأقام عنده عزيزاً مكرماً موسماً عليه حتى فرت بينهما النكبة .

ونظم أبان ابن عبد الحميد كتاب كليله ودمنة شعراً ليسهل حفظه مبتدئاً بقوله :
(هذا كتاب ادب ومحنة وهو الذي يدعى كليله دمنه)

فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار . واعطاه ابنه الفضل خمسة آلاف
دينار . وقال جعفر سأستظهر كتابك هذا . وحسبك مني ان اكون روايتك فيه .
وما الممت عنه من مكارم البرامكة ان هو الا صباية من بحر مما يؤثر عن هذه
الاسرة التي لم يقم بعدها ولا روي عن احد قبلها من يحاكيها او يتحداها بالوجود
الفائض والسخاء الاتم لاسيما على المحاويج من اهل النعمة وهبات المجد والعلم والفضل .
خلافاً لسيف الدولة الحمداني صاحب حلب الذي كان يصادر اموال الناس ويبتز
مواريثهم لينعل افراس شاعره ابي الطيب المنيني بالعسجد . ويهب سائر من يقف ببابه .
ويلتف حوله من الشعراء فأرات المسك ونوافج العنبر . ونقائس الخلع والالوف المؤلفة من
الدنانير لقاء ما يسمعون من الاطراء غير المعقول كقول ابي الطيب مخاطباً اياه :
(كأنك في ثوب . وصدرك فيهما على انه من ساحة الارض أوسع)

وفي ذلك وامثاله ما يخالف قواعد الاجتماع ، وسنن العطاء ، وقوانين الاقتصاد
في هذا العصر الذي لكل نفقة فيه حساب ، ولكل بذل مقياس ، فان ابواب المثرين
والمتمولين في الغرب من ملوك وامراء وسوقة محجبة . وخزائنها مقفلة دون امثال

هؤلاء المداحين المخرفين . وانهم يبدلون الملايين في سبيل مشروع خيري او معهد علمي . ويرصدون مئات الالوف لمن يكتشف مثلاً دواءً ناجعاً للسل او السرطان او الطاعون . ولهمون . ما هو فوق المأمول لمن يؤلف احسن كتاب في التربية او نوع من العلوم . ولا يبدلون ديناراً واحداً لمستجد او مداح كاذباً كان او صادقاً بل يقولون له انصرف الى العمل مادمت قادر أعليه فان عجزت لك من ملاحج العجزة ما يغنيك عن التسول المذاني لسنة الحياة . فان الانسان المذاني خلق للعمل . لا ليعيش كلاً على عوائق الناس . وفيه هذا القول ما ينطبق على ما اوحته الشرائع التي اجمعت على وجوب العمل وكراهة البطالة حتى عد العمل ضرباً من العبادة . وما دام الانسان معافى سيفي جسمه وعقله لا يجدر به ان يكون ساقط المهمة ، دنيء النفس ، يبدل ماء وجهه التاماً لما في ايدي غيره من ثمرات اتمائه ليعيش على بساط الراحة والهدوء والخيول مشغلاً من معصية الى كبيرة . ولا بدع ولا خرابة فان رأس البطال مخزن الشيطان . والاحسان الشفهي انما يكون للارملة واليتيم والمريض والسجين والعاجز والمذموم . لا لرجل اشده اقوياء يقاسمونه مالاً استجداءً وتحملاً . لبيدوه في سبيل شهواتهم وهم رادعون . والكرم بوجه عام يقسم الى ثلاثة اقسام : القسم الاول ما نسميه (الكرم العادل) ويحقق صاحبه ان يسمى الحسن الجواد . والقسم الثاني (الكرم الجائر) ويقال لصاحبه المسرف المتلاف . والقسم الثالث (الكرم الاحق) ويدعى صاحبه المبدتر السفيف .

❦ القسم الاول ❦

« الكرم العادل »

هو الكرم الحق الذي يستحق وحده ان يسمى كرمًا . وله شرطان : الشرط الاول ان يكون من فضلة مال الحسن لا من صلبه . لانه اذا كان من صلب المال لا يلبث الحسن مهما كان ثرياً واسع النعمة ان ينفقر فيظلم نفسه وابنته وبلاده : اذ يصح عاجزاً عن الكسب ، قاصراً عن الاحسان ، بل عالة على سواه . وهنا تقبل حكمة الآية الكريمة (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) : الشرط الثاني ان ينزل المرء احسانه منزله ويضعه في محله بحيث ينفع الحسن اليهم نفعاً صحيحاً . لا يضر مستقبلهم واخلاقهم وعاداتهم .

ولنضرب لذلك مثلاً — زيد متوسط النعمة ، ربحه السنوي الف دينار ، ينفق منها بلا تبذير ولا تقدير ثلاثمائة ، ثم يقسم الباقى وهو سبعمائة ، الى شطرين احدهما يضيفه الى رأس ماله انما له ، وتحوطاً لعثرات الايام ، والآخر يرصده للاحسان . ان شاء احتسبه الى ان ينمو ويتضاعف بما يليه في مستقبل الاعوام بحيث يصبح كافياً لاحسان ثابت عام : كل إنشاء مدرسة او مكتبة او مأوى للايتام . تدو فائدته ، ويعم نفعه ، ويبقى لصاحبه الذكر الخالد . وان شاء أطلقه لوجوه بعض الاحسان الخاص كامداد عائلة أخنى عليها الدهر فسلمها نعمتها حتى كاد ينكشف سترها ، ويفتضح امرها ، بحيث تصبح مضغة في أفواه الشامتين ، او إغاة تاجر امسى على شفير الافلاس . فينقذه من ذل النقاضي ووبال السجن بان يعاونه سرّاً على نفقائه وايفاء ما استحق اجله من ديونه الى ان يأذن الله بالفرج . او ان يتوسم باحد اولاد البؤس النباهة والذكاء فينق على ثقيفه وتعليمه ما يصير نافعاً لأسرته . جلاباً للفوائد له ولوطنه . فلا يبقى تعساً يعيش كالحشرات ، عالة مفسداً ، ويموت ذمياً شقيماً غير مأسوف عليه . الى غير ذلك من ضروب المكارم التي تحفف الآلام ، وتزيل الحزن ، وتفرج الكرب ، وتجلب الفوائد .

هذا هو الكرم العادل الذي لثمشى عليه الأمم الراقية الآن . فيرضى عنه الصواب ونقر به عين الحكمة ، ويتوفر فيه شروط الاحكام والانقان والانصاف . فلا يظلم المحسن بان يستهلك ماله في سبيل ارضيحته ، ويصبح من المملقين بل يدوم راتعاً في نعمته ، مقيماً على كسبه ، قديراً على مواصلة الاحسان لبني جلدته ، مستغنياً عن استجداء من لا خلاق لهم ولا مروءة ، ولا يظلم المحسن اليه بان يكون ميالاً الى البطالة ، فيغيره بما يناله منه غنيمة باردة على الكسل وبفض العمل ، وتبديد ما يعطاه في سبيل اللهو والزهو والشبهوات .

أجل ان هذا النوع من الكرم يا سادة هو المعول عليه عند بعيدى النظر من متولي الغرب . وكل ما ننظره ونسمع به . او نقرأ عنه من المرافق الحيوية والمعاهد الادبية والعلمية . والملاحجى الخيرية القائمة في طول البلاد وعرضها على تضارب أنواعها ، ونفاوت مراميها وغاياتها ، انما هو اثر من آثار هذا الضرب من الاحسان .

وهو لسوء الطالع مفقود ، او يكاد يكون مفقوداً تحت سماء هذه البقعة التي كتب عليها منذ مئتين من السنين الغبن والحيف والجهل والحرمان .

أجل ثم أجل ياسادتي فان بهذا الكرم رُفِعَ منار الانسانية ، وتمنعت دعائم العمران ، وتمهدت للامم الغربية سبل السعادة والغبطة والحضارة ، وخفت عنها وطأة شقاء الحياة وبؤسها . ولولاه لكان العجزة منهم بأنون منطرحين في زوايا الطرق ومنعرجات الأزقة ، شاكين آلام الامراض والجوع والفتنة يلبسون الموت فلا يجدونه . ولكان ايتامهم وناشئة النساء منهم هائمين على وجوههم ، يكتشفهم الجهل والفساد ، ويحيط بهم الذل والمسكنة مما نرى أمثولة بيننا كل يوم . والعين تقطر دماً ، والقلب ينفطر حزناً . فان بهذا النوع من الكرم لا يغيره أنشئت مكاتب وملاجئ للعمي والصم والخرس والمقعدين . يتعلمون بها القراءة والكتابة والحساب وضرورياً من الصناعات التي تلائم أحوالهم . فيبشرون رغداً آمنين مطمئنين . فلا يكونون عبئاً ثقيلاً على عوائل الناس ، فيكرههم اهلهم ، ولنبو بهم الارض ، وتبكي عليهم السماء .

وبه لا يغيره ترقى العلوم والفنون والصناعات ، وزاد الاكتشاف والاختراع حتى سخر الانسان العناصر لخدمته ففاص مسافراً في الماء . وركب طائراً في الهواء واستنار بالكهرباء . واستخدم البرق لنقل الاخبار . والبخار لجبر الانتقال وسرعة الترحال . الى غير ذلك مما لوروي الى اسلافنا لعدوه خرافات واساطير تحكى ولا نعقل ، وتروى ولا تحيّل .

هذا هو الكرم الحق الذي يرج باصحابه الى مقام الاعلام المحمدي الاثر الخالدي الذكر لا ما افتخر به عنبرة العباسي بقوله :

(ولقد شربت من المدامة بعدما ركد الهواجر بالمشوف المعلم)
(بزجاجة صفراء ذات أسرة قرنت بأزهر بالشمال مفدم)
(فاذا شربت فاني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم)
(واذا صحت فما اقصر عن ندي وكما علمت شمالي وتكرمي)

فان من يفخر بسكره ويستهلك ماله كله في سبيل أريحته عادلاً كان او جائراً مثلاً او صاحباً هو الى الجنون أقرب . وخليق مثله ان يحجر عليه الى ان يصبح من العاقلين .

﴿ القسم الثاني ﴾

« الكرم الجائر »

وهو الذي يجور على صاحبه المثري فيستكثر ما لديه مما تركه له آباؤه او جاءه عن طريق الصدق والاتفاق . فيأخذ بالتوسع في العطاء والاسراف في الاتفاق . فان مشى أحاطت به حاشيته من اهل البطالة والهم . وان جلس طوّقه فريق من اهل الارض ، الطمع والنفاق . وان ركب ركب في موكب يشبهه . واكب المملوك . يقصده المحتالون المنفقون من كل ارب وصوب . فيغدق عليهم النوال ويكبله لهم جزاءً ليقال عنه انه جوادٌ وماب . يُعطي بغير حساب . فلا يمرّ عليه حين من الدهر حتى يصبح ككثيرين من اولاد البيوتات في بلادنا خالي الجيب بادي الانفاض . متدهوراً في مهواة اليأس واليأس ، فهو ظالم لنفسه ، لانه أفقرها وأذلها ، ظالم لعائته وذوي قرابه لانه أوجههم وأشقايم ، ظالم لمن أحسن اليهم لانه أغراهم بالتسول والكسل ، وكرامة العمل . فأصحاب هذا القسم من الاحسان آفة الوطن الكبرى ، وبلاؤه الادهم ، وشره المستطير . ولو تدبروا ووعوا لكان لهم من تراث آباءهم وتليد أموالهم وطارفها ما يقوون به على استدرار أخلاف النعمة . واستعمال ما أودعه الله في فطرتهم من مزايا البذل في موضع مع الاعتدال والروية والرفق . فعاش كل منهم سعيداً مجيداً ، ومات فقيداً حميداً ، حافظاً له الوطن واهله مكرماً تعود عليه بحسن الاحدثة وآثاراً شلّد له الثواب ، ولكنهم لا يتدبرون .

﴿ القسم الثالث ﴾

« الكرم الاحمق »

ينشأ ابن النعمة في بيت ابيه طاعماً كاسياً مخدوماً مكفئاً المؤنفة لا يطالب بشيء الا ان يكون رجلاً كاسباً مقنصداً نافماً . فيلج باب الاعمال مديراً او كاتباً في احدى الخطط الاميرية او المؤسسات التجارية براتب لو تدبر فاحفظ به ، وحرص على انائه في الطرق المشرونة لألف منه على تراخي الايام ثروة يستطيع معها عند الحاجة ان يكون رب بيت ينفق عليه من سعة ثم يكون من الحسينين : فان اضافة شعرة الى شعرة تؤلف لحية كما يقول العوام . ومن لا يعبأ بالقليل لا يتسنى له الكثير .

(قليل المال تصلحه فبيق ولا يبقى الكثير مع الفساد)

فبدلاً من ان يسلك هذا السبيل الهادي الأمين الذي ينهي به رويداً رويداً الى منزلة أفاضل الرجال العاملين ، يقول في نفسه اني لأزال في ريتق الصبوة وربيع العمر لا يطلب مني شيء ولا أسأل عن شيء ، فما ضرتني لو بذلت رائي باسداء الجليل واصطناع الاخوان ، فيبسط صدره ويجلس لمن يعرض له من الاتراب والأقارب فيستأنسون به ويتألمون حوله فينسخه الكبرياء كثرق ويتوهم انه أصبح من مشاهير الاعلام المتميزين بالوجاهة والفضل : فاذا اسنقرضه احدهم ديناراً نفحه بدينارين ، وان استحسن لديه تحفة أعدها تحفتين . ثم ينتهز فرصة عطلته وأوقات فراغه فيسعدوهم الى الولا ثم والانداب ومعاقد النزهة والطرب . فلا يمضي من الشهر اسبوعان حتى ينفد راتبه فيستألف من بعض الصيارفة على راتب الشهر الآتي ولا يزال يتدرج في هذه الطريق حتى تتراكم عليه الديون ، ويضيق عليه الدائنون ، فيهرع بعضهم الى ابيه فيشكوك وبعضهم الى رئيسه فيتظلمون .

هنالك تنتشع الغامة عن عيني ذلك الغر المسكين فتنبلي الحقيقة له كما هي فلا يشعر الا وابود ماقت له ورئيسه ساخط عليه ، وأصحابه منفردون عنه ، يقنّب الظهور ريفه الأسواق لئلا يرى فيطأب أمام الناس . وينقطع عن الأندية ، ومجتمعات الخلق ، كيلا يضطر الى الاتفاق ولا مال لديه : يجلس في دائرة عمله ناكس الرأس ، خائر النفس ، متوزع الفكر لا تنبسط نفسه الى عمل ، ولا تصغي أذنه الى حديث ، ولا يهرج ذلك شأنه حتى ينهي الى احد امرين : اما ان يرأف به ابوه فبني ماعليه ثم يكون مسيطراً على حركاته وسكناته الى ما شاء الله وهو ذليل واجم كظيم . واما ان يتيسر له من غامض علم الله رزق جديد او زيادة في الراتب فيتخلص من شدته بعد ان تبلغ روحه الحلقوم فيتخذها عبرةً نكّاب به عن مثل هذه المهواة الى ان يوافيه الأجل المحتوم .

هذا اذا لم يدركه العزل وتنايبه الفضيحة من قبل . فيساوره الغم ونقاسمه الامراض فيلزم البيت خاسئاً مخذولاً مقهوراً : يرى الدنيا وما حوت من زخرف ظلمات بعضها فوق بعض . ولبست العاقبة لمن لا يزدجروث .

وهذا الفريق أيضاً حسك^١ بنشب في خلق الاجتماع الانساني فيمنعه هناءه ويسلبه قراره . ويجعل حياة البلاد الاقتصادية الى الاحتضار أقرب . فالى الله المشتكى من قبل ومن بعد .

لقد طال بي بإسادة نفس الكلام حتى لم يبق سبيل للمزيد على انني أرجو ان يأتي يوم ، وهو منا قريب ، يقف فيه متمولونا وناشئتنا موقف الاعتدال بين منزلي التقدير والتهدير . ويخارون من ضروب الاحسان ما يجعله نافعا مفيدا عاما معززا للعلم والصناعات وملاجئ الخير والمبرات مخففا عن كواهل الانسانية مصابها وإحنها وأسقامها حيثما يرجون بهذا الوطن العزيز الى المستوى الذي يستحقه اهله من الغبطة والسعادة والرغد . انه سبحانه ولي التوفيق .

عضو المجمع العلمي العربي

سلمى غنوري



منشأ اللغات

اختلف الباحثون من الملّين وغيرهم قديماً وحديثاً في مأخذ اللغات على أقوال :
فقال قائلون انها توقيف من الله تعالى . وفسر بعض هؤلاء ذلك بالوحي وبعضهم
بالإلهام والإقذار وبعضهم بالأمرين .

وقال آخرون انها من وضع البشر . وفسر بعضهم ذلك بمواضعة حكماء البشر
على اختراع أصوات خاصة بفنّاهمون بها ، وتابعهم في ذلك العامة . وبعضهم باشتراك
أفراد الناس - في ارتجال بعض الألفاظ . ولقن غيرهم عنهم من غير سابقة اتفاق .
وبعضهم بالتدرج في بناء الألفاظ من محاكاة أصوات الحيوان وتفاعل قوى الطبيعة
بحرف او حرفين الى التزديد بالتكرير والمخفات والقلب والتبديل .

وقال قوم بالتوفيق بين الأمرين بالتوقيف من الله بمعنى الإلهام والإقذار على
الارتجال أحياناً ، وبالوضع بالقصد الى محاكاة الأصوات منه ومن غيره وتعديلها أحياناً .
وعلى هذا الرأي جمهور المحققين من الملّين وغيرهم .

ونفصّله ان الانسان كسائر الحيوان مفعول على ان يعبر عن انفعالاته النفسية
بأصوات مختلفة ، فانا نسمع المرة مثلاً تموء بضعة أصوات مختلفة تظهر بها بالإلهام من الله
انفعالاتها ومطالبها ، فصوت الاستعطاء والاستعطاف غير صوت الزجر والغضب الخ .
وشأن الانسان الناطق بالطبع في ذلك ليس أقل من شأن الحيوان الأعجم بما ركب
فيه من قوة الارادة والتميز ، وما أودع أداة صوته من الموهبة العظيمة التي جعلته يحكي
كل صوت وينوعه حروفاً منطقية ، فبالقدرة على الحكاية أمكنه ان يعبر عن المعاني
المشعرة بها الأصوات الفطرية في نفسه وغيره بمحاكاة الحروف الشبيهة بها كأنفعل
البغاء التي هي دون الانسان في الادراك ، وبطبيعة القوة الناطقة التي أودعها الله اياه
وميزه بها على سائر الحيوان أمكنه إرتجال بعض ألفاظ يعبر بها عن رغائبه القليلة في
بدء نشأته ثم تولد عنها غيرها .

فيتمصور انه عندما كان يحيش صدره باظهار رغبة او رهبة يصيح بصوت مصور
بصورة ما ، فيسمعه غيره ويفهم منه مراده باضافة قرينة حال او إشارة كما نشاهد

ذلك كثيراً في بعض الأطفال عند محاربتها النطق ، فإذا وجد انه أدى غرضه استعماله ثانية وثالثة في افهام رفاقه ، فيذاع بينهم ويعرف ، ولا يحتاج في استعماله الى قرينة ، وهكذا يفعل غيره فعلة ، يقلدهما ثالث ورابع حتى تشكل من هذه الالفاظ المرتجلة والمحكية اللغة الاولى الضرورية للبيئة التي يعيشون فيها ، وينفق عليها طبيعة من غير عمل ولا قصد الى الاتفاق . ثم تتسع هذه اللغة بعوامل النمو المعروفة من نوع الوضع وتشعب الالفاظ بتشعب المعاني الكلية الى معاني جزئية ، ومن الاشتقاق والقلب والاببدال والزيادة والنقص والنحت والتحويل من الحقيقة الى المجاز ، فيشتهر المجاز ثم يصير حقيقة . والتجوز في اللفظ قد يكون من عمل المرء وحده ، او من عمل طائفة معه راقية تحاول علماً او صناعة وتضع لمعانيها وأدواتها مصطلحات تشتهر وتصير حقيقة عرفية .

هذا وقد اختلف الحكماء فيما نطق به الانسان ابتداءً ، فقال قوم انه نطق اولاً بالاصوات الدالة على الانفعالات الوجدانية كالنأوه والأنين والتأفف والقهقهة واصوات الزجر والغضب والخوف . ثم كان يستعمل للمحسوسات الاشارة باليد وتزوية الوجه قياساً على المجاوزات في ذلك . ثم وضع الالفاظ المحسوسات بالحكاية او الارجال . ثم الالفاظ الدالة على حركة النفس الفكرية . وقال قوم انه ابتداءً بالاشارة الى المحسوسات ثم الوجدانيات ثم العقلية . والظاهر تساوي مرتبة الوجدانيات الفطرية ووضع اسماء المحسوسات ، وتأخر مرتبة العقلية في الوجود ، حتى لترى جميع لغات البشر عاجزة عن التعبير عن كثير من المعاني التي تتعالج النفس بل عن كثير من معاني المحسوسات كالنرق بين الرياح والطعوم .

ثم اختلفوا ايضاً في اقسام الكلام وضع ابتداءً ، فقليل اسماء المفردات والصادر ثم الافعال ، ونحت من كليهما اسماء الضمائر والاشارة والموصولات والحروف ، وقيل الأفعال ثم الاسماء الخ .

وإذا فسنا نشأة النوع الانساني على نشأة الطفل كما يقول جمهور حكماء العصر فقد لحظنا في الأطفال الذين عنيانا بتربيتهم انهم نطقوا بالاسماء الدالة على رغائبهم الفطرية وبعض المحسوسات المحيطة بهم ، ثم نطقوا باسماء المصادر ، ثم تلتها الافعال ،

وسبق المضارع فيها اخو به الماضي والامر . ثم ببعض اسماء الاشارة وجاءت الضمائر والوصولات والحروف متأخرة وتلتها بقية المشتقات . ويؤيد هذا كثير من الحكايات التي تروى عن الامم المتوحشة بافر بقية وجزائر المحيط الأعظم . وكل ما ذكرناه يقرب الى الذهن تصور نشأة اللغة الاولى للانسان . اما اللغات المنفردة منها ثم من أنفسها فننشأ من هجرة بعض طوائف اهل اللسان الاصلي الى جهات متباعدة فيدفعهم التقاطع الى نسيان بعض الكلمات لعدم استعمالها سيفي وطنهم الجديد والى تحريكها على طول الزمان ، ثم يرون سيفي هذا الوطن ما لم يروه من قبل من أنواع الحيوان والنبات والجماد فيضطرون الى وضع كلمات على الوجه الآنف الذكر وهكذا ، فننباعد اللغة الفرعية عن الأصلية كلما تباعد الزمان والمكان ، ويزيد مدى التباعد اذا جاوروا أمما نكلم بغير لسانهم فيستعيرون من لغاتهم كلمات تمثل بعد حين في بنية لغتها ، ثم اذا طال الأمد على أهل لغة وكثر عددهم وارتقت الصفات الانسانية فيهم اتسعت هذه وتعددت أساليب التعبير فيها وضاقت حفظ اي فرد من علمائها عن ان يحيط بها .

الاهرة :

احمد الاسكندراني

عضو المجمع العلمي العربي



ومما اشتهر عنه انه اذ كان في بغداد سنة ٣٩٩ أشده احد الشعراء قصيدة
— واعلمه ابو الخطّاب الجيلي — قال ابن الاثير في الكامل في حوادث سنة تسع
وثلاثين واربعمائة وفيها مات ابو الخطّاب الجيلي الشاعر ومضى الى الشام ولقي المعري
وعاد خرباً ومن شعره :

(ما حكمُ الحبِّ فهو ممثِّلُ وما جنَّاه الحبيب محتملُ)

(تمهوى وتشكو الضنى وكل هوى لا ينجل الجسم فهو مننجلُ)

فلما اتى على آخر القصيدة قال له انت أشعر من بالعراق ، ثم عاد ابو العلاء الى الشام ولزم بيته في معرة النيمان ، وبعد خمس عشرة سنة من ذلك التاريخ جاءه شاعر فأنشده قصيدة ولم يذكر اسمه له ، فلما اتى على آخرها قال ابو العلاء : ومن بالشام ، فعجب الشاعر من فطنه وحذقه ، وسئل ما معنى ما قال لك فذكر للسامعين حكايته معه سيف بغداد وقوله له انت أشعر من بالعراق وانه عرفه الآن بنفسه فعطف على عبارته تلك بقوله ومن بالشام .

وأمثال هذه الروايات عن ابي العلاء كثيرة ولم أرد بذكر ما أوردته منها اثبات المنقول او نفيه ، فلذلك مقام آخر ، وانما أوردت ذلك تمهيداً لما سيأتي في هذه الموازنة . وانت تعلم انه قلنا نخب شاعر في فنون المنظوم ، او جاء عالم برأي جديد في علم من العلوم ، الا وقام له من الخصوم والحساد ، او المساجلين والنقاد ، قوم تدفعهم غرائزهم للنمريض به والطعن عليه ، وقد يكون بينهم أفراد لا غرض لهم الا تحييص الحقائق ، وقليل ما هم ، هذا شأن البشر في كل عصر ، ولا سيما في تلك القرون السحيقة ، يوم كانت الأديان في الشرق والغرب تجارة يتزلف بها العلماء الى مستبدي الحكام والامراء ، بعضهم للتمسك بالرمق ، وبعضهم للتكسب كيفما انفق ، وآلة قاطعة في ايدي الملوك والحكام توصلاً لمطامعهم السياسية وأهوائهم النفسانية ، ولهذا لم يكن بدّ للفلاسفة والعلماء من الإلباس ما يكتبون في اي علم غير علوم الدين ، ثوباً من التدين والورع ليأمنوا غائلة عدو يقديح او حسود يشي بهم وينم .

فاذا علم هذا فلننظر اولاً نظرة ناقدة في رسالة الغفران هذه ، ففي بدء ما ينسى عليها طولها ، وهي رسالة من صديق الى صديقه ، ويحتذر عن ذلك ان رسائلهم لذلك العهد كانت طويلة لعسر وسائل النقل وبُعد المسافات ، معاً كانت عليه حالة الطرق في تلك العصور من فقد الأمن ، ولم تكن البرود الحاجات الحكومات ، فاذا ما هم القريب او الصديق بالكتابة ، لم يكن له بدّ من البحث عن مسافر امين يودع بين يديه رسالته ، وهذا لم يكن ميسوراً . ولذلك كانت رسائلهم طويلة ، الا ان المسافة

ابن معرة النعمان وحلب ليست الا ساعات على القافلة ، فلا ينطبق عليها ما ينطبق على الرسائل التي تقضي خوض البحار وقطع المسافات الشاسعة في الصحاري والقفار . ثم ان هذه وان كانت جواباً عن رسالة وردت ابا العلاء من صديقه ابن القارح ، فلم تكن رسالة اخوانية ، اذ طولها وما فيها من الأغراض التي لا احسب المعري الا قصد لها وتوخاها ، يخرجها عن الاخوانيات ، وينزلها منزلة معجم لعوب يص كلام العوب وغريب أشعارهم في ظاهرها ، وانما هي في الحقيقة مفاككة بين صديقين في الاعتقاد متبادلين ، ولا احسب الشيخ ابن القارح الا على مذهب الفلاسفة الزنادقة ، وسيأتيك الدليل فيما يجيء . اما ابو العلاء فقد كان فيلسوفاً قولاً وفعللاً ، أقول فعلاً لانه لم يكن بين فلاسفة العرب كلهم من طابق بين قوله وفعله سواء . فهذا الرئيس ابن سبنا على فضله ورسوخ قدمه في العلوم الفلسفية ، كان نهياً شديداً للشبق ، وكان هو ووالده يفتقدان الأعمال للسلطان في الدولة السامانية ، وقيل انه مات بالسجن . وقال فيه كمال الدين ابن يونس :

(رأيت ابن سبنا يعادي الرجال وفي السجن مات أخسّ المات)
(فلم يشف ما ناله بالشفاء ولم ينج من موته بالنجاة)
والشفاء والنجاة من أشهر كتب الرئيس كما هو معلوم .

اما ابن الصائغ وابو بكر بن طفيل وابو الوليد بن رشد فكلهم ممن اشتغل مع العلم بالسياسة ولم تصرفه الفلسفة عن الرئاسة ، بل ان أكابر فلاسفة اليونان قبلهم ، لم يحصلوا على منزلة المعري العالية . فان ديوجينوس المشهور بالكلي للنقشه وزهده في الدنيا ، قد اشتغل في صباه مع ابيه الصراف بالتزوير والتزيف ، ونفي من وطنه بعد التحقير والنعنيف . ورسطاليس أنسب اليه عقوق استاذة أفلاطون ، وأشياء ابن صدق راودها الصقت به العار على مرّ القرون ، بل ان أفلاطون نفسه اشتغل بالسياسة وحام حولها وأُسبت اليه أفعال لم يجزم بصحتها ولم يقطع بتكذيبها .

واين من هؤلاء كلهم ابو العلاء فقد اجمع حساده وخصومه على زهده ونسكه ، وعظ بالعفاف ونهى عن الدنس . ومات وقد جاوز الثمانين ولم يدنس له عرض ، وحرّض على الفضائل ولزمها ، ذم الدنيا وأعرض عنها ، حرّم ذبح الحيوانات منذ

الاربعين من عمره ، فمكث خمساً واربعين سنة لم يذق لحماً ، متى نفسه رهين المحسبين
لفقده بصره ولزومه منزله فمكث اثنتين وخمسين سنة بعد عودته من بغداد في بيته .
وهو لم يكن يعتقد بدين من الاديان ، لا كما تحل له اصحابه والمتشيعين لفضله ،
زعماء منهم ان القول بذلك مما يحط من قدره ، وقد علموا ان جل فلاسفة اليونان
والرومان وغيرهم من الامم الخالية لم يكونوا على دين . وان منهم من كان على الوثنية
والمجوسية لم يقدح ذلك في علمهم ، بيد ان عصور المتشيعين المعري لم يكن بباح فيها
لعالم ان يعالني بمدح زنديق وان بلغ من العلم والفضيلة ما بلغه المعري ، ولم يكن اولئك
المتشيعون بالعدد القليل منذ كان حياً . فقد بلغ مرتبة من تجلة الناس ووقارهم لم يروها
تاريخ من تواريخ الارض كلها عن عالم اوفيلسوف او ملك . فقد روى الحافظ السلفي
قال جلس على قبر ابي العلاء المعري عند دفنه نحو من مائة وثمانين شاعراً ورثاه اربعة
وثمانون شاعراً منهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم صوفية وترجمهم باسمائهم .
فلا بدع بعد ذلك اذا مارأي اولئك الفضلاء وأمثالهم ان يتحولوا له صدق الاعتقاد
درعاً يتقون بها الوشايات ، ووسيلة يتوسلون بها لنشر مؤلفاته ، ولست التي القول على
عواهنه لحسبك من قوله في لزوميته .

(اذا رجع اللبيب الى حجاب) تهاون بالمذاهب وازدراها)
(نخذ منها ما أدام لب) ولا يغمسك جهل في صراما)
(وهت اديانهم من كل وجه) فهل عقل يُشدّ به عراها)
وقوله :

(وجاءنا شرائع كل قوم) على اثار شعي رتبوه)
(وغير بعضهم اقوال بعض) وابطلت النهي ما اوجبوه)
وقوله :

(هفت النصارى والحنيفة ما اهدت) ويهرد حارت المجوس مضلّاه)
(ائسان اهل الارض ذو عقل بلا) دين وآخر دین لا عقل له)
وكثير من مثله في كتبه مما لا يحتمل التأويل .

ولست أراه أراد برسالة الغفران الا الانقضاء على ما ذكره فيها ، وقد قلت قبل

هذا اني أحسب ابن القارح على مذهبه ، لا لان رسالة الغفران قد كتبت اليه فقط ، بل لانها جواب على رسالته التي لاخالها تضرب الا على هذا الوتر - وان لم يكن ذلك صريحاً - لقول المعري في اوائل رسالته : وقد وصلت الرسالة التي بجرها بالحكم مسجوراً ، ومن قرأها لاشك مأجوراً ، اذ كانت تأمر بتقيل الشرع ، وتعييب من ترك اصلا الى فرع : أفلم يجد ابن القارح من طلبة العلم وغيرهم من محبي العلوم الشرعية في حلب يومئذ جديراً بتعلم الشرع وحدوده سوى ابي العلاء ، وهو بحر العلوم ، ولاسيا والمفهوم من جواب ابي العلاء انها لتضمن أغراضاً أخرى كثيرة ، وان عنوانها بغير ذلك كما ذكر في اول رسالة الغفران .

وعلى الجملة فلا شك عندي انه لم يقصد برسالته تلك الا مذكرة المعري في معنى كلاهما عليه منقذان واليه قاصدان . وحسبك من ذلك ان رسالة ابن القارح في تقيل الشرع ، فبدلاً من ان يجيبه المعري عليها بما يتعلق بذلك او بالاعتراض على شيء منها او بشرح ما يعنى له في ذلك كله ، تراه يدعو له بالجنة ويحدثه عما فيها وفي الجحيم من العرائب ويقول له « ومثلها شفع ونفع ، وقرّب عند الله ورفع ، والفيتها مفتحة بتحميد صدر من بليغ مجيد وفي قدرة ربنا جلت عظمتها ان يجعل كل حرف منها شيع نور . . » الى آخر ما ذكر عن هذه الرسالة مما لا أراه فيها هازلاً منقذاً لا جاداً معقداً وحسبك قوله « وانما أذكرها لانه قد يجوز ان يقرأ هذا الهذيان ناشئ لم يبلغه ذلك » .

واما ظاهر ما فيها من الفاظ النقيض ، فليس بحجة على نفي ما أقول واليك عبارته عن المنبي : واذا رُجع الى الحقائق فنطق اللسان لا ينبي عن اعتقاد الانسان لان العالم مجبول على الكذب والنفاق ويحتمل ان يظهر الرجل تديناً وانما يجعل ذلك تزيناً الى آخر ذلك .

ولم يكن ابو العلاء ممن يحسب لفظ الزنديق شتماً او تحقيراً وانما هو وصف يراد به ان الموصوف بهذا اللفظ لا يدين بمذهب من المذاهب ، وهو المعبر عنه في كتب اللغة ، وقد وصف به كثيرين ممن ذكرهم في رسالة الغفران ، لا تحقيراً بل بياناً وتمييزاً .
واما اختباره تسمية هذه الرسالة برسالة الغفران ، فلا أدري أهو الذي اسماها

أم ابن القارح أم سواه ، والأرجح أن يكون هو المسمي ولعله استحب لها اسم الغفران لطلاوة وقعه في الآذان وقد أراد به التفاؤل لصاحبه بالغفران أسوة بمن ذكرهم من الزنادقة والملاحدة والكفار ، الذين سيراهم في الجنة راتعين وقد نجوا من عذاب النار ، وغفر الله لهم لكمة خير قالوها ، أو بيت فيه وصية صالحة ، يريد أن كتاب ابن القارح « في ثقبيل الشرع » وذم من ترك الوقوف عند حدوده ، سيكون سبب الغفران له ودخوله الجنة كغيره من الزنادقة ، وهو برهان لما ذكرناه من أن ابن القارح أيضاً كان من الزنادقة ، وأن كتابه لا يائي عن اعتقاده ، وإن أبا العلاء رام ممازحته في مضمون الكلام والثناء عليه في ظاهره ، ولعل تصدي ابن القارح لتأليف تلك الرسالة في ثقبيل الشرع أي لزوم حدوده ، مع ما كان عليه من الزندقة التي كان يروجها لأبي العلاء في خلواتهما ، هو الذي وحى إليه موضوع رسالة الغفران وابتكاره ، فكان آية في الهزل صورته الجذ ، وثوب ثقبيل سدها النضل ولحمته الحمد .

وقد آن لي أن أذكر جملاً منها نوضح لك غرضه في الانقباد طي ثوب الاعتقاد وهزلاً يضحك الناكل والمنجج ، ويشغل عن الراضع الرضع ، وثوبلاً ترتعش له المفازل ، وترتعد منه الخصائل ، يهتبان بعجز المصور عن تصويره بعد دقيق اللحظ ، بابدع وصف وأبرع لفظ ، وقائله لم ير نوراً ولا تصويراً ، منذ كان طفلاً صغيراً .

« الطواف في الجنة »

قال بعد وصف خمور الجنة : فأما الانهار الخمرية فتلعب فيها اسماءك هي على صور السمك بحرية ونهرية ، وما يسكن منه في العيوت النبعية ، ويظفر بضروب النبات المرعية ، إلا أنه من الذهب والفضة وصنوف الجواهر ، المقابلة بالنور الباهر ، فإذا مدّ المؤمن يده إلى واحدة من ذلك السمك شرب من فيها عذباً لو وقعت منه الجرعة في البحر الذي لا يستطيع ماء الشارب ، لحلت منه أسافل وغوارب ٠٠٠ وكأني به أدام الله الجمال ببقائه إذا استحق تلك الرتبة بيقين التوبة ، وقد اصطفى له ندامي من ادباء الفردوس ، كأخي ثماله وأخي دوس ، ويونس بن حبيب الضبي ٠٠٠ وهو أيد الله العلم بحياته معهم كما قال البكري :

(نازعتم قصب الریحان مرثفًا وقهوة مزنة راووقها خضل)

وابو عبيد؟ يذكرهم بوقائع العرب . . . وتمش نفوسهم للعب فيقذفون تلك
الآنية في أنهار الرحيق

ثم يرينا الشيخ علي بن منصور وهو ابن القارح نفسه ينقل في أمصار الجنة فيسأل
حميد بن ثور : وهو الذي يقول :

(ارى بصري قد رايتني بعد صحة وحسبك داءً ان تصيح وتسلم)

كيف بصرك اليوم فيقول اني لا كون في مغارب الجنة فألمح الصديق من اصداقائي
وهو بمشارفها وبيني وبينه مسيرة الوف أعوام للشمس التي عرفت مرة مسيرها في
العاجلة . . . ثم يخطر له حديث ثبي يسمى التزهة في الدار الثانية فيركب نجيباً من
نجب الجنة خلق من ياقوت ودر ، في مسح بعد عن الحر والقر . . . ثم يصنع أدبة
في الجنان يجمع فيها ما أمكن من الشعراء وبعده ما فيها من ضروب الماعون العسجدية ،
والخون الذهبية ، والفوائير^(١) من اللجين والصحاف العجيبة والأقحاح والكؤوس
ذرات التناوير والأباريق والزجاجات ، والبواطى والطاسات ، من أشكال الجواهر
وأشكال الأنعام وأجناس الطير والحيوان ، وكل طهارة حلب منذ عمرت الى ما بعد
البعث ، وجميع المغنين والمغنيات ، تتخدم بين ايديهم جوار من الحور العين ، وغلطات
كأنهم الأولؤ المكنون ، وينشي الله بحكمته شجرة جوز تنفض عددًا لا يحصى الا الله
تنشق كل جوزة عن اربع جوار يرقصن على أبيات الخليل فتهنئ ارجاء الجنة . . .
ثم يرى بين من يحاط بهم من الشعراء عبيداً فيقول : السلام عليك يا اخا بني اسد
فيقول وعليك السلام . واهل الجنة أذكاء ، لا يخالطهم الاغبياء ، لعلك تريد ان
تسألني بم غفر لي . . . ثم يساجل الشعراء ويحضر مهائهم ونسائهم ويفترق اهل
ذلك المجلس بعد ان اقاموا فيه كهمر الدنيا اضعافاً كثيرة .

ومن منزلته فيها : وبيننا هو (اي الشيخ علي القارح) بطوف في رياض الجنة لقيه
خمسة نفر فيقول ما رأيت أحسن من عيونكم من اهل الجنان فن انتم خلد عليكم النعيم
فيقولون نحن عوراث قيس . . .

(١) خوان الطعام او الموائد .

ومن هذا الباب طلب رضوان جوازاً منه ليدخله الجنة ونظمه قصيدة الى آخر هذه الحكاية البديعة .

وابدع من ذلك واغرب قصصه على لسان ابن القارح كيف حُسر وحوسب الى ان يقول : فلما خلصت من تلك الطموش ^(١) قيل هذا الصراط فاعبر عليه ، فوجدته خالياً لا عريب ^(٢) عنده ، فبلوت ^(٣) نفسي في العبور ، فوجدني لا استمسك فقالت الزهراء صلي الله عليها الجارية من جواربها يافلانة اجيزيه فجعلت تمارسني ^(٤) وانا أنساظ عن يمين وشمال فقلت باهذه ان اردت سلامتي فاستعلمي معي قول القائل :
(ست ان اعيالك امرى فاحملي زَقْفُونَه)

فقالت وما زَقْفُونَه ؟ قلت ان يطرح الانسان يديه على كفي الآخر ويمسك بيديه ويحمله ويطنه الى ظهره ، اما سمعت قول الجحججول من كفر طاب ؟
صلحت حالتي الى الخلف حتى صرت امشي الى الوري زَقْفُونَه .

فقالت ما سمعت بزَقْفُونَه ولا كفر طاب الا الساعة ، فتحملني وتجاوز كالبرق الى آخر ما ذكر ؟ . ومن هذا الباب ايضا عريضة نابغة بني جعدة والاعشي ومنها : وَيَب نابغة بني جعدة على ابي بصير فيضربه بكوز من ذهب فيقول اصفح الله به وعلى يديه لا عريضة في الجنان انما يعرف ذلك في الدار الفانية بين الستملة والهجاج وانك يا ابا ليلى لم تترع ^(٥) .

ومن بدائع مفاهمه : فيأخذ سفرجلة او رمانة او نفاحة او ماشاء الله من الثمار فيكسرها فتخرج منها جارية حوراء عيناء تهرق لحسنها حوريات الجنان فنقول من انت يا عبد الله ؟ فيقول انا فلان ابن فلان : فنقول اني اُمنى بلقائك قبل ان يخلق الله الدنيا باربعة آلاف سنة . . . ويخطر في نفسه وهو ساجد ان تلك الجارية على حسنها ضاوية ^(٦) فيرفع رأسه من السجود وقد صار من ورائها ردف بضامي كئيب عاج ، وانقاء الدهنا ، ورملة يهرين وبني سعد ^(٧) ، فيمال من قدرة الله اللطيف الخبير .

(١) البلايا والمصاعب . (٢) اي لا احد . (٣) جربت . (٤) تلاعبني .
(٥) متمسك الى الشر . (٦) نحيفة . (٧) اسماء تلال من الرمل كالجبال الصغيرة مشهورة عند العرب .

ويقول يا رازق المشرقة سناها ، ومبلغ السائلة مناسها ، والذي فعل ما عجز وهال ،
ودعا الى الحلم الجمال ، اسألك ان تقصر بؤس^(١) هذه الخورية على ميل في ميل ،
فقد جاز بها قدرك حدة التأمل . . . (ستأتي البقية)

القاهرة :

فسطاطي الحمصي

عضو المجمع العلمي العربي

— ٠٠٠ —

اعضاء المجمع في الغرب

السيد پدرسن (Pedersen) لد نيركي

ولد الاستاذ پدرسن يوم ٧ تشرين الثاني ١٨٨٣ واختلف منذ سن السابعة الى
مدارس مختلفة حتى سنة ١٩٠٢ ودخل جامعة كوبنهاغ فدرس اللاهوت وعني عناية
خاصة بدرس التوراة ولاسيا العهد القديم وقد اوصله درس اللغة العبرية التوراتية الى
دراسة سائر اللغات السامية ولما جاز الامتحان سنة ١٩٠٨ عني من سنة ١٩٠٩ —
١٩١٢ بالدروس السامية في المانيا وهولاندة وباريز وبودابست ونال سنة ١٩١٢
شهادة الدكتوراة بتأليف كتبه على اليمين عند الشعوب السامية وفي الاسلام .

وفي سنة ١٩١٦ عين استاذاً للعهد القديم في جامعة كوبنهاغ وخلف استاذة القديم
الاستاذ بول منذ سنة ١٩٢٢ في تدريس اللغات السامية . وعني عناية خاصة بالعبرية
والعربية . وعاون من سنة ١٩١٣ — ١٩١٩ في المجمع العربي الذي بعده الاستاذ
فينشر الالماني للنشر في ليبسيك وذلك بتهيئة شواهد عربية قديمة ولاسيا من
الشعر القديم .

وفي سنة ١٩٢٠ — ١٩٢١ رحل الى مصر وفلسطين وسورية لدرس العربية
الحديثة والتوسع في معرفة الاسلام . وله بضعة تأليف منها ما كتبه بالدينيركية
ومنها بالالمانية ومنها في بعض موضوعات التوراة ومنها نقول دينية اسلامية . ومن

ابحاثه رسالة في بلاد العرب الوسطى والوهابيين وأخرى في الدليل على اليوم الآخر من القرآن ورسالة على الازهر الشريف وتاريخ التعليم في الاسلام . وهو مؤازر في الموسوعات الاسلامية وفي عدة معاجم ومجلات كتب فيها مقالات او عارض فيها نصوصاً باخرى . وقد انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي منذ سنة ١٩٢٢ ولنا به صحبة وأنسة ايام كونه في دمشق .



مطبوعات حديثة

النتف

« لابن رشيق القيرواني وزميله ابن شرف »

أودع اليّ المجمع العلمي رسالة بهذا العنوان مهداة من رصيفنا الفاضلين محب الدين الخطيب وعبدالفتاح قتلان صاحبي المطبعة السلفية في مصر لانتجاوز صفحاتها المئة والعشرين من القطع الصغير وهي مما عني بجمعه السيد ابي البركات عبدالعز يز اليميني الساني الراجكوتي الاستاذ بالكلية الشرقية في مدينة لاهور (عاصمة بنجاب الهندية) مشفوعة برسالة أخرى لنطوي على ترجمة ابن رشيق هذا سأتكلم عنها في فرصة ثانية ان شاء الله .

ولقد وضع لي مما طالعت في تلك الرسالة ان ابن رشيق لم يجمع شعره حال حياته ويدونه فبقيت فرائده مبعثرة لتلاعب بها ايدي الضياع الا مارواه واستشهد به بعض المؤلفين من أساطنة التاريخ ونوابغ اهل الأدب مما جاء منفرداً في كتب شتى فبعثت الغيرة السيد ابي البركات المشار اليه الى التماسه من مواطنه باذلاً الوقت والعناية حتى تسنى له الاشتغال عليه تنقلاً ومقاطيع وابطاناً فذوّب نَسَقَها في هذه الرسالة مرتبة على حروف المعجم وذيل صفحاتها بجواشٍ ذكر فيها المأخذ التي نقل عنها مع تعيين الصحيفة والطبعة واسم الكتاب المأخوذ عنه ثم شفع كل ذلك بشرح لطيف لما ورد في المتن من الالفاظ اللغوية التي قد تغرب معانيها على معظم القراء وهي طريقة حبذا لو تحداها عامة الكتبة والمنشئين لما نفع منها من الفائدة وصحة الثبوت من الرواية لمن يعنيه ذلك .

أما شعر الرجل فهو غاية الغايات في الرقة والطلاوة وحسن السبك ولصاحبه من سعة الخيال والقدرة على الابتكار والإجادة في مختلف المناحي وشئى المقاصد ما لا يضارعه فيه إلا أفتاد معدودون من فحول القريض . من أجل هذا رأيت أن أثبت هنا للقراء الأفاضل طائفةً صالحةً من تلك النثف الغوال نفكته وذكرى . من ذلك قوله في وصف الزرافة :

(جمعت محاسن ما حكت فناسبت في خلقها ونفائ الاعضاء)
 (تحتنها بين الخوافق مشيةً بادر عليها الكبر والخيلاء)
 (وتمد جيداً في الهواء يزيناها فكأنه تحت اللواء لواء)
 (حطت آخرها واشرف صدرها حتى كأن وقوفها اعياء)
 (نعم التجايف التي ادرعت به من جلدها لو كان فيه وقاء)

وقوله متغزلاً وفيه معنى رائع :

(ان كنت لنكر ما منك ابتليت به فان برء سقامي عز مطلبه)
 (اشر بعود من الكبريت نجو في وانظر الى زفراقي كيف تلبسه)

وقوله وهو في غاية الابداع :

(سألت الارض لم كانت مصاى ولم كانت لنا ظهراً وطيباً)
 (فقالت غير ناطقة لاني حويت لكل انسان حبيباً)

وقوله وفيه من لطف الصباية ما شاء الوجد الصادق :

(ومن حسنات الدهر عندي ليلة من العمر لا تترك لايامها ذنباً)
 (خلونا بها ننفي القذى عن عيوننا بلؤلؤة مملوءة ذهباً سكبا)
 (وملنا للقبيل الثغور ولثمها كمثل جنوح الطير تلتقط الحبا)

ومثله وهو اعذب واغرب وفيه من سلامة الاختراع ما لا يخفى :

(قبلت خدّاً منه أضرم لوعي وجعلت اظفي حرّاً برضابه)
 (وضممت للصدر حتى استوهبت مني ثيابي بعض طيب ثيابه)
 (فكأن قلبي من وراء ضلوعه طرباً يخبر قلبه عما به)

وله مما جئت :

(لك مجلس كملت بشارة لهونا فيه ولكن تحت ذاك حديث)

(غنى الباب فظل يزمر حوله فيه البعوض ويرقص البرغوث)
ومن مبتكراته قوله من أبيات :

(كادت خلاخيل من أهوى نبوح به سرّاً وغصت بما فيها دمالجه)

وله في ذمّ الصباح وهو من غرر معانيه :

(كيف لا ابغض الصباح وفيه بان عني اولو الوجوه الصباح)

وله وهو انيق رشيق :

(لو وضع الورد على خده ما عرف الخد من الورد)

(قل للذي يعجب من حسنه اقرأ عليه سورة الحمد)

وقال يصف خالاً بين الجيد والحدّ :

(حبذا الخال كامناً منه بين ال - جيد والحد رقبة وحذار)

(رام ثقيله اختلاسا ولكن خاف من سيف لحظه فتواري)

وله وهو من الحكمة الرائعة بكاف :

(في الناس من لا يرتجى نفعه الا اذا 'مس' بآء ضرار)

(كالعود لا يطمع في طيبه الا اذا أحرق بالنصار)

وله في وصف السحاب :

(سحاب حكّت شكلى أصيبت بواحد فهاجت له نحو الرياض على قبر)

(تفرق دمعاً في خدود توشحت مطارفها بالبرق طرزا من التبر)

(فوشي بلا رقم ونسج بلا يد ودمع بلا عين وضحك بلا ثغر)

وما جاء في الرسالة من شعر ابن رشيق فهو بالجملة آيات بينات ، اما زميله ابن شرف فهو شاعر متوسط الطبقة لا يدل ماورد في الرسالة من منظومه على خيال سام وأسلوب ممتاز وهو في كل حال دون منظوم ابن رشيق بمراحل ومن أجود ما يمزى اليه قوله :

(والكأس كاسية القميص كأنها لوناً وقدرأ معصم مخضوب)

(هي وردة في خده وبكأسها تحت القناني عسجد مصبوب)

ومما أُماب به الرسالة ما جاء في بعض محتوياتها من فحش الكلام وبذته ومما

لا يغتفر اثباته في كتب الأدب ولو وكل الامر اليّ لاستجيزتُ حذفه وان اخلتُ
بشروط الأمانة اذ عارٌ عليّ الأدب ان يُمزج بما يغري على سوء الأدب .

عضو في المجمع العلمي

سليم عنوم ربي

عدة الاديب

وضعه وشرح الفاظه اللغوية السيدان سليم الجندي ومحمد الداودي

الجزء الثالث ص ٩٦ طبع في مطبعة الترقى في دمشق ١٩٢٦-١٣٤٥

يوالي هذان الاستاذان المحققان نشر السلسلة البديعة التي بدأ بها وفيها طرف
من شعر الشعراء والكتاب محدثين ومنقدمين وشيخ من تراجمهم ونحن لا عجباً بكاتب
العدة نقول للمؤلفين ما قاله صاحب بن عباد وقد اطلع على كتاب الفاظ الكتاب
المشهور الذي ألفه عبد الرحمن بن عيسى الهمداني الكاتب : لو ادر كته لامرت بقطع
لسانه ويده فسئل عن سبب ذلك قال : لانه جمع شذور العربية الجزلة المعروفة في
اوراق يسيرة فأضاعها في أفواه صبيان المكاتب ورفع عن المتأدبين عنت الدرس والحفظ
الكثير والمطالعة الدائمة اهـ . ونرجو للمؤلفين الصديقين المعونة على اتمام ما يسهل على
اولادنا تناول المختار من الكلام الجزل مشروحاً منقحاً لينشأوا فصحاء بلغاء . م . ك

مركز المرأة في قانون حمورابي

« والقانون الموسوي »

ألفه (جان أمل ربك) وعربه الاستاذ سليم العقاد . وقد طبع في المطبعة

المصرية بمصر في نحو ١٢٠ صفحة بالقطع الصغير

موضوع الكتاب بحث اجتماعي عائلي يصور لك مركز المرأة والأطوار التي تقلبت
فيها خلال النية سنة اي من (٢٥٠٠) ق م الي (٥٠٠) ق م وقد كسر بحثه على
ادوار اربعة :

(١) مركز المرأة في شرائع البابليين الأول اي منذ اربعة آلاف وخمسمائة سنة وقت ان كانت المرأة تحجب عن الانظار وبيعها ابوها وفاء لدينه بالدرهم والدينار وقت ان كان الحق للرجل في ان يطلق امرأته بمجرد قوله لها انت لست امرأة لي فنطلق من دون ان يلحق الرجل ملام او تبعة من الحياة الاجتماعية ، اما اذا طلقت المرأة زوجها قائلة (انت لست زوجاً لي) أغرقوها في النهر للخال وان أفلتت من الاغراق طردت من الحياة الاجتماعية ذليلة طول عمرها . وقت ان كانت تبيع نفسها مرة في العمر لمن أراد ملامستها في هيكل الربة ميليتا (الزهرة) مقابل جعل من المال يعتبر مقدساً .

(٢) مركز المرأة في شرائع حمورابي اول ملك بابلي دونت شريعته ووصلت الينا وذلك سنة (٢٠٠٠) ق م تقر ببا هذه الشريعة نسخت الشريعة الاولى ورفعت من قدر المرأة بالقدر الذي استعدت له حالة البشر يومئذ لكن بقي فيها بعض الخزيات مثل ان المرأة المتهمه بالزنا تلقى في نهر فاذا طفت على وجه الماء كانت بريئة وان رسبت كانت فاعلة والمدافعون عن شريعة حمورابي يقولون ان الكنيسة في العصور الوسطى كان لها في تحقيق التهمة مثل هذه الطريقة وكانت تسمى (حكم الله) .

(٣) مركز المرأة في شريعة إسرائيل الاولى وان مركزها في هذا العهد يشبه مركزها تقريباً في العهد الحورابي مع قليل من الاصلاح في بعض الشؤون من ذلك نغطس الزانية المتهمه فقد استعاض الاسرائيليون عنه بتجريع (الماء المر) ذلك انهم يسقونها ماء مقدساً ممزوجاً بتراب وطنه النعال فتجرعه المسكينة فان ضررها وأفسد صحتها كانت زانية والا كانت بريئة .

(٤) مركز المرأة في شريعة موسى أثبت المؤلف ان هذه الشريعة رفعت المرأة الى المستوى الشريف اللائق بها وأقام على ذلك الأدلة والبراهين من اقوال كبار العلماء المؤرخين واللاهوتيين نعم بقي فيها شيء موضع نظر مثل مسألة تجريع الماء المر وامتحان الزانية به . وبين شيئاً من حكمته بالجملة ثم رد على من قال ان شريعة حمورابي أفضل من شريعة موسى بالنسبة الى رفع شأن المرأة بل ان المؤلف تخطى الى تفضيل شريعة موسى على شريعة (القانون المدني الافرنسي) وقابل بينهما مادة مادة بما دل على اضطلاعه وطول

باعه في التاريخ واللاهوت وضرب لذلك مثلاً مسألة حرية تصرف المرأة في ما تملك فالشريعة المحورانية سوغت لها ذلك ضمن دائرة محدودة فجاءت الشريعة الموسوية ووسعت تلك الدائرة ، اما القانون الافرنسي فانه حجر عليها وجعلها كالقاصر بحيث لا يجوز لها التصرف مطلقاً الا بإرادة زوجها .

هذه هي خلاصة موضوع الكتاب ونموجات من المباحث التي أفاض فيها مؤلفه إفاضة متممة ، اما عرض المترجم الاستاذ سليم العقاد ^(١) من اهداء الكتاب مترجماً بلغة عربية فصيحة الينا معشر العرب فهو تنبيهنا الى ما يجب علينا اليوم من امر إصلاح شأن المرأة المسلمة فهو كأنه يقول ان على المرأة المسلمة واجبات ولا يمكن مطالبتها بما لم نوفرها حقوقها وقد قامت الهيئات في البلاد العربية حول حقوق المرأة وواجباتها وكثير الالغظ والجدل حتى كاد يؤدل الى ما لا تحمد عقباه فهو هذا الكتاب كأنه يرفع يده مشعلاً من عبر التاريخ او هو العمري يرفع مرآة وكأنه يقول لرجال الدين انظروا فيها وتبينوا مركز المرأة المسلمة بين اخواتها منذ اربعة آلاف سنة الى اليوم . لا جرم ان المسلم لبياهي بما منحه شرعته للمرأة المسلمة مذحماها من مثل لعنة (النغطيس في النهر) و (تجرع الماء المر) بل يفخر وحق له ان يفخر مذ يرى شرعته اعطت المرأة من حق التصرف بما لها كتصرف الرجال تماماً ذلك الحق الذي حرمتها اياه حتى الشريعة الافرنسية - حقاً ان هذا يملأ نفس المسلم صلفاً وعجباً ومباهاةً بنبيه صلى الله عليه وسلم الذي رفع عن المرأة الاصر والأغلال التي قيدتها بها شرائع الأمم الاخرى . ولكن لا يلبث ذلك العجب والتهيه ان تحمد جمرته مذ يرى علماء الاجتماع يرفعون عقيرتهم بالشكوى من لعنة الطلاق في الشرائع الاسرائيلية الاولى التي يطلق الرجل بموجبها زوجته لأهون الاسباب وانفه الدواعي ، فالمطلقة المسكينة على هذه الصورة تبقى مضغة بين الناس متسائلين ما ذا عساه يكون السبب في تطليقها حتى جاءت الشريعة الموسوية فأمرت المطلق بان يسلم زوجته (كتاب طلاق) يبرؤها من كل تهمة ووضمة تحظر من قدرها . وها نحن اولاء معشر المسلمين اليوم نعامل المرأة من هذه الوجهة بما كانت تعامل به في شريعة البابليين والاسرائيليين لا يلبث الرجل ان يفضب على زوجته

(١) هو غير الاستاذ السيد محمود عباس العقاد عضو المجمع العلمي العربي .

لما لم يعلم من الأسباب . فيطلقها ويطرحها كالشيء اللقا خارج الأبواب . فهل يتصور في العقل ان محمداً صلى الله عليه وسلم الذي اعطاها في الحياة والعلم والمال والكرامة كل حق يعرضها لمثل هذا الامتحان لا والله . فعلى اخواننا علماء الاسلام ان ينظروا في المرأة التي رفعها لهم الفاضل العقاد فان في ذلك الحق والساد . **المصري**

اعلام العراق

يتضمن سيرة المرحوم السيد محمود شكري الألوسي وتراجم طائفة من نوابغ أسرته . تصنيف تليذه السيد محمد بهجة الاثري . طبع في المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٥ هـ في نحو ٢٤٠ صفحة بالقطع المتوسط

قال الاستاذ مصنف هذا الكتاب في مقدمته شارحاً الغرض من تأليفه « ولما كنت أشد الناس اتصالاً به (اي بعلامته العراق المرحوم الألوسي) ومثاقفة له ومعرفة باحواله فقد بعثني باعث الواجب والوفاء له وللتاريخ معاً على ان أشرح سيرته العلمية والعملية وأخدم بها التاريخ الحديث » وكما وفق المصنف الفاضل حق استاذة بوضع هذا الكتاب أراد ان يبني به ايضاً حقاً آخر لمجموعتنا العلمي رأه واجباً عليه فجعل كتابه مقدمة له ورقم ذلك بالطبع على نسخه فقال مانصه : « الى المجمع العلمي العربي الجليل : هذه زهرة اقتطفها من رياض الشباب وآثرت ان أقدمها اليك والهدايا على قدر مهيئها » فيكون هذا المصنف اول كتاب أهدي الى المجمع على هذا النمط من الاهداء ولذلك حق على مجموعتنا ان يشكر للمهدي صنيعة ويقابل ثقته هذه بالارتياح والاغتياب . افنتج المصنف الكتاب بفصول ضمتها نشأة أسرة الألوسي في بغداد ثم اتى على تراجم بعض نوابغهم ونشر رسوماتهم ورسوم بعض أبنائهم . وأشهر هؤلاء النوابغ السيد محمود الألوسي صاحب التفسير الكبير (المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ) وهو جد المرحوم محمود شكري الألوسي ومن أشهر نوابغهم ايضاً عمه السيد نعيان مؤلف كتاب (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين) (المتوفى سنة ١٣١٢ هـ) ثم أفاض المصنف في ترجمة استاذة

فاستغرقت نحو ثلثي الكتاب : فأقْبَى على ذكر دراسته وأساتذته وتدرّسه ثم تأليفه كتاب (نيل الأرب) الذي اخذ عليه الجائزة والوسام الذهبي من (اسكار الثاني) ملك اسوج ونروج . ثم مصنفاته الاخرى . ثم حادثة نفيه الى الموصل (سنة ١٣٢٠ هـ) بسعاية اعدائه لدى والي بغداد ثم عودته الى وطنه بعد شهرين وذلك بالمساعي الجميلة التي قام بها اهل الموصل لدى السلطان عبد الحميد ثم ذكر تكليف الحكومة التركية له في اول الحرب العامة ان يسافر الى نجد ويفادض صاحبها ابن سعود في إيجاد الأتراك ثم وصف حفلات التأبين التي أُقيمت له بعد وفاته ومن جملتها حفلة المجمع العلمي بدمشق ثم أسهب في وصف اخلاق استاذاه واطواره ومبالغ مقاومته للعثو بين الجامدين وقد ذكر نفعاً من اقواله وآثاره الدالة على ذلك وهي من اكبر الشواهد على رسوخه في العلم وعقيدة السلف وحبّه الشديد للإصلاح . كما تدل على مبلغ خسارة العالم الاسلامي بفقد رحمة الله . وكنا اثناء تصفحنا لهذا الكتاب نعجب لذكاء مؤلفه وحسن تصرفه في الثناء على استاذاه . وكنا نرى علم استاذاه واخلاقه وطريقته في الإصلاح وشدة وطاقته على الجامدين — كل ذلك متجسماً فيه ضارباً قبابه عليه . فما أشبههما بالشيخ ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية : فكما كان هذان كوكبي إصلاح — في العصور المتوسطة كذلك كان الأوممي وتلميذه الاثري في هذه العصور المتأخرة . وان كان الدهر فجّعنا بالاستاذ الشيخ ، فندعو الله ان يتمتع المسلمين زمناً طويلاً بالتلميذ الذي ما زال في ميعة الشباب . وغضاضة الأهاب . وهو مع كونه لم يزل ابن لبون . قد شأى المقومين واستطاع أن يبذل البذل المصاولين . ولم نجد في كل ما كتبه المؤلف اثرأ لغلواء الشباب . اللهم الا ثلاث حمل كنا نحب ان ينزله عنها الكتاب : كلمة في ص ٣٧ وردت في وصف ابني الثناء محمود لنساء الاستانة . وكلمة أخرى في ص ٩٩ فيها شتم لرجل قضى نحبه . وكلمة ثالثة في ص ١٣٥ فيها تحقير لرجل شهير لاشبهة في فضله ونبوذ . نعدّ على صديقنا المؤلف هذا ملقنين تبعه على شبابه لا عليه وهو موضع الثقة في ان يحل نقدنا محله ويصغي اليه .

له

المرأة الحديثة وكيف نسوسها

تأليف السيد عبد الله حسين الخريج في الحقوق والعلوم السياسية . عني
بنشره السيد الياس انطون الياس صاحب المطبعة المصرية ص ٢٦٠

يدور البحث في هذا الكتاب حول الطور الجديد الذي دخلت فيه المرأة لا سيما بعد الحرب العامة وكيف أصبح للرجل آراءها موقف غير موقفه الأول من حيث سياستها ومعاملتها ومعاشرتها فلم يعد في إمكان الرجل ان ينظر اليها كآلة لهو وحرسة بيت بل عليه ان يعتبرها شريكاً له في هذه الحياة عوناً على تحصيل السعادة والهناء العائلي . فليجتهد إذن في تربية هذه الشريك التربية العائدة بالنفع عليهما معاً . وهذا ما قاله المؤلف مبيناً الغرض من تأليفه (أردنا ببجثنا ان نعلم كيف يجب ان يسوس الرجل المرأة الحديثة بعدما تطورت هذا التطور بخيره وشره ، فضائله وورذائله) ولغة المؤلف وانشاؤه ليس من الطبقة الراقية على العكس من تفكيره ونوقد بصيرته في الموضوع الذي يكتب فيه على ان الفصول الاولى التي افتح بها الكتاب ضمنها الكلام على المرأة الانكليزية وتطورها الحديث وهي مترجمة عن الانكليزية للموسيو جليليان من اشهر علماء الاجتماع الاوربي واحد اساتذة المؤلف . ويحتوي الكتاب على عشرين فصلاً ضمنها اهم ما تجب معرفته من علاقات الرجال بالنساء من حيث النزاع واسباب سوء النقام بينهما وتحديد الحقوق التي لها والواجبات التي عليها وصفات الزوجة واختيارها والزواج والطلاق والامانة الزوجية وان في الإخلال بها إخلالاً بالعائلة وإضاعة للنسل والتزوج بالاجنبية وجوب العفاف وفوائده وانه لا يفسد الصحة كما يزعم بعضهم وغير ذلك مما يهم الجنسين معرفته . وبالجملة فان هذا الكتاب كسائر الكتب التي تصدرها المطبعة المصرية فائدة وإثقاناً .

له

كتاب الاخلاق

مؤلفه صموئيل سميثز الاسكتلندي المولد اللندني النشأة (١٨١٢ - ١٩٠٤) .
 حاز هذا الكتاب إقبالا في انكلترا وامريكا ونقل من الانكليزية الى لغات عديدة .
 جعل مؤلفه جل اعتماده في تقرير الأسس الأخلاقية التي تكلم عنها على خصال
 وأقوال لاكثر من اربعمائة من رجال ونساء اشتهروا بالدهاء والفضل من الأقدمين
 والمتأخرين منهم اليوناني والروماني والانكليزي والفرنسي والالمني والابطالي والرومي
 والصيني والهولندي والامريكي .

نقل هذا الكتاب الى العربية الاستاذ محمد الصادق حسين خريج مدرسة المعلمين
 العليا ومدير الادارة العربية بوزارة المواصلاّت بمصر بعبارة فصيحة وأسلوب حسن لا يكاد
 يظهر عليه اثر الترجمة ، مصدقا عليه من لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وهو مطبوع
 في مطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٣٤٢ - ١٩٢٤ طبعاً معني به ، وان كان فيه بعض أغلاط
 منها مالا يصعب الاحتذاء الى صحيحها ومنها ما ربما لا يتبادر الى الذهن صوابه نحو :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧١	٨	الشجرة	الهجرة
١٥٥	٢٠	للقادحين	للقادحين
١٨٥	٤	هرواته	هزواته
١٩٥	١٠	للأولاد	للبنين
	١٢	الأولاد	البنين
٢٠٣	٩	خمرهن	خمرهن
٣٤٦	١٨	الساعة	الباعة
٣٥٦	١٨	ولما ذا	ولندا ، او ، ولهذا

والحق انه لجدير بحب الاطلاع على اخلاق تلك الامم وآراء عظمائها في التربية
 والأخلاق ان يقرأ هذا الكتاب فانه يحصل له فكر وافٍ في ذلك يستطيع ان
 يقابل به بين ما جاء عن علماء الأخلاق من العرب وما ورد عن اولئك الأعلام .

وقد وضع له الناقل ذيلاً فيه ترجمة موجزة لمن ورد لم ذكر في الكتاب ليتعرف القارئ منزلتهم في المفكرين فأحسن بذلك الصنع ، وجبذا لو يوفق الى تأليف مثله عربي الوضع ، انما للنفع .

مسعود الكوراكبي

—xoo—

كتاب علم الغريزة (فسيولوجيا)

لمؤلفه الحكيم احمد منيف العائدي استاذ علم الفسيولوجيا في المعهد الطبي العربي بدمشق

هو كتاب عربي يقع في مجلدين كبيرين عدد صفحات اولها ٧٥٠ صفحة وعدد الثاني ٤٩١ . الاول موشح بمائة واربعة وعشرين رسماً والثاني يجمسة وثلاثين . يبحث الاول في فسيولوجيا الخلية والبيئة الباطنة وتركيبها وغرائزها وجهاز الدوران والتنفس والمجموع العصبي والحواس والحركات وشروط أفعالها وقد لاحظنا ان المؤلف وضع بحث المجموع العصبي في المكان الذي ذكرناه مقدماً إياه على ما سواه من الابحاث نظراً الى شدة علاقتها بجهاز الدوران والتنفس .

ويبحث المجلد الثاني في الهضم وجهازه وفي ملتحقات الأنبوب الهضمي وأفعالها ومفرغاتها الداخلية والغدد ذات الإفراغ الداخلي وفعل التمثيل ومضاده والأغذية وفعل الاغتذاء والراتب الغذائي ومفرغات الاعضاء كالبول والعرق وغيرهما وفعل التناسل والحرارة الحيوانية وغرائز أدوار الحياة الباقية كالطفولة والشيخوخة والمواد السامة وتأثيراتها .

وقد رأينا ان هذا المجلد استوفى البحث في الغدد ذات الإفراغ الداخلي مما لم تذكر عنه المؤلفات الغربية الا النزر القليل وهذا دليل على ان المؤلف لم يكتف بترجمة المؤلفات الموضوعة ولكنه اقتبس كثيراً مما دونه في كتابه من المجلات والجرائد الطبية والمحاضرات التي القاها كبار الفسيولوجيين في باريس حين كان فيها كشارل ريشه وغيره . وكذلك القول عن السمية في الكيمياء الحيوية وعن الفسيولوجيا في الطفولة والشيخوخة فانه ألم بها وذكرها مفصلاً فجاء كلامه عنها جامعاً مفيداً .

والكتاب محبوب تبويهاً حسناً منقن الطبع صقيل الورق صحيح العبارة يدل دلالة واضحة على ماعنى واضعه من الجهد في تأليفه فقد اقتبس من مؤلفات الفسيولوجيا العديدة ومن نظريات أعظم العلماء وأفكارهم وتجاربهم واختباراتهم من فرنسين والمال وانكايرو واميركان وروس وغيرهم من الامم الحية ودون في اختبارات الشخصية التي قام بها حين وجوده في البلاد الغربية فجاء مؤلفه من أغزر المؤلفات مادة واليك المأخذ التي عاد اليها في تأليفه واسترشد بها في وضع كتابه :

كتاب الفسيولوجيا : لشارل ريشه استاذ الفسيولوجيا في معهد الطب في باريس .
 كتاب غلاي : معلم الفسيولوجيا في مدرسة فرنسة .
 كتاب ارثوس .

كتاب لئون فريدريك ونوئل الاستاذين في جامعة لياج .
 كتاب مورا : الاستاذ في جامعة ليون ومعارنه دوايوت .
 قاموس الفسيولوجيا : لشارل ريشه وزملائه .

قاموس الفنون الطبية : لديشامبر وزملائه .

كتاب الفسيولوجيا البشرية : لبونيس معلم الفسيولوجيا في جامعة نانسي .
 كتاب الكيمياء الحيوية للامبلنج استاذ في جامعة ليل .

ولعمري ان مطالعة هذه الكتب العديدة ومقابلتها وانقاء الأصلح منها وصوغه في قالب عربي فصيح والغلب على العقبات اللمة التي تقوم في وجه المقدمين على التأليف في لغتنا العربية الشريفة كل هذا يحملنا على تقدير العمل الشاق الذي قام به حضرة المؤلف ويدفعنا الى تمنااته ببروز كتابه البديع الى عالم العربية بمجلة قشبية جديدة .

وقد جارانا حضرة الزميل في كسح الألفاظ العربية باضافة النهايات الأجنبية اليها كالمضمين (لليسين) والمضمون (للبيتون) والمضمون الثلاثي (للترسين) وغير ذلك . وقد احسن باستعمال القمة (اقله الاشتماء) والنظفة (للحيوي المنوي) والدحداح (للسخ) وغير هذه من المصطلحات التي لم يستأثر بها وانما استعملها ريثما يقر رأي العلماء الاختصاصيين عليها او على ما هو اصلح منها .

غير ان الكتاب على الرغم من العناية به لا يخلو من الأغلاط المطبعية الكثيرة

ومن بعض الغلطات اللغوية التي كنا نتمنى لو صين عنها . هذا عدا مصطلحات علمية كثيرة لانجاريه في وضعها بطول بنا المقام اذا جئنا على ذكرها ومنها ترجمة الفسيولوجيا بعلم الغريزة .

فنحن نشكر باسم المجمع العلمي للمهدي هديته هذه الثمينة ونحضر العلماء والزملاء على اقتناء كتاب نفيس كهذا اهل لان يزدان به جيد الخزائن الطبية والعلمية .

الحكيم

مرشد فهاطر

عضو المجمع العلمي العربي

هدية منطقية

أهدي الى المجمع العلمي الفاضل الارشمندرت توما المعلوم رئيس دير سيدة البلمند جدولين وضعهما في علم المنطق (الاول) في أشكال القياس الاقترافي وضروباها المنتجة وغير المنتجة . و (الثاني) لضروب القياس الاستثنائي المنتجة والعقيمة . فالمجمع يشكر له هديته ويلفت اليها انظار الذين لا يزالون ينظرون في منطق ارسطو وبنظرون خصومهم بمقتضى اصوله .

دار الآثار العربية

جاء في تقرير الحكومة الافرنسية المرفوع الى جمعية الامم هذه السنة ما نعرف به :
نما متحف دمشق كثيراً هذه السنة وخاصة بفضل اجتماعه محافظه الامير جعفر حفيد عبد القادر واحد قدماء تلاميذ مدرسة اللوفر . وقد جعل هذا المتحف في بناية من بنايات القرن الثالث عشر (المدرسة العادلية) التي رمت برمتها منذ سنة ١٩١٩ بناءً على ما رآه رئيس المجمع العلمي العربي محمد بك كرد علي . وقد جمعت في هذه البناية المجاميع التي كانت مبعثرة في بعض معاهد دمشق وضُمت اليها الوثائق التي اكتشفت في الحفريات ولا سيما حفريات الشيخ سعد والمشفرة وتل النبي مند وتدمر اه .

كتب ورسائل مختلفة

(١) التقرير السنوي للجمعية التاريخية الأميركية عن سنة ١٩٢١-١٩٢٣
 وقع الاول في ٢٥٥ صفحة والثاني في ٢٧٥ واسمه بالانكليزية هكذا :
 Annual report of the American historical Association
 (1921 et 1923)

(٢) « العيون » تأليف الفيلسوف الهندي رابندرات طاغور تعريب السيد
 انيس الراسني طبعتها مجلة الجالية الغراء التي تصدر في سان باولو في برازيل واهبتها
 لمشاركها يوم عيد الميلاد (٣٢ ص) .

(٣) « بلوغ المرام من احكام ذوي الارحام » وفي ذيله « القول الصائب في
 تقديم ولد العاصب » هما رسالتان في بحثين من مباحث فن الميراث وضعها الشيخ محمد
 رحيم من علماء طرابلس الشام .

(٤) غر بنور يوس الحجر متروبوپوليت عكا وحيفا والناصره ورائر الجليل .
 ترجمة اعماله . نشرها السيد جميل البحري صاحب المكتبة الوطنية ومجلة ومطبعة
 الزهرة وجريدة الزهور في حيفا بمناسبة يوبيله الفضي طبع بمطبعة الزهرة في حيفا ص ٢٢
 (٥) « مشاهد الحياة » نظم السيد اسكندر الخوري البيهقالي الجزء الاول طبع في
 القدس سنة ١٩٢٧ ص ٣٠٤ .

(٦) « حقائق وعبر » مقالات في موضوعات شتى نشرها السيد اسكندر الخوري
 البيهقالي طبع في مطبعة القبر المقدس في القدس ١٩١٣ ص ١٩٢ .

(٧) « الحياة بعد الموت » رواية تاريخية غرامية اجتماعية وقعت حوادثها اثناء
 الحرب العمومية ١٩١٣ - ١٩١٨ للسيد اسكندر الخوري البيهقالي طبعت بمطبعة
 الروم الارثوذكس بالقدس سنة ١٩٢٠ ص ٢١٦ .

(٨) « الداء والدواء » مجموعة مقالات اجتماعية للسيد اسكندر الخوري البيهقالي
 طبع بالقدس بمطبعة دير الروم ١٩٢١ ص ١٢٤ .

المجلد السابع والعشرون

(دمشق) : تموز سنة ١٩٢٧ م الموافق المحرم سنة ١٣٤٦ هـ ٧٩

بحث في بعض اصطلاحات

« النبات والحيوان »

طلب اليّ ادب كبير لا يسمني رده ان اكتب شيئاً في علم النبات او علم الحيوان فكتبت في مايلي بعض ما عثرت عليه في كتب القوم من الالفاظ التي ربما رأي فيها الادباء ما يصلح استعماله في هذين العلمين او التي فيها خلاف او كانت غير معروفة عند عامة القراء وذكرت بعد كل اصطلاح ما يقابله بالانكليزية او باللاتينية . اما الاصطلاح الفرنسي فانه لا يختلف عن الاصطلاح الانكليزي في غالب الاحيان الا في كتابته . على اني ذكرت الاصطلاحين معاً مني كان الفرق بينهما كبيراً ولم اكتب من الالفاظ الأعجمية بحروف لاتينية تسهيلاً لجمع الحروف بل ذكرت عدداً وافراً منها بحروف عربية لا يصعب على الأديب معرفة اصلها الا فرنجي . ولا ينبغي ان الطربق وعروان السائر فيه لا يأمن العثار فلا عجب اذا كثرت عثراتي فيه فارجو من الادباء إفتلتها او الاغضاء عنها . وهاك بعض ما عثرت عليه او فيه من الفاظ علم النبات :

(١) : البزرة من النبات كالبيضة الملقحة من الحيوان اي هي نبات صغير في حالة السكون فاذا أصابها الحرارة والرطوبة فرخت ونمت وصارت نباتاً مثل النبات الذي حملها ففيها اذاً الاصل او الجنين الذي يخرج منه النبات وهذا الاصل او الجنين اسمه القُوف بالعربية (Embryo) . قال في التاج « هو الحبة البيضاء في باطن الزاوة التي نبت منها النخلة » . وهو قول لا يحتاج الى تفسير فالقوف هو الانبريون عند علماء النبات وكذا ترجمها لاين صاحب مدّ القاموس .

وفيهما اي البزرة نكتة في الموضوع الذي يكون الفوف وراءه يقال لها النقيير والنقيرة والنقرة والأثقور (Hilum) قال ابن سيده في وصف النخلة « اول اسمائها النقيرة . والنقيرة سُرة العجمة قال ابو زيد : النقيير النقرة التي في ظهر النواة ومنها ثبتت النخلة من حبة صغيرة مدورة تكون في ذلك الموضوع » (المخصص ١١) واللفظة اللاتينية التي تقدم ذكرها والتي اتخذها النباتيون لهذا المعنى هي كالعربية حقيقةً ومجازاً اي معناها النقرة التي في البزرة والشئ الزهيد كذلك بالعربية فانه يقال لا يملك شروى نقيير اي لا يملك شيئاً . واللفظة عنها مستعملة في التشريح ويراد بها النقرة التي تدخل منها الأوعية والأعصاب والقنوات فلا يصح ان يقال نقيير الكبد او أثقورها ونقيير الرئة ونقيير الكلية الخ . وهو أفضل من قولنا سُرة لان السرة كما لا يخفى هي موضع آخر له اسم آخر عند علماء التشريح . ولا شبهة ان الفوف هو جنين البزرة كما تقدم عن التاج وغيره وهي أفضل من الرُشيم تصغير رَشَم كما في مدارس الاستانة فمادة رسم ورشم واحدة والرَشَم في اللغة الأثر واول ما يظهر من الثبت ولكن الثبت اذا ظهر يكون قد فَرَخَ وخرج من البزرة اي ان الرشم هو الفرخ من الثبت فلا يصح ان يقال هو الجنين والا جاز ان نسمي جنين الانسان وَاَيْدًى تصغير وَاَيْدٍ او طُفَيْلاً تصغير طفل وان نسمي جنين الفرس مُجَرَّراً واهل جراً . ثم ان اللغو بين ذكروا للثبت في اول ظهوره اسماء كثيرة غير الرشم معظمها في المخصص (١٠ : ١٨٢ الى ١٨٧) وكلها أفضل من الرشم ولكنها لا تصلح للجنين . ثم ما المانع من اطلاقنا لفظ الجنين على الصغير من الاحياء قبل خروجه سواء كان في النبات او في الحيوان قال ابن سيده : « مادام الولد في بطن أمه فهو جنين وقد يكون في غير الناس » (المخصص ١ : ٣٠) . وان قيل ان علماء الاحياء يستعملون لفظتين احدهما يونانية وهي الانبريون مشتقة من فعل معناه عُلِقَتْ اي حَبِلَتْ ويريدون بها في النبات والحيوانات الدنيا الصغير مطلقاً في ما زال في البزرة او في البهضة او في بطن أمه وفي الحيوانات اللبونة الجنين في اوله وهو في الانسان من زمن العلوق الى آخر الاسبوع الخامس او اكثر من ذلك . واللفظة الثانية لاتينية وهي فيتس ويريدون بها الصغير في دوره الاخير اي بعد الاسبوع الخامس في الانسان فالجواب على ذلك ان الانبريون

في الانسان هو العلقه وقد وردت في وصف خَلْقِ الانسان في سورة المؤمنين في قوله :
 « ولقد خلقنا الانسان » الآية الى آخر قوله « فتبارك الله أحسن الخالقين » .
 والانبريون في النبات هو الجنين او الفوف وفي الحيوان النُعمرة (تاج العروس) وفي
 الانسان العلقه او المضغة وفي دوره الاخير الجنين . وقد استعمل اطباء مصر هذه
 اللفظة اي العلقه ووردت في مجمع البحار ومجمع البقلى على انهم قالوا في غالب الاحيان
 الجنين سواء كان في دوره الاول او الثاني . وأما في الآن كتاب مصري في الطب
 الشرعي ليس فيه بهذا المعنى الا لفظه الجنين ولم ير مؤلفاه حاجة الى غيرها بل قالوا
 الجنين في شهره الاول والجنين في شهره الثاني الخ . ولم يجد أطباء مصر وببروت
 حاجة الى استعمال لفظه غير الجنين في الاحياء كلها وفي جميع الأدوار وقالوا علم
 الأجنة او الكلام على الجنين او يبحث الجنين ولم يقولوا يبحث الرُشيم ولم يروا حاجة
 الى هذا الاستعمال الغريب .

وفي النقيز نُقْبة بقل لها البويب (Micropyle) وهي ترجمة اللفظة اليونانية
 ومعناها البساب الصغير ومنه يخرج الفوف اذا فرخ . وفي البزرة السويداء
 (Endosperm) وهي مادة يمتدّي منها الفوف تكون نشوية او دهنية او حيّة
 او غير ذلك . والسويداء من وضع أطباء مصر استعاروها من سويداء القلب وهي
 حسنة جداً . ولكل بزرّة غلاف يقال له الغدفة (Testa) والغدفة لباس الفول
 والدجّر^(١) ونحوهما (المخصص ١١ : ٦٢) وربما كان لها غلافان فيسمى الغلاف الباطن
 منها السريراء والقرطار او القطمير (Tegumen) . وفي البزرة خلايا واحدها
 خلية (Cell) وأطباء الاسمانه يقولون شجرة تصغر شجرة والخلية أصلح لانها
 أقرب الى ما يقابلها عند الافرنج او لان الاصلين واحد . ولكل خلية عضد او جدار
 يقال له خلية وس (Cellulose) . وقد يتحول الخليوس الى مواد أخرى منها
 البهشيشين او الشوبرين (Suberin) . والبهشيش عريبة وهي نوع من الباطوط يخرج
 من قرفنه الفلّين او القُرُق (انظر اللفظتين في دوزي) والشوبر لا تينية بمعنى البهش
 وقد ورد ذكر البهش والشوبر في مفردات ابن البيطار . ويقال للمادة الموتة في النبات

خضوب (Chlorophyll) وزان فعول وأظنها من أوضاع الابلانساس . وخضير
 وغضير وزان فعيل وأظنها من وضع اليازجي ولاأذكر جزء المشرق ولا جزء الضياء اللذين
 فيها ذكر هذه الألفاظ وهي حسنة جداً . ومعنى كلوروفيل باليونانية خضرة الورق .
 وإذا فرخ النبات أي خرج من بزره قيل له السبد (Plumule) واللفظة
 اللاتينية معناها السبد أي الزغب وهو صغار الریش . ويقول العرب سبد البقل
 وأسبد . ويقال للسبد الغفر وقد أغفرت الأرض وهو مأخوذ من الغفر وهو الشعر
 الصغار القصار . ويقال له البارض والوادمس والوديس والنميص (المخصص ١٠ : ٨٤
 و ١٨٦) على أن السبد والغفر أقرب إلى المعنى الأفرنجي . ثم إذا ضرب الفرخ في
 الأرض قيل لما يضرب منه الدنش (المخصص ١٠ : ١٨٦) (Radicle) ومعنى
 اللفظة الأفرنجية الجذر تصغير جذر . ويقال لما بين السبد والنتش العجز والقصرة
 والمقعدة (المخصص ١١ : ١٠٤) (Hypocotyle) ومعنى اللفظة اليونانية تحت
 الفلقطين وهما في الفرخ بين السبد والنتش . ومن العجز أو القصرة نشأ الساق .
 أما الجذور فيقال للأصلي منها الذي تنفرع منه باقي الجذور الأرومة
 (primory root) فإذا ضرب في الأرض وكانت مستقيماً فهو الجذنت
 (Taproot. pavot) وفي المخصص « الجذنت أصل الشجرة وهو العرق المستقيم
 أرومته في الأرض » (١١ : ١٠) والجذنت أما مخروطة كالجزر أو مغزلي كالفجل
 وما يقابلها بالأفرنجية معروف أو شلنجي كالشليم (Napiform) . وقد يقال
 للجذنت إذا كان مخروطياً أو مغزلياً أو شلجياً جزرة أو فجلة (المخصص ١١ : ١٥٩
 و ١٦٩) أو شلجمة ولو كان جذر نبات خلاف الجزر أو الفجل أو الشليم .
 وعلى سطح الجذور زغب (Cilia) وعلى رأس كل جذر نام خلايا مجمعة يقال
 لها عمرة أو كمة (Cap) وهما في اللغة غطاء الرأس .

وإذا نمت القصرة وارتفعت فهي الساق (Caulis. Stem. Tige) أو الجذع
 (Trunk. Tronc) وهو ساق النخلة خاصة وقد يستعار لغيرها (المخصص ١٠ :
 ٢١٥) وإذا كانت ساق نبات كالقصب أو الدرة أو القمح فهي قصبة أو براءة أو فلم
 (Culm) واللفظة اللاتينية هذه من قلمس اليونانية وهذه من القلم العربية . ويقال

لواحدة الا بَاب أو العُجَر أو العُقَد أو الكُعُوب التي في القصة أو الساق أبنية وعُجَرَة وعُقَدَة وكُعُوب (Node) وأفضلها العقدة لأنها شائعة في الفلك وغيره من العلوم . وإذا كان العود كثير العقد فهو مَعْقَدٌ وأَعْقَدٌ ومُعْجَرَم (Nodular) ومنه العُجَرَم لثبت معروف . ويقال لما بين عقدتين أنبوب وأنبوبة (Internode) والساق اما مستقيمة ذاهبة صعداً (Frect) فيقال لها صُعْدَة . او مستنطحة ويقال لها مستلقية ومستنطحة ومستنطحة ومفترشة ومنبسطة (Prostrate) . او عارشة ومعتشرة ومعرّشة كالكرم (Climber. plante grimpante) او ملتفة على عود او شجرة أخرى كالأبيلات فيقال لها عَصْبَة وعُطْفَة او عَطْفَة (Tuviner. Convolve) (المخصص ١١ : ١٨٤) ويقال لواحد الخيوط التي يعترش بها الكرم ونحوه حائق وأطفور وعُطْفَة ورشاء وحَبَلَة (Tendril) .

ثم ان الساق قد تسير على سطح الارض ثم تضرب فيها وتصبح جذوراً أو عروقاً فاذا كانت كذلك فهي حَبَلَة وسارعة وسرع وسرع وشكير ونامية (Runner. Rejeton) (المخصص ١١ : ٦٥) وإذا كان الشكير مراناً عن سطح الارض ثم يضرب فيها وفرّخ فهو الراكب والراكوب والركوب والركابة والملاحقة (Stolon) (المخصص ١١ : ١٠٣) والزرّاع يعرفون ذلك فيعمدون الى الشكير او الراكوب ويدفنون طرفه في التراب ليفرخ وهم يسمون ذلك في مصر بالترفيد وفي الشام بالدرّخ والتدرّخ وفي العراق بالنويم (Layering. marcottage) وربما قالوا في بعض انحاء العراق التدرّخ كالشام وهي سر يانية على ما علمت وفصيها عكس وتعكس ولا بأس بالترفيد والنويم . اما الشكير الذي يكس فهو العَكِيْس . Layer (marcotte) وفي الشام الداروخ وفي مصر الترفيدة . وإذا كانت الشكير تحت التراب ثم سار قليلاً وخرجت منه جذور وفرّخ فهو الرُؤْد والشَطْء والشَطْأ (Sucker. drageon) كما في النخل والزيتون والكرنب . وجميع ما تقدم مستعار من الكرم او النخل او من كليهما .

وإذا كانت الساق جذوراً كما في الزنجبيل والراسن فهي عروق واحدها عَرَق (Rhizome) وربما قيل أَرْؤْمَة وجُذْمُور وجُذْمَار . فإذا كان العرق دقيقاً فيه

عقد صغيرة كما في النجيل والسُّعد وحَبَّ الزَّكَم فهو سَعْدَة وسُعَادَى (Sobole)
 (المخصص ١١ : ١٦٨) وربما قيل نَجِيَّةٌ وَزَيْلَةٌ كما نقول بَصَلَةٌ لكل أرومة مثل ادرمة
 البصل فنقول بصلَة العُضُل وبصلَة الزرجس ونحوهما . واذا كان العرق عقداً غليظة
 كثيرة النشا كالفلقاس والبطاطس فهو عَسَقْل وعُسُقُول (Tuber) واللفظة
 اللاتينية معناها في الاصل الكُم فاستعارها النبايون لهذا العرق ولما كان للكُم اسماء
 كثيرة بالعربية فلا بأس باستعاره ما كان غير شائع منها لهذا المعنى الخاص . واذا
 كانت الساق او الارومة او العرق فَاسْكَة في أسفلها جذور وفوقها قشور متراكمة فهي
 بصلَة (Bulb) كما في البصل الذي يؤكل والعنصل والزرجس . واذا كانت عقدة
 او كَبَسًا تحت الارض كما في الزعفران فهي كعب وجِعْثَن وجِعْثِم وقُرْمَة
 (Corm. chicot) وهذه الاخيرة عامية شامية بهذا المعنى ويريدون بها كما في
 اليونانية اي ارومة الشجرة الباقية في الارض واهل العراق يقولون كعباً وهي فصيحة .
 ومنها الكُؤُوب عندهم وهو الكوب في الشام . وللقرمة وجه في اللغة فهي نبات يخرج
 من الماء (المخصص ١١ : ١٦٨) ولما دَرَمَ وما اشتق منها معانٍ كثيرة تدل على
 القطم ولا يبعد ان قُرْمُس اليونانية من اصل سامي .

والنبات ثلاثة أصناف الشجر والجَنَبَة والبقل فالشجر واحدته شجرة (Arbor)
 وهو ما عظم منه وكانت له ساق واحدة خشبية . والجنبية (Arbustus, strub)
 (arbuste) كالشجر الا انها أصغر ولها سوق عدّة تخرج فروعاً من الارض او فوق
 الارض قليلاً منها الورد والآس والخطمي والقطن . وربما قيل للجنبية شجيرة تصغير
 شجرة لكن الجنبية أصلح لهذا التعبير لان الشجيرة قد تكون الشجرة الصغيرة في العمر
 وليس هو المراد بالجنبية فهي الصغيرة خلقة على ان ابن سيدة وغيره من علماء اللغة قالوا
 نارة جنبية وتارة شجيرة بهذا المعنى الذي يريد علماء النبات انكهنهم لم يقولوا نجماً قط
 كما جاء في بعض كتب النبات الحديثة فالنجم في اللغة كل ما كان خلاف الشجر .
 قال في التاج : « والنجم من النبات ما ظهر على وجه الارض ونجم على غير ساق
 وتسطح فلم ينهض وقد خص بذلك كما خص القائم على ساق منه بالشجر وبه فسّر قوله
 تعالى : « والنجم والشجر يسجدان » . وقال في مكان آخر النجم الثريد الواحد نجمة .

وقال : « الجنبه عامه الشجر التي تترأى في زمن الصيف » . وقال الازهرى : « اسم لبثوث كثيرة وهي كلها عروق سميت جنبه لانها صغرت عن الشجر الكبار وارتفعت عن التي لا أرومة لها في الارض فمن الجنبه النحسي والصليان والحماط والمكر والحند والدهماء صغرت عن الشجر ونبتت عن البقول وقيل ما فوق البقل ودون الشجر وقيل هو كل نبت مورق في الصيف من غير مطر او هي ما كان بين البقل والشجر » . انتهى ما أر يد نقله عن التاج . انظر كذلك المخصص ١٠ : ١٨٧ . وذكر ابن سيده نبوتاً كثيرة من الجنبه قال : « الطريفة بين البقل والشجر لذلك سميت جنبه » (المخصص ١١ : ١٧٦) .

اما البقل واحده بقلة (Herba) فهو كل نبت يبيد الشتاء أرومته وفرعه منه القمح والرجلة والقت والفل والأوباء والأخوان على أنواعه ومعظم الخضراوات التي تؤكل لذلك يقال لها البقول ومن أسماء البقل العابط (المخصص ١٠ : ٢١١) . ومن سوء الحظ انهم سموها فصيلة من فصائل النبات بالبقليّة وسموها غيرهم بالقرنية (Legumenosae) واسمها مأخوذ من (Legumen) باللاتينية ومننا القلبية واحدة القطاني وهي الحبوب التي تطبخ كالفل والعدس والماش والحمص واللوبياء وكلها من هذه الفصيلة وكذا معنى (Legume) بالانكليزية والفرنسية على انه شاع استعمالها بالانكليزية للسنة اي ثمرة هذه النباتات والفرنسية للبقول اي الخضراوات التي تؤكل سواء كانت من القطاني كاللوباء او من غيرها كالكرب والرجلة ونحوهما فالذين أخذوا عن الفرنسية سموها البقلية وهي لا تؤدي المعنى المقصود لان البقول كما لا يخفى تشمل القطاني وأنواعاً كثيرة من الخضراوات ليست من هذه الفصيلة فالجرجير والكرفس والجرجير والمرشاد والخس والهندباء والكرب والرجلة والملوخية والخبازي كلها بقول وهي من فصائل غير هذه . اما الذين أخذوا عن الانكليزية فسموها القرنية نسبة الى هذه الثمار التي لها كلها قرون سواء كانت من القطاني او من الغضاء كالسنت والسمرة والسيال والطماح والأبغ والخسار اي التمر الهندي وكلها من هذه الفصيلة وهي اشجار وليست من البقول وثمارها كلها قرون . اما القرن ويقال له السنف والسنة والرجلة والجذبل والعلف (المخصص ١١ : ٨٢ و ٨٣ و ١٨٤)

فهو الاسم الشائع لثمار هذه النباتات في مصر والشام واللفظة ليست عامية بهذا المعنى
 لـ وردت كثيراً في كتب اللغة في وصف هذه الثمار . قال ابن سيده (المخصص ١١ :
 ١٥٠ و ١٦٦ و ١٨٢ و ١٩١) « وقرون كقرون اللوباء وقرون كقرون الباقلي » .
 ولعل أحسن اسم لهذه الفصيلة إذا أردنا أصلها اللغوي هو فصيلة القطاني أو الفصيلة
 القطانية لا القطنية دفعاً للالتباس لئلا يظن أنها منسوبة إلى القطان وهو ليس منها .
 وإذا أردنا وصفها بثمارها فالفصيلة القرنية أو السنفية فثمارها كلها قرون أي سنوف .
 كذلك في بيروت فانهم سموها فصيلة غير هذه بالبقلية (Portulacaceae)
 لأن البقلة عندهم هي البقلة الحقاء وعربيتها الرجلة وهي شائعة في مصر ومن اسمائها
 الفارسية المعربة الفرغ والفرخين وهذا شائع في لبنان والفرغين والبغادة يقولون
 البربين بباءين فارسيتين . وحققنا أن تسمى الفصيلة الرجلية أو الفرينية الخ فإنه لا يجوز
 تسمية فصيلة من الفصائل بالبقلية سواء كانت هذه وتلك أو غيرهما .

والنباتات بالنسبة إلى أعمارها إما سنوية ويقال عامية (Annual) وهي التي
 تنبت أصولها وفروعها في سنة واحدة أو أقل ومنها معظم البقول . أو محمولة
 (Biennial) وهي التي تذخر غذاءها في أرومتها وتنبت فروعها في الشتاء ثم تثمر
 في الصيف كالجزر والفجل والشليم من البقول والبادنجان والحدق من الخنبية .
 أو معمرة (Perennial) وهي التي تعيش أعواماً كثيرة كالشجر وأكثر الخنبية .
 وربما قيل للمعمرة الخالدة أو الدائمة على أن المعمرة أصلح .

ويؤلف الجذر والساق في معظم الشجر من الخشب والقشرة . فالخشب نوعان :
 الخشب الصلب في القلب وهو الجلب والجلب والجلبسة (Duramen)
 (المخصص ١١ : ١٩٠) ويقال له الخشب الحقيقي . والنوع الثاني هو الخشب الأبيض
 (A burnum) ويقال له الخشب الكاذب .

والقشرة (Cortex) ويقال لها القرف والقرفة والقرفة ومنه القرفة لقشرة
 الدارصيني ونحوه كذلك القفاف والقلافة هي ثلاث طبقات فالتي تلي الخشب يقال لها
 الآحاء (Liber Bast) وهي طبقة ليفية تفتل منها الحبال . قال ابن سيده :
 « الخاء القشر الرقيق الذي يلي صميم العود » (المخصص ١١ : ١٤) وذكر نباتات

كثيرة تقتل الحبال من لحائها منها العُرْفُط قال « و يصنع من لحائه الارشية » (المخصص ١١ : ١٨٤) . والطبقة التي تلي اللحاء يقال لها الذَجَب (Suber Cork Liège) قال في المخصص « هو ما فوق اللحاء » (١١ : ١٤) . والاسماء الثلاثة اي اللاتيني والانكليزي والفرنسي تطلق على البَهِش وعلى هذه الطبقة من قشره والبَهِش نوع من البلوط يسميه النباتيون (Zuercus ilex) ذكره ابن البطار وذكر من اسمائه الشوبر وهي لاتينية اما البَهِش ف عربية . ويعرف قشر البَهِش عند عامة المصر بين بالفِلْ وهي من فأس باليونانية ومعناها البَهِش وقشره ، وعند عامة اهل الشام بالفَين من فَاينوس باليونانية نسبة الى فأس . ويعرف في المغرب بالقرق قال دوزي هي من قُرْأَس باللاتينية ومعناها قشرة وقد بنا ان الاسم العلمي للبلوط هو قرقس ولعلها من القرق المغربية لجميع هذه الألفاظ متشابهة ولا شبهة في ان البَهِش هو شجر الفلين فكما أطلق الافرنج الاسم الافرنجي على هذا الشجر وعلى قشره يجوز لنا ان نضع مثل هذا الوضع اي ان نسمي الطبقة الثانية من قشرة الشجر بالبَهِش وان شئنا قلنا النجب وكلاهما عربي او الشوبر وهي لاتينية او الفلين وهي يونانية او القرق وهي مغربية . وجميع ما تقدم عن المخصص وابن البطار ودوزي . اما الطبقة الثالثة من القشرة فهي البَشْرَة (Cuticle) وهي مستعارة من بشرة الانسان ولا أعرف لها اسما غير هذا .

بقي هناك طبقة بين الخشب واللحاء تولد الخشب واللحاء وتعرف عند النباتين بالكنبون (Cambium) وهي لفظة لاتينية من فعل معناه حوّل او بدّل ومنه الكنبو اي الحوالة عند التجار . ولا بد ان العرب وضعوا لفظة لهذه الطبقة لانهم كانوا على جانب عظيم من الفراسة لا يفوتهم شيء مما بين ايديهم فالذين عرفوا ان الفوف على صغره هو جنين النبات في البزرة لا بد انهم عرفوا هذه الطبقة اللزجة الحلوة الطعم التي بين العود وقشره على انني لم أجد شيئاً صريحاً بهذا المعنى سوى في كتاب الفلاحة لابن العوام فانه سمي هذه الطبقة بالمادة (المجلد الاول من الترجمة الفرنسية الصفحة ٢٤٤ في الحاشية) كذا قال كليمان موليه مترجم الكتاب ولعل الذي لديه نسخة عربية من هذا الكتاب النفيس يجد ان المؤلف ذكر انها مادة الدِّسغ كما

يظهر من الترجمة فان المترجم يقول : (Matière Sèveuse) وذكر في الحاشية لفظ المادة بالعربية بحروف عربية لكنه لم يذكر النسغ . وان تسمية الكنببون بالمادة حسن جداً لكن المادة قد اشتهرت بمعنى آخر والذي اراه اب الكنببون هو الدُسغ وهو على ما جاء في كتب اللغة « ماء يخرج من الشجرة اذا قطعت » وقالوا انسفت الفسيلة اذا اخرجت قلبها وآنسفت الشجرة نبتت بعدما قطعت وكذلك الكرم اما « قلب الذخلة وقلوبها وقلوبها فهو الشحم الذي في رأسها وكذلك الجُمُءار والجامور والكثرة » كل ذلك وارد في كتب اللغة (المخصص ١١ : ١٠٥) ولا يخفى ان معظم الشجر ينمو من الخارج الا ما كان منه كالنخل فانه ينمو من أعلاه اي من الجمار وقد عرف العرب ذلك وعرفوا ان الجمار اذا نزع ماتت الذخلة . ثم انه اذا قطعت الشجرة او نشرت بمشار فانه يرى على سطحها المقطوع دائرة او طبقة لزجة بين القشرة والخشب واذا فرخت فانها تفرخ من هذا الموضع لذلك قالوا أنسفت الفسيلة اذا اخرجت قلبها وآنسفت الشجرة نبتت بعدما قطعت فالدُسغ والقُلب والجُمُءار هو الكنببون الذي تنمو الشجرة منه على ان الدُسغ قد شاع في كتب النبات للدُمُءاع (Saps Sève) فلا سبيل الى تغيير هذا الاستعمال والاُصلح ان يقال للكنببون القُلب او الجُمُءار او الجامور او الكثرة والله أعلم .

وعسى ان أوفق الي متابعة البحث في اصطلاحات النبات في الجزء التالي .

عضو المجمع العلمي العربي

الحكيم امين المهلوف

بغداد :



رحلة الى حلب والشام^(١)

« في سنة ١١٥٠ هـ - ١٢٣٧ م »

— ١ —

نشرنا في مجلد السنة الماضية ص ٤٨١ مقالا بعنوان (الكراس الشارد) وصفنا فيه ذلك الكراس ومضامينه وصفاً بلذ المنبع تاريخ سورية لاسيما معرفة أطوار سكانها الاجتماعية منذ مائتي سنة . وقد سألنا قراء مجلتنا عما اذا كانت عندهم نبأ من امر الرحلة التي شرد منها ذلك الكراس . فلم ينجأنا الا كتاب من الصديق الأبر العلامة احمد باشا تيمور يقول فيه : ان كراسنا الذي وصفناه هو من رحلة كبيرة للشيخ احمد ابن صالح الادهمي الطرابلسي المتوفى (سنة ١١٥٩ هـ ١٢٤٦ م) وقد سمي رحلته هذه (تحفة الأدب في الرحلة من دمياط الى الشام وحلب) فنشرنا الكتاب الذي جاءنا من العلامة المشار اليه في مجلد هذه السنة ص ٢٢٦ وعلقنا عليه . ثم كتبنا اليه ان يرسل الينا الرحلة نفسها لنقتبس من فوائدها الاجتماعية على نمط ما فعلنا في كراسها الشارد . فلم يعمد علامتنا ان بعث بالرحلة المخطوطة اليها فاذا هي كما وصف في كتابه . ولما تصفحناها رأينا فيها أخباراً عن حلب ودمشق جديدة بالقل . وإعجاب اهل العلم والفضل .

خلاصة مامر من مضامين (الكراس الشارد) ان المؤلف سافر من القطر المصري الى وطنه الاصيل طرابلس الشام وقد جرت له في طريقه اليها وفي المدن البحرية التي عرج عليها — امور وصفناها وخلصناها الى ان اسنقر في طرابلس بين أهله وخلانه . ونبتدي الآن بتلخيص أخبار رحلته من طرابلس الى حلب ثم الى دمشق :

قال المؤلف جرى في بعض مجالس الانس ذكر النفاضل بين حلب ودمشق « وانه قد وقع بين أهلها خلاف وارتباب . من قديم الزمان وسالف الاحقاب » . وان كل

(١) هذه الرحلة ثمة لمقالة (الكراس الشارد) المنشورة في مجلد السنة الماضية ص ٤٨١ والاخبار المسوقة هنا سلسلة متصلة الحلقات بالاخبار التي لخصناها من ذلك الكراس اذ النكل من كتاب واحد ومؤلف واحد .

فريق بفضل بلده . فقال القيمي اسعد ^(١) لا بد من الرحلة اليها للفصل في هذا الامر فوافقوه على ذلك وبرحوا طرابلس في ١١ محرم سنة ١١٥٠ هـ وكان الزمان ربيعاً وقصدوا اولاً « حلب الشهباء ذات المرمى الوسيم . والمنظر البهج المقضي له بالتقديم » واول ما صادفوا حين خروجهم من طرابلس المزار المشهور باسم (الشيخ البنداوي) فزاروه كما هي عادة العلماء في ذلك الزمان فان زيارات الأضرحة المشهورة من جملة الاسباب التي تحملهم على السفر وشد الرحال مع ورود النص في النهي عن ذلك . والبداوي مازال الى اليوم يقصد للزيارة وعليه مسجد وبجانبه بركة فيها سمك مشهور بنسبته الى ذلك المزار . ثم وصلوا الى (مقام الهمام الشهيد) ولعله يعني به المزار المشهور المسمى اليوم (الشيخ بدر) ولا أذكر من هو هذا الشيخ بدر ولماذا وصفه المؤلف بالشهيد وهو ما زال يقصد من القرى التي في جواره للتبرك والتفريج الكروب وطلب الحاجات وصاحب هذا المزار ذكره الشيخ النابلسي مذ ورد طرابلس في رحلته التي سماها (الحقيقة والحجاز) وذلك سنة ١١٠٥ هـ فقال : « ثم سرنا اي (من طرطوس) الى ان وصلنا الى مكان فيه قبة يقال انه دُفن فيها شهيد البحر وهو رجل من الاولياء المشهورين في ذلك المكان وحول قبته أشجار وبساتين وبعض بيوت » انتهى . ومعظم سكان القرى من حواليه هم من طائفة النصيرية . ثم وصلوا الى (القنيطرة) ولا أذكر ان هناك قرية باسم (القنيطرة) فلعلها المنيطرة بالميم وتكون هي التي تسمى اليوم (المنطار) وهي قرية مشهورة كان يملكها المرحوم الحاج عبد الله غازي من أعيان أسكلة طرابلس الشام . ثم نزلوا طرطوس فقدمها وذم أهلها ووصف براغيثها فقال :

(و خليل يقول لما رأي في ابداءً أوسع البراغيث ذمًا)

(ان في اسم البرغوث برًا و غوثًا فلت لكن الاسم غير المسمى)

والمؤلف مع رفقته لم يسافروا الى حلب من طريق حماه وانما أخذوا ساحل البحر عن شماله الى اللاذقية ومنها سلكوا الوعر الى ادلب فحلب . وصلوا (جبلة) فلم يروا من أهلها حفاوة فلجأوا الى جامع ابراهيم بن ادم المشهور ثم دخلوا اللاذقية ضيوفاً على

(١) راجع ترجمته في المرادي (ج ٤ ص ١٥٤) .

(احمد الزبادي) بتشديد الياء كما يظهر من قوله فيه :

(خل النساء بزئب وسعاد واقصد مرايع احمد الزباد)

ووصف ما كانت من حفاوة هذا الكرم المضيف بهم كما وصف غلامه وحسنهم
وجمالهم من ذلك قوله في الواحد منهم :

(فكأن ماكنه المفضل احمد غذاه لبن الانس للعواد)

ولعل صوابه (للوراد) ويفهم من قوله هذا ومن أوصاف أخرى لغلام الخدمه
لدى من كانوا يضيفونه ان شراء المالك واستخدامهم كان فاشياً بكثرة في مدن الشام .
ثم وصف حماماً دخله - في اللاذقية بأشنع الاوصاف وقال انه سأل عن اسمه فقيل له
(انه حمام العواني او العشور) كذا وصوابه حمام العُشُر كما أخبرني بعض اهل اللاذقية
وموقعه في البازار . وما وصف به الحمام ان صابونه منتن الروائح واستطرد من بشاعة
هذا الحمام الى ذكر ما قاله الشعراء في الحمامات مدحاً وقبحاً وافتتح ذلك بقوله هو في
حمام اللاذقية :

(وحمام حوى ما ليس يحصى من الأوساخ والدنس القديم)

(ينادي من اتى ببغي قراه لك البشري قدمت على الجعيم)

ومن زاره في اللاذقية (الشيخ عبد الفتاح) وقد وصفه بالقوى والصلاح ويوجد
الى اليوم عائلة وجيهة بهذا الاسم في اللاذقية . وصلوا في جامع (الوزير سليمان باشا)
ودعاهم للضيافة (احمد بن بديع) وقال ان من المدعوين اليها (حضرة الشيخ عبد الرحمن
افندي مفتي اللاذقية) ولعل عبد الرحمن افندي هذا هو جد كاتب هذه السطور
فقد ترجم له المرادي في تاريخه (سلك الدرر) (ج ٢ ص ٣٠٣) وقال ان عبد الرحمن
افندي المغربي (استقام مفتياً في طرابلس واللاذقية مقدار خمس واربعين سنة وكانت
وفاته سنة احدى وتسعين ومائة والف) اي بعد زمن هذه الرحلة باربعين سنة ثم قال
عنه مانصه : « فجر بنا معه في الكلام والمذاكرة وبسطنا له بساط المفاكهة والمحاضرة .
وهو لا بطوي عن مرامنا كشغاً . ولا يضرب عن الذي طلبناه صغماً . بل كلما فتحنا
له مسألة فقهية . سلك طريق المطارحة بالكلية . فعملنا بقرائن الحال . انه رجل سيف

غاية الكمال . فعندما اعتقدنا محبته . وحققنا مع حضرة الوالد صحبته » . يريد ان
عبدالرحمن افندي كان من أصحاب والد المؤلف واسمه صالح افندي الادهمي الطرابلسي
وكان فاضلاً شاعراً . ثم غادروا اللاذقية الى حلب ففروا بقرية (البهلولية) وهي ملك
(احمد الزبادي) الذي كانوا ضيوفه في اللاذقية ومروا بعقبة السكون (او السفكون) ووادي
القرشية ووصف دعورة هاتين العقبتين وصعوبة السير فيهما قال « وفي أثناء ذلك
الضييق . لاح لنا بيت على قارعة الطريق . فنقدمنا لطلب البهان . فاذا نحن بشيخ
وثلاثة نسوان . فسألنا عن الناس الأجواد . فقبل لنا انهم من اهالي الأكراد .
واحدى الثلاثة رعبوبة ذات جمال . وغادة قد تسربت برداء الدلال . فنقدم اليهن
رفيقنا (ابن بدران) . وقال هل ماء الى ابن السبيل الوارد العطشان . وصار يطيل
النظر اليها . وياقي من أسرار لواحظه عليها . فاندفعت نسقي الوارد . وطفقت تظني
ببرودة كلامها حرارة الأكباد » . و (ابن بدران) هذا كان امرأً فيه دعابة وحسن
نادرة فكانوا يستخرجون من نكته ولطائفه ما يطر بهم ويزيل كرههم ويخفف عناءهم
قال : « ومرت علينا ونحن في ذلك المكان . قافلة كبيرة من الركبان . فسألنا الى
اين أيها الاخوان . فقالوا لنا من ادلب الى زيارة حضرة السلطان . فقلنا لهم مصحوبين
بالسلامة ولا زالت العناية بكم ترمي . ولا ننسونا معاشر الاخوان من صالح الدعاء »
والسلطان هذا هو السلطان ابراهيم بن أدهم دفين (جبله) على ساحل البحر بين اللاذقية
وطرابلس . قصدته هذه القافلة من اهل ادلب مكابدين عناء السفر وقطع تلك العقاب
الشاقة لاجل زيارته مع ان ذلك مما نهى عنه الشارع بصراحة لا تشوبها جمجمة .
وهذه القافلة تدل على مبلغ انخراط التربية الدينية في نفوس الناس يومئذ مما كانت
مقدمة لنورة محمد بن عبد الوهاب وبعثاً على رفع صوته وانكاره على اهل ذلك الزمان
مخالفة آداب السنة ودار بقية السلف . ثم وصلوا الى (جسر الشغر) فذمها المؤلف وقبح
في مروة أهلها . حتى بلغوا ادلب فلم يجدوا محلاً لنزلهم ثم وقفوا على مكان عظيم
البناء رحب الفناء وسألوا عن صاحبه فخرج اليهم شاب لطيف حسن الحيا
فرحب بهم وأخبرهم ان المكان (مطبخة صابون) اي موضع طبخه وصنعه ويسمى ايضاً
(مصبنة) مفعلة من الصابون . وصنعة الصابون مازالت الى اليوم من اكبر موارد الرزق

في ادلب . ثم سألوا الشاب عن مالك (المطبخة) فقال هو (احمد افندي ابن طه افندي) نقيب أشرف حلب ثم هياً لهم في المطبخ مكاناً لنزلهم فتنزلوا واذا رجل شائب فظ دهمهم وجعل يسب الشاب بكلام بذيء ونال منهم ايضاً ، فسألوا الشاب عنه وعن خبره فقال ان اسمه (علي النداف) وان والده (اي والد الشاب) كان في هذه المصنبة بيّات (كذا فلعل البيّات هو رئيس عمالها او حارسها الذي بيّت فيها) ولما مات والد الشاب جعل هذا الشيخ الفظ يعارضه ويريد رفع يده عن المصنبة قال : « وبرقني اخوة صغار . وثلاث أخوات أبكار » ثم قال والداهية الدهماء « انه مُسرق لافندينا نصف قطار من الصابون وانا خايف من افندينا ان يدري » ويعني بقوله (افندينا) مالك المصنبة نقيب أشرف حلب . فبشروه انهم اذا وصلوا حلب واجتمعوا بنقيب الاشراف قصوا عليه الخبر وسألوه تفريج الكرب عن الشاب . وهكذا وقع فانهم ذكروا للنقيب حادثة (علي النداف) وما ارتكبه من قلة الانصاف فنجّل وعزله من بيّات المصنبة . ثم نفسحوا في شوارع ادلب وأسواقها فرأوا (في أهلها حسن بشاشة ونوع من الانس واللطافة) لكنهم لما أرادوا الصلاة وجدوا المساجد مغلقة الأبواب حتى ظفروا أخيراً بمدرسة مفتحة الأبواب وأرادوا زيارة « الكامي الكبير (?) » وهو الذي اتفق على زهده الصغير والكبير « فلم يندوا الى داره ! ثم استزارهم المفتي فزاره للتبرك ودخلوا الى مكان صغير وجدوا فيه من الأشراف جمّاً كثير » ثم ان المفتي جعل يشنف آذانهم باخبار بلاد الروم (يعني القسطنطينية) وطلبوا منه زيارة والده . لاجل الشرب من رايق موارده « فأخبرنا انه نائم . وهو في بحر من الولاية عثم » ولا ريب ان المفتي ووالده هما من أسرة (الكيّال) الشهيرة في ادلب وحلب فان هذه الأسرة الكريمة هي المعروفة بالأمرار . والعموم في بحار الأنوار . ثم انهم خرجوا من دار المفتي ولم يروا والده وذهبوا مع الشيخ عمر ؟ فدخلوا الى جامع صغير وتركهم الشيخ عمر وغاب قدر نصف ساعة ثم عاد ومعه (هيطلية) فأكلوا منها بحسب الامكان . و (الهيطلية) حلوى تصنع من النشا وتحلى بالسكر المذاب . ثم يرحوا ادلب الى نيبش نخان طومان وقبل ان يصلوا الى حلب رأوا من بعد قباباً وقيل لهم انها قباب (سيدي عبدالله الانصاري) فقرأوا لروحه ما تبسر من القرآن ثم دخلوا حلب من باب المقام ونزلوا في دار السيد حسن الطبلادي

لانه كان دعاهم الى النزول في داره وهم في طرابلس ففارقهم من خان طومان لا إيراد
الدار والنزل . وقال في وصف داره « وأدخلنا الى فسج دار قد زينت بأنواع المحاسن
والفخار . طوانها بالذهب مغموس . وله بريق كبريق الشموس » . و (طوان) كلمة
دخيلة وكنّا نحسبها حديثه العهد واذا المؤلف يستعملها منذ مائتي سنة وهي من اللغة
التركية ويراد بها اليوم سقف الغرفة المغشى بالجلس او الخشب المنقوش بأنواع
الأصباغ والزخرف . ثم ذكر توارده أهل حلب للسلام عليه وفي ثاني يوم خرجوا
لزيارة نبي الله زكريا فصادف المؤلف في الطريق صديقا له من بلده طرابلس وكان
مجاورا معه في الأزهر ويظهر من وصفه لصديقه هذا انه من أفاضل الرجال وعظماهم
واسمه (السيد محمد افندي الطرابلسي) وكان له منصب في حلب وعمل في حكومتها .
صادفه في الطريق مصادفة فلم عليه تسليم الصديق المشتاق فلم يعبأ به (محمد افندي)
لانه لم يعرفه « وسلم باطراف البنان . وألوى عن المعرفة العنان . فلما رأيت هذه
الأحوال . قلت وعند تغير الحال . للامراء انتقال » فيفهم من هذا ان منصب محمد
افندي كان إداريا لا علميا وان كان هو من العلماء فأعرض عنه المؤلف وقطع الحديث
معه لكن صديقه لم يلبث ان أدرك حقيقة الأمر فأمرع اليه واعتذر وألح في ان
يأخذه الى داره فلم يقبل . ثم وصلوا الى الجامع وكان يوم جمعة فوصف المؤلف الجامع
وضريح سيدنا زكريا بكلام نغم مسجع الى ان قال مخاطبا له : « ها نحن ببابك وقوف .
وانت بمكارم الأخلاق موصوف . فمدنا بمددك . وانظمتنا في سلك خدمك . فانسا
قطعتنا بحبك المهامه والقفار . وقلونا الاولاد والديار » . مع ان المؤلف ورفقته انما
قصدوا حلب والشام لأجل أعمال المقارنة والمفاضلة بينهما لا لأجل طلب المدد من
زكريا (صلعم) ومع هذا فقد قال المؤلف : « فسرى علينا من فيضه الابناس . . .
وبدت لنا منه أمارات . هي على القبول إشارات » . فما أطيب قلب ذلك النبي الحليم .
ثم استأذن المؤلف النبي في الانصراف قائلا : « ثم طلبنا الاذن والدستور .
بالانصراف عن رحبه المعمور . فخرجت الإشارة . بالانصراف وقبول الزيارة » .
وكان المؤلف كلما زار ضريحا عقد محاورة بينه وبين صاحب الضريح ضمنها كلمات :
أنوار وإشارات . وبشارات . وبوارق وقبول وإمداد وإذن . ونفحات : ولحات . في نظير

ذلك وكنا نقرأ مثله في رحلات الشيخ عبد الغني النابلسي وغيره من علماء ذلك الزمان الذي اشتد فيه حلك الظلام . ثم خرجوا من الجامع وطافوا أسواق حلب قال « فحصل لنا فيها غاية الانشراح . لما رأينا من وجوه أهلها الصباح » الخ الخ . ثم عادوا الى دارهم وفي صبيحة ثاني يوم زارهم (السيد محمد افندي الطرابلسي) فعاد الى الاعتذار للمؤلف عما وقع منه وأخذ يذكر ان ايام المجاورة في مصر ويتلفغان على تلك الايام التي قضياها ثمه وانشد المؤلف في المعنى أشعاراً في التثبوت الى مصر ومغانمها . ودعاهم السيد محمد الى داره وعينوا له وقتاً فذهبوا فيه قال « حتى وصلنا الى شارع ك.ك.نوس مرشوش . وبانواع البلاط مفروش » . ووصف الدار والخدمة والعلمان واستقبال صاحب الدار لهم كل ذلك بأساليب مسجعة . وبانواع البديع مرصعة . وهي تدور حول المبالغة في الوصف والإطراء في التقريظ والمدح الى ان جرت مناسبة لتفسير آية وهي (أغرقوا فأدخلوا ناراً) فتذكروا فيها وكان مدار البحث على ان فاء التعقيب في (فأدخلوا) هل تدل على عذاب القبر او لا تدل ؟ فذكروا مقالته الفناري والسعد ثم ذكر مؤلف الرحلة ما كتبه هو في هذه المسألة . ولما أرادوا الانصراف لم يأذن لهم (محمد افندي) حتى أخذ منهم وعداً لضيافته بقيمها لم في بستانه لكن جاء رسوله في الوقت المعين يعتذر لهم « بانه قد حصل لسيدته شغل شاغل . عن الورد الى منهلهم الذي هو أعذب المناخل . وفي المحكمة جمعية . لا يمكنه التخلف عنها بالكلية » . ثم عين لهم اليوم الثاني . وذكر المؤلف في جملة الذين زاروه « الشاب اللطيف . نبجل الكيلاني السيد عبد اللطيف » . ثم وصفه ثراً وشعراً فقال :

(عبد اللطيف له أنس ومعرفة قدفاق أقرانه باللفظ والادب)

(قد جمعت فيه أوصاف مہذبہ کائنات صاغه ربي من الذهب)

وكان السيد عبد اللطيف هذا بكثير من زيارتهم وأخيراً دعاهم الى داره « لإقامة الجمعية . المسماة عندهم بالليلة الوردية . فانها عندهم من أعظم الليال . لجمعها لسائر أنواع الجمال فأجبنا دعوته . وأخذنا عليه المواثيق والعهود . ان لا يحضر آلة لهو كظنبور وعود . وقلنا بكنفينا تحريرك الشجن . طيب النعمة بالصوت الحسن » . قال ولما بقاء الوقت المعين وغربت الشمس « توجهنا مع الاخوان . ونحن لا ندرى حقيقة

هذا الشأن» . يعني انهم لا يدرون كيف تكون « حقيقة تلك الليلة الوردية . المشهورة بين أدباء حلب المحمية » . الى ان وصلوا الدار « وعلى بابها قناديل معلقة وقادوا بين أيدينا الشموع وأدخلونا الى إيوان . كأنه قطعة من الجمان . منقذة فيه من الشموع احد عشر . ومن المصاييح ما لا يكاد يحصر . قد فرش ذلك المكان من الورد بنحو قنطار . وحفت جوانبه بسائر أنواع الأزهار . كأن الورد وجه خود رداح . وقد وضع على جوانبه نرجس وأفاح . وعالقت بسائر أطراف المكان صوادرح البلابل وأحدثت بتلك الأزهار زمرا فيهم كل منشد يحرك السلجود . مع طيباء هذبت بالطف طباعها من كل فتي الخ الخ » ثم وصف المؤلف احدهؤلاء الفتيان باللطف ورقة الحديث وانه كان بدير القهوة على الحاضرين . فقال « وطفق ذلك الغزال . بدير القهوة على الرجال . وكما سكنت أصوات الأخان . حركت البلابل بنفر يدها لوائح الأشجان . وناثر الورد على من حضر . كما ينثر الغمام رشاش المطر » فالليلة الوردية عند اهالي حلب . عبارة عن ليلة أنس وطرب . نقام في فصل الربيع يستكثرون فيها من ضروب الأزاهير . لا سيما الورد فانهم يجلبون منه القناطر . ويظهر من تكرار المؤلف لذكر قهوة البن انها كانت لذلك الزمان شائعة الاستعمال في مدن الشام مع قرب العهد بظهورها . ثم قال المؤلف انهم سفي آخر الليل طووا بساط الغناء والألحان وانتقلوا الى مطارحة كلمات المزاح والمطايبة . ثم مدت موائد الطعام ثم انصرفوا بسلام قائلين : « قد أخذنا من حسن مارأينا العجب . وقطعنا بلطافة ابتداء حلب » . يريد (بقطعنا) جزمنا وحققنا واعتقدنا . وفي مجلسهم في ثاني يوم عرض ذكر (هبنقة) الأحمق المشهور فسر المؤلف خبره وحماقته . وسئل عن الفرق بين (الايغال والايمعان) في فن البديع ففرق بينهما وذكر الشواهد عليهما . ثم ذهبوا في الوقت المعين الى بستان السيد محمد افندي الطرابلسي فوصف البستان بأوصاف (كتاب ليلة وليلة) منها قوله : « يحترقه ماء كأنما صب من دره . او تفرق من عبره » . ثم سرد أسماء الأزهار والطيور التي في البستان مثنفتا في وصفها وتشبيهها الى ان قال في صفة البستان « أصابله متوافقة مع أسبحاره . وشمسه لا ترى الا من خلال أشجاره . وقد أحرق به ماء يتدفق . وهو عن مثل المسك يتفق » . ولا نعلم كيف كان الماء كثيرا في ذلك البستان وعهدنا

بجلب أنها قليلة المياه . ثم ذكر ان (محمدافندي) تلقاهم وأجلسهم (على جانب ذلك النهر الرائق) ثم خاضوا في الشعر والأدب وأنشد أحدهم قول (البديعي) : (افدى الذي دخل الحمام متزراً) . . . البيتين . وتذاكروا في سبب دق الطاسات والنحاس عند خسوف القمر فذكر المؤلف ان السبب هو نصير الدين الطوسي لما أعلم هولاء كواكب خسوف ونام هولاء كواكب فخرض الطوسي الناس على دق الطاسات كي يخاف الحوت ويلفظ القمر من فيه وهكذا انتبه هولاء كواكب وشاهد بعينه صحة قول الفيلسوف . ثم روى حكاية (العمرى^(١)) شيخ أدباء دمشق في ذلك العصر . وخلاصتها : ان العمرى كان في (بيت قهوة) بدمشق ومعه صديق فدنا منهما غلام حسن الوجه واذا شخص هيوولي الشكل غليظ الطبع حال بينهما وبين الغلام فقال صديق العمرى (هذا خسوف عسى الله ان يؤذن بزواله) ولحوارأس ذلك الشخص فاذا هو أقرع كأنه طاسة فقال العمرى الآن تم التخييل واخذ القلم وكتب على البديهة :

(حبس البدر أقرع عن عيوني ففقد الطرف خاسماً مطروفاً)
(فتنازلت رأسه لصفاع بنعالي وصنت عنه الكفوفاً)
(قال لي اللائون كف فادب ت دعوني واقصروا الثغيفاً)
(عادة البدر ينجلي ليلة الخد - سف بدق الطاس دقاً عنيفاً)
(وتراءيت رأسه طاسة فجعلت الصفح دقاً فكان عذراً لطيفاً)

ثم انتقل المؤلف الى حديث آخر من أحاديث الأدب والشعر وكان في مجلسهم (السيد احمد الحيايى) وقد أثنى عليه المؤلف ثناءً عظيماً وذكر من مزايده حسن الصوت وقال فيه انه « سيد لو لم يكن على رأسه من القبول أعلام . لما اختاره طراز الوزراء الكرام امام » . فيفهم من هذا ان الحيايى كان إماماً يصلي بوزير حلب في ذلك العهد . وان وزيراها هو (سليمان باشا) لان المؤلف ذكره وأثنى عليه ثناءً طويلاً وقال ان هذا الوزير سأل عن آية (ولا تكثر هوافتياكم على البغاء ان اردن تحصاً) فان مفهومها انهن ان لم يردن التحصن فيواليهن ان يكرهوهن على البغاء . وقد أجاب

(١) راجع ترجمته في سلك الدرر (جزء ٢ ص ١٥١) .

المؤلف عن هذا بما وسعه المقام . وبينما هو كذلك اذ سمعوا ضوضاء شديدة وكانوا كلما أرسلوا احداً يأتي لم يخبر هذه الجلبة تسلسل لو اذا ولم يرجع اليهم ثم اندب السيد احمد الحيايني وعاد ولم يفتح عن الخبر وانما كان يجمع وفي آخر الامر قال ان (بشيراً) عبد المؤلف وقع في الغدير وكاد يفرق ثم خرج وفر هارباً كأنه خاف من سيده ثم أحضر مكشوف الرأس حافي القدمين واخبر انه أراد الوضوء فزلت قدمه فسقط سيف الغدير ثم خرج منه الى حيث يريد تبديل ثيابه لكنه لم يكدير بباب حاب حتى أحرق به الناس وتقدم اليه رجل فصفعه على عنقه ولطمه على فمه وقال له « الى اين امسا العبد الآبق . هل انت زنديق او سارق ؟ » . فذكر لهم قصته فلم يصدقوه وجعلوا يضربونه ثم وضعوا في رجله قيداً من حديد حتى اسعفه الله بالسيد عبد اللطيف فانه لما رآه عرفه وقال له « مادهاك . ومن بشر هذا القلقجي رماك » . ولعل صوابه (الفلقجي) اي صاحب الفلق و يفهم ان للشرط يومئذ فلقه كانوا يضعونها سيف رجل من يريدون تعذيبه . وعبد اللطيف هذا هو في الغالب السيد عبد اللطيف النكيلافي الذي أقام لم حفلة (الوردية) في داره كما سبق ولما عرف بقصة العبد امر بفك وثاقه وجاء به الى سيده الادهمي ضيف حطب وشفع الحاضرون بالعبد لديه فعفا عنه . وأنشدهم قصيدة السراج الوراق والشهاب محمود في عديها . ثم ذهبوا الى (الميلوية) وهي تكية دراءيش المولوية المشهورة في حلب لاسيما في هذه الايام وفي نسخة الرحلة يسمى المولوية هكذا (الحيلوية) ولا ريب ان الحاء محرفة عن الميم فصوابها (الميلوية) والميلوية هي (المولوية) كما ينطق بها أهل طرابلس الى اليوم . ومن جملة ما وصف به دار المولوية قوله « في وسطها بركة ماء كبيرة . . . وصعدنا لمكان مزخرف بالوان الأظلية والشيد فيه الغرف الرفيعة ذات التزيين . والمفاصير التي تليق بالخور العين . وقد أطلت شبابيكه على تلك الارعاء والجداول المتدفقة وأشجار السرو » . واستقبلهم رئيس التكية (داده الشيخ ابو بكر الدرويش حسين) و (داده) كلمة تركية مازالت تطلق على شيوخ المولوية الى اليوم . ثم وصف الداد المذكور وما قال فيه « وحسبك بامرئ لم تر له ذاماً ولا شائياً . ولا ذا كراً يعلم ان له في كرم الاخلاق ثانياً » ثم صلوا في الجامع والسياق يقتضي انه جامع التكية وعادوا من الصلاة الى مكاف في التكية مطل على الشهاب وبساتينها

وقضوا بالرئاسة لهذا المكان على سائر ما في حلب من المنتزهات وناموا في التكية ورجعوا في الصباح الى دارهم وتذكروا في بيت المعري :

(و يوشع رد يوحا بعض يوم وانت متى سفرت رددت يوحا)

و (يوحا) معناها الشمس ولكن هل هي بالياء المثناة او بالياء الموحدة وقد اختلفوا في ذلك وروى عن المعري وهو في بغداد ان بعض فضلائها احتج عليه بكتاب الالفاظ ليعقوب فأجابه المعري « هذه نسخ محدثة غيرها شيوخكم ولكن أخرجوا ما في دار العلم من النسخ العتيقة » فأخرجوها فوجدوا (يوحا) مقيدة كما قال . وشعر المعري من قبيل النوع البدعي المسمى (التليح) وقد أفاض القوم في ذكر الشواهد عليه من أقوال الشعراء . وجرى ذكر مقامات الحريري فاقترح بعض الحاضرين على المؤلف ان يحذو حذوه في وضع مقامة قال « فقلت حكى الفكر الفاتر عما خلج في الضمائر الخ » وهذا يدل على انه ارجل مقامته في المجلس وبلغت المقامة نحو ثلاث صفحات ضمنها مسألة نحوية وبعد اتمام المقامة عاد المؤلف ففسر الكلمات اللغوية التي وردت فيها ثم انهم ذهبوا الى ضيافة (السيد امين شارخ) وقال انه كان يلزمهم (شاب ظريف . يسمى عبد اللطيف) حسن الصوت رخيمة ممتن في الانشاد فكان يطربهم من وقت الى آخر . ثم دعاهم الى داره (السيد محمد افندي الطرابلسي) فذهبوا اليه فلم يجدوه وانما وجدوا ابنه الذي ناب عنه واعتذر بان قد جاء اباه (نجاب من حضرة الملاء) يدعوه اليه فتعلل واعتذر عن الذهاب فلم يقبل عذره ثم اكل القوم وقضوا اليهم هناك وكتب المؤلف كتاباً نظماً ونثراً وتركه لصاحب الدار وغادرها الى داره . ثم وصفوا للمؤلف (بيت عبد السلام افندي) ومحاسنه العجيبة فذهبوا اليه فرأوا رب الدار واقفاً في الباب فأخبروه خبر ضيف حلب الكريم فرحب بهم ودخل أمامهم ثم وصف المؤلف تلك الدار وصفاً مسهباً من ذلك قوله « واقع في صدر تلك الدار ابواب . أخبرت أرباب المعارف انه على طراز ايوان كسرى انو شروان . وتجاهه بركة عشرون مضروبة بمثلها فوق تلك البركة مقعد صغير عديم النظير ويسبح في البركة أصناف من الطيور . وحول البركة جنينات . كأنها اختلست من الجنات » . ثم قال ان صاحب الدار أعرض عن حديثهم أولاً ثم مازالوا به حتى مال اليهم واستدرك ما فرط منه

(وأمر بالتطلي والشربات) ولام اخوانه الذين لم يعرفوه بمقام الضيف قال «لما قضينا من المكاث حفظنا الموفور . أردنا القيام فحلف وجاب لنا القمم والبخور . فتطينا وتبخرنا . وعلى صنيع معروفه شكرنا » . وقول المؤلف (جاب لنا) بدل على مبلغ تساهله في استعمال الكلام الدارج على السنة العامة . ثم وصفوا المؤلف جامعاً ليس في الشبهاء جامع يحاكبه وهو جامع « صاحب الجاه والدستور . ومدير امور الجمهور . الحاج عثمان باشا ^(١) فهو الذي بحسن هذا الجامع انفرد . ولم يسبقه الى شكلة احد » ثم دعا له بما يشعر انه مازال حياً . ومما وصف به ذلك الجامع قوله « لاحت لنا منارته نجلي . كأنها عروس بانواع الزينة تحلى . قد حاكت بعلوها الالهام الكبير توجت بتاج أخضر وفوق التاج . هلال محلي بالذهب الوهاج . اذا ألفت الشمس شعاعها عليه تكاد تراه من مسيرة يوم نزلنا الى وسطه فرأينا بسائر جهاته مقاصير يرسم الطلبة ولهم تعبين وفي وسطه بركة . عشر في عشر . تجري ليلاً ونهاراً » . هذا ما قاله المؤلف في صفة الجامع وقد تكرر في وصفه بسائين حلب ودورها ذكر جريان المياه المتدفقة فيها وعهدنا بحلب انها محرومة نعمة المياه فما هو تأويل كلامه يا ترى ؟ وقال المؤلف انهم (لما خرجوا من الجامع رأوا يجنبه بيتاً ^(٢) لانواع المحاسن جامع) فسرهم حسن منظره وعلما ان بانيه هو باني الجامع (يعني الحاج عثمان باشا) وقد استدلوا بحسن البناء على علو همة الباني وتشوفوا للوقوف على حقيقته وعزموا على العودة اليه للفرجة عليه . ثم ان (حضرة مصطفى اغا ابن هيكل) دعاهم الى القلعة وان يصلوا صلاة الجمعة فيها ويزوروا مكان ابراهيم الخليل فوعده بذلك وزاروا (الميوبة) مرة ثانية (بقصد النفرج على ما فيها من الخلوات فرأوا خلوة مزخرفة طيقانها وأبوابها) وعلما ان ساكنها « رئيس اللطفا الدرويش ابراهيم وانه من الكتاب . اولي الفصاحة والظرافة الانجاب فلما دخلت خلوته الانيقة التي لحسنها كأنها حديقة

(١) عثمان باشا هذا هو المشهور بالدركي الحلبي راجع ترجمته ووصف جامعه وكيفية بنائه له في المرادي (جزء ٣ ص ١٥١) . (٢) لعل هذا البيت هو المطبخ المسمى بالمعارة كما يفهم من المرادي .

تأملته فعرفته الخ « . واذا هو صديقه فاعتذر الدرويش اليه بعدم علمه خبر قدومه ثم ذهبوا الى القلعة فوصف علوها وخندقها ومصاطبها التي بين الابواب فاستراحوا ثم صعدوا فقابلهم رب الضيافة الى وسط الدار فجلسوا وقد ابتلت ثيابهم من العرق وتغدوا وبعده أديرت القهوة والشربات والبخور والطيب وصلوا في جامع القلعة وخطبه معرفة بالانعام ثم طلعا الى سور القلعة وصحبوا معهم القهوة وبعض الحلويات وأشرفوا على حلب قال « فصرنا بما بمساحة الافهام . فرأيناها تساوي مصر ذات الاهرام » ثم مدح حلب وانها مباركة من زمن ابراهيم الخليل ومدح أهلها وانهم أمراء الفصاحة من عهد أمراء بني حمدان وكان معهم في مشاهدة القلعة « رجل له شغف بجمع الدرهم والدينار اسمه امين . وهو بالبذل ضنين » . فارتحل المؤلف بيتين تعريضا به وبحرصه على المال ثم نزلوا فزاروا المكان الذي كان يحلب فيه ابراهيم بقرته الشهباء ! فدعوا وتبركوا ثم خرجوا من القلعة الى دارهم وهناك جرت مذاكرات ادبية نضرب عن ذكرها صفحا ومنها قول جميل :

(بثينة تزري بالغزالة في الضحى كأن اباهما الظبي أو أمها الماء)

قال المؤلف « ولهذا البيت حكاية لطيفة أوردتها في شرحي على القصيدة المقرية »
ويعني بالقصيدة المقرية قصيدة الشيخ (المقرئ) التي مطلعها :

(سبحان من قسم الحظ - وظ فلا عتاب ولا ملامه)

واسم شرحه عليها (الكواكب السنية شرح القصيدة المقرية) قال المرادي انه شرح حسن مفيد يدل على فضل المؤلف .

وكان الجلوس يسألونه عن أبيات شعرية فيها غموض من حيث اللغة أو المعنى فكان يجيبهم عليها ويكشف الغموض عنها ويورد ما قاله العلماء فيها عدا أبيات شعرية كانت تعرض عليه فيشطرها نارة ويخمسها طورا . ثم ختم المؤلف رحلته بذكر أشهر مشاهير حلب الذين اجتمع بهم فجعلهم فريقين : الفريق الاول رجال العلم والأدب والفريق الثاني رجال المناصب والرتب وهم الذين أصبحوا يسمون (الافندية) أو (العلماء الرسامين) أحيانا وقد اتى على وصف الفريقين وتراجم أحوالهم ولز بعضهم معرضا أو مصرحا بعيوبه .

« الفريق الاول »

- (١) الشيخ فاسم الشهير بالبكرجي صاحب البدعية المشهورة (راجع ترجمته في المرادي ج ٤ ص ١٠) .
- (٢) الشيخ فاسم بن الشيخ محمد النجار (جزء ٤ ص ١٣) .
- (٣) السيد علي العطار سبط الكيلاني (جزء ٣ ص ٢٠١) .
- (٤) الشيخ طه الجبريني ابن مهنّا (جزء ٢ ص ٢١٩) .
- (٥) الشيخ علي الدباغ وقد لمزه بالطمع وقال فيه (له معرفة باسماء الكتب بلا خلاف . حتى يتراءى بانه لمعرفته بها صحّاف) . (ترجمته في جزء ٣ ص ٢٣٣) .
- (٦) الشيخ عبد الكريم الشراياتي (جزء ٣ ص ٦٣) .
- (٧) الشيخ محمد الزمار (جزء ٤ ص ١٢٣) .

« الفريق الثاني »

- قال « واما من اجتمعت عليه من أبناء حلب . من أرباب البايات والرتب . فنبذة أخيار . قد رفلوا بثياب العز والفخار » . فمنهم :
- (١) السيد يوسف افندي الدمشقي الملقب بالشهباء . وقال المؤلف انه تردد بين ان يبعده في الفريق الاول (العلماء) او الثاني (أرباب البايات) ولذلك جعله بين الفريقين ثم لمزه قائلاً « اما وصفه باثبات أدلة . فلسا في الحال يتنادي بانه حجة المعترلة . . . قد طعن في امره وأسن . ولم يخلص عن الجحون من رأسه الرسن » . ثم ذكر انه كلما أراد مناظرته والبحث معه « ضرب سداً عن هذا المرام . بفضول الهزل والكلام » . ولكن المرادي ترجم السيد يوسف هذا في جزء ٤ ص ٢٦١ ترجمة حسنة ونقل للمعجب في ذيل نفخته مدحاً جميلاً فيه .

(٢) احمد افندي طه زاده تقيب الاشراف .

(٣) السيد محمد افندي ابو الجود الكواكبي التقيب السابق .

(٤) ابن عمه احمد افندي ابن المرحوم ابو السعود افندي الكواكبي . و يظهر من وصفه له انه كان في ذلك العهد شاباً طالباً فقد قال فيه « أفرغ الله ذاته في قالب الحسن فكان نوراً مصوراً . وأطلع غصن كماله في دوحة الحسن بانعاً منوراً . له وجه

يحبجل البدر عند شروقه . ورقة كلام يشربها سمع الحاضر فتسري كمنشوة الخمر في عروقه قد تعلق بذيل الأدب . وأطلق عنان الطلب . . . فأحرز قصبات السبق في ذلك المضمار . وزاحم مناكب المجتهدين . فساوي من طلب سيف ذلك أعواماً وستين » .

(٥) خاتمة الصالحين الابرار الشيخ احمد البنان . صاحب العلوم الالهية والانفان) . ووصفه بالولاية وانه هو صاحب الوقت في تلك الديار . قال « مسرت الى دكانه تجاه الخسرفية (الخرسوية) ثم باثناء المذاكرة والملاطفة . أخبرني ببعض امور على طريق المكشفة » . عندها يتقن المؤلف (انه من أولياء الله الصالحين) . ولم يترجم المرادي لواحد من هؤلاء الاربعة .

وذكر المؤلف انه طاف على الأولياء الذين في الخود فعدهم منهم (سيدي غوث) و (سيدي عبدالله الذهبي) و (الشيخ ابوبكر) وبعد مضي احد عشر يوماً في حلب عزم على الرجوع الى بلده طرابلس الشام فيمكث اياماً ثم يرحل الى (دمشق الشام) . وعاد في الحافلة التي جاء منها : خان طومان فقريبة القناطر فإدلب ونزلوا فيها في (مصبنة النداف) ومعهم كتاب بعزله عن بيانة المصبنة من صاحبها (احمد افندي بن طه افندي) نقيب أشرف حلب فأرسلوا الكتاب الى نقيب أشرف إدلب فعزله بالطبع ثم زاروا في إدلب (الكامل الكبير) ولعله والد مفتيها الذي لم نتج لهم رؤيته في مرورهم بها أولاً وقلنا انه ربما كان من أمرة الكيال التي كادت تحتكر الولاية في تلك الديار وهاتيك الأعصار . وقد قال في صفته « وجدناه كعبة الهداية . غارق في بحور الولاية نفعا الله ببركاته . ومتع أهل إدلب بطول حياته » . وبرحوا ادلب فنشبو في أوعار الطرق ومضابق الجبال وعقابها قال « ولما قطعنا صعايبها اخذت دابتي الخشوع . فهوت الى الارض فنزلت ناوياً السجود والركوع . فرُض كفتي وجنبي . واحتسبت مصابي عند ربي » . حقاً ان كل مسافر يحنق الطريق اليوم على السيارة بين حلب وبيروت يجدر به ان يذكر المؤلف الأدهمي ويقرأ الفاتحة عن روحه الطيبة . ثم وصلوا الى (جسر الشغر) فصلوا الظهور في جامعها (واذارجل من الشافعية يقرأ للناس تفسير الخطيب) فدفل اليهم وعرض الضيافة عليهم فاعتنوا بهم ثم وصلوا الى اللاذقية فنزلوا عند

(أحمد جلي الزيادي) وعزمهم ابن مفي اللاذقية الشيخ عبد الرحمن أفندي الذي مذكوره
قال « فوجدنا عذره في الدار . رجلاً من أدليا . الله الإختيار وأجازنا بأذكار
وقال : ان وقعتم في ضيق فتنادوني . فإنكم ان شاء الله في كل وقت تجدوني » !!
ثم بلغوا جبلة فطرطوس ثم طرابلس الشام فدعاهم الى الزاوية (الحاج علي العكاري)
فأضافهم في (بستان الحور) يومين . وأسرة العكاري من أشهر الأسر الطرابلسية
كانت أسرته علم ثم تجارة وما زالت الى اليوم معروفة في طرابلس . قال وأضافهم
(الحاج ابراهيم بن علي باشه) وكلمة (باشه) تكتب أحياناً (بشه) ونراها كثيراً في
البيكوك والوثائق الطرابلسية القديمة وهي لقب تكريم لكنها دون الألقاب الاخرى
وفهمت من بعض المعاجم التركية ان (بشه) و (باشا) كلتاها تركيتا الاصل لكن
الاولى تكتب بباء موحدة النقطة ومعناها (السيد والمولى) والثانية تكتب بباء ذات
ثلاث نقط ومعناها (الوالي والوزير) وهي التي مازالت حية شائعة بيننا . اما الاولى
فقط ماتت . ثم ان المؤلف ذكر ان صديقه (الشيخ مصطفى اللقيمي) أقام في
داره مريضاً سبعة عشر يوماً ثم غادر الدار من دون ان يعلم ناهياً زارياً فغضب المؤلف
عليه وانه لم يراع حقوق الصحبة وسمع كلام أعدائه فيه . وهكذا انتهت رحلة المؤلف الى
حلب ثم غادر طرابلس الى (دمشق الشام) وسأقي على وصف رحلته اليها في جزء
آخر من هذه المجلة .

المعربي



قانون البلاغة

— ٥ —

فلما أفضي الشعر الى المحدثين ، ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن ، وتميزها عن أخواتها في الرشاقة واللفظ ، فكلفوا الاحتذاء عليها ، وسموها البديع فمن محسن ومسيء ، ومفرط ومقتصد ، وهو ينقسم اقساماً ويتشعب شعباً .

فمنها الطباق ، التجنيس ، الاستعارة ، المقابلة ، الازداف ، الموازنة ، المساواة ، الوحي والإشارة ، التذليل ، المبالغة ، الغلو ، الایغال ، التسهيم ، رد الكلام على صدره ، صحة النظم ، الماثلة ، الترصيع ، التكيل ، التكافؤ ، السلب والایجاب ، العكس والتبديل ، الكناية والتعريض ، الالئفات ، الاستدراك والرجوع ، التذليل ، الاستطراد ، التكرار ، الاستثناء ، التخصيف ، براعة الاستهلال ، براعة التخلص ، التردد ، التميم ، جمع المؤلف والمختلف في بيت أو بيتين ، المذهب الكلامي ، التفويف ، التفريع ، التسميط ، التصريح ، التضمين ، القسم ، الأعنات ، تجاهل العارف^(١) ، هنزل يزداد به الجدد .

فاما الطباق فهو ان يأتي الشاعر بالمعنى وضده ، او ما يقوم مقام الضد فيحسن جداً ، وله شعب خفية ، وشعاب غامضة ، وربما التبتست به أشباه لاتبين الا للنظر الصائب . والذهن الثاقب ، ومن اشتهر أقسامه ماجرى مجرى قول زهير :

(ليث به شر^(٢) يصطاد الرجال اذا ما لليث كذب عن اقارنه صدفا)

وقال جرير :

(وباسطر خير فيكم يمينه وقابض شر عنكم بشماليا)

وقول طفيل :

(يسان وهو ليوم الروع مبدول)

(١) في الحاشية وسماه صاحب المفتاح « سوق المعلوم الى غير المعلوم » .

(٢) عذر كجَـمَّ مأسدة باليمن وقيل جبل بنبالة به مأسدة .

وقول درعيل :

(ألا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى)
وقول الآخر :

(خميص من النقوى بطين من الخمر)

وقد يجيء منه جنس آخر تكون المطابقة فيه بالنفي كقول المجتري :

(بقيض لي من حيث لا أعلم النوى ويسري اليّ الشوق من حيث أعلم)
لما كان قوله لا أعلم كقوله أجهل ، وكان أجهل مطابقه ، كان الآخر بمثابة .
ومن أغرب الفاظه والطف ما وجد فيه قول أبو تمام الطائي :

(مها الوحش الا ان هانا وانس قننا الخط الا ان تلك ذوابل)

فطابق بهانا وتلك ، واحدهما للحاضر والآخر للغائب ، فكأننا نقيضين في المعنى ،
وبمنزلة الضدين . وسبيل الشاعر ان يتنوع فيه التقابل ، وان لا يجيء باسم مع فعل ،
ولا بفعل مع اسم ، فان ذلك اذهب في الصنعة ، واسلم في البنية .

واما التجنيس^(١) فهو ان يأتي الشاعر بلفظتين في البيت احدهما مشتقة من الاخرى
يسمونه المطابق ، وهو اشهر أوصافه ، واكبر أصنافه ، نحو قول امرئ القيس :

(لقد طمح الطامح من بعد ارضه ليولدني من دائه ما نلبسا)

وقول الاعشى :

وقول زهير :

وقول القطامي :

وقول الشنفرى :

وقول رؤبة :

فجانس في موضعين في بيت رجز وقول جرير :

(١) وجد سيف هاشم الاصل ما يلي : «سمى هذا وأخواته من الأمثلة اشتقاقاً

لا تجنيساً والتجنيس أنواعه ثلاث عشرة وهي مرتبة في كتابي الموسوم بدررة التبيان
في علمي المدايني والبيانات .

(فما زال معقولا عقال عن الثدي وما زال محبوسا عن المجد حابس)
وقد يكون منه التجنيس المستوفي كقول ابي تمام :
(ما مات من كرم الزمان فانه يحجي لدى يحجي بن عبد الله)
فجانس يحجي ويحجي لاختلاف المعنيين لان احدهما فعل والاخر اسم ولو انفق
المعنيان لم يعد تجنيسا . وكقول بشار :
(واني للثغر الخوف لكالي وللثغر يجري ظله لرشوف »
ومنه التجنيس الناقص كقول الأخنس بن شهاب :
(وحامي لواء قد قتلنا وحامل لواء منعنا والسيوف شوارع ^(١))
وقول ابن مقبل :
(يمشين مشي النقا مالت جوانبه ينهال حيناً وينهال الثرى حيناً ^(٢))
وقول ابي تمام :
(يمدون من ايدي عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواض ^(٣))
وقول البحتري :
(هل لما فات من تلاق تلاف ام لشاك من الصباية شاف)

ومنه التجنيس المضاف كقول البحتري :
(ايا قمر التمام اعنت ظلما علي تطاول الليل التمام)
فجانس بقمر التمام وليل التمام ، وكل واحد منهما موافق للآخر في المعنى ، ولكن
احدهما صار مقترنا بالقمر والآخر بالليل ، وكانا كالمختلفين .
والجنس يزيد في رونق الشعر ، ويحلي عاقل معانيه ، وهو عنوان الفصاحة ،
وشاهد الاتساع في اللغة ، ودليل على توفد الذكاء ، وجودة الذهن ، ومساوقة الخاطر .
واما الاستعارة ففي نقل الكلمة عن شيء قد وضعت له الى شيء لم توضع له .

-
- (١) في الاصل : ليس هذا التجنيس الناقص بل هو التجنيس المطرف .
(٢) في الاصل : هذا تجنيس ناقص فانه كالتام الا في الاعراب .
(٣) في الاصل : ما هو التجنيس الناقص بل هو التجنيس الزائد .

ولا تكون الاستعارة واقعة حتى تكون اللفظة المستعارة في الموضع الذي استعيرت له
أبلغ من الحقيقة .

واستعارات الشعراء حجة ، ومحاسنهم فيها كثيرة ، ومذاهب المحدثين فيها خاصة

طريقة ، فمنها قول زهير : وعُرِّي أفراس الصبا ورواحله

وقول لبيد : إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

وقول ابن الطنبرية :

(أخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالت باعناق المطي الأباطح)

وقول جرير :

(تحيي الروامس ربعا فتجده بعد البرلى وقيته الأمطار)

وهذا البيت يجمع لطف الاستعارة ، وشرف الطباق ، لانه جاء فيه بالاحياء

والامانة ، والجدة والبرلى . يستحسن من الاشعار مثل قول ابي حية :

(ليلة مرصت من كل ناحية فما يضيء بها نجم ولا قمر)

واما المقابلة فهي ان يضم الشاعر معاني يريد التوفيق بينها ، فيأتي في الموافق

بما يوافق ، وفي المخالف بما يخالف على الصحة ، او يشترط شروطاً سيف احد المعنيين ،

فيأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه ، وفيما يخالفه باضداد ذلك ، كقول الجعدي :

(فتى كان فيه ما يسر صديقه على ان فيه ما يسوء الاعاديا)

وقول تابت شراً :

(اهز به في ندوة الحمي عطفه كما هز عطفي بالهجان الاوارك)

وكقول آخر :

(ابا عجباً كيف انفقنا فناصح وفي مطوي على الغل غادر)

لجعل بأزاء ناصح مطوياً على الغل وبأزاء وفي غادراً . وقد ذهب بعض الناس

على ان هذا طباق ، وليس هذا كما ذهب اليه ، وان كان مناسباً له ، واما الإرداف

وفي الهامش وسمي تنبيهاً فهو ان يريد الشاعر دلالة على معنى فلا يأتي باللفظ الدال

عليه بل بلفظ هو تابع له وردف كقوله :

(بعيدة مهوي القرط اما لنوفل ابوها واما عبيد شمس وهاشم)

وانما : أراد ان يصف طول جيدها فأتى بردفه ، وهو بعد مهوى القوط
وكقول امرئ القيس :

(ويضحي فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم نلتطق عن تفضل)
انما أراد ان يذكر ترفه^(١) هذه المرأة ، وان لها من بكفيتها ، فلم يذكر ذلك وعدل
الى ذكر فتيت المسك الذي يدل على انها مشبعة ، وانها في خفيض من العيش وترفه ،
وقد يسعى للتبعية ايضا .

واما الموازنة فهي ان تكون الالفاظ متعادلة الأوزان ، متواليه الاجزاء ،
كقول امرئ القيس : (سليم الشطى^(٢) عبل الشوا^(٣) شيخ الذسا^(٤))
وقول ابي داود :

(بعيد مطى^(٥) الطارف خاطي البضيع^(٦) ممر المطا سمهري^(٧) العصب)
واما المساواة فهي ان يكون اللفظ مساويا للمعنى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه
كقول زهير :

(ومهما يكن عند امرئ من خليفة ولو خالها تخفى على الناس تعلم)
وكقوله :

(فلو شاء قومي كان حلبي فيهم وكان على جهال اعدائهم جهلي)
وكقول الآخر :

(اذا انت لم تقصر عن الجهل والخنأ أصبت حلياً او أصابك جاهل)
ومساواة اللفظ بالمعنى هو الامر المتوسط بين الایجاز والاسهاب .

(١) الترفه بضم التاء كغرفة النعمة . (٢) الشطى عظيم مستدق لازق بالوظيف
اي عظم الساق . (٣) ما كان غير مقتل من الاعضاء والعبل الغليظ . (٤) يقال فرس شيخ
الذسا منقلبه وهو مدح له لانه اذا نقبض نساء وشيخ لم تسترخ رجلاه . (٥) في هامش
الاصل : هذا البيت لامدخل له بمثل صنعة الموازنة الا في قوله « بعيد مطى وممر المطا »
والباقي لا بعد من التوازن . (٦) خاطي البضيع ممثلي اللحم . والمطى المدي . (٧) المطى
حبل الظهر وامرأ الحبل فتله فتلاً شديداً فهو « ممر » . وعصب سمهري شديد القتل .

واما الاشارة فهي اشتمال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة كاللحمة الدالة على المراد ، كقول امرئ القيس :

(فظل لنا يوم لذيذ بنعمة فقل في قبيل نحسه متغيب)

وكقوله : (على هيكل يعطيك قبل سؤاله افانين جري غير كز ولا واني)

فقد جمع بين قوله افانين جري ما لوعد لتطاول اللفظ به ، وجمع بقوله قبل سؤاله أوصاف العتق والجودة في هذا الفرس ، ويريد انه يذهب في الافانين طوعاً من غير حث . في قوله غير كز ولا واني : نفي عنه ان يكون معه الكوازة من قبل الجراح والمنازعة ، والوفى من قبل الاسترخاء والفترة . وكقول الآخر :

(حاج ذا القلب من تذكر حمل ما بهيج المتيم المحزونا)

فقد أشار بقوله ما بهيج المتيم المحزونا الى ضروب من أوصاف التيم يتسع فيها نطاق الكلام وتفسح معها مسارب الظلام .

واما المبالغة فهي ان تذكر معنى ما لو اقتصر عليه لكان كافياً فيما قصد له ، فلا يقتصر على ذلك حتى يؤكد معانيه ، ويعتمد المبالغة فيه كقوله :

(ونكرم جارنا مادام فينا ونتبعه الكرامة حيث مالا)

فإن كرامتهم الجار ما كانت فيهم من الأخلاق الجميلة الموصوفة ، واتساعهم إياه بالكرامة حيث كان من المبالغة في الجميل . وكقول الخضرى :

(وأفج من فرد وأبجل بالقرى من الكلب امسى وهو غرثان أعجف)

فقد كان يجزئ في اللم أن يكون هذا المهجو أبجل من الكلب ، فلم يرض حتى يكون غرثان أعجف . وكقول الآخر :

(وانا لنعطي النصف منا واننا لنأخذه من كل أبلج^(١) ظالم)

فالتوكيد في قوله واننا لنأخذه ثم قال : من كل أبلج ثم قال : ظالم فهذه مبالغات مضاعفة مكررة .

واما الغلو فكقول قيس بن الخطيم :

(١) متكبر .

(طعنتُ بن عبد القيس طعنةً ثائرة لها نقد لولا الشعاع أضاءها)
 (ملكتُ بها كفي فانهزت فنقها يرى قائم من دونها ما وراءها)
 وبلغني ان شعبة بن الحجاج قال لما أشد البيتين هذا لم يطمعه انما فتح دربان^(١) .
 وكقول النمر بن تولب العكلي :

(أبقى الحوادث والايام من نمر أسباد سيف قدیم أثره باديه)
 (فظل يحفر^(٢) عنه ان ضربت به بعد الذراعين والساقين والهادي)
 وكقول ابي نواس :

(نوهمتها في كاسها فكأنما نوهمت شيئاً ليس بدركة العقل)
 (فما يراني التكيف منها الى مدى يحدث به الا ومن قبله قبل)
 ومن الشعراء من يستثني عند الغلو او يظهر^(٣) (بكاد) و (لولا) فيدرك مراده
 ويسلم من قبح الغلو وهجنة الافراط . مثل قول العرجي :
 (ولهن بالبيت العتيق أمانة والبيت بعرفهن لو ينكأ)

واما الابدال فهو ان يوغل بالقافية في الوصف ويؤكد التشبيه بها ، والمعنى قد
 يستقل دونها ، وانما يأتي بها لحاجة الشعر في ان يكون شعراً اليها ، فيزيد معناها في
 تجويد ما ذكره ، فيبلغ في المعنى الى الغاية القصوى في الاحسان والجودة ، كقول
 امرئ القيس :


(كأن عيون الوحش حول خيائنا وأرحلنا الجزع الذي لم ينقب)
 فقد اتى على التشبيه قبل القافية ، وذلك ان عيون الوحش اذا ماتت اشبهت الجزع ،
 ثم لما جاء بالقافية بلغ بالمعنى الأمد البعيد في التأكيد ، لان تشبيه عيون الوحش
 بالجزع الذي لم ينقب أدخل في التشبيه ، واذا لم ينقب كانت أحسن في صفائه ،
 واشد في تفرق مائه وكقوله :

(اذا ما جرى شأوين وابتل عطفه نقول هزير الريح مرت بأثاب^(٤))

- (١) اي دربند وهو الباب (فارسية) . (٢) لعل صوابه يحفز بالزاي المعجمة .
 (٣) لعله يستظهر . (٤) الأثاب شجر ينبت في بطون الاودية في البادية الواحدة أثنابه .

فقد تم الوصف والتشبيه قبل القافية ، فلما اتى بالقافية زاد المعنى نصاعة وبراعة ،
 وذلك ان الأثاب شجر يكون للريح في أضعاف أغصانه حفيف شديد ، وقال زهير :
 (كَأَنَّ فَنَاتِ الْعَمْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ تَزُلْنَ بِهِ حَبَّ الْقِنَا ^(١)) لَمْ يُحْطَمْ)
 فقد اتى بالتشبيه قبل القافية ثم قال : لَمْ يُحْطَمْ لَأنه اذا حُطِمَ كان داخله ابيض
 فلم يشبه العمن وهو الصوف الاحمر . وقال آخر :
 (حَمَلَتْ رَدِينِيًّا كَأَنَّ سَنَانَهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ)
 فأكد بقوله لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ .

واما النسهم فهو ان يصوغ الشاعر الفاظه مستوية الاقسام ، معتدلة النظام ،
 لا يزيد جزء على جزء نقتضي كل كلمة اختصارا ، وكل لفظة شكها ، فاذا كان الشعر
 على هذه الصيغة سبق السامع الى قوافيه ، قبل ان ينتهي اليها راويه ، حتى لو سمع سامع
 الشطر الاول ، استخرج الشطر الآخر ، من غير ان يكون قد سمعه . كقول المجتري :
 (فاذا حاربوا أذلوا عزيزاً)

يقتضي ان يكون تمامه :  (واذا سالموا أعزوا ذليلاً)
 وكقوله :

(أَحَلَّتْ دَمِي مِنْ غَيْرِ جَرْمٍ وَحَرَمَتْ بِلَا سَبَبٍ يَوْمَ الْلِقَاءِ كَلَامِي)
 (فليس الذي حَلَمْتُهُ بِحُلُلٍ)

يجب ان يكون تمامه :
 (وليس الذي حَرَمْتُهُ بِحَرَامٍ)
 « للبحث صلة »

(١) القنا بكسر القاف الكياسة وهو من النخل كالعنقود من العنب .

الوضع العربي

الوضع العام في اللغة إقصاء شيء على غيره ، ومعانيه الاصطلاحية كثيرة بحسب العلوم والصناعات . والوضع اللفظي أقسام :

- (١) لغوي : وهو تخصيص اللفظ بالمعنى ابتداءً بحيث يدل عليه من غير قرينة .
- (٢) وشرعي : وهو استعمال الشارع لفظاً في معنى شرعي بينه وبين اللغوي مناسبة .
- (٣) وعرفي خاص : وهو استعمال العلماء وارباب الصناعات الفاظاً في معانٍ غير معانيها الأصلية اللغوية لمناسبة بينها .

(٤) وعرفي عام : وهو توسيع عامة الناس في استعمال الفاظ في معانٍ بينها وبين معانيها اللغوية مناسبة كاستعمال الدابة في ذوات الأربع .
ونقصد الآن الى بيان الوضع اللغوي الابتدائي فنقول :

علمنا مما تقدم ان وضع اللغة لا يأتي جملة وعلى دفعة واحدة . بل يقتضي الوقفاً من السنين نذكر فيها الالفاظ وتزايد حروفها . ويتولد بعضها من بعض . وتتميز اساليب استعمالها بتركيبها مع غيرها . ولكل من الوضع الافرادي والتركبي بحث يخصه .

« لوضع الافرادي ومراتبه »

الوضع الافرادي (اي تأليف اللفظ المفرد من حروف تؤدي معنى مقصوداً) له مراتب يتدرج فيها حتى يصل الى غاية الكمال او يقارب .

« المراتبة الاولى »

ان مرتبة الوضع الاولى هي مرتبة تأليف الكلمة . إما من محاكاة الاصوات . وإما من الارتجال على حسب الالهام من الله واستعمال قوة النطق الموهوبة له . او التلقين عنه تعالى بوحى .

« محاكاة الأصوات »

زعم كثير من القائلين بتولد أكثر الفاظ اللغة من اصوات الحيوان ان اصل هذه الالفاظ أحادية الهجاء . اي انها ذات حرف واحد مثرك بحركة او ساكن متوصل

اليه بحركة . وقد كان يكون هذا الغرض وجيهاً لو ان جميع الالفاظ ساذجة أحادية النغم والجرس . فاما ونحن نسمع من الاصوات المتعدد النغم والجرس . والمتصل . والمقطوع . كأصوات الطيور المفردة وقصص العود وضحك الانسان فلا مانع من فرض تألف اللفظ المحكي من أكثر من هجاء واحد . او هجاء متكرر على الأقل . كما يشاهد في بداية نطق الأطفال .

ونشوء الالفاظ من محاكاة الاصوات خاضع لعدة نوااميس فطرية في الانسان :

الاول : ان صوت الانسان يختلف عن اصوات غيره بحكم اختلاف مصدر صوته عن مصور اصوات غيره : من الحنجرة والحلق والهم . فمحركاته لها لا تكون مطابقة لها من كل وجه . ومانزاه من محاكاة بعض الضحكين لعواء الكلب ونهيق الحمار . انما يكون بعد رياضة ومعاناة وتكلف على فروق دقيقة بينها يميزها العارفون .

الثاني : ان تمييز الاصوات بحاسة السمع الانساني يختلف باختلاف الاشخاص ويشد الاختلاف باشتداد التشابه ودقة الفروق وينشأ من ذلك كثير من انواع التوهم الفطري في الانسان المفضي الى الخطأ في الحكم وسوء التفاهم .

الثالث : ان القدرة على محاكاة السموع المتحقق بالنطق الانساني متفاوتة بفاوت الاستعداد الفطري والانفعال العصبي وتركيب بعض آلات النطق كاللسان ووضع الفكين والاسنان . فأكثر الامم الآرية لا يستعمل الحروف الحلقية وكثير من الهمج لا ينطق الا ببضعة أحرف بحيث لا يستطيع النطق بغيرها . ولو بذل في ترويضه كل جهد . واللثة في الأطفال ناشئة من استعصاء آلات الصوت في بداية النطق . ثم لنقوى مطاوعتها بقوة اللثة فيهم واخذهم بالثقيف والرياضة . واللثة في الكبار ناشئة من عجز بعض آلات الصوت عن أداء وظيفتها لضعف في بعض أعصابها .

الرابع : ان الانسان ميال بفطرته الى التسهيل او التوسع فيما يصعب عليه . ولو كان في قدرته تذليله بالجد والتعب . فالأوربي ينطق العين همزة والحاء هاء او خاء والحاء كافاً مع استطاعته النطق بها بالرياضة والتربين كما شاهدناه عند تعليمنا كثير منهم .

الخامس : ان التسهيل او التوسع في التعبير يختلف باختلاف الاشخاص والامم . فتسهيل زيد غير تساهل عمرو . وتسهيل الرومي في النطق ببعض الحروف العربية

غير نساھل الطلياني • وتساهله غير تساهل الانجليزي • وبينما ينطق الزنجي بالخاء
هاء اذ ينطق بها المالطي حاء • وهكذا •

السادس : ان التساهل او التوسع في النطق — او ما نسميه التحريف — يكون
غالبًا في الحروف المتشابهة الخارج او المتقاربتها • كما يظهر بادنى تأمل عند تتبع
تحريرات الأطفال والأعاجم •

اذا عرفت هذه التواميس وما تقضيته سهل عليك معرفة اختلاف الناس في
محاكاة المستوع بمجرد فهم التي يسهل عليهم النطق بها وذما بهم في تحريفها عن اصلها كل
مذهب مما كان له أبين أثر في تنمية عدد الألفاظ • وخاصة المترادفة والمتقاربة المعاني
وسهل عليك استنباط القانون اللغوي الكلي الذي وضعه علامتنا ابو الفتح بن جني وهو :

« الألفاظ المتصافية الحروف متصافية المعاني »

وبناء السمكات من حكاية الاصوات تكون على أنواع :
فمنها ما يحاكي صوت الحيوان غير الانسان • ومنها ما يحاكي صوت الانسان •
ومنها ما يحاكي الأصوات الناشئة من تفاعل قوى الطبيعة •
فن الألفاظ المحاكي بها صوت الحيوان « عواء الكلب » اصله هجاء العين متحركاً
بحركة و « مواء الهر » اصله الميم متحركة و « خوار العجل » اصله الخاء متحركة و « صئى
الفرخ » اصله الصاد متحركة و « نقيق الحمار » اصله الهاء و « رغاء الأبل » اصله الراء
او الغين و « زقاة الديك » اصله القاف و « نيبب التيس » اصله الباء مكررة و « خرخرة
المر » اصله الخاء والراء مكررتين و « قطقطه القطاة » اصله القاف والطاء مكررتين
و « طنين الذباب » اصله النون و « صرير الجندب » اصله الصاد والراء وغير ذلك
مما لا يحصى في مثل هذه العجالة •

ومن الفاظ الأحداث المحكي بها أصوات تفاعل الطبيعة (مثل تلاقي جسمين
بالتصادم والنقار والاحتكاك او سقوط احدهما على الآخر او انفصال أجزاء جسم
بآخر) الدق والصك والحك والهد والسد والقط والنج والمص والرش والشق وخرير
الماء وحفيف الاشجار وهبوب الرياح وخفتها وهلم جرا •

ومن الفاظ الذوات المنقولة عن حكاية الاصوات لصدورها عنها الانف والنفم والشفة اصلها الفاء كما لا يخفى ومثلها الخلق والحلقوم والخجرة اصلها الحاء زيد عليها بعض الحروف كما سنبينه فتبين ان جميع الالفاظ الآتية اصلها حكاية أصوات بهجاء واحد متحرك او بهجاء ساكن توصل اليه بتحرك قبله ثم زاد عليه حرف .

(١) اما بقصد مد الصوت كماء السنور وخار العجل .

(٢) واما بقصد تكريره ونقويته مثل خر الماء وبع الصوت وصر الجندب وهرا الكلب وهد الحائط فترى ان الزيادة وقعت بتكرير الثاني لتكرير حدثه .

(٣) واما بالابدال والقلب لسوء السمع او سوء الحكاية او الميل الفطري الى التساهل والتوسع العام مثل (لط) اصل معناه اللزق واللطخ والستر حرف آخره حروف شتى في مثل لطأ ولطخ ولطم ولطس ولطى ومعانيها كلها متقاربة ثم بابدال حروفه ينشأ : لت ولتب النافقة في انها طعنها . ولتج بمعنى ضرب ولتخ ولتد ولتكد ولتز وللف ولتم وطرس ولطب وكلها متقاربة المعاني .

ومثل (قط) — الاصل في معناه «القطع» فأخذ منه للاسباب المتقدمة قطع وقطب وقص وقصم وقصل وكسر وقصب وقصر وقصف وقضا وقض وقضم وقضب وقصع وكسر وكسم وحذ وحذم وجذم وجذر وحذف الخ .

ومثل ذلك يقال في بقية الزوائد على هجاء او هجاءين لتكوين أبنية الكلام من ثلاثة احرف . وهي اكثر مادة اللغة العربية . ولقلة ما جاء من الرباعي الاصول والخماسي ونزارة ماورد من الثنائي رسخ في نظر العربي فرض اصالة الثلاثي دون غيره . فتراه يزيد الثنائي حرفاً عند التصغير والنسب .

«الارتجال»

يزعم كثير من علماء اللغات ان كل الفاظ اللغات يمكن ردها الى محاكاة أصوات الحيوان ، فكأن الانسان الذي ميزه الله بالنطق والفكر في رأيهم أحط مرتبة من الحيوان الأعجم لا يمكنه ان ينطق بفطرته بأصوات يعبر بها عن مقاصده . مع ان من الحيوان ما ينغام بأكثر من عشرة أصوات . ولا ينكر وقوع الارتجال في الانسان

الامكابر . فان له علاوة على الأصوات الوجدانية الاضطرابية كالانين والتأوه والتأفف والقهقهة الفاظاً لا يمكن إرجاعها الى محاكاة الأصوات الابتكاف وتعسف فأحر بها ان تكون من الألفاظ المرتجلة أنطقه الله بها الذي أنطق كل شيء . واذا قسنا نشأة الانسان بقانون نشأة الطفل كما يقررون وجدنا ان كثيراً من الاطفال ينطقون ببعض أهجية مرتجلة بدلون بها على مرادهم . قد يستعينون على تفهيمها غيرهم ببعض الاشارات او نقلص الجوارح او بسطها . وربما لا يستعينون . فنفهم عنهم بالتكرار فيألفها الطفل ويألفها مربوه . على اننا سمعنا كثيراً من الاطفال يرتجلون كلمات مركبة من حروف عدة .

ويرد المعارضون الارتجال بأنه لو سلم به لكان كل فرد من الفصحاء بالفطرة او بعضهم يرتجل كل يوم الفاظاً جديدة . مع اننا لم نراحداً من الناس يرتجل شيئاً الآن . وجوابنا ان عدم الارتجال في الكبار من اصحاب اللغات الراقية ناشئ عن عدم الحاجة اليه لاستغنائهم بها بما وجدوه في لغة قومهم ساداً لعوزهم . ولما بصادفونه فيها من قوانين الصوغ والبناء من الاشتقاق والنحت والتوسع بطرق المجاز والنقل من اللغات الاخرى . هذا الى ان ندوين اللغة في كتب ومجموعات . ووضع قواعد وضوابط لها يجعلها كالمجمع عليها . ويحمل المرء على الاجتهاد عن التزبد فيها . على انه قد روي ان بعض رُجّاز الاعراب ممن كانوا يقدون الامصار — عصر ندوين اللغة — كانوا يرتجلون بعض الكلمات ارتجالاً كروبة وابيه العجاج .

ويزيد المرء إجماعاً عن الارتجال لقدس لغته ونزاهتها عن الخلط فيها لانها لغة كنية الدينية وثمة فربق من الملبين وغيرهم يرى ان اكثر الفاظ اللغة مرتجل ان لم يكن كلها كذلك . ومن اشهر محدثيهم الفيلسوف «رينان» الفرنسي الشهير في كتابه «اللغات السامية» وحجته ان توليد الثلاثي من الثنائي او من الحرفين الاولين ثم توليد الرباعي من الثلاثي وهكذا لا يخلو من مواضعة واصطلاح . وصدورهما من الأناشي الاولين غير معقول لكان بداوتهم وغرارتهم . ويرد قوله بان المواضعة والاصطلاح مفروضان حتى في الثنائي بل الأحادي . ولكن لا يعني ان الاقدمين كانوا يعقدون الحافل المؤتمرات للاتفاق على كلمة كما نفعل الجامع اللغوية الآن . وانما كان الفائل بنطق

عن فكرة او قياس براعيه في وضع الالفاظ فيسمعه منه غيره . و يفهم مراده بقرب
 إشارة او خطاب . فاذا أنس الواضع منه الفهم كرهه في المعنى الذي أراد به فلا يلبث
 ان يفشو بين الناس و يصير من أوضاعهم . و بصطلحون على الإفهام به من غير تعمل
 ولا قصد الى النفاق عليه في مجمع او محفل .

وقد زعم بعض العلماء ان ارتجال الالفاظ للدلالة على المعاني راجع الى طبائع
 الحروف المتألفة هي منها . فعنده ان كل حرف يرمز به الى معنى كلي ينفرع الى
 فروع بدور فيها هذا الحرف . وقد عقد ابن جني لذلك في كتابه « الخصائص »
 باباً شريفاً نذكر هنا قليلاً من الأمثلة التي ذكرها فيه قال :

« وذلك انهم يضيفون الى اختيار الحروف تشبيه أصواتها بالأحداث المعبر
 عنها . ولتقديم ما يضاهي اول الحديث وتأخير ما يضاهي آخره سوقاً للحروف على
 سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب .

ومن ذلك قولهم شد الحبل . فالشين لما فيها من النفشي تشبه صوت اول انجذاب
 الحبل قبل استحكام الشد ، ثم يليها إحكام الشد وال جذب ، فيعبر بالدال التي هي
 أقوى من الشين لاسيما وهي مدغمة ، فهي أقوى لصيغتها وأدل على المعنى الذي أريد
 بها . فاما الشدة في الامر فانها مستعارة من شد الحبل .

ومن ذلك قولهم : جر الشيء يجره ، قدم الجيم لانه حرف شديد . واول الجر
 مشقة على الجار والمجرور جميعاً . ثم عقبوا ذلك بالراء وهي حرف تكرير وكرروها مع
 ذلك في نفسها وذلك ان الشيء اذا جر على الارض في غالب الامر اضطرب صاعداً
 عنها ونازلاً . وتكرر ذلك منه . على ما فيه من النعمة والقلق . فكانت الراء لما فيها
 من التكرير ولانها ايضاً قد تكررت في نفسها أوفق بها المعنى .

وقال ايضاً « ومن طريق ما مر بي في هذه اللغة التي لا يكاد يعلم بعدها . ولا يحاط
 بقاصيها ازدحام الدال والتاء والطاء والراء واللام والذون . اذا مازجتهن الفاء على
 التقديم والتأخير . فأكثرت أحوالها ومجموع معانيها انها للوهن والضعف ونحوهما .

ومن ذلك الدالف للشيء الضعيف والشيء التالف . واللطيف . والظليفي .
 (المحبان) — وليس له عصمة الثمين — والطنف . لما أشرف خارجاً من البناء (وهو

الى الضعف لانه ليس له قوة الراكب الاساس والاصل) والنتف • العيب وهو الى الضعف • والدنف المريض • ومنه التئوة وذلك لان الفلاة الى الهلاك • الا تراهم يقولون لها مهلكة • وكذلك قالوا لها يسداء • وهي فعلاء من باد يببد • ومنه الترفه لانها الى اللين والضعف • وعليه قالوا الطرف لان طرف الشيء أضعف من قلبه واوسطه قال الله سبحانه وتعالى : « أو لم يروا انا نأت الارض ننقصها من اطرافها » • وقال الطائي الكبير :

(كانت هي الوسط المنوع فاستلبت ما حولها الخيل حتى أصبحت طرفا)
ومنه الفرد • لان المنفرد الى الضعف والهلاك ما هو • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المرء كثير باخيه » والفارط : المتقدم • واذا تقدم انفرد • واذا انفرد هلك • الى ان قال : ومنه الفتور للضعف • والرفق للكسر والرديف لانه ليس له تمسك الاول • ومنه الطفل للصبي لضعفه • والطفل للرخص وهو ضد الشان • والنفل للريح المكروهة • فهي منبوذة مطروحة • وينبغي ان تكون الدفلى من ذلك لضعفه عن صلابة النبع والسراء والتنضب والشوخط • وقالوا الدفر • للتنن • وقالوا للدنيا (ام دفر) سب لها • ونوضيع منها • ومنه الفتنة لضعفة الرأي • وقتل المنزل لانه كتن واستدارة • وذاك الى وهي وضعفة • والفطر • الشق وهو الى الوهن • فأنت ترى من هذه المثلى • ومن مراجعة كتابه في هذا المبحث ان رأيه فيه مما لتقبله النفس بقبول حسن ، ولا تستبشعه الأذواق السليمة ، وهو وان لم يبلغ مبلغ الدليل فلا أقل من الأنسة به في التعليل اللغوي •

عضو المجمع العلمي العربي

أحمد الاسكندراني

الناصرة :

اعضاء المجمع العلمي في الغرب

الاستاذ سترستن السويدي

« ترجمة حياته بقلمه »

جئت الى هذه الدنيا في ٨ آب ١٨٦٦ في بلدة اورسا (Orsa) في مقاطعة
دالكارتيان في بلاد السويد . وكان والدي يدعى آلكساندر موريس سترستن رئيس
في فرقة الدال والدتي زوجته ماري اوغستا تالين . وقد طلبت العلم في المدرسة العالية
في مدينة فالوه اعتباراً من نصف السنة الحزبية في سنة ١٨٧٧ ونلت شهادة العالمية
في ٤ حزيران سنة ١٨٨٤ ثم انتسبت الى دار العلوم في اوبسالا في ٣ تشرين الاول
سنة ١٨٨٤ واخذت بتعلم الفلسفة في ١٤ ايلول سنة ١٨٨٩ واخذت درجة الرئوس
منها بالفلسفة في ١٩ تشرين اول سنة ١٨٩٤ وحزت درجة «الدكتورا في الفلسفة
في ٣١ مايس سنة ١٨٩٥ ثم أصبحت فيها معلماً لللسنة السامية في ٨ حزيران ١٨٩٥
ومنها انتقلت الى دار العلوم في لوند استاذاً خاصاً في ٢٣ ايلول سنة ١٨٩٥ وفي ١١
تشرين اول ١٨٩٥ — ٢١ تموز ١٩٠٤ قمت بالاستاذية وكلاً وفي ١١ آب ١٩٠٤
اصبحت استاذاً بالوكالة ايضاً في دار العلوم في اوبسالا ثم استاذاً اصيلاً لللسنة
السامية في اوبسالا في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٠٤ .

وفي سنة ١٨٨٩ — ١٨٩٠ المدرسية كنت ادرس اللسنة اللاتينية واليونانية
في مدرسة بلشتشاك في اوبسالا وفي سنة ١٨٩١ — ١٨٩٢ المدرسية والنصف السنة
الربيعي لسنة ١٨٩٣ درست اللسان العبراني في دروس خاصة للاستعداد للامتحانات
الفلسفية اللاهوتية في جامعة اوبسالا وفي سنة ١٨٩٣ — ١٩٠١ أسند اليّ العمل في
تحرير التاريخ الشرقي الادبي ومنذ عام ١٩٠٥ وانا أشترك في تحرير المعلقة الاسلامية
وفي سنة ١٩٠٢ ذهبت الى هامبورغ الى المؤتمر الدولي الثالث عشر للمستشرقين بصفتي
وكيلاً عن الحكومة والجامعة في لوند وفي ١٩٠٨ انتخبت لنيابة الرئاسة للقسم الشرقي
في الاجتماع الدولي الثاني للعلوم التاريخية الشرقية في برلين وفي سنة ١٩٠٨ ايضاً
أنا بطني الحكومة السويدية وجامعة اوبسالا في المؤتمر الدولي الى مؤتمر المستشرقين

المنعقد في مدينة كوبنهاغن وكاتم أسرار له .

« سياحاتي العلمية » : منذ شهر آذار الى منتصف شهر ايار ومن حز يران الى منتصف ايلول ١٨٩٥ في برلين . ومن منتصف كانون الاول ١٨٩٥ الى منتصف كانون الثاني في السنة نفسها في الاسكوريال وفي حز يران - ايلول سنة ١٨٩٦ في برلين . وفي صيف ١٨٩٧ في برلين ايضاً ولوندره واوكسفورد . وفي صيف ١٨٩٨ في برلين ولوندره وفي العطلة الشتوية لسنة ١٨٩٨-١٨٩٩ في باريس . وفي صيف ١٨٩٩ في برلين ولوندره ولندن . وفي حز يران وآب ١٩٠٠ في برلين . وفي حز يران وآب ١٩٠١ في برلين . وفي صيف ١٩٠٢ في برلين . وفي شهر كانون اول ١٩٠٤ في برلين وفي صيف ١٩٠٦ في ايطاليا ومصر وفي حز يران ١٩٠٩ في برلين . وفي منتصف شهر كانون الثاني ١٩٠٩ حتى منتصف شهر كانون الثاني ١٩١٠ في لوندرة وبرلين . ومن منتصف كانون الاول ١٩١٠ حتى منتصف كانون الثاني ١٩١١ في ليبسيك وبرلين . وفي حز يران ١٩١٢ في برلين . وفي حز يران ١٩١٣ في برلين . وفي حز يران ١٩١٤ في لوندرة وبرلين . وفي شهر كانون الاول ١٩١٤ في برلين . وفي حز يران ١٩١٦ في برلين . وفي حز يران سنة ١٩١٩ في الدانيمرك . وفي كانون الثاني ١٩٢٠ في برلين . وفي حز يران ١٩٢٠ في برلين . وفي حز يران ١٩٢١ في ليبسيك وبرلين .

وانتخبت عضواً منذ ١٩٠١ في الجمعية الشرقية الالمانية العامة في ليبسيك وهاله وعضواً في جمعية النقل والترجمة في لوندرا منذ سنة ١٩٠٤ وعضواً في جمعية الالسنه القديمة في اوبسالا منذ سنة ١٩٠٥ وعضواً في الجمعية الشرقية الالمانية الخاصة في برلين منذ سنة ١٩٠٩ . وعضواً في الجمعية الالمانية للعلوم الاسلاميه منذ ١٩١٢ . وعضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق الشام منذ ١٩٢٠ . واني احد مؤسسي الجمعية الشرقية السويديده ومئيس هيئه اعمالها منذ ١٩٢١ واحد أعضاء المجمع العلمي البروسياني في برلين منذ ١٩٢٢ .

أحمل وسام تاج بروسيا من الدرجة الثالثة منذ ١٩١٣ ووسام النجم الشمالي السويدي منذ ١٩١٤ .

« تأليني » : اللسان العربي . اللسان الفارسي والارمني . اللسان القديم الاورالي

(في دار الكتب في سويريك أوفنبايغا - في ملحق الفهرست ٧) رسالة يحيى بن عبد المعطي الزواوي في الدرر الالفية في علم العربية . لببسيك . في سنة ١٨٩٥ . (رسالة في أو بسالا) أم الحسن بن محمود بن الحسن الضرعاني . معاريج الانوار النبوية من صحاح الاخبار المصطفوية لببسيك ١٨٩٦ (طبعته على نفقتي) . رسم الكتابات اليدوية الحبشية الموجودة في المكتبة الملوكية في أو بسالا وشرحها (في مجلة الجمعية الشرقية العامة الالمانية في جزء ٥٣) تعليق على الترجمة اليهودية الفارسية لحكم بنيامين بن يوحافان من بخارا (كذلك في الجزء ٥٤ من هذه المجموعة) طبع الالفية لابن معطي بحسب الكتابات اليدوية الموجودة في برلين والاسكوريال وليسدن (لببسيك ١٩٠٠) . مجموعة الكتابات اليدوية اليهودية والارامية المحفوظة في المكتبة الملوكية في أو بسالا ولوند ١٩٠٠ . وملاحظات على المخطوطات العربية الباحثة عن تاريخ السلاطين المالك في سنة ٦٩٠ - ٧٤١ هجرية . ملحق لايضاح القوائد الدينية لمذهب البهائية بحسب المخطوطات السورية الموجودة في المتحف البريطاني ودار الكتب الوطنية في باريس ودار الكتب الملوكية في برلين وقد نشر هذا الملحق وترجم في لببسيك في سنة ١٩٠٢ . أمثلة على الكلمة العربية (قن kana او قعر او كعر) صيغة المذكر (في مجلة الشمال الباب الثالث II) . كارل بيشل (في مجلة الشمال الباب الرابع) . بانث سعاد تاريخ حياة محمد ونسائه ورجال الاسلام بعده حتى سنة ٢٣٠ للهجرة (٥) نواريج حياة خلفائه في المدينة ونسائه وخلفائه في بقية البلاد العربية (طبع في ليدن في ١٩٠٥) . هرمان المكيرست (في مجلة الشمال الباب الثالث) . أنشودة روحية في الفليحي Fellihi (في التدقيقات الشرقية لصاحبات . نودكه طبع في كيمن ١٩٠٥) هرمان المكيرست (القرآن - الانجيل المحمدي) طبع في استكهلم ١٩٠٦ للمرة الثالثة وللمرة الرابعة في استكهلم ايضا في سنة ١٩١٨ (في مجلة الطلاب الجزء الثالث) . ابن سعد وكتاب الطبقات الكبير (في العالم الشرقي ١) . المجمع القديم للاسنة النبوية (كذلك في العالم الشرقي) . اللسان النوبي (في مجلة اورداوك ببلد ١٦) . تاريخ الاسنة النبوية (في مجلة الاسنة القديمة أو بسالا ١١ : ٤) . تقرير بالمخطوطات التي خلفها الاستاذ طولبرغ المحفوظة في مكتبة جامعة أو بسالا (في العالم الشرقي ٢) . القرآن

(بحسب الوثائق القديمة الدينية في فرمنانده ٢: ٢) . في الادبيات الصوفية (كذلك في فرمنانده) . بانث سعاد تاريخ حياة محمد ونسائه ورجال الاسلام المتأخرين حتى سنة ٢٣٠ للهجرة . سنة توارىخ بالكوفي او من المنقولات ؟ طبع في ليدن سنة ١٩٠٩ مخطوطات عبرية تحتوي على زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة (في مجلة الشرق ٣) . بعض جل من التوراة مترجمة للسان النوبي الشمالي ترجمها احد النوبيين مطبوع (في مجلة الشرق ايضا) ترجمة قديمة لرطسم مارا (Rtusamhara) (مطبوعة ايضا في مجلة الشرق ٤) . ملاحظات تاريخية (كذلك مطبوعة في مجلة الشرق) . بعض كلمات في المنقولات (في مجلة الشرق) . بيلديرم اول يارامن (في المجلة السويديدية ٧ - ٣) مطالعات في مذهب اسلامي في اللسان الاسبانيولي واحرف عربية ولاينية (تذكّر مئة سنة لميشيل آماري بالرمو ١٩١٠) . تدقيقات نوبية في السودان ١٨٧٧ - ١٨٧٨ من متروكات الأستاذ هرمان المكريست (طبع في السويد في مجلة سويديدية ١٠) تاريخ حياة محمد طبع في اوبسالا في ٤ تشرين الاول ١٩١١ [زامة] خلاصة اوبسالا ١٩١١ . ترجمة بعض فصول القرآن باللغة الاسبانيولية (في العالم الشرقي ٥) معجم اللغتين الايطالية والنوبية لصاحبه اركانجلو كاررادون . طبع في العالم الشرقي (٣٤٩٨٤٥) . ترجمات شرقية ويونانية (في العالم الشرقي ايضا الجزء ٦) . بحث في اللغات القديمة مطبوع في اوبسالا ١٩١٢ . قصيدتان لسحيم او سحيم ؟ من متروكات هانري طوبكاز (في المجلة الاشورية ٢٦) . كتاب باللغات الشرقية باللغة السويديدية ؟ في ١٨ تشرين الاول ١٩١٢ واوبسالا ١٩١٣ . نقد طبع كتاب معيد النعم ومبهد النعم لصاحبه د. و. مهان . (اوبسالا في ١٩١٣) . معجم عربي (خطي للاستاذ اردمان اوبسالا في ١٩١٣) . الالسنه السامية جامع الازهر في القاهرة . اوبسالا ١٩١٤ . مطالعات في الالسنه الشرقية (٣١) في اصل اللغة العبرانية وغيرها من الالسنه القديمة وكيفية اشتقاقها (في العالم الشرقي ٨ اي Le Monde Oriental) في علاقه اللسن الشماليه بعضها ببعض (كذلك في العالم الشرقي ٩) كتاب بمحق باز بليوس فون مزاور (طبع في الخطاب الشهير المقدم لسزخاو في برلين ١٩١٥ . تاريخ المطران رابولا في ادسا (+ ٤٣٥) . كتاب اللغة السويديدية في

البراغا الفارسية الجديدة (في العالم الشرقي) . بعض التصاريف الماضية باللغة العربية الحديثة (كذا في العالم الشرقي ١١) ترجمة القرآن العربي ؟ استكمل ١٩١٢ . كتاب باللغة السويدية في التوزن (Tusen) (في العالم الشرقي ١٢) . في نسخ الاسماء الفارسية (استكمل ١٢) في س . هدين ، سياحة في شرق بلاد الفرس ١٩١٨ استكمل في بعض الاسماء الجغرافية في آسيا الداخلية ونسخها (مطالعات لطاينار لوند ١٩١٨) . شرح تاريخ السلاطين الماليك في سنة ٦٩٠ — ٧٤١ للهجرة بحسب المخطوطات العربية ليدن ١٩١٩ . بالطهجي محمد باشا وبطرس الاكبر ١٧١١ — ١٩١١ لاحمد رفيق تركستان ؟ ١٩١٩ . تهذيب اللغة للازهري (في العالم الشرقي ١٤) المذهب البابي (كذلك في العالم الشرقي) . مخطوطات عبرانية لوندل (في اوبلاند) . مقالات في جزائر اسويدية المعلة الاسلامية وتواريخ وشروح في الجرائد المذكورة . مشروحة في الكتب الشرقية ومجموعاتها وتآليفها ٦ الى ١٥ . مناقشات في هذه المواضيع (في العالم الشرقي) و (العنقاء او ابو الهول Sphinx) . والمجلة التاريخية والمجموعة الشمالية لعلوم اللغة والمجلة الادبية الالمانية والمجلة الادبية الشرقية والمجلة اللاهوتية الادبية .

وانا احد محرري مجلة العالم الشرقي من سنتها ١ — ٣ ورأس محرري هذه المجلة في سنتها ٤ — ١٥ ومحررها الوحيد منذ سنتها السادسة عشرة .

اسمي المستعار عبد الرحمن وتوقيعي المعروف هو K. v. Z.

او بسالا في ١٥ آذار سنة ١٩٢٢ K.v.Zettersteén



مطبوعات حديثة

تقويم العالم الاسلامي

« تأليف السيد ماسنيون الطبعة الثانية بباريز ص ٢٩٩ »

M. L. Massignon : Annuaire du Monde Musulman
(1925) Paris

هذا تقويم سنوي أصدره بالفرنسية صديقنا الاستاذ السيد ماسنيون المعروف في العالم الاسلامي بأبحاثه وتأليفه المتقنة أورد فيه إحصاءات ومسائل تاريخية واجتماعية واقتصادية يستغني بها الباحث في حالة العالم الاسلامي عن الاستكثار من المظان والمصادر التي تفيد في التعرف الى سير العلم والاجتماع في عامة بلاد الاسلام .
واذا وقعت الآن بعض هنات لننقد في هذه الطبعة فان الطبعة الثالثة ستكون أتم وأمتع بالنظر لما امتاز به عضو مجمعنا العلمي العربي في باريز من بعد النظر وشدة البحث وما عقده من الصلات المستديمة مع الشرق الاسلامي فنشكره على هذه التحفة الجديدة ونرجو له التوفيق في اعماله العلمية النافعة .
م . ك

نزهة الظمان

« في الخطابة والكتابة والشعر والبيان »

وضع هذا الكتاب الاستاذ جرجس الخوري المقدسي احد اساتذة الجامعة الاميركية في نحو مئة صفحة وهي محاضرات كان يلقيها على تلامذته في الفنون المذكورة ثم جردها بشكل كتاب فكان نعم المعين في الوصول الى زبدة هذه الفنون من اقرب الطرق واسهل الأساليب شأن المؤلف في معظم ما يكتبه ويحاضر به . فنصح لكل راغب في ان تكون له مقدرة على الخطابة والكتابة في الاسلوب البليغ ان يطالع هذا الكتاب النفيس الصغير في حجمه الكبير في فائدته وعلمه .
المفريحي

عشرة ايام في السودان

« صنفه الدكتور محمد حسين هيكل رئيس تحرير جريدة السياسة »

« طبع في المطبعة المصرية بمصر عدد صفحاته ٢٢٠ »

هذا الكتاب مجموعة ملاحظات ومعلومات جمعها مؤلفه اثناء رحلته القصيرة في السودان فقد دعت حكومة السودان لحضور حفلة افتتاح خزان سنار في ٢١ يناير (كانون الثاني) من سنة ١٩٢٦ م فشهد تلك الحفلة بالنيابة عن اخوانه الصحافيين وان عشرة ايام بقيها الاستاذ هيكل في السودان يتنسم اخباره ويستمع أطواره كمثله عشرة اشهر لغيره اذا حاول ما حارله من وصف تلك البلاد وتصوير أوضاع حكومتها وأحوال سكانها : فهو عدا وصفه للعمل الهندسي العظيم الذي وقع الاحتفال لاجله ووصف الحفلات التي أقيمت والرجال الرسميين الذين شهدوا الحفلة والخطب التي أقيمت فيها - اتى ايضا على وصف أخلاق اهل السودان وبعض عاداتهم وحالة بلادهم من الوجهة الاجتماعية والزراعية والأخلاقية ولم يدع الإشارة الى علاقتها السياسية بكل من مصر وانكلترا وفرنسا ومصالحهما ثم وقارن بين شعوري المصري والانكليزي الذين كانوا يجولون في مكان الاحتفال بافتتاح الخزان ووصف الشيخ (البرغني) الزعيم الكبير في تلك البلاد وصفا عميقا الى غير ذلك مما يهم القراء لاسيما محبي مصر منهم . اما طبع الكتاب فغاية في الحسن والجودة وقد زُين ببضعة عشر رسما تمثل أماكن الاحتفال وبعض مباني البلاد السودانية وصورة الخزان وغيرها . والكتاب يحملته تلة مطالعته لكل قارئ لما فيه من دقة الوصف وجمال الأسلوب وطريف الحوادث . فالشكر لمؤلفه الفاضل ولناشره السيد الياس انطون الياس صاحب المطبعة المصرية التي اشتهرت بما تصدره من المصنفات الممتعة .

المصري

المجلد السابع والعشرون

(دمشق) : آب سنة ١٩٢٧ م الموافق صفر سنة ١٣٤٦ هـ ٨٠

عدة الكتاب

ما أظن ان احداً يحاول الكتابة في موضوع ثم يكابد من الجهد والعناء، معشار ما يكابده الكتاب باللغة العربية اذ لا يكاد يخط سواداً في بهاض حتى يصفر وطابه ويشعر بالحاجة الشديدة الى كلمات تفصح عما يدور في خلده من المعاني والمقاصد واشد الناس شعوراً بذلك من قدر عليه ان يعالج موضوعاً علمياً .

وقد عزى ذلك فريق من الادباء الى قصور اللغة عن كل ما يلتصقه الكتاب في اي موضوع كان . ونسبه آخرون الى نقصير الكتاب في البحث والتنقيب عما يسد به الخلة .

وفي كلا الأمرين شطط عن الحق وزينغ عن النصفة . ولا يصح ان يكون احدهما وحده ، سبباً مستقلاً . اذ من البديهي ان اللغة العربية على سمعتها قد تضيق عن كل ما يحتاج اليه الكاتب والشاعر والصانع والزارع والطبيب وغيرهم ليعبر كل منهم عما يختلج في نفسه من المعاني الطريفة والأخيلة البديعة والمسميات المستحدثة في هذا العصر الذي بلغ فيه البشر ما لم يمتد الى معشاره في الايام الخالية من التبسط في العلم والافتنان في الصناعة والاختراع . وربما استنفد الباحث شطر حياته في الاستقراء والبحث عن كلمة واحدة فلم يظفر بها ، ثم لا يمدو احد امور ثلاثة : اما ان يسأم ويصرف نفسه عن مزاوله الموضوع الذي كانت يود الخوض فيه ، فتحرم الامة الفائدة منه . واما ان يلجأ الى العامي والدخيل فيضيف الى سلسلة فساد اللغة حلقة جديدة . واما ان

يضطر الى إيراد جمل متعاقبة ومميزات متنوعة حتى يتمكن من تقريب المعنى الذي يريده من فهم المخاطب او المكاتب . وفي هذا من الكلفة والعناء ما تجمد به القريحة وتجمد الفكرة وتخبو الفطنة .

وان دواوين اللغة غاصة بكثير من الكلمات التي تشتد اليها الحاجة . وما لبس فيها يمكن استنباطه وإحداثه منها بطريق الاشتقاق او النحت او المجاز أو المواضعة او نحو ذلك من الطرق التي سلكها الأولون حتى جعلوا اللغة العربية أغنى اللغات كلاماً وأغزرها مادةً وأوفرها ثروةً وأوسعها صدرًا لكل ما تقتضيه حاجة أبنائها في ذلك العصر .

وان استخراج ما في تلك الكنوز من الأعلام والعوائل والاحتذاء على مثال الأوائل لبس بالأمر المحال او الصعب المنال لو لم تكن الامة مفككة العرى خائرة القوى . ومن العجيب انك حيث القيت بصرك او أصغيت سمعك في جميع الأصقاع العربية لا ترى ولا تسمع الا مضطرباً ومعضباً من قصور اللغة وزفرات ونفثات من تقصير أبنائها حتى يخيل اليك ان كل واحد منهم يشعر بما يشعر به غيره ، ويشفق على اللغة من خطر العامي والدخيل الذي يزاحمها في عقر دارها كما يشفق عليها غيره حذو القذة بالقذة .

ولكنك لا ترى فيهم من يعمل ولا من ينشط في العمل بل ينتظر كل منهم ان تهب الامة جمعاء الى معالجة الداء والتماس الشفاء .

ولو قبض الله لهذه الامة فئة تسفرغ المجهود في البحث حتى تستنفد ما في بطون الكتب لظفرت فيها بجزء عظيم مما يحتاج اليه الزارع في زراعته والطبيب في طبه والصانع في صناعته حتى يبعث الله فيها جماعة يعملون عمل الجماعات ويحلون اللغة بالحل اللائق بها . وما لا يدرك كله لا يترك كله .

ولقد رأيت ان أقدم لقراء هذه المجلة الكرام تحت عنوان (عادة الكاتب) ما يقع الي من الكلام الذي تكثر الحاجة اليه ونقل العثور عليه ، ليتعلمه من لم يكن . يعلمه وبتذكره من كان نسيه وليتبين الباحثون السبيل الذي كان يسلكه السلف في الاشتقاق والاصطلاح وغيرهما ليسجروا على منواله فياخذوا بالضرورة اليه . وعسى ان يكون ذلك

باعثاً لهمم الرافدة والعزائم الهامدة . وقد بدأت بما يحتاج اليه الكاتب قبل غيره رعاية للاسم . وربما استطردت الى ذكر شيء له تعلق بالموضوع لمناسبة بينها لفظية او معنوية لان الغاية من ايراد هذه الكلمات جعلها على طرف الثام ونقر بها من الالسنه والاقلام . وقد اعزني القول الى قائله وأبين مأخذه ليسهل الرجوع اليه واكثر ما يكون ذلك فيما اخفر به في كتاب ولم اعثر على ما يؤيده في امهات اللغة واذا آتست رواجاً لهذه البضاعة انجيت عليها بالتهذيب والترتيب والتبويب وضمنت كل كلمة الى قبيلها . واني لأرجو ممن يقف على خطأ او غلط فيما اذكره ان ينبهني عليه لاستدركه واشكره صنيعه فان الانسان عرضة للخطأ والنسيان .

الدَّوَاةُ — ما يكتب منه جمعها دَوَى . كنواة ونوى ودويات بفتح كنوات كنويات ودوي بضم الدال وكسر الواو . وتشديد الياء كقناة وقُنِي قال زهير :

(أمن آل سلمي عرفت الطلولا كخط الدَّوَى مائلات مشولا)

وقال ابو ذؤيب :

(عرفت الديار كرقم الدَّوَى يحبره الكاتب الحميري)

وبقال للدواة . الرقيم والنون في قول . وليس لها فعل متصرف منها . اما الدواة فقد صرف منها افعال واشتقت اسماء فقالوا ادويت دواة اذا اتخذتها فاناً مدو . فاذا أمرت غيرك ان يتخذها قلت أدو دواة . ويقال للذي يحمل الدواة ويمسكها داور . وللذي يعملها مدور وللذي يبيعها دواء^(١)

وفي الدواة^(٢) . مجراها . وجوبتها . وحقةها . وطبقها . والمجرى حيث توضع الاقلام . والحق^(٣) ما يعمل من صغر او حديد . والجوبة^(٤) التي يجمل فيها الحق ويقال

(١) ذكر ذلك البطليوسي في الاقتضاب . (٢) هذا ذكره ابن درستويه . (٣) في لسان العرب والحق والحقه بالضم معروفة . هذا المنحوت من الخشب والعاج وغير ذلك مما يصلح ان ينحت منه عربي معروف قد جاء في الشعر الفصيح . (٤) في اللسان الجوبة الحفرة . وكل منفق بلا بناء جوبة . والجوبة فجوة ما بين البيوت .

للجوبة الوقبة^(١) . (والطبق^(٢) الغطاء) . ويقال لما تدخل فيه الدواة ليكون وقاية لها . صوان^(٣) وغلاف وغشاء . فان كان شيئاً يدخل في فمها لئلا يسيل منها شيء فهو سداد^(٤) وصمام وعفّاص وكذا القارورة ونحوها ومن اللغويين من يجعل العفّاص ما يدخل فيه رأس القارورة ونحوها . والصمام ما تدخله فيه .

الحبر بالكسر الذي يكتب به . ويقال للآنية التي يجعل فيها الحبر المحبرة سواء أكانت من خزف أم من قوارير وفيها ثلاث لغات فتح الميم مع فتح الباء وضمتها . وكسر الميم مع فتح الباء لأنها آلة . واجودها أولها ونقل في التاج عن ابن درستويه أن جمع الحبر احبار .

ويقال لبائع الحبر . الحيزري .

المداد بالكسر — الحبر . قال البطليمي المداد بذكرو يؤث نقول مددت الدواة من باب قتل إذا جعلت فيها المداد . وأمددتها لغة . والمُدَّة بالقلم غمس القلم في الدواة مرة للكتابة ومددت من الدواة واستمددت منها أخذت منها بالقلم للكتابة . وفي اللسان مد الدواة وأمدّها زاد في مائها ونقّسها . ومدها وأمدّها جعل فيها مداداً وكذلك مد القلم وأمدّه . ويقال مُدني مُدة من الدواة . والمُدّة بالضم اسم ما استمددت به من المداد على القلم . وقال ابن درستويه ويقال للحبر والنقّس وغيره من الأصباغ التي يكتب بها مداد .

(١) الوقبة نقر في الصخر يجتمع فيها الماء . ووقبة الثريد والمدهن انقوعته . والانقوعة بالضم كل شيء سال إليه الماء من مشعب ونحوه . ووقبة الثريد التي فيها الودك . (٢) لم يفسر ابن درستويه الطبق . وإنما أخذناه من قول اللغويين . الطبق غطاء كل شيء . والطبق كل غطاء لازم على الشيء . (٣) الصوان ككتاب وغراب ما صنّت به الشيء وكذلك الصيان بالكسر والغلاف ككتاب — الصوان . وما اشتمل على الشيء كقميص القلب وغرقى البهض وكام الزهر . والغشاء ككتاب الغطاء . وغشاء كل شيء ما نغشاه كغشاء القلب والسرّج والرحل والسيف . (٤) السداد ككتاب كل شيء سدّد به خلاً .

النَّقْسُ بالكسر - المداد وجمعه أَنْقَاسٌ وَأَنْقُسٌ قال المزار :
(عفت المنازل غير مثل الانقس بعد الزمان عرفته بالقَرْطَاسِ ^(١))
يقال نقس دواته لتقبس أي جعل النقس فيها قال البطليوسي . النقس بفتح النون
مصدر نقست الدواة اذا جعلت فيها نقساً وقد حكى ابن قتيبة . انه يقال للمداد نقس
ونقس بالكسر والفتح قال والكسر أفصح وأعرب .

البُؤْهَة - الصوفة المنفوشة تعمل للدواة قبل ان تبلى . قال البطليوسي فاذا
بلى بالمداد فهي اللبقة ^(٢) وجمعها لبق . وقد يقال لها لبقة قبل ان تبلى بالمداد فتسمى
بما تؤول اليه كما يقال للكبس ذبج وذبيجة قبل ان يذبح . وفي القاموس لاق الدواة
بليقة لبقة وليقاً وألقها جعل لها لبقة وأصلح مدادها فلاق الدواة لصق المداد بصوفها
واللبقة بالكسر الاسم منه . وفي التهذيب لبقة لبقة الدواة وهي ما اجتمع في وقتها من
سوادها بجائها ويقال لاق الدواة يلوها لوقاً . فهي لبقة وملافة وملوقة . وهي لائق لغة قليلة .
ويقال لصوفة الدواة اذا بست هَرْشَفَةً ^(٣) . كَأَرْدَبَةٍ وَقَدْ هَرْشَفَتِ وَاهَرْشَفَتِ
فان كانت من قطن فهي الْكُرْسُفَةُ . يقال كرسف الدواة كرسفة وكرسافاً
وقال البطليوسي يقال لها العُطْبَة ^(٤) . واحدة العطب بضم فسكون وبضمتين . وهو
القطن كالكرسف .

ويقال أمهت الدواة اذا صببت فيها الماء . وأمه دوانك ^(٥) وخثرت الدواة

(١) اي في القراطس . (٢) واللبقة الطينة اللزجة يرمى بها الحائط فنلزم . وشيء
اسود يجعل في دواء الكحل . (٣) والهرشفة قطعة خرقه ينشف بها ماء المطر ثم تعمر
في الاناء وانما يفعل ذلك اذا قل الماء . قال الرازي :

(طوبى لمن كانت له هرشفة ونشفة يملأ منها كفه)

والنشفة بفتح فسكون وقيل بالثلاث ويحرك الحجاره السوداء التي ينقى بها وسخ
الاقدام في الحمامات . ويقال لها النسفة بالسين بلغائها الاربع . (٤) والعطبة خرقه
تؤخذ بها النار . (٥) الموهة بالضم لون الماء يقال ما أحسن موهة وجهه والموهة تفرق
الماء في وجه المرأة الشابة .

خثورة وخثارة شخن مدادها . وأخثير الدواء ^(١) .
 القلم الذي يكتب به فعل بمعنى مفعول . ولهذا قالوا لا يسمى قلماً إلا بعد البري
 وقبله هو قصبة . أو يراعة . أو أنبوبة . وسبي قلماً لأنه قلم أي قطع وسوي . وكل
 ما قطعت منه شيئاً بعد شيء فقد قلمته ^(٢) وجمع القلم أقلام وقلام . وجمع أقلام أفاليم .
 ويقال للقلم المزبر والمذبر بالزاي والذال كمنبر فيهما من الزبر والذبر وهما الكتاب
 وفرق بعضهم فقال الزبر الكتابة والذبر القراءة .
 ويقال له المرقم كمنبر من الرقم أي الكتابة يقال طاح مرقمك أي أخطأ قلمك .
 وفي القاموس واللسان يقال للرجل إذا أسرف في غضبه ولم يقصد طامرقمك ، وجاش ،
 وطفا ، وغلا ، وطفح ، وفاض ، وارفع ، وغذف مرقمك : كل ذلك بمعنى .
 ويقال له الملقاط ^(٣) بالكسر كفتاح قال شمر سمعت حميرة تقول لكلمة أعدتها
 عليها لقد لقطتها بالملقاط أي كتبتها بالقلم .
 واللقطة بالكسر وعاء الأقلام . وفيه الافتضاب . ويقال للذي بقلم به مقلم ولما
 بهري به مبرة ^(٤) . ويقال لما يسقط عن النقاليم القلامة وعن البري البراية .
 والقط والمقطعة بكسر أولهما وفتح ثانيهما ما يقط عليه القلم . وقيل عظيم يكون مع
 الوراقين يقطون عليه أطراف الأقلام ^(٥) .

(١) مبادي اللغة . (٢) قيل لأعرابي ما القلم ففكر ساعة وجعل يقلب يديه وينظر
 إلى أصابعه ثم قال لا أدري فقل له نوههم في نفسك فقال هو عود قلم من جوانبه
 كتقليم الأظفار . (٣) والملقاط المقاش الذي يلقط به الشعر ويقال له المنشاش والمنشاخ
 والمنشاف . (٤) قال الشاعر : (وانت في كفك المبرة والسفن) . المبرة كمسحاة
 الحديدة التي بهري بها . والسفن محرّكاً ما ينحى به الشيء . (٥) القط القطع عامة .
 أو قطع شيء صلب . أو القطع عرضاً . قطه يقطه كده يمهده واقطه فانقط واقنط ومنه
 قط القلم . والقطاط ككتاب المثال الذي يجذوع عليه الحاذي ويقطع النعل . والقطاط
 كشداد . الخراط الذي يعمل الحقق .

ويقال لعقده القلم كعب^(١) وجمعه كعوب وكعاب . ولما بين العقدتين أنبوب كعصفور وأنبوبة والجمع أنبوب وأنابيب^(٢) .

ويقال لقشرة القلم ليطه وجميعها ليطه كريشة وریش والليطة قشرة القصب والقناة وكل شيء له متانة وصلابة . وقيل ليط العود القشر الذي تحت القشر الأعلى^(٣) .

ويقال لباطن القلم الشحمة^(٤) وللقطن الذي في جوف القصبة البهلم كحيدر والفشعة بفتح فسكون^(٥) .

وسن القلم موضع البري منه^(٦) .

وجلفه القلم ما بين مبراه الي سنيه ومنه قول عبد الحميد الكاتب . ان كنت تحب ان تجود خطك فأطل جلفتك وأستنمها وحرف قطتك وأيمنها .

وقال ابن درستويه . وشقه فرجة بين سنيه . وحرفا القلم جانباً سنيه ووسطه

(١) قيل الكعب عقدة ما بين الانبوبين من القصب والقنا وقيل هو أنبوب ما بين كل عقدتين . وكل شيء علا وارفع فهو كعوب . والكعب فص النرد ويقال له الكعبة . والكعبة كل بيت مربع . وكعب الشيء تكعيباً ربعة . (٢) يفهم من عبارة بعض اللغويين ان الانبوبة مفردة وجميعها أنبوب وجمع الجمع أنابيب . وأنابيب الرئة مخارج النفس منها . (٣) والليط بالفتح وبكسر واللياط (اللون) وليط الشمس لونها ويقال اتيته وليط الشمس لم يقشر اي قبل ان تذهب حمرتها في اول النهار . والليط بالكسر الجلد وليط الرجل سجيته . واللياط ككتاب الجص والكلس لانه يلاط بها . (٤) قاله البطانيوسي والشحمة قطعة من الشحم وهو جوهر السمن وبائعه شاحم وشحام كشداد . وشحمة الاذن . معلق القرط منها وهو ما لان من أسفلها وشحمة الأرض الكماء البيضاء . وشحمة الرمانة الاصفر بين ظهراني الحب وقيل الهنة التي تفصل بين حبها . (٥) في اللسان الفشعة قصبة في جوف قصبة . والفشع اتساع الشيء وانتشاره والفاشعة الغرة المنتشرة المغطية للعين وفشفت الناصية والقصة حتى تغطي عين الفرس ونفشع فلان في بئوت الحلي اذا غاب فيها فلم تره . (٦) وفي الاقتضاب ويقال لطرفيه اللذين يكتب بهما السنان واحدهما سن والشعيرتان واحدهما شعيرة .

ما بينهما • وشظيته طرف سنه الأيمن وعُرضه الجانب الأيسر ووجهه باطن سنه •
وحده مبدأ مقطعه فان جعلت سن القلم أطول من الاخرى فهو محرف • وحرف القلم
تحرفاً قطه محرفاً وذلك اذا عدل باحد حرفيه عن الآخر قال الشاعر :

(تحال اذنيه اذا تحرفا خافسة او قلماً محرفاً)

وان جعلنا مستويين فهو قلم جزم اي لا حرف له ^(١) •

فاذا حدد طرفه قيل أنه تأنيب • والتأنيب تحديد طرف الشيء • وأنف كل
شيء طرفه والمؤنف المحدد من كل شيء •
فاذا رفق بطنه قيل بطنه تبطيناً ^(٢) •

وبقال فلم رشاش • اذا حاف الشق على احد جانبيه فشق وتعرش بشطايها الكتاب
ورش المداد ^(٣) •

واذا كثر المداد في رأس القلم حتى يقطر قيل رصف برصف رصفاً شبه برفاف
الأنف ومج مجاً وأرصفه الكتاب وأجج • ويقال استمدد ولا ترصف ولا تمج اي لا تكثر
من المداد حتى يقطر ^(٤) وانجبت نقطة من القلم ترششت فاذا تكسرت سنه قيل قضم
على وزن حذر •

(١) والجزم من الخط تسوية الحروف • قال الجوهري والعرب تسمي خطنا
هذا جزمًا • والجزم هذا الخط المؤلف من حروف المعجم سمي جزمًا لانه جزم اي قطع
عن المسند وهو خط حمير في ايام ملكهم قال في التاج وهو في أيديهم الى الان باليمن •
(٢) يقال رجل مبطن اذا كان ضامر البطن • وبطن الرجل لحيته أخذ ما تحت الذقن
والحنك • (٣) كذا في مبادي اللغة • والرشف نقض الماء والدمع والدم • ورش المكان
نضجه بالماء ورش الحائك النج بالمرشة وهي ما يرش بها • (٤) هكذا ذكره في الاقنصاب
وفي التاج وما احسن مراصف أقلامه ومقاطرها • ومراصف الانسان الانف وما حوله
يقال فعله على الرغم من مراصفه مثل مراغمه • والمالج من الناس والاول الذي
لا يستطيع ان يسك ريقه من الكبر وجمع الاول ماجتون والثاني مججّة •

- والمملول بالضم الحديدية التي يكتب بها في الواح الدفاتر ^(١) .
- والوفيفة كسفينة الخرفقة التي يمسح بها الكاتب قلبه من المداد ^(٢) .
- والسبورة — الاواح من الساج يكتب عليها التذاكير فاذا استغنوا عنها محوها .
- ويقال لها السفورة والسفر الكتاب والسافر الكاتب جمعه سفرة محرقة .
- خرج الغلام لوحه تحريراً اذا كتبه فترك فيه مواضع لم يكتبها . والكتاب اذا كتب فترك منه مواضع لم تكتب فهو مخرج . والنجل محو الصبي لوحه . نجل لوحه اذا محاه . والنجل كمنبر الذي يحج ^(٣) ألواح الصبيان .
- إمام ^(٤) الغلام في المكتب ما يتعلم كل يوم و يعرف بالسبق محرقة ايضاً .
- المخطاط عود تسوى عليه الخطوط .
- النناشير — كتابة لغلمان الكتاب وهي خطوطهم في المكتب بلا واحد .
- المشقى — في الكتابة مد حروفها وبابه ضرب والمشق السرعة في الكتابة . وفلم مشاق سريع الجري في القراطس .
- كتاب التجاسين خلاف المشقى .
- عضو المجمع العلمي العربي
- سليم الجندري



- (١) والمملول المكحال وفي اللسان والتاج قال ابو حاتم هو الذي يكحل ويسبر به الجراح ولا يقال الميل انما الميل القطعة من الارض . (٢) والوفيفة مثل السلة وصوفة تظلي بها الاوبل الجربى . (٣) في القاموس شيء يمحي به الخ . (٤) والامام خيط البناء الذي يمد على البناء فيبني عليه ويسوي عليه ساف البناء . والامام خشبة البناء يسوي عليها البناء . والامام المثال وفي القاموس ما امتثل عليه المثال .

رحلة الى حلب والشام

« في سنة ١١٥٠ هـ - ١٧٣٧ م »

— ٢ —

وبعد ان آب السيد احمد الأدهمي من رحلته في حلب الى وطنه طرابلس الشام مكث أياماً ثم هبياً للرحلة الى دمشق الشام وذلك بعد خمسة أيام خلت من ربيع الثاني سنة (١١٥٠ هـ) قال « فشددنا لنحوها القلأص الرهاسم . وكان لقاساها لدينا من أعظم المواسم . وبتنا ليلة السبت على الدنك خارج البلد . باسطين اكف الدعاء الى الفرد الصمد وكان يرفقنا السيد عثمان من ابناء دمشق الشام » . الدنك لفظة تركية مازالت مستعملة الى اليوم ومعناها (البالة والرزمة) فلعلنا عني بالدنك رزمة البضاعة والمتاع اي ان كل واحد منهم بات على رزمة متاعه . ويظهر ان المسافرين كانوا يومئذ يبيتون خارج السور حتى اذا طلع الفجر نهضوا للسفر . وانما لم يناموا في بيوتهم ثم نهضوا لان للمدن يومئذ أسواراً وأبواباً مقفلة لا تفتح الا بعد طلوع الشمس . فمن ثم كان المسافرون مضطرين الى البيوتة خارج الأسوار على رزم البضائع . وقد كان سفرهم الى دمشق من طريق لبنان وجبة بشري فتساقوا فنتمها الى بعلبك ومنها الى دمشق . وقد صلو الفجر حيث كانوا نائمين على (الدنك) ثم ساروا حتى طلعت عليهم الشمس بين الزيتون فأناخوا ثمة ونناولوا الفطور . وعلى نزولهم بين الزيتون بقوله : « وكان الداعي الى النزول في هذا المكان . انتظار الكيرون باقي دوابه الذين سيفي جيلة بقصد تحميل الدخان » . و (الكيرون) تكتب بالقاف غالباً فيقال (قيرون) وهي كلمة فارسية معناها القافلة ويحتمل ان يكون المؤلف أراد بالكيرون هنا رئيس القافلة لا القافلة نفسها اذ قال ان الكيرون كان ينظر بقية دوابه التي كانت في مدينة جيلة تجلب منها الدخان (وهو الثمن) بقصد تحميله للتجارة به . وجيلة على مقربة من اللاذقية وما زالت زراعة الثمن وتجارته رائجة أيما رواج في ذلك الحيز . ثم نهضوا للسفر في الليل فقطعوا تلك العقاب الصعبة المرتقى وصلوا الطريق وحصل نزاع بين المكارية بسبب ذلك كاد يؤدي الى قتال حتى وصلوا الى قرية (بطرزه) فصلوا فيها الفجر ولما

تعالى النهار انتقلوا الى مكان بقرب العين للقيلولة ثم بانوا هناك الى ثلث الليل الأخير فحملوا للسفر وقاسوا مشقة سيف قطع (عقبة السنديانة) بحيث نسوا مشقات عقبي (السفكوف) و (القرشية) بين اللاذقية وادلب . ثم وصلوا الى (الحدد) كذا ولعلها محرفة عن (الحدث) بالثناء والحدث محرفة عن (الحدث) بالثناء وفي سور يا عدة قرى بهذا الاسم . وهذه الحدث تسمى (حدث الجبة) اي جبة بشري تميزاً لها عن (حدث بيروت) و (حدث بعلبك) لكنهم لم يجدوا فيها مكاناً يستظلون به من حرارة الشمس فاتخذوا مظلة لهم من البسط التي معهم قال « وتوارد علينا من سائر الأقطار . طائفة الحمادية سكان تلك الديار . وسلكوا معنا طريق الأدب والانصاف . ولم يحصل منهم تعدي ولا خلاف . حتى ان كبيرهم ورئيس امرهم ومشيرهم قدم ذبيحة ثمينة . من غير ان يأخذ لها قيمة » . والحمادية أسرة شيعية كبيرة ننسب الى حمادة العجمي الذي نزل بعشيرته في سوربة هرباً من شاه العجم وكان لابنائهم وأحفاده أماره في كسروان والبترون وجبة بشري الى بعلبك . ومن بقاياهم متاوله الهرمل . وكان لحمادة المذكور ولد اسمه ابو زعزوعة هو واولاده من بعده تولوا جبة بشري وبقوا فيها الى سنة (١٧٣هـ — ١٧٥٩ م) اي بعد مرور مؤلف الرحلة بثلاث وعشرين سنة فتألبت عليهم موارنة الجبة وطردهم منها وخلفهم في تولي البلاد الأسر المورانية الباقية الى اليوم كأُسرة الضاهر والدويهي وعواد وغيرهم . والمشايخ الحمادية هؤلاء أتبعوا ولاية طرابلس وأمراء بني شهاب تبعاً عظيماً : فقد كانوا أشداء ذوي نعمة وشكيمة وهذا مع تشيعهم جعلهم بين السنين والموارنة وارتوذ كس الكورة عنصراً غربياً سيف البلاد ومازال الولاة يطاردونهم حتى محقوهم . وكان الشيخ النابلسي مر بطرابلس سنة (١١٠٥هـ) اي قبل رحلة (الادهمي) بنحو خمس واربعين سنة فرأى وهو داخل الى طرابلس من جهة حمص خياماً منصوبة على هضبة قبالة مزار (الشيخ البداوي) فسأل عنها ف قيل له انها خيام الوزير علي باشا والي طرابلس وقد خرج منها (لقتال الطائفة الحمادية الروافض العنادية) .

ثم ان المؤلف ورفقته نهضوا من الحدد (الحدث) الى مكان يقال له (البالوع) بعد ان قاسوا عناءاً عظيماً فلم يجدوا فيه ظلاً « غير صحراء بلقع . حاوية لانواع الذباب

أجمع . كل ذبابة قدر زنبور . ولها صوت كصوت الطنبور . اذا أنشبت بالجد
أنباها . أخرجت الدم بمخلابها . (اي مخلبها والمخلب الظفر) :

(بعوض جعلن دمي قهوة وغيني بضروب الاغاني)

(كأن عروقي أوتارهن وجسمي الرباب وهن المغاني)

وركد النسيم فلم يهب عليهم شيء (البالوع) فكادوا يخنقون حتى أقبل الليل فهب
عليهم نسيمه بليلاً منعشاً . قال « ورحلنا قاصدين بعلبك ورأس العين ولي شوق
زائد المقدار . الى الشرب من عين طار ذكرها في الاقطار » . وكما انه كان في
شوق الى الشرب من العين المذكورة كذلك كان له شوق شديد الى رؤية مفتي بعلبك
الذي قال فيه « فقد مدحته الألسن والأفواه . وتعلق قلبي بحبه قبل ان أراه » .
اما والي بعلبك فشوقه اليه أشد وأعظم بالطبع وذلك حيث يقول « واما باشتها وواليتها .
وناشر ألوية العدل بناديتها . فانه هو الذي مدحه السيف والقلم فأت لي
بجناحه الكريم . ومقامه السامي العظيم . اجتماعاً وانا بشعر دمياط وهو متوجه لمصر
ذات الاهرام . بقصد الاجتماع على وزيرها وأمرائها الكرام . فحل منه ومنهم مكان
الانسان من العين . . . ولا سيما امير اللواء اذذاك ذو الفقار . فانه اختاره لنفسه
واصطفاه . . . وبعد ذلك دخل (اي والي بعلبك) القسطنطينية . ومحل السلطنة
العثمانية . وكنت كثيراً ما أتوقع حسن أخباره . وأنشر بين الناس جميل آثاره » .
هذه هي معرفة المؤلف بوالي بعلبك ثم وصف مبلغ شوقه اليه حتى زار وطنه طرابلس
وقصد دمشق فرأى ان الفرصة حانت لرؤية صديقه في بعلبك قال « لارى ما يسر
فؤادي . من حسن مقامه المهلك للاعادي . واني لأرجو له فوق ذلك مظهراً . وان
يرقيه الوزارة في الدنيا والسعادة في الاخرى » . ووصلوا الى رأس العين سحراً فناموا
وفي الضحى دخلوا بعلبك . فممن اجتمع بهم من اهلها الشيخ احمد الخطيب فوصفه بالفضل
والأدب والسمين مذ قال « قال الامام الأعظم : ما أفصح سمين الا ابن الحسن . وانا
أقول ما أفصح سمين الا الخطيب في هذا الزمن . . . فوجود مثل هذا الذكي الباهر .
في مثل هذه البلدة غريب ونادر » . ثم ذكر ممن اجتمع بهم اخا الشيخ الخطيب لكنه
لم يسمه ووصفه باللطيف والأدب والذكاء وحسن الخلق . ومنهم (الشيخ يحيى) مفتي

بعلبك وصفه بقوله « حرم تلك الديار وكميتها ٠٠٠ حاتم عصره ٠٠٠ وخليفة أبي حنيفة النعمان ٠٠٠٠٠ اجتمعت بهذا النحر ير ٠ في خلوة الخطيب بجامع الكبير » ٠ ثم ذكر منهم (جناب حضرة صالح باشا) وقد سرد له من الأوصاف والألقاب ماشا ٠ وهو سيف الغالب صديقه حاكم بعلبك الذي يود رؤيته كما مر فقال عنه انه « حين بلغه ورودي لناديه ٠ أرسل لي مطرجي باشا يدعوني الى الحضور لبين ابيه » ومطرجي باشا هذا لا نعلم ماهو عمله في بعلبك اذ ذاك غير ان أسرة المطرجي من أسر اللاذقية ومنها أرسلان باشا واخوه قبلان باشا اللذان كانا واليين في طرابلس الشام في حدود الالف ومائة للهجرة ٠ ولما زار الشيخ النابلسي طرابلس سنة (١١١٢ هـ) كان واليها أرسلان باشا المذكور ٠ ويوجد الى اليوم في طرابلس وفي اللاذقية أمرتان باسم (المطرجي) وكلمة المطرجي تركية الصيغة محرفة عن (مطرجه) اي صاحب المطرة (بالتحريك) والمطرة ايربى معدن او جلد بشكل خاص يستقى به الماء اكثر من يستعمله الجنود والمسافرون واعلمه عربي الاصل من (المطر) لان المسافر غالباً يملأ مطرته من مياه المطر المتجمعة في القلات والغدران ٠ اما صالح باشا هذا ففي الغالب انه مولى على بعلبك من قبل ولاية الشام بعد ان خضعت الدولة من شوكة الخرافشة أمراء بعلبك المشهورين ٠ ثم وصف دخوله على (صالح باشا) وحفاوة هذا به وكان في المجلس الشيخ يحيى مفتي بعلبك وجرت بينهم مذاكرات علمية ضربنا صفحاً عن ذكرها وذكر أمثالها لكننا نود ان نذكر مسألة تفسيرية أعجبتنا جداً قول المؤلف فيهما: ذلك ان سائلاً سأله عن هاتين الآيتين (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم) (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم) فلماذا في الاولى قدم ضمير مخاطبين (نرزقكم) وفي الثانية الغائبين (نرزقهم) فأجاب بنعم الجواب : مخاطبون في الاولى فقراء بدليل (من إملاق) فالأهم ان يقدم الوعد برزقهم والمخاطبون سيف الثانية اغنياء بدليل (خشية إملاق) فالأهم ان يقدم الوعد برزق اولادهم وهذا من الحسن بمكان رفيع ٠ ثم تناول المؤلف الطعام عند الباشا الذي ألح عليه ان يبق في ضيافته ثلاثة ايام فاعتذر ودعا له ٠ ثم ذهب مع رفاقه الى رأس العين حيث هيأ لهم المفتي طعام العشاء وبعده تحمّلوا للسفر الى دمشق فوصلوا بعد طلوع الشمس الى (سرغايا) فمدح ظلها وماءها ثم وصلوا (الحسينية) على

نهر بردى ووصلوا دمشق وقت السحر ودخلوا من (باب السريجة) قال « وقصدنا مكان
صديقنا القديم جناب اخينا (السيد محمد اليلداوي) . حفظ الله ذاته من المخاطر
والمساري » . وصداقته معه من مصر ولعلها عن طريق المجاورة في الأزهر قال :
« وبالْحَقِيقَةُ فهو الباعث على قدومي لدمشق . والصدق في ذلك أولى وأحق . لانه
من حين ورودي ديارى . واجتماعي بأقاربى وأنصارى . لم يفتر عن دعوتي لبلدته .
وفي كل ركب يخفني بهداياه ومكاتبته فوصلت قبيل الفجر الى خانه المعروف .
فوجدت بابه مقفولاً ومردود . فقرعت حلقة الباب . فخرج لنا من غير نقاعس
البواب فقلنا له نحن أصدقاء وأحاب . الى جناب السيد محمد اليلداوي
خلاصة الانجاب . فأظهر السرور . وأدخلنا الى الخان وقاد لنا النور » . لعل صوابه
(وأوقد) . ووصف حفاوة الخادم بهم حتى طلع الفجر قال « فتوجهنا الى الجامع
الأُموي من غير توانٍ فرزنا جناب نبي الله يحيى وبه تملينا » . فلما أقيمت صلاة الصبح
صلوها وقعد المؤلف يتلو القرآن . وهنا يحق لنا ان نعتب على المؤلف عتباً شديداً : فقد
سمرنا معه في رحلته هذه بطولها فما كنا نراه يمر بضريح منسوب الى احد الاولياء .
او الصلحاء الانقياء . حتى يكتب من الأسطار . نحو ثلاثة أمتار . وكلها استمداد
ومناجاة . ومدائح ودعوات . أمام ذلك الضريح الرهيب . وان لم يكن لصاحبه شهرة في
التاريخ ولا نصيب . اما امام ضريح سيدنا يحيى الحصور . فانه اكتفى بكلمات كمنقار
العصفور . مع ان سيدنا نبي الله يحيى . من الانبياء الذين بذكركم القلوب تحب .
ومكان قبره هذا ثابت معروف . وبالجلال والمهابة منعوت وموصوف .

ثم بلغ الخبير صديقه (الشيخ محمد الديري ^(١)) فأسرع الى الجامع وأخذه الى داره وأراد
إنزاله عنده فأبى الا النزول لدى صديقه الذي دعاه الى دمشق وهو السيد محمد اليلداوي
ولم يفجأهم الا قدوم السيد مصطفى اليلداوي شقيق السيد محمد ، وأخبرهم ان اخاه
المذكور سار الى لقيام خارج البلد في جملة من الاصدقاء فكأنهم تحالفوا في الطريق
ثم لم يلبث السيد محمد نفسه ان قرع الباب ودخل عليهم فعلت أصوات الابتهاج

(١) راجع ترجمته في المرادي (جزء ٤ ص ٣٠) .

والترحيب من كل جانب وبعد هنيئة أقبل الشيخ اسماعيل العجلوني^(١) للسلام على المؤلف ثم انتقل الى دار السيد محمد اليلداوي . فناموا واكلوا ثم أخذهم الى حمام الخياطين الذي (كأنه لحسن بنائه جلاء للناظرين فوجدناه على وفق المراد . حوى ما اشتمل عليه غيره وزاد) قال « فلما دخلنا اليه . واطلعنا على ما اشتمل عليه . وافانا البطيخ والعنب . مع اخوان عليهم سجا الانس والطرب » . ثم خرجوا فتناولوا القهوة والشربات قال « ولما أردنا لبس الثياب . رأينا بقجة فاحت منها روائح الطيب بلا ارتياب . ورأينا طبي البقجة خلعة سنية . مشتملة على ما يليق من الكسوة الهيبة » . ثم خرجوا من الحمام الى الدار وفي ثاني يوم نزل الى الشوارع قال « فلم نفتح عين الاعلى قطين جمع أشنات الأدب . وطبع على حسن الكمال وعلى محاسن الفصاحة دأب » . الى آخر ما قال في وصف الدماشقة . ثم وصف جامع دمشق ونقل ما قاله المؤرخون والرواة عنه من ذلك ان العمودين اللذين في الحراب كانا في عرش بلقيس . وعند المنارة الشرقية حجر من حجر موسى^(٢) الذي ضرب به بعصاه فانجست منه اثنا عشرة عينا . ومن عجائبه انه لو عاش احد مئة سنة لرأى فيه كل يوم ما لم يكن رآه في اليوم الذي قبله من حسن الصنعة . وان دخله من اوقافه كل يوم الف ومائتا دينار تصرف المائتان في المصالح والباقي يحفظ في خزانة السلطان . قال المؤلف « وفي هذا الجامع اجتمعت باقمار دمشق الشام . وتملت برؤية علماء الاعلام » . وعد منهم الشيخ اسماعيل العجلوني

(١) الشيخ اسماعيل هذا من اكبر علماء دمشق في ذلك العصر وله ترجمة مسهبة في المرادي (جزء ١ ص ٢٥٩) . (٢) ومن حسن المصادفة اننا حين وصلنا الى تصحيح هذه الجملة عثر بعض اخواننا وهو تصفح تاريخ ابن عساكر (جزء ٧) في ترجمة محمد بن احمد ابن ميمون — عثرنا على ما يأتي : « طلع بعض قضاة دمشق المأذنة الغربية فرأى حجارة مكتوبة فطلب من يقرؤها حتى دل على رجل . فقرأ واحدا منها فاذا عليه مكتوب فيما زعم : هذا الحجر قسم الحجر الذي انقلب لموسى بن عمران عليه السلام . وقرأ حجراً آخر فاذا عليه مكتوب : بني هذا الهيكل لعبادة إله الآلهة على جزاز الصدق وجزاز الكرم (كذا) اهـ » .

الذي ذكره أولاً باختصار فعاد الى ذكره هذه المرة وسود صفتين ملاهما بذكر القابه ومحاسنه وفضائله: من ذلك انه « كتب على البخاري شرحاً غاق به الأوائل . لانه بلغ على الربع نحو مئة كراس بالكامل » . ودعا ان يوفقه الله الى اتمامه . ثم انقل المؤلف من ذكر الشيخ اسماعيل العجلوني الى مباحث في الشعر واللغة والأدب وفنون من الاخبار مختلفة سود لها نحو مئة وعشر صفحات من رحلته . ويغلب على الظن ان معظم ما كتبه المؤلف انما كتبه بعد اي حين تبييض الرحلة وليس هو مما كان تقع المذاكرة به في مجالسه مع من كان يجتمع بهم . ثم قال المؤلف بعد ذلك ان من اجتمع بهم في دمشق (الشيخ مراد السقموني) امين الفتيا واثنى على علمه وفضله وانه يحفظ مقامات الحريري و«عجوبها» وانه سأل عدة مسائل مشككة فيها فكان يجيب عليها . ويظهر من اسئلة الشيخ السقموني انهم في ذلك الزمان كانوا يسألون للامتحان والاختبار ولم يكن المسؤول يتأثر ولا يمتنع وهذا على خلاف ما نحن عليه اليوم فان المسؤول اذا آانس من السائل انه يريد اختبار علمه وسرغور معرفته امتنع وند هذا الصنيع مزرياً بالجلس ماساً بكرامته . وختم المؤلف حديثه عن الشيخ مراد السقموني بقوله « وبالجملة فهو الأديب الذي كيل له من الادب أوفى كيل . وناهيك بامام قد ترجمه الأمين في الذيل » . يريد ان الشيخ امين الحبي ترجم السقموني في الذيل الذي وضعه لريحانة الألباء . واجتمع المؤلف باحمد افندي العمادي^(١) مفتي دمشق واثنى عليه وعلى أسرته واجتمع بالشيخ احمد المنيبي فقرظه تقرظاً حسناً وقال « قد سمعته وهو في جامع بني أمية يقرأ التفسير . وعرف فضله بتضوع ذاكي العبير . والناس تهرع اليه زمراً بعد زمرة . والطلبة محدقون به إحدائق الهالة بالقمير . فسمعت من رقة لفظه المطبوع الرائق . وكال تقريره العذب الفائق . ما أنبأ عن مقامه . وقضى بتعظيمه واحترامه » . واجتمع ايضاً بالشيخ موسى الحاسني^(٢) فأثنى عليه وقال « له الشهرة الكبرى في قوة الحافظة . والهمة العليا في حسن الضبط والحافظة . قد سمعته وهو يقرأ صحيح البخاري . ومن شدة الحفظ يروي أحاديثه مع

(١) راجع ترجمته في المرادي (جزء ١ ص ١٣٣) . (٢) راجع ترجمته في المرادي

أيضاً (جزء ٢ ص ٢٢٢) .

الضبط كالماء الجاري » . ومنهم الشيخ محمد الكنجي أنى عليه وقال « له في أنواع التشبيه . تأليف جم لم يسبق له شبيهه . قد لهجت بمدحه السنة اهل الكمال . ووصفه ابانه غريب التوصيف ليس له مثال » . ولم يترجم المرادي للكنجي هذا وانما ترجم لآخر اسمه محمد بن محمد الكنجي كان يتولى نيابة القضاء وتوفي في القرن الحادي عشر ولعله بو هذا الكنجي او جده . ثم ذكر المؤلف انه اجتمع في دمشق باحد أكابر علماء بلده طرابلس وهو الشيخ محمد التدمري الطرابلسي مفتي طرابلس . وكان السبب في نزوله دمشق ان سليمان باشا العظم لما تولى طرابلس ورأى علمه وفضله لازمه وأقبل عليه ولما تولى دمشق استصحبه اليها قال « وقد اجتمعت به وهو في جامع بني أمية يقرأ الدر المختار . ووجهه يكاد يتلأل بالانوار . قد كساه الشيب حلة تعظيم . فمن رآه قال ما هذا بشر ان هو الا ملك كريم » . وأمرة التدمري هذه ما زال منها بقية الى اليوم بطرابلس . ثم ذكر المؤلف سليمان باشا (العظم) امير الحج ووالي دمشق واثني عليه بضروب الحماد ووصفه بالشجاعة والعدل وانه من حملة السيوف والأقلام . وقال انه كان له به اتصال ومحبة وانتساب وذلك حين « جربه الدهر . تجربة الياقوت بالجر . ثم صفاه الوقت وعاد . على رغم الاعداء والحساد . وتولى طرابلس الشام . واستنارت بنور عدله الأحكام » . ولا يخفى ان سليمان باشا هذا تولى دمشق للمرة الاولى من سنة ١١٤٦ الى ١١٥٢ ثم وايها ايضا من سنة ١١٥٤ الى ١١٥٦ ثم قال المؤلف انه لما جاءت البشرية بسلامة سليمان باشا أرسل اليه كتاباً وقصيدة يهنئه بعودته للولاية . ويفهم من سياق الكتاب ان الولاية التي عاد اليها انما هي ولاية طرابلس الشام . ثم قال « وقد كنت أرسلت لجنايه وهو بقلعة صيدا ممنوعاً عن الظهور . تساية لوقوع هذا المخطور » . ثم ذكر الكتاب الذي أرسله اليه وهو مسجون بصيدا وسلاه بما قاله الأدياء والشعراء في تسلية السجين من ذلك قول علي بن الجهم :

(قالوا سجينت فقلت ليس بضائري سيجني واي مهنـد لا يهنـد) الخ .

وكانت الباشا سجين في صيدا بعد عزله من طرابلس فأرسل اليه المؤلف كتاب التسلية ثم خلي سبيله وولي دمشق فأرسل اليه كتاب التهنية ثم جاء بنفسه الى دمشق قال « وحين اجتمعت على جنباه بداره دار السعادة لاطفي . . . وسألني عن

سبب رحلتي . وعما وقع لي في سفرتي . وأوسع لي في الإكرام الخ » . ثم عاد المؤلف إلى إتمام الكلام . على ما جرى له في دمشق الشام . فقال « ثم بعد اجتماعي بهؤلاء السادات . فرغت نفسي للفرج على المفترجات . التي طار ذكرها في الإفطار . ومدحتيها الادباء في النظام والشار » . ثم أخذ يسرد ما قاله الشعراء في وصف دمشق . والظاهر من كلمة (المفترجات) انه يريد بها الاماكن التي تصلح للفرجة عليها وتسميها اليوم منتزهات او منتزهات . اما (المفترجات) فلا نعرفها بل لم نسمعها بعد وهي مشتقة من مادة (الفرجة ونفرج) ولا نعلم ان كان هو الذي اخترع تلك الكلمة او كان يستعملها اهل زمانه فتابعهم عليها . لكنه مع الأسف لم يذكر تلك (المفترجات) التي زارها ولا اعنى بوصفها لنا وانما هو سرد ما قاله الشعراء في جمال دمشق بوجه عام ثم شغلته مسائل العلم التي كانت تجري في مجالس أنسه بدمشق عن كل شيء سواها فكانت يسود الصفحات الكثيرة من رحلته بذكر تلك المسائل ونقل ما قاله العلماء الأقدمون فيها وبعد ان فرغ من تلك الأشعار في وصف دمشق قال « ولما وقفت على تلك المفترجات . ونزهت طرفي في تلك المنتزهات . وافق الأثر العين . وقلت بانها جنة بلامين » . ثم كذب بعض الحساد الذين أولعوا بهجو دمشق من ذلك قول بعضهم فيها :

(تحب دمشق ولا تأتها وان رافك الجامع الجامع)

(فسوق الفسوق بها نافق وفجر الفجور بها ساطع)

وقول ابي بكر محمد الكاتب الاندلسي :

(دمشق جنة الدنيا حقيقاً ولكن ليس تصلح للغريب)

(بها قوم لم عدد ومجد وصحبهم تؤول الى حروب)

(ترى انهارهم ذات ابتسام وأوجههم تولع بالقطوب)

(أقمت بدارهم ستين يوماً فلم أظفر بها بفن أديب)

فرد المؤلف هذا القول وزيفه ثم استشهد بما قاله صاحب نفع الطيب وغيره ثم قال

« والمفخرة بين مصر والشام وحلب امر قد شاع . ولكن الحق أحق بالاتباع . ولقد

أنصف من قال :

(في حلب وشامنا ومصر طال اللغط)

(فقلت قول منصف خير الامور الوسط)

والظاهر من سياق كلام المؤلف انه يريد بقوله خير الامور الوسط ان الاعتدال في الحكم والتوسط فيه خير من الإفراط والمغالاة . ويمكن ان يكون قائل هذين البيتين أراد تفضيل دمشق لانها واقعة وسطاً بين مصر وحلب ولا سيما انه دمشق كما يفهم من قوله (شامنا) . ومن هنا استطرد المؤلف الى ذكر بلده طرابلس وتغنى بأوصافها . وجمال رياضها وأرباضها . من ذلك قوله فيها « ومرجها البانغ الأخضر . وهضابها العقيق الأحمر . ولبنانها الابيض المنير . المطل على زرقة البحر الكبير . ونهرها العذب الغضبان . الذي به أبتغ من كل فاكهة زوجان » . ويفهم من هذا القول ان نهر طرابلس كان يسمى الغضبان وكذلك سماه الشيخ النابلسي في رحلته اما اليوم فاسمه (ابو علي) . وكذلك جبل لبنان نسبة المؤلف الى طرابلس نسبة التابع الى المتبوع فقال (ولبنانها) اي لبنان طرابلس . اما اليوم فانعكس الحال واصبحوا يقولون (طرابلس لبنان) مكان (لبنان طرابلس) فسبحان المغير ولا يتغير . قال المؤلف « وجعلت ختام زيارتي الصالحية وأقمنا بقصر المنقاري ثلاثة ايام . . مع والد صديقنا السيد عبد الجليل البلادوي » . ثم وصف مبلغ الضيافة . من الحسن والنفاسة والسعة . ويظهر ان (قصر المنقاري) هذا في الصالحية كانوا يقصدونه لاقامة ولائم الزهرة فيه كقصر (شمعايا) في دمر اليوم . ثم ذكر المؤلف انه زار ضريحي الرجلين الالهيين الكبيرين الشيخ محي الدين بن عربي والشيخ عبد الغني النابلسي وسود في الكلام عليهما نحو اربعين صفحة وقال انه كان اجتمع بالشيخ النابلسي في حياته وهو يقرأ النفسير في مقام الشيخ الاكبر وقد أجازته وذلك سنة ١٠١٢٩ هـ قبل زمن الرحلة بواحد وعشرين سنة وعلى هذا فالمرادي قد أخطأ أو النساخ أخطأ را في قولهم ان مولد الادهمي مؤلف الرحلة كان سنة (١١١٩) اذ لا يمكن ان النابلسي أجازته وعمره عشر سنوات فليصح ما ذكره المرادي في ترجمة الادهمي . ثم قال المؤلف انه وهو بدمشق لازمه الشيخ عبد الله بن عمر الأفيوني وهو من شعراء طرابلس الشام لكنه نزل دمشق وأوطنها وتوفي فيها وسرد له المؤلف طائفة من شعره وقال انه توفي شاباً ^(١) وله مقامة في

(١) راجع ترجمة الشيخ عبد الله هذا في المرادي (جزء ٣ ص ٩٣) .

الطاعون الذي وقع بالشام لكن المؤلف لم يطالع على تلك المقامة وبهذه المناسبة ذكر ان صديقه الشيخ داود المراغي المصري له رسالة في وصف الطاعون الذي حصل بمصر سنة ١١٣٨ هـ وقد فنك فيها وفي أريافها فتكاً ذريعاً ثم ذكر رسالة المراغي ومما جاء فيها ان الناس كانوا يشتمون اللادن^(١) توفياً من الطاعون ومنهم من استعان بالخل والبصل حتى قال شاعر ذلك العصر :

(أراك تشم الخل في زمن الوباء تظن بان الخل ينجيك باخلي)
(اذا كان رب الموت بالموت قد قضى تموت به رغماً وأنتك في الخل)

ومما قاله المراغي في رسالته «فلو شاهدت كثرة النعوش وسماحتها وهم من كل حذب ينسلون . يلهون ويلعبون كأنهم آمنون . لقلت انا لله . وانا اليه راجعون . ومشاهم في ذلك القراء والمفسلون . حتى انهم لقلة الاموات يحزنون . وبكثرتها يفرحون . ومن الحكيم انهم لا يصابون . أفأمنوا مكر الله ؟ فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون » . ثم ان المؤلف عزم على الرحيل من دمشق والرجوع الى مصر فذكر ما أبقتة دمشق في نفسه من الأثر وانه اذ ودعها كان يتمتع برؤية جمالها . والشرب من أنهارها . قال وان في دمشق عدة أنهار وفي حطب نهر واحد اسمه قوبق ومع هذا فقد وجد لقوبق من يمدحه و يفاخر به كما يفاخر الدماشقة ببردى وغیره من أنهارهم . وذكر ما قاله كل قبيل في نهر بلده . من ذلك قول الصنوبري في قوبق :

(قوبق اذا شتم ریح الشتاء أظہر تہماً وكبراً غیبها)
(وان أقبل الصیف أبصرته ذليلاً حقيراً ضعيفاً كئيباً)
(اذا ما الضفادع نادت به قوبق ! قوبق ! اني ان يجيبها)
(وتمشي الجرادۃ فیہ فلا تسکد قوائمها ان تغيبها)

ثم ودع معارفه في دمشق ورحل عنها وخرج لتشييعه صديقه (السيد محمد جلابي

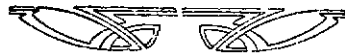
(١) اللادن بالبدال ولعل الأوضح فيها ان تكون بالبدال المعجمة وهو الحصى ابان الذي يعلك او هو ضرب منه . قال في اللسان : (اللاذن واللاذنة من العلوك وقيل هو دواء بالفارسية وقيل هو ندى يسقط على الغنم في بعض جزائر البحر) .

(اليلداوي) مع جملة من الاصدقاء حتى قرية المزة قال « فأنزّلونا في منزل شيخنا الشيخ داود فوجدنا ذلك المنزل قد فرشت ارضه بالرخام الملون . وطرزت حيطانه بالقاشاني من كل نوع مستحسن . وقد اجتمع في ذلك المنزل المعمور . جميع ابناء الحظ والسرور . وكان بصحبتنا السيد احمد المنقاري الاجبد . من فاق بحسن الصوت والالمان طويلاً ومعبد . ثم وصف لياتهم نظماً ونثراً ثم قال « فأخذني لحسن ذلك المنزل الحيرة . اذ كيف يتأتى وجود مثله في هذه القرية الصغيرة ! » . ثم قاموا نصف الليل للرحيل ووقفوا للوداع فوصف ما كان في ذلك الموقف من الألم والوجوم . وأنشد في ذلك اشعاراً حمة ووصف ما سبته هذه الزيارة في نفسه من الشوق والحنين . ثم بعد مسيره ثلاثة ايام وبعض اليوم الرابع وصلوا الى صيدا ونزلوا في خان (علي اغا حمود) ثم وصف صيدا وما قاله (ابن شاهين) فيها ولكن كانت وصفه لها هجواً في قالب مدح من ذلك قوله « ولعمري انها بلدة لولا حرارة مائها وهوائها . وبرودة أوضاعها وأبنائها . لكانت جنة المأوى بلا مرا . . . وكيف يسأم الناس بلدة اذا جلب اليها الماء يكتسب حرارة . واذا استجلب اليها العذب السائغ ينقلب الى عذوة ومرارة . وكيف لا يمدح الماء الحار . وهو الذي يجلب المسار . ويدفع المضار . وهو الذي ينقع في الحمام للاغتسال والاستحمام . ويحلال الأورام . وان شئت قلت يجلب البرسام والسلام . » . ثم قال المؤلف انه زاره في صيدا مفتيحاً (الشيخ عبدالغني) ووصفه بالفضل والعلم وانه حصل في الازهر فتعرف به ثمه وكانت مع المفتي اديب صيدا (الشيخ احمد البزرة) فوصفه وأثنى على أدبه وأخلاقه ثم قال « ولم ار في تلك الديار غير هذين . وما سواهما ملحق بالجمادات بلامين » . قال : وفي ثاني يوم زاره (السيد زكريا الفندي) موفداً من قبل (جناب ابراهيم باشا) والي صيدا بدعوه الى الضيافة فذهب اليه فرحب به الباشا ووصف ذلك المجلس وسود صفحات ضمنها مباحث ومناظرات علمية جرت فيه ثم ركبوا البحر من صيدا ونزلوا (بقياسة غربية . متوكلين على رب البرية) . والقياسة ضرب من السفن كما مر في مقدمة الرحلة على (الكراس الشارد) ولكن لماذا وصف (القياسة) بالغربية يا ترى ؟ او هي (عربية) بالعين المشبهة ؟ ووصلوا (عك) وبعد ثلاثة ايام بانت لهم قلاع دمياط فخرجت اليهم (النقاير) وهي جمع (نقيرة) ضرب من

السفن فركبوا نقيرة منها وجاوزوا البوغاز وحلوا بالنيل فأخذ المؤلف يصف النيل وما قيل فيه من الشعر وما قاله بطليموس وغيره من الحكماء الأقدمين في أصل النيل ومناشئ وجبال القمر التي ينبع منها . ومن هنا استطرد الى الكلام عن مصر وذكر فنوناً من أخبارها ومزايها . ووصل دمياط . وبعد ست سنين من وصوله اي سنة (١١٥٦) كتب رحلته هذه .

وخلاصة ما يقال في هذه الرحلة انها كنش علم وأدب وأشعار . اكثر مما هي كتاب رحلة ووصف أسفار وأطوار . وصفاتها نحو اربعائة وثمانين صفحة لم نعثر فيها على ما نحن بسبيله وقاصدون اليه من الاخبار الاجتماعية والتاريخية سوى هذه الصفحات القليلة التي وضعناها تحت نظر القراء . فليحكم عليها أو لها من شاء .

المفرد



الموازنة

بين الألوية الالهية ورسالة الغفران

— او —

بين ابي الملاء المعري ودائتي شاعر الطالبان

« ٣ »

« جنة الغفاريت »

ثم يطوف ابن القارح في جنة الغفاريت او يطوف به عليها ابو العلاء ونسمع ما يقول : فيركب بعض دراب الجنة ويسير فاذا هو بمدائن ليست كمدائن الجنة ولا عليها النور الشعشعاني وهي ذات ادخال^(١) وغماليل^(٢) . . . فيقول ما اسمك أيها الشيخ فيقول انا الخيتعور احديني الشيصبان ، ولست من ولد ابليس ولكننا من الجن الذين يسكنون الارض قبل ولد آدم (صلعم) فيقول اخبرني عن أشعار الجن فقد جمع منها المعروف بالمرزباني قطعة صالحة ، فيقول ذلك الشيخ انما ذلك هذيان لا معتمد عليه وهل يعرف البشر من التنظيم الا كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة الارض . . . وان لنا لآلاف اوزان ما سمع به الانس . . .

فيجب لازال في الغبطة والسرور لما سمعه من ذلك الجنى . . فاذا هو بأسد يفترس من صيران الجنة وحسيلها^(٣) فلا تكفيه هنيئة ولا هند^(٤) فيقول في نفسه لقد كانت الأسد يفترس الشاة العجفاء^(٥) فيقيم عليها الايام لا يطعم سواها شيئاً ، فيلهم الله الأسد ان يتكلم وقد عرف ما في نفسه فيقول يا عبدالله أليس احدكم في الجنة تقدم له الصحفة وفيها بهيط والطريم مع النهيدة^(٦) فيأكل منها مثل عمر السموات والارض يلتذ بما أصاب فلا هو مكتفٍ ولا هي الفانية ، وكذلك انا افترس

(١) حفرة غامضة ضيقة الاعلى واسعة الأسفل شديدة الغم . (٢) جمع غملول الوادي الضيق الكثير الثبت الملتف . (٣) السمكات المملوحة وأولاد البقر . (٤) مائة ولا مائتان . (٥) الهزيلة . (٦) الأرز باللبن والسمن والطريم العسل والنهيدة الزبدة .

ما شاء الله فلا تأذي الفريسة بظفر ولا ناب ولكن تجد من اللذة كما أجد بلطف
رهبها العزيز ، أتدري من أنا ايها البزيع ، أنا اسد القاصرة ٠٠٠ وأدخلت الجنة
بما فعلت ٠

ومن بديع ما يرويه عن الجني الخبيث فيقول له ما كنتك لأكرمك بالكنية
فيقول ابو هذرش ولقد لقيت من بني آدم شراً راقوا مني كذلك ٠٠ فيقول
يا ابا هذرش اخبرني وانت الخبير هل كانت رجم النجوم في الجاهلية فان بعض
الناس يقول انه حدث في الاسلام ، فيقول هييات ولكن الرجم زاد في اوان المبعث
وان الغرض لكثير في الانس والجن ، وان الصديق لمعوز قليل وهنيئاً في العاقبة
للصادقين ٠ وفي قصة الرجم أقول :

(مكة اقوت من بني الدرديس فما الجني بها من حبيب)

(وكم عروس بات حراسها بكبرهم في عزها او جديس)
(غرت عليها فتخرجت بها بواشك الصرعة قبل المسيس)
(لا انتهي عن غرضي بالرقي اذا انتهي الضيغ دون الفريس)
(وأدلى الظلماء في فتية ملجن فوق الماحل العربيس)

(تحمأنا في الجنج خيل لها اجنحة ليست كخيل الانيس)

(لا نسك في ايماننا عندنا بل نسكس الدين فما ان تكيس)
(فالاحد الاعظم والسبت كالا اثنين والجمعة مثل الخميس)
(لا مجس ضن ولا هود ولا نصارى يتغنون الكنيس)

يزيد ان ليس جن في اعنقاد اهل هذه المذاهب ٠

(نمتق التوراة من هونها ونحطم الصلبان حطم البيس)
(نحارب الله جنوداً لا يرب - ليس اخي الراعي الغبين النجيس)
(ونخدع القسيس في فصح من بعدما ملأ بالانقليس)

(ثُمَّ تَآمَنَتْ وَمِنْ يُرْزَقِ الْإِيمَانُ يَظْفَرُ بِالْخَطِيرِ النَّفِيسِ)

والقصيدة كلها على هذا النسق الانيق .

ثم يقول : فيجب لا زال في الغبطة والسرور لما سمعه من ذلك الجني ويكره الإطالة عنده فيودعه ويذهب في كل سبيل .

« أقصى الجنة »

— وكأنه المطهر عند النصارى —

.. فإذا هو ببیت في أقصى الجنة كأنه حفش^(١) أمة راعية ، وفيه رجل ليس عليه نور سكان الجنة ، وعنده شجرة قمیئة^(٢) ثمرها ليس بذاك فيقول يا عبد الله لقد رضيت بحقير شقرن فيقول والله ما وصلت اليه الا بعد هياط ومياط^(٣) وعرق من شقاء وشفاعة من قریش وددت انها لم تكن ، فيقول من انت فيقول انا الخطيئة العبسي فيقول بما وصلت الى الشفاعة فيقول بالصدق فيقول في اي شيء فيقول في قولي :

(ابت شفتاي اليوم الا تكأماً بهجر فلا ادري لمن انا قائله)

(ارى لي وجهاً شوّه الله خلقه فقبح من وجهه وقبح حامله)

ومضي (ابن القارح) فإذا هو بامرأة في أقصى الجنة قريبة من الميطمّع الى النار فيقول من انت فتقول انا الخنساء السليمة احببت ان انظر الى صخر فاطلمت فرأيت كالجبل الشامخ والنار تضطرم في رأسه فقال لي لقد صح مزعمك في يعني قولي :
(وان صخرأ لتأتم الهداة به كانه عالم في رأسه نار)

« طوافه حول جهنم »

فيطلع فيرى ابليس لعنه الله وهو بضطرب في الأغلال والسلاسل ومقامع الحديد تأخذه من ايدي الزبانية^(٤) ، فيقول الحمد لله الذي امكن منك يا عدو الله وعدو اوليائه لقد اهلكك من بني آدم طوائف لا يعلم عددها الا الله ، فيقول من الرجل ، فيقول

(١) البيت الصغير الحميم . (٢) ذليلة صغيرة . (٣) محي وذهاب واضطراب

شديد . (٤) الموكول اليهم تعذيب المحكومين .

انا فلان من اهل حلب ٠٠٠ فيقول ابليس اسألك عن شيء تخبرني به ، ان الخمر حُرِّمت عليكم في الدنيا وأُحِلَّتْ لكم في الآخرة ، فهل يفعل اهل الجنة ٠٠٠ ويقول ابليس ابضاً ، ان في الجنة لأشربة كثيرة غير الخمر ، فما فعل بشار بن برد ، فان له عندي بدأ ليست لغيره من ولد آدم كان يفضلني دون الشعراء وهو القائل :

(ابليس افضل من ابيكم آدم ففتبينوا يا معشر الأشرار)
(البارُ عنصره وآدم طينة والطين لا يسمو سمو النار)

لقد قال الحق ولم يزل قائله من المقيونين ، فلا يسكت من كلامه الا ورجل في اصناف العذاب يغمض عينيه حتى لا يرى الى ما نزل به من النقم فيفتقهما الزبانية بكلايب من نار واذا هو بشار بن برد قد أُعطي عينين بعد الكفا لينظر الى ما نزل به من النكال ٠٠٠

و يسأل عن امرئ القيس بن حجر فيقال ها هو ذا بحيث يستعك فيقول يا باهاند انت رُواة البغداديين ينشدون قفا نيك ٠٠٠ وينظر فاذا عترة العباسي متلدد في السعير ٠٠٠ فليت شعري ما فعل عمرو بن كثوم فيقال ها هو ذا من تحتك ان شئت ان تجاوره فخاره ٠٠٠ ويرى رجلاً في النار لا يميزه من غيره فيقول من انت ايها الشقي فيقول انا ابو كبير الهزلي ٠٠٠ واذا هو برجل يتضور فيقول من هذا فيقال الاُخطل النعلبي فيقول له ما زالت صفتك للخمر ، حتى غادرتك أكلا للجمر ، فيزفر الاُخطل زفرة تعجب لها الزبانية فيقول آه على ايام يزيد اسوف عنده عنبرا ، ولا اعلم لديه سينسبرا ، وامرح معه مزح خليل ، فيحنلني احتمال جليل ٠٠٠ فيقول جعل الله اوقاته كلها سعيدة عليك الهملة قد ذهبت الشعراء من اهل الجنة والنار عن المدح والنسيب وما شذمت عن كفرك ولا اسألك وابليس يسمع ذلك الخطاب كله .

« تلاعن ابليس وابن الفارح »

فيقول ابليس للزبانية ما رأيت اعجز منكم اخوان مالك ، الا تسمعون هذا المتكلم بما لا يعنيه ، قد شغلكم وشغل غيركم عما هو فيه ، فلوات فيكم صاحب

نخيزة^(١) قوية لو ثب وثبة حتى يلحق به فيجذبه الى سقر ، فيقولون لم تصنع شيئاً يا ابا زوبعة ليس لنا على اهل الجنة سبيل ، فاذا سمع اسمه الله محابه ما يقول ابليس اخذ في شتمه ولعنه و اظهار الشماتة به ، فيقول عليه اللعنة ألم أنموا عن السمات يا بني آدم ولكنكم بحمد الله ما زجرتم عن شيء الا وركبتموه ، فيقول واصل الله الاحسان اليه ، انت بدأت آدم بالشماتة والبادي اظلم .

« العودة الى الجنة »

ويمل من خطاب اهل النار فينصرف الى قصره المشيد و يلقى آدم عليه السلام في الطريق فيقول يا ابا ناصي الله عليك قد روي لنا عنك شعر فيقول ولكنني لم اسمع به حتى الساعة فيقول لعلك يا ابا ناصي ثم نسيت فقد علمت ان النسيان متسرع اليك وحسبك شهيداً الآية المتلوة في قرآن محمد (صلعم) فيقول آدم (صلعم) أيتهم الا عقوقاً وأذية ، انما كنت أنكمم بالعربية وانا في الجنة ، فلما هبطت الى الأرض نقل لساني الى السريانية فم أنطق بغيرها الى ان هلكت ، فلما ردتني الله الى الجنة عادت علي العربية فأني حين نظمت هذا الشعر . . . ثم يضرب سائراً في الفردوس

« سروره بمجزة الرجز »

ويمر بابيات ليس لها سوق أبيات الجنة فيسأل عنها فيقال هذه جنة الرجز يكون فيها أغلب بني عجل والعجاج ورؤبة وابوالنجم وكل من غفر له من الرجز فيقول صدق الحديث ان الله يحب معالي الامور ويكره سفاسفها وان الرجز لمن سئس القريض ، قصرتم ايها النفر فقصركم ويتكى على مفروش من السندس و أمر الحور العين ان يحملن ذلك المفروش فيضعنه على سرير من سرر الجنة وانما هو زبرجد او عسجد ، فيكون البساري فيه حلقاً من الذهب تطيف به من كل جوانبه حتى يأخذ كل واحد من الغلمان ، وكل واحدة من تلك الجواني المشبهة بالجمان ، واحدة من تلك الحلق فيحمل (الشيخ

علي بن القارح) على تلك الحال الى محله المشيد بدار الخلود ، فكما مر بشجرة نصخته أغصانها بماء الورد قد خُطِ بِماء الكافور ، وبمسك ماجني من دماء الغور ، ونسأديه الثمرات من كل اوب وهو مستاقٍ على الظهر ، هل لك يا ابا الحسن هل لك ، فاذا أراد عنقوداً من العنب او غيره ، انقضب من الشجرة بمشبهة الله وحملته القدرة الى فيه ، واهل الجنة يلقونه باصناف التمية وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين .

ولما انتهى بابن القارح الى قصره في الفردوس ، وانكأه على مفروش من رائع الديباج الاسني ، فوق سرير من من الذهب او الزبرجد بين الحور والغلمان ، على ما أتى من ذلك الوصف البديع ، حتى تركه يمتنى ان يُقْبَضَ لساعته ، على شرط ان يضمن له ضامنٌ تحقيق تلك الرواية بل خيال خيالها ، عاد الى الجواب عن الرسالة فقال :

ونعود الآن الى الإجابة عن الرسالة . . . وهنا طفق يعدد له جماعة من المتألمين^(١) والزنادقة والمحدثين ، وأصحاب البدع من المتقدمين والمتأخرين ، ويذكر طائفة من أشعارهم وأقوالهم ونحلمهم وأهوائهم ، ينقدها انتقاد الصيرفي الدينار ، ويمحصها محص الصائغ الفضة في النار ، وبين ذلك يقول : وقد تجدد الرجل حاذقاً في الصناعة بليغاً في النظر والحجة ، فاذا رجع الى الديانة أُلْفِي كأنه غير^(٢) مقتاد ، وإنما يتبع ما اعتاد ، والتأله موجود في الغرائز ، يُجَسَّب من الاجزاء الحرائز^(٣) ، ويلقن الطفل الناشئ ماسمعه من الاكابر ، فيلبث معه في الدهر الغابر^(٤) ، . . . واذا المجتهد نكَّب عن التقليد ، فما ينطق بغير التبليد^(٥) ، واذا المعقول جعل هادياً ، نفع^(٦) برته صادياً ، ولكن ابن من يصير على احكام العقل ، ويصقل فهمه ابلغ صقل . . . ورُبَّ زارٍ بالجهالة على اهل مله ، وعلته ادهى علة :

ثم عاد الى مازحته فقال : وقد تحدث بعض طُلَّاب الادب ادام الله تزيين المحافل بحضوره ، ذكر التزويج يريد الخدمة ، فسرني ذلك لانه دل على اقامة في

(١) المتخبرين (٢) حمار (٣) الحصون (٤) الغابر من الاضداد يعني الماضي و يعني الحاضر . (٥) التخيّر (٦) روى الظهّان .

الوطن ، وفي قر به الفرحة لاهل الفطن ٠٠٠ وهو يعرف حكاية الخليل عن العرب ، اذا بلغ الرجل الستين فاباه والشواب^(١) ، ولاخير عند التواب^(٢) ، ولكن النصف ، ممن يوصف ٠٠ الى ان يقول له ولو نشط لهذه المأربة لنافست فيه العجوز^(٣) والمكتهلات ، وعلت خطبه المتهلات^(٤) :

فانظر ما أضحك هذا الوصف وما ألطف هذه المازحة ، لانه كما علمت يخاطب شيخاً جاوز الستين .

ثم يزيد فيقول له : فليس باول من طلب فجوزا^(٥) ، فتزوج على السن عجوزا ، وما زالت العرب تحمد الحيزبون^(٦) والشيلة^(٧) ، ولا نكره مع الشرخ الكهلة ٠٠ الى ان يقول : واما حجبهم الخس فهو ان شاء الله يستغني في المحشر بالاولى منهم ، وينظر في المتأخرين من اهل العلم فلا ريب انه يجد فيهم من لم يحجج فيصدق عليهم بالاربع . وكأني به وعمام الحجيح ، يرفعون التلمبة بالعجيح ، وهو يفكر بتلبيات العرب ٠٠٠ وفيما أتيت من كلامه شاعداً مقنع على ما صدرت به هذا النقد من الكلام عن مذهبه .

القاهرة : فطاطكي المصهي



(١) الشابات (٢) العجائز (٣) جمع عجوز . (٤) اللواتي فقدن حبيبتن او أعز أولادهن . (٥) حاضراً مبهتاً . (٦) العجوز (السينة الخلق) . (٧) اي التي سيفي سواد عينيها زرقة .

الفاظ عربية لمعان زراعية

- ٣ -

شاع في مصر والشام استعمال كلمة « مشتلة ودندانة » للارض التي تربي فيها
صغار الشجر ريثما تنقل الى مسنقها وهي بالفرنسية (Pépinière) وفي العربية لفظة
فصيحة جميلة نفيد هذا المعنى وهي المنبت بكسر الباء على غير القياس ج منابت .
ويطلقون اسم « ترقيدة وتدربكة وتدرجحة » على الغصن الذي يجمع التراب
حول جزء منه او يحني فيه هذا الجزء و يدفن في التراب حتى اذا برزت له اصول
يفصل الغصن عن امه فيكون نباتاً مستقلاً . ويسمي الفرنسيون الغصن الذي يعالج
على هذا الشكل (Marcotte) وهو بالعربية العكيس ج عكس من عكس الغصن
اي جذبه الى الارض .

ويغلطون فيقولون ببقية وقرنيط و نعنع و هليون و حور و سبانخ و فسوف
والصحيح بقة وقرنيط و هليون و نعنع او نعنع و حور و إسبانخ و انيسوف .
ويقولون بقدونس بالباء والأرجح مقدونس بالميم . قال ابن البيطار هو الكرفس
المافدوني وهو منسوب الى مافدونيا بالروم وهو البطراساليون (يسمى باللاتينية
Petroselinum sativum) .

وسنبول الذرة بالعامة عرنوس وفصيحه المَطْر .

ويطلق الفرنسيون لفظة (Sol) على الطبقة الزراعية العليا من التراب و يليها
ال (Sous - sol) فلعل لفظتي مشرة الارض وتحت المشرة تصلحان لهذا الغرض .
ويسمون كل بئر من آبار القني « نجماً » والفصحى كظيمة وكظامه .
ويسمون بيت الدجاج القن وبيت الحمام الخص وفصيها الخُم ج خممة للدجاج
والتراد ج تاريد للحمام وهما بالفرنسية Poulailier او (Cage à poules)
و Pigeonnier .

وفي غرس الشجر طر بقة مثلى وهي ان تكون الاشجار على سطور متوازية ويسمى
الغرس على هذا الشكل بالفرنسية (Plantation en lignes) يقابلها بالعربية

« الغرس نَسَقًا » يقال غرست النخل نسقًا اذا جعلته على طريقة نظام واحد اي على خطوط متوازية وأبعاد متساوية . والمسافة بين كل سطرين هو الغرار والقدرة . وكل سطر من الشجر هو السريف والزردق والسيكة . وقسط الغراس الاغراس بمعنى غرسها نسقًا . وكذا نَبَقَها .

والخيل على ثلاثة أشكال فنيًا قصار وطوال ومتوسطة وتسمى بالفرنسية (Brévilignes) و (Longilignes) و (Médiolignes) فالاولى أقزام الخيل اما الثانية فتسمى المُنطُط والسلاج فقد ورد في كتب اللغة انها الطوال من الحيوان . وعلق الدابة الذي يكفيها يومها وليلتها هو الشحنة وبالفرنسية (Ration journalière) .

واسنبحى الشجرة قطعها من اصولها وبالفرنسية (Déraciner) اما اذا قطعها على مقربة من سطح الارض فقد أجمَّها إجمامًا وبالفرنسية (Receper) . و يطلق كل الفلاحين في الشام لفظة قطاني على الجلباب والبقعة والكرسنة وأمثالها . ونذر من يعرف منهم اشتقاق هذه اللفظة . فهي بقاء مشددة جمع قُطْنِيَّة وهذه لها معاني كثيرة .

واذا غرس الشجارون الغراس اي صغار الشجر في الشتاء فهم يأمون ان ترسخ اي ان تبرز لها اصول جديدة ونضرب في التراب وعندئذ يقولون ان الزرسة قد « علقَت » . فالغراس التي تستأصل او تُعَرِّق او تستعرق او تعترق هي التي لنبت اصولها وتمتد عروقها في التراب وترسخ وهذا بالفرنسية (Senraciner) .

واذا سُنِد الكرم ودعم فهو مُنْفَرَدَس ومُعرُوش ومُعرَّش ومُعرَّج وبالفرنسية (Treille) . والدعائم والدرجران (واحدهما دِعامة ودِجرانة) هي الخشب او الحصر او الاسلاك التي يعرش الكرم عليها وهي بالفرنسية (Treillage) .

ويستعمل فلاحة بلادنا لفظ « ارض طيبة » للارض الجيدة الانبات وهي بالفرنسية (Terre fertile) او (T. productive) وبالفصحى الناطق كثيرة نفيد هذا المعنى مع شيء من التفاوت منها الارض الطيبة والعليكة والحرة والسمنية والدميشة والمنبات .

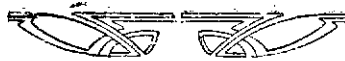
ويسمون العنقود بعد ان يؤكل حبه او بعضه « العرموش » وفصيحه عُمَشوش
ج عماشيش .

وكثيراً ما يحتاج الشجر الى ما يقيه من عيث الماشية . فوضع شوك او واقٍ من
خشب حول الشجرة إما لهذه الغاية او لكي تعتمد عليه اذا كانت صغيرة هو التبرجيب .
والأداة التي تستعمل في هذا الغرض هي الرُجْبة .

والنخل على ثلاثة أصراب الملكات والعاملات والذكور ولكل منها عمل . فالملكات
هي اليعاسيب مفردا يعسوب وبالفرنسية (Reine) وكان ارسطوطاليس يظنها
ذكوراً . وشك فيها العرب فذكر ابن سيده « قيل هي مذكر وقيل مؤنث . . . »
ولهذا أطلقوا عليها اسماً مذكراً فقالوا يعسوب النخل واميرها وفلها مع انها في الحقيقة
أنثى . والعاملات هي النحال التي تجرس وأمسَل وتسمى بالفرنسية (Ouvrières)
ولم اجد لها اسماً قديماً ولا ارى بأساً من تسميتها عاملات وهي ترجمة اللفظة الفرنسية .
ولعل لفظة النحال اوفق فقد ذكر ابن سيده عن اليعاسيب « . . . وقيل هي التي
تبعض النحال . . . » اما الذكور فهي الباخيرو بالفرنسية (Les males) قال
ابن سيده « . . . وهي ثقَلْ لانها تأكل العسل ولا تعسل . . . » وهذه صفات
الذكور .

عضو المجمع العلمي العربي

مصطفى الشرايبي



كتابات تدمرية وتفسيرها

- ٢ -

« الكتابة الخامسة »

تمثال نصفي لامرأة تدمرية (شكل ٥) مزينة بالحلي الفاخرة والثياب المزركشة وقد نحت من حجر التمثال في الجهة اليمنى تمثال طفل أمسك بيده اليمنى حمامة وبيده اليسرى عنقود عنب . وقد كتبت في الجهة اليسرى من التمثال المرأة العبارة الآتية :

- ١ צלמנת - صورة
- ٢ חלפון - خلفوا
- ٣ ברת - بنت
- ٤ ١٠٠٠٠ (?)
- ٥ צתיכא (بن) عتيكا
- ٦ חבל - وآ أسفاه

وهذه الكتابة قد شوهت بكسر أتلّف قسماً من السطر الثالث وجميع السطر الرابع وتختلف هذه الكتابة عما سبق بما افترحت به .

س ١ - فكلمة السطر الاول צלמנת (صلّمة) تفيد معنى الصورة او التمثال اي (هذه صورة فلان بن فلان) وهذا شائع الاستعمال في مثل هذه الرق .

س ٢ - חלפון (خلفوا) عالم مؤنث شائع بين الأعلام التدمرية والنبطية .

س ٣ - نرى الكسر قد شوه قسماً من هذه اللفظة ولكن يسهل علينا قراءتها من بقية الأحرف فهي كلمة (ברת) اي بنت .

س ٤ - أتلّف جميع هذا السطر ولم يبق سوى الحرف (כ) الألف الأخير .

س ٥ - צתיכא (عتيكا) يعسر علينا معرفة اشتقاق هذا العالم المذكور ولكننا نعرف علماء يقسّمونه لفظاً وهو צתיכא (عتيقا) الذي ورد في كتاب (de Vogüé - Syrie Centrale) وقد كتب هنا يحرف (כ) (ق) عوضاً عن

(د) (ك) : وربما كان العلم الأول محرفاً عن العلم الثاني . ويجوز ان تقارب بين
 לאחיד (عنيك) و לאחיד (عتيق) لان كثيراً ما انقلب القاف كافاً متى جاءت بين احد
 الاحرف الحلقية . وذلك بحكم سنة ضبط الكتابة وتهذيب السمكات الثقيلة الواقع على السمع .
 واذا تعمقنا في بحث اشتقاق بعض الاعلام العربية نجد كثيراً منها خاضعاً لهذه السنة
 مثل : عاتكة وعتيق وعنيك .

« الكتابة السادسة »

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ٦) وعلى يمينه تمثال امرأة ذات جناحين
 غريبين في شكلها ونحمتها غير مثقن وقد صبغ شعر رأسيهما وحواجبهما باللون
 الاسود وزُبرت على جهة التمثال اليمنى العبارة الآتية :

١ צלכ חגרבב : صورة هجر بن

٢ צבדא בר : زهدا بن

٣ צדיבא חבל : عديبا وآسفاه

نشرت هذه الكتابة سيفي مجموعة الكتابات السامية (Repertoire
 d'épigraphie Sémitique. T II N° 1083) وكذلك نشرها الاساتذة :
 مولر (Muller) وشابو (Chabot) وليسدزبارسكي (M.Lidzbarski)
 ونوري (C. Torrey) وجميعهم اخطأوا قراءة السطر الثاني فقرأوا צבדא (بهذا)
 عوضاً عن צבדא (زهدا) مع ان حرف (ב) (ز) واضح للنظر .

واما اسم العلم المرقوم في السطر الثالث فقد قرأه الاساتذة المشار اليهم قراءة
 أخرى فالاستاذ شابو قرأه : צבדא (عديبا) والاستاذ ليدزبارسكي : צבדא
 (عربكا) والاستاذ توري : צבדא (عربيا) والاستاذ مولر قرأه : צבדא
 (عديلا) . ان هذا التباين سيفي قراءة اسم العلم المذكور ناشئ عن الحرفين الثاني
 والرابع ، ولا أشك بان الحرف الثاني هو (ב) (د) لان (ר) في هذه الكتابة ذات
 نقطة تميزها عن الدال ، واما الحرف الرابع فلا أجزم بصحة قراءته ولكنه لا يمكن ان
 يكون (כ) : (ل) ولا (ב) : (ك) فهو أقرب الى (ב) : (ب) و (ב) :
 (ن) من اي حرف آخر ، وبمقابلته بحرف الباء في חבב و בר من الكتابة نفسها

يظهر التشابه بينها ولذلك ارى ان قراءة בְּחִיבִי (عدينا) هي الصواب وان غاب عنا اشتقاق هذا العلم .

« الكتابة السابعة »

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ٧) وقد كتب على الجهة اليسرى منه العبارة الآتية :

- ١ בני בר : بُني بن
٢ תומי חבל : تيمى وآسفا

« الكتابة الثامنة »

تمثال نصفي لامرأة تدمرية (شكل ٨) كتب على الجهتين فعلى الجهة اليمنى ما يأتي :

- ١ צלמת בת : صورة بت (+)
٢ חבי ברת : حَبِي بِلَت
٣ צבדא : زَبِدا
٤ חבא : وآسفا

س ١-٢ בתחבי (بَحْيِي) علم مؤنث وهذه هي المرة الاولى التي صادفنا فيها هذا العلم المركب من هاتين الكلمتين בת (بت) וחבי (حَبِي) ونعرف كثيراً من الاعلام المركبة من القسم الاول من هذا العلم وغيرها مثل : בתחבי (بَحْيِي) ובתעדן (بَعْدَن) ובתלחי (بَعْلِي) .

س ٣ - ورد ذكره في الكتابة السادسة من هذا المقال (س : ٢) وقد كتب على الجهة اليمنى ما يأتي :

- ٥ שנת : سنة
 $\left. \begin{matrix} 7 \\ 538 : 538 \\ 7 \end{matrix} \right\}$

وهذه السنة من التاريخ السلوقي يوافق سنة ٢٢٦ - ٢٢٧ ميلادية .

« الكتابة التاسعة »

تمثال نصفي لامرأة تدمرية (شكل ٩) وقد كتب على جهته اليمنى العبارة الآتية :

١. **חבר** : وآسفاه
 ٢. **חַסְדָּת** : ائت
 ٣. **ברת ברחזי** : بنت بلحزي
 ٤. **בר** : نوري
 س ٢ - **חַסְדָּת** (ائت) علم مذكر ورد كثيراً بين الاعلام التدمرية واشتقاقه مجهول .

س ٢ - **ברחזי** (بلحزي) علم مذكر جعله الاستاذ جوسن قريباً من العلم **חזיאל** (حزيال) الذي ورد ذكره في الكتاب المقدس .
 س ٣ - **בר** (نوري) هذه اللفظة يجوز ان تكون علماً ثانياً اولقياً للعلم الذي قبله .
 «الكتابة العاشرة»

تمثال طفلة تدمرية (شكل ١٠) تمسك بيمينها عنقوداً من العنب وسيف يسارها حامة وقد كتب في جانبها ما يأتي :

١. **חבר** **חַסְدָּ** : وآسفاه **חַجְبָ**
 ٢. **ברת תימי** : بنت تيمي
 ٣. **בר בני** : بن بُني
 س ١ - **חַסְدָּ** (**חַجְبָ**) علم مؤنث ورد للمرة الاولى بين الاعلام التدمرية .
 س ١-٢ **תימי** (**تيمي**) و**בר** (**بُني**) ورد ذكرهما في الكتابة السابعة من مقالنا هذا .

«الكتابة الحادية عشرة»

تمثال نصفي لامرأة تدمرية (شكل ١١) زُيرت الى جانبها العبارة الآتية :

١. **חסד ברת** : **خَسَد** بنت
 ٢. **ברעתח** : **برعته**
 ٣. **חגجو** : **خَجْجُو**
 ٤. **חבר** : وآسفاه
 س ١ - **חסد** (**خَسَد**) علم مؤنث وقد ورد للمرة الاولى بين الاعلام التدمرية

المعروفة ولكن ورد ذكره في الكتاب المقدس (امل ٤ : ١٠) وكذلك ورد فيه
 ابضاً علم موكب وهو חסדיח (חסديا) (١ اي ٣ : ٢٠) .
 س ٢ - ٣ هما علمان شاع استعمالهما في تلك العصور .
 « الكتابة الثانية عشرة »

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ١٢) والكتابة واقعة على اليسار وهي :

١ חבד : وآسفاه

٢ כחיל : كحيلو

٣ בר : بن

٤ משוב : مشكو

٥ ברומו : بن يملكو

٦ חבד : وآسفاه

سجلت هذه الكتابة في مجموعة الكتابات السامية (Repertoire d'Epig -
 151 N° 1 raphie Sémitique T.1 N° 151) اعتماداً على قراءة الاستاذ مولر ولا جدال
 في صحة قراءة علي السطرين الثاني والرابع ولكن الاستاذ اخطأ في قراءة السطر
 الخامس חבד (يملا) مضاف اليه (٤) = (١) الأخيرة استناداً على امثاله
 التي جاءت في كثير من الرقم التدمرية وليس الامر كذلك في كتابتنا هذه فان من
 يمدق النظر لا يجد اثرأ للألف (٤) بل يرى حرفي (٥ و ٦) = (ك و و) كتباً
 بنقش خفيف فيصبح هذا العلم مقروءاً هكذا חבד (يملكو) وهذا العلم معروف
 وقد ورد ذكره في احدى الرقم التدمرية

(Mélange de la Fac. Orient. IV p. 148)

« للبحث صلة » مدير دار الآثار العربية

جعفر الحسيني



آراء وافكار

زيارة مخطوط قديم

« ما هو المخطوط ؟ — هو التصريف للزهراوي الاندلسي »

تمهيد : — وقع نظري على مقالة الرصيف العلامة الاستاذ المغربي بعنوان : (زيارة مخطوط قديم) ولما كان قد كتب هذه اللفظة وألقاها محاضرة منذ نحو ثلاث سنوات اردت ان اقص على القراء خبر هذا المخطوط واكتشاف مؤلفه وما عرف عنه فأقول : شوقني مقال الرصيف يوم تلاه في ردهة المجمع الكبرى علينا اثر محاضرة ألقى فانتهزت الفرصة لزيارة السيد خورشيد افندي الشركسي ومشاهدة هذا المخطوط الطبي المصور حين كنت في دمشق . فذهبت عصر احد الايام انا والاستاذان السيد المغربي والسيد حسني الكسم فيم دار الكتب العامة ، فوزنا السيد المذكور في بيته بمجلة الدرويشية وما وقعت عيني على الكتاب لما استأذنته لرؤيته واحضره بين يدي الا وحر كني حب الاستقراء ان أقاب ورقاته ورقة ورقة وأقف على رسومه ومباحثه ولكن بمجلة لضيق الوقت . ثم حاولت نقل بعض رسومه لأطبعها في محاضرتي (تاريخ الطب عند العرب) التي كنت انشرها في مجلة المعهد الطبي الدمشقي ثم اطبعها على حدة . فوَقعت بين عاملين احدهما ان الرسوم كانت معوجة غير مثقنة فلا استطيع اخذها كما هي . والثاني اني احببت تقويم معوجها الذي لاحاجة الى عطفه ليظهر الرسم واضحا ممثلاً الآلات . فرسمت بعضها ثم اضطربت بالرسم لانني لست رساما ولكن لي الملم قليل بالنقل والتمثل . فرأى السيد خورشيد اضطرابي وقصر الوقت وحيي الشدبد لنقل امثلة كثيرة من الرسوم فسألني عن سبب انهماكي فأجبت انه اني مضطر الى نقل امثلة كافية من الكتاب لنشرها في محاضرة لي عن الطب العربي اطبعها على حدة ، فرأيت منه اريحية وطنية حملته على القول : انني أقدم هذا الكتاب للمجمع العلمي . فما كنا نصدق حتى سلطنا الكتاب فحملناه كأنه وسام الظفر في موقعة كبيرة . وعدنا الى المجمع وصار الكتاب - في حوزته اذ وضع في دار التحف لنفاسته . ولقد اشرفت الى ذلك في محاضرتي المذكورة المطبوعة سنة ١٩٢٥ في الصفحة الـ ٢٦

الى ال ٣٢ واصفاً الكتاب باختصار وناقلاً عنه بعض عمليات جراحية ورسومها مع آلات تمثل معرفة العرب لأدوات الجراحة وفنها المفيد . وصرحت ان الكتاب هو (التصريف لمن عجز عن التأليف) لابي القاسم الزهراوي الاندلسي .

ثم لما الى الرصيف الطبيب اسعد بك الحكيم محاضراته في الطب العربي في المجمع اشار الى الكتاب وطبعت محاضراته في مجلة العرفان في صيدا ثم في مجلة المجمع هذه في مجلد السنة الخامسة الصفحة (٤٤٥) و ٥٠١ فذكر كتاب التصريف في الصفحة ٥٠١ باختصار وبعث بعد ذلك الرصيف الدكتور احمد عيسى بك المصري أطروحة الى المجمع على اثر انتخابه عضواً مراسلاً فيه بعنوان : (آلات الطب والجراحة والكحالة عند العرب) مطبوعة بكراس فيه صور الآلات ومعظمها من كتاب الزهراوي هذا ثم نشرتها مجلة المجمع ايضاً في المجلد الخامس والصفحة ال ٢٥٣ بصورها وفيها كلام مفيد عن كتاب التصريف هذا وصوره .

وذكره كثير من الذين كتبوا عن الطب العربي من وطنيين ومستشرقين ولكن كل كلامهم لم يخرج عن كونه اخذ من كتب مترجمة باللغات الاوربية حتى انه لم يذكر احد منهم انه شاهد نسخة عربية مصورة للكتاب ولا طبعت نسخة العربية في ما نعلم . التصريف للزهراوي في الجراحة ومؤلفه : — ثبت لنا مما مر ان المخطوط الذي وصفه الاستاذ المغربي هو كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) لابي القاسم خلف ابن عباس الزهراوي المنسوب الى مدينة الزهراء الاندلسية المتوفى سنة ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) وهو قسماً واحداً نظري والآخر عملي ترجم بعد ظهوره بقليل باللغة العبرانية وبلغه اهل كاتالونيا وهي المقاطعة الشمالية الشرقية من مقاطعات اسبانية (الاندلس) وطبعت ترجمته الكاملة باللاتينية في اوغسبورغ سنة ١٥١٩ . وطبع القسم الجراحي منه بالعبرانية مع ترجمة لاتينية في جزئين باكسفورد سنة ١٧٧٨ م باعثناء العلامة تشانغ وبقي نحو ستمائة سنة معتمد الجراحين في اوربة واسم مؤلفه عندهم (Albucasis) .

وقد كتب الرصيف العلامة الكبير احمد زكي باشا في جريدة الاهرام مقالة ممتعة في الزهراوي و كتابه الجراحي مناظراً فيها العلامة الدكتور غريفييني . وصورة

الزهرادي في كنيسة ميلانو الكبرى (الكاندرائية) في إيطاليا هو والرازي وابن سينا مرسومة على الزجاج القديم ونشرتها مجلة المشرق في السنة الرابعة والخامسة. ومن النسخ العربية المخطوطة في خزائن أوربة من هذا الكتاب نسخة برلين عدد (٦٢٥٤) (برنامجها ٥ : ٥١٠) وناسخها حميد بن رمضان سنة ٩٠٠ هـ (١٤٩٤ م) ولكن جعل وفاة المؤلف سنة ٤١٠ هـ وهو خطأ . ثم نسخة باريس عدد (٢٩٥٣) وقال انه توفي سنة ٥٠٠ هـ وهو الصواب . ونسخة فيينا عدد (٥٢٧-٥٢٥) .

اما نسختنا العربية فهي قديمة بخط أندلسي مصورة فيها الآلات وموصوفة العمليات الجراحية وبعد ان يذكر العملية مفصلاً وما يعرض فيها للجراحي ويذكر الرأي الذي اعتمد عليه فيها واسم الطبيب الاختصاصي بها يصور بعض العمليات والآلات ويبين ما تؤخذ منه الآلات كالمعدن او العظم ونحوهما وفيها ١٥١ رسماً للآلات عدداً العمليات . وما يستحسن ذكره عن هذا الكتاب انه كان في حوزة رجل طبيب اسمه الياس البيروني في بيت بربريش او بزيش (كذا) وله على حواشي الكتاب تعاليق تدل على انه عمل بعض العمليات الجراحية على طريقة المؤلف ونجحت اما خطه فسقيم وذلك سنة ٥٠٠ وسبعين وثمانمائة .

وهناك تعاليق آخر يذكر فيها (وفاة ميخائيل بن جرجس الطبيب) وهو على ما يظهر بيروني ايضاً والخط هنا جميل .

وقد كتب اسمه بهذه النسخة (الحاوي في الجراحة) وهو خطأ . وقطعه الربع وهو يقع في ٢٩٨ صفحة بخط أندلسي يختلف ببعض حروفه عن الخط الشرقي وكذلك في التنقيط . وفي آخره من صفحة ٢٩٢ الى ٢٩٨ اوراق بخط حديث تتضمن فوائد في طب العين وجراحاتها .

وكتب في الكتاب اسم السيد (عبد القادر عوده الطبيب بدمشق سنة ١٢٧٩) ومنه الى ولديه محمد و احمد عوده سنة ١٣٢٢^(١) مما يدل على انه كان في حوزتهم

(١) ان بني عوده من الاطباء الذين اشتهر بدمشق بعض افرادهم وآخر من عرفناه من أطبائهم المرحوم الدكتور حسين عوده وله بعض آثار طبية مطبوعة توفي في اول سني الحرب العامة في صيدا وهو من طلبة قصر العين بدمشق .

واتصل بالسيد خورشيد .

ابواب الكتاب ومواضيعه : — ان هذا الكتاب ثلاثة أبواب : (الباب الاول) في الكي بالنار والكي بالدواء الحادث وهو محبوب مرتب من . الفرق الى القدم وصور الآلات والمكوي وكل ما يحتاج اليه في العمل — وفي كيفية منافع الكي ومضاره وفي اي مزاج يستعمل في الزمان الذي يصلح فيه الكي . ومن مبادئه ان الكي بالذهب أفضل من الكي بالحديد . ثم فصل الامراض التي تكوي كالشقيقة ووجع الاذن والقوة والسكته والفالج والصرع واسترخاء جفن العين والاضراس والثلاث المسترخية والابط اذا انخلع رأس العضد والطحال والتآليل وتخلع الورك والفتوق والسرطانات والبثر الحادث في البدن والنزف الحادث عند قطع الشريان وهو في ٥٦ فصلاً .

و (الباب الثاني) في الشق والبط والفصد والجراحات في ١٧٧ فصلاً مثل علاج الشيرناق الذي يعرض في جفن العين الاعلى وقلع الاسنان ونحو ذلك .
و (الباب الثالث) في الجبر اي جبر الكسر والفك الحادثين في العظام . وفيه عجائب العلاج والجراحة ^(١) .

اما نسختنا ففيها خرم وهي تبثدي من الفصل او الفن الرابع عشر في كي وجع الاضراس المزودة واليك بعض ما جاء في عناوين فصوله :

- (الفن ١٥) من قول مسيح في كي الخنازير وصوره المكواة .
- (الفن ١٦) من قول بهنا الحبشي في كي بمحوة الصوت وصوره مكواته .
- (الفن ١٧) من قول اندراس في كي مرض الرئة والسعال .
- (الفن ١٨) من قول ذكيانوس في كي الابط المنخلع .
- (الفن ١٩) من قول لقمان في كي المعدة عن برد ورطوبات .
- (الفن ٢٠) من قول بياذق في كي انكبد البارزة .
- (الفن ٢١) من قول دادا في كي ورم انكبد بالنار .
- (الفن ٢٢) من قول أفلاطون في كي الشوصة بنار يعود الزراوند .

(١) هذا ملخص وصفه في برنامج خزانة برلين (٥ : ٥١٠) تحت عدد (٦٢٥٤) .

- (الفن ٢٣) من قول المكمل في كي الطحال بالنار .
- (الفن ٢٤) من قول الكاهن في كي الطحال بوجه غيره .
- (الفن ٢٥) من قول بولس في كي الاستسقا الزقي .
- (الفن ٢٦) من قول قزما في كي القدمين في حين استسقاء او ماء اصفر .
- (الفن ٢٧) من قول زميله في الاسهال .
- (الفن ٢٨) من قول ابن التليذ في كي بواسير المقعدة .
- (الفن ٢٩) من قول الحاروي في كي التآليل بعد قطعها .
- (الفن ٣٠) من قول ابن التليذ في كي الناصور الذي في المقعدة .

وهكذا عدد الاطباء الذي ائتمَّ بأرائهم والكتب التي نقل عنها مثل الحاريس والحاكم ونون ويوناس وحزقيال وسميوت ونورنس ودمنكو البندقي وبولو القبرصي وجرجيس وسلسان الرومي وملا فارس وابي قرة واليلغا وشمشون الجبار والعيس وماهر واقليمطس وبريز وميسافوس وازدشبير وجندبسا بور (ولعله يريد مستشفاها) واندروماخوس وفاغوس وانوشروان وذور بابوهر وفيثاغورس وابن القف وفيقرا وجبرائيل وامين الدولة هبة الله بن جاعل واليما وحر يز وصهه الهندي وروفس وذومقراطيس ومقيم وذمطربوس وابن ماسويه وباسا وهيون والتميمي والمسهودي وعبدالله بن صالح وسفيان الاندلسي والغافقي وحبيش وابي الحسن والبصري والطبري والقمرى والدمشقي ويهودا الهاترفي الاسرائيلي ويحيى بن زكري وسيف والكافي وعبد اللطيف وعلي بن عيسى الكحال والشريف والفارابي والكندي والمغني والزهرادي والمنصوري وجنيد والبرشندبي^(١) وابراهيم بن المدير واسحق بن عمران وابي الفرج وعبدالله الاندلسي وابي غانم الشيرازي والحجاج بن يوسف وملك النعمان (كذا) وابن بطلان وحر يز الهندي وملك قيصر (كذا) والكوفي وعلي بن سينا وابي حنيفة والفهلوي والحزير وابوب وعضد الدولة ومحمد الرازي وابن ماسويه وابن ياسر وبهرمان وابن بيان وابن منهالي العذلي وشرف الدين طبيب الملك المسعودي وسليم وسمون وابن حجل

(١) الكلمة مضطربة وقد شطبت وكتب محلها بخط حديث (الياس البيروني) .

واحمد المالقي العشّاب وابن البلقيني وابن صلاح في بعلمك وسلطان شاه وشيخ الهذيد
وابن هيثم وابي اسحق الاندلسي وابي سهل المسيحي صاحب كتاب المائة وابن رشد وابن
المدور وابن الدخوار وابن حرايقو وابن تمام وابن ترجمون بن المنذر وابن جزلة وابن
رضوان الحاكمي وابي العلا بن زهر الخ .

وهذه الاسماء تحتاج الى تخصيص اذ فيها تصحيف وتحريف لم نتمكن الآن من
مراجعتها وضبطها . فلعل احد أطبائنا يتولى ذلك .

وأخرفصوله (١٦٤) من قول ابي العلا بن زهر في كسر العظام اذا كانت مع جرح .
وصور جبار الفخذ وقال ان اسمها عتلة صغيرة وباليونانية (مرم) .

ومما يهّم من تضاعيف مباحثه انه في الفن (١٣٨) من قول بيان (او ابن بيان)
في الشق على المرض المعروف بالباقر وهو وجم يحدث في عضو ثم ينتقل الى آخر —
ذكر هنا المؤلف قصة امرأة في البادية دعي لعلاجها .

وفي الفن (١٣٩) = من قول ابن بيان في إخراج السهام التي تدخل في أعضاء
الجسم وفصل ذلك ، فصور الآلات التي تستخدم لذلك وقال : الكلايب التي تجذب
بها السهام تكون أطرافها تشبه منقار الطير قد صنعت كأنها المروء ونقش مثل المبرد
اذا قبضت على السهام او على شيء لم تتركه وقد يصنع منه أنواع كثيرة كبار وزغار
(وصغار) ومتوسطة كل ذلك على قدر صغر السهم وعظمه وسعة الجرح وضيقه .

وفي الفن (١٤١) = من قول شرف الدين طبيب الملك المسعودي في فصادة
العروق الباقية في الذراع خمسة عروق . . . — قال : واما العروق الثلاثة التي تفصد
في المرفق فهي التي جرت العادة بفصدها في الناس أجمع وفصدها يكون على وجهين
اما غرز بمضع ريجاني عربض او زيتوني الى الدقة . واما شق بمضع سكيكي وهو
النشل ثم صورها وذكر في عروق الفصد — الاكل والقيفال والباسليق والاسليم
والصافن والنسا .

والعمليات الجراحية ثلاثة أقسام : (اولها) الكي في كثير من الامراض وبعضها
يوصف له الكي في عهدنا و (الثاني) العمليات بالمبضع والمشاريط والمقاربط واشباهها
و (الثالث) عمليات تجبير العظام المكسورة والمخلوعة والموتوءة .

أما الآلات فمنها مباحض ومشاريط ومجس الجرح المعروف بالمسبار وزرافات
(محاقن) وفائظير للتبويل ومكايير عدسية ومسمارية ولكي ابتداء الحذبة وصنابير
لاستخراج الدوالي وما ينشأ عني الخلق ومثاقب لقحف الرأس وعتلة صغيرة لجبار
الفخذ وكلايب لاستخراج السهام ومدافع بلوالب وبلا لوالب لاستخراجها أيضاً ومنقب
لثقب العظم ومسعط لقطر الأدهان والأدوية في الأنف والآلات لقطع سبل العين
وآلات لجرد الأسنان أي لتنظيفها ومقص وآلات لنشر الأضراس الزائدة وليرد
الأضراس وآلات لقلم الأضراس ولاستئصال أروماها ولقطع اللوزتين واستخراج
الضنوع ولكبس اللسان إلى أسفل ونحو ذلك مثل منظار الأنف وغيره .

هذا ما أكن الآن ذكره عن هذا المخطوط النفيس الذي يجب نشره باللغة
العربية مصوراً حفظاً لأصله وتذكيراً لاسلافنا الذين اعنوا بأشياء كثيرة اعتمد
عليها الأفرنج ونقلوها عنهم وحسنوها فالفضل لهم للتقدمهم جزاهم الله خيراً عداد
حسنتهم .

زحلة : عيسى اسكندر الماردي

من أعضاء المجتمع العلمي

مطبوعات حديثة

الاخلاق والواجبات

فطن الاولون منا الى جلاله علم الاخلاق فوضعوا فيه تهذيبها كتباً حجة الا ان هؤلاء وان كان لهم فضل سبق وفضيلة التقدم لم يجعلوا كتبهم قريبة المأخذ سهلة التداول بحيث يتيسر لكل احد ان يرتشف من حياضها ، بل احتذى فريق منهم في كتبه او كتابه على مثال الفلاسفة والحكماء . ونسج الآخرون على منوال السادة الصوفية او الفقهاء او غيرهم فأصبحت كتبهم بسبب ذلك قليلة الفائدة بعيدة المنال الا على من ضرب بسهم وافر في تلك العلوم وألم بمصطلحات أهلها ومواضعاتهم .

فحال ذلك بين جمهور الأمة والانفصاع من كتب هؤلاء الأئمة . حيلولة الارض بين الشمس والقمر .

على ان تغير الزمان وتغير الهمم بقضيان بوضع كتب جديدة على نمط جديد تستهوي الافئدة الى الاطلاع على ما فيها من الذخائر والاعلاق وتكون رشيقة الأسلوب جليلة المعنى قريبة المأخذ متفاوتة الموضوعات ، ملائمة لمدارك الناس ورغائبهم ، ليتسأنى الوصول الى الغاية المقصودة منها . وقد رغب السيد ساطع الحصري وزير المعارف السابق في دولة سورية الى الاستاذ الفاضل الشيخ عبد القادر المغربي ان يضع كتاباً وافياً بالغرض . فوضع كتاباً مدرسياً سماه (الاخلاق والواجبات) وقد أودعه من المباحث الشريفة والمعاني الطريفة ما يجمع بين حاجة المعلم والمتعلم واقتصر فيه على اقتباس ما ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف الاما جاء عرضاً من أقوال الحكماء مما يلائم الآية والحديث . وافتتحه بمقدمة اتي فيها على مباحث من القرآن ذكر فيها كيفية ترتيب آياته وسوره . وحفظه وكتابه . وجمعه وتعليمه . وآياته المتعلقة بالاحكام . ثم استطراد الى ذكر إعجازهِ وبيان الحكم والمتشابه منه . وتفسيره وتأويله . والنسخ والمنسوخ فيه . وعلوم القرآن . وأحوال التفسير في القرون الاولى والمتوسطة والمتأخرة . وعقب ذلك بمباحث في الحديث . بين فيها علومه . وكتابه وتدوينه . ثم فني على آثارهما بذكر الأخلاق والواجبات . ثم بذكر الواجبات الشخصية . فالواجبات

العائلية (كذا) . فالواجبات الاجتماعية . فالواجبات الدينية . ثم أتمه بنقطة تشتمل على طائفة من الآيات والأحاديث . لنضمن ضرورياً مختلفة من الأخلاق والواجبات . وشرح من كثره ما يحتاج إليه شرحاً أفاض عن محدداته اللثام ، وجعلها على طرف اللثام . فجاء كتاباً بديعاً في بابه ، رائعاً في أسلوبه ، يجد الملم به من المباحث السادرة والحكم الوافرة ما لا يجده في كثير الكتب الضخمة . ولقد سد به الاستاذ الثلة فجراه الله خيراً . والكتاب يقع في نحو ٢٣٠ صفحة من الورق الصقيل الجيد وهو مطبوع في المطبعة السلفية المشهورة بجودة الطبع وإتقانه .

وليس فيه على غزارة مادته ووفرة مباحثه . إلا بعض خطيئات ربما كانت من تحريف وقت النسخ . أو سهو عند الطبع . من ذلك ص ١٥ أن ابن جرير الطبري توفي سنة ٢١٠ وصوابه ٣١٠ . وص ٢١ أن وفاة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٣ صوابه ١٠١ . وص ٢١ أن الخليفة المنصور العباسي حج سنة ١٦٣ وصوابه ١٤٤ . وص ٢٢ أن ابن عينة توفي سنة ١٩٢ وصوابه ١٩٨ ومنه قوله في ص ٢٢ ومن مشاهير علماء الحديث ومشهور لا يجمع قياساً على مشاهير ولم نر من نقله من أئمة اللغة . وقوله في ص ٢٥ (لا يصح أن يقال أنه شفيق) والمذكور في كتب اللغة شفيق وشفيق كفتح وسمع . وقوله في ص ٢٦ (يقوم بمعونة الغير عملاً) وأل لا تدخل على غير وإنما استعملها المولدون . وقوله في ص ٤٦ (بل وترتيب أدوائها) فقد أدخلت بل على الواو . وحرف العطف لا يدخل على مثله . وقوله فيها أيضاً (وهذا بالطبع تشريع له ولأئمة كافة) ولم نر من ذكر التشريع بمعنى السن بل يقال فيه شرع شرعاً .

وليس ذلك بضائر هذا الكتاب المترع بالفوائد الجليلة . فهو من خير ما خطته أقلام الكتّابين في هذا الموضوع . وجدير بمن يعنون في امر الأمة وبهمهم إعلاء شأنها وتعليم أبنائها وتقريب أخلاقهم أن يضعوه موضع التداول في معاهد العلم ومجالس الدراسة والمذاكرة .

عضو المجمع العلمي

سليم الجندي



ادب وتاريخ

« تأليف الدكتور محمد صبري أستاذ التاريخ الحديث بدار العلوم طبع في »
« مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة في نحو ٣٤٠ صفحة »

هذا الكتاب أثر من آثار عناية مؤلفه بهذين الفنين ورسوم ملكتهما في نفسه
فالفصلان الأولان منه ضمنهما الكلام على شاعرين هما قطب الشعر العربي وشيخا شعراء
العرب في العصور المتأخرة : محمود سامي باشا البارودي وسماعيل باشا صبري .
وسيرة الاول تضمنت وصف صباه . وصناعاته الشعرية . وعلاقته بالثورة العربية .
ومنفاه في سيلان . وآخر ايامه . ثم مختارات من شعره . منها قوله من قصيدته العينية :
(هذه الجزيرة قل لي هل ترى احداً بنأى به الخوف او يدنو به الطمع)
(كانت منازل املاك اذا صدعوا بالامر كادت قلوب الناس لنصدع)
(زالوا فما زالت الدنيا لفرقتهم ولا تعطى الأعياد والجمع)
والكلام على الثاني تناول ذكر صباه . وسلامة ذوقه الشعري . وشعره في
كمولته . ومختارات من شعره . وبمقدار تمام ترجمة الشاعرين على هذه الصورة عقد
المؤلف فصلاً خاصاً بتاريخ الحركة الاستقلالية الكبرى في ايطاليا بين سنتي
١٨١٥ - ١٨٤٨ م . وبقية الكتاب فصول مختلفة كتبها المؤلف في أزمنة متعددة
منها (مولير) و (بلاغة العرب) و (مهزلة في مأتم) الخ . والكتاب حسن الطبع
والورق والتبويب يجدر بكل متأدب اقتناؤه والاستضاءة بنور أدبه . المهر لج



كتب ورسائل مختلفة

- (١) فصل المقال والكشف عن مناهج الادلة لابن رشد (٥٩٥ هـ) ويليها الرد
على فلسفة ابن رشد لشيخ الاسلام ابن تيمية ٧٢٨ هـ ص ١٤٣ طبع بالمطبعة الرحمانية
بمصر وتطلب من صاحب ومدير المكتبة المحمودية التجارية فيها .
- (٢) « كشكول جمال » الجزء الثالث طبع بالمطبعة الرحمانية (١٣٤٥ - ١٩٢٧)

ص ٢٤٠ اختيار وترتيب السيد محمد جمال صاحب المكتبة الاهلية في القاهرة
وتطلب منه .

(٣) نقر برنهضة التعاون الزراعي في مصر بقلم محمود خاطر بك طبع في دار
الكتب المصرية ١٩٢٦ ص ٧٠ .

(٤) النشرة الشهرية للغرفة التجارية بدمشق لسنتها الخامسة (١٩٢٦) طبعت
بمطبعة الترقى بدمشق ص ٣٠٢ .

(٥) مجموع رسائل : الاولى اسمها « الرهص والوقص لمستحل الرقص » للامام
العلامة الشيخ ابراهيم بن محمد الحلبي الحنفي صاحب ملئق الابجر المتوفى سنة ٩٥٦ هـ .

والثانية في الأبدال والغوث للامام الشيخ عز الدين بن عبد السلام الشافعي المتوفى
سنة ٦٦٠ والثالثة في الواسطة له . طبعت في المطبعة العلية بحلب سنة ١٣٤٥ .

(٦) المنتخب من شعر ابي شادي . هي مجموعة وقعت في ١٢٤ ص طبعت في المطبعة
السلفية في مصر من شعر الدكتور احمد زكي ابو شادي بك .

(٧) « الحق القانوني عند الموارنة » بحث حديث قانوني تاريخي انتقادي لم يطرفه
احد من أئمة الأمة من قبل تأليف الاستاذ الخورسقف جرجس منس الحلبي احد

اعضاء المجمع العلمي طبع في المطبعة المارونية سنة ١٩٢٥ ص ١٢٣ .

(٨) مروضة الاسود رواية تاريخية ادبية غرامية بقلم الكاتب الروائي المرحوم
طانيوس عبده عني بنشرها السيد الياس انطون الياس صاحب المطبعة المصرية

بمصر ص ١٥١ .

(٩) برنامج محاضرات سنة ١٩٢٦ للمجمع الحقوق الدولي في لاهاي وبالفرنسية

Académie de Droit International de la Haye

(١٠) مجموعة المفوضية العليا للجمهورية الافرنسية في سورية ولبنان في الاعمال

الادارية عن سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٢ و ١٩٢٣ و ١٩٢٤ مع فهرس

لجميع المواد مكتوبة بالافرنسية واسمها هكذا :

Recueil des actes administratifs du Haut- Commissariat de la République Française en Syrie et au Liban
« 6 vol. »

المجلة العلمية العربية

(دمشق): ايلول سنة ١٩٢٧ م الموافق ربيع الاول سنة ١٣٤٦ هـ ٨١

الهجينة في لهجة الحلبيين

لا تخلو بلدة من البلدان المأهولة بانباء بعرب من ان يكون في لهجة اهلها كلمات مولدة والفاظ دخيلة يضطرم الى استعمالها ارتقاؤهم في سلم المدنية والحضارة . فان من يبحث في معاجم اللغة وينقب عما اشتملت عليه من الكلم المولدة والدخيلة في حالتي جاهليتها واسلاميتها — يتضح له ان ما استعملته الامة من هذين النوعين في حالة اسلاميتها أضعاف أضعاف ما استعملته منها في حالة جاهليتها لا جرم ان الامر الذي اضطرها الى ذلك لم يكن سوى تقدمها في مضمار الحضارة وتأخرها عن مجاهل الهجينة والتوحش .

على اني لا اري بأساً من ان يستعمل في لغتنا الدخيل باقياً على عجمته بشرط ان يكون على منهاج لغة العرب اي ان يكون لصيغته في أبنية اللغة نظير يخف لفظه على اللسان وتستحسن رننه في الآذان وهو ما يسمى بالمعرب فاذا كان مستوفياً هذا الشرط فينبغي الا يعد عيباً في لغتنا ولا مؤدياً الى إفسادها .

الدخيل في لغات قطان الشرق والغرب غير العرب اكثر جداً مما هو دخيل في لغتنا ومع ذلك لم يعد اهل تلك اللغات مهجناً للغاتهم ولا مؤدياً الى إفسادها ، بل ربما عدوه من جملة محاسنها لانهم رأوا منه في مواطن كثيرة من طرق التعبير عن مقاصدهم — معيناً لكتابتهم وأدبائهم على الإفصاح عما يقصدونه من المعاني التي ربما يعتاص الإفصاح بها على غيرهم فهو من هذه الجهة حقيق ان يعد من جملة مزايا

الجمود عن قرائح المنشئين وحملات الاقلام وان يعتبر مجدداً كيان اللغة اذا اعتقدنا ان اللغات بكسبم الانسان نفني ذراته ويخلفها غيرها وثمن أنقاضه ويعتاض عنها بالجديد .
خذ لذلك مثلاً اللغة الفرنسية المعدودة الآن من أعظم اللغات الغربية تهذيباً ونقيماً فانك لو فحصت معاجمها لوجدت فيها ما يعد بالثمين من السمكات الدخيلة عليها من اللغات الأجنبية عنها ما بين عربية واغريقية وسكسونية وغيرها . ومثلها بل أعظم منها في ذلك اللغة التركية التي تضم الى معاجمها الوقاً من الدخيل ما بين عربي وفارسي وغيرهما . وهكذا نجد حين البحث في كل لغة من الدخيل ما تدهش له ولكن اهلها لا يدهشون منه ولا يعدونه وهماً في لغتهم ولا وصمة عيب في كلامهم .

والحق يقال ان أضر ما يكون على اللغة زحزحتها عن أسلوبها وانحرافها عن قواعد علومها اللسانية كالنحو والصرف وعلوم الفصاحة وما اليها من العلوم التي تعصم اللسان عن الخطأ في تراكيب الجمل التي بها يصرح المتحدث بقصدته ويفصح عن مراده واراادته .
فاللغة التركية مثلاً رغمًا عن كثرة ما فيها من الدخيل لا تزال لغة تركية مادامت محافظة على أساليب تركيبها . وهكذا يقال في باقي اللغات التي تستعمل المولد والدخيل : إذن فالسلاح الأعظم الذي يحمي ذوار اللغة من الفساد ويصد عنها عيث الدخيل هو المحافظة على أسلوبها والتزام السير في مناهج الكلام على قواعدا في الجمل والتراكيب .

وحسبنا نحن العرب خاصة دون غيرنا ما يقف بنا عند هذا الحد ويعصم ألسنتنا من الانحراف عن سنن البيان والتبيين — ذلك السجل المحفوظ ، والسفر الجليل ، والكتاب القيم ، الذي لا يفقد كياناً ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ينزّل من عزيز حكيم .

« مخارج الحروف »

مخارج الحروف في كلام الحليين صحيحة مستقيمة منطبقة على ما رسمه علماء فن التجويد في بيان مخارج الحروف . فهم يخرجون كلاماً من حرف الجيم والكاف والقاف والشين من مخارجهم المنصوص عنها في فن التجويد حاشي بعد العامة من النصاري

واليهود الذين يخرجون القاف همزة فيقولون في قاري مثلاً «آري» كما ان بعضهم يخرج التاء طاءً فيقول في مثل نرى «طرى» او يخرج السين صاداً فيقول في ساعة مثلاً «صاعة» وقد يخرج طائفة من اليهود الضاد والطاء بين التاء والذال فيقول في مثل فضله واعطني «فدله واعنني» وبعض المسلمين الذين يتعاملون مع البدو يخرجون القاف كافاً منخمة ، فيقولون في مثل قال «كال» والعامّة من الحليين كغيرهم من قطان البلاد العربية لا يعضون على السننهم بالتاء ، والذال ، والطاء ، فيلفظون التاء في الغالب سيناً كقولهم في ثم «سم» او تاءً كقولهم في ثقب «ثقب» والذال دالاً كقولهم في اذن «ادن» وفي هذا «هذا» والطاء ضاداً كقولهم في الظهر «الضهر» وفي اذن الظهر «أذن الظهر» وقد يلفظون الزاي ظاءً دون ان يعضوا بها على السننهم فيقولون في ماء الزهر «ما الظهر» والمستتر كون يلفظون الضاد زايّاً منخمة فيقولون في مثل مريض «مرىز» .

«الاعراب في لغة الحليين»

الاعراب في لغة الحليين مفقود . والفعل المبني للمجهول في الثلاثي يطرد وزنه عندهم على انفعال فيقولون في مثل ضرب زيد «انضرب زيد» وحُرم زيد «انحرم زيد» ولا يوجد عندهم المبني للمفعول في الرباعي المجرد والمزبد فيه والمفعول به يقترب باللام غالباً فيقال ضرب زيد لعمرو . والمفعول معه غير موجود في كلامهم بل هم بدلون عليه جمع فيقولون في مثل مشينا والجبل «مشينا مع الجبل» وبعناضون عن المفعول من اجله بكلمة إمّشان او لاجل فيقولون «قنا امشان تعظيم المعلم او لاجل تعظيمه» . وبعناضون في الغالب عن الحال بكلمة «عمّال» فيقولون «جاء فلان عمّال بضحك» وبعناضون عن أداة النبي للجنس بكلمة «حدا» او بما في معناها فيقولون «ما في حدا في الجميع» اي لا احد في الجامع . او يقولون بدل حدا «الدومري» ولا يستعملون من حروف النداء سوى «يا» ولحقون الفعل بضمير الفاعل تقدم عليه ام تأخر فيقولون «اجو الرجبل علينا» جاء الرجال علينا وهذا على حد لغة اكلوني البراغيث . وليس عندهم من الاسماء الموصولة شيء سوى انهم يستعملون بدلها كلمة «إلي» لذكر والمؤنث مفرداً كان ام غيره ويميزون المراد منها بالصلة فيقولون مثلاً

«إلي قام» «إلي قاموا» «إلي قامت» وهذه الكلمة تدور في كلامهم بكثرة لانهم يعتاضون بها عن التلفظ باسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة . وهم يعدون الفعل القاصر بالتضعيف غالباً كقولهم مثلاً «روح مصاربه» اي أنفق دراعمه . وكثيراً ما يدخلون (لم) إحدى الحروف الجوازم على الفعل الماضي واكثر من يفعل ذلك هم صغار كنية دوائر الحكومة كقولهم «لم ظهر لها قيد في الدفتر» وتاء التأنيث في الاسماء يقلبونها ياء مماله فيقولون «فاطمي عايشي» اي فاطمة عاتشة . والفعل المضارع يبدؤنه بالياء فيقولون «بكتب ، بقرا ، بأكل ، بشرب» اي اكتب ، واقرأ ، وأكل ، واشرب . واذا كان المضارع مسنداً الى المتكلمين يبدؤنه بحرف الميم او بحرف الميم والالف معاً فيقولون «منروح» «امنقرا» اي نروح ونقرأ . واذا أريد تخصيص المضارع للاستقبال اعتاضوا فيه عن حرفي السين وسوف بكلمة «بد» فيقولون «بدي اروح» «بدو يزوح» اي سأروح ، وسيروح . وكلمة «بد» محرفة عن يود .

«الإمالة»

قال النحويون : الإمالة تسمى الكسر والبطح والإضجاع لانها اصطلاحاً تميل الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء . قالوا والغرض منها تناسب الاصوات ونقارنها لان النطق بالياء والكسرة متسفل منحدراً وبالفحة والالف متصعد مستعل . وبالإمالة نصير من نمط واحد في التسفل والانحدار وحكمها الجواز فكل ممال يجوز ترك إمالاته واصحابها تميم ومن جاورهم واما العجّازيون فلا يميلون الا في مواضع قليلة اه .

الإمالة في كلام الحلبيين كثيرة جائزة وممنوعة فالجائزة كقولهم «لحيف ، سريج فاطمي ، عايشي» لحاف ، سراج ، فاطمة ، عايشة — والممنوعة كقولهم «قتل نيفخ» قاتل نافخ . على ان الإمالة في كلام الحلبيين أقل انتشاراً مما هي في كلام قطّاط السواحل السورية ، فان الإمالة في كلامهم كثيرة جداً جائزة وممنوعة مما بدلنا على ان اولئك القطّان هابطون من أصلاب التميميين او من جاورهم او نأق الإمالة عنهم .

«كيف يتصرف العامي في لغتهم»

في لغة العامة كثير من الكلمات التي لا اصل لها في اللغة العربية وانما وضعوها

بوحى من أذواقهم وإشارة من ملكاتهم . ذلك ان العامي قد يتصور معنى لا يتمكن من التعبير عنه بكلمة واحدة من مألوف الكلام ومعروفه فيختار للدلالة عليه كلمة كبيرة المبني اي ذات حروف كثيرة لها رنة في سمعه وفرقة بلسانه فيستعملها للاء فصاح عن المعنى الذي صورته له مخيلته وذلك كقوله « خردع الخيطان » اي حل ملفها فاختلفت ونسبت ببعضها والفت خيوطها على نفسها وتعقدت وصار يصعب بل يتعذر فكها وارجاعها الى ما كانت عليه .

هذه الكلمة « خردع » لم أظفر لها في اللغة باصل ترجع اليه . انما قد يغني عنها فيما دلت عليه من هذا المعنى الطويل كلمة « زرقل الخيطان » اي نقشها لانه يقال زرقل الشعر اي نقشه او كلمة « امثشق الخيطان » اي جعلها كالمشافة وهي ما يسقط من الشعر والكتان والحرير عند المشط .

وقد يأخذ العامي كلمة لغوية فيعرف لفظها ويستعملها في الدلالة على معنى آخر غير معناها الوضعي وذلك مثل « ككچك » فيقول ككچك اللبن او العجين اي اشتدت خمرته حتى صار يسمع لفقاقيعه بتبقة . ويقول « ككچت المرأة » اي وخت في حركاتها ومشيتها وكلامها : اخذ العامي هذه الكلمة من ككجة الحديد او خشخشة السلاح اي صوتها اذا احتك بعضها ببعض او من ككششت الأفي اذا فخت اي صوتت .

ومن ذلك أيضاً كلمة « زعل » فيقول فلان صديقك « زعل منك » او هو « زعلان عليك » اي مستاء منك لذنب لم صدر منك لم يلبث ان يزول بعتاب لطيف . او تعنيف خفيف : هذا الاستياء غير الغضب الذي يسعر نار الحقد ويدعو للشكيمة وهي طلب الانتقام . على ان كلمة زعل لها في الوضع عدة معان منها الضجر من المرض والاضطراب فلعل العامي توسع في استعمالها فدل بها على معنى الاستياء المذكور وقد يغني عنها باداء ما يقرب من المعنى الذي يريد منه العامي كلمة « ارفأن » فان معناها الوضعي نقر ثم سكن وضعف واسترخى وغضبه زال .

ومن ذلك أيضاً كلمة « نزع » يستعملها العامي بمعنى أفسد وأخل الطعام والشراب والثياب والعمل في كل شيء وهي بعيدة جداً عن معناها اللغوي الا ان تكون محرفة عن « نزع » بالعين المعجمة فان بعض معانيها يقرب من معنى الإفساد والاخلال .

وقد يستخدم العامي لفظة عربية للتعبير عن معنى يكون بينه وبين معناها اللغوي بعض المناسبة وذلك مثل كلمة «دهور» معناها اللغوي . جمع وقذف سيفه الهواء فاستعملها العامي بمعنى اخفى الشيء وبعثره هنا وهناك .
وهكذا ترك العامي يتحكم باللغة ويتصرف بها تصرف المالك بملكه لا يبالي من عمله هذا خطأ ام اصاب .

واني لأعذر العامي على استبداده وتصرفه احياناً بكلمات يعبر بها عن مقاصده - اذ كانت المعاني تخاف وتستجد في نفوس البشر من انعكاس صور المحسوسات المستحدثة على مدارك الانسان من مرآي الكائنات - كثيرة مختلفة لا تنهاى كثرة ولا يقف اختلافها وتباينها عند حد .

كم من معنى عويص ننعكس صورته المستحدثة من مرآي هذا الوجود على فؤاد الكاتب البليغ والخطيب المصقع والشاعر المقلق فيحاول الافصاح عنه بكلمة فلا يجدها في معاجم اللغة لانها لم تخلق لهذا المعنى الجديد الذي لم يخطر لواضعي اللغة على بال حتى يضعوا للدلالة عليه لفظاً سلفاً وتعجيلاً فيضطرب ذلك البليغ والمصقع والمقلق وتأخذ الحيرة في الأسلوب الذي يريد ان يعبر به عنه فلا يجد له سبيلاً بعد العناء سوى الالتجاء الى الاستعارة والحجاز لتمكن من الاشارة اليه بل قد يعجز عن بيانه والبرح به لا حقيقة ولا مجازاً فبقي مرآ غامضاً مدفوناً في فؤاده لا يرجوه حياة ولا نشوراً .

هذا ما قد يكون مع قادة البيان وامراء اللسان والكلام فما بالك بالعامي الذي لا يعرف من اللغة غير ما تلقاه من أمثاله ولا يفقه معنى للاستعارة سوى العاربة ولا للحجاز سوى الجائر في الشرع .

« الهجين في لغة الحلبي العامي »

في حديث الحلبي العامي من مستهجنات الكلم ما يربو عدده على الالفين . وهو على نوعين : احدهما ما هو منتزع من اصل تركي سيأتي الكلام عليه . والنوع الآخر ما هو منتزع من اصل عربي وهو القسم الاكثر . او من اصل أعجمي غير تركي وهو

الأقل . وكلا النوعين مما أثار عليه العامي فأجلاه عن وطنه وحوله عن مجئنه
وتصرف به طبق إرادته وطوع لسانه فزعزع بنيانه وبذل خاقه ومنع صورته بماقذفه
به من اغلوطات النحت والتخريف والتصحييف والقلب والأبدال بحيث جعل محاولة
ارجاع البعض منه الى أصله متعسرة ان لم تكن متعذرة .

وهالك بعض الفاظ من هذا النوع كالتنودج خصصناها بالذكر دون غيرها لانها
كثيرة التداول في كلام العامي حيث يردد صداها في أكثر عباراته فيقول :

(اجالنا وراح) جاء عندنا وراح وهو تحريف قبيح . (واصطفل ويطفل)
تجريف اصطفي له اي لنفسه واصطفيت لي . (وايشبدك) ايبه اي شيء نود .
(واجفر الماء) اسن من الصرة الماء يبقى في الحوض تبول فيه الكلاب والتغالب
(وحكيت معه بلا وجا) بالمواجهة وبالوجه . (وفلان يجقّ ويجقّ) هذى وهذر
من فشق او مطلق بغير هذا المعنى . وفلان (تبهوق) تصنع بالتعاطف من البهلقة وهي
الكبر والطمع والداهية وان يلقاك الانسان بكلامه ولسانه الكذب . (ويجش
الدفة) ونحوها ثقبها من (بخص) عينه اي قلعها بشحمها . (وئناوق) عليه ، نظره
من ثقب ونحوه ، وبغني عن هذه الكلمة (اللوص والملاوصة) وهو اللحم من خلل
باب ونحوه . (وحكش) حفر ، ونظف درن انفه باصبعه وهي عربية بغير هذا المعنى
وبغني عنها بمعناها الثاني فصم اي ذلك باصبعه . (وجاقه) دلع لسانه وحاكاه
بالحديث ، وفلان (انجم) اي أصيب بالقوة من جعم التي تؤدي بعض هذه المعاني .
(وانجم الطفل) وهو مجعوم ، أصيب بالزمانة وهي العاهة من جعم . (ودهك العجين)
عركه (ودهك المال) أتلفه وبثره من دهك اي طحن وكسر . (ودَمَخ) اطرق
برأسه ورجل (دُمخ) ومدمخ ، غبي قليل المروءة من دُمخ اذا طأطأ رأسه .
(ودهسه) ، دعه « قول بعض الصحف دهسته السيارة غلط صوابه دعثه » .
(ودهور) المال والثشي ، اخفاه هنا وهناك من دهوره اي جمعه وقذفه في الهواء .
(ودربس) الباب ، أوصده بالدرباس اي المزلاج وعريته الشجار . (وشافه)
أبصره ورآه من شفته وتشوفته . (وشقشله) نظر اليه كالمعترض عليه او كالتعجب
فيه او كالكاره له وبغني عنه شنفه لانها تؤدي هذه المعاني ويقولون شقشل المتاع

اي جملة بين يديه كأنه يزنه من الشقيلة وهي ان وزن الدينار بازاء الدينار للنظر
أبها أنقل . وفلان عمل (شماطه) آثار فنته وشجاراً لعلمها من الشماتة كأن المتسبب
بها يشمت به أعداؤه . (وطئش) ، تعافل وتصام لعلمها من دنغش اذا نظر وكسر
عينه . ويقولون (طبل) كنت فعلت كذا كمصغر طبل منحوتة من طوبى لي .
(ونطجج) في مشيته ، مال ذات اليمين وذات الشمال من الدهجة وهي اختلاط سيف
المشي الخ . (وطسه) ابصره ورآه ونظره من جسده بعينه احد نظره اليه ليستثبت
(وطمس) داس سيف الوحل من التطيبس وهو التطبين . (وفكج) الجمعية ، فرقسا
وابطلمها منحوتة من فك سياجها . (ونفجاق) تسكلم غير محشم من الفجلفة وهي المראה في
الكلام والمشي . (وقفش) في حديثه ، تحدث بما ليس له معنى . (ونقنفش)
(ونقفش) تعاضل وعظم ورجل يجب القنفشة اي يجب ان يمدح ويعظم من القنفشة
بغير هذا المعنى . (ونقش) حكى وحدث والنقش الكلام والتحدث من ناقش والمناقشة
(ومكك) في كلامه ، موه به واخفى الصريح من تككم اي تغطى بشيابه او من مغمغ .
وهذا الطعام (محق) منحرف الطعم وفلان (محق) لا يستحسن أدبه (ومشق) معه
مزح من ماشق الناس بلسانه يباذيرهم . وفلات (نجق) فلاناً ، سكت عنه وأهمله
اجتقاراً به . (وهودر) عليه أفنعه بالكذب من المهر وهو الكذب والامر العجيب .
(وهير) و (نهير) استعد للامر واعد اللازم والهيأر الانقراض المعدة للبناء أظنها
سريانية وقد استعملها ابن العبري في كتابه (مختصر الدول) بمعنى استعد . (وشوشه)
همس في أذنه من شوشوشوا تحركوا وهمس بعضهم الى بعض .

« الألفاظ الدخيلة في لغة الحلبي من اصل تركي »

هذه الألفاظ في لغة العامي الحلبي كثيرة جداً يمكن ان يؤلف منها معجم يضم بين
دفتيه زهاء سبعمائة كلمة ما بين أسماء وأفعال زاحمت لغة الحلبيين والثلاث معها
وانشرت في تضاعفها لثلاثة اسباب :

« السبب الاول » — بقاء حلب وأصقاعها تحت سيطرة الحكومات التركية
مدة ثمانية قرون وخمس وستين سنة ابتداءها سنة ٤٧٢ هـ وهي السنة التي حكمت فيها
السلاجقة هذه الأصقاع مباشرة او بواسطة الدول المنفرعة منها كالدولة الزنكية

والأبوية وفروعها وانتهائها سنة ١٣٣٧ وهي السنة التي انقضت فيها أيام الدولة العثمانية .

« السبب الثاني » — مجاورة حلب البلاد التركية ككاز وعينتاب ومرعش وتعامل التجارين في الاقتصاديات وتزواجهم من بعضهم واقتباس كل فريق من الآخر كثيراً من العادات والتقاليد .

« السبب الثالث » — كثرة الأسر التركية المستوطنة في حلب النازحة إليها من البلاد التركية كعينتاب وكاز ومرعش وخربوط وازمير وغيرها وهي أسر كثيرة ما زالت محافظة على نسبتها إلى وطنها الأول معروفة به وما برح البعض منها يتقادم مع أسرته بقلته الأصلية رغمًا عن تقدم عهده بانفكاكه عن وطنه القديم .

واليك بعض كلمات من هذا الدخيل نوردتها كالتمذج : بكثير الحلبي من استعمالها لمعان بعضها يوافق معناها الوضعي الأعجمي وبعضها الآخر يخالفه .

أبدأ بالكلمة الأعجمية على الوجه الذي يستعمله الحلبي ثم اتبعها بنفسيرها الذي يعنيه ثم أذكر أصلها المأخوذة منه : واللفظة التي أوردتها بصيغة الفعل الماضي تكون مستعملة في لغة الحلبي بسائر تصاريفها وما أوردته منها بغير صيغة الفعل يقتصر الحلبي على استعمالها بذلك اللفظ فقط فيقول :

— « انجق » . لكن ، فقط ، بالصعوبة ، بالتكلف ، مثلاً يقول انجق بضل القطار إلى دمشق في خمس عشرة ساعة أي بالتكلف ويقول جميع أسعار المأكولات في حلب رخيصة انجق اللحم فإن سعره غالٍ أي فقط اللحم أو لكن اللحم أو إلا اللحم .

— « آجق » . مفتوح ، مكشوف علناً من آجيق .

— « آرنق » . حينئذ ، بعد هذا من آرنق .

— « أفضده » . غرره ، خدعه من الدامق .

— « آش » . اعتاد ، والف من آلشقي .

— « ادب خانه » مرحاض — اوضة ، حجرة ، غرفة من اوتاق .

— أغر . ين ، خير ، لاجل ، يقول الحلبي فلان صباحه أغر ومحبت مشقة

زائدة في أغرك .

- انكري ، انقري . ظرف نحاس مصفح الجوانب تغني عنه مصفح كمكرم .
 — بالسنان . سوق الحراج الذي يساع فيه الأثاث بالمزايدة من بدستمان
 تجريف بز صانلان اي سوق البز .
 — بوظا . السقرقع معرب سكركة حبشية .
 — بطقي . افلس ، توحد ويقولون فلان بطقي اي يأكل أموال الناس .
 — بازركان . غني ، وجية .
 — بجشيش . عطية ، جائزة ، نافلة من باغشيش .
 — بالطه . مقرع — بلكون ، طنف ، جناح من بالقون افرنسية — بوظ .
 بوظ الجمعية فرقها من بوزمق — برانصه . كراث رومية — برداغ . صقال ،
 جلاء من برداخلماق — برواظ . اطار ، حاشية من برواز — بهريز . حمية
 من برهيز — بولتيكا ، سياسة من بولتيقة يونانية معناها تدبير الملك — برطاش .
 اسكفة الباب من برطيق — برنوطي . النشوق المعلوم من برون اوتي اي حبشية
 الانف والاثراك يسمونه ايضا « انفيسة » — بركات وارسن . يعطيك البركة
 من بركت ويرسن — نازا . ما طبخ وعمل لوقته من الطعام غير مبيت : اعجمية
 غير تركية اصلها طازره فعربها العرب طازج واطلقوها على الطري الصحيح الجيد
 كالخالص قال في التاج في حديث الشعبي « ما لأبي الزناد بأثينا بهذه الاحاديث قسية
 وبأخذها منا طازجة » يريد بقسية رديئة وبالطازج السليمة الجيدة النقية الخالصة .
 — نبل . كسول — تشنه . مرحاض من جشمه — نقونش معه . تحاور من
 فونشقي — جرك . افسد ، اخل — جالش . جد ، اجتهد من جالشقي — جبلاق
 صريان — جاتين . صعب ، عسير من جتين — حجي تيسر . حسب الحاجة من حاجتي
 ايسر — خاندان . غني من ذوي البهونات القديمة من خانه دان — دشره . تركه من
 طشرهلق ويمكن ان يكون من جشره العربية بمعنى تركه — دقاق . مذاق — سلطا
 بقل الخس والهندبا وغيرها من البقول يداف بالخل والملح والزيت ويؤكل لشبهة الطعام
 وهي معدودة من هضم الطعام جمع هاضوم وهو كل دواء يهضم الطعام وذكرها في
 التاج بلفظ سلطة وقال انها عامية — سينج . فارسية وهي السفود — سربادار الحكومة

وكل دار عظيمة — شوربه . طعام من الحساء مشهور ولا بأس من ان يسمى بالخزيرة وهي الحساء من الدسم — قنّاق . مضيّف ، منزل ، مرحلة من قوناق .
— قنداق . قنّاط الطفل ، مقبض الغدادة من قونداق = فازان . الجفنة ، الرجل الكبير = قيق . القشدة ، الطثرة = قيا . اللحم الخندع او المهرم وبعض الناس يسميه المفروم وهو غلط = قايش . سير من الجلد ويمكن الاستغناء عنه بكلمة نسع .
= كزدر . تجول للنشاط رائحاً جائياً و يغني عنه كلمة حرجل التي تؤدي هذا المعنى .
اكتفيننا بهذا القدر من هذا الموضوع فانهين بالهم عن الأهم حتي يروق الجو
ونفك القرائح من عقولها عاملين بالمثل العامي « العب بالمقصود حتي يجي الطيار » .

حلب :

كامل الفرزي

عضو المجمع العلمي بحلب



تصحيح نهاية الارب

« أغلاط الجزء السادس »

رأينا أثر العناية في تصحيح هذا الجزء ظاهراً أكثر مما رأيناه في الاجزاء الماضية .
ولهذا كانت الأغلاط التي عثرنا عليها فيه قليلة بالنسبة الى ما في تلك الاجزاء . على
ان طائفة من أغلاط هذا الجزء انما هي من قبيل أغلاط التضييد . لا أغلاط التصحيح
اي انها سهو منقذ لا سهو مصحح .

فمن الأغلاط التي عثرنا عليها في هذا الجزء وأمكننا النطقن الى صوابها ما جاء في :
ص ٤ س ٥ قوله : (فهذه الشرعية) صوابه فهذه الشروط الشرعية .
وفي ص ١١ س ١٤ قوله : (وأعلم ان الأعمال جزاء فائق العوائب وان الامور
بغيات فكن على حذر) صوابه : ان للأعمال جزاء . . . وان للامور بغيات . . .
وفي ص ١٦ س ١٣ قوله : (وكتب الى الاسكندر) صوابه (وكتب
ارسطاطاليس الى الاسكندر) لان ضمير كتب لا مرجع له .

وفي ص ٢٠ س ١٠ قوله في صفة الرعية : (فانهم صنفان : إما اخ سيف الدين .
وإما نظير لك في الخلق) وقد ضبط (الخلق) بالشكل بضمين وصوابه ان يُضبط
بفتح فسكون مصدر بمعنى الخلقة اي ان الرعية ان لم يكن بعضها اخًا للوالي سيف الدين
فانه أخ له سيف كونه نظيره مخلوقاً لله تعالى فالواجب على الوالي العناية باخيه غير
المتدين بدينه كأخيه المتدين به .

وفي ص ٢٥ س ٣ (وأفسح له « اي لمتولي القضاء بين الناس » في البذل ما يُرجع
علته . ونقل معه حاجته الى الناس) قوله (يرجع) بالراء المهملة خطأ وصوابه (يُزج)
بالزاي اذ العلة هنا بمعنى كل ما يشغل بال الانسان ويحول دون مضيه في عمله .
وإزاحتها إزالتها وفي التهذيب (الزج ذهاب الشيء نقول قد أزحت علقته فزاحت)
وفي التاج (زاحت علقته وأزحتها انا) .

وفي ص ٤٤ س ٢٠ قول المصحح (جواب لم) صوابه (جواب لو) .
وفي ص ٤٧ س ٤ (اني أراك أقدم رجلاً وتؤخر أخرى فاذا آنالك كتابي فاعتمد

أيها شئت) ضمير ايها يرجع الى الرجلين وفعل اعتمد اذا تعدى بنفسه كان بمعنى القصد ولا يناسب ان يكون اعتمد هنا بمعنى اقصد . واذا كان اعتمد بمعنى الاتكال على الشخص عدى بنفسه وبعلى فيقال اعتمده واعتمد عليه اي اتكل وكذلك لا نرى هذا المعنى مناسباً هنا فلم يبق الا ان يكون المراد بالاعتماد الانكاء اي وطن نفسك وانكأ على احدي رجليك ودع التردد . وفعل اعتمد الذي هو بمعنى انكأ يتعدي بعلى فالصواب هنا ان يقال اعتمد على ايها شئت .

وفي ص ٥١ س ٢ قول عاصم بن قيس لابن اخيه مذ قتل ابنه (يا ابن اخي أثمت بربك . ورميت نفسك بسمك .) قوله (أثمت بربك) خطأ لان فعل (اثم) لا يتعدي بالباء فهو محرف عن (أثمت) من الشتمانة . ولعل الاصل أثمت عدوك بك او أثمت بي وبك اي عدونا او نحو ذلك .

وفي ص ٥٨ س ١٨ قال اشجع :

(بعفوا عن الذنوب العظيمة وليس بمعجزه انتصاره)

(صفحا عن الجاني عليه وليس حاط به اقتداره)

صوابه (ولو احاط به اقتداره) ليكون مدحا اي ان الممدوح يصفح عن الجاني ولو كان قادراً على الانتقام منه اما قوله (وليس حاط به اقتداره) فيفيد انه يصفح وهو غير قادر وهذا قدح لا مدح فضلاً عما فيه من قبح التركيب اللفظي ولذلك قلنا ان صوابه ولو الخ .

وفي ص ٦٢ س ٧ قوله : (ولأُم بك شعث الأمة) محواه (شعب) بالباء الموحدة وهو الصدع والشق : ويقال (لأُم الصدع) اذا شده وجمعه و (التأم شعبهم) اذا اجتمعوا بعد التفرق . و (تفرق او شت شعبهم) اذا تفرقوا بعد الاجتماع . اما الشعث بالذاء المثناة فيستعمل مع فعل (لم) المضاعف فيقال (لم الله شعشكم) اي جمع أمركم و (لم الله شعث فلان) قارب بين شئيت اموره . ويقال في الدعاء أصلح الله من حاله ما شعث . والحاصل ان فعل (لأُم) يشتمل مع الشعب والصدع . وفعل (لم) مع الشعث . فلموافق لكلام البلغاء هنا ان يقال (لأُم بك شعب الأمة) او (لم بك شعث الأمة) .

وفي ص ٦٤ س ١٥ :

(وما نقتل الأسرى ولكن نفكّهم إذا أثقل الاعناق حمل القلائد)
صوابه (حمل المغارم) لأن هذا البيت من أبيات المناقضات الميمية التي جرت
بين فرزدق وجريمر مذنب سيف الفرزدق عن عنق الرومي وقد أراد سليمان بن
عبد الملك على قتله فعيّره جريمر بقوله :

(بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم)
فأجابه الفرزدق بالبيت السابق وبعده :

(وهل ضربة الرومي جاعلة لكم أباً من كليب أو أخاً مثل دارم)
وفي ص ٨٦ س ٣ :

(رعى سرّكم مستودع القلب والحشا شفيق عليكم لا تخاف غوائله)
قوله (رعى سرّكم) لا معنى له فلعل صوابه طوى سرّكم مستودع الخ أي كتمه
وأخفاه في مستودع . ومستودع منصوب على الظرفية .

وفي ص ٨٩ س ٣ قال أبو العتاهية مذحج على باب بغض الهاشميين :
(لئن عدت بعد اليوم أفي لظالم سأصرف وجهي حين تُبغى المكارم)
صوابه (حيث تبغى المكارم) أي أوجه وجهي إلى الجهة التي تطلب فيها المكارم .
وفي ص ١٠٠ س ٣ قوله : (فإن ظهور الأرتياب محشة للقلوب) قال المصحح المحشة
(بالجيم) هي الرحا . نعم هي بمعنى الرحا ولكن لا تناسب إرادة الرحا هنا فالصواب (محشة)
بالحاء المهملة . وهي حديدة تحرك بها النار لتشتعل وهي اسم آلة من حش النار أو قدحها
بدقائق العيدان . فمعنى محشة للقلوب أنها توقد فيها نار الغضب أو الحقد .

وفي ص ١٠١ س ٣ (تطّيف نفسه إلى المحقرات) أي أشرفت وتطلعت إليها
كما فسره المصحح فصوابه إذن تطنّفت بتأنيث الفعل .

وفي ص ١٠٨ س ١٢ قوله : (فربما اعترف «الملك» بالحق فوقى . ورق بالصبر
فكف) صوابه (فعف) مكان (فوقى) أي أن الملك المتجني على وزيره إذا رأى من
ذلك الوزير صبراً واحتمالاً فربما اعترف بحقه ورق قلبه له فعف عن أذنبه . وكف
عن البطش به .

وفي ص ١١٩ س ١٦ (سببه وجود من هو أكفاً منه . فبراعي حال الاكفاً . فان كان فضل كفايته مؤثراً أخ) قوله (كفايته) يدل على ان مراد المؤلف بكفي (أكفاً) و (الاكفاً) من الكفاية المنقوص لان الكفاية المهموز . واستعمال المهموز من الخطأ المشهور كما أشار اليه الصحيح الفاضل في تعليقه وعلى هذا فتكون كتابة (أكفاً) بالمهمز من خطأ الناسخ ويكون الصواب ان نكتب هكذا (أكفي) و (الأ كفي) .

وفي ص ١٢٠ س ٢ قوله : (الأ كفاء) صوابه (الأ كفياء) لما أشرنا اليه آنفاً من ان المؤلف أقام قرينة على انه لا يستعمل المهموز وهو (الكفاءة) في مثل هذا المقام وانما يستعمل (الكفاية) المنقوص وقد استعملها مراراً حتى بعد سطرين مذقال (سببه ان يخطب له من الكفاة) ولم يقل الا كفاء . اللهم الا ان يكون أراد بقوله (الا كفاء) الأقران والنظراء الماثلين . وأظنه بعيداً : لان الكلام في صدد عزل العامل المقصر وتقديم الاكفي منه لا تقديم كفته ومثله .

وفي ص ١٢٠ س ٥ (فربما تحوّرص بها الباذل لرغبة في العمل) قوله (تحوّرص) بالمجعة اختارها الصحيح وقال ان الاصل (تحوّرص) بالحاء المهملة ولا معنى لها بخلاف (تحوّرص) بالمجعة فمعناها الكذب والافتراء . اقول ربما كان الاصل هو الأ صوب اذ معنى (تحوّرص) بالحاء المهملة تكلف الحرص فالذي يبذل المال لاجل الوظيفة يكون فيه زيادة حرص ورغبة في اجتنبائها او ان معنى (تحوّرص) تحين اي ترصد الوقت يقال (فلان يحوّرص غداء القوم وعشاءهم) اي يحين وقتها و يترصده فيدخل على القوم . و باذل المال في طلب الوظيفة انما يحين الوقت المناسب فيبذل ماله . بل ربما كان الأ صوب (تحوّرص) باناف يقال فلان يحوّرص في البذل وفي النفقة بمعنى انه يبذل المال و ينفقه عن سعة . ولا جرم ان هذا هو شأن طالب الوظيفة الذي يريد ان يقلع غيره منها ويحل محله فيها .

وفي ص ١٣٢ س ١١ (وتحوّرص من غرور المتشبه وتدليس المتصنع) يقال تشبه فلان بفلان اذا مثله وجاراه في العمل . ولا معنى له هنا الا على تكلف وصوابه (المتشبع) بالعين وهو المتكثر وفسره الناج بقوله (التشبع التكثر وهو التزين باكثر مما عنده يتكثر بذلك . و يتزين بالباطل ومنه الحديث (المتشبع بما لا يملك كلابس ثوبي زور) اي المتكثر باكثر

مما عنده يتجمل بذلك كالذي يُرى أنه شبعان وليس كذلك اهـ و يؤيده قوله بعده
«المتصنع» فيتم التسجيع .

وفي ص ٢٣٣ س ١٣ (اقتصر في أعوانك بحسب حاجتك اليهم ولا تستكثر منهم
الخ) (اقتصر في أعوانك) صوابه (من أعوانك) اي اتخذ منهم بقدر حاجتك بدليل
قوله (ولا تستكثر منهم) .

وفي ص ١٣٤ س ٩ قوله : (فتكون من وفائه على غدر) صوابه على غرر والغرر
الخطر . والمعنى انك تكون على غير ثقة ولا يقين من أمر وفائه لك .

وفي ص ١٣٥ س ١ قوله : (او نالك فيها زلل فتستدرك منه ما أمكن) صوابه
(او نالك فيه) كما يقتضيه السياق والحقاق .

وفي ص ١٣٧ س ٣ (اختر لا سرارك من لثق بدينه وكتانه وتسلم من إذاعته
وإدلاله) قوله (وتسلم) صوابه (تسلم) من دون واو جواباً للامر كأنه يقول ان اخترت
الثقة سلمت من إذاعة سرّك . ولا معنى من معاني (إدلاله) يناسب هنا فصوابه (إعلانه)
فيصبح مزاجاً لقوله (كتانه) ويتم بها السجع .

وفي ص ١٣٩ س ٢ (ولا تضجر على صاحب الحاجة وقد أمّلك ولا تنفر عليه اذا
راجعك) قوله (أمّلك) ضُبط بتشديد الميم من التأميل وهو حسن ولكن الأحسن منه
والأبلغ في المعنى ان يكون بتشديد اللام من الإملا لاي الاضجار يعني لا تضجر وان ألح
عليك صاحب الحاجة بالطلب الى حد ان أضجرك . وقوله (ولا تنفري عليه) صوابه عنه
يقال نفر عنه اذا صد عنه وأعرض عنه .

وفي ص ١٦٩ س ٥ ذكر المؤلف وصية عمر لسعد بن ابي وقاص مذ أرسله الى
القادسية من ذلك قوله له (وترفق بالمسلمين في مسيرهم ولا تجتهدهم مسيراً يتعبهم
فانهم سائرون الى عدو مقيم حامي النفس والكراع حتى تكون لهم راحة يجمعون
فيها أنفسهم) فسر المصحح (يجمعون أنفسهم) بقوله (يتركونها ليرتاح ونقوى) وهو حسن
لكنه غفل عن (حامي النفس والكراع) فلم يصححها وصوابه (جامتي) بالميم وتشديد الميم
بعدها ياء الجمع على كون (عدو) مراد به الجمع او (جام) بالافراد على كون (عدو) مراد به
المفرد . وهو من جم الثلاثي كآجم الرباعي اذا ترك ليرتاح كما قال المصحح في نفسهِ (يجمعون)

ويقال جموا اذا استراحوا وفي حديث ابي قتادة (فَأَتَى النَّاسُ الْمَاءَ جَاءَ مِنْ رِوَاءِ) اى
مستريحين قد رَوُوا . وهذا المعنى هو المراد هنا كما لا يخفى أما (حامي) بالمهملة فلا شيء
من معانيه يناسب هنا .

وفي ص ١٧٦ س ١٠ (وكان مالك بن عبد الله الخثعمي وهو على الصافة يقوم سيف
الناس الخ) فسر المصحح (الصافة) بقوله (هم الجماعة نقام ونصف للحرب) لكن المعروف
في اللغة ان (الصافة) الابل تصف قوائمها و (الصافات) الطير تصف اي تبسط أجنحتها
ولا تحركها و (الصافات) ايضا الملائكة يقومون على مراتبهم في السماء صفوفا كما يصطف المصلون
هذا واستعمال (الصافة والصافات) في كلام العرب ولا يطلقونها على جماعة الجند المصطفين
للحرب وان كانت مادة الكلمة واشتقاقها قد يُساعد على هذا التفسير . وصواب (على
الصافة) إذن (على الصائفة) وهي غزوة الروم في زمن الصيف : فقد كان الخلفاء وملوك
حلب يعدون جنوداً لغزوهم في ذلك الفصل لتعذر غزوهم شتاءً لشدة البرد والثلج في بلادهم
وكثيراً ما اطلقوا (الصائفة) و (الصوائف) على نفس الجنود الغزاة . واذ قالوا وآي الخليفة
فلاناً على الصائفة او الصوائف أرادوا انه ولآه رئاستهم وامر قيادتهم ويؤيد ما قلنا
قوله بعد ذلك (فكانت الروم تسعي ملكاً الشعب) وقول مالك نفسه (اتي دارب
بالغداة درب كذا) والدرب كل مدخل الى بلاد الروم . ثم ان قوله (دارب) فيه نظر
لانه يقال (أدرب) القوم بالهزم اذا دخلوا الدرب لغزو الروم ولم يسمع درب فهو
دارب ثلاثياً .

وفي ص ١٩١ س ٨ (وموشية بالبيض والزُغف والقنا) ضبطت (الزُغف)
بضم الزاي وصوابه فتحها . جمع بلفظ المفرد . وهي الدرع السابعة او اللينة .
وفي ص ١٩٢ س ٩ (غناء صليل البيض تحت المناصل) ضبط (البيض) بكسر
الباء على انه جمع أبيض وهو السيف وصوابه فتح الباء وسكون الباء جمع بيضة وهي بيضة
الحديد تلبس على الرأس نقيه مواقع السيوف وسميت بيضة تشبيهاً لها ببيضة النعام .
والمناصل السيوف .

وفي ص ١٩٣ س ١ (كأن نهار النقع أتمد عينه) صوابه مشار النقع وهو ظاهر .

وفي ص ١٩٦ س ٤ قال سيف صفة حرب : (ومطعن هدهتها . ومزعج واقعتها .

وفظيخ روعتها (لعل صوابه (ومطن همدتها) اذ الهددة الصوت الشديد كهوت وقوع حائط او صخرة . والمطن من الطنين وهو الصوت الذي بدوي الى بعيد ومنه القصيدة الطنانة التي لها شهرة وصوت في كل بلد اما المطن بزيادة العين فلا معنى له هنا .

وفي ص ٢٠٠ س ١ (وأعدثوا لهم ما استطعتم من قوة) وفسر النبي (ص) (القوة) بقوله : (ان القوة الحصن ومن رباط الخيل الحجورة) وقد ضُبطت كلمة (الحصن) بكسر فسكون لكن يظهر من مقابلته للحجورة وهي اِناث الخيل انه يريد بالحصن جمع حصان وهي ذكورها فالواجب اذن ضبط (حُصْن) بضمين ككتب في جمع كتاب نعم ان (الحصن) بكسر فسكون قد تكون بمعنى الخيل مطلقاً ذكوراً وإِناثاً وتكون بمعنى السلاح ايضاً لكن كلا الاستعمالين مجاز و يستبعد ان يكونا مرادين هنا لما ذكرنا من مقابلة (الحصن) بالحجورة .

وفي ص ٢٠٢ س ٤ (الأغلغ السيف اذا كان في غلافه) ضُبط (غلاف) بضم اوله كغراب وصوابه بكسر اوله ككتاب .

وفي ص ٢١٩ س ٧ (قَطَرَه) اي طعنه (فألقاه على قطره وهما جانباه) صوابه فألقاه على (أحد قطره) لاث الالتقاء على القطرين معاً غير متصوتين . وفي القاموس وشرحه (قطره فرسه ألقاه على قُطره اي جانبه وشقه . وكذا طعنه فقطره اي القاء على تلك الحياة) .

وفي ص ٢٢٥ س ١٠ : يعدد المؤلف أسماء القوس ونوعتها من ذلك قوله (مسخرة وهي الحسنة المنظر) ولقد راجعت في كتب أمهات اللغة كالصحاح واللسان والقاموس وشرحه فلم أَرهم ذكروا ان القوس توصف بكونها (مسخرة) فن ابن جاء المؤلف النووي بهذا الوصف ؟ وبعد انعام النظر تبين لي ان المؤلف تصحّف عليه (الفرس) (بالقوس) فان صفة (مسخرة) انما هي من صفات الفرس لا من صفات القوس : جاء في الصحاح (فرس مسخرة حسنة المنظر) وفي اللسان (جاء الفرس مسخرة اي حسن الحال والاثى بالهاء نقول جاءت فرس فلان مسخرة اذا كانت حسنة الحال حسنة المنظر) ومثّل ذلك في القاموس وشرحه . ومسخرة من (السخرة) وهي الحياة والحال . فعّد المؤلف (مسخرة) في صفات القوس خطأ ناشئ عن شحرف كلمة الفرس بالقوس .

وفي ص ٢٣١ س ١٤ قوله : ('جتماع سهم مدور الرأس بتعلم به الصبي الرمي)
صوابه (جراح) بالحاء المهملة لابلعين وقد ذكرت صواباً في الصفحة التالية سطر ١٧ .
وفي ص ٢٤٢ من ١٧ :

(مضاعفة بغشى الأنامل ربعها كأن قنبرها عيون الجنادب)
هذا البيت غير مستقيم الوزن ولعل أصله هكذا :

(مضاعفة بغشى الأنامل ربعها قنارها تحكي عيون الجنادب)

و (القنائر) جمع قنبر كما في التاج و (القنبر) رؤوس مسامير الدرع .

وفي ص ٢٤٧ من ٣ قوله في صفة الرمح : (له النسب العالي في المعالي والمُرَّاث)
صوابه (العوالي) مكان (المعالي) وهي من أسماء الرماح لتزواج (المُرَّاث) فانها من صفات
الرمح اي ان ذلك الرمح اذا أُسب كان سيف الذروة من أنساب الرماح اما (المعالي)
فلا تلتئم بالمُرَّاث على انها من صفات الناس لا من صفات الرماح .

وفي ص ٢٤٧ من ٩ قوله في صفته ايضاً : (اذا توغل في هامة الجبار سار وأوجف .
ومتى استوطن جثة الجرم أوهى مبانيتها وأشرف) صواب (الجرم) (المجرم) للقبال الجبار .
وصواب (أشرف) (أسرف) بالسين المهملة اي جاوز الحد وأفرط .

وفي ص ٢٦٦ من ٢ قوله : (كان الفرس) صوابه (كان ملوك الفرس) بدليل قوله
بعد في الاخبار عنهم (وكانوا ينصبون لذلك » اي للنظر في المظالم » بانفسهم في ايام
معلومة لا يمنع عنهم من بقصدهم فيها) وهذا من شأن الملوك كما هو ظاهر .

وفي ص ٢٧٠ من ٨ (فاذا نظر في المظالم من انندب لها) ضُبط (انندب) بالبناء
للجهول . وصوابه ان يبنى للمعلوم : اذ يقال نَدَبَه فانندب فهو مطاوع لازم ولم يحى .
انندبه متعدداً حتى يصح بناؤه للجهول .

وفي ص ٣٠٦ س ١٤ قوله : (بتصوير ذوات الأزواج) صوابه ذوات
الأرواح وهو ظاهر .

المقرب



الموازنة

بين الالهوبة الالهية ورسالة الغفران

— او —

بين ابي العلاء المعري ودائتي شاعر الطليان

= م =

ولما كنت أوضحت اعتقادي في الشيخ ابن القارح ايضاً ، فلا بأس من تعريزه في هذا المقام .

قال ابو العلاء في نضاعيف جوابه : واما شكواه اليّ فاني وإياه لكما قيل في المثل « والشكلى تعين الثكلى » كلا نابعاً من الله . مُضِلٌّ فعلى من نحمل وعلى من نُذِلُّ ثم انه لم يترك اسم ملحد او زنديق في الخضرمين والاسلام الا ذكره له مع أبيات او قصائد هي أبلغ ما قالوه في عقيدة كفرهم وإلحادهم ، ثم قال بعد ذلك : ولم يزل الإلحاد في بني آدم على مرّ الدهور . . . وبعض العلماء يقول ان سادات قریش كانوا زنادقة وما أجدرهم بذلك وقال شاعرهم يرثي قتلى بدر :

(أَلَمَتْ بِالْتَّحِيَةِ امْ بَكْرِيَةِ خَفِيَتْوا امَّ بَكْرٍ بِالسَّلامِ)

(الى ان يقول :) (الا من بلغ الرحمن عني باني تارك شهر الصيام)

(أَيْوَعِدُنَا ابْنُ كَبْشَةَ انْ سَفَحِيَا وَكَيْفَ حَيَاةُ اصْدَاءِ وَهَامِ)

(أَنْتَرَكْ انْ تَرَدَّ الْمَوْتُ عَنِي وَتَحْيِيْنِي اِذَا بَلَيْتْ عِظَامِي)

ثم يقول : ولما أجلى عمر بن الخطاب رحمة الله عليه اهل الذمة عن جزيرة العرب ، شق ذلك على الجالين ، فيقال ان رجلاً من يهود خيبر يعرف بسمير بن ادا كن قال في ذلك :

(يَصُولُ اِبُو حَفْصٍ عَلَيْنَا بِدِرَّةٍ رَوَيْدُكَ اِنْ اَلْمَرْءُ يَطْفُو وَيَرْسِبُ)

(كَأَنَّكَ لَمْ تَنْتَبِعْ حَمُولَةً مَاقُطٍ لَنْتَشِيْعَ اِنْ اَلزَّادُ شَيْءٌ مَحَبَّبُ)

(فَلَوْ كَانَ مُوسَى صَادِقًا مَا ظَهَرَ تَمُّ عَلَيْنَا وَلَكِنْ دَوْلَةٌ ثُمَّ تَذَهَبُ)

(وَنَحْنُ سَبَقْنَاكَ اِلَى الْمَيْنِ فَاعْرِفُوا لَنَا رَتْبَةَ الْبَادِي الَّذِي هُوَ اَكْذَبُ)

(مشيتم على آثارنا في طريقنا وُبغيتكم في ان تسودوا وأُرهبوا)
وكقوله بعد ذلك : واما غيظه على الزنادقة والمخدين فأجره الله عليه كما أجره
على الظالم في طريق مكة واصطلاء الشمس بعرفة ومبيته بالمزدلفة . . . وكثير مثله
قبله وبعده .

فاذا نظر الناقد في ما تقدم بعين لا يطرأها الرياء ، وحكم رأياً لا لتجاذبه الاهواء ،
يجد لامندوحة عن القول معنا في مذهب الشيخين ، وقد ورد في الامثال السائرة : من
أحب شيئاً أكثر من ذكره : وهذا هو شأن أبي العلاء في هذه الرسالة وسواها .

ونرجع الى الكلام عن الرسالة ، فان أهم ما يُنقد عليه فيها ، حشوها بلفظ كثير
من غريب اللغة وعوبها ، حتى يحتاج العالم معه الى مراجعة المعاجم الكبيرة ، وقد
يفسر بعض اللفظ في خلال الجملة ، مما يفقد الكلام كثيراً من فكاهته ، على اننا
ننقد على الرجل صنعه ونحن في القرن العشرين ، وبيننا وبينه عشرة قرون ، وانت
لست تجهل ان لكل عصر طريقة من التعبير ، وضرباً من الانشاء بألفها اهله ، كما
أوضحنا ذلك في غير هذا البحث ^(١) . ثم ان الرسالة أنشئت لغرض مخصوص فلا يتكر
على منشئها إغرابه فيها وكلها عجيب في عجيب وكأنه قصد فيها المشاكلة التامة .

اذ لما كانت المخاطبة في أغلبها مع شعراء الجاهلية ، فقد لا يخطئ الظن اذا قلنا
انه أراد ان لا يكون لفظه بعيداً عن الفاظهم ، لاننا نرى شعره في سقط الزند بل في
نفس اللزوميات ، من أكثر شعر ذلك العصر وضوحاً ، مع انه مقيد بالوزن والقافية
ولزوم ما لا يلزم وحصر المعنى في جمل محدودة ، وقد يكون أراد الإفادة بذكر الكلم
العويص وتفسير أكثره كما فعل ، وانت تعلم ان معاجم اللغة (وقد كانت قليلة
جداً) وكتب علومها ، لم تكن متيسرة لاكثر محبي العلم وطلابه في تلك القرون .

وعلى الجملة فان الرسالة قد جمعت من بدائع الابتكار ، وبدائه الخيال ، ودقائق
التصور ، وغرائب التشخيص ، ومحاسن التصوير ، ولطائف الانتقال ، ورائع المنظوم ،
وإشارات الى كثير من العلوم والفنون والاستقصاء في شاذ اللغة وغريبها ، والتجرب

(١) انظر كتابنا منهل الوراد في علم الانتقاد .

في عقباتها ورحيبتها ، طائفة وافرة ، وفوائد باهرة ، فلا تكاد تنتهي من حسن حتى يبدو لك ما هو أحسن ، ولا تمر بفكاهة حتى تقع على ما هو أطيب منها وأفكه ، ولا بغريبة حتى تقرأ ما هو منها أغرب ، فلا بدع اذا ما تناقلها الركبان وتهادها أهل كل زمان ، وبانت حلي الاذان في كل مكان .

ولا ريب في شيعة رسالة الغفران منذ عهد مؤلفها وتداولها بين أهل المغرب ، ولا سيما أهل الاندلس ، وكانت يحكمها لذلك العهد ، ملوك الفضل وبدور السعد بنو عبّاد ، ثم حكمها بعدهم يوسف بن تاشفين قال التميمي في تاريخه « فأنقطع الى أمير المسلمين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم واجتمع له ولائسه من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار » وذكر أسماء طائفة كبيرة من الأعلام .

ثم حكمها بنو عبد المؤمن قال التميمي في كلامه عن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن « ولم يزل يجمع الكتب من أقطار الاندلس والمغرب ويبحث عن العلماء وخاصة أهل علم النظر الى ان اجتمع له منهم ما لم يجتمع للملك قبله من ملك المغرب . وكان من صحبه من العلماء المتقنين أبو بكر محمد بن طُفَيل أحد فلاسفة المسلمين ، قرأ على جماعة من المتحقيقين بعلم الفلاسفة ، منهم أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجه . . . ولم يزل أبو بكر هذا يجلب اليه العلماء من جميع الأقطار . . . وهو الذي نبهه علي أبي الوليد محمد بن رشد . . .

فإذا علمت ذلك ان مؤلفاته ومؤلفات من سبقه من كبار فلاسفة العرب ، قد ترجمها الى اللاتينية او الى العبرانية ومنها الى اللاتينية علماء اليهود من العرب في الاندلس ، وان الاندلس كانت منذ وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٩١٢ م (سنة ٣٥٠ هجرية) منتجع العلوم ومحط رحال العلماء من كل صقع ، وكانت لا يظهر كتاب علم اوديان شعر لتأبقة من نواحي العرب في المشرق الا تهاداه اكابر الاندلس وعلمائهم واستنسخوه وتداولوه ، واذا علمت ان الامم الافرنجية كانت تأخذ العلوم عن اسلام الاندلس منذ القرن العاشر ، اي قبل وفاة أبي العلاء بخمسين سنة . قال في موسوعات العلوم الفرنسية الكبيرة ما نعر به :

قد عرف أم أوربا يومئذ « اي عند محالطتهم عرب الاندلس » أن من كانوا يزعمونهم بربراً ، هم أرقى كتباً في المعارف من أوربا المسيحية ، وأنه يجب الإقرار طوعاً أو كرهاً ، بأن العرب كانوا يعرفون فنون السلم كعرفتهم فنون الحرب ، وأن مدرسة قرطبة التي طبقت شهرتها الآفاق ، قد تخطت بغاية السرعة جبال البيرينية ، فسار إليها أحد الشمامسة من أهالي أوفيرن وهو المدعو جيريير ، فأخذ العلوم عن الاسلام ولم يكن ذلك ليصدّه عن الارتقاء الى عرش البابوية باسم سيلفستر الثاني ، ثم قام بعده بثلاثة قرون باكون أحد مشاهير العلماء في القرون المتوسطة فتصح وافر النصح بتعلم اللغة العربية بعد ان درسها هو . ومن أقواله المأثورة : ان الله يجب الحكمة لمن يشاء ولم ير ان يهبها لللاتين وان الفلسفة لم تكمل منذ أقدم العصور الا على دفعات ثلاث ، وذلك عند العبرانيين ، واليونان ، ثم العرب : وفيها ايضاً . ثم قام بعده ببرهة من الزمن البابا ألكسيندوس الخامس فأمر بتدريس العربية في مدارس باريس واكسفورد وبولونيا وسلامنك ، ومما لا ريب فيه انه كان قد ترجم كثير من الكتب العربية وانما الضعف اخذ بمخنة فتعاورتم الاغلاط ، لانها ترجمة عن اصلها ترجمة حرفية دون تضلع من العلم او خبرة في النقد ، وذلك بان يضع المترجم الكلمة اللاتينية تحت اللفظ العربي ، وعندما كان يفوته فهم الاصل العربي ، كان يدعه دون ترجمة ، وكم من كتاب نشر باسم استاذ في احدي المدارس يومئذ ولم يكن له فيه سوى اسمه ، بيد انه وجدت كتب أخرى كان حظها من حسن الترجمة أوفر ، وتلك باقلام بعض مناصرة اليهود . . . وقال بعد ذلك : فقد رأيت كم كانت أنوار المعارف التي أنارت المشرق شديدة الضياء ، وان ما وصل منها الى عالمنا الغربي ، لم يكن الا شفقاً من ذلك النور ، اذ انه لم يصل اليها الا عند تراجع العرب والمخطاطهم واضمحلال دولهم : انتهى محصل ماورد في الموسوعات الكبيرة المذكورة .

فاذا علمت ذلك كله ، ان يبقى في نفسك سبيل الى الشك في ترجمة رسالة الغفران في جملة الكتب الى اللاتينية . وقبل ان نرى في الموازنة بين رسالة الغفران والألعبوة المشهورة بالألعبوة الالهية لدانتي شاعر الطليان ، يجدر بنا ان نلم شيئاً من ترجمته كما فعلنا ببسط شيء من ترجمة المعري للموازنة بينها .

ولد داني اللجيجري في مدينة فلورنسا سنة ١٢٦٥ أي بعد وفاة أبي العلاء بمئتين وثمان سنين ، ومات سنة ١٣٢١ في السادسة والخمسين من عمره ، ولم يمر على وفاته خمسون سنة حتى تداخلت ترجمته الخرافات ، وتعاورتها ألسن الجماعات ، ثم لم تزل تلتف وتلكأ ككرة الثلج حتى أواخر القرن الخامس عشر .

غير أن ذلك لم يقف في طريق المحققين ، فقد بحثوا ودققوا وأطالوا الاستقصاء ، فأماطوا الاستار عن كثير من أحوال الرجل ومزقوا برافع الخرافات ، التي نسبها إليه الرواة ، حتى عده العامة بعد وفاته ببضع سنين ، في مضاف الأولياء ، وجعلته بعضهم في منزلة الشياطين .

وجملة خبره أنه من أسرة لها في وطنها مقام معروف وإن لم تكن عريقة في الجود ، وقيل أنه تجند سنة ١٢٨٨ للدفاع عن وطنه وحارب فبين حارب من قومه ، وأهم حوادث شبابه كان عشقه الذي خلد تذكاره في شعره المعنون بـ « الحياة الجديدة » .

وفي سنة ١٢٩٥ تزوج وولد له ولدان وبناتان في سبع سنين ، وعقيب زواجه اشتغل بالسياسة ووجه إليها كل قواه تابعاً لحزب أسلافه ، ولم ينل منصباً سامياً كما جاء في الروايات التي نخلت بها ترجمته السائرة :

فسطاكي المصنوع



كتاب المنذر

هو كتاب لطيف الحجم غزير المادة وضعه الاستاذ الشيخ ابراهيم المنذر في نقد بعض أغلاط الكتاب الواردة في منشورهم ومنظومهم وألحق به اقتراحه بشأن انشاء مجمع علمي لغوي في جمهورية لبنان وجميع مانشره الكتاب في صحف بيروت تأييداً له او تنقيداً لرأيه وقد قدم كتابه هذا الى المجمع العلمي العربي بمناسبة انتخابه عضواً فيه . فالجمع تقبل ذلك منه شاكرآ له وقد رأى ان ينشر القسم الذي يتعلق بنقد الاغلاط من ذلك الكتاب في مجلة المجمع لما فيه من الفائدة لابناء الضاد .

من عثرات الأقلام « مداركةُ الخطر وملافاةُ الامر ومنسالةُ الطعام ومعاطاةُ المهنة ومظاهرةُ الشعب ومقاضاةُ الدين » .

ولا يقال (فاعل) في ذلك بل (نفاعِل) والصواب في المصدر تداركُ الخطر ونلافي الامر ونناول الطعام وتعاطي المهنة وتظاهر الشعب ونقاضي الدين . « راق له وأمكن له وتعهد له وشكا منه وحرمة منه واعتاد عليه وتعود عليه وأمضى عليه ووقع عليه وعلا عليه وساد عليه وفاق عليه وأدمن عليه وامل به ومسن به والنقي به وقبل به وحدا به وازدرى به وباشر به واعتقد به وكفه به » .

وكل ذلك خطأ لأن هذه الأفعال تعدى بنفسها لا بالحرف فيقال راقه وأمكنه وتعهد^(١) وشكاه وحرمه اياه واعتاده وتعوده وأمضاه ووقعه وعلاه وساده وفاقه وادمنه وامله ومسه والنقاء وقبله وحداه وازدراه وباشره واعتقده وكفه اياه . « وصله وورده الكتاب وأهداه وسلمه واداه الشيء واحتاجه ورغبه ورجاه وفوضه بالامر » .

والصواب : وصل اليه وورد عليه وأهدى اليه وسلم اليه وادى اليه واحتاج اليه ورغب فيه ورجا منه (الشيء) وفوض اليه الامر .

(١) اي يفقده واذا شاء المجالفة فيقول : عامده على كذا .

« خطب مربع وحادث مرعب وطعام مقيت وخبر مسرّ وأنا مشعر به »
والصواب : رائع (ومروّع) ورابع وقائت وسارّ وشاعر .

« اشهار السلاح وإملاء الفراغ وإهاجة الخواطر وإنهاك القوى وإحناء الرؤوس
والفات الانظار » والصواب : شهر السلاح ومل الفراغ وهياج الخواطر ونهك القوى
وحنو الرؤوس ولقت الأنظار . لانه متعدي بنفسه مجرداً لا بالهمزة .

« نقدير الفضل وتوقيف المجرم وتصليح المختل وتشكيل الدولة »
والصواب : قدر الفضل ووقف المجرم واصلاح المختل وتنظيم الدولة .
« انعكف واندحر واندesh واندهل واندخل وانطرح وانشغل »
والصواب : عكف ودحر ودهش وذهل وذخل وطرح وشغل بالجهول .
« افتهم واخشنى واقتبل واحترار » ولم يسمع افتمل من هذه الأفعال .
والصواب : استعمال المجرد منها ، فهم وخشي وقبل وحر .

« مُلام ومُساق ومُصاغ ومُرام ومُحاك ومُعاق ومُصانث ومُقال ومُساد —
ومهاب ومُشاد ومُقاس ومُخاط ومدان ومُباع » بضم الميم . والصواب : مَلام ومَسوق
وَمَصوغ ومَروم ومَحوك ومَعوق ومَصون ومَقول ومَسون (سيف الراوي) ومَهب
وَمَشيد ومَقبس ومُحيط ومَدين ومَبيع (في البائي) بفتح الميم في الجميع .

« نصوح وجلود وشقوق وصبوح ورحوم (من الرحمة) وطموح وعقوق وورث
ووفير ونعيم وعذب (بفتح فكسر) . والصواب : نصيح وجليسد وشفيق وصبيح ورجيم
وطائح وعاق أو عُمق (بضم ففتح) ووارث ووافر ونغم وعذب (بالسكون فيهما) .

« غيور وصبور وشكور وفنوع وعجل وغدور وجسور » بالجمع : غيورون
وصبورون الخ . والصواب : جمعها على فعل (بضمين) لان وزن فعول بمعنى الفاعل يستوي
فيه المذكر والمؤنث ولا يجمع سالماً بل مكسراً : غيور وصبور وشكور وقنع وعجل وغدر وجسر .
« نوايا وقرايا وقهاسر وعوائد وحوائج واوامر وفعائل وخصائل ونسائم »

ومشايخ^(١) ونواد ووديان وعربان « جميع نيه وقرية وقهوة وعادة وحاجة وامر وفعل
وخصلة ونسمة وشيخ ونادر وواذر وعرب . والصواب : نيات وقرى وقهوات وعادات
وحاجات وامور وفعال وخصال ونسماث وشيوخ واندية واودبة واعراب .

« مخابرة الجريدة ومداخلة الاجانب ومداولة الحديث ومكافئة القوم ومبارحة
الديار ومداهمة الحوادث » . والصواب : مفاوضة الجريدة وتدخل الاجانب ومبادلة
الحديث ومعاونة القوم او مكافئتهم (بالنون) وبراخ الديار ودهم الحوادث (من المجرد فيهما)
« استنقل ، استعد ، استحق ، اغتر ، احتج ، احتل ، استبد ، استرد ، استدل »
عند اتصاله بضمير الرفع المتحرك : استقلبت واستعدت واستحققت الخ .
والصواب فك الادغام كالمجرد فيقال : استقللت ، استعددت ، استحققت ،
اغتررت ، احتججت ، احتللت ، استبددت ، استرددت ، استدلت .

« نجالة المرء ، تماسة الحظ ، فداحة الخطب ، حراجة الموقف ، طياشة الصبي ،
نقاها المريض ، خطارة الداء ، دماسة الطعام ، بهاظلة الضرائب ، ضمانة الحياة » .
وكل ذلك خطأ والصواب نجل ، نعس ، فدح ، حرج ، طيش ، نقس ، خطر
(اوخطورة) ودسم ، بهظ ، ضمان .

« رسم الدخولية ، جرم اللصوصية ، قوة الشبوبة ، سوء المفهومية ، قانون المنزوعية ،
وقوع المغدورية ، فرط المحسوبة ، حكم المشروطية ، شدة المسؤولية » .

(١) مشايخ (بالياء) جمع مشيخة ومشيجة جمع شيخ واوامر بالمعنى المعروف جمع
(آمرة) وهي مصدر ايضاً لا جمع امر في الاصح اما جوائج فقد ورد استعمالها قديماً
كقول الشاعر :

(نهار المرء امثل حين يقضي حوائجه من الليل الطويل)

وهو شاذ نادر كما شذت (شذائد) و(ضرائر) جمع شدة وخبرة لان فعلة
لا تجمع على فعائل .

والصواب : رسم الدخول ، جرم السلب ، قوة الشبيبة ، سوء التفاهم ، قانون المنع ، وقوع الغدر ، فوط الدالة ، حكم الدستور ، شدة التبعة (بفتح فكسر) .

« مكائد ، مضائق ، مخائل ، مصائف ، مصائد ، معائب — ومغائر ، منائر ، مفائر ، منائح » . والصواب : مكائد ، مضائق ، مخائل ، مصايف ، مصايد ، معايب — ومغاور ، ومناور ، مفاوز ، مناوح (بالياء في الاولى والواو في الثانية لانها أصلية) وشذت مصائب (والاصل مصاوب) حتى قيل ان همزة مصائب من المصائب .

« حضرات الاعضاء من ذوات البلاد » والصواب : حضرة الاعضاء من أعيان البلاد — لان للاعضاء جميعاً حضرة واحدة ولا معنى للذوات هنا .
« في ذات الجريدة وذات العدد ولذات الكاتب ايضاً » ولا يؤكد بالذات بل بالنفس والعين وذلك بعد الاسم المؤكد لا قبله . والصواب : في الجريدة نفسها والعدد نفسه وللكاتب نفسه ايضاً . قال ابن مالك .

(بالنفس او بالعين الاسم اكداً مع ضمير طابق المؤكداً)
وكثيراً ما يكتبون (عامود) بالالف على وزن (فاعول) ويجمعونها على (عواميد) مثل خازوق خوازيق — وكأنهم جمعوا بينهما بالوزن قياساً على وجه الشبه بينهما (بالطول) في حين ان عمود على وزن (فعول) وجعلها عموداً وأعمدة .

(مخابرات الجريدة باسم صاحبها ورئيس تحريرها) مكاتبات او مفاوضات الجريدة باسم صاحبها ومنشئها او رئيس كتابها .
(النوييه بخطه مجلنتنا) يقال نوتّه به اي رفع ذكره وعظمه ولعل المقصود : التصريح بخطه المجلة .

(مافي هذا المقال من المعائب) المعائب بالياء لانها أصلية .
(من أدباء هذه البلاد) هذا البلد — لانه مذكر (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه) .

(صوت دوى في الارحاء) لم يستعمل العرب دوى الثلاثي بهذا المعنى بل استعملوا الدوي وهذا من نواتص اللغة التي يجب ان تصلح .
 (يقرب الام الى بعضها) يقرب الام بعضها الى البعض الآخر .
 (وليقل القسس مايشاؤون) القسس لان وزن فعل بالفتح لا يجمع على فعل (بضمين)
 (من غير ان يؤذي احداً او يسيء مخلوقاً) يسوء مخلوقاً او يسيء الى مخلوق .
 (يعهد اليه ما سوى ذلك) يعهد اليه في ما سوى ذلك .
 (الجيد المحفوظ من الاول أقل بكثير من الجيد المحفوظ من الثاني) لا معنى الكلمة (بكثير) هنا ولا توصف القلة بالكثرة وهي من تعابير العامة والصواب : أقل جداً او قليل جداً بالنسبة الى الجيد المحفوظ من الثاني .

(أعاب ذلك عليهم) لم يسمع وزن أفعل من هذا الحرف والصواب عاب الثلاثي .
 (اذا كانت العروض مفيدة او غير مفيدة) اذا كانت العروض مفيدة لانها مؤنثة ، واذا قصد بها علم العروض فيجب ذكر (علم) لانه لا يقال اذا كانت الفلسفة مفيدة على تقدير علم الفلسفة .
 (كما وان المصور الايطالي) كما ان — بحذف الواو .
 (احد المتضامين في هذه اللغة) المتضامين من هذه اللغة لان تضلع معناه امتلاء وهو يتعدى بمن .
 (سيما ما كان منها ترجماناً) ولا سيما . ولا يجوز استعمالها بدون لا .
 (يعرف المتشعر قيمة السنن) المتشعر لانه يقال اشترع لا تشرع .
 (عسى داعي اللقاء موجباً شكري) استعمال خبر عسى اسماً مفرداً غير وارد الا شذوذاً . والصواب يوجب شكري .
 (واثناهما بين يديه) لاتصح هذه الاضافة في الاثنين ولم يتجىء في الاستعمال .
 والصواب وكلاهما بين يديه .
 (الديوان الواقع في اربع مجلدات) اربعة مجلدات — لان المفرد مذكور .

(يسير بسرعة على رغم كثرة العقبات) على كثرة العقبات او مع كثرة العقبات — يحذف رغم .

(لاحظنا على انكاتب قوله) اخذنا انكاتب بقوله .
(وتبقى تلك الاساءة درةً ثقيلاً بنوء تحته ابناء البلاد) . لا معنى للدرء هنا والصواب عبثاً ثقيلاً — اما الدرء فهو العوج .

(لتحصيل اودهم) لتقوم اودهم — لان الاود معناه الاعوجاج وهو يقوّم لا يحصل .
(من يطعمه ويكسيه) ويكسوه (بالواو) واستعمال الرباعي منه غير فصيح .
(يعتبرني الكلال أحياناً) الكلال وزن فعال ولم يسمع المصدر (فعل) بفتحتين من كل .
(لتجارب بالهناك سراق الغابة) السراق مفرد مذكر وهو الفسطاط الذي يمد فوق هجن البيت ولا يصح معناه هنا والصواب : لتجارب بالهناك جوانب او اصداء الغابة .
(سمع هذا القول فلم يمالك نفسه) فلم يملك نفسه او فلم يمالك — يحذف (نفسه) لانه لازم .
(فاقت سورة الفرح فيه حدة الغضب) : سورة بالواو وهي الشدة والعلامة اما السورة (بالهمز) فهي البقية من الشباب .
(ورجا قرينه ان تذهب) ورجا من قرينه ان تذهب — لان رجلا لا يتعدى الى مفعولين بل يقال رجلا شيء من الشخص .
(على ما ذكرنا في الصحيفة السادسة) في الصفحة السادسة — لان الصحيفة تطلق على الورقة كلها اي الصفحتين السادسة والسابعة معاً .
(ما اعتلى منبر الخطابة الا وقتن العقول) : الا فتن العقول — يحذف الواو وقد ورد مثل ذلك للبغدادى حيث يقول :
(ما آب من سفر الا وأزعجه عزم على سفر بالرغم يزعمه)
والاولى الا أزعجه .

(ما فيه من سذاجة وبساطة) : حبذا لو حذف (سذاجة) لان ما بعدها يعني

عنها وهي كلمة غير عربية ومخالفة لفصاحة المفرد بثناف حروفها (سذاجة وساذج وسذّاج)
فلا يستقيم لفظها .

(ليس ذلك بصعب المفهم) : الفهم بدل المفهم — لانه لم يسمع وزن افتعل
من هذا الحرف .

(انهكتها الشيخوخة) نهكتها — من الثلاثي — ومعنى أمكن استعمال الثلاثي
فصيلاً فلا يعدل عنه الى غيره .

(ترغي البرود وتزبد الرعود) لا تصح هذه الاستعارة والصواب تومض البروق
وتعصف الرعود .

(ضم الى جنبه مصراعي الباب وتأبط بهما) : وتأبطهما — لانه يتعدى بنفسه .

(سهي عن بالي دفع المال) : سهوت عن دفع المال .

(والناقد بذاته نسب اليه ذلك) : بنفسه او بعينه .

(طبع على نفقة الجريدة) : انققت الجريدة على طبعه — لان الاتفاق يكون

على الطبع لا الطبع على الاتفاق . ولو قيل : طبع بنفقة الجريدة = لصح .

(بين معاطاة راح ومداعبة ملاح) : بين تعاطي راح — لان وزن (فاعل)

من هذا الحرف لا يتم به المعنى المراد . « للبحث صلة »
ابراهيم المنذر



تبدل الحياة البيئية

« في الشرق الاقصى ^(١) »

هاهي ذي رائحة الإصباح تملأ فضاء الشرفين الأدنى والأقصى ، ولكن الحياة فيها
تتغير بالرغم من ذلك تغيراً بطيئاً . ان انتشار الفكرة القائلة بلزوم التغير انتشاراً واسعاً
سيؤدي حتماً الى حدوثه ولكن الى اي حد ينتهي ؟ وفي اية ناحية يسير ؟ يسبح مفكرو
الشرق في الاقطار الغربية ويعكفون على مطالعة كتب الغرب ويبحثون في كل مكان
رجاء ان يكشفوا أسرار الرقي والعظمة والفلاح .

« الطائر الازرق » عنوان قصيدة لمارتينيك الشاعر البلجيكي الذائع الصيت جاء
فيها ان ولدين راحا يبحثان عن (طائر السعادة الازرق) فاخذتا يتنقلان في الأمصار ،
فلم يبلغا قطراً الا قيل لهما انه طار الى قطر آخر . قاما بدورة حول الارض ، فوجدا
نفسيهما أخيراً في موطئها دون ان يعثرا على الطائر . واشد ما كانت دهشتها حين
دخلتا بيتها ووجداه يرفرف مغرداً قرب مدفأتهما . كثيراً ما عن لظاطري ان هذه
الحكاية صادقة تنطبق كل الانطباق على كل ما نصبو الى امتلاكه من الاشياء العظيمة
الصالحة التي ننقطع في البحث عنها مسافات شاسعة على حين هي قريبة جداً من ايدينا .
انن الشرقيين ننظرون الى الغرب طلباً للرقي والنجاح ، والنجاح التمام ليس في
تقليد كن الغرب بل في تمسككن بالقديم الصالح . عليكن ان ننظرن الى غرب أبعد
— الى اليابان والصين — حتى الى الهند — واذا استأنفتن ارمال الطرف الى غرب
أبعد فأبعد وجدتن انفسكن أخيراً هنا ايضاً !

ان اميركا بسبب ما بذلته من الجهود الكثيرة في اكتشاف الحقائق العلمية والقواعد
الصالحة في التربية والتعليم تدخر لكن مثائل نافعة نقدر ان نفيدكن بها . ولكن في

(١) المحاضرة التي ألقتها الادبية الآنسة فروسين درويك سمحت في ردهة المجمع
العلمي بطلب من رئيسه وترجمتها الفاضلة الآنسة ماري عجمي صاحبة مجلة العروس
للسيدات المحاضرات فقرة اثر فقرة .

تقليد كن إياها في بعض الامور — في الجود والرفه والاعسراف في القوى — خطراً عظيماً عليكن . ان نجاحها نشأ من غزارة مواردها الطبيعية الفياضة فيضاً لا يعتريه نقص ولا وفي . وقد أثرت مزايا الامير كهن هذه في نفوس الغرباء عنهم تأثيراً بالغاً على حين ان العالم القديم يعجز عن مجاراة العالم الجديد في التدبير ، او يكون تقليده إياه سائقاً له الى هاوية الهلاك .

مع هذا ان ماذكرت من مزايا اميركا لم ينقرر عقم فائدته بعد نقر يرأنها تيساً ، لان اميركا جديدة لم تعد بعد طور التجربة ، ولكن يقال ان مصير أبناء الغني الى الفتور وقعود الحمم . وهذا رأي له معنى خاص في هذه البلاد جريباً على رأي من قال ان احسن مزايا العرب نتيجة تأثير فقر جزيرة العرب وشح الماء فيها وأشعة الشمس المحرقة وجذب الصحراء الجائر ، فالأهم باخلاقتها وليس من ثروة حقيقية لبلاد غير أخلاق سكانها .

لو استطعتن السياحة في انحاء المعمور ، لو استطعتن اتفاق الاعوام العديدة في استقراء كل حضارة وجدت واشتهر امرها في العالم ، لكنت واثقة من انكن ستتمين الى ان سبب تقدم تلك الحضارة والتأحية التي سلكتها للوصول اليها لم يبقا على وفرة صادراتها وغزارة مواردها وتدفق أنهارها اوسعة طول هذه الانهار وعرضها لم يبقا على مقدار ما في مستودعاتها من الزيت والحديد ، بل على أخلاق تلك الامة ، على وفرة من فيها من رجال ونساء رفعوا لواء العدل والتساهل والشرف عالياً !

لذلك كان شطر النساء من الاشتغال في تقدم حضارة البلاد جليل القدر لان كونهن أمهات قد جعلن ربات القبول الاول والاخير في تكيف أخلاق ابنائهن . ينفق الرجل معظم أوقاته خارج البيت سائحاً باحثاً عن المبتكرات ، وينفق المرأة معظم اوقاتها في البيت في تربية أولادها وتشجيعهم على الامور الصالحة وحثهم على التمسك بالقديم ، واني ولئن كنت أمتني ان لناس لكن السياحة فلا أجد في طوقكن وانن أمهات اتفاق الزمن الطويل عليها ، اذن تكون الأموية هي العامل في صيانة النظم والعادات القديمة التي ثبت نفعها بالتجربة والتي من شأنها تهذيب الاخلاق ، واذن تكون الابوة هي العامل في التغيير والابتكار . فاذا قدرتن ما في الشرق من صلاح قدره ، ووفيته حقه من

الاخلاص والاحتفاظ به ، ادخرتن لبلادكن مستقبلاً عظيماً وخدمتن العالم خدمة جليلة .

اجد في ميلاً للاعتقاد بان في ارسالكن ابنائكن لطلب العلم في الافطار الغربية شططاً فاحشاً . فان طلبة العلم في الصين يعودون الى بلادهم ليجملوا أعلاها سافلها ، لقد أحدثوا اضطراباً في جو الحياة واضرموا وقوداً جديداً من شأنه ان يزيد عثار الامة وكبوتهما بدلاً من إخماد ثورتها ، ولو جمع الصينيون المال الذي بنفقونه على تعليم اولادهم في الغرب اربع سنوات ، لكان المجموع كافياً ان يستأجروا به أمر اساتذة العالم ، ولصار التعليم اكثر ملائمة واتم انطباقاً على حاجة الصينيين وأقوى على حل مشاكلهم . اما والحالة هذه فان الطلبة يعودون من الغرب محارلين اطراح كل قديم ، فمثالهم في ذلك مثل من يضرب الجدار الحجري برأسه وحين يبدو لم عجزهم عن تغيير الحالة ، يقعون من جرائها في يأس شديد وينقطعون الى التراخي . معرضين عن كل انواع الجهاد . ان في الشرق مثانة راسخة لا يتزعزع عنها . ان فيه توازناً شديداً لا يدرك له مدي . استمر عصوراً عدة فليس في الامكان ان يتغير سريعاً . وليس في الامكان ان يقلد اميركا بأسرافها وإفراطها .

لقد كنت في قلب الصيني آية ارسطو الذهبية طويلاً تلك الآية التي سادت ايضاً سائر انحاء العالم القديم وهي عليك بالاعتدال في كل الامور ، فانه اقرب السبل الى بلوغ الكمال — لقد تمكنت في نفس الصيني هذه الآية حتى لا تستطيع قوة ان تشن الغارة عليها . والحق ان ليس ثمة من قوة تقدر ان تحدث تغييراً سريعاً في جوهر الآداب الصينية . هما يكن من الجهد المبذول ، ومهما يكن شأن الوسائل التي يتذرعون بها . لقد اخذ الشباب الصينيون بمهاجمة جوهر آدابهم بضربونه ذات اليمين وذات اليسار ، فأفضت مساعيهم الى عاقبة جديرة بالاعتبار ، لقد كان تقدم نظام العائلة القديم امر ماهاوا من النقد . فشوشوا حالته ، وشددوا عليه النكير ، فاضطرب جو العائلة ، فنج من جراء ذلك استحالة ترقية روح الاستقلال واحترام النفس اللذين هما من أزم الصفات لمن يريد ان يعيش تحت لواء الحكم الديمقراطي . فنش الامر على آباءهم الذين رأوا ابناءهم يعيشون كالنبات الذي يمتص غذاء غيره وصعب عليهم اعادة

السكنية الى نصابها ، وبعبارة أخرى ان نظام الأمرة بما فيه من روح الأنفة ، التي هي أضمن للنسل والشرف ، قد تزغزع بعد ان كان هذا النظام في الصين ثابتاً ثابتاً وطيداً عجباً كننا نرى معه مملكة الصين المؤلفة من ٤٠٠ مليون نسمة عائشة تحت نظام يضارع أحسن النظم مع انها في الواقع خالية من حكومة ، وكان من شأن تلك الحركة التي أثارها الشبان ان فترت العزائم ، وادى ذلك الى الغاء كثير من اعمال البر .

لقد اخطأ القائلون ان عبودية المرأة واعتبار كونها دخيلة على الرجل صدرت من الشرق . ما من خطأ يستطيع ان يحجب الحقيقة او يقدر على نفيها . لقد نشأ هذا الاعتقاد في كل انحاء العالم — اثر طرؤه احوال مختلفة — فليس هو حقيقة اهتدى اليها الانسان بالفطرة ولا هو حقيقة لانه انتشر بين القبائل التي تعيش على الفطرة . تلك القبائل التي ندعوها همجية يبرية لانها تعامل النساء معاملة الدخيلات . وعلى العكس فان منشأ النخمة التي أصيبت بها بعض الامم من الافراط في المدنية . على حين نرى رتبة المرأة في الامم العائشة على الفطرة والتي تضطرها الحال الى مقاومة العناصر الطبيعية ، تعادل مكانة الرجل لانها نساويه في القوة وتشتغل بما يشتغل به وحسبنا دليلاً على ذلك ان مكانة نساء القرى وغيرهن من طبقة الزارعين مساوية لمكانة الرجال وهم يعاملونهن معاملة انفسهم الا في الاماكن التي تسرب اليها الاعتقاد بعبودية المرأة بواسطة الاحتكاك باهل الطبقة المتقدمة المترفة . فإذ ان ليس من اثر لعبودية المرأة الا في البلاد التي يعتقد اهلها بان للنساء حقاً في الوجود ، لا باعتبار كونهن مخلوقات بشرية ، بل باعتبار انهن ادوات لذة للرجال وآلات لانتاج الاولاد .

وتأيداً لذلك ألفت انظار كن الى حالة نساء العصر الحاضر في الشرق ، فهن مجردات من حقوقهن السياسية كأخواتهن الغربيات الا منذ قليل . ولكن اعتبار المرأة دخيلة حالة وقتية ستزول وليس حالة حققة ولا ثابتة . وحين تفكر في قضية حرمان المرأة هذا من حقوقها لا يجوز لنا ان ننسى بان الرجل كان مثلها محروماً من حقوقه الا منذ آن قصير . ان حق التصويت لم يعط للرجال عامة في اليابان الا في هذه السنة . وكثير من الدول لا تبرح تضن به على الرجال ، وليس فوز الانسان بحقه السياسي الا حادثاً جديداً في عالم التاريخ الذي لو استقرأناه لوجدنا فيه الحق للقوة لان الحاكم العماني

كان يعول في تنفيذ احكامه على العنف والقهر . لوجدنا فيه ان بعض الامراء الاشياء النافذين لم ينالوا حقهم ولم يعترف لهم الملك بامتيازاتهم الا بعد جدل طال اجيالاً كثيرة في القرون الوسطى ، ثم قامت بعدهم الطبقة الارستوقراطية مطالبة الملك ان يعترف لها بحقوقها فما نجحت الا بعد ذكر العصور ثم نهضت على آثارهم الطبقة الوسطى فافتضى تأييد حقها ايضاً فرونأ ثم ثار الرجال واخيراً خلقت اثرهم النساء . في الزمن الاخير وسبب عاقبتهم هذه هوانقطاعهن الى المهام المنزلية وتربية الاطفال وعدم تدرجهن على السياسة ومزاحمة الرجال لهن عليها .

اما عبودية المرأة الحققة فهي ما تبرح شائعة في الغرب لسوء الحظ بين الغنيات اللاتي فسدت آدابهن . فهن كالتبائنات الطفيلية تعيش بامتصاص غذاء غيرها . وهن على الغالب يعرضن عن ولادة الاطفال . ويعشن عبيدات لشهواتهن المادية وقداى بين ذلك الى صيرورتهن عبيدات للرجال الالي يتمتعوهن بتلك الشهوات . كثير من المشرقيات لسوء الحظ يزعمن ان سيفي مثل هذه الحياة حرية اوسع من الحرية المشتملة عليها حياة نقضى بالعمل والتمسك بالواجب . الا انها حياة قذرة مجللة بالخزي والعار حيثما وجدت شرقاً كان او غرباً .

وشر انواع هذه العبودية المنتشرة في العالمين الجديد والقديم هي عبودية المرأة العامة — العاهرة — فان امرها في الشرق معروف ، لا يسترها ذلك الرباء الذي ننكر به العاهرة في الغرب . الا ليس يحق لامة ان تعتبر نفسها متمدنة مادامت تقساها في بوجود هؤلاء النساء وتغض الطرف عنهن . فلتضع نساء العالمين ايدي بعضهن بايدي بعض . وليعملن على ازالة هذا العار وتحرير بنات جنسهن من هذا الخزي المعيب .

يجتزم الصيني اسلافه احتراماً فائقاً يبلغ حد العبادة و يسمى سلمه خطأ بالمعبود ، و يضع لوحة الأم بجانب لوحة الأب . بعد موتها ، وللأم في حياتها السلطة الواسعة والنفوذ الشديد ، و يظل اولادها كباراً وصغاراً مذعنين لحكمها حتى وفاتها . ليس مشهد والدة عجوز ضئيلة الجسم قصيرة القامة مخنية الظهر تضرب ابنها بالعصا وهو في سن الرجولة على مشهد من القوم وهو عاجز عن الدفاع لا يأتي بحركة بالشهد الذي نراه كثيراً . لان العادات الصينية نقضي على الابن ان يتحمل من أمه كل شيء ،

وقد كان في الصين عادة قديمة نقول بان يعرض الآباء اطفالهم الاناث للعناصر الطبيعية ليقتضين نخبهم . هذه العادة هي سبب امتيها قدر المرأة الواحد ومصدر معاملتها السيئة كما ان الضغط الاقتصادي الذي يساعد على نشر هذا الاعتقاد في كل بلاد يحل فيها هو السبب الآخر . واذا شئنا ان نقسن درجة هذا الضغط الاقتصادي فقدرن فقر بلاد مضنكة كثيرة عدد السكان كالصين لا لتعاطي فيها البنات عملاً ما ولا يقدرن على اضافة شيء من الربح الى رزق الأسرة تجدن ان ليس ثمة من اللياقة ان نتخذ الضغط الاقتصادي الذي أدى الى امتيها قدر المرأة دليلاً على عبوديتها . ان في تاريخ الصين ذكر نساء تولين ادارة الاحكام وكانت آخرهن الامبراطورة دواجر التي اشتهرت بشدة النباهة والمقدرة العظيمة وعظم تعلق رعيتهما بها .

يظهر ان رتبة نساء اليابان ادنى من رتبة ازواجهن . تمتاز اليابانية باللين واللفظ والرشاقة . ونحصر الغاية من تمهيدنا في ان تصير محبة جذابة قادرة على خدمة زوجها . شهد كثير من السياح ان اليابانية افضل نساء العالم . وانها غيرة ما ابدعه الحضارة اليابانية من الغرر . ولكن عسرتها عملة لانلبث ان نسامها مريماً ، لانها على ما يظهر لا تفكر بشيء البتة ، ونقضي حياتها كالاطفال بين هذيان سخيف وثرثرة تافهة سواء أكانت خارج بيتها او في خلال قيامها على تدبير منزلها . ولكنها مع هذا شديدة التمسك بالواجب . وربما كانت المرأة في الطائفة اليابانية السامورية المعروفة ببسالتها اشد اجفلاً اليوم بالسنن القديمة من رجال قبيلتها . تتناقل الالسنه في اليابان روايات كثيرة . تتخذ فيها ذكر نساء قمن بضحية اجسادهن دفاعاً عن اولادهن وببلادهن . ولهذا القصص تأثير عظيم في العقول ومعظمها لا يتخلو من المبالغات وهي ملء دواوين الشعراء . ولو تجردت هذه القصص من ترديد القول بان كل امرأة من اولئك المصلحات الشهيديات فادب بنفسها في سبيل الحصول على غرض نبيل لا يمكنها ان تؤثر في انفسها وتقوي على الهامنا والفوز باعجابنا . ولكن اثرها السيء يعمل في نفوس بنات البلاد ولا سيما بنات القرى . فلنهن لا بأفمن من بيع اجسادهن بدافع الفقر . فيعشن عيشة ملطخة بالمارز عماً منهم امنن قمن بواجب نبيل وهو سد عوز أسرهن . اما سبب ضعة مكانة المرأة اليابانية حتى اليوم فترجع في الاصل الى شدة تمسك

الياباني بالقديم . ولزوم المفاداة والمحافظة على الواجب هما ككل الافكار القديمة التي تخرص عليها النساء اكثر من الرجال . وقد قامت اليابانيات عموماً اليوم بنهضة بلحفن فيها في طلب حقوقهن وامتيازاتهن وهي رمز الى تفهقهن ودليل على فساد آدابهن . اكثر منها دليلاً على ارتفاعهن لانهن لا يميزن بين الحرية المنظمة وغير المنظمة . ان الحرية أعظم النعم قدراً ، ولكن ينبغي ان تكون منظمة لا يطلق فيها العنان للأهواء ، وفي الامكان ان ترتقي اليابان وغيرها من الشعوب لا بتجريد نساها من حاسة التمسك بالواجب بل باعادة الرجال اليها .

كنت هناك على اتصال شديد بأشرف أسرة في اليابان وهي الثانية بعد البيت المالك وقد تزوجت فتاة هذه الأسرة منذ عام بولي عهد اليابان فأصبحت الآن الامبراطورة العتيدة ، وهذه الفتاة تدعى الاميرة كوفي وهي فتاة ضئيلة الجسم خاسفة الوجه تذكر كن رؤيتها بزهرة تعيش في منزل مغلق حار تعيش في معزل عن الناس عبسة السجينات كأن أهلها يزعمون ان ليس بين الطبقة الارستوقراطية من يستحق شرف الخطوة بمعاشرتها . ويحجل لمن يراها انها تؤثر الموت حرقاً على تغيير ملامح وجهها . وكثيراً ما عن لي عند رؤيتها ان النساء العصريات المذهبات تهذباً عالياً قد فقدت شيئاً لا يثن مع شدة افئنانهن بالحربة وما نلته من الرفعة .

مكانة المرأة في كوريا أدنى منها في عامة أقطار العالم التي زرتها . وعلى حين لا يشتغل الرجال — حتى الفلاحين منهم — بعمل ما فهم يسيئون معاملة زوجاتهم ، ويعاملونهن معاملتهم للوحوش الضاربة ، ولا تلبس البنات عندهم منذ ولادتها حتى موتها باسم غير الرق فيقولون المرأة (رق واحد) والمرأة (رق اثنان) الخ على ان مدينة كوريا لا تعد من المدينيات الرافيات بل هي من أحط أشكال المدينيات .

اما مكانة المرأة في الهند فهي وضعية جداً لا ترجى لها رفعة لاسباب كثيرة . وسبب ذلك ثنائع الحروب فيها وما نجم منها من البرحاء . والافراط في الحرب احد الاسباب الباعثة ايضاً الى استعباد المرأة لان القضاء يتولى فيها حمايتهن ويزيداهن بمراقبتهم الى حد ينهي غالباً الى استعبادهن تفرقياً . وهناك سبب آخر وهو اعتبار النساء أدوات لذة للرجال ، وهو اكثر انتشاراً في الحرب منه في السلم لان العواطف تكون

في زمن الثورة في اضطرام والملاذات في نقص . على ان بلاد الهند فسيحة الجنبات والفوارق بين القبائل واسمة ايضاً وبين الهنديات عدد استنارت أذهانهم وفزن بحر يمين كآرقى نساء العالم . والذي حدا بي في الحقيقة الى القول بان البيت لا يصير بيتاً بمعناه الحقيقي ما لم يتألف من مزيج عناصر شرقية وغربية معاً هو زيارتي بيت امرأة هندية راقية .

الطبيبات اول من تهذب من الشرقيات وتعلمن تعليماً نظامياً . اذ قد استحال على الارساليات الدينية ان تتوصل اليهن عن غير هذا الطريق ، ولا تزال النساء باشد الحاجة الى تعلم قواعد حفظ الصحة . والا بقيت الولادة خطراً عليهن وألم الخاض وتعرضن فيه للموت مستديماً . يصعب علينا ان نجد احصاءً دقيقاً لعدد وفيات المواليد ويقال ان نسبة عدد الاطفال الذين يموتون في الشرق — في حالتهم وهم أجنة الى حد السنين — الى نسبة عدد الذين يطلون منهم أحياء هو نسبة تسعة الى عشرة . يالهول هذا العدد و يالهول مشهد ملاهين من النساء يعانين برح آلام الولادة والنزع لا يزيد اعتبارهن على آلات لانتاج الاولاد ولا يؤبه لموتهن ولا لتهذيبن . بعشن سقيات العقول عقيمت الافكار فهن من جهة عالة على انفسهن ومن جهة عالة على المجتمع وان اول مايجب ان يباشرنه من الاصلاح هو تعلم قواعد حفظ الصحة على اصول سلامة الولادة وكيفية تجنب النسل وطرق انقاص المواليد وهذا علم حديث الانتشار حتى في بلاد الغرب . يرى بعض الاطباء فيه خطراً اعتقاداً منهم انه ينافي الدين والوطنية ويعتبرونه جرماً فظيماً . يخجلني ان اعترف بوجود هؤلاء الجهلاء بيننسا على حين ان الاطباء الراقين يقرون بان صحة المرأة التي تلد في كل سنة ولداً تسوء أكثر فأكثر واذا ساءت صحتها وهنت قواها كانت صحة الاولاد الذين تلدهم اسوأ وأكثر تعرضاً للموت ومن الحكمة ان يفضل الولدان ولادة ثلاثة اواربعة بقدران على اعاليتهم وتهذيبهم — على ولادة اثني عشر بعجزان عن سد حاجاتهم .

يوم جاءت مرغريت سانغر العالمة الاميركية الشهيرة الياباب كنت فيها وقد قابلتها وكانت حضرت اليها لتذيع هذه الفكرة فخالصت الحكومة دونها وهي زعيمة القائلين بهذه الفكرة ومن الذين سجنوا بسببها وصرفوا سنين او ثلاثاً في السجن ولكن تمكنت

في الصين ان تذيب فكرتها فأثرت تأثيراً وبلغاً وغايتها من ذلك ظاهرة وهي انقاص عدد المواليد الفقراء الجبناء ليقول عدد الوفيات بينهم وحث الاغنياء الذين في استطاعتهم إعالة الاولاد وتهذيبهم على الاكثار من المواليد خدّاً للنقص الناتج من منع الفقراء من الاكثار من المواليد وبهذا يستوي الامر دون ان يصبب ميزانية الاحصاء عجزاً (١) .

سار تهذيب الفتيات في الصين في بدء الامر سيراً بطيئاً لان الاب لم يكن يرى من فائدة في تعليم ابنته مادامت تتزوج باكراً ولنقل للسكنى مع أمرة زوجها . ولكن لما تأخر موعد تزويجها ، صارت البنات يتمدين تهذيب الرجال ، وبينهن من يذهبن كالشبان لطلب العلم في الغرب ومثلن اليابانيات فانت تهديبن في تقدم متواصل . زرت الجامعة التي اتنى بقرج الكهنة البوذيين فوجدت بين الطلبة عدداً من النساء ومعظم ما يتعلمن فيها هو العلوم الدينية والعملية . وسئلت حال وصولي الى اليابان ان أزور أرقى مدرسة في البلاد ولشد ما دهشت ساعة دخلت ردهة الصنف الاول ووجدت فيها خمسين شابة يلبسن (التكميونو) الياباني البهيج . منهم كات في صقل أحذية الرجال السوداء ، كأن الاحذية الاوربية مشكلة يحاولن حلها او مصيبة يحاولن درءها ، فرأين من الواجب ان يحمين احذية رجالهن الى المدرسة ليأخذن درساً تمهيدياً في اصلاحها . بذلك ذلك على شدة تمسك المرأة اليابانية بواجباتها ومكانة خدمة زوجها في نظرها . وليس بين اعمال البشر ما ينفق فيه هذا القدر من الوقت والعناية مثل اصلاح احذية الرجال عندهن حتى ان عنايتهم بانفاق هندامهن قليلة جداً بالنسبة اليه .

التقليد شأن وامي شأن في حياة اليابانيين بل هو أعظم تأثيراً فيهم من العوامل الاقتصادية ولو قضاوا به على الطرب والجمال . هي حقيقة لا مرء فيها فان محبة التقليد

(١) هذا رأي الخطيئة وكثيرين من اهل الغرب وهو غير مقبول في الشرق ولا سيما في بلادنا الا اذا كانت الطرق المستعملة لانقاص المواليد غير مخالفة للقواعد الدينية .

نقص في الشرق عن الغرب . يقبل الناس على أزياء وضعها غيرهم لهم أكثر من إقبالهم على تقليد نظام اجتماعي أرقى من نظامهم ، تختلف حالات طبقة من الناس عن طبقة غيرها فنلبس تلك أزياء غير التي تلبسها هذه ، ففي الصين مثلاً يطيل الرجال أطفار أيديهم ويصونونها من الكسر بلبس قوالب معدنية من الذهب أو غيره ، وتضغط نسائهم على أقدامهن بالأحذية الضيقة ليمنعن من النمو ولكيلا يخطون خطوات واسعة برهاناً على كونهم رجالاً ونساءً أرباب نفوذ ومن طبقة ترفع عن العمل وليست في حاجة اليه فتخذو بقية الطبقات حذوهم ولو كانت في حالة العوز الشديد الى العمل الشاق : كانت لدي خادمة صينية من هذا النوع تضيق على قدميها بالحذاء الصغير فتسيء العمل وتسقم جسمها بتقليدها الغنيات دون ان ترعوي او تصغي الى نصيحة . هذا هو سبب انتشار الازياء المضحكة التي صارت على مختلف أشكالها مطمح أنظار الناس في كل بلاد ، وترون المرأة اليابانية الغنية تلبس اكماماً عريضة مخرجة تحول دون قيامها بعملها فتقلدها الفقيرات ولا يجدن أنفسهن في غنية عنها او يشعرن بانهن بدونها ذليلات مستحقرات . وأرجح ان هذا الزي هو الذي كانت تلبسه الراقصات قديماً في البلاط الصيني .

كان الاقبال على الازياء الغربية في الشرق الأقصى في بدء عهد انتشار النفوذ الغربي شديداً . وعلى الاخص في اليابان ولكن النساء عدن تدريجاً الى (الكيمونو) الذي هو أكثر ملاءمة لهن ، وفي رأيي ان الزي الغربي الذي تأصلت محبته في الشرق هو شر ما وصل اليكن من صادرات بلادنا اعني بها زي الرجال الذين يخرجون به الى الشوارع فهو على ما هو عليه من التيج لضيق السراويلات (البنطلونات) وصلاية القبة الضاغطة على العنق الخ لا يهب لابسها راحة ولا حرية بمقدار ما تنبهه ازياء كثيرة شرقية ، انه صنع لفئة من الرجال يتفق مع مركزها وعملها تجرى في اثرهم سائر الناس حتى أصبح زياً عاماً .

من المأمول ان نفقد نساء الشرق دون رواج الازياء الغربية ودون تبدل الحياة البيئية . وانهن اذا رمن تبدلها فليسكن ناحية تصل بهن الى تقدم حقيقي . تشير الدلائل الحاضرة الى انهن لا يسكن هذه الناحية مادمن يتمسكن بنير اتباع الازياء

الثقل في زمن باشرت النساء الرافيات في الغرب ان يطرحنه عنهن . ان عادة تعبير الازياء ، سبع مرات في السنة لمن استخف العادات وأدعى المشاهد الى السخرية والازدراء والاسراف في الجهد والمال . وفي معظم الاحيان تكون هذه الازياء مجردة المرأة من جمالها الحقيقي ومضعفة قواها لا تأتيها بنفع من وجه . كانت هذه الازياء تمثل لك مظاهر نساء الطبقات العالية قديماً فصارت الآن ثمرة نجاح مساعي التجار القائدين ملايين من النساء في العصر الحاضر بانوفهن استدراراً للربح وجداً في منفعتهم الخاصة . ان محبة اللباس متأصلة في غريزة الانسان . وهي مفيدة صحية للرجال والنساء اذا روعيت فيها قاعدة المنطق والنفع وليس في إنفاق الهندام شيء من السخافة والتبذير اذا كان مجرد القصد من إنفاقه الاخلاص . وماذا يحاول البشر عمله سوى ان يؤيدوا حقائق سامية ثلاثة هي الصلاح والحق والجمال ؟ فانفاق الهندام يمثل لنا الجمال ويحسم لنا مظهره ويسهل وصولنا اليه . فاذن هو أسهل الوسائل الطبيعية التي نتوخاها لبلوغ الجمال . ومتى بلغناه أحرزنا الحقيقة الباقيتين وهما الصلاح والحق . ولو ان كل امرأة لها من احترامها لنفسها قدر كاف للنزول عند حكمها الخاص وذوقها الذاتي لسمت مكانة اللباس تدريجاً فبلغت مصاف الفنون الشريفة . ولو ان كل امرأة قدرت على قشع الضباب الذي سدته محبة اللباس على عينها ، لرأت ان اتباع الزي اللائق بها يوفر لها كثيراً من الجهد الضائع والمال المفقود ، ويرد لها مكانتها العالية ، ويرفعها الى رتبة اهل الطبقات العالية . على ان تكون قاعدتها في ذلك هو اختيار النسيج المتين الصالح الذي هو اشهى في حله نفسه من سائر الانسجة ، وأطول بقاء من ذلك النسيج الذي يعيش عاماً واحداً . ثم عليها ان تراعي في تفصيل زيه الاحشاش وما يهبها رشاقة الحركة والوقار . وذلك بفضل على اتباعها الازياء الغاوية الوقتية .

يجب ان يتجرد الزي الكامل الذي ننشده من كل ما يضيق الجسم من مشدات وأربطة وان يكون اللباس رحباً لا يمنع دخول الهواء الى الجسم ولا يضغط على العضلات ولا يعوق دوران الدم . وان تكون كل الملابس وعلى الاخص ما يلامس الجسم منها مفصلة على زي سهل غسله مراراً . واشد الاضرار الناجمة من الازياء الغربية هي تلك التي اذا اتسخ داخلها استعمل علينا غسلها وتجديده رونقها . ولباس المرأة الهندية

من هذا القبيل هو احسن الملابس جميعاً من وجوه عديدة . فهي مشتملة على الجمال ، مسهلة رشاقة الحركة ، وبسيطة ، محتشمة ، لاتجذب صعوبة في خياطتها وغسلها واخفائها ، ولا تحول دون نمو الجسم ، ولا تقف دون النشاط ، والله ما احلى منظر الخادومات حين يظهرن بها . بل لله انصاب قاماتهن ورشاقة حركاتهن !

انئن سكان مدينة تاريخية شهيرة ملأ ذكر مصنوعاتهم ومهارة صناعتها الخافقين ! انكن بتضييعكن هذه المصنوعات واعراضكن عنها قد اضعنوها على العالم ، وجررن على عالم الفنون خسارة كبرى . ففي ابقاظكن الذوق الفني الذي لا بد ان يكون سارياً في دوائكن . و بانعاشكن هذه الفنون الميته ، التي زادت قدراً لندرته وبذلكن المساعي الى ايجاد زي (موضة) جميلة تسدون الى انفسكن وبلادكن والى عشاق الجمال المنتشرين في كل انحاء الارض بدأ بهضاء . هذا المسعى لا يكلفكن من المال بقدر ما يكلفكن من الجهد والاخلاص . وافي آخذ مساعدتكن على عانتي بقدر الطاقة . فاذا رافقتكن هذه الفكرة فأرجو منكن زيارة المدرسة الاميركية في دمشق حيث تجدن في الدكتور اسنبرغ التي هي من اكبر عالمات اميركا شأناً ، والتي هاجرت الى هذه البلاد حباً بخدمة التهذيب العام لبس الا ، شخصاً لا يني في البحث عن تسهيل مشقة هذا العمل وحل ما فيه من الأشكال .

أعظم ماراتني في الشرق البيت الياباني القديم الطراز ، فهو بفسحة جهوه وهندسة بنائه وانواع امتعته من اجمل البيوت . وقد اصبح هذا البيت نادر الوجود . وسيخفي شكله عما قريب لان عادة الجلوس على الارض قد ألغيت . ولان اليابانيين يزدادون ميلاً الى أسلوب العيشة الغربية المتعبة . ان البيت الياباني القديم يمثل الحياة باسسط أشكالها واجملها واسماها . اذا شاء الياباني الانتقال من بيت الى آخر اتسعت عربة واحدة تجر باليد لنقل امتعته كلها . لاعني بقولي ان الياباني يعيش عيشة الهجمي بل ان البيت نفسه مبني على طراز يقتصد كثيراً من ضروب الامتعة وادوات الزينة . حتى ان الأسرة الغنية التي تملك من الخنف ما يملأ مستودعها البيتي تؤثر ان بظل بيتهما بسيطاً فارغاً .

لهذا البيت شكل مطاط فيه جدران من الورق لتتسحب اذا ارادوا توسيع المكان

وتغطي ارض كل غرفة يقال له (Tatami) اي حصيرة من القش مبطننة ،
تفرق فيها القدم ويرتاح الجالس عليها ، ولايسمح لاحد ان يبطأ ارضها بجذائه . بالها
من ارض دونها قصعة الطعام نظافة . ومن عادتهم ان يقدموا للضيف وسادة
حريرية يجلس عليها و يأنون اليه بالطعام على صينية يضعونها أمامه على مائدة علوها
نصف شبر وفي كل غرفة من الغرف خزانة في الحائط (Todamad) تحفظ
فيها الفرش الحريرية التي يرقدون عليها ثم يلفونها ويخبئونها في الخزانة . ومثلها لحفظ
(الكيمونو) التي تلبسها الاسرة وتطوى طياً مرتباً . وأخرى لحفظ القصاع وسائر
الامتعة اللازمة . وفي الغرفة قبة من اصل البناء هي اثر من آثار طقوس العبادة
القديمة . ومكان خاص يحفظ اللوحات التي يكتب عليها اسماء الاسلاف . وهذا اثر
من آثار فلسفة فنونهم الجميلة وهنا طومار معلق الى الجدار مصنوع من الدهان يوضع
ازاءه اثناء بديع طابخ أزهاراً في أجمل ترتيب . وقد يكون للأسرة الواحدة كثير من
هذه الطوامير والآنية ولكنهم لا يضعون في الغرفة الواحدة أكثر من طومار وانا
وما زاد على ذلك فهو دلالة على سقم الذوق . ويبدلون هذه الطوامير والآنية من
آونة الى أخرى بغيرها فيصيب كل منها دور وليس لديهم غير هذه الاشياء من
أدوات الزينة سوى صناعة البيت نفسها المشتملة على أخشاب معرفة او مدهونة أضف
الى ذلك ماتطل عليه نوافذهم في مشاهد حدائق غناء لم أر أجمل منها . والخلاصة ان
الناظر الى هذا البيت يقر عيناً وبطيب نفساً على عكس ما يشعر به الناظر الى معظم
البيوت في الغرب .

قضيت في بيت ياباني قديم الطراز عامين ووجدت فيه هناءً ورجداً . ولكم كنت
أتمنى لو سكنت في مثله بقية حياتي . ولكن ليس من احد يتمكن ان يعيش عيشة
اليابانيين الا في اليابان . اذ لا يفهم اسرار صناعة بيوتهم الا بناؤهم . ثم يصعب عليّ
ان اكلف اصدقائي خلع أحذيتهم قبل الدخول الى المنزل وان أرغمهم على اتباع اهوائهم .
قلت ان شكل هذا البيت اصبح قريب الزوال لان اليابانيين درجوا على اقتباس
صناعة البيوت الغربية ولم يجدوا مناصاً منها بعد ان لبسوا السراويل الغربية لنعذر الجلوس
بها على الارض . انتشرت بينهم الفكرة القائلة بان الرفاد على الارض ليس صحياً

كالرفاد على السرير . وصاروا يتعبون من الجلوس على الأرض الذي تنصلب به الساقان لعودهم الجلوس على الكرسي . انهم بتقليد العادات الغربية قد فقدوا شيئاً ثميناً جداً . فان سعة فضاء البهو الياباني تكسب الناظر رحابة الصدر على عكس ما يورثه الفضاء الضيق والامتعة المتراكمة من الضيق والكرب .

يسوقني ذكر هذا البيت الى البحث في موضوع هو كيف يجب ان يكون البيت . من الواجب ان يتبع في هذه المسألة سائر ما تستلزمه الملابس وغيرها من المسائل الحيوية من الانطباق على المنطق او مراعاة شروط الصحة والراحة وتقليل النفقات والانفعالات الروحية . لقد أصبح تعريض هذه المسائل للفحص والنقد امراً لازماً في زمن كهذا الزمن الذي نرى فيه كل شيء يتغير تغيراً كلياً . يقول بعضهم ان الحياة المركبة تختلف عن الحياة البسيطة اختلاف الهجيبة عن الحضارة وهم مصيبون في هذا القول الى حد ، وهو ان الحضارة قد تدرجت من البساطة الى التركيب ولكن هناك نقطة هي من الخطورة بمكان لا تقدر الحضارة ان تصل اليها . فقلة عدد الخدم في اميركا ووفرة الأعمال التي تطلب الانتباه الشديد قد منعنا الناس من بذل الجهد وهو ضروري في جعل الحياة بسيطة .

يشترط في البيت ان يكون جامعاً لكل حاجات الانسان المنفقة مع طبيعته الثلاثة الصحية والعقلية (وهي مزيج من العقل والعاطفة) والادبية بحيث تكون هذه الشروط الثلاثة متوازية لا يزيد احدها عن الآخر ولا ينقص . فاذا كان هذا التوازن مجتمعاً في البيت فلا يبقى شأن للحياة اكانت مركبة ام بسيطة . ولو شئنا ان نطلق حكماً عاماً في العيشتين « المركبة والبسيطة » بسهل وجود التوازن لوجدناه في الحياة البسيطة أقرب لنارلاً وأقل صعوبة منه في الحياة المركبة . فالمرأة التي تستغرق وقتها ادارتها عدداً كبيراً من الخدم واهتمامها باقامة المآدب وعنايتها بالرياش الفاخر قد لا تجد فراغاً لتنفق في المطالعة او في مشاركة تهذيب اولادها . واذا فرضنا انها قادرة على القيام بكل هذه الاعباء الثقيلة معاً فانها لا تعيش عيشة بسيطة ولا تذوق طعمها .

اما من جهتي انا فاني استصعب مطالعة كل مأر يد مطالعته وكتابة كل مأر يد كتابته وزبارة كل مأر يد زبارته . والتعرف الى كل الاشخاص الذين اسمع عنهم

واتوق الى معرفتهم . مع هذا اجد في نفسي ميلاً يشند عاماً فعاماً الى ان أطبخ ملّ
وعاء كبير من حساء العدس في غرة كل شهر ثم اذهب كدبوجينوس لارقد في
ذلك الوعاء ا .



مطبوعات حديثة

أيمان العرب في الجاهلية

« رسالة ذات (٣٢) صحيفة لمؤلفها ابي اسحق ابراهيم بن عبد الله النجيري »
« الكاتب نسخها وصححها ووقف على طبعها في المطبعة السلفية السيد »
« محب الدين الخطيب »

النجيري هذا من رجال اللغة والادب والتاريخ ذكره ياقوت في معجمه والصفدي
في كتابه الوافي والسيوطي في (بغية الوعاء) والزبيدي في (تاج العروس) ولد في
قرية نجيرم على ساحل الخليج الفارسي او في محلة بهذا الاسم في البصرة في الربع
الاخير من القرن الثالث للهجرة وتولى منصب الكتابة لكافور الاخشيدي على ما جاء
في وفيات الأعيان في النصف الاول من القرن الرابع ولم يعلم زمن وفاته على التحقيق .
هذا ملخص ما علمناه عنه من مقدمة أثبتنا المصحح في مستهل تلك الرسالة التي جمع
فيها صاحبها ايمان العرب على اختلاف مللهم وعقائدهم ونحلهم من حنيفيهم الموحد الى
اصناميهم الممجد .

قال ومن ايمان الحنيفية منهم القسَم بالله تعالى ومنه قول النابغة :

(حلفتُ فلم اترك لنفسك ربةً وليس وراء الله للمرء مذهبُ)

فهم يختلفون به باحرف القسم الثلاثة (اي الباء والتاء والواو) ويقولون انها يمين
تملاً الفم وترقي الدم وقد يقولون « لا والذي يراني من فوق سبع ارقعة » اي من فوق
سبع سموات . ومن ايمانهم قولهم « لا والذي شق الرجال للخيول والجمال للسبل » وقولهم
« لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة » وقولهم « لا والذي الاصباح وباعث الارواح » الخ .

واتوق الى معرفتهم . مع هذا اجد في نفسي ميلاً يشند عاماً فعاماً الى ان أطبخ ملّ
وعاء كبير من حساء العدس في غرة كل شهر ثم اذهب كدبوجينوس لارقد في
ذلك الوعاء ا .



مطبوعات حديثة

أيمان العرب في الجاهلية

« رسالة ذات (٣٢) صحيفة لمؤلفها ابي اسحق ابراهيم بن عبد الله النجيري »
« الكاتب نسخها وصححها ووقف على طبعها في المطبعة السلفية السيد »
« محب الدين الخطيب »

النجيري هذا من رجال اللغة والادب والتاريخ ذكره ياقوت في معجمه والصفدي
في كتابه الوافي والسيوطي في (بغية الوعاء) والزبيدي في (تاج العروس) ولد في
قرية نجيرم على ساحل الخليج الفارسي او في محلة بهذا الاسم في البصرة في الربع
الاخير من القرن الثالث للهجرة وتولى منصب الكتابة لكافور الاخشيدي على ما جاء
في وفيات الأعيان في النصف الاول من القرن الرابع ولم يعلم زمن وفاته على التحقيق .
هذا ملخص ما علمناه عنه من مقدمة أثبتنا المصحح في مستهل تلك الرسالة التي جمع
فيها صاحبها ايمان العرب على اختلاف مللهم وعقائدهم ونحلهم من حنيفيهم الموحد الى
اصناميهم الممحد .

قال ومن ايمان الحنيفية منهم القسَم بالله تعالى ومنه قول النابغة :

(حلفتُ فلم اترك لنفسك ربةً وليس وراء الله للمرء مذهبُ)

فهم يختلفون به باحرف القسم الثلاثة (اي الباء والتاء والواو) ويقولون انها يمين
تملاً الفم وترقي الدم وقد يقولون « لا والذي يراني من فوق سبع ارقعة » اي من فوق
سبع سموات . ومن ايمانهم قولهم « لا والذي شق الرجال للخيول والجمال للسبل » وقولهم
« لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة » وقولهم « لا والذي الاصباح وباعث الارواح » الخ .

ومن إيمانهم « يمين الله » و« ايمين الله » و« ايم الله » و« أم الله » و« م الله » و« عمرك الله »
الى غير ذلك مما أنت على تفصيله الرسالة ، وعندى ان هذين الاخيرين من قبيل
الدعاء لا من قبيل القسم . وعليه قول الشاعر :

(ايها المنكح الثريا 'سهبلاً' عمرك الله كيف بلقيان)

اما عبدة الاوثان فانهم كانوا يقسمون بها كقولهم « لا واللات والعزى لا ومناة »
اما الصابئون منهم فلمكانوا يحلفون بالنجوم السابحات منها والطارقات . والكهان
يقسمون بالسماء والماء .

والرسالة حسنة الطبع خالية من غلط التمثيل لا تخلو من فائدة ان بقنيتها ويرجع
اليها من محبي المطالعة وعشاق مزايا اللغة .

عضو في المجمع العلمي

سليم عنجوري



محاضرة

عنوانها (ابن رشيق)

اهدننا المطبعة السلفية كتباً لطيفاً عدد صفحانه اربعة وتسعون يشتمل على محاضرة
ألقاها ابو البركات عبد العزيز الميني السلفي الراجكوفي الاستاذ بالكلية الشرقية في
لاهور في جمعية الشرقين هنالك ألع في مقدمتها عن حياة المعز بن باديس السياسية
في القيروان آتياً على شيء من اوليته ووصف أخلاقه وعلو كعبه في الفضل والأدب
ثم ذكر خراب القيروان على عهد حكومته وخروجه منها الى صقلية وبقاء فيها مع
شاعره ابن رشيق حتى أدر كته الوفاة سنة ٤٥٣ بعد ان ذاق فيها الامرين ذلاً ومهانة .
ثم استطرذ الى ذكر حسن بن رشيق واتصاله بالمعز وحظوته لديه وماله في مدائحه
من غرر الشعر وروائع المعاني بعد ان قال عنه انه ولد بالمحمدية سنة ٣٩٠ وهو مولى
من موالي الأزد وقدم الى الحضرة سنة ٤٠٦ وامتدح المعز سنة عشرين على ما اورد
هو عن نفسه في آخر انموذجه ثم افاض بذكر شيوخه وتلامذته وتأليفه وما مر عليه

مجمع العمل العربي

(دمشق): تشرين الاول سنة ١٩٢٧ م الموافق ربيع الثاني سنة ١٣٤٦ هـ

٨٢

اثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية^(١)

علم المشرقيات ومقاصد الغربيين

كان اول احتكاك وقع بين العرب واهل الغرب من الادريين ، يوم فتح العرب الشام ومصر وما اليها من بلاد الروم . ولما فتحت الاندلس واسبانيا والبرتغال الاقليلا زاد هذا الاختلاط ، ثم أصبح على أتمه لما توطد ملك بني أمية في الاندلس في القرن الثاني والثالث والرابع ، واتسعت رقعة هذا الاختلاط بفتح العرب جزيرة صقلية ، وتبسطهم في جنوبي ايطاليا في القرن الثالث . ومنشأ هذا الاختلاط في الاكثر الحاجة الى الاتجار ودواعي الجوار . وكان تسامح الدولتين الأموية في الشرق ثم في الغرب ، والدولة العباسية في الشرق والغرب ، من أهم الدواعي الى هذا التمازج . وكان ذلك كان يومئذ من حكومات العرب من باب تفضل الكبير على الصغير ، والعالم على الجاهل ، ولا غرابة في صنيعهم فالاسلام عرف بالتسامح ، والعرب من اهله خاصة اكثير الام ممارسة له كما ثبت بنصوص التاريخ الصحيح .

زاد هذا التمازج في الحروب الصليبية ، فاستفاد الصليبيون من العرب فوائد علمية واجتماعية جمّة ، وقد رأوا مدينة ارقى من مدينتهم اذ ذاك ، وعلماً وصناعات لا عهد لهم بها ، واخلاقاً ووفاءً وعهداً ندرت في غيرهم ، فاستعاضوا باحمالوا معهم من الاوضاع

(١) محاضرة للسيد محمد كرد علي ألقاها في ردهة المجمع العلمي العربي واعاد القاءها في نادي دار المعلمين العليا بالقاهرة يوم ٥ أيار سنة ١٩٢٧ .

عما خسروه من الرجال والمال ، واغتنبوا بما كسبوا ، وتعزوا عما لقوا من الشدائد . وكان تعلم كثير من الصليبيين اللغة العربية ، واشتهر بذلك بعض امراءهم وقوادم وأذكيائهم واهل الفكر منهم ، بل كانت بعض الاوربيين قبل الحروب الصليبية يخلفون الى الاندلس يأخذون العلم عن علانها ، ومنهم البابا سلفستر الثاني الذي جلس على كرسي الباباوية سنة ٩٩٩ م وهو من اصل افرنسي درس في قرطبة واشبيلية على علماء العرب الرياضيات والفلك ورسم الارض كما تعلم شانجه (Sanche) ملك ليون واستوربا الملقب بالسمن الطيب على علماء قرطبة . وكان جميع ملوك الافرنج على ما روى فولتير يستقدمون أطباء من العرب واليهود ، كما كان كثير من اذكفاء الجلالة والقشالبين والليونيين والنافاريين ومن كان في البلاد الاندلسية تحت احكام المسلمين من المسيحيين يعملون العربية للتوظيف في الاندلس والاتجار مع اهلها الى غير ذلك من المرامي .

ولما بدا للباباوات ان ينشئوا الرهبانات في القرون الوسطى لبث الدعوة الدينية بين أبناء الشرق في آسيا وافريقية وفي الاندلس وصقلية من قارة اوربا ، ثبت لهم انه لا سبيل الى النجاح في هذا المشروع الا بتعلم لغات المشاركة ولا سيما العربية . فقفى مجمع فينا سنة ١٣١١ م برئاسة البابا كلنتس الخامس ان تؤسس في باريز واكسفورد وبولون وصلنكة ، اي في عواصم العلم في فرنسا وانكلترا وايطاليا واسبانيا على ذلك العهد دروس عربية وعبرانية وكلدانية وسريانية يخرج بها الوعاظ والدعاة . وكانت المدرسة الطبية في مونبيلية في فرنسا أنشئت سنة ١٢٢٠ وجعلت جل اعتمادها في التدريس على علماء الاندلس فكانت تقرأ فيها اللغة العربية لفهم العلوم المكتوبة بها . ثم كثر انشاء الجامعات في الغرب وكان تأسيس اول جامعة في اوربا الوسطى في كراكو من مدن بولندا سنة ١٣٦١ وبعد اربع سنين أنشئت جامعة فينا وهي اول جامعة المانية وقيل ان جامعة بولون الايطالية أسسها تيودوس امبراطور الشرق في سنة ٤٢٥ م . ولما كثرت الجامعات في الغرب انشأ بعضها يعني بتعلم اللغات السامية ، والعربية من جملةاها ، ولكن بشيء من الضعف . وكما كان يشتد غرام اهل الغرب بدرس فلسفة ابن رشد وابن سينا والرازي وابن زهر وغيرهم يحاذر رجال الدين كل

الحذر ان تكون الفلسفة الاسلامية مقدمة الى ضعف الايمان وفشو الإلحاد في المؤمنين من أبنائهم . ومع هذا أُلْعِ بعض امراء ايطاليا بالعربية وتكلموا بها ، وعدوها لغة الادب العالي ، واعتمد بعضهم في قصورهم وبوتهم على علماء من أبناء المسلمين . ومن عرف بانقان العربية من ملوك ايطاليا رجار الثاني ملك صقلية وانكبردية وقلورية الذي قدم له الشريف الادريسي كرة من الفضة فيها صورة العالم بمدنه وجباله وبحاره والى باسمه كتابه المشهور « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ومدحه بأنه دان في ملته بدين العدل وانه خير من ملك الروم . وقال الصفدي في الوافي بالوفيات ان رجار قال للشريف الادريسي لما اسفدته من العدو : أريد تحقيق اخبار البلاد بالمعينة لا بما ينقل من الكتب فوق اختياره على أناس ألباء فطناء اذ كساء وجيزهم رجار الى اقاليم الشرق والغرب جنوباً وشمالاً ، وسفروا معهم مصورين ليصوروا ما يشاهدونه عياناً ، وامرهم بالنقصي والاستيعاب لما لا بد من معرفته . وكان اذا حضر احد منهم بشكل أثبته الشريف الادريسي حتى تكامل ما أراد (توفي رجار سنة ٥٤٨ م) . وذكر الصفدي كيف بالغ رجار في تعظيم الشريف الادريسي وكيف رتب له كفاية لاتكون الا للملوك بعد ان اعطاه مئة الف درهم ، وفضة كثيرة زادت من عمل الكرة . قال : وكان يجي^٢ راكب بغلة فاذا صار عنده ينطح له عن مجلسه فيأتي فيجلسان معاً .

ومن كان يحسن العربية من ملوك ايطاليا غليام ، وكان كثير الثقة بالمسلمين يستخدمهم في بلاطه ومنهم امراء دولته ، وهو ابن رجار . وكذلك كان فريدريك الثاني صاحب صقلية وبوليه وانكبرديه وزعيم الحملة الصليبية السادسة فانه كان يجيد العربية كل الاجادة . ولم يلبث بعض امراء ايطاليا كأُسرة ميديسيس المشهورة بخدمة الآداب ان أسست عقيب اختراع الطباعة مطابع بلغات الشرق . واول مطبعة أنشئت في مدينة فانو في جون البنادقة (بحر الادرياتيك) سنة ١٥١٤ طبع عقبها القرآن الشريف ثم كتب الطب والحكمة والطبيعة باللغة العربية . وقيل كان كثير من مدرسي جامعة بادو او سالرنا في ارجاء ايطاليا من علماء العرب . وقد عرفت

إيطاليا قبل غيرها قدر علوم العرب بما ترجم لها المنصورون من اليهود من فلسفة أبقراط وأرسطو وغيرهما . وبما نقله إلى اللاتينية من العربية أحد أبنائها جرردو دكريمونا المتوفى سنة ١١٨٧م في مدينة طليطلة من كتب الهيئة وأحكام النجوم والهندسة والطب والطبيعة والكيمياء والفلسفة . ويقال أنه ترجم أكثر من سبعين كتاباً ومنها ما فقد أصله العربي اليوم وبقيت ترجمته اللاتينية ، على نحو ما فقدت تآليف فلاسفة اليونان ولم تصل إلى أوربا إلا بواسطة ترجمات العرب عنها .

وكانت إيطاليا أيضاً ، وهي مهد النهضة الحديثة في أوربا ومن بلادها انتشرت في أقطار الغرب ، أول أمة غربية عُنيت عناية خاصة باللغة العربية ، وهبت لطبع كتب العلم فيها لمقصد ديني أولاً ثم لمقصد علمي ساق إلى حب الاطلاع والنفقة . وهذا الخلق على أتمه في أجيال الغربيين أكثر مما هو في الشرقيين على مارأينا . وتقدمت إيطاليا في الدروس العربية لأنها أقرب بلاد الغرب من أرض الشرق ، واحتكاكها بالمشاركة قديم جداً ، ولأن مقام البابوية كان في رومية عاصمة تلك البلاد ، والباباوات كانوا مسيطرين على كل شيء في الغرب إلى الزمن الذي قام فيه لوثيوس في ألمانيا في الربع الأول من القرن السادس عشر . وقد أنشأ البابا غريغوريوس الثالث عشر في رومية سنة ١٥٨٤ مدرسة للموارنة ساعدت على نشر العربية وتخرج فيها ثلاثة لبنانيين اشتهروا بجعل لواء العربية في أوربا وهم جبرائيل الصهيوني وإبراهيم الخافلافي وشمعان السمعاني وجاء بعدهم غيرهم ولا سيما من أسرة السمعاني نقلوا كثيراً من كتب العرب إلى اللاتينية في القرن السابع عشر وبعده وتخرج بهم بعض علماء المشرقيات من أمم الغرب .

وكان المأمول أن تكون إسبانيا والبرتغال أول الممالك الأوروبية التي تبادر إلى اتقان العربية لامتزاج أهلها في الأندلس بالمسلمين نحو ثمانية قرون ولأن الخاصة من أعيان الأسبان كانت ترى تعلم العربية من أدوات التفوق في الأدب وشارات الظرف واللفظ حتي كادت تنسى لغتها الأسبانية على عهد العرب . وقد أنشئت في مدينة طليطلة أول مدرسة عربية في إسبانيا أوائل القرن الحادي عشر وفي سنة ١٢٥٤ أنشئت في أشبيلية مدرسة عربية لاتينية لمزج الحضارتين العربية والأسبانية .

اما البرنقاليون فجاءوا متأخرين جداً في هذا المضمار ، وبقي أفراد منهم يولعون بدرس العربية ولا سيما من الرهبان لغرض الدعاية المذهبية ولم يجدوا منشطاً من أمتهم ولا من حكومتهم ، اي ان المشرقيات العربية في البرنقال ما كانت في وقت من الاوقات محل عناية أمة ظل العرب ملاسسين إياها قروناً .

وبينا كانت أكثر بلاد اوربا تحرم جدّ الحرص على آثار العرب وترفع منزلة من ينقل اليها علومهم ، وكان لليهود من اهل الاندلس يد طولي في هذا الشأن — كان رجال الدين في اسبانيا عقبي جلاء العرب عنها يحرقون الكتب العربية حيث صادفوها ، وظلوا خمسين سنة اي منذ أصدر انكرد بنال كيمينس سنة ١٥١١ م امره باحراق عشرات الالوف من كتب العرب في ساحات غرناطة ، يحرقون الاسفار العربية حتى كادت نبيد مدينة العرب من تلك البلاد لولا المترجمات الى اللاتينية والعبرية . وذكر كونده المؤرخ المستشرق الاسباني (١٨٢٠) ان مسيحي اسبانيا لما استولوا على قرطبة حرقوا كل ما طالت اليه ايديهم من مصنفات المسلمين وعددها مليون وخمسون الف مجلد جعلوها زينة وشعلة في يوم واحد ، ثم رجعوا على سبعين خزانة كبرى من خزائن الاندلس وانشأوا يتلفون كل ما عثروا عليه في بلاد الاقاليم من مؤلفات العرب .

ومنذ القرن الخامس عشر ، وربما من قرن قبله ، اخذت اكثر الامم الاوربية تبتاع بواسطة وكلائها وقناصلها وتجارها في الشرق مخطوطات عربية تزين بها قصور ملوكها وديرتها وبيعها ودور العلم فيها . وكان سان لوي او لويز التاسع احد ملوك فرنسا اول الشارعين بتأسيس خزائن الكتب وذلك انه بلغه لما كان في الشرق على عهد الحروب الصليبية ان بعض امراء المسلمين جعلوا لانفسهم خزائن كتب يطالعونها ساعات فراغهم فخرى هو على مثالهم ، كان هذا في القرن الثالث عشر . اما لويز الرابع عشر في القرن الثامن عشر فقد أرسل احد علماء النمسا الى بلاد الاسلام ليجتاع له الكتب العربية والعبرية والسرانية واليونانية . وهكذا لم ينصف القرن التاسع عشر حتى قدّر عدد المخطوطات العربية في اوربا بنحو مائتين وخمسين الف مجلد ، وأهم الخزائن العربية في اوربا واميركا في لينينغراد وبرلين وباريز ولندرا وغوتنغن ولبسليك

ومونخ وفيينا وليدن واكسفورد وادمبرج ودبلين وكمبرج وخزانة ريلندس في منشستر والجمعية الآسيوية في لندرا وفي باريز والاسكوريال وميلانو ورومية وبرنستون . وفي كل من هلسنغفوس وموسكو واو بسالا وكوبنهاغن وفرنكفورت وصونك وبوفه ودرسدن وجيسين وغوتا وتوبنغ وغربسوالد وستراسبورغ وكراكو وبراغ ومجربط وفلورنسه وتورينو وبلرم وخزانة وزارة الهند في لندرا ونيويورك وشيكاجو وبال وكليفورنيا وغيرها خزائن عربية تختلف بعددها ونفاسها باختلاف غنى الامة التي نشأت بينها وبزمان نهوضها لاقتناء كتبنا . ولكل خزانة من هذه الخزائن فهرس بل فهرس منظمة وصفت فيه مخطوطاتها العربية وصفاً مدققاً وذكرت تراجم مؤلفيها وكل ما له علاقة بها وذلك بارقام متسلسلة ونظام لم نستطع حتى الآن ان نخذو حذوه في انشاء الفهارس وتصنيف الجزرات (فيش) بحيث يحيط المستعرب اليوم بجميع النسخ المحفوظة في مكاتب الغرب من الكتب النادرة وغيرها متى أراد طبع كتاب او الرجوع اليه في أبحاثه . وما زالت هذه الخزائن على نحو مستمر لان الجامعات والحكومات تنشط الى تنشيطها ، والافراد ينهجونها مجاميعهم في حياتهم او بعد مماتهم ، فقد اعطى مؤخرأ صديقي الامير كايثاني من أعظم المستعربين في ايطاليا خزانته العظمى للمجمع العلمي في رومية في حياته ، واعطى غريفييني المستعرب الايطالي خزانته الجامعة ميلانو في ايطاليا بعد مماته ، وباعت أسرة غولدصهير المجري خزانة كتبه المهمة من الجامعة الاسرائيلية في القدس .

ولما انتفأت الثورة الدينية في الغرب وقامت مكانها الثورة الاستعمارية اشتدت الحاجة اكثر من قبل للاطلاع على آداب العرب وغيرهم من أم الشرق ، ودخل علم المشرقيات منذ أواخر القرن الثامن عشر في طور العلوم المنظمة فأنشأت النخبا سنة ١٧٥٣ مدرسة لتعليم اللغات الشرقية لقناصلها وتجارها ، وأنشأت فرنسا في سنة ١٧٩٥ مدرسة اللغات الشرقية الحية لمثل هذه الغاية ، وشادت المانيا مثلها سنة ١٨٨٧ ثم تبعتها روسيا وانكلترا وايطاليا فأست كل منها مدارس الاختصاص بهذه اللغات . على ان اهم جامعات الغرب لم تخل ابداً منذ القرن السادس عشر من دروس عربية ولا سيما جامعات المانيا وانكلترا وهولاندة . والعناية بدراسة هذه

اللغة باللغة حدها من الجد والهمة . ورأى علماء المشرقيات سهولة في تلقف لغات الشرق ، ومنهم من كان يعرف خمسا وعشرين لغة شرقية وغربية مثل لودلف الالماني ومنهم نحو عشرين لغة مثل دي ساسي الفرنسي وفان برشم السويصري وهوميل الالماني . ولا تقل اللغات التي يعرفها احدهم عن خمس او ست ، ومن أغربهم دوزي الهولاندي الذي كتب في سبع لغات كأنه احد ابنائها فكُتِبَ باللاتينية والهولاندية والالمانية والفرنسية والانكليزية والاسبانية والبرتغالية ، ومثله فبيري المجري فانه كان يكتب بالمجرية والتركية والعبرية واللاتينية والانكليزية والالمانية والفرنسية كأنه بعض المنشئين المشهورين في كل لغة لم تدخل واحدة منها الحيف على اختها . وللمستعربين في تلقف العربية طريقة اعتمدوا عليها في تعلم اللغات الغربية عنهم ، وهو ان يأخذ طالب العلم في مدرسته او بلده ما يمكنه اخذه من قواعد اللغة واصولها ومفرداتها ثم يرحل للتلقي عن اهلها ، ليحصل لازنه أنسة بسماع اللغة من اربابها ، كما كان أجدادنا يرحلون لتلقي الحديث ورواية الآثار والاشعار . فيجيء المستعرب يقضي ماشاء ان يقضي من الزمن في بلاد عربية ، وقد يفضلون مصر ثم الشام ، ومنهم من القن علمه العربي في الازهر وآخرون تعلموا في مدارس المسلمين في بيروت او قرأوا على مشايخ دمشق وحلب وبغداد وتونس وفاس ومنهم من تظاهروا بالاسلام وتطالت انفسهم ليدرسوا علوم الاسلام في مكة المكرمة مثل سنوك هروغرون الهولاندي .

ولما كانت الاعمال الكبرى لا تظهر فائدتها الا باجتماع القوى المتفرقة وتوحيد المقاصد ، وكان للجمعيات والمجامع اثر كبير في خدمة العلم والمدنية ، أنشئ للبحث في المشرقيات في باتافيا في جاوة اول مجمع للعلوم والفنون سنة ١٧٢٨ . والهولانديون من اول الامم التي حملت علم العلم والمدنية في الغرب ، ثم أنشئت الجمعية الآسيوية في البنغال في الهند في سنة ١٧٨٤ والجمعية الآسيوية في بومباي سنة ١٨٠٥ ، وأنشئ في القاهرة المجمع العلمي المصري سنة ١٨٩٨ ، وأسست الجمعية الآسيوية في باريس سنة ١٨٢٢ وكان من أعظم مؤسسيها اكبر مستعرب نشأ في فرنسا واخذ عنه أئمة المستعربين من علماء المشرقيات من الالمان والهولانديين والسويديين والاباطالين ، ونعني به العلامة سلفستردى ساسي ، والمشرقيات العربية في القرن

التاسع عشر في اوربا مدينة لهذا الرجل كثيراً لانه سهل على المشتغلين بالعربية طرق تعلمها وتلقفها .

يقول هو بولد ان من اجمل نتائج المدنية الحديثة ان تؤلف جميع الامم المستنيرة أمرة واحدة عندما تمس الحاجة لخدمة العلم والآداب والفنون وكل ما ينشأ من تقرير حقيقة وينبعث عن فكر وحس ويرتفع به الانسان الى ما فوق الحاجات العادية في المجتمع . ولذلك رأينا بين المشتغلين بلغات الشرق من الغربيين شبيهاً من التضامن الادبي يشد بعضهم أزر بعض ، فلم يكتف المشتغرون بجامعاتهم وجمعياتهم وجامعاتهم ومجلاتهم التي تنشر أبحاثهم ، بل سمت همهم الى عقد مؤتمرات يختلف اليها جميع علماء المشرقيات من الامم والمشتغرون في جملتهم ، فقدوا اول مؤتمر لهم في باريز ثم في لندرا ثم في لينينغراد ففلورنسه فيرلين فليدن ففينافاستمكهولم فلندرا ثانية فجنيف فباريز ثانية فرومية ففيمبورغ فالجزائر فكوبنهاغ فآيننه ثم عقد مؤتمر بعد الحرب العامة في لبيسيك لم تحضره أمم الحلفاء (فرنسا وانكلترا واطاليا واميركا) وعقد آخر في باريز لم تشترك فيه أمم الوفاق في اوربا الوسطى وشرقها (كالامان والنمساويين والمجر ولا أمم الصقالية اي السلافين) . وقد اعتاد علماء المشرقيات ان ينشروا بهذه المناسبة مجلدات ضخمة في أعمال مؤتمراتهم وما يقدمه بعضهم من الرسائل القديمة او يكتبه من الابحاث الطريفة في الفرع الذي اختص به . وكان للعربية من بين اللغات الشرقية التي تدارسها علماء المشرقيات المقام الممتاز فنشرت بذلك رسائل قديمة مهمة كما نشرت رسائل نادرة من كتب العرب في الاسفار التي يؤلفونها عندما يريد علماء المشرقيات الاحتراف باحد اخوانهم الذين خدموا العلوم الشرقية عند بلوغه سنًا معينة .

هذا ما قام به الغربيون لخدمة الدروس العربية ، وقل ان تجد في بلادهم جامعة مهمة الاآل وفيها منبر لتدريس لغتنا ، هما بلغ من قلة عدد ابناء تلك الامة ، وبعدما عن الاستعمار وانصرافها عن الفتوح والغزوات ، بل يتعلمونها للتجارة والنقيف ، وقد نبع في كل أمة رجال يشكون العربية ويكتبونها كابنائها ، ومنهم من اكتفوا بفهم النصوص في الكتب ، ولم يساعدهم الزمن ليتمكنوا من أدب العرب او ليرحلوا الى البلاد العربية بدرس لغتها ويمارسون التكلم بها مع أبنائها مدة ومن عرفناهم

يكتبون العربية كتابةً جيدة جويدي ونالينو وماسنيون ومارسيه ومرجليوث وبيرون وكرنكوف وبروكلمان وهارتمان ومورتس وكراشكوفسكي وكوفالسكي وغريفي وغلدهبير . ومعظم من هؤلاء بلغتنا من علماء المشرقيات نشروا كتباً ورسائل مهمة من آثار السلف الصالح ، ويكفي ان يقال في هذه العظم الشماء ان الطبع باللغة العربية الذي انتشر منذ القرن الخامس عشر في ايطاليا ومنذ أوائل القرن السابع عشر في هولاندة ، ثم شاع بعد حين في سائر عواصم الغرب ، لم يصل الاستانة الا في القرن الثامن عشر ، ولم يهبط مصر الا في أوائل القرن التاسع عشر وكان على ضعف في الشام في القرن الثامن عشر . وهذا اكبر دليل على انتباه الغربيين وتفوقهم علينا في ورود مناهل العلم والتذرع باسباب نشره وتجييه الى الناس .

سادثي : يحتاج الوقوف على ما نتج للغرب من تلك النهضة في الاخذ من علوم العرب الى بحث مستفيض خاص ، وبهنا الآن معرفة اثر تلك النهضة فينا وفي لغتنا ، اي ان نعرض للجهة التي تخصنا من ذلك الجهاد العظيم الذي جهده في احياء العربية فقط ، وذلك للنشوة بين نشروا كتبنا فأسدوا الى لغتنا المحبوبة ايادهم البيضاء ، وعلونا بما أحيوه دروساً في تاريخ أمنا ومدنية أجدادنا كنا نجهلها ، مع ان اعمالهم هذه وصلتنا بالعرض اذ لم يكن علماء المشرقيات او جمعياتهم ومجامعهم يقصدون خدمتنا ، بل خدمة العلم او الافكار التي يريدون بنها ليتخذ بعضهم من كتب أسلافنا مادة لنفعهم في موضوع قد يرون غير رأينا فيه او غير ذلك من المقاصد . ولكن مهما كانت النيات فقد استفادت العرب والعربية من هذه المهمة التي انبعثت من ديار الغرب ولذلك نقضي علينا أخلاقنا ان نعرف الفضل لصاحبه .

المشرقيات العربية في فرنسا وسمو يسرا وبلجيكا

اهتم المستعربون من علماء المشرقيات في فرنسا بالنقل والاحتذاء من كتب العرب أكثر من اهتمامهم بنشر اصول تلك الكتب ، ومع ذلك فان في الذي نشره من الكتب العربية دليلاً على ما بذله أفراد هذه الامم في خدمة آدابنا . فقد نشر (سلفستري دي سامي) امام المستعربين في الغربيين كتاب كلية ودمنة والفية ابن مالك

وكتاب الاعتبار لعبد اللطيف البغدادي في وصف مصر ومقامات الخريزي ومعلقة لبليد ،
ونشر (اكاترمير) مقدمة ابن خلدون والروضتين في اخبار الدولتين لابي شامة وسر
الخليقة لبليدوس الحكيم والقصائد السبع المملقات والبرق الباني ومطالع النيرين
والتيجان وبلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام . ونشر (كوسين دي برسفال)
المعلقات السبع وامثال لقمان الحكيم . ونشر (رينو ودي سلان) تقويم البلدان لابي
الفدا . ونشر (دي سلان) ديوان امرئ القيس والجزء الاول من وفيات الاعيان
لابن خلكان والجزء السادس من اخبار البربر في تاريخ ابن خلدون والتاريخ الحاكي
و (فريميري) رحلة ابن بطوطة ونشر (دوغا) بمعاونة (دوزي) الهولاندي و (ريت)
الانكليزي نفع الطبيب للقريه . و (باريه دي منار) مروج الذهب للمسعودي
و (هارتويغ درنبورغ) كتاب سيديو به والاعتبار لابن منقذ واربعة رسائل للملك
غرناطة ابي الحسن علي الى دوت دباغو القسطلبي وابنه والنكت العصرية في اخبار
الوزراء المصرية لعمارة اليميني وديوان النابغة الذبياني وطبع ابوه الرياض المزهرية في
صرف اللغة العبرانية ونحوها لمؤلفه ابي الوليد مروان بن جناح القرطبي وتاريخ انابكية
الموصل . و (بوشه) ديواني عروة بن الورد والفرزدق . و (هوداس) زهرة الحادي
باخبار ملوك القرن الحادي (عشر) للوفرائي وتاريخ السودان لعبد الرحمن التومبوكتي
وتذكرة النسيان في اخبار ملوك السودان وتاريخ جلال الدين المنكبركي وتاريخ الفتاش
نشره مع (دلافوس) . ونشر (باسيه) الخزرجية في العروض وتاريخ فتح الحبشة لعرب
فقيه . ونشر (بل) تاريخ بني عبدالواد ملوك تلمسان لابي زكريا يحيى وكتاب التكملة
لكتاب الصلة لابن الابار بمعاونة ابن ابي شنب . و (رافيس) زبدة كشف الممالك
للظاهري . و (سيلفسوهن) ديوان طرفة بن العبد و (ماسينيون) الطواسين للعلاج
والامثال البغدادية للطالقاني والاصطلاحات الفلسفية . و (ماسيه) نظام ديوان
المهر دار لابن الصيرفي وتاريخ ابن الميسر . و (پريه) ثماني مقالات لاهوتية ليجي بن
عدي و (رو) معلقة زهير ولامية ابن الوردي ولامية العجم للطبرائي وقصيدة يانت
سعاد . و (زوننبرغ) تاريخ ملوك فارس للثعالبي . و (هوار) البدء والتاريخ للطهر
ابن طاهر ومقامات ابن ناقي وديوان سلامة بن جندل . و (منك) دليل الحائر

لابن ميمون ومعين الحياة لابن جبرول . و (سيديليو) كتاب ابي الحسن علي المراكشي المدعو جامع المبادي والغايات في الآلات الفلكية و (شيفر) وصف الشام لابن الحسن علي الهروي والنهج السديد للفضل بن ابي الفضائل و (ديكرانج ابنه) ذكر تملك جمهور الفرنسوية مصر والشام لنقولا الترك . وطبع (دوبكه) رسالة في البراهين على مسائل الجبر والمقابلة لعمر بن ابراهيم الخيامي . و (مسكوراتي) اخبار بني مزاب . و (كونغ) كتاب الكلبي والمثانة للرازي . و (اكرينكا قيصر) تاريخ جزيرة جربة لمحمد بن ابي راس احمد الناصر . و (لولوفيل) كتاب صورة الارض لمحمد بن جابر البتاني . و (لانجليس) رحلات لانا من العرب والفرس رحلوا الى الصين والهند في القرن الثالث للهجرة . و (باتورني) وشاح انكثائب . و (غوتيه) الدررة الفاخرة للغزالي . و (كولبن) تذكرة ابي العلاء بن زهر . و (مرسيه) حلبة الفرسان لابن هذيل الاندلسي . و (فران) الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد لابن ماجد . و (امار) مقدمة الوافي بالوفيات للصالح الصفدي . و (كي) كتاب الاشربة لابن قتيبة . و (كارا دي فو) كتاب ايرن في رفع الاشياء الثقيلة نقله الى العربية قسطا بن لوقا البعلبكي . و (شولنس) السويصري ديوان أمية بن ابي الصلت . و (كلير) السويصري الجزء السادس من كتاب بغداد لابن الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور . و (فودجه) البلجيكي كتاب الاشارات الالهية لابن سينا . و (غينغ) الحاوي في علم التدادي لنجم الدين محمود الشيرازي . و (موتلنسكي) اخبار الائمة الرستميين لابن الصغير . و (ميز) السويصري حكاية ابي القاسم البغدادي .

المشرقيات العربية في جرمانيا

أخرج علماء الالمان أمهات كتب العرب التي تساعد على فهم دينهم وحضارتهم فقدموا للمستعربين وغيرهم مادة مهمة للبحث والنظر . وأهم ما نشره (فليشر) تفسير القاضي البضاوي والمفصل للزخشري وكتاب الف ليلة وليلة ورسالة هرمس في زجر النفس . وطبع (وستنفيلد) سيرة ابن هشام ومعجم البلدان لياقوت الحموي ومعجم ما استعجم للبكري وطبقات الحفاظ للذهبي ووفيات الاعيان لابن خلكان وتهذيب

الاسماء واللغات للنووي والمشتراك لباقوت وعجائب المخلوقات للقزويني وآثار البلاد
 للقزويني أيضاً والمعارف لابن قتيبة واسماء القبائل المتشابهة وغير المتشابهة لمحمد بن حبيب
 والاشفاق لابن دريد واخبار قبض مصر للمقرئ وسيرة نجر الدين المعني وتاريخ مدينة
 الرسول للسمهودي وتاريخ مكة للآزرق والمنقبي من اخبار أم القرى وهي منتخبات من
 الفاكهي والفامي وابن ظهيرة والاعلام للنهر والي الى غير ذلك من الكتب الممتعة التي عُدَّ
 وسنفيلا بنشرها من أعظم العاملين في تاريخ المشرقيات العربية . ونشر (فلوغل)
 الفهرست لابن النديم وكشف الظنون لحاجي خليفة والمؤنس للثعالبي وتعرفات
 الجرجاني ونجوم الفرقان وتاج التراجم لابن قطوبا . ونشر (سغاو) الطبقات الكبير
 لابن سعد وكتاب ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مردولة للبيروني ونشر له
 ايضاً آثار الباقية عن القرون الخالية والمغرب للجواليقي . ونشر (فريتاغ) ديوان
 الحماسة لابي تمام والافادة والاعتبار لعبد اللطيف البغدادي وولاية سعد الدولة على
 حلب وأمثال الميداني وفاكهة الخلفاء لابن عرشاه ووصف فلسطين والشام للادرسي .
 ونشر (آلورد) دواوين الشعراء الستة النابغة وعنترة وطرفة وزهير وعقمة وامريء
 القيس والاصمعيات ودبواني الارجيز للعجاج والزيفان وديوان روبة بن العجاج^(١)
 وديوان خلف الاحمر والفخري في الآداب السلطانية والجزء الحادي عشر من تاريخ
 مصنف مجهول . و(ليبرت) تاريخ الحكماء للقفطي . و(وابك) رسالة الخيامي في
 الجبر والمقابلة وكتاب الفخري للكرخي ونفسير مقالة افليدس العاشرة لابي عثمان
 الدمشقي . و(وتشثن) مقدمة الادب لجار الله الزمخشري . و(فولرس) معلقتي
 الحارث بن حلزة وطرفة بشرح الزوزني وتاريخ مصر لابن دقماق . و(كريم) النمسي
 الاستبصار في عجائب الامصار والمغازي للواقدي والاحكام السلطانية للماوردي
 والقصيدة الحميرية . و(فولف) المعلقات وشيئاً من ديوان البيغاء ورسالة في احوال
 القيامة . و(ايفيلد) فتوح الجزيرة المنسوب للواقدي . و(سيبولد) الشارح في

(١) حرص المستعربون على نشر دواوين العرب ولا سيما العرباء منهم لان الشعر
 مرآة الامم وقد يقع الباحث فيه على مواضع وعادات لا تخطر له على بال .

التاريخ للسيوطي واسرار العربية لابن الانباري والمني في الكنى له والمرصع لابن
 الاثير ورواية سول وشول وكتاب النقط والمواثر مع رسالتين في التوحيد .
 و (سيرنفر) اصطلاحات الصوفية لعبد الرزاق السمرقندي وتاريخ الغزنوية للعتبي
 والاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر والانقان للسيوطي وكتاب حدود الفلكي .
 و (بارت) فصيح ثعلب وديوان القطامي . و (مولر) النموي صفة جزيرة العرب
 للهمداني والفرق للاصمعي . و (مولر) الالماني طبقات الاطباء لابن ابي أصيبعة .
 و (يوسف مولر) اخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر وكتاب محمد بن كثير الفرغاني
 في الحركات السماوية وجوامع علم النجوم . و (بنس) اتعاظ الخفا للمقرزي .
 و (هورويتس) الهاشميات للكثير . وطبع (آبل) المعلقات السبع . و (سوسين)
 ديوان علقمة الفحل . و (ومسيكة) تاريخ ابي الفدا . و (نولدكه) ديوان عروة بن
 الورد . و (موجيك) النموي كتاب الوزراء والكتاب للجيشياري وصفة الارض
 للخوارزمي وعجائب الاقاليم لزهرا ب ورسم المعمور من البلاد لمحمد بن موسى بن شاكر
 احد الاخوة الثلاثة المعروفين ببني موسى . ونشر (بروكمان) تلقيح فهوم اهل الآثار
 في مختصر السير والاخبار لابن الجوزي وعيون الاخبار لابن قتيبة وديوان لبند
 وكتاب ما تلحن فيه العوام للكسائي . وطبع (فيلمار) الارجوزة المزدوجة لوجيه الدين
 البهنسي ومثلثات قطرب . و (جورج يعقوب) طيف الخيال لابن دانيال الطيب
 الكحال . ونشر (كرايتشك) النموي النصوص التي تعين على جمع تاريخ بني مزيد .
 و (باردنهاور) كتاب الانساب للمنشوب لارسطاطاليس . و (موريتس) النخبة
 السنية باسماء البلاد المصرية لابن الجيعان وتاريخ الفيوم لابي عثمان النابلسي الصغدني .
 و (شمولدرس) ارجوزة في المنطق لابن سينا . و (بارتز) كتاب الشرائع لسالمون
 ابن يوسف بن ايوب . ونشر (هفتر) النموي عدة رسائل لغوية وهي القلب والابدال
 لابن السكيت وكتاب الابل للاصمعي وكتاب خلق الانسان له وثلاثة كتب في
 الاضداد للاصمعي والسجستاني وابن السكيت وذيل للصفاني . ونشر الدارات والنبات
 والشجر والفحل والكرم للاصمعي . ونشر (ناغلبرخ) كتاب الشجر لابن خالويه . ونشر
 (غرونر) ادب الكتاب لابن قتيبة ونشر (هيل) تذكرة الكحالين لهلي بن عيسى وطبقات

الشعراء للجمحي وديوان الفرزدق . و(هوخهايم) النكافي في الحساب للكرخي . و(وايل)
الانصاف في مسائل الخلاف بين البصر بين والكوفيين للانباري . و(شوالي) المجاسن
والمساوي للبيهقي . و(شولتس) ديوان حاتم الطائي . و(ديترسي) بعض رسائل الفارابي
وحكمة ارسطاطاليس ونوحيده ورسائل اخوان الصفا . و(يزولد) سيرة احمد بن
طولون لابن سعيد المغربي وقصيدة عمرو بن كلثوم بشرح ابن كيسان . و(برونله)
كتاب المقصور والممدود لابن ولاد وأعد للنشر الازمنة لقطرب والاضدادله وكتاب
خلق الانسان للزجاج والعشرات لابن خالويه والمنصد لابن الهنائي والتنبيهات على
اغاليط الرواة ونشر نظام الغريب للرّاعي وشرح السيرة النبوية لابي ذر الخشني .
و(مان) تحفة ذوي الارب لابن خطيب الدهسة ومشكل الانساب . و(فبيز) الفرج
بعد الشدة للنونجي . و(جاهن) شرح المفصل لابن يعيش . و(ريشر) معلقة عنتره
وعليها شرح ابن الانباري والمعجم في بقايا الاسماء لابي هلال العسكري وشرح معلقة
زهير للانباري والمذكر والمؤث لابن جني . و(هوسهير) شرح معلقة زهير . و(بارمان)
قول الحسن بن الحسين بن الهيثم في الضوء . و(نوربك) كتاب النجوم للصباغ .
و(هوجنسن) النمسوي بغية المستفيد في اخبار زبيد . و(شورتس) ديوان عمر بن
ابي ربيعة .

ونشر في بلاد المانيا والنمسا في عصور مختلفة كتب رسائل كثيرة منها أخبار
الدول المنقطعة للازدي وديوان لبيد وديوان طرفة بن العبد وتذكرة الكحالين لعيسى
ابن علي وتاريخ الدولة الاتابكية لابي الحسن عز الدين وطبع لجابر بن حيان مصنف في
أسرار الكيمياء وعدة رسائل لجعفر الصادق في هذا الفن نشرت في ستراسبورغ
سنة ١٥٣٠ . وطبع في هذا العصر كتاب الكيمياء في باسل .

المشروعات العربية في هولاندة

لم يقلّ الهولانديون عن الالمان في خدمة الآداب العربية ، فقد نشر مستعربوهم
من الامهات المعتبرة ايضاً ما كشف القناع عن وجه المدينة الاسلامية فقام (ارنيوس)
سنة ١٦١٥ ونشر تاريخ الشيخ المكيين جرجس بن العميد وحكايات لقمان ، وانشأ مطبعة

ليدن وجهازها بالحروف العربية التي ما زالت الى اليوم تطبع بأكثر من عشرين لغة من لغات الشرق ونشر (غوليوس) كتاب الفلك للفرغاني وعجائب المقدور في اخبار تيمور لابن عرشاه . و (شولتس) سيرة صلاح الدين لابن شداد . و (دوزي) المحجب لعبد الواحد المراكشي والبيان المغرب لابن عذارى وقسماً من جغرافية الادريسي بمعاونة (دي خوي) ومنتخبات من مصنف للمقرئزي والحلة السيرة لابن الابار . ونشر شيخ المشرقيات العربية (دي خوي) من الكتب في التاريخ والجغرافية أجلاً حتى عد سيد المستعربين من الهولانديين بل لا يفوقه بكثرة ما طبع من جميع المستعربين في الامم الا (وسنفلد) ويزيد عليه (دي خوي) في التحقيق والضبط وجميل الذوق في فهم كلام العرب . فما نشره تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري وصلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد ونشر أمهات من كتب الجغرافية سماها المكتبة الجغرافية العربية وهي مؤلفة من المسالك والممالك للبخي والمسالك والممالك لابن حوقل واحسن التقاسيم للمقدسي البشاري وكتاب البلدان لابن الفقيه والمسالك والممالك لابن خرداذبة مع نبذة من كتاب الخراج لقدامة بن جعفر والاعلاق النفيسة لابن رسته وكتاب البلدان لليعقوبي والنبية والاشراف للمسعودي وجزءاً مهماً من تحارب الامم لابن مسكويه والعيون والحداثق وخلافة عمر الثاني ويزيد الثاني وهشام وشرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ودبوان صريع الغواني والشعر والشعراء لابن قتيبة . ونشر (بونغ) المشته في اسماء الرجال للذهبي والانساب لابي الفضل المقدسي ولطائف المعارف للثعالبي والخراج ليحيى بن آدم وفتوح البلدان للبلاذري وصحيح البخاري . ونشر (جوينبول) مرصد الاطلاع لعبد المؤمن بن عبد الحق والجبالي والامكنة والمياه للزحشري والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة وقصائد المنبي وشعراء عصره في مدح سيف الدولة . ونشر ابنه (وليم) النبیه في الفقه الشافعي للشيرازي وكتاب البلدان لابن واضح اليعقوبي . و (هوتما) زبدة النصرة للবাদ الاصفهاني وتاريخ اليعقوبي والاضداد لابن الانباري . و (بيت) لب الباب للسيوطي . و (مورسنيج) طبقات المفسرين للسيوطي . و (فايرس) درة الاسلاك في دولة الاتراك لابن حبيب و (فان فلوتن) مفاتيح العلوم للخوارزمي والخلاء للجاحظ والحامس والاضداد

له وثلاث رسائل للجاحظ أيضاً . و (آبل) ديوان أبي محجن الثقفي . و (فان دانبرغ) فتح القريب لابن القاسم الغزي . و (جرهاردوس) النزاع والتخاصم للقريزي . و (كونغ) المثانة والحصبة وثلاث رسائل في التشریح للرازي . و (فان ديرامت) عجائب الهند لبزرك بن شهر يار الرام هرمزي . و (انغلان) ديوان الحادرة . و (بالننادلاندور) الامانات والاعتقادات لسعديا بن يوسف الفيومي . و (بير) تاريخ الزندية لابن عبد الكريم علي رضا الشيرازي و (بيرام) المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين . ونشر في هولاندة الامام بن في ارض الحبشة من ملوك الاسلام ومفحات الاقوان في مبهمات القرآن للميوطي وغير ذلك من الكتب النفيسة .

المشريات العربية في انكليترا والولايات المتحدة

من اول ما نشر الانكليز من الكتب كتاب التصريف لابي القاسم خلف بن عباس الزهراوي . ونشر (بوكوك) مختصر الدول لابي الفرج الملقبي ونظم الجوهر لسعيد بن بطريق . و (كورتون) الملل والنحل للشهرستاني وعقيدة اهل السنة للمحافظ النسفي ورحلة البطريرك مكار يوس . و (لومسدون) مقامات الحريري ونقحة اليمن لاحمد الشرواني وشرح المعلقة ومختصر المعاني للقزويني وقاموس المحيط للفيروزبادي و (ناسو) الكشف للزمخشري وتاريخ الخلفاء للسيوطي ونوادر القليوبي وفتوح الشام للواقدي وفتوح الشام للبصري وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ونجدة الفكر لابن حجر العسقلاني . ونشر (هاريس خون) ذكر فتح الاندلس لابن عبد الحكم و (مهر) شوق المستهام في حل رموز الاقلام لابن وحشية . و (بالمر) ديوان زهير المصري . و (صمويل لاي) الاشارات في معرفة الزيارات للهراوي . و (ريت) الكامل للمبرد ورحلة ابن جبير ومجموعة سماها جُرزة الحاطب ونقحة الطالب فيها ديوان طهمان بن عمر الكلبي تأليف ابي الحسن السكري وتلقيب القوافي لابن كبسان وصفة السرج واللبام لابن دريد والسحاب والغيث واخبار الروادلة . و (أميدروس) تاريخ الوزراء للصابي وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي . و (برونو) كتاب الموشى للوشاء والاتباع والمزاوجة لابن فارس . و (كارلايل) مورد اللطافة

فمن ولي السلطنة والخلافة لابن تغري بردي . و (مرجليوث) معجم الادباء لياقوت الحموي والانساب للسمعاني ونشوار الحاضرة للنوخي ورسائل المعري وديوان التمايذي . و (فنكل) ثلاث رسائل للجاحظ فيها الرد على النصاري وذم أخلاق الكتاب ورسالة القيان . و (ارنولد) كتاب المنية والامل للرتضى في ذكر المعتزلة . و (كاسل كاي) مجموعة في تاريخ اليمن لعامة والمختصر من العبر لابن خلدون وأخبار القرامطة في اليمن للجندي . و (هرشفيلد) ديوان حسان بن ثابت . و (كركنوف) قصيدتين لزاحم العقيلي وديوان عمرو بن كثوم التغلبي والحارث بن حلزة البشكري والطرماح والصمحاء للجوهري وكتاب للعقيلي . و (مهران) معبد النعم ومبهد النعم للتاج السبكي . و (لايل) دواوين عامر بن الطفيل وعبيد بن الابرص وعمرو بن قبيصة والمفضليات للضي مع شرح ابي محمد القاسم الانباري والمعلقات العشر بشرح التبريزي . و (نيكلسون) كتاب اللع . و (بن) نقاض جزيرو والفردق . و (مرجليوث) مع (جيز) الالمانى حماسة المجتري . و (ستوري) الفاخر للفضل بن سلمة . و (مكارثي) ديوان ذي الرمة بشرح الانباري . و (منغانه) الدين والدولة لابن رُبْن . و (سترونج) فتوح الحبشة لاحمد ابن عبد القادر بن سالم بن عثمان . و (روس) ظفر الواله في تاريخ كجرات للانجلياني . و (كوست) تاريخ مصر ولائها للكندي . و (عويت) كتاب عبد اللطيف البغدادى . ونشر (بوبر) الاميركاني النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي . و (كونهيل) الاميركاني تاريخ قضاة مصر للكندي وكتاب المطرلابي زيد . و (كرنيلوس فانديك) الاميركاني رسالة في مرض الجدري والحصبة للرازي . و (طوري) الاميركاني فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم . و (جوث) الاميركاني الجزء الثامن من تاريخ مراة الزمان لسبط ابن الجوزي . و (كونيج) الاميركاني تاريخ حكام مصر للكندي . و (جاسترو) الاميركاني كتاب ابي زكريا يحيى بن داود هيو ج .

* * *

المشرقيات العربية في ايطاليا واسبانيا والبرتغال

كانت ايطاليا اول الامم الغربية التي ذهبت بفضل السبق في نشر الكتب العربية ، فقد أحيا علماءها المستعربون في مدينة البندقية سنة ١٤٧١ تأليف يحيى بن ماسويه

الاصغر الحراني في الطب والفلسفة وطبعوا قانون ابن سينا في الطب مع كتاب النجاة في سنة ١٥٩٣ وبعدها نشروا رسائل أخرى في المنطق والطبيعة والكلام للرازي وطبعوا تحرير اصول أفليدس للطوسي .

ونشر (آماري) المكتبة العربية العقلية وفيها جميع ما ورد في كتب العرب عن جزيرة صقلية وطبع الشروط والعقود السياسية بين جمهوريات ايطاليا وسلاطين مصر وغيرهم وكتاب الاشارات للرومي . و (لاتروني) القول المستطرف في سفر مولانا الملك الاشرف وكتاب النخلة للسجستاني . و (ريزو) كتاب الارصاد الكلية . و (كايتاني) تجارب الامم لابن مسكويه . و (جويدي) شرح بانت سعاد لابن هشام وكتاب الافعال لابن قوطيسه والاستدراك لابي بكر الزبيدي . و (كيسب فللا) كتاب ديوان مصر وزاد المسافر ورسالة لقسطا بن لوقا . و (سكيابارلي) ديوان ابن حمديس الصقلي وجزء آمن انس المهج وروض الفرج ومرشدة الطالب في اسمى المطالب لابن بسام وعلم الشعر لابي العباس احمد بن يحيى ثعلب . و (نلليو) زيج البتاني في الفلك والبيان لابن رشد . و (غريفيني) فقه زيد بن علي وديوان الاخطل والطبقات لابي بكر الزبيدي ونصوصاً عربية في صقلية وقصيدة منسوبة لامري القيس وقصيدة قدم بن قادم وقصيدة الاعشى «مالبكاء» وأعد للطبع لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية للامير عثمان بن ابراهيم التنايلسي . والآتية (كودنسي) آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان لاسحق بن حسين النجم . و (بويجي) مقامات ابي طاهر التميمي . و (روميو) كتاب الفرغاني في الطب . و (برنولوميو) كتاب النحل للسجستاني و (كوزالوشي) و (لاغوميتا) الصكوك المعينة على تاريخ استيلاء العرب على جزيرة صقلية ملحقاً للمكتبة الصقلية التي نشرها آماري .

وانت ترى ان ماسما الاباطليون الى نشره اولاً كتب العلوم المادية فتداركوا من الضياع بعض ما أبقته الايام من الكتب ، ولقد وضع السويسري سوتر من علماء المشرقيات كتاباً فبين اشتغلوا من العرب بالعلوم الرياضية والفلك فقط فكان عدد من وصل الى تراجمهم نيفاً وخمسمائة رجل فقدت الآن اكثر كتبهم . ونشر (بانكوي) الاسباني كتاب الزراعة لابن العوام . و (كازللا) لغز قابس . وأهم ما نشره علماء

المشرقيات الاسبان المكتبة الاندلسية . نشرها (كوديرا) و (ربيرا) وهي الصلة لابن
بُشكوال وبغية الملتبس في تاريخ رجال الاندلس والمعجم لابن الابار والتكملة لكتاب
الصلة لابن الابار ايضاً وتاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي وفهرس مارواه عن شيوخه
ابوبكر بن خليفة الاشبيلي . و (اميليو لافونت) اخبار فتح الاندلس وذكرا مرانها والحروب
الواقعة بينهم . و (كيروس) علم ما بعد الطبيعة لابن رشد . و (آسين) المدخل لصناعة
المنطق لابن طملوس . و (كنساليس) تقويم الذهن للداني . و (ربيره طرغوه) القضاة
بقرطبة للخشني القروي . و (شانجاس) اختصار الجبر والمقابلة لابن بدر . و (غسبار) ريحانة
الكتاب للسان الدين ابن الخطيب والجزء الثاني والعشرين من نهاية الارب للزويري .
و (هويقي) كتاب التواريخ لابن بسام . و (كلارزا) فلسفة الاسلام والغربيين . ونشر
(لوبس) البرنقالي كتاب أحوال البرنقاليين في مالابار الهندية للشحزين الدين وكتابات
عربية متعلقة بالبرنقال . و (صرصه) الصكوك العربية المتعلقة بتاريخ البرنقال .

المشرقيات العربية في روسيا وبولونيا وفنلندا وهنغاريا وتشكوسلوفاكيا

أولع الروسيون بنشر خلاصات من كتب العرب فكانوا أشبه بالافرنسيين في
هذا المعنى ، ومع هذا نشر من أبنائهم (كركاس) الاخبار الطوال لابي حنيفة
الدينوري . و (غوتولد) تاريخ سني ملوك الارض والانبياء لجزء الاصفهاني ومجماً
للقرآن والمعلقات . و (كولسون) الاعلاق النفيسة لابن رستم . و (خانيكوف) ميزان
الحكمة للغازي . و (بتروف) طوق الحمامة لابن حزم . و (روزن) تاريخ الذيل الذي
صنفه يحيى بن سعيد بن يحيى الانطاكي ومصنفاً في الجبر لابي جعفر الخوارزمي .
و (كراشكوفسكي) ديوان الواواء الدمشقي . ونشروا رحلة ابن فضلان والصور السمائية
لعبد الرحمن بن عمر الصوفي ويعرف بكتاب الكواكب الثابتة . ونشر (كوفالسكي)
البولوني ديوان قيس بن الخطيم . و (رودلف دفوراك) ديوان ابي فراس الحمداني .
ونشر (ولين) الفنلاندي حائية ابن الفارض « أوميض برق بالابرق لاح » مع شرح
عبد الغني النابلسي عليها . ونشر (تلكويست) الفنلاندي المغرب في حلى المغرب
لابن سعيد . ونشر (غولدهير) المجري كتاب المعمرين للمسجستاني وفصائح الباطنية

للغزالي وكتاب مهدي الموحدين محمد بن تومرت وديوان الخطيئة جرجول بن اوس
ومعاني النفس ومقالة لكانب اسرائيلي في اسماء الله الحسني وصفاته تعالى .
الدانيمرك والسويد ونروج

نشر (مهرن) الدانيمركي عجائب البر والبحر لشيخ الربوة وعدة تأليف لابن سيننا منها
رسالة حي بن يقظان ورسالة في أمرار الحكمة المشرقية . ونشر (تورنبرغ) السويدي
تاريخ الكامل لابن الاثير والانيس المطرب لابن ابي زرع الغامي . و(كرولندبرغ)
السويدي الفتح القسي في الفتح القدسي لعاد الدين الاصفهاني وديوان زهير بن ابي سلمى
للالعلم الشنمري . ونشر (مويبرج) السويدي درج الغرر ودُرَج الدرر للميكلي .
و(نبرغ) ثلاث رسائل لابن عربي وهي انشاء الدوائر وعقلة المستوفز والتدبيرات
الالهية وكتاب البهجة لابراهيم الشبستري والانصار سيف الرد على ابن الراوندي .
ونشر (بروخ) المنفصل للزخشري . و(سترسين) السويدي تاريخ سلاطين مصر
والشام وحلب وبيت المقدس وامرائها لابراهيم مغلطاي وقطعة من كتاب تهذيب
اللغة للازهري .

الخلاصة

هذا بعض ما أحياء علماء المشرقيات في الغرب من أسفار أجدادنا ، وهذه
الجريدة ادني الى ان تكون قائمة غير مستوفاة لان بلاد الغرب كبيرة ، والاسنقصاء
متعذر بعد عمل القوم هناك قرونًا طويلة . وما زالت هذه اللغة كما قلنا مرة من
لطف الله بها يخدمها الأعاجم ، ويغار عليها من ليسوا من ابنائها ، وقد يحسن الدخيل
خدمتها أكثر من الأصيل . خدم الأعاجم حضارة العرب كثيرًا في العهد القديم ،
والأعاجم في العهد الحديث ماخرجوا عن هذه السنة معها ، وبعد فلو لم يشرع الغربيون
بنشر كتبنا منذ القرن الخامس عشر لليلاد لتأخر النور عنا مدة ، ولكان ضاع
جانب من ثروتنا العلمية ، ولو حدث الانتباه في الغرب للحصول على كتب العرب في
القرن العاشر لليلاد . مثلاً لحفظت كنوز كثيرة تبعثت بالحروب الصليبية في الشام
ومصر ونكبة هولاء في بغداد وفجائع البربر والاسبانيين في الاندلس ، وغير ذلك

من الخطوب المدلّعة التي أصيبت بها كتب العرب من إحراق وإغراق وتمزيق ونفريق . ومع هذا فإن هذه المادة الصالحة التي تلقفها الغربيون من أسفارنا بعد زمن نهضتهم ، قد أحييت معالم حضارتنا ، ولولا عنايتهم البالغة لضاع أكثر ما بقيته الأيام لنا ، لأن ما حفظ من كتبنا في بلاد الغرب الأقصى والادنى ومصر والشام والعراق والحجاز واليمن والهند وفارس وبخارى والاستانة وغيرها هو بقايا ضئيلة من تلك التركة العظيمة .

توفر المستعربون على طبع ما ظفروا به من كتبنا ورأوا مصلحة للعلم والآداب أو للسياسة والاستعمار غرضاً في إحيائه قبل غيره ، وقلموا طبعوا كتاباً أو رسالة إلا عن فكر ولقصد ، موفرين العناية بمعارضة النسخ بنسخ مثلاً ، والرجوع الى المظان المنقول عنها ، يجعلون ذلك في الهوامش ، ويحشونها بالفوائد والاستدراكات والملاحظات وحل المشاكل والمفردات . وكانوا يكتبونها لأول الامر باللاتينية لغة العلم عندهم ، ثم اخذ كل واحد يكتبها بلغته اي لغة الناشر ، ويفردون لكل كتاب فهرساً بل فهارس للاعلام من البلدان والجبال والأنهار والطرق والجسور والجوامع والمدارس والشوارع والدروب والأبواب والأسواق والأشخاص والقبائل والأمم وأسماء الكتب التي وردت في متن الكتاب ، ويشفعونها بفهرس القوافي والامثال وايام العرب ان كان السفر من كتب الشعر والادب ، وبفهرس المفردات ان كان الكتاب في اللغة والطب والهندسة والطبيعة والحكمة والجغرافية والفلك والحيوان والنبات الى غير ذلك مما يجزل الانتفاع من مطبوعاتهم ويقرب منالها على الطالب . وقد ينشرون الاصل من كتاب وينقلونه الى لغة من لغاتهم او يقدمون له مقدمة فيها مزايا الكتاب وما يمكن ان يستفيد منه العلم الآن وكم من مقدمة حملت روح الكتاب وارواحاً جديدة مع روحه .

وكل ما طبعه اولئك الاعلام ينم عن صبر طبيعي فيهم ، ودؤوب غريب ، وأمانة بصفق لها ، وتحريم للحق ، وتخرج من التلقيق ، حتى غدت مطبوعاتهم الاماندر منها مثال النظر البليغ ، والطبع الجميل ، واكبر معوان على المراجعة والمطالعة والانتفاع بالكتاب حق الانتفاع . وكم من كتاب عظيم ظهر في الشرق غفلاً من الفهارس التي تقرب مناله فما هو ان نقل الى الغرب حتى تصدى بعض علمائه ووضعوا له الفهارس لينم

الانتفاع به ، كما فعلوا بكتاب الاغانى وامالى القالي وغيرهما . وعلى العكس رأينا بعض المطابعين في الشرق ممن استحلوا انخال طبعات علماء المشرقيات من الغربيين ، فأعادوا طبعها في شناعة صورة معراة من حواشيتها وفهارسها ، ولم يذكروا كلمة واحدة في نسبة الكتاب الى طابعه الاول ، بل محببه من العدم وصاحب الفضل الاكبر في اخراجه للناس .

نعم يصدر المنشرفون الكتب العربية على عجمتهم سليمة من الشوائب في الجملة ، ونحن على عربيتنا قد نرتكب في احياء كتبنا أغلاطاً فظيعة ، ذلك لاننا نحاول ان نعمل عمل شبر في يوم ، وان لانعيب أنفسنا في البحث والتفكير ، فيأتي عملنا خداجاً قبل أوانه ، ويأتي عملهم تام التراكيب ، مشبعاً بالتحقيق والتحصيل ، فنحن نختدج وهم بنضجون . ومع هذا نرى بعض المتخلفين منا يرمون المستعربين بعدم الفهم ، اذا ظفروا لهم بغلطات معدودة في كتاب طبعوه ، وهم لو ألقي اليهم الأصل الذي طبع عنه المستعربون لارتكبوا أضعاف أغلاطهم ، وربما تعذر عليهم الاهتداء الى وجه الصواب في النقل والنشر ، ويقال لمن يعاجز هؤلاء الأعاجم ، ويذكر لهم هنات قليلة غاصاً الطرف عن سلسلة حسناتهم : هيا أننا بتأليف كتاب يفهم التي يحبونها ، ونحن نتسامح معك في عدد الهفوات التي نسقط فيها . الانتقاد سهل ولكن الصعوبة في الإبداع والايجاد . وينتقد بعض من نظروا في الكتب التي طبعها المستعربون ان حروفها العربية ليست من جمال الهندام على مثال حروف المطابع في مصر والشام والاسنانة ، ولم بعض الحق في ذلك لان المطابعين هنالك اعتمدوا على هذه الحروف التي هي اشبه بالقاعدة المغربية ، وبها طبعوا معظم ما طبعوه منذ القرن السادس عشر ، على ان بعض مطابع انكلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا والسويد أخذت في العهد الأخير تبدل الامهات القديمة بامهات من الحروف الجديدة على القاعدة الاسلامبولية وغيرها ، فأخذت مطبوعاتهم تخرج علينا بهذا الضرب من الحروف المشرقة . وكيف كان الحال فالسعيد في نظرنا من يتهيا له اقتناء خزانة من هذه المطبوعات العربية في الديار الغربية ، لانها نادرة لقلة ما يطبع منها ، وبعد الزمن الذي قضى بنفاذها ، وما نخال المستعربين ارفعوا في عدد ما يخرجون منها عن بضع مئات ، ولعلهم يجمعون بعد الآن الى هذا

المقصد العلمي المقصد التجاري ايضاً ، فيكثر من عدد النسخ المطبوعة ليشارك العربي في اقتناء كتب اجداده ، ونعم الفائدة وينجو المستعربون بعض الشيء من استغلال بعض الطابعين سرقة كتبهم وطبعاتهم في بعض بلاد الشرق .

و بعد فما يرح العارفون منا بقصدرون عمل المستعربين قدره ، بل يعجبون به ويمجدونه ، قال لي استاذي علامة الشام الشيخ طاهر الجزائري : أليس من الغريب ان يكون تفسير القاضي البيضاوي المطبوع في المانيا أصح من الطبعة التي طبعت في الاسكندرية ؟ وسمعت استاذي الشيخ محمد المبارك يقول : لاحظت مع الجماعة الذين يجتمع وإياهم على قراءة سيرة ابن هشام ان الطابع الافرنجي عني بطبعها وخدمها أكثر من عناية المصححين لها في المطبعة الاميرية في مصر اه . وهذا من عجيب تدقيق علماء المشرقيات وسلامة نظرهم ، يحسنون طبع تفسير قرآننا وسيرة رسولنا أكثر مما نحسنها ، على حين نحن لم نحرص في كل عصر على شيء حرصنا على علوم الدين ومقوماته وأغلطنا ماعداها من العلوم الا قليلاً . لاجرم اننا لم نصل الى اليوم في مصر والشام الى محاكاة الغربيين في باب العناية بطبع كتبنا ونشرها سليمة مقبولة تراخ النفس اليها ويعول المحققون في تأليفهم عليها .

لولا عناية المستعربين باحياء آثارنا لما انتهت اليها تلك الدرر الثمينة التي اخذناها من طبقات الصحابة وطبقات الحفاظ ومعجم البلدان ومعجم الادباء ومعجم ما استعجم وفتوح البلدان وفهرست ابن النديم ومفاتيح العلوم وطبقات الأطباء واخبار الحكماء والمقدسي والاصطخري وابن حوقل والهمداني وشيخ الرتبة وابن جبير وابن بطوطة الى عشرات من كتب الجغرافية والرحلات التي فتحت أمامنا معرفة بلادنا في الماضي وبها وقفنا على درجة حضارتها . لولا احيائهم تاريخ ابن جرير وابن الاثير وابي الفدا واليعقوبي والدينوري والمسعودي وابي شامة وابن الطقطعي وحمزة الاصفهاني وأمثالهم لجهلنا تاريخنا الصحيح وأصبحنا في عمية من أمرنا . ولوجئنا نعدد حسنات دواوين الشعر وكتب الادب والعلم التي أحيوها لطلال بنا المطال في الذي أوردناه من أسمائها فيما سلف غنية ، والمقصود يسان تلك المزايا ، والاشادة بالابادي البيضاء التي أسددا القوم لآدابنا .

أعلى دي سامي ودي سلان وريبنو وفليشر ووستنفيلد وفلوغل وفريتاغ ومولار وسخاو وآلورد ودوزي ودي خوي وجوينبول وهوتسا وفان فلوطن ولبس وزيت واميدروز ومرجليوث وبوبر وبن ولايل ومكراني وجويدي ونلاينو وكودرا وريبرا وغولدصهير وكركس وروزن وغوتولد وتورنبرغ ومن تبعهم ومشى على اثرهم ممن طبعوا الامهات او طبعت تحت نظرهم وتحقيقهم — هؤلاء الرجال أعلام مقام المشرقيات في الغرب . فان فضل كل واحد منهم بما نشر كفضل المؤلف في تأليفه وقد لا يكون التأليف من الصعوبة بالمكان الذي يقع فيه من يحاول إحياء تأليفه بعد ان تعاورته النساخ بالسخ والتحريف . ومصيبة الاخذ من المخطوطات القديمة لا يشعر بها كل الشور الا من أصيب بها ، فان منها العمل الذي لا إعجام في حروفه ومنها المشبك ومنها المحشى المهمش بأشياء تزيد البلاء في استنبات ما قاله المؤلف الاصيل . وأعظم الخطوب في ذلك ان ينسخ الناسخ ما لا يفهم معناه ولا مبناه وهناك البلية كل البلية . فإحياء الأسفار على هذه الصورة فيما ترى تأليف وزيادة . ووستنفيلد وفليشر وفلوغل ودوزي ودي خوي وريت ومرجليوث وتورنبرغ وسخاو مثلاً بأحيائهم عشرات من كتبناهم من أعظم المحسنين لأدبنا . ولنا نذكرهم ونذكر رفاقهم معاً قل عملهم في نظر المتشدقين الا بالرحمة والاعظام ، ونعدهم أسانئنا في نشر الكتب والتأليف والنقد . فعلى الأموات منهم الرحمة وعلى الأحياء السلام .

هذه أسماء المصادر التي اعتمدنا عليها في كتابة هذا الفصل (١) تاريخ علماء المشرقيات في اوربا من القرن الثاني عشر الى القرن التاسع عشر لدوكا (بالفرنسية) . (٢) تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر للاب لويس شيخو . (٣) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع للدكتور ادوار فنديك . (٤) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان . (٥) غرائب الغرب لمحمد كرد علي . (٦) مجلة المشرق . (٧) مجلة المقتبس . (٨) مجلة المجمع العلمي العربي . (٩) المجلة الآسيوية الباريزية . (١٠) مجلة العالم الاسلامي الباريزية . (١١) مجلة الدروس الشرقية الايطالية .

حديث

جلالة الملك فؤاد الاول

« ملك مصر المعظم »

نشرت جريدة المقتبس الدمشقية نص الرسالة التي أرسلها اليها حضرة السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي عن تشرفه بمقابلة جلالة الملك فؤاد وما تفضل به جلالتة اليه من حديث عن النهضة العلمية في مصر والشرق قال الاستاذ :

شرفني امس الاول بقبولي الى حضرته في قصر عابدين جلالة الملك فؤاد الاول المعظم ونالني من عطفه ورعايته جانب كبير وسألني بعد ان اهل بي وسهل فيما اذا كنت هبطت مصر لاول مرة فأجبتة اني قضيت فيها خمس سنين اعمل في السياسة المصرية والحركة الادبية مدة طويلة فسرّ وقال عن نفسه : اني رجل رببت تربية عسكرية لا أحب الكذب ولا استحسن الموارد ، ولطالما دعوت قومي الى الاعمال العلمية والصناعية ليتخلوا قليلاً عن الاشتغال بالسياسة ، فاننا اذا عملنا كلنا فيها أوقفنا عمران بلادنا . فقلت له اني عرفت مصر منذ سبع وعشرين سنة وعدت اليها في أدوار مختلفة فشاهدتها في عصر كم السعيد غير مصر الاولى ، رأيت فيها جماعات يعملون الاعمال النافعة في مناطق اختصاصهم لا يعدونها مجال ، وقد أثرت أعمالهم على النظام الغربي الثمرة المطلوبة ولا شك انه كان له ولاجداده العظام يد طولى في إنشاء هذه الحضارة واذا كان فيها بعض النقص فسيه الى اكمله يعد في باب صفاته الكاملة وهمته العالية قلت : ورجائي ان تقطفوا الثمرة الشمية التي غرستها أيديكم وأيدي أمركم المعظمة على ما تحبون لمصر ولخير اهلها .

ثم قال أدام الله علوه اني حرص جد الحرس على نشر العلم بين جميع الطبقات ، وأود ان أجب الى مصر كل إخصائي في فنه وادبه ليدخلوا فيها روحاً جديداً ، حتى لا يبق دون غيرنا في مضمار التقدم . ولطالما أردت بعض المشتغلين بالعلم في الغرب ان ينزلوا على الرحب والسعة ديارنا ، لينبذوها بعقولهم وقرائحهم وقد أوزر بعضهم في بيوهم أحملهم على هذا الغرض . وقد غشيت مرة منزل الاستاذ سنوك هروغرفي

المولاندي سيف ليدن وعرضت عليه ان يشخص الى مصر ، ولكن بعض علماء الغرب لا يستطيعون ان ينفكوا عن وظائفهم وأعمالهم و يصعب عليهم ان يرحلوا طويلاً الى بلاد الشرق . وهنا ذكرت له أباديه البهاء على الجامعة المصرية في نشأتها الاولى وقد رأسها زمناً قبل ان يتولى الملك وقلت له ان الثمرة قد أينعت بمسعى جلالته وبلغت البلاد في أيام حكمه درجة عالية من النهوض وتوشك ان تثم نواقصها بفضل معاونته وإرشاده . ثم سألتني عن الحركة العملية في بلادنا فأوردت على مسامحة الشريعة ما حضرني من اندفاع الناس في تعليم اولادهم ، وان المدارس أصبحت لا بأس بها بالقياس الى ماضيها ويرجى ان تأتي منها أفضل النتائج بعد حين ، وعرضت للمجمع العلمي العربي وأثره في النهضة الشامية بمحاضراته ومجلته وعنايته بأعضائه بالبحث والدرس وقلت له شيئاً عن داري الآثار والكتب وان الآثار التي تستخرج في ارض دولتنا تعطى للتحف . فقال أعلى الله شأنه ان بلادنا وبلادكم مملوءة بالعاديات تحتاج الى من يحسن استخراجها ويحي ثروتها وعظمتها . قال : وافي مزعم ان أسس في مصر مجمعا علميا يكون أعضاؤه لا من المصر بين فقط بل ومن غيرهم ايضاً ، وانه يجب ان يرى العلماء يعملون على الأساليب الحديثة ، وان تنجلي في أعمالهم روح التحقيق والبحث والاعتماد على المصادر الجديرة بالثقة ، لا كما يفعلون في مصر الان فيترجمون على الأغلب حتى سيف تاريخنا وأدبنا ترجمة ناقصة ، وكان عليهم ان يؤلفوا و يضعوا من عند أنفسهم . فقلت له : ان ذاء الشرق بين قلة النظام وقلة الدؤوب . قال : وهذا تاريخ مصر منذ ١٢٠ سنة يكاد يفقد ولم يكتب كتابه نقد وتحيص ، وقد عنت أشد العناء بمجئع الوثائق الرسمية ووضعها - في جزازات ورئت على نظام مقبول يمكن الاستفادة منها ، ولما لم أعرف احداً في بلادني يحسن التركية و يشارك في معرفة هذه الاعمال اضطرت الى استدعاء عالم افرسي اسمه المسيو دينه للتنظيم هذه الدخائر الناقصة لمصر . وهنا ذكر الاستاذ نللينو الايطالي من اساتذة الجامعة المصرية وأعماله الطبية في العلم فقلت لجلالته ان كتابه « تاريخ علم الفلك عند العرب » من أمتع الاسفار ولا يكاد يوجد في أمتنا من يؤلف مثله على اختصاره وإمتاعه وسعة مادته . وذكرنا علماء آخرين من التاريخ نفخوا مصر بعلمهم .

وقد كان جلالتـه ، أعز الله به دولة العلم وأعلى في عهده كعب مصر بين الممالك ،
 تتجلى فيه روح الديموقراطية الحقيقية وما كنت اظنني أمام أكبر ملك عربي متمدن بل كان
 بترائي لي انني أمام عالم كبير يعرف معنى المدنية ويعرف السبل الى إنهاض أومته
 ويتدفق غيرة وإخلاصاً من أجل خدمة بلاده ، رأيت فيه بعد النظر والبعد عن
 التكلف وحب التسامح . واكثر ما كان يرمي اليه قوله انه يجب ان يهبط العلماء ببلاده
 لينفعوها بقرايحهم ومكتشفاتهم . وقال مرتين : اننا اذا لم نحسن معرفة تاريخنا ولغتنا
 كما يجب فأني شيء نتطال اليه بعد .

هذا ما علق بذهني بما دار بيني وبين جلالة ملك مصر المعظم الذي مازال يتوج
 هام مصر بالمعاهد والمصانع التي تدل على تشبعه بروح الدستور وروح الفنون الجميلة
 والعلوم الحديثة وهو يسعى جهده لتبلغ مصر أرقى مداها . حقق الله آماله وآمال
 الامة العربية جمعاء .



قانون البلاغة

- ٦ -

وقالت جنوب^(١) اخت عمرو :

(فأقسمت يا عمرو لو نبت لها - لك اذن نيهامك داءً عضالاً)

(اذن نيهام ليث عريسة مفيتاً مفيداً نفوساً ومالاً)

(وخرفاً تجاوزت مجهولةً بوجناء حرف تشكى الكلالاً)

(فكنت النهار بها شمسه وكنت دجى الليل فيها هلالاً)

فانظر الى دهاجة هذا الكلام ما أصفها ، والى تقسيماته ما أصحها ، وانظر الى قوله مفيتاً مفيداً ، ووصفها بالشمس في النهار ، والهلال في الليل ، واشتقاق التسهم من البرد المستهم الذي لا ينفات ولا يخلف ، وقد يسمى التوشيح ايضاً .

واما رد الكلام على صدره ، ويسمى ايضاً رد العجز على الصدر ، فهو ان يبدأ الشاعر كلمة في بيت ، ثم يعيدها في عجزه ، او في النصف الاول ، ثم يردّها في النصف الآخر . واذا نظم الشعر على هذه البنية يستخرج قوافيه قبل ان تطرُق السمع ، او ينهي اليها المنشد ، كقوله :

(وان لم يكن الا نعل ساعة قليلاً فاني نافع لي قليلاً)

وقول الآخر :

(سقى الرمل جَوْناً مستهل غمامة وما ذاك الا حب من حل بالرمل)

وقول الآخر :

(وكنت سناماً في فزارة تامكاً^(٢) وفي كل حي ذروة وسنام)

واما صحة التقسيم فهو ان يستقصي الشاعر تفصيل ما ابتدأ فيه ويستوفيه ، فلا يغادر قسماً يقتضيه ذلك المعنى الا أورده كقول زهير :

(يطعنهم ما ارتقوا حتى اذا طعنوا ضارب حتى اذا ما ضربوا اعتنوا)

(١) جنوب اخت عمرو ذى الكلب الشاعر (التاج) . (٢) التامك من الاستمّة

ما طال وارفع واكثر .

فقسم البيت على اقسام الحرب ، ومراتب اللقاء ، ثم ألحق بكل قسم ما يليه في المعنى الذي قصده من تفضيل الممدوح وكقول نصيب :

(فقال فريق القوم لا وفريقهم بلي وفريق قال ويحك ما ندرى)
وليس في الأقسام في الإجابة عن المطلوب اذا سئل عنه غير ما ذكره ، وقال
طريح بن اسماعيل :

(ان حاربوا وضعوا ، وان سالموا رفعوا او عاقدوا ضمنوا ، او حدثوا صدقوا)
فهذا وأمثاله التقسيم الذي اذا اعتمده الشاعر ، وأحسن صنعته ، شرف كلامه ،
وتهذبت عبارته .

واما الماثلة فهو ضرب من الاستعارة ، وذلك ان يقصد الشاعر الإشارة الى معنى يضع ألفاظاً تدل عليه ، وذلك المعنى بالفاظه مثال للمعنى الذي قصد الإشارة اليه . كقول زهير :

(ومن بعض أطراف الزجاج فانه بطيع العوالي ركب كل لهدم)
فعدل ان يقول من لم يرض باحكام الصلح رضي باحكام الرماح . وكقول عمرو :
(فله ان قومي أنطقني رماحهم نطق ولكن الرماح أجرت)
واما التكميل فهو ان يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي نتم بها صحته ، وبكل معنا — شيئاً الا اتي به كقول نافع بن خليفة :
(أناس اذا لم يقبل الحق منهم ويعطوه عاذوا بأسيوف الصوارم)
انما تمت جودة المعنى بقوله : ويعطوه ، والا كان منقوصاً ، وكقول كعب بن
معد الغنوي :

(حلیم اذا ما زينت الحلم أهله مع الحلم في عين العدو مهيب)
وكقول كثير :

(لو ان غرة خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موفق لقضى لها)
فقوله عند موفق من التكميل .

واما الترصيع فهو توخي تسجيح مقاطع الاجزاء وتصييرها متقاسمة النظم ، متعادلة الوزن ، حتي شبه ذلك الحلبي في ترصيع جوهره كقول امرئ القيس :

(الماء منهزم ، والشد منحدر ، والقصب مضطرب ، والمثنى ملحوب^(١))

وقول الخنساء :

(حامي الحقيقة محمود الخليفة مـ لدي الطريقة نفاع وضرار^(٢))

(جواب قاصية جزاز ناصية عقاد الوية للخيال جزار)

فواصلت بين هذه التجميعات كما ترى مواصلة رشت العبارة عنها ، وحلا السجع بها ، وليس يحسن الاستكثار من هذا ، لانه اذا كثرت القصيدة دل على التكلف ، وانما يحسن ان يأتي اوضحاً^(٣) ، وان يرد في بيتين او ثلاثة من القصيدة .

واما التكافؤ فهو قريب من الطباق وهو ان نكلم في امر من الامور فتأتي فيه بعبارة متكافئة ، في هذا الموضع مقاومة ، حتي اذا قال في معنى ان شيئاً ابيض وغير ذلك من وجوه الغيار كقول بشار :

(اذا أيقظتك حروب العدا فنبه لها عمراً ثم ثم)

وله اثر في تجويد الشعر قوي فانه لو قال مثلاً ، فجرد لها ، لم يكن لهذه اللفظة من الموقع مع « ثم » ما لنبه .

واما السلب والایجاب فهو ان يوقع الكلام على نفي شيء واثباته في بيت واحد كقول الشاعر :

(ونكر ان شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول)

وكقول الشماخ :

(هضم الحشا لا يملأ الكف خصرها ويملاً منها كل حجل ودُمّاج)

(١) ويرى في التاج هكذا :

(فالعين قاذرة والرجل ضارحة والقصب مضطرب والمثنى ملحوب)

وقد حجت العين غارت وضرحت الدابة برجلها رحمت والقصب بالضم الظهر ويراد به هنا الخصر كما في التاج ومثنى ملحوب اي مملاس في حدود . (٢) في رواية :

(حامي الحقيقة محمود الطريقة مـ لدي الخليفة نفاع وضرار)

(٣) اوضح جمع وضم الغرة .

واما الكناية والتعريض فكقول القائل :

(واحمر كالدجاج اما سماؤه فريّ واما ارضه فمحول)

حسن جمعه بين سمائه^(١) وقوائمه على تفاوتها في خلقه الفرس ، لانه ألف بينهما بنسبتين وهما الارض والسماء والنسب الثاني انه ضاد بينهما بضدين محمودين اندماج السّرة ورثها ومحض^(٢) القوائم وظمؤها .

واما العكس والتبديل فهو ان يقدم الكلام جزء الفاظه منظوم نظاماً ما فيلي هذا الجزء بجزء آخر يجعل فيه ما كان قدماً في الاول ومؤخراً في الثاني كقول الشاعر :

(واذا الدرّ زان حسن وجوه كان للدرّ حسن وجهك زينا)

واما الالئفات فهو ان يكون الشاعر في كلامه ، فيعدل عنه الى غيره ، قبل ان يتم الاول ، ثم يعود اليه فيتمه فيكون فيما عدل اليه مبالغة في الاول وزيادة في حسنه كقول جرير :

(متى كان الحيام بذى طُلوّح^(٣) سقيت الغيث ابتهسا الطُلوّح)

ومعنى الالئفات فيه انه اعترض في الكلام قوله سقيت الغيث ولو لم يعترض لم يكن ذلك الئفاتاً وكقول الجعدي :

(الا زعمت بنو سعدٍ بائي الا كذبوا كبير السن فاني)

فقوله الا كذبوا اعترض بين الكلامين وفيه مبالغة لما اراده . كقول كثير :

(لو ان الباخلين وانت منهم رأوك تملوا منك المِطالالا)

وكقول حسبان :

(اب التي ناولني فرددتها قتلت فتملت فهايتها لم تقتل)

وكقول عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي يعاتب اخاه وهو في حبس الرشيد :

(فلو بك ما بي لا يكن بك لاغتدى اليسك وراح البرّ بي والنقرب)

فقوله « لا يكن بك » اعترض مليح وكذلك قوله :

(١) مراته أعلاه . (٢) لعل صوابه محل او نحض . (٣) الطلوّح جمع طلح وهو

شجر من أشجار البادية ذو أشواك انتهى من هامش الأصل .

(فاني انت أتيك بقيك مني فلا تُسبق به علق نفيس)
فقوله « فلا تسبق به » اعتراض في هذا الموضع قوتى المعنى الذي أراد
وزاده نصاعة .

واما الاستدراك والرجوع فهـ ان يبتدي الشاعر بمعنى فينفي شيئاً ثم يستدركه
بما يؤكد هذا المعنى او يثبت ما نفاه اولاً كقول زهير :

(قف بالدبار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الارواح والديم)
وكقول الاعرابي :

(اليس قليلاً نظرة ان نظرتها اليك وكلاً ليس منك قليل)
وكقول ابي البهاء :

(وما بي انتصار ان غدا الدهر جائراً عليّ بلي ان كان من عندك النصر)
وكقول بشار :

(نبئت فاضح امه يغتصابني عند الامير وهل عليّ امير)

واما التذييل فهو ضد الاشارة ، وهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد
بعينه ، حتى يظهر لمن لم يفهمه ، ويتأكد عنده فهمه . وسبيله ان يستعمل في المواقف
الحافلة ، والمواطن الجامعة . كقول الشاعر :

(اذا ما عقدنا له ذمة شددنا العناج^(١) وعقد الكرب)
وقول الآخر :

(فدعوا نزال فكنت اول نازل وعلام اركبه اذا لم أنزل)
(للكلام صلة)

— 000 —

(١) العناج ككتاب حبل او سير يشد في أسفل الدلو العظيمة ثم يشد الى العراقي
و (الكرب) الحبل يشد في وسط العراقي لبلي الماء فلا يعفن الحبل الكبير قال الخطيب
يمدح قوماً عقدوا لجارهم عهداً فوفوا به :
(قوم اذا عقدوا عهداً لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا)

كتاب المنذر

— ٢ —

- (فلم يعد يطيق الصبر) : فلم يطق الصبر بعدئذ — لان عاد لانا في بهذا المعنى .
- (ماعدت استطيع الاتصال عنك) : لست أستطيع ولو قيل عدت لا أستطيع
- اي صرت لكان في ذلك بعض التخرج لاستعمال (عاد) .
- (ان الرجال الغيور ينظرون دوماً الى هفواتهم) الرجال الغير (بضمتمين) .
- (أشعرت الحكومة بهذا الامر) : شمرت من الثلا في المجرى . أو أشعرت بالمجهول .
- (أما كن السياسة والمنزهات) : اما كن السياسة واللاهو او الملاهي او المنزهات
- (من نزهه) .

- (يوقعون على برفية) : يوقعون برفية بحذف على .
- (لنذهب سوية الى حيث نشرف على البقاع) : لنذهب معاً .
- (في جرود صنين) : في صرود صنين — بالصاد جمع صرد (بفتح فسكون) .
- (هو مشغل في تدبير النادي) : مشغول او مشغل .
- (بيد ان الطيب . وان أصاب في شرحه . فانه لم يصب في إقراره) : حذف
- (فانه) ليصح ما بعدها خبر (ان) الاولى في صدر الجملة وهو اولى .

- (فنال الأدب اكبر نصيب من هذا النضوج) : من هذا النضج — ولم يسمع
- وزن فعول في مصدر هذا الحرف .
- (بعد برهة من الزمن نهضنا للظعن) : بعد فنية او بعد زمن يسير — لان البرهة
- تعني المدة الطويلة .
- (طلبت اليّ لما أهديتني ديوانك ان أنظر به نظرة المنتقد) : لما أهديت اليّ ديوانك
- طلبت اليّ ان انظر فيه نظرة المنتقد — لانه يقال أهدي اليه الشي ونظر في الشي .
- (جاءت احدي محظياته) : احدي حظياته (بحذف الميم) والحظية السرية
- (بالضم والتشديد) وهي الأمة (بفتحتمين) المكرمة عند السلطان .

- (وصعدت بنا صعود الماعز) : صعود الماعز او صعود المعزى .
- (وكل هذه الخطب قاصرة على تعلقه ببلاده) : مقصورة على .
- (سوف لا يكتفون بهذه الضمانة) : لن يكتفوا بهذا الضمان (لاث سوف لا تفصل عن الفعل) .
- (تناول طعام الغداء) : تناول الغداء (بالدال) لاطعام الغداء و لاطعام الغداء .
- (قبل مبارحته المكان) : قبل يراحه المكان من يرح الثلاثي .
- (في اربع أقطار المعمور) : في أقطار المعمور الاربعة .
- (اركن للفرار) : ركن الى الفرار (من الثلاثي) .

* * *

- (لا يجب ان يظل الانسان) : يجب ان لا يظل الانسان .
- (الدعوة التي ناشد بها) : نادى بها او نشدها (اي طلبها) .
- (تجاشت الجماهير من كافة القرى) : من كل القرى لان (كافة) لا تستعمل الا جالاً من العقلاء .
- (ان نوايا الام تعرف بالمظاهرات) ان نيات الام تعرف بالتظاهرات او بالمظاهر — جمع مظهر .

- (مداخلة البوليس بالحسنى) تدخل البوليس .
- (هو أميل الى الحكم الجمهوري من الحكم الملكي) : هو أميل الى الحكم الجمهوري منه الى الحكم الملكي .
- (سعى في قمعها بصرامة) : بشدة او بقساوة .
- (ليست المؤامرة سوى مناورة) : المناورة في اللغة (المشائمة) واستعمال الكتاب هذه اللفظة بمعنى الحركات الحربية والتدريب العسكري خطأ ولعلها كلمة أجنبية .
- (بعد الانفاقية الاخيرة) : بعد المعاهدة الاخيرة .
- (لم يرق لها ذلك) : لم يرقها او لم يطب لها ذلك .
- (ونشرناها ملفتين اليها الانظار) : لافتين اليها الانظار .
- (عدا عن المهارة العظيمة) : عدا المهارة (يمحذف عن) .

- (لا تخافوا سوف لا أموت) : لا تخافوا قلن أموت .
- (ونقل أغلالهم هذه السنة) : غلالهم أو غلاتهم لأن الأغلال هي القیود .
- (أتمتع برؤيا محياك) : أتمتع برأى محياك أو برؤية محياك — والرؤيا للحلم .
- (ليست البلاد بحاجة الى هكذا ضربية) : الى ضربية كهذه او الى مثل هذه الضربية .
- (السلطة الفرنسية) : السلطة الفرنسية بمحذف الالف والواو .
- (قانون خاص بالسيارات) : قانون خاص للسيارات او قانون مخصوص بالسيارات .
- (في يده باقة زهور) : طاقة او ضمة زهور — قيل الزهر لا يجمع الزهور .
- (ووجهه ان الزهر يفتح جمعه أزهار وفتح فسكون جمعه زهور وهو الاولى .
- (غلق المحلات التجارية) : اغلاق المحال التجارية او بيوت التجارة .
- (ارتياد القهاوي ونوادي اللهو) : القهوات او المقاهي واندية اللهو او الملاهي .
- (كاد يمزق من شدة التأثير) : التأثر .
- (وهل لم يكن هناك) او لم يكن هناك — لان هل للتصديق فلا تدخل على النفي .

- (تكون المضائق حرة) : تكون المضائق حرة بابدال الياء من المهززة لانها اصلية .
- (اغرز أسنانه في كفي) : غرز الثلاثي .
- (لم يقوموا سوى بالواجب) : لم يقوموا الا بالواجب او لم يقوموا بسوى الواجب لان سوى اسم يضاف الى ما بعده .
- (جاء ينعي اليه وفاة ابيه) : جاء ينعي اليه اياه — بمحذف وفاة وقصر ينعي كسعى يسعى .
- (بلبقها الاخصائيون في العلوم) : يلبقها المتخصصون بالعلوم .
- (استهدى بعض الاعيان) : استهدى من بعض الاعيان .
- (على الثلاثة رجال) : على الثلاثة الرجال او على الرجال الثلاثة .
- (نسبنا الى الغلو) : نسب اليينا الغلو .
- (سمعناه يصدر من فم كاتب) : سمعناه من كاتب — بمحذف يصدر وفم .
- (في إشادة قصره) : في شيد او تشييد قصره .

(ناهيك عما فعل بنا) : فضلاً عما فعل بنا • اما ناهيك فاسم فاعل يتعدى بالباء وله معنى آخر للمديح يقال : زيد رجل ناهيك به من رجل •
(نحن نناهضه للقيام بالمشروع) : يظن الكاتب ان ناهضه نهض معه او ساعده في النهوض في حين ان ناهضه معناه قاومه والصواب هنا : نساذه للقيام بالمشروع •

* * *

(كفانا شقاقاً بين دمشق ولبنان) : يجب رفع الشقاق فاعل كفى او يقال : كفانا شقاقاً بين دمشق ولبنان ان كذا وكذا • ليصح تأويل ان وما بعدها بمصدر فاعل كفى وشقاقاً تمهيز •
(يسد أقبية الطرق) : جمع قناة قنوات او قنا — بترك التاء — ومثلها فلاة فلا ونواة نوى ومهامة مهسا وآبة آي ورابة راي وغاية غاي وغابة غاب وساعة ساع وهامة هام وعادة عاد وحاجة حاج •
(أحاط به الجهلاء والمملقون) : والمتلقون — من تلقا اي تودّد اما ملق فمعناه ضرب وملس •
(حاول القيام بمحركة ثورية) : بمحركة ثورية — لان النسبة الى الثورة ثوري لا ثوروي ولا يقاس على فوزي فوزوي لان الالف الرابعة ثقلب واواً اماماء التأنيث فيمذف وتحل محلها ياء النسبة •
(كان يتحاشاه في معظم أوقاته) : يتجنبه — يقال تحاشى عن الشيء اي نازه عنه •
(هو الورث الوحيد لوالديه) : هو وارث والديه الوحيد — ولم يسمع وزن فعيل في هذا الحرف •
(وأآجه بقضاء أعماله) : ولآه قضاء أعماله — لان ولج معناه دخل ووآج ماله جملة لاولاده •

* * *

(نال الولد العقوق جزاءه) : الولد العاق •
(لا يمكن لاحد ان يفعل كذا) : لا يمكن احداً — لانه متمعد بنفسه •

- (لنوال هذه الأمنية) : لنيل هذه الامنية — اما النوال فهو العطاء .
 (كانت العيون محدقة به) : محدقة اليه بالتشديد — لان أحدق به أحاط به
 وحدق اليه أدار اليه المحدقة وهي سواد العين .
 (توغلوا معامع الحروب) : توغلوا في معامعها او خاضوها .
 (متهافت على اكل اي شيء تيسر) : على اكل ما تيسر .
 (لا يميل سوى الى القمار) : الى سوى القمار او الا الى القمار لان سوى اسم ،
 وحرف الجر يدخل عليه لا يأتي بعده .
 (ما باله سكت وأسدل الستار) : وسدل الستار (من الثلاثي) او أسبل
 الستار — من الرباعي .
 (اخذ اصحاب الغايات يرغوف ويزبدون) : لا معنى للغايات هنا وانما هو
 تركيب عامي : أصحاب المفاسد او أصحاب المقاصد السيئة .
 (يعرفون المدافعون عنه شقي بكل معنى الكلمة) : شقياً او شريراً كبيراً —
 يجذف (بكل معنى الكلمة) لانه تعبير غير عربي .
 (عزموا على نقل رفاته لتدفن في بيروت) ليدفن — لان الرفات مفرد مذكر
 ومثله حطام وفتات .

- (وجب قفل بابها وبيع كتبها) : اقفال بابها — لان قفل رجع وأقفل أغلق .
 (يرقبون عازة الناس لهم) : عوز الناس او حاجة الناس اليهم .
 (الوحوش الكاسرة) : الوحوش الضاربة او المفتوسة اما الكاسر فيستعمل
 للطائر المنقض على فرسته عند كسر جناحيه .
 (ولما يشعرون بياسه يرجعون اليه) : وعندما يشعرون — لان لما الظرفية
 لا تدخل على المضارع . (للكلام صلة)
 ابراهيم المنذر



كتابات تدمرية وتفسيرها

— ٣ —

« الكتابة الثالثة عشرة »

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ١٣) كتب على جهة اليسار منه العبارة الآتية :

١ בני בר : بني بن

٢ חירן חבל : خيرن وآسفاه

ليس في هذه الكتابة اعلام جديدة فالاول ورد ذكره في الكتابة السابعة والعاشرة وكذلك العَلَم الثاني سبق ذكره في الكتابة الثانية والرابعة من هذا المقال :

مجلت هذه الكتابة في مجموعة الكتابات السامية (المجلد الاول رقم ١٤٠) (R. E. S. , T. I. N° 140)^(١) ولكنه وصف فيها بأنه تمثال امرأة وبالحقيقة هو تمثال رجل كما تشير الى ذلك اعلام هذه (الكتابة) . وقراءنا هذه موافقة لقراءة الاستاذ جوسن (1 N° 597 - 592 p. Revue Biblique 1897) والاستاذ مولر (Palmyrenische Inschriften; Denkschriften der kaiserl) (Akad. der Wissenschaften in Wien t. XLVI N° 13) .

« الكتابة الرابعة عشرة »

تمثال نصفي لامرأة تدمرية (شكل ١٤) زُبر على جهة اليسار منه الكتابة الآتية :

١ חבל ב ٠٠ وآسفاه ب ٠٠

٢ שחגא בר شتגא +

٣ ת ימלא ת ٠ يلا

٤ פגא גא

س ١ وقد شوّه الكسر هذه الكتابة واتلف منها احرف عَلم السطر الاول ولم يبق منه سوى بقية من الحرف الاول وهو (ب) .

(١) هذه الأحرف الثلاثة هي مختصر (Repertoire d'Epigraphie Semitique)

س ٢ שחמא (شحما) علم مؤنث وهذه هي اول مرة ورد ذكره في الرقم التدمرية وهو مركب من العلم שח (شت) واسم الإله א (جا) وقد ورد الاسم الأخير كثيراً مع اعلام آخر مثل שחמא (بعثجا) و שחמא (عبدالجا) .
س ٣ שחא (شحلا) علم مذكر معروف ورد ذكره في الكتاب المقدس (امل ٢٢ : ٨ و ٩ و ٢١ : ١٨ و ٧ : ٨) واما حرف ח (ت) الواقع في اول هذا السطر فهو أئمة كلمة (بنت) في نهاية السطر الثاني .

س ٤ שחא (شحجا) هذه لفظة جديدة والارجح انها علم تام التركيب لم يطرأ عليه نقص لان الحلل الظاهر في الحجر قبل هذه اللفظة هو طبعي ولا اثر لوجود حرف آخر . وقد سجلت هذه الكتابة في مجموعة الكتابات السامية (R. E. S., T. 1, N° 153) .

« الكتابة الخامسة عشرة »

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ١٥) والكتابة واقعة في جبهته اليسرى وهناك كتابة أخرى على لوحة بيد المتوفى اليماني . فالكتابة الاولى هذه نصها :

١ חגגא נחוגا

٢ בר ברעחא בן يرعته

٣ חבל وآسقاء

س ١ חגגא (نحوجا) عآم مذكر ورد لأول مرة بهذا الشكل التام و يشق منه العآم الشائع اعني חגג (نحججو) .

س ٢ علم السطر الثاني فقد سبق ذكره في الكتابة الحادية عشرة (س ٢) من هذا البحث . واما الكتابة التي على اللوحة فهي :

בת ללחמא : بت علما (تعربها دار البقاء) وهذه العبارة ترد كثيراً في الرقم القبرية التدمرية .

وقد دونت هذه الكتابة في مجموعة الكتابات السامية (R. E. S., T. 1, N 148 & 149)

(الكتابة السادسة عشرة)

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ١٦) كتب في جبهته اليسرى العبارة الآتية :

- ١ זבדא בר : زبد ابن
 ٢ מקימו בר : مقيمو بن
 ٣ חירן אבנא : خيرن ابنقي (او ابنم)
 ٤ חבל שנת : وآأسفاه سنه
 ٥ ٥٤٥ ٥٤٥

س ١ ورد ذكر العالم الاول في الكتابة الثامنة (س ٣) من هذا المقال
 وتعرابه المصطى او المهدى (من الله) .
 س ٢ מקימו (مقيمو) كثير الورد في رقم التدمرية ولا حاجة الى تفسيره
 لمطابقته العالم العربي المعروف .
 س ٣ חירן (خيرن) علم شائع الاستعمال في العاديات التدمرية واما
 אבנא (ابنقي) او אבנא (ابنم) فهو علم جديد بين الاعلام التدمرية
 المعروفة ومجهول الاشتقاق .
 س ٥ سنة ٥٤٥ سلوقية وهي تاريخ الوفاة الموافق لسنة ٢٣٣-٢٣٤ ميلادية .
 هذه اكتابة مسجلة في الجزء الاول من مجموعة الكتابات السامية رقم ١٤٣
 (R. E. S. , T. I No 143)

«الكتابة السابعة عشرة»

تمثال نصفي لامرأة تدمرية (شكل ١٧) وقد كتب على جبهة اليمنى ما يأتي :

- ١ חבר وآأسفاه
 ٢ תיכסא تيکسا
 ٣ ברת بنت
 ٤ נצרו בר نصري بن
 ٥ לשמש لشمش
 ٦ אחיב اخيب

س ٢ תיכסא (تيکسا) علم مؤث جديد بين الاعلام التدمرية
 واشتقاقه مجهول .

- س ٤ צצרי (نصري) عَلمٌ مذكور قليل الاستعمال جاء ذكره في كتابة على تمثال محفوظ في المتحف البريطاني ^(١) ويقابله في النبطية العَلمُ نَصْر .
 س ٥ חשמש (لشمس) عَلمٌ مذكور شائع الاستعمال في تدمر .
 س ٦ אחיב (اخيب) عَلمٌ جديد عثر عليه هنا لأول مرة ويقساربه العَلمُ אחאב (اخاب) الذي ورد ذكره في الكتاب المقدس (امل ١٦ : ٢٩) .

« الكتابة الثامنة عشرة »

- تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ١٨) وكتب على جهة اليسار منه العبارة الآتية :
 ١ סלם صورة
 ٢ זבדלה زبدله
 ٣ בר בוריא بن بوريا
 س ٢ זבדלה (زبدله علمٌ مذكور مركب شائع الاستعمال في العاديات التدمرية
 س ٣ בוריא (بوريا) علمٌ مذكور جديد بين الاعلام التدمرية المعروفة .
 والحرف الرابع منه غير واضح فيجوز ان يكون ז (ف) وحيث ان يكون العلم المعروف
 בורשא (بورفا) وهذا شائع الاستعمال . وبالرغم من هذا الغموض أرجح بان
 هذا الحرف اقرب الى الباء منه الى الفاء .

« الكتابة التاسعة عشرة »

- تمثال طفل تدمري (شكل ١٩) وقد كتب في اسفله ما يأتي :
 ١ דבל מקימו בר وآسفاه مقيمو بن
 ٢ עתעקב عنعقب
 س ١ و ٢ كلا العليين شائع استعماله بين الاعلام التدمرية وقد ورد ذكر الاول
 منها في الكتابة السادسة عشرة (س ٢) من هذا البحث .
 سجلت هذه الكتابة في مجموعة الكتابات السامية مجلد ٢ رقم ٩٧١ كما نشرت
 في مجلة الآباء اليسوعيين (Melanges T. IV. P. 146 No 1) .

«الكتابة العشرية»

تمثال نصفي لامرأة تدمرية (شكل ٢٠) كتب على جبهته اليسرى ما يأتي :

١ חבל ואספא

٢ דלא נעם ברת נעם بنت

٣ רמי בר רמי بن

٤ רפאל רفال

شوة الحرف الاول من كل سطر من هذه الكتابة بكسر اصاب التمثال ولكن يسهل علينا معرفة اصل هذه الاعلام بدلالة ما بقي من الاحرف .

س ١ هي كلمة وآسفا .

س ٢ دלא (نَعَمْ) نَعَمْ مؤنث شائع الاستعمال عند الامم السامية ويقابله

דלא (نَعَمْ) الذي ورد ذكره في الكتاب المقدس (١ اي ٤ ، ١٥)

س ٣ רמי (رمي علم مذكر قليل الورد بين الاعلام التدمرية .

س ٤ רפאל (رفال) علم مذكر وهو العلم العبراني المعروف رفائيل الذي

ورد ذكره في الكتاب المقدس (١ اي ٢٦ ، ٧) وتعبيره (من يشفيه الله) .

ويوجد في متحف الاسنانة تمثال رجل تدمري اسمه דהבל (وهبلة)

بن רמי (رمي) بن רפאל (رفال) والارجح ان المرأة دלא (نعم) صاحبة

هذا التمثال هي شقيقة صاحب تمثال متحف الاسنانة . (للبحث صلة)

مدير دار الآثار

جعفر الحني



مصر

« في المجمع العلمي العربي »

في الجلسة التي عقدها المجمع العلمي العربي في المدرسة العادلية الكبرى بدمشق مساء يوم الخميس الواقع في ٢ حزيران سنة ١٩٢٧ بحضور سعادة الميسر بيرياليب مندوب المفوض السامي لدى حكومة سورية وشهود جماعة من أساتذة المدينة السادات احسان الشريف واحمد اللعام والدكتور يحيى الشماع والدكتور محمد محرم وجميل صليبا وشكري الشريجي واحمد كرد علي ومحمد البزم وذوالنون المؤيد ونجيب الرئيس ورشيد الملوحي وغيرهم وبعد قراءة محضر الجلسة الماضية فاه الرئيس بالخطاب الآتي :

يا رصفائي

يسرني ان أطالعكم بعد عودتي من قضاء المهمة التي عهدتم بها الي لتمثيلكم في حفلات شوقي شاعر مصر والعرب بانني أبلغته رسالتكم في يوم الحفلة الرسمية الكبرى في الاوبرا الملكية في القاهرة يوم ٢٧ شوال سنة ١٣٤٥ و ٢٩ نيسان سنة ١٩٢٧ ، فكان لضمه الينا أحسن الوقم سيف نفوس علماء مصر وأدباؤها ، وكان عملكم هذا بمثابة شهادة جماعة أبدت العشرات من شهادات الافراد التي شهدها في حفلات التكريم أدباء الامة العربية وأجمعوا على نبوغ هذا الشاعر و بابعوه مختارين بامارة الشعر وزعامة شعراء العصر .

ان قيام هذه الحفلات التي دامت نحو عشرة ايام في أعظم مدينة عربية ، دلت على رسوخ قدم مصر في الرقي العلمي والادبي وانها ربة المدنية العربية الحديثة بلا منازع ، وأبانت عن روح جديد انبعث في قلوب حملة العلم ودعاة العربية ، وكانت من أجل الوسائط في تقوية صلات التعارف والتعاطف بين ابناء هذه اللغة الشريفة . واني لغتبط بان أحمل اليكم سلام رصفائكم وأعضاء مجمعكم في وادي النيل حضرات احمد شوقي بك واحمد تيمور باشا واحمد زكي باشا والدكتور يعقوب صروف والدكتور احمد عيسى والسيد رشيد رضا والسيد عباس محمود العقاد والشيخ احمد الاسكندرري ، والسيد أسعد خليل داغر والشيخ محمد الخضر حسين .

وأغبط ايضا باخباركم ماغي الي من ان وزارة معارف مصر وعلى رأسها معالي الاستاذ على الشمسي باشا ، المشهور باعماله النافعة للعلم ، بعد الاسباب لوضع معلة (دائرة معارف) تليق بشأن العرب والعربية ، على مثال المجلات الانجليزية كما ان كثيراً من الافراد يضعون معاجم مختلفة ، ومنها معجم اللغة النامية المصرية لصديقنا احمد تيمور باشا ومعجم رصيفنا الدكتور احمد عيسى بك في الالفاظ الفنية والمصطلحات العلمية ، وقد اخذ يطبعه الآن وسينشر قريباً مضافاً الى جريدة أسفاره الممتعة في العلم واللغة والطب ، وقد نفضل وأطلعني على جملة صالحة منه فأريته قد استقصى جميع الاسماء الواردة في معاجمنا وقارنها بما يماثلها من الالفاظ باللاتينية والفرنسية او غيرها من اللغات الانجليزية ، وهو عمل جليل قد تعجز عنه الجماعات دة الافراد . ولا شك في ان معظم المؤازرين في العلة المصرية الجديدة سيكونون منكم ومن إخوانكم اعضاء المجمع في البلاد العربية .

ومن رأيي صدقي الاستاذ معالي جعفر والي باشا ناظر الحربة المصرية الحالي ان يشرع حالا بوضع معجم منقح ، يكون خفيف الجرم عظيم الفائدة يجمع من اصول اللغة المستعملة ما يكون في جمعه ثلاثة اضعاف « مختار الصحاح » يدمج فيه ما تنهأ من المصطلحات الجديدة على نحو ما أقررتم سابقاً من وضع معجم من هذا القبيل تقصنونه ما وفقتم الى إحيائه من الاوضاع ولا سيما ما أحياء من الالفاظ العلمية رصفاؤكم الاساندة احمد تيمور باشا والاب استاس ماري الكرملي والدكتور يعقوب صروف والامير مصطفى الشهابي في الزراعة والدكتور امين معلوف في الحيوان والنبات والسيد سليم الجندي في الآنية والماعون والدكتور احمد عيسى في الطب والصيدلة ، وما سبق الى وضعه المرحومان العلامة احمد فارس الشدياق والشيخ ابراهيم اليازجي وغيرهم من علماء اللغة ، ومن مجموع هذه الجهود يتألف معجم واف بالغرض على خرار المعاجم التي وضعها علماء الغرب في لغاتهم .

ولقد رأيت من المقامات العالية والجمعيات والجماعات العلمية عطقاً عظيماً على جمعكم ولا سيما بعد ان القيت بضع محاضرات وخطب شهدا مئات من اهل الطبقات المفكرة ، وأشهدت علي شاهدتين عدلين من اعضاءكم الاستاذ قسطنطين بك الحمصي الحلبي والاستاذ السيد إسحاق الشاشيبي المقدسي وقد نفضت الوزارات المصرية فأعدت خزانةكم

مطبوعاتها وكذلك فعل كثير من المؤلفين والطابعين ، واهدى رصيفكم احمد شوقي بك خمسمائة نسخة من الشوقيات توزع بمعرفتكم على من يمكنه الانتفاع بها .

وأحسن ما استنفادت منه مصر بل البلاد العربية كلها هذه المرة نضج فكرة تأسيس مجمع علمي على مثال مجعنا ، وكاشفني صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول ملك مصر المعظم خلال تشريفي بمقابلته بهذا المشروع النافع ، وقال انه سيجعل أعضائه من المصرين وغير المصرين ، فان قويت هذه الفكرة الآن بمصر فالسابق اليها والموحي بها مجمعكم ايها الوطنيون الأعز ، وبفضل جهودكم في تجويد محاضراتكم وبجائكم وعنايتكم باللغة ونقوبها أصبح للمجمع العلمي صيت حميد ، وحرمة عامة على صغر سنه وضوالة اسبابه .

واذا كتب لدمشق ان ينشأ فيها المجمع العلمي الاول في الافطار العربية فدمشق ايضاً كانت اول مهد نشأت منه الحضارة العربية ثم انتقلت الى بغداد والقاهرة وقرطبة وطليطلة ، واذا كان الشاميون سبقوا ولاخر ، إخوانهم المصريون - في هذا العمل النافع فقد فتح العرب ايضاً الشام قبل ان يفتحوا مصر ببضع سنين ، فسبقنا مصر في تأسيس المجمع أشبه بسبق الشام الى القنصر والعرب غيرها من بلاد الاسلام في الصدر الاول . وبقيني ان مجعنا الصغير سيكون لشقيقه وطر يده المصري رداءً وسنداً في تسانيدان في خدمة لغة العرب نساند شقيقين لافرق بينهما في تقدم البلاد والميزات المادية والروحية مادام كلاهما أبناء أب واحد وأم واحدة ، ومادام هدفهما سعادة الأسرة العربية الكبرى .

ربما سأل سائل ما الذي أثر في نفسك من مجموع الحفلات التي شهدتها في القاهرة لتكريم شوقي ؟ وما تكريمه الا حفاوة بالادب والشعر وإجلال لمصر في شخص احد أبنائها . فالجواب ان مجموع ما رأيت وما سمعت من الخطب والمحاضرات والمسامرات والقصائد والرفائق باللغة الفصحى والدارجة وما شهدته من نهضة المرأة المصرية وحرارة الصحف والمجلات والكتب ومحاضراته في دور التمثيل والموسيقى والصور المتحركة من صنوف الابداع وأعجبت به من شركائهم ومصارفهم ومعاملهم ودور كتبهم وآثارهم ومعادهم ومصانعهم ومدارسهم وأنديتهم وما رأيت من ترتيبهم ونظمهم وإدارتهم في كل مطلب

ومغنى ، وتوفرهم على البذل في المصالح العامة والمشاريع المادية المنتجة — كل هذا قد صور لعيني اوربا في مصر او صور لي مصر في اوربا .

رأيت المدينة الفرنسية التي غرس اصولها في مصر علماء فرنسا منذ أوائل القرن التاسع عشر قد تمتلئها مصر وعربتها وجعلتها جزءاً من أجزاء نفسها وملكاً ثابتاً لها على الدهر . وما برح الخالصون من علماء الفرنسيين يتعهدون مصر بعلمهم في كل أدوارها ، والى اليوم لا يزال المصريون يعتمدون في الأكثر على جامعات فرنسا لتلقي الثقافة العالية . واللغة الفرنسية أكثر اللغات الغربية انتشاراً بين سكان وادي النيل هذامع حرص الانكليز على نشر لغتهم منذ خمس واربعين سنة . ذلك لان محمد علي الكبير محيي مصر والعربية ومؤسس بنيان المملكة المصرية قد جعل اعتماده على ارباب الاختصاص من العلماء والمفكرين من الفرنسيين فغذوا مصر بانفس ما عندهم من أطايب التغذية العلمية والصناعية والفنية .

اما وقد زاد احتكاك المصريين بالغربيين في العهد الاخير ولا سيما بالانكليز والفرنسيين والالمان والاطليان فقد نشأ لمصر نوابع في معظم العلوم والصناعات مما يزت به القاهرة اليوم دار السلام امس اوقرطبة واشبيلية وطليلة وغرناطة في عهد زهو الاندلس . والله أعلم الى اين ينهي هذا السير في طريق التمدن خصوصاً متى تم انفاذ مشروع التعليم الابتدائي اي تأسيس عشرة آلاف كتاب في القطر علاوة على ما أسس من مثله حتى الآن وما يجري من العناية البالغة لتعمد التعليم الثانوي والعالي .

ولا اكتمكم سادتي دهشتي من الفرق في سرعة سير مصر في سبيل الحضارة عندما قابلت بينها الآن وبين حالتها في سنة ١٩٠١ ايام زيارتي الاولى لوادي النيل . وكل عربي يدعو الله ان يجزل لاهل مصر السعادة ويوفق سائر الافطار العربية الى احتذاء مثالها في سبيل كمالها .

وفي الختام أقترح عليكم ان تضموا الى صفوف أعضائكم في مصر جماعة من إخواننا هناك كان لهم الأثر الطيب في خدمة الأدب واللغة وكلكم نعرفونهم بأثارهم واجتري اليوم بثلاثة منهم على ان تفكر في جلسائنا القادمة بضم فريق آخرهم مثال النبوغ في ادب العرب . وأعني بالثلاثة الذين أرشحهم الساعة — بسنفيد المجمع العلمي من علمهم وعملهم اسفادته من رصفائنا السابقين من المصريين والعراقيين والتونسيين والجزائريين —

العلامة احمد لطفي بك السيد العالم الاجتماعي الذي أبلى البلاء الحسن في إنارة الازهان من طريق العلم . وقد كان بعض رصفائي يوم نقل الاستاذ السيد الى العربية فلسفة ارسطو وابدع في نقله ما شاء الابداع اقترح ضمه الينا وانا اليوم أعقب على مقترحه . والثاني الاستاذ السيد احمد حسن الزيات مؤلف تاريخ الادب العربي ومترجم آلام فرنز لكيتي ورافايل للامارتين وهو كما عرفتموه مبدع في تصنيفه ونقله أو في البلاغة والفصاحة حتى ليخيل لمن يقرأ كلامه انه يقرأ كلام بلغاء القرن الرابع والخامس . والرجل الثالث الذي أعرض اسمه عليكم هو الاستاذ الشيخ احمد امين مؤلف ومعرب عدة كتب في الاخلاق والفلسفة بسلاسة تدل على تفوقه في الادب وقد طبعت كتبه وكتب العالمين المشار اليها آنفاً لجنة التأليف والنشر المؤلفة من ستين استاذاً من المذكورين في اندية العلم والأدب في مصر وهو ورئيس هذه اللجنة التي طبعت منذ أسست سنة ١٩١٤ ثلاثين كتاباً بين تأليف وترجمة ومعظمها مثال الابداع والامتناع وقد نفضت عمدتها فأهدت بمجمعكم مجموعة تامة مما طبعت كما نفضل الاستاذ احمد تيمور باشا وأهدي بمجمعكم آلة تصوير المخطوطات فأضاف هذه المنحة الى منننه الكثيرة على المجمع مما لم يضاهه فيه احد من المحسنين والواهبين والمؤازرين .

وبعد ان أتم الرئيس كلامه شكره احد الاعضاء باسم إخوانه على القيام بمهمته حتى القيام في مصر ، فأجابه الرئيس ، « انا فمت بالواجب عليّ ولاشكر على واجب » ووافق الأعضاء على انتخاب الاعضاء الجدد الثلاثة من المصر بين الدين اقترح الرئيس انضمامهم الى المجمع . ثم قرئت الكتب الواردة على المجمع من بعض علماء المشرقيات في المانيا والدانمارك وفيها اسئناء المجمع في بعض المشاكل اللغوية والتاريخية . وتلي كتاب وزير الداخلية يطلب فيه الى رئيس المجمع ان ينظر في اعلام بلدان الشام ويرجعها الى الصيغة التي كانت العرب تعرفها بها للنشر في تقويم الحكومة السنوي صحيحة غير محرفة . وقرري بعدئذ اقترح قدمه الدكتور محرم باشا غرفة للمطالعة في المجمع خاصة بالسيدات تجعل لها قيمة براتب ولما سمع السيدات اللائي كن قاعدات في السدة يستمعن

لما يجري في جلسة المجمع صفقن تصفيق الاستحسان . وقد تقرر ان يخص السيدات بعد الصيف بخزانة مهمة في دار منعزلة بجانب المدرسة الظاهرية حيث دار الكتب العامة . ثم تلا الاستاذ المغربي اقتراحه في الالفاظ الدخيلة والمعربة والمولدة مما لم تدوته المعاجم وسماها (الكلمات غير القاموسية) وصنفها اصنافاً فنشأ في الاعضاء سيفه مقترحه وأحيل تقريره على لجنة منهم لشطر فيه . ثم أفاض مدير دار الآثار بالنيجة عمله في تدمر وما تقرر لرفع القرية وبناء غيرها لتظهر مصانع تلك المدينة التاريخية بدون عائق ننبو عنه العين وذكر ان الآثار الاسلامية مازالت تسرق من المدارس والجوامع وأعاد على المجمع ما طالما اقترحه المجمع على ادارة الاوقاف لاتخاذ الاسباب التي تحول دون سرقة العاديات وما عزم عليه المجمع لتخصيص آثار الاوقاف المبعثرة بدائرة خاصة في دار الآثار تضم شتات النفائس والاعلاق وتكون مراقبتها للاوقاف والمجمع . وتكلم أمين دار الكتب في شؤون خاصة بعمله واقترح ابتاع الكتب الموقوفة التي اشتراها بعض الغيورين من الوراقين ليعطوها برأس مالها للمجمع فشكر الأعضاء الساعين بهذا الخير . ثم تقرر ان يندب الاستاذ النكدي من أعضاء المجمع لزيارة باريز بحث في حالة الجامعات العلمية ويستهدي الكتب العلمية الناقصة في مجامع المجمع من المطابعين والمؤلفين والوزارات ، وكان يراد البحث في بعض أوضاع وضعها المجمع لبعض الالفاظ العلمية الحديثة فحال ضيق الوقت دون المناقشة فيها كما أرجئت مواد أخرى ونقوضت الجلسة . وقد ودع سعادة مندوب المفوض السامي رئيس المجمع وأعضاءه قائلاً انه رأى من واجبه قبل سفره ان يودع المجمع العلمي قبل ان يودع احداً في دمشق لان المجمع العلمي هو قلب الشام ورأسها المفكر اه .

المجمع العلمي العربي

(دمشق) : تشرين الثاني سنة ٩٢٧ م الموافق جمادى الاولى سنة ١٣٤٦ هـ

(١)

حاجة العلوم العربية الى التجديد

إذا ألقيت بنظرة على المتعلمين في الشرق رأيتمهم يهتمون ببعض العلوم على نمط خاص وبعضها على نمط آخر ، فهم يهتمون النحو والصرف والبلاغة والمنطق والفقه مثلاً على النمط القديم — وهو نمط لم يتأثر بالمدنية الحديثة ولم يعبأ بها ولم يفرض لها وجوداً — وهم يهتمون الطبيعة والكيمياء والرياضة والجغرافيا مثلاً على النمط الحديث ، ينقلون ذلك عن الغربيين ، وتساور كتبهم ونظر ياتهم الكتب الغربية والنظريات الغربية ولا نرى من بينهم من يدرس الجغرافيا على نحو ما ألف الادريسي ولا الطب والطبيعة والكيمياء على نحو ما ألف ابن سينا ولا الرياضة على نحو ما ألف العالمى الا افراد اليس يبنى عليهم حكم .

والحق ان لكل من النمطين منطقاً يخالف منطق الآخر وتأثيراً في العقل مختلفاً وهذان المنطقان لا يتعاونان بل يتضادان ويفسد احدهما عمل الآخر ، ومن أجل هذا أرى ان عقول الناشئين تضطرب بين المنطقتين ، وتختل بالنشأة بين النظامين ، ونحن احوج ما نكون الى وضع اساس ثابت لنلاءم اجزائه ولا لنساقض آثاره ، وبذلك وحده يتكون عقل المتعلم غير مشوه هذا التشويه الذي نرى ولتوضيح هذه النظرية نقول : ان المنابع للعلوم العربية على اختلاف انواعها والنمط الذي سار عليه المؤلفون في تأليفهم يرى ان هذه التأليف يتضح فيها خاصتان (الاولى) تأثرها جميعها — الى حد كبير

(١) أطروحة الاستاذ المحقق الشيخ احمد امين من علماء مصر بمناسبة انتخابه عضواً

في المجمع العلمي العربي .

بمنطق ارسطو ، فالعرب في اول عهدهم بالعلم شغفوا بمنطق ارسطو ونقلوه كما هو تقريباً الى لغتهم وحافظوا على نقله حتى في الامثلة والترتيب وعدوه كما عده اليونان اساساً للعلوم ، ومن ثم وضعوا علومهم حتى الشرعية منها كعلم الكلام على اساس هذا المنطق .

وطبيعة هذا المنطق — منطق ارسطو — ناقصة فاصرة ، فهو يفرض ان حقائق هذا العالم معروفة قدورغ منها وانما مهمته ان يعلمنا كيف لنقل هذه الحقائق من ذهن يعرفها الى ذهن لا يعرفها — ترى هذا واضحاً في أبواب المنطق فهو لا يعنى كثيراً بالبحث عن صحة القضية وكيف يعثورها الشك وكيف تتمن للنبيه صحتها من فسادها وانما اكثر ما يعنى به القضية من حيث شكها و « رسمياتها » — فهو لا يلفت الذهن الى بحث القضايا وامتحانها وابتكار ما ليس بوجود انما يعتمد على اشكال القضايا — من كلية وجزئية وموجبة وسالبة — ليستنتج منها نتائجها ولو كانت القضايا نفسها خطأ .

من اجل ذلك كان اثر هذا المنطق على الذين اشتغلوا به وجعلوه وحده اساس تفكيرهم انهم اقتصروا على شرح الحقائق المعروفة ونقلها من عقل الى عقل اما امتحان نظرية والشك فيها وتجربة صحتها من فسادها ووضع نظرية أخرى جديدة محلها فذلك قل ان يكون تأثر بذلك الجمود علماء العرب بعد حركتهم الاولى في نقلهم العلوم كما تأثر بذلك ايضاً علماء الغرب الى العصر الحديث .

في هذا العصر خلع الغربيون نير منطق ارسطو ووضعوا بجانبه منطقاً حديثاً اساسه الشك في الحقائق التي نعرفها عن هذا العالم وامتحان مانورث على انه حقائق وتسليج العقل لغزو هذا العالم واستكشاف ما فيه من حقائق سدل عليها حجاب كثيف . ان شئت مقارنة بين المنطقين فمنطق ارسطو منطق تعليم لما علم والمنطق الحديث منطق استكشاف لما لم يعلم منطق ارسطو يعلمنا مثلاً كيف نغذي الطير ببذر الحب له ونرضع الطفل بإقامه الثدي والمنطق الحديث يعلمنا كيف نكون كالنحل فجمع غذاءنا بانفسنا من مختلف الازهار ، منطق ارسطو اتكالي والمنطق الحديث استقلالي .

أست ترى اثر هذا المنطق الجاف في العلوم العربية فليس من جديد فيما يؤلف

ففيها الا نقدماً لتأخر او تأخيراً لمقدم او جمعاً لمفترق او نفرقاً لمجتمع وانت اذا اردت ان تسرد عدداً من مؤلفي العرب أمثال ابن خلدون في ابتكاره وتجديده لم تجد كثيراً وانت لو عمدت الى كتب البلاغة بعد السكاكي فأعدهمها او كتب النحو بعد ابن هشام فأحرفتمها او كتب المنطق بعد التي ترجمت في العصر العباسي فألفتها لم تكن خسرت كثيراً بل ربما لم تكن خسرت شيئاً وفل مثل ذلك في غير هذا من العلوم العربية .

(الخاصة الثانية) وهي كالنتيجة للاولى ان هذه المؤلفات العربية لم تتأثر بالعصر الذي وجدت فيه ولا بالحالة الاجتماعية التي كانت سائدة زمن تأليفها ولا بجمالة المملكة التي ألفت فيها مع ان العلم في كل عصر يجب ان يستمد حياته من طبيعة العصر الذي يعيش فيه ، يشق منها أمثلته ويحدد بها غايته ويرسم منها خطته — ألت ترى كتب الفقه الى الآن تقدر الماء في باب الطهارة بذراع الكرباس ولا تعبأ بالمقابس الحالية وتقدر الواجب في الزكاة بالصاع ولا تعير النفقات الى مكيا لسا ونقول ان المنفعة درع وخمار وملحفة ونقض النظر عن ملابسنا ونقسم الشركة الى شركة مفاوضة وعنان ووجوه ولا ننظر الى ما استحدث من أنواع الشركات المختلفة وننكس في الزكاة عن العشر والخراج ولا تذكر علاقة ذلك بنظام الجمارك المعروف اليوم — او است ترى المعاجم المستعملة الى اليوم في أيدي المتعلمين نقول ان الاهرام بناها ادريس عليه السلام او سنان بن المششل (الفيروزابادي) وتعرف الكسوف والخسوف بما يتنافى مع العلم الحديث ونرى مثل هذا في كل فرع من فروع العلم .

في ضوء ما ذكرنا يمكننا ان نخصر عيوب المؤلفات العربية فيما يأتي :

(١) — في أمثلتها ففضلاً عن انها لم تشق مما حولنا ولم تستمد حياتها من حياتنا فقد مضت عليها القرون تلو القرون وهي لم يعثرها تغيير ولا تبديل كأنها عقيدة من العقائد حتى ملأها الناس واشتمأزوا منها كما يشتمزون من رؤية الثوب الرث البالي .

(ب) — في نمط تأليفها فهي غالباً يسودها الغموض حتى تبلغ بعض الأحيان الى ان تكون أشبه برموز كما ترى في كتب اصول الفقه والمنطق ولم يبذل المؤلفون مجهوداً كبيراً في تسهيل الموضوع ونقريبه الى الأذهان واندفعوا في هذا الطريق السخيف طريق المتن المركز ثم الشرح على المتن ثم الحاشية على الشرح ثم التقرير على الحاشية

وكان أولى ان يهضم مرید التأليف الموضوع ثم يخرج به سهلاً واضحاً سلسلاً لا يحتاج الى شرح ولا الى حاشية .

ثم هم لم يحاولوا ان يسلكوا طرقاً مختلفة في كتابة الموضوع ولم ينظروا اليه من جوانب مختلفة بل كلهم صبوأ تأليفهم في قالب واحد : التعريف أولاً ثم الكلام على الجزئيات على النسق الذي اتبع من قبل على ان البدء بالتعاريف خصوصاً اذا كانت دقيقة من أبعاد الوسائل نجاحاً في تفهيم الناشئين فضلاً عن انها ليست الطريقة الطبيعية فليس التعريف عند الباحث الا النتيجة الختامية للبحث — ان شئت فانظر حتى الى كتب النحور التي وضعها نخبة من المحدثين وأقرتها وزارة المعارف المصرية في مدارسها واقراء في كتابها الاول الموضوع للسنة الثانية الابتدائية تعريف الحال والتميز وأمثالها تدرك ما يعاني طلاب العربية من صعوبة فقد استحال علينا ونحن طلبة نفهمها حفظناها عن ظهر قلب ولم نفهمها الا بعد ان جاوزنا هذا الدور بسنين عدة .

(ج) في جمودها — فقد وقفت حتى رككت ونعفنت وساروا في تأليفها على مبدأ « القديم على قدمه » فلم يبتكر الخلف شيئاً يزيد عن الساف كأن كل علم تم وكل ولم يبق فيه زيادة لمستزيد فلا موضوع جديد ولا مثل جديد ولا أسلوب جديد . وهذا هو السر في انك ترى المعلم يبدأ بدراسة اللغة العربية والاجنبية معاً ويسير فيهما جنباً لجنب ثم اذا هو وقد أخذ من اللغة الأجنبية بحظ اكبر وتأدب بأدبها وهجر اللغة العربية ولفظها وكانت المؤلفات الأجنبية لذته في قراءته وسلوته في وحدته وعرف من تاريخ أدبائها ومؤلفاتها وآدابها ما لم يعرفه عن العربية ومؤلفيها مع انها لغة قومه وأقرب الى ذوقه — ذلك لانه يرى في الادب الغربي جدة في التفكير وتمثيلاً مع الحاضر وروحاً وحياءً ونشاطاً لا يجدها في العربية فأين الروايات العربية التي تمثل حيواننا الاجتماعية واين الشعر العربي الذي يمثل عواطفنا الحاضرة واين الكتب العربية الطلية الجذابة التي نضعها في يد فتياننا وفتياتنا نهمذهم بها واين القصص اللطيفة المصورة التي نقدمها لاطفالنا . حقاً اننا فقراء معدمون .

ولندكر الآن علمين على سبيل المثال نوضح عيوبهما ونقترح ما نرى في علاجهما وهما (علم البلاغة) و(علم اللغة) ودرجوان نوفي في مقال آخر لتحليل كهذا في العلوم العقلية ثم الشرعية .

علم البلاغة — انظر معي أيها القاري الكريم نظرة عامة الى علم البلاغة تجد ان الكلام في هذا العلم بدأ يبحث بعض العلماء في السر الذي من اجله كان بعض الكلام بليغاً وبعضه غير بليغ وكان اذا عرض لاحدهم آية من القرآن او بيت من الشعر بليغ اخذ يعلل سبب الإعجاب ومسر الفصاحة تليلاً علياً كما فعل ابو عبيدة معمر ابن المنذر المتوفى سنة ٢١٠ هـ واستمر العلماء يسيرون في هذا الطريق حتى اتى عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ فجمع هذه المباحث ورتبها وأخرجها في كتابه «دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة» وكان أساس تأليفه البحث في كيف يكون الكلام العربي بليغاً فصيحاً فهو يتعرض مثلاً للتقديم والتأخير من هذه الناحية ناحية ان كلاماً منهما قد يكسب الكلام العربي فصاحة وبلاغة — وكثيراً ما يعتمد في بحثه وبأنه على الذوق الادبي اكثر من اعتماده على التعليل العقلي فهو يأتي بالمثل ويقول الاتحس من هذا بروعة تملوك، السمت اذا غيرت هذا الوضع ذهب ما تشعر به من جمال الى كثير من أمثال ذلك — وكان الى حد كبير موفقاً في اختياره الأمثلة وأدبها رقيقاً في تعبيره حتى ليفيدك من أسلوبه اكثر مما يفيدك من بحثه ثم أتى السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ وصنع العلم الصبغة المنطقية ففصل المسائل وجعل لكل نوع اسماً وحدد مواضع التقديم والتأخير والفصل والوصل الخ وعددها وحصرها وعبر عن ذلك بالعبارة الفلسفية الجافة — والى هنا وقف العلم فلا ترى فيما الف بعد ذلك جديداً انما هو اختصار لمطول او تطويل لمختصر او شرح لعبارة غمضت او تفسير للفظه وردت . ولم يعد في كل هذه الكتب غناء للمتعلم في عصرنا ، فان كان الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رأى ان يرجع بطلبه الى كتب عبد القاهر ليندفع فهم البلاغة فلست أرى فيها ولا في كتب السكاكي ما يصح ان يكون كتباً تعليمية لاهل هذا العصر — لقد وجدت فيها الأمثلة جميعها حتى بليت وحتى صارت تسترعي النظر بدلاً ان تسترعي الإعجاب : فزيد أسد . وله لبد . أظماره لم تقلم . وهو كثير الرماد . جبان الكلب . وكان حجر الشقيق اذا تصوب او تصعد . وسالت باعناق المطي الاباطح . ثم ما هذا النمط البالي في التأليف في ان مواضع التقديم خمسة ومواضع التأخير ستة ومواضع الوصل والفصل كذا وما هذه الاسماء التي وضعوها لانواع الاستعارات

المختلفة وما قيمتها — ثم ما هذا الجهد في التأليف والمخترعات حولنا نقيض على الذهن الحلي المبتكر تشبيهات واستعارات وكنائيات تهز النفس لجديتها وحياتها ، وفوق ذلك فعلم البلاغة يجب ان يكون خادماً لعلم النفس فكما تقدمنا في معرفة ملكات الناس وطرق استعمالهم وجب ان نحول البلاغة هذا المنحى للتأثير في عقول الناس وعواظهم وإرادتهم .

ان انت حددت الغرض الذي ترمي اليه من البلاغة هزئت بهذا النوع من البحث الذي يسمونه البلاغة . أليس الغرض من البلاغة ان تكتب جيداً وتتكلم جيداً ؟ هل هذا النوع من التأليف قد وفي بالغرض ؟ الحق ان لا . وان أعمق الناس دراسة في السكاكي وذبوله أبعدهم عن ان يجيدوا كتابة او خطابة .

اين الكلام في كتب البلاغة عندنا على الوصف وما شروط جودته وما نماذجه الجيدة ؟ واين الكلام على القصص وأنواعه ؟ وهو هو الذي يستغرق الجزء الاكبر من الادب العربي ومن حياتنا العامة . واين الكلام على الجدل والمناقشة وما السبيل السوي التي يسلكها المتجادلون في بحثهم — وما الخطابة وما اقسامها من سياسية وقضائية ودينية وكيف تكون الخطيب ؟ الخ .

لا نرى في كتبنا شيئاً من هذا الا نثناً لا نشي غليلاً — قد عني فيها برصف ألفاظها اكثر مما يعنى بموضوعها .

والحق ان هذه الموضوعات وأمثالها ومقدماتها هي التي اذا عني بدراستها ووضعت أمام الناشئ نماذج منها محتارة وكلف بعدد بان يحذر حذوها أنتجت البلاء حقاً .

وعلم اللغة — اللغة كما نعلم — أداة يعبر بها الانسان عن غرضه يستخدمها الصانع والمعلم والسامر وكل ذي غرض في تفهم ما يريد الى الآخرين فهي خادم للانسان وليس الانسان خادماً لها فيجب ان تسيره في الحياة فتكون ضيقة بسيطة اذا كانت معيشته ضيقة بسيطة وكما اتسع الانسان في شؤونه وجب ان تتسع ايضاً ونتمو .

هذه مسألة بدئية تخضع لها كل اللغات ومنها اللغة العربية .

كانت حياة العرب في الجاهلية حياة بدوية ، حاجاتهم قليلة ووسائل معيشتهم بسيطة ، ليسوا في حاجة الى أدوات صناعية كثيرة دقيقة كالتي لطلبتها مدنيتنا

وليسوا في حاجة الى مصطلحات علمية في ضروب العلم المختلفة لانه ليس لديهم علم ، فطبيعي ان تكون اللغة العربية اذ ذاك فقيرة في مصطلحات العلوم فقيرة في أدوات الحرف فقيرة في أدوات الزينة والترف فقيرة في كل شأن من شؤون المدنية العالية — وكانت معيشتهم تعتمد في كثير من نواحيها على الابل — في مأكلهم وفي ملبسهم وفي مشربهم وفي ركوبهم فكان طبيعياً ان تكون لغتهم غنية في كل ما يتعلق بالابل فكثرت اسمائها واسماء أجزائها حتى استطاع بعض علماء اللغة ان يضعوا للابل كتباً خاصة ليس فيها الا الابل وما يتصل بها ، وكانت حياة الجاهلية حياة حروب دائمة بين القبائل فكانت طبيعياً ان تكون لغتهم غنية باسماء أدوات الحروب من سيف ونصل وسهام ورماح ونحوها وان يكون لكل شيء من هذه اسام عدة وان تكون عقولهم مملوءة بالمعاني التي تستنبعها الحروب وان تكون لغتهم مستعدة للتعبير عما يجول باذهانهم من تلك المعاني .

وعلى هذا نستطيع ان نعرف في اي المواضع كانت اللغة العربية غنية وفي ايها كانت فقيرة — ان سكان الواحات والصحراء التي تبعد عن الشاطئ ولا تجري فيها أنهار لا يعرفون السمك وليسوا في حاجة ان يضعوا له اسماً ولا هم في حاجة الى ان يضعوا لأنواعه العديدة أسماء وسكان السواحل في أشد الحاجة الى ذلك وليسوا في حاجة الى معرفة اسماء لما ينبت من الكلاء والعشب وما تخرج الصحراء .

فلما تخضر العرب بعد الاسلام واختلطوا بالفرس والروم واحتلوا كثيراً من بلادهم رأوا من أدوات الزينة والترف ما لم يكونوا قد رأوا ، ورأوا من الحرف الدقيقة والفنون الجميلة ما لم يهدوه كما رأوا من أنواع تنظيم الحكومة وتدوين الدواوين ما لم يكن يحظر لهم على بال وفوق ذلك تطلبت الحضارة معاني جديدة وعلوماً جديدة ومصطلحات جديدة ورأوا انفسهم مضطرين للتعبير عنها — أصبحت هذه الاشياء مذكراً لهم فلا بد ان تستخدم اللغة في التعبير عنها فساروا بلغتهم مع مقتضيات الاحوال — توسعوا في مدلولات بعض الكلمات كالحكومة وديوان وعربوا الكلمات الاعجمية احياناً واشتقوا ونحتوا أحياناً فأصبحوا ولغتهم البدوية التي بحاجاتهم الحضارية وصار من موسيقاهم

العود والقانون والبربط ومن مأكولهم الفالودج والسكباچ وزينت بهوتهم بالفسيفساء والقاشاني .

ثم جمدوا وسدوا باب الاجتهاد في اللغة كما سدوه في التشريع فلم ينجحوا لانفسهم ان يضعوا كلمة جديدة ولا ان يغيروا معنى ولا ان يتوسعوا في مدلول كلمة .

زادت حضارتنا عما كانت عليه في عهد الدولة العباسية فالمدينة الحديثة قد غمرت العالم بالمخترعات والآلات والأدوات وغيّرت نوع المعيشة لدرجة كبيرة والعلوم تقدمت ونفرت ووضعت لكل دقيقة منها في اللغات الاجنبية اسماء خاصة بها .

فاذا نحن ألقينا بنظرة الى اللغة العربية ونظرة الى هذه العلوم والآلات والمخترعات وجدنا ان ثوب اللغة غير متناسب مع حالتنا فهو ثوب واسع فضفاض في بعض أجزائه وضيق او معدوم في بعض أجزائه فالخمسون اسماً التي للأسد لسنا الآن في حاجة كلها اليها واسنما محتاجين من الثمانين اسماً للعسل الا الى بضعة اسماء والطبيب والفيلسوف والكيمائي وكل عالم الآن لا يجد في اللغة العربية حاجته وقل مثل ذلك في النجار والحداد والأديب في حديثه والرجل في عمله والمرأة في شؤونها .

فنحن بين اثنين اما ان نقدر ما قاله العرب ونقف عنده ولا نسبح لانفسنا بوضع جديد وحينئذ يجب ان تكون اللغة العربية لغة أثرية كاللاتينية والعبرية واما ان نريد ان تكون لغة حية وحينئذ يجب ان تخضع لقوانين الحياة فننمو ونجدد ونسير حياة الناس وهذا الأخير هو ما ينبغي ان يكون .

فالمعاجم العربية كلها غير صالحة لهذا الزمن لأمور :

- (١) كثرة ما فيها من كلمات ميتة لا تستعمل وامتلاء المعاجم بها يشتت ذهن الباحث ويعوقه عن تحصيل ما هو ضروري وتستعمل والأولى ان تكون هناك معاجم كهذه حاوية لكل الكلمات ولكنها تكون للخاصة يرجعون اليها عند الحاجة فقط .
- اما المعاجم التعليمية والتي تكون في يد الكافة فيقتصر فيها على الكلمات الحية المستعملة .
- (٢) انها لا تسير العلم الحديث ويجب ان تكون كذلك فاذا عرضت كلمة كسوف او خسوف مثلاً وجب ان نشرحها بآخر رأي دونه علم الحياة واذا عرضت كلمة الاهرام شرحناها حسب ما يقول علماء التارخ المصري واذا عرض نبات او حيوان

وجب ان نعرف الامم انقابل له علمياً ونشرحه بذكر فصيلته ومميزاته حسب ما يرشد اليه عالم النبات والحيوان وهكذا .

(٣) فصورها — كما قلنا — في كثير من الاشياء فليست فيها المصطلحات العلمية الحديثة ولا حاجات المدنية الحديثة ولا المخترعات والمستكشفات الحديثة .

والواجب ان يكون هذا كله يهد مجمع عربي مؤلف من خيرة المتعلمين في الامم الشرقية جميعها وان يكون رسمياً تعترف به الحكومات وتمده بالمال وان تعطى له سلطة وضع الكلمات للمصطلحات العلمية وما نحن في حاجة اليه ثم نلزم الهيئات العلمية باستعمال الكلمات التي يضعها هذا المجمع والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

القاهرة : احمد امين

رئيس لجنة التأليف والترجمة

والنشر والمدرس بالجامعة

المصرية



الموازنة

بين الالعبوة الالهية ورسالة الغفران

— او —

بين ابي العلاء المعري ودانتي شاعر الطالبان

= ٤ =

ووقع منذ سنة ١٣٠٠ حتى سنة ١٣٠٣ اختلافات سياسية في مدينة فلورنسا عقبها اضطراب وثورات اهلية ، أني في إثرها دانتي في جملة ستمائة رجل من مواطنيه ، حكم على كثير منهم بالقتل .

وعقب هذه الحادثات كان يتنقل شريداً من مدينة الى أخرى لا يملك نقيراً وهو يترقب العودة الى وطنه ترقب الصائم هلال العيد ، وقد أتبع له اول ملجأ لجأ اليه عند رجل من كهراء لمبارديا ، ثم انتقل الى مدينة بادوا ووجد له عملاً عند احد أمراءها ، اما رحيله الى باريس فأكثر المنقبين على انه في نحو تلك المدة اي سنة ١٣١٠ ومنذ ذلك التاريخ نزع عن السياسة كما يرى الناقد في نتيج أغنياته لذلك العهد ، وأقلع عن الطعن في وطنه ، بعد ان كان يهجو من حكم في نفيه عنه ويحنّ اليه اشد الحنين ، والسبب في ذلك انه كان مشغولاً يومئذ بالمطالعة والدرس المتواصلين ، وقد ساعده على التفرغ لها اكتسابه عطف وصداقة احد العطاء ، ثم حدث في ذلك التاريخ من الأحداث السياسية ما أنعش فؤاد دانتي وجدّد في نفسه أمل العودة الى وطنه ، ولكن لم يكدهم هيب نسيم ذلك الأمل ، حتى جرت الرياح بما أبدل منه الرجاء بالخيبة وقطع أوصال تلك الآمال ، فاستعاض باليأس فأوحى اليه قصيدة هجا بها وطنه وسكانه وتوعدهم بنقمة امبراطور المانيا هنري السابع وشفعها بثانية حرّض بها الامبراطور على اكتساح فلورنسا ، واستنزل صواعق غضبه عليها وعلى من فيها قتلاً ونهباً وتعذيباً . غير ان الامبراطور ارتد عنها بالفشل ومات على أثر جراحه حزناً غربياً ، فرشقت حكومة فلورنسا دانتي وأولاده بحكم القتل جواباً على قصيدته .

وراح بعد ذلك ينقل من بلد الى بلد ، وهو يتجملد على مضض البلاء وهل يدفع البلاء يتجلد أو جلد ، حتى دعاه احد علماء النجوم من مدينة بولونيا للقدوم اليها — سنة ١٣١٨ — ليعقد على رأسه الاكليل الشعري ، ولكنه كان يتمنى ان يناله في وطنه فلم يقسم له ذلك اذ قضى في الراح عشر من شهر ايلول للسنة الحادية والعشرين بعد الثلاثمائة والالف في بلدة رافين وهو في السادسة والخمسين من العمر .

هذا مجمل ما وقف عليه المؤرخون ، وأتخله المحققون والنقادون ، من ترجمة هذا الشاعر الكبير ، وهي ادنى ان تكون قصة قائد جيش او وزير ، طمح ببصره الى الرئاسة ، وجنحت به نفسه الى منازع السياسة ، بل تافت الى التشبه بالاولياء ، ومحكاة الفلاسفة والانبياء — وسنورد بعد هذا ما يؤيد قولنا — .

على انه وان عدّ أشعر شعراء الطليان ، فلم يكن مبتدعاً بل كان في كل ما كتبه مطرّاً على آثار السلف ، طابعاً بمأنيه على غرار من تقدمه ، وانما عدّ أشعر شعرائهم ، لانهم لم يكونوا ينظمون الشعر العالي الطبقة عندهم الا باللاتينية .

وكان اول ما نظمه الاغاني وذلك باللغة الطليانية ، وهي لهجة اللغة العامية في توسكانا ولومبارديا وسائر شيشيليا ، وكانت الاغاني في القرن الثالث عشر عندهم أحب شعر لدى جماعات الاكابر وكانوا يعدونها أسمى أنواع الشعر ، وكانت طريقتهم في الغزليات شبيهة بغزل المتصوفة عند العرب الا انهم كانوا يصنّحون بروحانية المحبوب وقدسيته ، فكان شعر الصوفيين عندنا في صفة المحبوب وصفاً ليس من ثياب الغرام البشري جلباباً ، واتخذ له من ستور الظنون وبرايق الخيصال حجاباً ، وهو أفعل في النفوس وأحب الى القلوب وأطرب في المسامع من شعرهم ذاك المصبوغ بصيغة العبادة ، بل هو لحن ديني لا يطرق السمع حتى تحسب نفسك قائماً في احدى الكنائس بين الشموع والمباخر والبرانس والقلائس . واليك تعريب بيت لشاعر من معاصري دانتى : « أيها الوجه الملكي الآتي من السماء انشر السلام ، ومن طبع عليه الله الحب كل فضيلة . »

وكانوا يقسمون العشق الى مراتب ويطرقون في وصفه أبواب الفلسفة وغيرها

من العلوم ، ويعنون في تبويبهم وتقسيمهم نحو الافيات النحوية عندنا وغيرها من الأراجيز العلمية .

وكانت أغاني دانتى في اول اسمه غزلية اي مصبوغة بصبغة العشق البشري ، ثم نحا تدريجاً نحو النعبد ، وشرح بكتيب ثري أغانيه ، فكانت شرحه هذا الغازاً ومعميات مغلفة ، بيد انه نال به شهرة لم ينلها بكل أناشيده ، وليس ذلك بالمستغرب بين قوم لم تختر فيهم ملكة المعارف ، وعدد أدياء الادب أضعاف العدد الضعيف من الراسخين في العلم ، فكم بيننا من يتفاحح اليوم بامثال : أمررت مختصري ، واستنض القريجة ، وارتمض القلب ، وحبذوه وحبذناه ، وغضب الطبيعة الخائفة ، الى مئات من أمثال هذا الهذيان والخطأ الفاحش وكم بيننا من يقلد هؤلاء ومن يتقن ان يكتب على هذا المثل المعنى المبهم المخلوط اي ان يكتب ما لا يفهمه هو نفسه ولا يستطيع وصفه وتعبيره ، وانما هو عاشق التخيل او الوهم او المجاز مفهوماً او غير مفهوم ، ولكنه يفضل غير المفهوم على سواء وهو لا يدري سبب هذا التفضيل ، وهذا سر آخر من أمرار هؤلاء المؤلفين والكتبة وأشياعهم ، وقد كدنا نحيد عن موضوع كلامنا .

وترسم الصنعة على شعر دانتى الغزلي كله حتى يرى انه يتعمد التلبس بلباس الهائمين كل الهيام ، ولهذا قال كثير من ناقدى شعره انه كان يحتذي طريقة بعض الشعراء المشهورين بعسده او من تقدمهم وانه لم يلج العشق فؤاده ولعل هذا الحكم جائز . ونحن في نقدنا هذا لا نروم ان ننظر في كل ما قالوه نقادوه ، بل نحن في نقدنا وموازننا هذه نقول ما لم يقولوه ، وهو احتذاء أسلوب شاعرنا المعري في رسالة الغفران ، بل سرقة موضوعه وتحلفه عنه في السمو والبيان .

وقد بسطنا قبيل هذا شأن رواج العلوم وانبساط المعارف عند العرب في الشرق والغرب قبل مولد دانتى وماقاله مؤرخو الفرنج أنفسهم عن كثافة سحب الجهل عندهم في تلك القرون ، وان من كان يريد التعريق في العلوم عندهم ، كان يتحتم عليه ان يقصد مدرسة قرطبة فلا عجب بعد هذه الشهادة ، اذا ما قصدنا دانتى ودرس العربية فيها ، وان كان لم يقل بذلك احد من مترجميه ، اذ جميع الذين ترجموه نقلوا عن بوكاجيه وهذا لم يعلم من امر دانتى شيئاً الا بعد وفاته في هجرته بسنين كثيرة اذ كان منتهى بحثه عن احواله في زوايا دور الكتب

ودكاكين بعبها ، وسؤال من كان حياً من عارفه بعد وفاته بثلاثين سنة على الأقل ، ومثل هذا البحث في مثل ذلك العصر لا يعول كثيراً عليه عند الناقد النزيه .

وهب انه لم يدرس العربية — وهو ما لنا عليه غير ما تقدم من الادلة في سرقة رسالة الغفران — اما أوضحنا كيف كانت تُترجم كتب العلوم وآدابها من العربية الى اللاتينية بشهادة مؤرخي تلك القرون ؟ فهل يعقل ان دانتي لم يقف على كثير من تلك الكتب ومن جعلتها هذه الرسالة الشعرية وهو أشعر شعراء الطليان .

اما الألعبوة فهي المضحكة التي اشتغل بتأليفها كل المدة الأخيرة من حياته ، وقد ابتدأ بنظمها فيما ظهر للحقوقيين نحو سنة ١٣١٠ وقد يكون نظم كثيراً منها قبل ذلك التاريخ ، وهو لم يسمها الألعبوة والآلهة ، بل اللعوبة وانما نعمتها بالالهية كان بعد موته ، ولا أدري من هو اول من نعمتها بالآلهية .

وأقبل دانتي على دراسة أكثر علوم عصره ، ولا سيما الفلسفة الا انه جعل فلسفته خاضعة لعلم اللاهوت او مزيجاً منه ، او هي دلم الكلام عند الاسلام ، وكان منشعباً من قراءة التوراة وغيرها من كتب الدين ، وكنت كثير العصبية لافته الطليانية ، شديد التحمس في دينه قوي الاعتصام به ، حتى انك قل ان تجد قصيدة من شعره في الألعبوة الآلهية ليس عليها مسحة من لهجة أنبياء اليهود في أسفار التوراة ، ولهذا قلنا فيما تقدم انه كانت ينجح الى محاكاة الانبياء ، واليك قوله في بعضها اذ هو في المطهر يخاطب وطنه بلدة فلورنسا — في الأغنية السادسة — .

« كم من مرة منذ العهد الذي تعلمينه ، بدلت كل التبدل شرائعك ودراهمك ومذاهبك وعاداتك ، انك لئن ذكرين ذلك - حق التذكير ، ولست عمياء وسقيدين ذاك كمثل المريضة التي لم تكن تجد راحة الا بالآلامها في نقابها على جراحها . . » ودونك قول السيد المسيح :

« اورشليم اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها ، كم من مرة أردت ان أجمع اولادك فيك كما تجمع الدحاجة فراخها . » ومثل ذلك قول أرميا وأشعيا قبله .

وبفتح اغنيته الاولى من السماء هكذا :

« المجد لمحرك الأشياء كلها ، من يملأ الألكوان وينير بعضها على درجات متفاوتة .
 « في السماء التي نثال أعظم نصيب من نوره ، كنت وعانيت أشياء لا يستطيع
 ان يميدها النازل من فوق . »

اما هذه لهجة انبياء اليهود ؟ ولا عجب في ذلك فان غرض دانتي من تأليف
 الالعبوبة — كما صرح هو بذلك — « ان ينتزع الاحياء من نعاستهم في هذه الحياة
 وان يقودهم الى السعادة الخالدة » وقد ضمنها من الآراء العلمية والمعتقدات الدينية
 والمذاهب الفلسفية ، والحوادث التاريخية ، وأحوال المجتمع لعصره في قطره ، ماخلد
 اسمه في تاريخ الامم الغربية حتى عدّوا أشهر شعراء الطليان ، واحد افراد شعراء
 الدنيا ، غير انه لم يسلم من ايدي القسّاد . ولا بدع فالكمال لم يقسم لاحد من البشر
 الى يومنا هذا ، ولو شئنا ان ننقذ ما ضرب عنه صفحا كثير من نقاديه لطال بنا مجال
 القول . ولا سيما اننا لا نعرض في هذه الرسالة الا للموازنة بين الالعبوبة الالهية
 ورسالة الغفران وبين صاحبيها من حيث الحياة العملية والاخلاق ومكانها في المجتمع
 الانساني بل في وطنيها وبين قوميها لعصرها .

وحسبك ان تعلم انه استعان في هبوطه الى جهنم وفي معرجه على المطهر بروح
 فيرجيل شاعر اللاتين وهو في مذهبه من اهل النار لانه كان وثنيا كما تعلم ، بل كان
 يدع . يبا أبت وياابي الحبيب ، ويا معلمي ويا مرشدي الحكيم . ويسأله الهامه الثبات
 والصبر والشجاعة ، والعقل والفصاحة . ولا يخفى ما في ذلك من التناقض ، اذ كيف
 يجوز له وهو النصراني الكاثوليكي المتحمس الى اقصى التحمس الديني ، ان يصاحب
 ويستعين ويسترشد بروح ملعونة خبيثة هي روح فيرجيل الوثني التي قضى عليها في
 اعتقاده ان تخلد في عذاب النار ، وان يتادي صاحبها ياابي ويا مرشدي ، وان تصعد
 معه في معرجه على المطهر ، وهو مكاف الا برار الصالحين يكتنون فيه كما هو معلوم
 برهة من الدهر ريثا يتطهرون فيه من الأوزار ، وكيف وفق في منطقته بين تلك
 المقدمة وهذه النتيجة ؟ .

على ان دانتي لم يكن مبتكرا كما ذكرنا غير مرة وكما أجمع رأي القاديين البصيرين
 في كتاباته ، بل كان التقليد سجيّة من سجاياه ولذلك تراه يسمي كويدي كوليجيالي

المشترع من اهالي بولون ابي ايضاً وهو سابقه في الطريقة التي دعت لعصره بالانشاء
الحلو الجديد ومثل ذلك يدعو فيرجيل اياه ، يريد بذلك ان يسميه اهل عصره خلف
فيرجيل ، لشهرته البعيدة في الشعر اللاتيني ، ولشعره هو في الانشاء الحلو الجديد كما
كانت تسمى يومئذ اللغة الطليانية .

وقد يقال انه كرر كثيراً قراءة سفر الرؤيا المعروف برؤيا يوحنا ورغب في
محاكاته ، ولكن بنفي هذا القول ما تحقق من صلاحته في دينه وذهابه فيه الى أقصى
حدود الغلو ، فلا يُعقل انه يتجرى محاكاة سفر من اسفار التوراة او الانجيل .

وزعم بعض شراحه ومنفديه (ولا علم لهؤلاء برسالة الغفران بل ولا باسم ابي العلاء)
ان الروايات كانت شائعة في تلك الأقطار لعهد دانتي عن عروج بعض القديسين
في العصر الاولي للمسيحية على السماء او اختطافهم وهبوط بعض منهم الى جهنم ،
وكاها من الخرافات الموضوعة التي كان يتناولها السذج والعجائز البله في اول شيوعها
للتين والإرهاب ، ثم ما لبثت لتجسم منذ القرن الثامن قرناً فقرناً ، حتى بلغت في
القرن الثالث عشر من جسامه الوصف والإرهاب والتمويل عن العذابات التي تصيب
اهل الجحيم ما لا يحيط به واصف ، وان هذا مادعا دانتي الى نظم أعبوته . وقد يكون
في ذلك شيء من الحقيقة لما اطلال في جحيمه من وصف التعذيب فألهب دماغه باختراع
وحوش وأفاع وصنوف نيران قائمة مظلمة ساممة واهوية نارية جليدية الى ما لم يسبقه
اليه سابق وقد لا بلحقه لاحق . الا ان احتذاء اولئك الراويين والمؤلفين يقف به
عند هذا الحد من وصف مشاهدة العذاب والغبطة ، اذ ليس فيه سوى روايات عما عاين
اولئك المزعوم صلاحهم في السماء او جهنم ، وليس فيه تهويل شعري ولا سيما في جهنم
ووصف العذاب والنيران مما تستك من سمعه الآذان . وان ما نوافله الناس في اي
قطر من الأقطار حتى يسمي مبتدلاً ترويه عجائز الحلي ، ليس بالذي يُتضافت على نظمه
شعراً . ولا سيما اذا لم ينطو على حكمة بنظمها الشاعر بلفظ انيق ، او وصف شيء من
مظاهر الطبيعة او غيرها مما تنبسط له النفس كالحسن والغرام . واما وصف الفردوس
بما لا يخرج عن مذكرته كتب الأديان وبما روي عن بولس الرسول او بما ذكره
يوحنا في رؤياه وبما روي عن غيرهما على مر ثلاثة عشر قرناً الى عصر دانتي ، كل

ذلك لم يبق وصفاً لوصف على ذلك النحو أو زيادة لمستزيد ، فما عسى ان يقول داني
بعدهم أو يجيد ؟ .

فاذا أنعم الناقد النظر فيما بسطناه لم يربداً من القول معنا بان داني قرأ رسالة
الغفران العربية أو ترجمتها ورأى ان بقلدها على سجيته ولا سيما ان قرأ العربية بل اللاتينية
نفسها لم يكونوا لهذه الا جماعة قليلة العدد ، وافل منهم من كان يقرأ الكتب المترجمة
عن العربية او العبرية .

وليس قصدنا بهذه الموازنة الخطئ من قدر داني ببيانات سرقة الموضوع من
شاعرنا المعري ، فقد سرق الشعراء قبل داني وبعده وسيسرقون الى يوم الدين .
وهو نفسه لم يكن مبتكراً كما ذكرنا غير مرة ، بل لنعلم نقرأ بجهلون مدى آداب لغتنا
ويكفرون بعلمائنا . ان انفس ما خلدته العبرية من الصناعات الجميلة وهو الا لعربية
الالهية التي يفاخر بها ثمانون مليوناً من البشر او يزيدون بل قل اوربا بأسرها ولا تخف
غلواً في إضافة اميركالياها واكثر اليان وحسبك ما قالوه يوم اليوبيل العظيم لمروور ستائة
سنة على وفاة مؤلفها داني واعترفهم بالاجماع انه ثالث شعراء الدنيا منذ خلق الناس
خلا شعراء العرب ، اذ لم نجد للام الفرنجية الى اليوم من استطاع ان يقدر الشعر
العربي حق قدره من سائر المستشرقين ولا من نظم بيتاً بالعربية . فهم اذا تكلموا عن
الشعر والشعراء كان كلامهم عن اللغات اليونانية واللاتينية والسكسونية وسائر لغات
اوربا ، وان قالوا عامة اللغات او عموم الامم ، نقول ان اعترفهم بتلك العبرية
واناخرهم بالالعوبة الالهية يعود بالحقيقة للبدع المبتكر الحقيقي وهو ابو العلاء المعري
صاحب رسالة الغفران واليك الدلائل والبراهين الاتية .

(للبحث صلة)
فسطاكي الحمصي

قانون البلاغة

- ٧ -

واما الاستطراد فهو ان يأخذ الشاعر في صفة يجعلها طريقة الى ما يريد من مدح أو هجاء وغير ذلك ، ولا يزال فيما ركب لا يزال عنه ، ولا ينتقل منه ، حتى يثني عنائه الى غرضه ، ويعطف قوله الى مقصده ، بعد ان يكون في الكلام الاول دلالة على ان المقصد غير ما عطف عليه ، فحينئذ يكون استطراداً فنه قول حسان :

(ان كنت كاذبة الذي حدثني فنجوت منجى الحارث بن هشام)
 (ترك الأحبة ان يقاتل دونهم ونجسأ برأس ظمرة^(١) ولجام)
 وكقول الجعفي :

(ما ان يعاف قذى وان أوردته يوماً خلأني حمدويه الأحول)
 وكقول ابي الشعمق :

(واحببت من حبها الباخلين حتى ومقت ابن سلم سعيدا)
 (اذا سبل عرفاً كسا وجهه ثياباً من اللؤم صفراً وسوداً^(٢))
 وكقول حاتم :

(ان كنت كارهة لعيشتنا هانا فخلي في بني بدر)
 واما التكرار فكقول عبيد :

(هلا سألت جموع كند مدة يوم ولوا ابن اينسا)
 وكقول الآخر :

(وكانت فزارة تصلى بنا فأولى فزارة اولى فزارة)

واما الاستثناء فانه يوجب بلاغة بيان وادل من اختصره التابعة بقوله :
 (ولا عيب فيه غير ان سيوفه بهن فلول من قراع الكتائب)
 فهذا تأكيد للمدح بما يشبه الذم ، وقال الجعدي :

(١) الظمرة مؤنث الظمرة وهو الفرس الجواد او هو المستعد للوثب والعدو .

(٢) في رواية : بفضاً وسوداً .

(فنيّ كملت خيراته غير أنه جواد فما بقي من المال باقيا)
واما التصحيف فكقول البحري :

(ولم يكن المغتر بالله اذ سرى ليحجز والمعتز بالله طالبه)
وقوله : (وكأن السليل والنثرة الحصى داء منه على سليل خريف)

واما براعة الاستهلال فهي من ضروب الصنعة التي يقدمها امرء الكلام ، ونقاد الشعر ، وجهابذة الألفاظ ، فيأبى للشاعر اذا ابتدأ قصيدة مدحا او ذمّا او غمرا او وصفا او غير ذلك من افانين الشعر ، ابتدأها بما يدلّ على غرضه فيها ، وكذلك الخطيب اذا ارتجل كل خطبة ، والبلغ اذا افتتح رسالة ، فمن سبله ان يكون ابتداء كلامه دالا على انتهائه ، واوله ملخصا بآخره ، وينبغي له ان لا يبتدي المدح بشيء من التشبيب بتطير منه ويستغنى من كلامه ، وينبوه عنه السمع ، وينبذه الطبع ، ويجنب مثل قول ذي الرمة :

(ما بال عينك منها الماء ينسكب)
فقد بلغني ان بعض خلفاء بني أمية استنشد شيدا من شعره فأنشد هذه القصيدة فردّ سيفه فيه وأسكته . ودخل الأخطل على معاوية فقال : اني مدحتك فاسمع فقال : ان انت شهنئي بالحية والصقر فلا حاجة لي فيه ، وان كنت قلت كما قالت الخنساء في اخيها :

(ولا بلغت كفت امرئ مننا ولا من الجيد الا والذي نلت أطول)
(وما بلغ المهدون للناس مدحة وان أطنبوا الا الذي فيك أفضل)
فهاث فأبشدا الأخطل :

(اذا مت مات الجود وانقطع الندي ولم يبق الا من قليل مصرّد)
فقال له معاوية ما زدت على ان نعت اليّ نفسي . وأنشد الجعديّ بعض الملوك قصيدته التي يقول فيها :

(لقيت أناسا فأفئبتهم وافئبت بعد أناس أناسا)
فقال له : ذاك من فرط شؤمك ، وأنشد البحري يوسف بن محمد الثغريّ قصيدة ارها :

(لك الويل من ليل نقاصر آخره) . فقال له (الويل والحرب لك)

فمن سبيل الشاعر المتوقد ، الهاجس الواري الزناد ، ان يكون هجاؤه اذا هجا ، واستبطاؤه اذا استبطا ، وتمنيته اذا هنا ، وتمنيته اذا عرتى اورثى ، او وصف على حسب ما يقتضيه ذلك الموصوف ، وتوجيه تلك الحال . وان لا يضع كلامه في غير موضعه ، وان يفتح كل قصيدة بما يناسبها ويبتدئها بما يشير الى المعنى المقصود فيها ، فان المجتري لو كان هاجياً لكان قوله (لك الويل) في غاية الجودة ، لان كل صنف من صنوف القول يقتضي نوعاً من الابتداء وضرباً من الافتتاح لا يصلح لغيره ، وانما جعل الابتداء بالنسيب سبباً الى المدح وسدماً اليه ، ليحسن الممدوح الاصغاء الى ما في التشبيب من وصف النزاع والصبابة ، وذكر الوجد والغرام ، اذ كانت النفوس مجبولة على استحسان الغزل والنسيب ، فلا يكاد يخلو احد من ان يكون ضارباً فيه بسهم ، وأخذاً منه بنصيب ، فاذا انتهى الشاعر الى المدح ، ورد على نفس مجتمعة ، وجأش ساكن ، وقرينة صيبة ، وسمع غير مقسم ، لحسن موقعه ولطف موضعه وشرف مسمعه واستوفاه الممدوح ولم يله عنه . فالشاعر المجيد من سلك هذه الاساليب ، وعدل الاقسام فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ، ولم يطل فيمل السامعين ، ولم يقطع والنفوس ظمناً الى المزيد .

ومن سبيل الشاعر ايضاً ان يجنب تسمية من يشب به ، وربما وافق ذلك الاسم اسم من بكره الممدوح ذكره ، وان اضطر الى تسمية من شب به اختار أعذب الاسماء وأحلاها موقعاً في السمع ، واجنب التشبيب بالاسم المستكره كقول جرير :

(ولقول بوزع قد دببت على العصا هلا هزئت بغيرنا يا بوزع)

واما براعة التخلّص فان من حكم التشبيب ان يكون متمزجاً بما بعده من مدح او هجاء وغيرهما ، وغير منفصل منه ، فان القصيدة مثلها كمثل الانسان في اتصال بعض أعضائه ببعض ، فمضى انفصل واحد عن الآخر بطل الجسم ، وحذاق الشعراء لا يفصلون بينها ، بل يصلون الاول بالآخر حتى تراه كالرسالة والخطبة لا ينقطع جزء من جزء . كقول مسلم :

(أجدك هل تدرين ان رب ليلة كأن دجاها من قرونك لنشر)

(نصبت لمساحتي تيجأت بغرفة كغرة يحيى حين يذكر جعفر)

و كقول محمد بن وهب :

(ما زال نلثني مرأشفه
(حتى استرد الليل خلعتيه
(وبدأ الصبح كأن غرته
(وبدأ خلال سواده وضح
(وجه الخليفة حين يمتدح)

و كقول المجتري :

(ارقل واكثر لست تبلغ غاية
(ولواني أعطيت فيمن المني
(من الجود الا ان تضارع هيمًا
(لسقيتهم بكف ابراهيم)
واما التردد فهو ان يعاق الشاعر لفظة سيف البيت بمعنى ثم يردّها فيه بعينها
ويعلقها بمعنى آخر كما قال زهير :

(من باق يومًا على علائه هرما
(واحفظ مالي في الحقوق وانه
(يلق السباحة منه والندی خلقا
(لجم وان الدهر جم نوابيه)
وهذا من أحسن كلام وأجزله وقال ابو نواس :

(صفراء لا تنزل الأحران ساحتها
(لومستها حجر مسته سرائ)

وقال ابن جبلة :

(مضطرب يرتج من أفطاره
(اذا تظنينا به صدقنا
(كالماء جالت فيه ريح فاضطرب)
(وان تظني فوته العير كذب)
(لا يبلغ الجهد به رأكبه
(وبلغ الرمح به حيث طلب)
وقد يسمى التعطف ايضاً . واما (التثيم) فهو ان يأخذ الشاعر في معنى ،
فيورده غير مشروح ، فيقع له ان السامع لا يتصوره بحقيقته ، فيعود راجعاً الى
ما قدمه فاما ان يؤكد واما ان يجلي الشبهة فيه كما قال :

(أفنا أكلنا اكل استلاب
(هناك وثمرنا شرب بدار)

ثم علم انه لم يتم المعنى وانه لبسه فقال :

(ولم يك ذاك سُخْفاً غير اني رأيت الثوب^(١) سُخْفهم الوفار)

(١) لعل صوابه (الشرب) وهو جماعة الشاربين .

وقال ابن الرومي :

(آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات اذا دَجَوْنْ نجوم)
 (منها معالم للهدى ومصالح تجلو الدجى والأخريات رجوم)
 واما جمع المؤنثتين والمختلفة في بيت فكقول امرئ القيس :
 (سماعة ذا وبرٌ ذا ووفاء ذا ونائل ذا اذا صحى واذا سكر)
 ويقال انه لم يجمع واحد في بيت واحد جماعة اشياء قبله واما التبيين فكقول
 الفرزدق :

(لقد خنت قومًا لو تساق اليهم طريد دم او حاملاً ثقل مغرم)
 فلما انتصر على هذا البيت لكاف جيداً ، ودخل في باب ما حذف جوابه ، فلما
 احتاج الى تبينه بينه فقال :

(لأفيت فيهم معطياً ومطاعاً وراءك شزراً بالوشح المقوم)
 فبين قوله (حاملاً ثقل مغرم) بقوله (لأفيت فيهم معطياً) وقوله (طريد
 دم) بقوله (ومطاعاً بالوشح المقوم) .
 واما المذهب الكلبي فكقول النابغة :

(ولكنني كنت امرأً لي جانب من الارض فيه مستتراد ومذهب)
 (ملوك وإخوان اذا ما أتيتهم أحكم في أموالهم وأقرب)
 (كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم فلم ترم في مثل ذلك أذنبوا)
 يقول لاثلي في مدح آل جفنة فقد احسنوا الي ، كما لو احسنت الى قوم فشكروا
 لك ، لم تر ذلك ذنباً ، وهذه طريقة الجدل وانما اتفق له لجودة القرينة وفضل التمييز .
 واما التفويف فانما سمي التفويف تشبيهاً بالبرد المفوف ، وهو الذي يحاط وشبه
 شيء من بهاض ، والفوف بهاض يكون على الاظفار سمي البرد مفوفاً به . وهذا
 النوع من الشعر هو ان يسهل له مخارج الحروف ، ويرف منه رونق الفصاحة مع
 الخلوة من البشاعة ، وان يكون ظاهر المعنى لا يحتاج الى اعمال الفكر في استنباط معانيه ،
 وان كان خالياً من جميع الاوصاف التي تقدمت وتأخرت عنها ، كما قال جرير :
 (هم الاحبار منسكة وهدياً وفي الهيجا كأنهم صقور)

(بهم حذب الكرام على المعالي
(خلأفق بعضهم فيها كبعض
(عن المكراء كلهم غبي^١
وكما قال مروان بن أبي حفصة :

(بنو مطر يوم اللقاء كأنهم
(هم يمنعون الجار حتى كأنما
(هم القوم ان قالوا اصابوا وان دعوا
وكما قال ابراهيم بن العباس :

(تطلع من نفسي اليك نوازع
(حلال لليلي ان تروع فوادنا
(وزالت زوال الشمس عن مستقرها
عوارف ان اليأس منك نصيها
بهجره ومغفور لليلي ذنوبها
فمن يخبرني في اي ارض غروها

واما (الفرع) فهو ان يأخذ الشاعر في وصف من الاوصاف فيقول ما كذا ٠٠٠؟
فينعت شيئاً من الاشياء نعتاً حسناً ثم يقول — بأفعل من كذا ، كما قال الاعشى :
(ما روضة من رياض الحزن مـ^١شبة
(بضاحك الشمس منها كوكب^(١) شرق
(يوماً — بأطيب منها نشر رائحة
ولا بأحسن منها اذ دنا الأُصل)
وخضرء جاد عليها مـ^١سبل هطل)
مؤزر بعميم النبت مـ^١كتهل)

وقال عبد بني الحسحاس :

(وما بضة بات الظلم يحنها
(ويرفع عنها وهي بيضاء طله
(ويعملها بين الجناح ودفعها
(— بأحسن منها يوم قالت أرائح
ويرفع منها جوؤاً متجافيا)
و ٠٠٠ قرناً من الشمس ضاحيا)
ولخفها وخفان الريش وافيا)
مع الركب ام ثاور لدينا لباليا)
وهذا الباب كثير في أشعارهم .

واما (التسميط) فهو اعتماد الشاعر تصبير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع

(١) الكوكب نور الروضة .

أو شبه به ، أو من جنس واحد في التصريف والتمثيل ، وإنما سمي تسميئاً تشبيهاً بالسميط في نظمه وحسن وصفه ، وهو كقول امرئ القيس :

(مكر مفر مقبل مدبرٌ معاً كجلود صخر حطه السيل من عل)

فأثني باللفظتين الأولىين مسجوعتين في نصريف واحد ، وجاء بالتاليتين شبيهتين بهما في التعديل والتمثيل ، والمراد من هذا أن تكون الأجزاء متوالية وأن تكون مسجوعة .
وأما (التصريع) فهو أن يقصد الشاعر لتصهير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة كمقطع المصراع الثاني ، وقد فعل ذلك المتقدمون والمحدثون حتى أن بعضهم ربما صرّع من القصيدة الأبيات بدل بذلك على اقتداره وسعة بجره ، ودقة فكره ، ورحب بآه ، وتوقد زكائه ، وبدلك على ذلك قول أبي تمام :

(.....) وإنما يروقك بيت الشعر حين يصرّع

قال امرؤ القيس وهو أوسعهم مذهباً في هذا الباب :

(قفا نيك من ذكرى حبيبٍ ومنزل بسقط اللوي بين الدخول فحوّمل)

ثم قال :

(أفاطم مهلاً بعد هذا التمدل وان كنت قد أزمعت صرعى فأجمل)

ثم قال :

(ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما إلا صباح منك بأمثل)
وأحسن ما يكون التصريع في أثناء القصيدة إذا كان الشاعر منقلاً من وصف إلى غيره .
وأما (التضمين) فقد لهج جماعة من المتأخرين به واستكثروا ففهم من يورد البيت بأمسه والبيتين ومنهم من يقتصر على الأنصاف ومنهم من يأتي بالأربع وبما دون ذلك ومنه قول الحماسي :

(وقائلته والدمع سكب مبادر وقد شرقت بالماء منها الحاجر)

(وقد أبصرت حمّاناً^(١) من بعد أنساها بنسا وهي منا موحشات دواثر)

(كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسر بمكة سامر)

(١) حمّان بكسر الحاء وتشديد الميم والفاء ونون محلة بالبصرة .

(فقلت لها والقلب مني كأنما يلقبه بين الجوانح طائر)
 (بلى نحن كننا أهلها فأبادنا)
 وقال أبو تمام :

(فقتله سرّاً ثم قالت جهرة قول الفرزدق لا بطبي أعفر)
 وقال الأخطل الأهوازي :
 (واقعد سما للخرمي فلم يقل عند الوفاء لها نضايق مقدمي)
 وقال أبو هفان :

(بل رأيت العاشقين ببسابة من بين مدعوي به ومطفئ^(١))
 (لذكرت بيتاً قاله حساب في أولاد جفنة في الزمان الأول)
 (يغشون حتى لا نهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل)

وأما (القسم) فهو ان يقسم الشاعر ، أو يحلف غيره بأقسام لتعلق بفرضه المقصود معتمداً بذلك الابداع فيما ينظم ، كما قال الاشتهر النخعي :

(بقيت وفري وانخرفت عن العلى واقبت أضيائي بوجه عبوس)
 (ان لم أشن على ابن حرب غارة لم تحل يوماً من ذهاب نفوس)
 وقال أبو علي البصير :

(اكذبت أحسن ما يظن مؤلمي وهدمت ما شادته لي أسلافي)
 (وعدت عاداتي التي عودتها قدما من الائتلاف والايخلاف)
 (وصحبت اصحابي بعرض معرض متفكراً فيه بمال وافي)
 (وغضضت من ناري ليخفي ضوها وقربت عذراً كاذباً أضيافي)
 (ان لم أسن^(٢) على علي حلة نضحي فذي سيف أعين الأشراف)
 وأما الاعنات^(٣) فهو ان يلتزم الشاعر في القوافي ما لا يلزمه ، إبانة عن اقتداره وتوسعه وفتحة مجال فكره ، وهذا المذهب على ضروب كثيرة قال الخطيئة :

(١) طفل الرجل صار طفلياً وطفل عليه كطفل . (٢) سن عليه الدرع صبه عليه وألبسه إياها . (٣) وهذا النوع يسمى لزوم ما لا يلزم .

(ألا من لقلب عازم النظرات يقطع طول الليل بالزفرات)
 (إذا ما الثريا آخر الليل أعنت ^(١) كواكبها كالجزع ^(٢) منحدرات)
 فجاء بالراء في جميعها قبل حروف الردف ، وهي غير لازمة فقال حسان ^(٣) بن ثابت
 فلزم الحرف الذي بين ألف التأسيس والروي وأعاد به عينه في قصيدته التي يقول فيها :
 (بكل كميت صورة نصف حلقه وقب طوال مشرفات الحوارك)
 وقد التزم ابن الرومي في هذا ما لم يلزمه فاللزم في قصائد في حرف الردف الياء
 دون الواو ، والواو دون الياء ، وكسر في قصائد ما قبل حرف الروي ، ولم يفتح ولم
 يضم ، وضم في بعضها ولم بكسر ، ولم يفتح ، وفتح في بعضها ولم يضم ولم بكسر .
 وأما تجهل العارف كقول زهير :
 (وما أدري وسوف أخال أدري أقوم آل حزن أم نساء)
 وقول الآخر :
 (بالله ياداهات القاع قلب لنا ليلاي منكن أم ليلى من البشر)
 وأما الهزل الذي يراد به الجد فكقول الشاعر :
 (إذا ما تيممي أناك مفاخرأ فقل عد عن ذا كيف اكلك للضب)
 (الخاتمة في الآتي)



(١) غابت . (٢) أي كالجزر الياباني إذا تساقط من سلكه . (٣) لا معنى هنا
 لحسان بن ثابت .

كتاب المنذر

— ٣ —

(صاحب سطوة واهابة) : سطوة ومهابة — اما الاهابة فهي الدعوة من اهاب به اي دعاه وزجره . (أصبحت المقارلة ملفية) : أصبحت المعاهدة ملغاة — والمقاولة هي المجادلة والمفاوضة . (صرف مصارف واهية) بذل نفقات بامضة او كبيرة — لان الواهي هو الضعيف . (أوقف نفسه على خدمته وضحى حياته في سبيله) وقف نفسه وضحى بحياته . (ظهر الكنز الخفي) : الخفي — وزن فاعيل او الخفي بالمجهول . (الانعكاف على العمل الذي قد يكون هو اكبر صائن من المفساد) : العكوف مصدر عكف ويجب حذف « قد يكون » من العبارة لئلا ينقلب المعنى الى ضده .

* * *

(أبدل الحقد بالحبة) : عند المديح — أبدل الحبة من الحقد او بالحق — وهذا مما يغلط به انكتاب كثيراً . (مخالف لصالح الوطن) : مخالف لمصلحة الوطن . (صادره في حريته) : عارضه — لان المصادر هي المطالبة بالحق . (تسليمك زمامه) : تسليم زمامه اليك . (من الرجال النفاة) : النقات — بالناء المبسوطة لانها جمع ثقة من باب الوصف بالمصدر . (يتجولون في الجبال) : يجولون — بالتخفيف وبالتشديد . (اذا قاربوا من القوم) : اذا قاربوا القوم او اقتربوا من القوم . (تطوف فوق وجه الماء) : تطفو . (عصا على والي البلاد) : عصوا والي البلاد . (وجدته حاراً على جميع المواد) : وجدته حاراً بجميعاً او محتوياً على المواد جميعاً — لان حوى متعد بنفسه . (تغيرت الماء عن عادتها) : تغير الماء عن عادته — لانه مذكر — او تغيرت المياه عن عادتها « بالجمع » . (من الفقرتين الاوليتين) : من الفقرتين الاوليين — بفتح اللام مثني أولى .

* * *

(من المثرين في البلاد) : المثرين بباء واحدة — والمثرون بالرفع بدون باء . وثله المنوضون السامون والمنوضين السامين . (عجيب هو الامر الذي بطلبه) :

عجيب الامر الذي يطلبه — او الامر الذي يطلبه هو عجيب — لان « هو » ضمير الفصل يدخل بين المبتدا والخبر دفعا للالتباس بين الخبر والصفة المعرفتين ولا يدخل بين الخبر المقدم والمبتدا المؤخر . (هذه الدعوى جنحة) : اللفظة تركية وتعرّب بها جناح بالضم . (يتظلمون من بهائة الضرائب) : من بهظ او ثقل الضرائب . (الكتاب الذي بعث به) : بعث به — لانه يقال « للشخص » بعثه « وللشيء » بعث به . (لم هذه النفقات المخصصة لهم ما زال غيرهم يقوم بوظيفةهم) : ما دام غيرهم — وكثيرون يستعملون ما زال في مقام مادام في حين ان « ما زال » كلها معاندا « بقي » وما نافية ومعنى مادام « مدة دوامه » وما مصدرية زمنية والفرق واضح . (ان هذا العمل موجود بالاحرى في مخيلته) : ان هذا العمل في مخيلته — بحذف موجود بالاحرى . (لجنة تقوم من مندوبي الدول) : تؤلف او تعقد . (التي تعميقه عن العمل) : تموقعه — من الثلاثي الواوي . (أثبت له إخلاص طائفته) : حبسنا لو استعمل اكنة « الملة » بدل الطائفة لان الطائفة هي الجماعة لا المذهب الديني .

(فهل لا يستحق ذلك) : أفلا يستحق ذلك — لان هل لا تدخل على النفي . (لانتطلي الحيلة عليهم) لا تجوز الحيلة عليهم — لانه لم يسمع وزن انفعل من هذا الحرف . (كان تأخيره داعيا لطرده) : تأخره . (قطع جانحي الطائر) : قطع جانحي الطائر — ولم يسمع جانح بهذا المعنى . (حباً في الاختصار ذهبت اليه) : حباً للاختصار او دفعا لطول الوقت ذهبت اليه . (الخط الحديدي الذي كان موجوداً بين طرابلس وحمص) : حذف « موجود » لان الخبر مع الظرف والمجرور متى دل على مطلق الوجود يجب حذفه . (يقيم عندهم لبينا يحضر ابوه) : ريثما يحضر او حتى يحضر ابوه — لان لبينا لانأني بهذا المعنى ولا تدخل عليها اللام . (نخر عظامها سوس النقر) : نخرت عظامها من سوس النقر بقى برفع عظامها على الفاعلية لان نخر لازم « نخر العظم » وزات علم .

(سلمه القيادة وفوضه بكل شؤون الجيش) : سلم اليه قيادة الجيش وفوض اليه

كل شؤونه . (انشأوا هنالك ميناءً واسعة) : ميناءً واسعاً بالنوين والتذكير لان الميناء « المرفأ » مذكر على وزن مفعال وليست الالف فيه للتأنيث . (كلما سعيناً لخير هذا الوطن كلما وقفت في سبيلنا العراقي) : حذف كلما الثانية . (استولى علينا الانذهال الكلي) : الذهول الشديد او الدهشة الشديدة — لانه لم يسمع وزن انفعّل من هذا الحرف . (حكموهم قروناً طوالاً) : حكموا بينهم او حكموا عليهم قروناً طوالاً . (الحماس في العراق) : الحماسة او الهياج في العراق — والحماس نوع من الشجر . (بوشر بترميم الدار) : بوشر ترميم الدار — بجذف الباء لانه متعدّ بنفسه . (كننا مشعرين بحجارة الموقف) : كننا شاعرين بحرج الموقف . (ساهر بعين لا تخفاها خافية) : لا تخفى عليها خافية . (لا يفرق بين الغث والثمين) : السمين بالسين ضد الغث وهو الهزيل . (سوى النذر القليل) : النزر بالزاي لا بالذال . (تركهم في أذيال خبيثتهم يهمهون) : يتعثرون — او في ظلمات خبيثتهم يهمهون .

(حكم عليهم بالاعدام) : لم يسمع هذا التعبير عند العرب واعلمه من الاصطلاحات النثرية والصواب — حكم عليهم بالموت . (تركه عالة على المجتمع الانساني) العالة جمع عيل « بالتشديد » كسادة وسيد والصواب تركه عيلاً او عبثاً على المجتمع — ويقال تركهم عالة — عند الجمع . (لا اعتقد بان الامر كذا) لا اعتقد ان الامر كذا — بجذف الباء لانه متعدّ بنفسه . (وبينما اكون اشتغل بكون هو بطالع الروايات) وفيما انا اشتغل بطالع هو الروايات . (اتخذ الكالة عادة) الكسل — ولم يسمع وزن فعالة من هذا الحرف . (من هذا البئر العميق) من هذه البئر العميقة — لان البئر مؤنثة . (من الدائبين على خدمة البلاد) في خدمة البلاد . (اذا حاولت الامر لاحتجت الى مال وفير) والصواب ابدال لو من اذا — او يقال اذا حاولت الامر فاني احتاج الى مال وافر — لان اللام لا تدخل على جواب اذا .

(يهب الجسم نشاطاً) الفقهاء يعدون وهب الى مفعولين ولكن الافصح فيه ان يتعدى الى الاول باللام والى الثاني بنفسه فيقال : يهب للجسم نشاطاً . (أتيح لي

الحظ بان حصل عليه) أتاح لي الحظ ان احصل عليه = ارا نيجلي ان أحصل عليه =
 بجذف الحظ والباء . (اهاب بنا التذكار المسرامس المسمي اليوم) السار السي =
 من مرّ وساء الثلاثين . (لكن ذلك لا ينهي الشقاق) لا يقطع او لا يحسم
 الشقاق = لان للانهاء معنى آخر هو الابلاغ . (صلاحية مدراء النواحي) صلاحية
 مديري النواحي = بتخفيف الباء في صلاحية كمالانية وكراهية وعناية ورفاهية =
 وجمع مدير بضم الميم « مديرين » لانها وزان مُفعل لافعل . (بلدية بيروت ونحن)
 نحن وبلدية بيروت . (أشاع بأنه يريد) أشاع انه يريد = بجذف الباء . (اليد
 التي تحيك ملابس القوم) تحوك = لانه وادي . (يسافرون من الى الولايات المتحدة)
 من الولايات المتحدة واليه = لانه لا يجوز عطف الحرف على الحرف بدون ذكر المجرور .

(في احدي القاطرات) في احدي القاطرات او في احدي القطر بضمين جمع
 قطار ككتاب وكتب وجدار وجدر ونظام ونظم . (عليهم ان يتخابروا معه) عليهم
 ان يفادضوه او يساحثوه . (تصلح الطرق) إصلاح الطرق او تعبيدها = لانه لم
 يسمع وزن فعّل من هذا الحرف . (دعت خادمتها وطلبت اليها كذا) طلبت منها
 كذا لان طلب اليه ابتهل اليه والسيدة لا تبتهل الى خادمتها . (لا يقبل به بهلاً
 لابنته) لا يقبله او لا يرضى به بهلاً لابنته . (جعلني ان أفبق) جعلني أفبق =
 بجذف ان او ابقظني . (ماضر اغنياءنا اذا صرفوا شيئاً من مالهم) ماضرهم لو بذلوا
 = لان لو مصدرية تؤل مع ما بعدها بمصدر فاعل ضرّ أما اذا فلا يصح فيها ذلك .
 (في أحراش القرية) غابات او أحراج بالجيم جمع حرج « بقفتين » وهو انكاف
 الكثير الشجر . (في رده فصر من الزمن) في زمن قصير = لان الودح هو المدة
 الطويلة . (اخذت أفقش عليها الى ان وجدتها) اخذت ابحت او أفقش عنها حتى
 وجدتها . (هل كانت مسرورة او حزينة) أمسرورة كانت ام حزينة .

(الخاتمة في الآتي)
 ابراهيم المنذر

مطبوعات حديثة

خطط الشام

« الجزء الرابع »

تناول الأستاذ الرئيس في هذا الجزء من كتابه الممتع — التاريخ المدني — فافتيحه بالكلام على العلم والادب ، ألم من ذلك بما عرفه عن هذا القطر قبل الاسلام . ثم بسط الكلام في ذلك بعد الاسلام قرناً قرناً . فعد عشرات من رجال كل قرن ، في كل علم وفن . ونوّه بطبقة من الفنانين قلّ ان عُنِيَ بهم من كتب في التاريخ . وأحسن كل الإحسان اذ قال : « ومن الغريب ان بعض المتأخرين ممن دَوَّنوا تراجم اهل عصورهم حرصوا على تراجم المجاذيب والمخرفين ولم يذكرُوا اهل تلك الايام من المقدرين والبنائين وغيرهم ممن خلّدوا بالهم مدينة أعصارهم » .

وأشار الى تاريخ التدوين والنقل ، والى البعث العلمية في أقدم تاريخ الاسلام . والى إنشاء المكاتب والمدارس ودور العلم (الجامعات) . والى ما كان من ارتفاع في بعض الأعصر ، وما كان من المخطاط في البعض الآخر . وعلل الأسباب في كثير من المواطن . ووصف (تأثيرات الاجانب في التربية) .

ثم انه انتقل الى النهضة العربية الاخيرة في الشام ، فنوّه بالذين قاموا بها ، او كان لهم اثر فيها . وتعرض لمدارس الحكومة العثمانية ، فعمل المؤرخ المنصف ، وعقد للصحافة العربية فصلاً قيماً : ذكر فيه نشأتها الاولى . وجهود أبناء الشام في سبيلها ، في الشام ، وفي غير الشام . وشخص داءها ، ووصف دواءها ، وبين ما تحتاج اليه منها ، ومن تحتاج اليه منا . وختم هذا الباب بفصل عن الطباعة والكتب ، وحركة التأليف والنشر ، وما يعترهما من نقص ، وما لذلك من علل .

وأدار البحث الثاني على الآداب الرفيعة (الننون الجميلة) فبدأه بالموسيقى . ذكر نشوؤها الطبيعي ، وأثرها في النفس ، وحظ العرب منها ، وعناية دولهم بها . ونوّه بالمشهورين في هذا الفن ، وسرد أسماء طائفة كبيرة منهم : رجالاً ونساءً ، ولا سيما من اهل الزمن الحاضر . ثم انتقل الى التصوير فجمع اليه النحت ايضاً ، وتكلم بعد ذلك

عن النقش والبناء ، فذكر أقدم ما وصل اليه بحثه عن هذه الفنون في هذا القطر .
 فأشار الى اشياء من النماثيل المنحوتة ، والقوش البدئية التي عفت عنها عوادي الايام .
 وأفاض بجواز التصوير في الاسلام إفاضة محمودة شائقة . وقال ان المسلمين :
 (حاذروا اذا أجازوا الرسم المجسم ان يكون في عملهم مدرجة للعرب الى الرجوع الى
 عبادة الأصنام ، فعملوا في التجوز بعض القيود الخفيفة . فلما ذهبت تلك الخشية اخذت
 مسألة التصوير لنحل شيئاً فشيئاً ، وبعمد الى ما فيه مصلحة منه » واستشهد على ذلك بان
 نقرأ من الصحابة استعمالوا الصور واستصنعوها في بيوتهم .

قال وبعد ان كان العرب لاول عمدهم في الشام — عالة في التصوير على الروم
 والفرس نشطوا بعد ذلك فأخذوا بهذا الفن شيئاً بعد شيء حتى برعوا فيه . فجاءوا من
 النقوش الزاهية ، والنصاوير العجيبة ، بما يأخذ بالابصار . ولقد بنوا بتصوير النبات
 نفنتاً غريباً فصوروه على الخاء شتى .

وجعل بعد ذلك باباً خاصاً بالزراعة ، وآخر بالصناعة ، وثالثاً بالتجارة . فكان
 اكثر كلامه عن هذه الموارد الحيوية الثلاثة ، من الوجهتين الاجتماعية والتاريخية ،
 فجاء من ذلك بكلام ممتع مفيد ، ليس وراءه غاية . لناول به طرائق متعددة من
 حيث يبان الأنواع ، وذكر المواطن ، وشرح العلاقات الزراعية والصناعية والتجارية ،
 واحوال القائمين بها . وختم بمبحث الزراعة بفصل اختص به الحمات الشامية .

وعهد في الكلام عن هذه الموارد من وجهتها الفنية ، الى رجال من اهل العلم
 والاستفراء ، او الاشتغال والممارسة ، فأحسن المؤلف الاختيار اذ أجاد الكتاتون في
 الشؤون التي عاجلوا إجادة حسنة .

هذا وصف مجمل ما أحسب انه يقوم بحق هذا الكتاب . لذلك ارى من الذمة
 في القدر ان أشير الى بعض الاشياء التي وردت فيه ، ليعرف من لم يطلع عليه ، مبلغ
 الاستاذ من الحرص على خدمة أئمة خدمة ادبية صادقة . وكيف انه كان منصفاً
 في ما كتب ، واستشهد . ليس بالعصبي تأخذه النزعة القومية فيلصق بقومه من الفضائل
 ما لم يكن لهم ، على نحو ما يفعل كثير من المؤرخين متى كتبوا عن قومهم ، ولا بالضعيف
 يرى محاسن قومهم فيغضي عنها مخافة ان يُتهم بالعصبيّة لقوم لا دولة لهم ولا علم .

ولكنه كان بين ذلك مؤرخاً صادقاً ، يشيد بحضارة قومه الحق . ويثني على ما كان لهم من فضل . وينبه الى ما سبق لهم من خطأ . داعياً أمتة الى نهضة قومية ، مسممة قومه ما يقول المنصفون منهم .

والى القاريء فليلاً من كثير ، كان حقاً ان ينوء به كله ، لولا خوف انتشار الكلام :
استشهد على حضارة العرب بمجملته من التاريخ العام هذا بعضها :

« فالمدينة التي عمل فيها هذا العدد الكثير من المؤازرين المختلفين ليست اذاً عربية صرفية ! بل هي بحسب النموذجات التي نشبت بروحها والمحيط الذي كبرت فيه يونانية وفارسية وشامية ومصرية واسبانية وهندية ، ولكن اذا وجب ان يذكر لكل واحد قسطه من العمل لا يسع المنصف الانكار بان قسط العرب منه كان اعظم من غيرهم ، فلم يكونوا واسطة فقط لنقل هذه المدينة ، ينقلون الى الشعوب الجاهلة في افرقية واسبانيا واوربا اللاتينية ، معارف الشرق الادنى والاقصى وعلومه واختراعاته ، بل احسنوا استخدام المواد المبعثرة التي كانوا بالنقطة منها من كل مكان . فن مجموع هذه المواد المختلفة التي صُبت فيما زجت تمازجاً متجانساً ، ابدعوا مدينة حية مطبوعة بطابع قرائحهم وعقولهم . وبفضلهم تيسر للحضارة الاسلامية في القرون الوسطى التي عاوت فيها ابداء اخرى ، ان تكون ذات وحدة موصوفة . فالنقل يد فيها محسوس ولكنه تقليد غير اعمى ، فان سلطة الاساتذة الاقدمين لا تمنع الابحاث العلمية والاختراعات الحديثة ، كما ان مشهد البدائع القديمة ودرسها لا يحول دون انتشار الفنون ولطافة الابداع في الاختراع . وفي الشرق نشأت هذه المدينة وكانت دمشق احدى مراكزها ومنبعث انوارها اه . »

وهذا ما نقله عن تاريخ اللغة الفرنسية وآدابها : « اما بشأن اللغة (اي في عهد الصليبيين) فقد حدث ما يحدث في مثل هذه الأحوال على صورة مطردة ، وهو ان اللغة الاكثر تمدناً قد اثر اهلها في غيرهم . وكان اكثر الامم تمدناً بلا مرء الشرقيون ولا سجا العرب واليونان . وقد تعلم قليل جداً من العرب والترك والفرس لغة الافرنج ماعدا بعض التراجمة الرسميين . وعلى العكس تعلم كثير من الصليبيين لغة الوطنيين عقيب وصولهم الى فلسطين ولا ريب ان مجاورة التمدن الاسلامي ، قد ساعدت على زيادة النفوذ الذي كان العلم العربي والفنون العربية تؤثر فيها منذ زمن

طويل . ومعلوم ماتدين به لهذا التأثير كل من الفلسفة والرياضيات والفلك والملاحة وتركيب النيران الصناعية والطب والكيمياء ، حتى فن الطبخ . فقد اخذنا عن العرب أشياء كثيرة من مثل طريقة الارقام وشروح ارسطو حتى حمام الزاجل والشعار ، وأدوات الموسيقى والأزباء والأقمشة والأزهار والبقول . وبعد فاذا حدث أحياناً ان الأشياء التي نقلت لم تكن تسمى الا باسماء المدنية الشرقية التي اخذت منها مثل ثوم وعسقلان وقماش دمشق ، فان غيرها قد احتفظت باسمائها العربية مع بعض التحريف وهي كثيرة ويتألف منها في الفرنسية مجموع كبير في الجملة . »

ومما نقله قول رنان : « ان الفكر الديني لسوء حظ الاسلام تغلب بعدد جدال طويل فخلق الحركة العلمية الفلسفية الباهرة التي جعلت المدنية العربية بتأثيرات الفارسية واليونانية والنسطورية واليهودية ردحاً من الدهر ، وارثة المدنية اليونانية قال وادربا مدينة لمدينة العرب ببقايا العلم الذي قطفت ثماره في القرون الوسطى » . ومما قاله المؤلف في وصف القرن الثاني عشر : « دخل القرن الثاني عشر ولا تجد فيه ولا جديد ، الا النظر في قضايا قديمة لا كتبها الألسن قديماً ، لا إبداع فيها ولا اختراع . فالمسائل الدينية المقررة لنقل خلفاً عن سلف ، والآداب العربية لنحط ، حتى أصبح الشعر والنثر في حالة مخزية و « صارت الفتوى والقضاء والمناصب العلمية ملعبة وشعبذة وسخرية والمدارس مأوى الحمير » كما قال احد العارفين بذلك القرن . وأصبح القوم الا قليلاً ممن عصم الله كما قال حجة الاسلام الغزالي : والحهم هوام ، ومعبودهم سلاطينهم ، وقبلاتهم دراهمهم ودنانيرهم ، وشعر بعثهم رعوتهم ، وإرادتهم جاههم وشهواتهم ، وعبادتهم خدمتهم اغنياءهم ، وذكرهم وسادسهم ، وفكرهم استنباط الحيل لما انقضيه حشمتهم . . .

وقال في كلامه عن القرن الثالث عشر : « ثم ان الدولة العثمانية أنشأت المدارس العالية . . . فأخذ بعض أفراد من الشاميين يدرسون فيها ولكن بالتركية ، فكان ذلك الى آخر عهد العثمانيين في ديارنا من العوائق الكبيرة في سبيل نشر العلم ، لان الدولة كانت تحرص على نشر لغتهم ، وأبناء العرب او من يريد ان يسلك مسالك الجيش والطب والادارة والهندسة والزراعة أرغمتهم الحالة على التجلي عن لغتهم ،

فجاء أكثرهم ضعافاً حتى في العلم الذي أخصوا فيه ، وكانوا أضعف من ذلك في لغتهم

ويقول في موضع آخر : « وقد ضعفت في هذا القرن ملكة البيان في المسلمين وهم يتلون القرآن ولكن بدون ان يتدبروا معانيه ويفهموا إعجازه ، حتى أصبح الفقيه والمحدث والنحوي والبيان والمنطقي لا يحسن كتابة سطرين الا بصعوبة ليس بعدها صعوبة . ويتعاصى عليه فهم الكلام الفصيح دون الرجوع في المفردات البسيطة ؟ الى المعاصم ، وضعف الشعر على تلك النسبة ، بحيث لم ينبغ الا افراد فلائيل من الشعراء يستحق شعرهم ان يسمع ويدون ، بل كانوا اذا أرادوا الخطب في الجوامع والمساجد يحفظون شيئاً منها لاهل العصور التي سلفت و يوردونها بدون مناسبة ، بل ان الاجازات التي يكتتبها الشيوخ وغيرها من التخميدات والنفاريظ وأدعية المواسم ينقلونها عن الأقدمين ويحرفونها على صورة مستكرهة مهزعة وقد قويت في هذا العصر قاعدة خبز الابل للابن . وكان المفتي ابو السعود من مشايخ الاسلام في الاستانة اول من ابتدئها وأخرجها للناس ، فأصبح التدريس والتولية والخطابة والامامة وغيرها من المسالك الدينية توسد الى الجهلة بدعوى ان آباءهم كانوا علماء . وهم يجب ان يرثوا وظائفهم ومناصبهم - وان كانوا جهلة - كما ورثوا حوانيتهم وعقارهم وفرشهم وكتبهم .

وهو يقول في كلامه عن القرن الرابع عشر : « وكان الفضل في هذه النهضة الشامية لمدارس لبنان وبيروت وعناية بطارقة الموارنة وبتاركتهم (لعله يريد مطارنتهم) وأساقفتهم وقسيسهم بالعلم واللغة ! اما العلوم الطبيعية والرياضية والطبية فانبعثت جذوتها من الجامعة الاميركية اكثر من غيرها . ولولم تُبطل تدريس العلوم بالعربية وتجهله انكليزياً منذ أوائل هذا القرن لتضاعفت الفائدة التي نشأت من هذه المدرسة العالية

ان المدارس الطائفية ومدارس المسلمين من الاميركبين واليسوعيين والألمان والانكليز والطلبان واليونان والروس وغيرهم من الامم ذات المطامع في الارض المقدسة قد جعلت التربية متلونة في هذه الديار ، فأصبح كل متعلم يخدم الغرض الذي أنشئت

له مدرسته ، وانقسمت الامة بهذا الضرب من التعليم اقساماً شتى ، وتباعدت مسافة الخلف بين ابناء البلد الواحد ، لاختلاف المذاهب بل للاختلاف في المذهب الواحد ، مما لم يكن له اثر يذكر في غير العصور ، ولان معظم المدارس التي أنشأها غير الوطنيين من الشاميين كان العامل في تأسيسها مذهب خاص في الدين والسياسة ، فالانجلييون او البروتستانت لنشر دعوتهم كل يوم ، واليسوعيون ينزعون منزلاً آخر في التربية الدينية والسياسية وكم رأينا رجالاً ونساءً درسوا في تلك المدارس فجاءوا لا عرب ولا افرنج ! يتكلمون في بيوتهم بغير لغتهم ، ولا يشعرون شعور الشامي ، بل يعضون تقاليدهم وتاريخهم ولذلك صح ان يقال ان تلك المدارس لم تنفع البلاد النفع المطلوب ، بل نفعت الشركة التي قامت بتأسيسها ، بان هيأت لها في هذه الدبار انصاراً .

وبينا نرى بعض المسلمين يكتبون التركية كأهلها وشعورهم تركي صرف ولم ينفعوا بلاد الشام بشيء كثير من علمهم ، نشاهد كثيرين ممن درسوا في مدارس الرهبان والقسيسين والحاخامين يكتبون الفرنسية او الانكليزية او الالمانية او الروسية او اليونانية احسن من كتابتهم لغتهم بدرجات وكل هؤلاء لم يستحق احدهم اسم العالم والأديب

وبهذه الطرق المختلفة في مناهج التربية يستحيل ان يتجمع ابناء الوطن على مقصد واحد لان كل واحد يتعلم النفرة من مخالفه في معتقده ، وخصوصاً في مدارس بعض الرهبانات التي تتهزأ بالاسلام والعرب ، وتحرف التاريخ الصحيح ولا تعلم منه الا ما ينطبق مع رغائبها ، ولا يفيد شيئاً في تكوين الوطنية والقومية ومن قوله في معرض كلامه عن الوراقه : « فلدمشق على فرنسا بل على المدنية بأسرها ، الفضل الاول في تعليم هذه الصناعة للغربيين ، وناهيك بأنها أعم صناعة نشرت العلم والافكار في العالم » .

هذه الحقائق هي التي يجب على شباب العرب وابناء الشام ان يعرفوها فيتدبروها ، قبل ان يعرفوا اسماء ملوك فرنسا وكرادلتها ورؤساء جمهورياتها ، وملوك الانكليز ورجال السياسة فيهم بل هي الحقائق التي ينبغي لهم ان يتدارسوها ويعملوا

بها ، حتى قبل ان يعرفوا مدد الخلفاء واسماء اولادهم ، وهل كان المعتمد مثلاً مثنياً
او مسبغاً او مسدساً

وبعد ، فنحن من وجه آخر نرى حقاً علينا ان نذكر الاستاذ المؤلف في
الامور الآتية :

اولاً — ان الاستاذ غلبه ما في نفسه من رغبة في تشجيع الناس على الاشتغال بالعلم
والادب فأدخل في هذين البابين أشخاصاً ليسوا من العلم والادب في شيء ، وقسم من
أدخلهم الى طوائف قسمته لا تنطبق على قاعدة ولا أساس . ولقد كانت مصيبة الادب
من ذلك اكبر مصيبة . اذ جاء بسلسلة من الاسماء سماهم كلهم أدباء ، وفي هؤلاء الذين
جعلهم أدباء ، من اذا حاول كتابة سطر في العربية لم يستطع ، وبعضهم لا يحسن ان
يقرأ عبارة واحدة قراءة صحيحة . ولا يرد على ذلك انه لم يخص من سمى بالادب
العربية . فسياق الكلام كله ، يدل على انه لم يرد غير الادب العربي ، وفيما سبق
مما استشهدنا به من قوله : « وكل هؤلاء لم يستحق احدهم امم العالم والادب . . . »
ما لا يترك للتردد في ذلك مجالاً . دع ان في من سماهم كثيرين من لا يعرفهم
ادب من آداب اللغات على اطلاقها .

ومع ان الأديب هو اللقب الذي كان يعز على من رامه ويطول . وهو الذي
عرفه الاستاذ في الصفحة الاولى من كتابه هذا « بانهم اصطلموا بعد الاسلام بمدة
طويلة على تسمية العالم بالشعر اديباً ، وعلوم العربية ادباً » هذا اللقب الكبير تركه
الاستاذ في كتابه من الألقاب المبتذلة التي يعافها الادباء بل أشباه الادباء . . .

ومن مثل هذا التساهل الذي لا يجعل تدوينه قوله : « وكانت من اهل بيت
صلاح الدين (يريد الايوبي) الشعراء المعلقون . اما ان كان في هذا البيت من قال
الشعر فنع . واما ان يكونوا شعراء ، ومفلقين ! فهذا ما يحتاج الى دليل . ومن تساهله
ايضاً في اعتماد بعض الرواية من غير معايرة قوله انه « قيل انه كان في دمشق وحدها
ثلاثون الف نول للنسج قبل الحرب » وهذا قول مبالغ فيه ، لا يقبله العقل بالنسبة لعدد
سكان المدينة ، ولما يحتاجه كل نول من الابدعي العاملة على ما بين عدده السيد الحفار
في مقاله عن التجارة .

ثانياً — كنت أحب له ان لا يستنكف عن الحكم سيفي حيث يجب ان يكون له رأي فصل يأخذ به قراء كتابه ، او يهتدون به . فهو يكتبني أحياناً ببسط الأقوال ولو متضاربة . فاذا قال مثلاً : ان الفاطميين أزهقوا السنة في كل قطر ، وعقب على ذلك بقول القلقشندي : ان الفاطميين كانوا على العكس يتألفون اهل السنة والجماعة . وقف بالقاري عند هذين القولين من غير تمحيص ولا ترجيح . وبقى القاري بعد سيفي سبع من امره . لا يعرف باي القولين يأخذ . ومثل هذا ما كنا أشرنا اليه في كلامنا السابق عن جزء من الاجزاء السابقة .

ثالثاً — عاب على الجامعة العربية السورية ، ضعف الملكة العربية في القائمين بها ، وغلبة التربية التركية عليهم . ورأى ان دواء هذا المرض بالاتيان من مصر ، وبلاد الغرب بعلماء إخصائين في الفروع التي لانحسبها من فروع العلم . وهذا الدواء لانستطيع ان نوافق الاستاذ عليه . ذلك ان العربي المصري يحول دوننا ودونه حوائل غالبية لا قبل لنا — لسوء الحظ بدفعها — والغربي ينقل لك لغة التدريس من العربية الى لغة غربية ، وقيمة هذه الجامعة ان العربية لغتها . ففنى أضاعت هذه اللغة ، فقد أضاعت قيمتها كلها . ومما قيل في هذه الجامعة من حق او من بطل ، فان لها على هذا القطر الشامي ، ولا سيما معهد الحقوق بدأ لانذكر . غير ان هذا كله لا يمنعنا من موافقة المؤلف على ما عاب فيه هذه الجامعة ، ولا سيما في ضعف الملكة العربية ، وقد رأينا كثيراً من الكتب ينقل نقلاً حرفياً ، لا يتفق مع حاجة الأمة ، ويضيع معه المعنى في كثير من الأحيان . حتى لقد وقع الينا بعض من هذه الكتب فرجعنا أبصارنا في عبارات ومباحث بل طلاس لا تحل لها رموز ، ولا يليق ان توضع أمثالها بين ايدي الطلاب . وأفضل ما نراه والحالة ما ذكرنا — ان تؤلف لكل فن لجنة من اهله ، ومن الواقفين على الأسلوب العربي الصحيح ، ومن رجال الصراحة والإخلاص ، ننظر فيما ينقل من الكتب ، فلا يدرس كتاب الا بعد ان تقره هذه اللجنة . وان لا يكون هوس كل استاذ في ان يضع كتاباً لنفسه ، بل عليه ان يعتمد اهل الامر الكتب التي وضعها غيره ، متى كانت وافية بالمراد ، او امكن ان يستدرك ما فيها من نقص او قصور .

رابعاً — جاءت الفاظ كان من حقها ان نفسر مثل : الخزان . والركاض .

والجهاز . وهي الأصناف الثلاثة التي قسم إليها التجار جعفر بن علي في كتابه (الاشارة الى محاسن التجارة) وهذه الالفاظ لا يصح لنا ان نجهلها في تفسيرها اجتهاداً أبواً في معناها الوضعي بل علينا ان نعرف معناها الاصطلاحي ، لعلنا نستطيع ان نستعملها اليوم لما استعملت له من قبل ، او لأصناف أخرى من تجار اليوم .

خامساً - حبذا لو ترك الكلام على معادن البلاد ومناجمها لمهندس من ذوي الاختصاص كما فعل بسائر المسائل الفنية .

تقف القلم عند هذا الحد . ونعود فنكرر التناء على همة الاستاذ ، فلقد خدم بكتابه هذا خدمة جلى ، من حق كل عربي ان بقدرها قدرها ، وان يزين بهذا للسفر المتعمق مكتبته ، ليرجع اليه ، ويعول عليه .

عضو المجمع العلمي العربي

عارف الله كرمي

المعتمد

« معجم في متن اللغة العربية تأليف الاستاذ جرجي شاهين عطية . وقد »

« طبع بمطبعة مكتبة صادر في بيروت سنة ١٩٢٧ م وعدد صفحاته ١٠١٨ »

الاستاذ جرجي عطية من كتاب العرب الحريصين على خدمة اللغة وآدابها . وقد حمه حرصه المذكور على وضع هذا المعجم النفيس - في متن اللغة متوخياً أقرب الطرق الى جمع ما يهيم الطلاب والمتأدبين . فاذا كانت صفحات المعجم الف صفحة . وكل صفحة ثلاثون كلمة . فيكون هذا المعجم قد احتوى على نحو ثلاثين الف كلمة من خيرة الكلام وأفصحها وأحقرها بالاستعمال والتداول بين الكتاب . وقد قال المؤلف في مقدمة الكتاب انه اعتمد من كتب اللغة في الاكثر على لسان العرب وتاج العروس وانه قد نبه الى الالفاظ المولدة والدخيلة . وما يدل منها على المخترعات والمصطلحات واهمل الحوشي والبذي . وزين كتابه بطائفة من الرسوم والصور تمثل معاني بعض الكلمات . وقد تصفحنا هذا المعجم فوجدناه مطابقاً للخطة التي رسمها له مؤلفه : فهو يذكر الكلمة ويذكر من معانيها ما كان اكثر شيوعاً او اكثر لزوماً . محافظاً في ذلك على ما قاله

أرباب المعاجم فتراد يذكر عبارتهم في شرح الكلمة من دون تعليق عليها ولا تغيير أو تبديل فيها . فمن ثم كان المؤلف في منجاة من اللوم والانتقاد من جهة تفسير الكلمات . وقد بقيت الجهة الثانية أعني اختياره للكلمات الجديدة بالاستعمال . وإهماله الكلمات غير الجديدة به . وهذا الأمر قد لا يسلم المؤلف من النقد فيه . على أن كل من ألف معجماً حديثاً في لغتنا وتوخى اختيار ما يحسن استعماله وإهمال ما لا يحسن لا بد أن يصبح عرضة للنقد في هذا الاختيار والإهمال . لأن المسألة إذ ذاك لم تعد مسألة نقل . وإنما هي مسألة ذوق والأذواق تختلف . فرب كلمة لغوية ينبذها المؤلف لأنها في رأيه حوشية أو سبحة أو أنها مما لا يحتاج إليه أبناء هذا العصر . وكلمة أخرى يختارها ويدونها في معجمه مستحليها معججاً بها . مع أن هنالك آخرين من الأدباء يرون عكس ما رآه : فهم يستحسنون ما استنقج . ويستنقجون ما استحسن . وهكذا معاجنا الحديثة تبقى معرضة لهذا الضرب من النقد مادام مؤلفوها قد قاموا بعملهم منفردين مستقلين . أما إذا قام بتصنيفها جماعة من علماء اللغة متآزرون متعاونون فإن النقد يخف واللوم يقل فيما أحسب .

ولنذكر أمثلة لما قد ينتقد على المؤلف من جهتي الاختيار والإهمال : ذكر من مادة (الوطم) ثلاث كلمات : (رَاطَمَه) و (ارنطم) و (رُطْطَمَة) . فاما الكلمتان الاوليان فربما لا اتمدان من الغريب بالنسبة الى عامة المتأدبين . فالارنطم في الوحل معهود في كلامهم وهم بالطبع يفهمون من (رَاطَمَه) انه أوقعه سيف الوحل (على سبيل الحقيقة) أو أوقعه في امر لا يخرج منه (على سبيل المجاز) بقيت كلمة (رُطْطَمَة) وهي وحدها التي اختارها المصنف من مادة (رطم) زيادة على (رَاطَمَه) و (ارنطم) وفسر (الرُطْطَمَة) بامر لا تعرف جهته . وقد يقول قائل ان هذه الكلمة (الرُطْطَمَة) فيها غرابية وكلمة (الورطة) تقوم مقامها . فما كان ينبغي للمؤلف ان يذكرها لاسيما ان الزمخشري في كتابه (أساس البلاغة) قد أهملها مع ان استعمالها في المعنى الذي فسرها به المؤلف مجاز والزمخشري انما ألف (أساسه) لاجل ذكر هذه الجازات . فلو لم تكن الكلمة مهجورة لما أهملها . وكان على المؤلف بعد ان ذكر (الرُطْطَمَة) ان يودعها تركيباً يساعد الطالب على تعقل طريقة استعمالها كما فعل شارح القاموس مذ مثل لها بقوله (يقال وقع في رُطْطَمَة

اي امر يتخبط فيه) فما ضرَّ مؤلف (المعتمد) لو نقل هذه العبارة التي قالها شارح القاموس إذ ان فيها نصوياً لمعنى (الرطمة) وبیاناً لطريقة استعمالها في الكلام . وهو ما يحتاج اليه الشادون اليوم . ثم يؤخذ على المؤلف انه اختار (الرطمة) من مادة (رطم) وأهمل ذكر ما كان أحق بالاختيار والانتخاب منها مثل (ارنطم) (الشبي) اذا ازدحم وتراكم . و (أرطم) فلان سكت . وامرأة (مرطومة) متممة بسوء . فاخياره (الرطمة) وحدها من دون ما ذكرنا موضع للنقد في رأي بعض الناس . اما نحن فنعذر المؤلف ونعتقد انه لو اختار غير (الرطمة) من تلك الكلمات لوجد من يورد عليه اليراد نفسه . ولا يمكنه ان يهمل كل كلمات الغريب لان الغرض إحياء الفصح منها . ولا ان يذكرها كلها لان الغرض الاختصار على ما يعم الطلاب الشادين .

وذكر المؤلف في مادة (صنف) الكلمات المألوفة الاستعمال منها . ثم ذكر من غير المؤلف قوله (تصنف) الشجر اذا نطرت للاقراق وقوله (الصنفة) من الثوب حاشيته . وكان المنظر من المؤلف ان يأتي بتركيب يوضح طريقة استعمال (الصنفة) كما فعل الزمخشري في أساس البلاغة مذكال (مسحه بصنفة ثوبه اي بحاشيته) وان لم يذكر هذا فليذكر الحديث الذي استشهد به التاج وهو قوله (ص) (اذا أوى احدكم الى فراشه فلينفذه بصنفة إزاره فانه لا يدري ما خلفه عليه) وهذه الشواهد من كلام البلغاء من خير الطرق في تعقل المعاني والتمرن على استعمال الكلمات كما قلنا آنفاً . ثم أراد المؤلف ان يختار كلمة غريبة من مادة (صنف) يهديها الى الطلاب فاختر كلمة (الأصنف) وقال هو الظلم المنقشر الساقين . مع ان الظلم نفسه وهو ذكر النعام قلما يهتم به أبناء هذه الديار إلا في مثل قولهم (فر فلان يعدو كالظلم) اما سافاه وانه قد يطرأ عليهما غيب او مرض فننقشran . وان الظلم إذذاك يوصف بكلمة (أصنف) فان هذا مما لا يهتم طلابنا . ولا أبناء الضاد في بلادنا . اللهم الا القيمين على بساين الحيوانات او الذين يسبحون في مجاهل افر يقيا حيث يوجد النعام بكثرة .

نرجع فنقول : ومن العجيب ان المؤلف اختار كلمة (الأصنف) التي لا لزوم لها وترك من تلك المادة كلمة (تصنفت شفة الرجل اذا تشققت او نقشرت) وما أكثر ما شاهد هذا التشقق والنقش في شفاء الناس ونسمع شكواهم منه الى الاطباء . اما

نقشر سيقان (الظلمان) (جمع ظليم) فاننا لا نراه في هذه الديار طول أعمارنا . فكيف
اهتم المؤلف بنقشر سيقان الظلمان وأهمل نقشر شفاه الانسان .

وقد رأينا المؤلف تساهل كثيراً في إيضاح معاني بعض الكلمات والكشف عن
مواقع استعمالها . من ذلك قوله في مادة (عرش) (وكل شيء باء بشيء فهو عراره له)
ولا يخفى ان اول ما يتبادر الى الذهن من معاني (باء) انما هو الرجوع . فاذا ذهب
الشرطي الى السوق ثم رجع بالمتهم فهل يقال انه عراره لذلك المتهم ؟؟ اذا سمع
الطالب عبارة المؤلف اضطر الى ان يراجع معاني كلمة (باء) في معجم (المعتمد) فيجد من
معانيها (باء دمه بدمه عدله وباء فلان بفلات قُتل به) ولكن هل يكفي هذا في
إيضاح كلمة (العرار) التي فسرهما المؤلف بما فسر ؟ نعم ان المؤلف نقل عبارة القاموس
والتاج . ولكن هما ان اقتصرنا على هذه العبارة هنا فانها ذكرنا في مواضع أخر تفسير المثل
وهو قولهم (باءت عرار بكحل) و (عرار) و (كحل) بقرتان انتطختا فماننا ففسرنا مثلاً
لكل متكافئين متماثلين . ثم توسعوا في كلمة (عرار) الى حد ان أطلقوها على المائل
المكافئ . فقول المؤلف (كل شيء باء بشيء فهو عراره) قد يعجز الطالب عن إدراك
معناه ما لم يراجع أمهات كتب اللغة فكان على المؤلف اما ان يهمل هذا التركيب
او يذكره مفسراً له بأوجز عبارة .

ومن الكلمات التي أهملها المؤلف ونجد أنفسنا في حاجة اليها لاسيما الخطباء منا واعضاء
مجالس النواب والمحامين — قول العرب (زور كلاماً في نفسه) اذاهياً وقدّره في نفسه
قبل أن يتكلم به ومنه قول عمر (ما زورت كلاماً لأقوله إلا سبقني به ابوبكر) أهمل
المؤلف هذا مع انه ذكر لفعل (زور) معاني ليست مما نحتاج اليه بقدر ما نحتاج الى
(زور) بالمعنى المذكور .

هذا ما رأينا ان نحدث به المؤلف وهناك امور ليست بذات بال مثل انه لم يذكر
من كنايات الكلمات واستعمالاتها الجازية الا القليل وكان يحسن الاستكثار منها لما فيها
من التوسعة وتوفير الثروة الكتابية بين ايدي شُداننا وطلاب مدارسنا .

ورأيناه ذكر الامام الحنفي والشافعي والمالكي وقال انهم أئمة فرق اسلامية لكنه

لم يذكر سني وفاتهم وكان المنظر ان يذكر ذلك او يدع ذكر الائمة للعالم (دوائر المعارف) لاسيما انه أهمل ذكر (احمد بن حنبل) وهو رابع الائمة المذكورين .
ومما يلاحظ على المؤلف ايضاً انه فسر (المعز) بقوله (هو خلاف الضأن) وهذا صحيح فان المعز هو الاهلي المعروف . ثم لما فسر (العنز) قال (هي الانثى من المعز) واقتصر على هذا فيفهم منه ان (العنز) هي انثى المعز الاهلي فقط مع ان (العنز) هي الانثى من المعز الاهلي ومن الظباء والأوعال الوحشية . ثم أراد المؤلف ان يرسم لنا صورة (العنز) فلم يرسم صورة المعزى الأهلية التي فسر المعز بها بل اتي بصورة ظبيبة او علة وحشية . فكلية (العنز) فسرت بمعنى وصورت بمعنى آخر .
وما ذكرناه من الملاحظات تأفه حقير . في جنب ما تضمنه الكتاب من العلم الغزير . فالشكر لمولاه النحرير .
المفرضي

السمايل

« تأليف الخوري بطرس البستاني . طبع في مطبعة مكتبة صادر »

« بيروت سنة ١٩٢٧ م في زهاء ٣٢٠ صفحة »

للمؤلف الموما اليه مقالات جمة في مختلف المواضيع كان ينشرها في المجلات والصحف السيارة . وكذلك له من القصائد الغر . ما يحياكي عقود الدر . وقد عمد اخيراً الى ذلك جميعه فاختار منه نحو ٥٨ مقالة و ١٥ قصيدة وادعها كتابه هذا الذي أسماه (السمايل) فهو كتاب أخلاق وادب واجتماع ووطنية صادقة وغيرة على اللغة العربية فائقة: من ذلك قوله على لسان هذه اللغة :

(يا بني العرب عززوني فنجوا)	(وأذيعوا في الارض ذكرى الحميدا)
(وانثروا في الملا مآثر قومي)	(وتحدوا بالمكرمات الجدودا)
(كانت العرب في الخيام ملوكا)	(أ تكونون في القصور عبيدا)
(كانت العرب ارحب الناس صدرا)	(ولدى الضيم أصلب الناس عودا)
(لا يرون الوفاء الا نعيما)	(ويرون الشقاق خطباً شديدا)

(انما الشرق في الجملة عبد فارفعوه بالعلم حتى يسودا)
 وقوله من مقال بعنوان (الخاسرة السرية او الخيانة الوطنية) : (وان في كل بلدة
 وتحت كل كوكب نخاسات ليست بأقل فظاعة من الخاسرة التي يستهجنونها . وهل
 يخامرناك ادنى مرية ان الذين يخونون وطنهم وأبناء وطنهم خفية او علانية جلبا لنفع او دفعا
 لضرر انما يتعاطون مهنة الخاسرة الوضيعة بل هم من اوعد الخاسين وانذلهم طبعاً واخسهم
 نفساً . وان الذين يدسون على أممتهم ويكيدونها ويمكرون بها ويغتالونها هم أخون لها وابلغ
 اذى من الذين يناصرونها العدواة ويصارحونها بها) الى ان قال : (وعمرنا الله كيف
 لا يكون في هذا الوطن نخاسون واكثر بنيه يبيعونه بأكلة عدس ولا ينفلون بشرفهم
 ان بدأس ولا يضيرهم ان يلوث فاذا تزعت ابصارهم الى منصب رفيع طالما علوا
 به النفس سعوا اليه عن طريق المداعنات والمراوغات والتزلفات والتزلات وعفروا
 أجبنهم العالية في التراب الذي تطوءه أقدام من يحققون لهم أملاً الخ) هاتان بذتان من
 نثر المؤلف ونظمه . ومنهما يستبين القاري حسن أسلوبه الكتابي وطرزه الشعري
 وغزارة مادته اللغوية . لكنه أحياناً يستعمل من كالم اللغة ما يكون غيره خيراً منه . من
 ذلك قوله في الجملة الاخيرة (عفروا أجبنهم العالية) يريد بالأجبنه جمع جبين (جبين)
 يجمع على أجبنه كما يجمع على (أجبن وجبن) ولكننا لانظن البلاء بسوغون استعماله
 وانما هم يعدلون عنه الى (جبايعهم) مكان (أجبنتهم) ويخبئون (الجبن) و (الأجبن)
 و (الأجبنه) الى ضرورة السجع او الوزن او القافية . اللهم الا ان يكون المؤلف اخذ هذا
 الجمع (الأجبنه) من قول لبعض البلاء لم نطلع عليه .

ومن ذلك قوله (ص ٣٢) (الجراح الثثنان) وصف الجرح بكونه ثخيناً غير متهود
 فان معنى الثخين الغليظ نعم يقولون مجازاً (أشن فلان في العدو) اذا بالغ في الجراحاتهم
 و (أشننه الجراحة) أوهنته . فاذا اضطررنا الى وصف الجرح بالثقل فلنقل (جرح
 ثخين) اي موهن موقد لا (جرح ثخين) اذ ان فعله الجزري أشننه لاثننه .

وقوله (تسقى كؤوس المرائر حتى الثمالة) لانعلم ان (المرائر) تكون بمعنى الاشياء
 المؤرّة . وقوله في (ص ٣٦) (ولا تسمع الآذان من الأحاديث سوى ما يشدخ مسمع
 الأدب) لعل الشدخ هنا محرف عن (خدش) اذ هم يقولون اليوم (خدش السمع)

ومثله قوله في (ص ٩١) (والخطباء المصقلين) صوابه (المصقّمين) فهو تحريف مطبوعي قطعاً ومثل المؤلف لا يخفى عليه ذلك . وقوله سيف (ص ١٣٧) (أول صخرة يرتطم بها) الارنظام انما يستعمل في الوحل اما الصخر فيستعمل فيه الاصطدام . وفي (ص ١٦٥) قوله (الى ان تموت وتنهض صروح آمالنا) لا فرق بين (تموت) و (انهض) لانهما كليهما من مادة (موت) لكن الاول من (اللفعل) والثاني من (الانفعال) فعطف احدهما على الآخر كعطف (انقشع) على (انقشع) في مثل قولنا (انقشع وانقشع غيوم احزاننا) و (نكسر ونكسر سيوف أعدائنا) .

هذا ما بدا لنا اثناء تصفح الكتاب اما ما بدا لنا من كلماته اللغوية المستعملة في مواضعها والواقعة في أحسن مواقعها — فهو كثير جداً لا يكاد يحصى . ونكرر القول بان الكتاب . من خيرة كتب الأُخلاق والآداب التي يحسن ان يقرأها الناشئون والطلاب . فنشكر لمؤلفه عنايته بابراره وندعو له ان يوفق الى امثاله .

له

مجموعة لغوية

أهدت الى مجمعنا العلمي (الشركة الخيرية لإحياء الكتب العربية) في حلب مجموعة انضمن ثلاثة كتب في اللغة طبعتها على نفقتها في المطبعة العلمية بحلب سنة ١٣٤٥ هـ (الكتاب الاول) كفاية المتخلف في اللغة تأليف الشيخ ابي اسحق ابراهيم الطرابلسي المعروف بالاجداني وهو على نسق كتاب فقه اللغة للثعالبي قال عنه صاحب كشف الظنون (هو مختصر فيما يحتاج اليه من غريب الكلام بدأ من صفات الرجال المحموده) وكان هذا الكتاب طبع في بيروت سنة ١٣٠٥ هـ الا ان نسخته فقدت من سنين . وقال السيوطي في (بغية الوعاة) في ترجمة المؤلف (له أدب وحفظ ولغة وتصانيف ومن مشهورها كفاية المتخلف) و (الأُنواء) . والكتاب في نحو (٧١) صفحة .

(الثاني) (مختصر كتاب الوجوه) في اللغة للإمام محمد الخوارزمي و (كتاب الوجوه) الاصيل للإمام اسحق الآسي جمعه من عدة كتب في اللغة وطريقته فيه انه يذكر

اللفظ الواحد ثم يسرد ما يستعمل فيه من المعاني والاشياء مرتباً ترتيباً حسناً يسهل معه الحفظ والاستظهار وهو في نحو (١١١) صفحة .

(الثالث) كتاب (المذكر والمؤنث) للامام الفراء أحد أئمة اللغة المشهورين وهو برواية ابي سعيد السيرافي . والمؤلف في هذا الكتاب يتتبع الكلمات التي لا يكون فيها علامة تأنيث ومع هذا فانها تعتبر مؤنثة في اللغة . وتارة يكون فيها علامة التأنيث وتعتبر من قبيل المذكر . وبين الوجه في ذلك وعلمه بأجل بيان وأحسن أسلوب وهو مع سابقه من الكتب اللغوية الممتعة التي لم تطبع على ما يظهر . وهو في نحو ٤٧ صفحة .

وقد عني بتصحيح هذه المجموعة المفيدة وضبط ألفاظها والتعليق عليها الأديب الشيخ مصطفى الزرقا أحد طلاب المدرسة الحسرية بحلب . وان آثار عنايته في الضبط وتحري الصواب ظاهرة جليلة بحيث لم يغب عنه الا القليل من التصحيح : من ذلك ما جاء في الصفحة الرابعة (كفاية المتقسط) من ان (الرود) هي المرأة الناعمة وقد ضبط (الرود) بفتح الراء وسكون الواو وهذا الضبط خطأ وتابعه على هذا الخطأ المصحح لكنه استشكل تفسير (الرود) بالمرأة الناعمة وقال انه لم يجدها في كتب اللغة ونما وجد ان (الرود) بمعنى المرأة الطوافة على جاريتها وبمعنى الريح اللينة المبوب ثم قال فاعل نفسه بالمرأة الناعمة مجاز تشبيهاً لها بالنسيم اللين المبوب اهـ . أنول والصواب في الكلمة هي (الرود) بضم الراء واصل واوما همزة فاصل (الرود) (الرود) ويقال (الرأد) والرأدة والرؤدة بآثبات الهمزة وتخفيفها وكل ذلك بمعنى المرأة الناعمة فمادة الكلمة من مهموز العين لامن الأجوف الواوي . وقد أعجبني من تعاليق الكتاب هذا الخبر الطريف في تفسير كلمة (الألوة) وهو عود الطيب الذي يتخبر به وهو :

« روي ابن ابي حنبل التمساني في كتابه (جوار الأختيار في دار القرار) الذي وضعه في تاريخ (عقبة بن عامر) الجنيني الصحابي من انه لما دفن رسول الله (ص) دخل الى المسجد أعمراني وافد عليه وهم ينفذون ايديهم من ترابه الشريف . فلما علم الاعرابي وفاته عليه السلام أنشأ يقول :

(هلا جعلتم رسول الله في سفط من الألوة أحوي ملبساً ذهباً)

(او في صحيح من المسك الذكي ولم ترضوا لجنب رسول الله متربا)
 فقال له ابو بكر رضي الله عنه « تلك سنة الله في خلقه يا اخا العرب واما انت
 فأرجو ان يغفر الله لك اه » اقول وقوله (ملبساً) كذا بالنصب ولعل صوابه (ملبس)
 بالجر صفة لسفط .
 له

الجزء الثالث

« من كتاب نهر الذهب »

في تاريخ حلب

قبلاً كتبت عن الجزء الاول والثاني من هذا التاريخ لاحد علماء حلب وأدبائها
 الشيخ كامل الغزي وذكر ان المؤلف لم يمتن في جعل عبارتهما تناسب شهرته سيف
 الأدب ، والآن صدر هذا الجزء ، بعبارة أحسن من سابقه ، وفيه إجمال عمن نولى
 حلب قبل الاسلام ثم حوادث من ملكها منذ الفتح الاسلامي والغزوات التي حدثت
 وما يتعلق بذلك مرتباً على السنين كمادة اكثر ، ورخي العرب ، وفيه كلام طويل عن
 احوال السلطان عبد الحميد الثاني وعن ابراهيم باشا الكردي وعن رواية الصابونجي في
 اسباب الزلازل وعن الحرب العامة واسبابها وسياسة الدول فيها وماحدث اثناءها من
 المظالم وسوء الادارة ، واجمال لتاريخ الترك واجمال لتاريخ فرنسا .

هذا الجزء أغزر مادة من سابقه وقد حوى من أخبار النصف الثاني للقرن
 الهجري الماضي ما لم يقع لمؤرخ نشره بهذا التفصيل وفيه امور زائدة لا تعد في تاريخ
 حلب مع ان فيه شدة اقتصار لبعض الحوادث القديمة التي كان الأجدر ان يؤتي فيها
 على بعض التفصيل الغني عن مراجعة المطولات . وصفوة القول ان هذا الجزء حافل
 بكثير مما يهيم مرید الاطلاع على اخبار حلب قديماً وحديثاً ، وقد وعد المؤلف بقرب
 إخراج الجزء الرابع وفقه الله تعالى .
 من اعضاء المجمع

مسعود الكواكبي

اسرار الحياة الزوجية
تأليف الدكتور ماري ستوب
وتعريب نقولا حداد

الحب والزواج
فلسفة وسنة
تأليف الكاتب نقولا حداد

كتابان يتم احدهما الآخر ، خطهما قلم واحد ، خبرته في الاول قريحة شرقية رشيدة ، فهمنا ولنا ، وأملت عليه سطوره في الثاني نفس غربية نجاء، اليناوعليانا .
يبحث المؤلف الفاضل في الاول في فلسفة الحب والزواج بحثاً حكيماً البسه الخيال حلة جميلة تسر الناظر ، ولا تغوي الوارد ، فصور الحب بصورته الحقيقية وحله حلاً مادياً وروحياً وأفصح عن غايته وعن صحته وامراضه ونشوته ونموه وذبوله سيفه دولته وفي مستعمراته ، فجاء وصفه هذا على غاية من الابداع . ثم تطرق الى الزواج فألم بموضعه الصعب الواسع المأماً يجد فيه طالبه نبراساً يهتدي به في حالك مسانكه وخابره مرآة تصور له فيه محاسنه ومساويه فتمسك بالاولى ويرتدع عن الثانية .

اما الكتاب الثاني فتجلى فيه ميول المرأة الانكليزية الجديدة الطامحة الى التحرر المطلق من قيود الرجل ، ومجاراته في جميع أعماله والغلب على أشرف غرائزه ، بتقبيدها بقيود ذهبية المظير جديدة الجوهر ، صاغت المؤلف سلاسلها (على ماتدعي) من الأفعال الحيوية الغريزية الكامنة في المرأة الانكليزية الصحيحة .

اما الدعامة التي أقامت عليها هذا البنيان الاستقرائي الضخم فهي ملاحظات ومعلومات شخصية سرية باح بها اليها رجال ونساء ومنها ما هو مقتطف من مطالعات واسعة . وهي الحق دعامة ضئيلة لا تقوى على حمل ذلك البنيان العظيم من الوجهة العلمية .

وقد أحدث هذا الكتاب ضجة في مهد بلاد الحرية بكفي التنويه بذكرها لبها
عدم ملائمة بعض مناهجه الروح الانكليزية المشبعة بفكرة الحرية دع عنك التريبة الشرقية القائمة على المبادي والثقاليد العائلية الموروثة القديمة .

وقد أحسن المعرب صنماً بتذهيل فصول هذا الكتاب ونقدها والاشارة لما هو

نافع وما هو قدار منها والاماع الى العوائد الفحيمة المألوفة في القطر المصري المتعلقة
 بالناسات والحسن على تركها مع بيان مشارها في الحياة الزوجية وسعادتها .
 هذا ولا يفتى هذا الكتاب حقه من الفائدة في ايجاد السعادة الزوجية التي
 يعد تدريب نسيضة الناسل وافتتاح افعالها من اكبر العوامل على الحصول عليها .
 ففي تضاعف سطورها ولا سيما في ذبوله دروس مفيدة جديدة بالاعتماد بتوقف على
 مصانها في الغالب رنقي حب ملوم وصفو حياة مكدرة .
 هذا والكتابان حسنا الطبع - مالا العبارة قر بها المأخذ على ما في بعض فصولها
 من المباحث الفنية .
 عضو الجمع العلمي العربي

اسعد الحكيم



هدية

أهدت اليها رواية قشيلية بأسم (قادة الكاميلا) واسلمها باللغة الافرنسية
 للكتاب المشهور اسكندر ديماس الصغير - وقد ترجمها الى العربية السيد نقولا
 بسترس لتكون مقدمة من مجلة مدينا الى مشتركها وهي مملحة بالمقدمة لخمسة البحث
 في موضوع الرواية المذكورة للكتاب المصري المشهور السيد عبد القادر المازني .



مجلد الحاشية العربية

(دمشق) : كانون الاول سنة ١٩٢٧ م الموافق جمادى الثانية سنة ١٣٤٦ هـ ٨٤

تتمة اليتيمة

ما من اديب يحفل منزلة الامام ابي منصور الثعالبي في عالم الأدب فقد خاض عبابه وجمع أشناته فحل من فؤاده بالصميم . وبلغ في عصره مقاماً ملحوظاً يحسد عليه . وكفى بكتابه (يتيمة الدهر في محادن اهل العصر) شاهداً عدلاً على ادبه الجمّ وفضله السابغ . فقد جمع هذا الكتاب المتمتع فوعى طائفة كبيرة من الادباء والشعراء المجودين في أواخر المئة الرابعة واولائل الخامسة للهجرة . وضم بين دفتيه كل لطيفة ونادرة من الشعر والأمثال والحكم وهو مطبوع مشهور يغني عن إطالة الكلام في محاسنه وفوائده العديدة .

وقد رُزقت تأليف الثعالبي حظاً كبيراً فنشأ قلما أقلام النساخ وتداولتها ابدي العلماء والفضلاء على تمانب الأجيال والأحقاب . وراح أدباء العصر ينشدونها في كل شارقة وبيثوننها من مدافنها في مكاتب الشرق والغرب فطُبع منها في دمشق يتيمة الدهر وفي ليدن لطائف المعارف وفي مرسيليا فقه اللغة وفي فينا مؤنس الوحيد في المحاضرات وفي مكة النهاية في التعريض والكناية وفي قسطنطينية الايجاز والاعجاز وبرد الاكباد في الأعداد^(١) وفي مصر أحسن ما سمعت . وتكرر طبع كتابه فقه اللغة في بيروت ومصر الى غير ذلك . وقد وافق الادباء ابن خلدكان على ان اليتيمة اكبر كتب الثعالبي وأحسنها وأجمعها^(٢) فقال فيها ابن قلافس الشاعر المشهور :

(١) طالع اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ص ٢٧٢ و ٣١٧ و ٣٣٤ . (٢) راجع

ترجمة الثعالبي في وفيات الاعيان جزء ١ ص ٢٩١ .

(أبيات اشعار اليتيمة ابيكار افكار قديمة)
(مانوا وعاشت بدمهم فلذلك سميت اليتيمة)

على ان ما يعتبر طبعتهما التي صدرت بدمشق من التهرب والتخفيف والخلل قد كدرت مشرعها وشوهت محاسنها فحمل ذلك العالم اللغوي عبد الله المراس الحلي المشهور ان يعنى بهذه (اليتيمة) فانسخها بخطه الجليل من مكتبة باريس وعارضها بنسخة مكتبة لندن وأشار الى ما عثر عليها من الروايات والزيادات ونبه على ما فرط في النسخين من الغلطات والنسخية مما استدركه بنفسه . وقابل نسخته هذه المتقنة على النسخة المطبوعة بدمشق متبعماً لها صفحةً صفحةً وسطراً سطراً ومعلقاً على هواشها كل ما عرض له من الفروق والمغازم والروايات وغيرها حتى جاءت كل واحدة من هاتين النسختين من أصح نسخ هذا الكتاب المتبع ناطقة بفضل المؤلف والمصحح المشار اليه على تراخي العصور .

ولما كنت بعد الهدنة أقرب مخطوطات المكتبة المارونية الطائفية بحلب عثرت على نسخة من (نقمة اليتيمة) فنقلت خبرها الى جناب الصديق الاساذ عيسى المعلوم في صيف سنة ١٩٢١ فأشار اليها في مجلة المجمع العلمي^(١) فعارضه المستشرق اغناطيوس كرتشكوفسكي وذكر منها نسخة في مكتبة فيينا وثانية في مكتبة برلين وثالثة في المتحف الاسيوي في لينينغراد (مجلد ٤ ص ٢٨٤) .

ونسخة حلب تقع في ١٣٨ صفحة وكل صفحة ثلثاً من ٣٥ سطراً وكل سطر من احدى عشرة كلمة على الغالب . وهي مخطوطة على ورق صفيق بجبرين اسود فأحمر وخطها مقروط سقيم لتعسر قراءته وبعض الالفاظ رسمها ناسخها رسماً دلالة على رداءة الاصل الذي نقل عنه . وهي لذلك كثيرة الزلل والخطأ ولا تخلو من فراغ في بعض المواطن كان يريد ان يملأه الناسخ من نسخة أخرى فلم يوفق اليها فبقى بهاضاً . واولها مخروم بنقصه ورقة ذهب معها معظم المقدمة . وهذه النسخة قد اكمل (يوسف البديعي) نساختها في آخر شهر ربيع الاول سنة ١٠٥١ هـ (سنة ١٦٤٢ م) وضمها

(١) اطلب مجلد ٢ حاشية صفحة ٢٤٢ .

الى المكتبة المارونية المشار اليها المطران الفاضل جبرائيل حوشب سنة ١٧٣٣ .
 وقد استدرك الثعالبى في نُتْمَتِهِ هذه من فاته من شعراء زمانه في اليتيمة او سها
 عنه او قصّر فيه (فسدّ فيها الثلم وجبر الكسر ونمّم القصص) وأورد ذكر (كلٍّ من
 الشعراء في مكانه على الرسم في مثله في كتاب اليتيمة) وقرّر عنوان الكتاب (نُتْمَةُ
 اليتيمة) ولم يحلها (من ملح النوادر وفصوص الفصول وبنائها على الانتجاب والاختصار
 والاقتصار على اللبّوب وعيون العيون) ناحياً فيها نحو ابى منصور النقيبة في قوله :
 (قالوا خذ العين من كلٍّ فقلت لم للعين فضلٌ ولكن ناظر العين)
 (حرفين من الف طومار مسوّدةٍ وربما لم تجد في الالف حرفين)
 وقد جرى مؤلفها الثعالبى فيها على سياق أبواب اليتيمة فقسمها الى خمسة أقسام
 وهي نُتْمَةُ القسم الاول في محاسن اهل الشام واليمن والجزيرة ومصر والمغرب والموصل
 وما يجاورها ويدانها وذكر فيها خمسة وخمسين شاعراً . ثم نُتْمَةُ القسم الثاني في محاسن
 أشعار اهل العراق ووصف فيها ثلاثة وعشرين شاعراً . ثم نُتْمَةُ القسم الثالث في
 محاسن اهل الري وسائر بلاد الجبل وما يجاورها وعرف فيها بخمسة وعشرين شاعراً .
 ثم نُتْمَةُ القسم الرابع في محاسن اهل خراسان وما يتصل بها وترجم فيها سبعين شاعراً .
 ثم خاتمة الكتاب وضمتها (ذكر أفوام مختار في الرتب متفاوتي التساريج) معرّفاً سبعة
 وثلاثين شاعراً . ثم خاتمة الخاتمة وقد ذكر فيها شاعراً واحداً وهو ابو عثمان اسماعيل
 ابن عبد الرحمن الصاوني . ويظهر من خلال هذه النُتْمَةِ ان مادعاه الى وضعها في
 الظاهر انما هو نكلة (يتيمة) واما في الباطن فقد حدها الى إعادة ذكر البعض
 من الشعراء ما حملته اليه من اللطاف والهدايا . وهو على كل حال صاحب الفضل
 الأظهر في هذه الملازمة فهي على حد قوله (كالريح السنفاد والريح أطيب وبالقلب
 أعلق) كما لا يخفى .
 وهاك الآن أمثلة من تراجم هذه النُتْمَةِ أروها بحروفها بياناً لنسقتها ومنبتها
 وفوائدها وهي هذه :

« ابو العلاء المعري »

قد جمعت بين اعل معرفة النعمان التي أخرجت هؤلاء الفضلاء وهي غير مشهورة

بخراسان . وكان حدثني ابو الحسن الدلاني ^(١) المصيصي الشاعر وهو ممن لقينته قديماً وحديثاً في مدة ثلاثين سنة قال : لقيت بعمرة النعمان عجباً من العجب رأيت اعمى شاعراً ظريفاً يلعب بالشطرنج والنرد ويدخل في كل فن من الجدل والمزل بكفى ابا العلاء وسعته بقول : انا أحمد الله تعالى على العمى كما يحمده غيره على البصر وقد صنع لي وأحسن بي اذ كنفاني رؤية الثقلاء البغضاء ^(٢) وحضرته يوماً وهو يجلي جراب كتاب ورد عليه من بعض الرؤساء .

(واني الكتاب فأرجب الشكرا فضمته وثمته عشرا)
(وفضضته وقرأته فاذا احلى كتاب في الوري بقرا)
(فمجاه دمي من تحدره شوقاً اليك فلم يدع سطره)
فتحفظها واستعانتها كثيراً في مكاتبات الاخوات .

« ابو الفتح الموازني الحلبي »

لم أسمع في هجاء قوال ألمح من قوله :

(ومغن عن غيره غير مغن جاء في لحنه القبيح بالحن)
(كاد في كفهِ القضيبي من الغي - ظ ينادي بأثقل الناس دعني)
وأنشدني المصيصي له وهو مشازع بينه وبين نقر من هل الشام والجزيرة جودته ^(٣) . . .
وأنشدني ابو يعلى البصري لبعضهم وقد نسيت اسمه :

(الشعر كالبحر في تلاطمه ما بين ملفوظه وسائغه)
(فنه كالسك في لطائمه ومنه كالمسك في مدابغه)

ولموازني في فصد بعض رؤسائه :

(على اليمين باكرت النصاد مشمراً بين جوادٍ للطاء مشمّره)
(مددت اباسعدي الى صدر مبضع بدأ تصدر الامل عنها مشمّره)
(وماخلت ان الجود يجري له دم فما كان اجرا ذا الطيب واجسره)

(١) وروي في مجلة المجمع (المدلاني) مجلد ٢ ص ٢٤٢ . (٢) راجع في مجلة

المجمع (٢ : ٢٤٢) ما علقه ابن العديم على هذه الرواية . (٣) نهض في الاصل .

(اظنُّ له مع لطفه بلافاقة بصيرة بقراطه وافتداه عنتره)

وله في مرثية القاضي الهاشمي بحلب :

(ناعي ابي جعفر القاضي دعوت الى م الردى فلم بدر ناع انت ام داعي)

(لنعي المظنين من مجده ومن شرفه بعد الرحبين من خلقه ومن باع)

(مهلاً فلم ينبق عيناً غير باكية ولا تركت فؤاداً غير مرتاع)

وله : (كم حمار هو اولى بنبيق وشهيق)

(يكسني في الشنوة الخ زوفي الصيف الديقي)

وعلى هذين البيتين فقد تذكرت بيتين على وزنهما ونافيتهما واشتجالهما على ذكر

الديقي^(١) ولا ادري لمن هما رهما :

(ضاع في الشوك ديقي حنين املت صديقي)

(بفعال كالنجاري وبقول كالديقي)

« ابو الغوث نحرير^(٢) المنجي »

ذكر المصبي انه اظرف الناس والمجهم شعراً . وكان يلد بشعر بلديته المجتري .

هذا وكان في بصره سوء فرمدت عينه مرة فقال له والي منج : يا ابا الغوث قد

اشرفت على العمى فما الذي تعمل اذا عميت . قال : افرأ على قبرك ايها الامير :

فاستظرف قوة جوابه وتعجب من ذلوفه . قال : ومن شعره قوله في غلام النحى :

(سيف سبيل الله خذ كان في الملس خزا)

(خانه الدهر فاضى بوسع اللاتم وخزا)

وله : (ايها الطيبي الذي اعرض عني وجفاني)

(وهو من اعظم همي حين اخلو بالاماني)

(ابتلاك الله مني بالذي منك ابتلاني)

(ساعة حتى ترى كيه فالهوى ثم كفاني)

(١) ثياب لتنسب الى ديقي وهي بلد بصر . (٢) كذا في الاصل ولهله جرير .

« عبد المنعم بن عبد المحسن الصوري »

من ملحه وطرفه في غلام ينظر في امرأة :

(جلا المرأة صيقلها لوجهي تولى الله خلقتة لحيني)

(فلو أبصرته يرنو اليها عرفت الفرق بين الصيقلين)

وقوله لنهبان الجعفري وهو غايه في الملاحه :

(زفت الى نهبان من عفو خاطري عروسا غدا بطن الكتاب لها خدرا)

(فقبلها عشرا وأظهر حبها فلما طلبت المهر طلقها عشرا)

وأنشدني المصيصي وأبو يعلى له :

(ارى الليالي اذا عاتبتهما جعلت تمن اذ جعلتني من ذوي الادب)

(وليس عند الليالي ان أقبح ما فغان بي اذ جعان الشعر مكتسي)

ومما يحسن ويستظرف له قوله :

(لي مولى إحسانه يتجدد كل يوم لدي والجد يشهد)

(أحسن الفعل لي وأحسن قولاً واشتهرنا فقبل جاد وجدد)

وقوله وهو من أمثاله السائرة :

(ارى الله يمطيني ودهري يأخذ وفي كل يوم سيف قتلي يشعد)

(وكيف سلوتي عن شبابي وفقده طريق الى سميت المنية ينفد)

« أبو شرحبيل الكندي »

قد أكثر الشعراء في الحث على الاضطراب في الاغتراب لالتباس الرزق وقضاء

الوطر في السفر ومن أشف ما قالوا فيه واشفاء قول هذا الاعرابي الشامي :

(سر في بلاد الله والتمس الغنى ودع الجلوس مع العيال مخيا)

(لا خير في حرّ يجالس حرّة ويبيع قرطها اذا ما اعدما)

« حسن الرقاق من اهل دوشق »

يقول في صديق له اجحف في مسألته وهو ضيف له :

(ودعوني فأكلت عندك لقمة وشربت شرب من استم خروفا)

(وسألني في اثر ذلك حاجة ذهبت بمالي تالدا وطرفنا)

(جُمِلْتُ أَنْفَكَرَ فَيْكَ بَاقِي لِبَاقِي مَا كُنْتُ تَفْعَلُ لَوْ أَكَلْتُ رَغِيْفًا)
 وَبِقَوْلٍ فِي تَغْيِيرِ صَدِيقٍ لَهُ أَكَلِ الْحَسَنِ عِنْدَهُ طَبَاهِجَةً ^(١) .

(مَا جِئْتُ ذَنْبًا إِلَيْهِ أَعْلَمُهُ وَلَا تَطَرَّقْتُ لِلْفَتَى نَشَابًا)
 (بَلْ أَكَلْتُ لَهُ طَبَاهِجَةً كَانَتْ إِلَى قَطْعِ وَدُنَا سَبَابًا)

وَكَانَ هَذَا (الْحَسَنُ) أَحَدَ ظُرَفَاءِ الْأَدْبَاءِ . انْشَدَ فِيهِ الْمَصِيعِي فِي اسْتِهْدَاءِ الشَّرَابِ .

(عِنْدِي أَنَاسٌ ظُرَافٌ بِهِمْ تَحْلِي الدَّهْوَرُ)
 (وَالْيَوْمَ يَوْمٌ مَطِيرٌ نَلْذُ فِيهِ الْخَمُورُ)
 (أَمْدُهُ بِدَسِيرٍ حَتَّى يَتِمَّ السَّرُورُ)
 (وَلَا أَشْبَهُ بِمَاءٍ فَالْمَاءُ عِنْدِي كَثِيرُ)

سَرَفَهُ مِنْ قَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ ^(٢) .

(فَاتَنَزَّ مَا اسْتَطَعَتْ بِغَيْرِ مَرْجٍ فَاِنْ الْمَاءُ لَيْسَ بِضَيْقٍ عِنْدِي)
 وَأَنَا اسْتَظَرُّ قَوْلَ غَيْرِهِ فِيمَنْ أَهْدَى إِلَيْهِ شَرَابًا مَمْزُوجًا :

(لَيْسَ هَذَا مِنْ عَادَةِ الْأَحْرَارِ يَبِيعُ مَاءَ الْإِنْهَارِ بِالْأَشْعَارِ)
 (أَمَّا فَلْتُ سَقْتِي مَاءَ كَرَمٍ لَمْ أَقُلْ سَقْتِي مِنَ الْإِنْهَارِ)
 (قَدْ رَدَدْنَاهُ فَاسْقُهُ مِنْ يَرِيدٍ مِ الْمَاءِ لَا مِنْ يَرِيدِ صَرْفِ الْعِقَارِ)
 (وَلَئِنْ كُنْتُ قَانِعًا مِنْكَ بِالْمَاءِ فَأَعْنِدِي فِي الدَّارِ نَهْرَ جَارِي)

انْتَهَى عَنْ (نُتْمَةِ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ) . حَلَبَ : الْخَوْرِيُّ مَرْمِسُ مَشْشِ



(١) الطَبَاهِجَةُ طَعَامٌ مِنْ بَيْضٍ وَبَصَلٍ وَلَحْمٍ مَشْرُوحٍ مَعْرُوبٍ طَبَاهَهُ بِالْفَارَسِيَّةِ .
 (٢) لَمْ أَرَهُ فِي دُبُونِهِ الْمَطْبُوعِ فِي بَيْرُوتِ .

قانون البلاغة

- ٨ -

واعلم ان اكثر ما يرد اللطيف من المعاني - في خمسة اجناس من الشعر وهي :
 مثل سائر ، وتشبيه نادر ، واستعارة واقعة ، ومبالغة ، وان يقصد الشاعر الى معنى
 مألوف فيزيد فيه زيادة تؤكد او تنمحه ، فيصير الى اللطافة والحسن . وهذا الجنس
 الخامس تكثر أنواعه جداً ، ويحتاج الى ادنى تأمل حتى يعرف اذا ورد ويرد
 جميعه الى هذا الأصل . فمن الأمثال قول امرئ القيس :
 (من ذكر سلى وابن سلى وخير ما رمت ما ينال)

وقول النابغة :

(حلفت فلم أترك لنفسك ربة وليس وراء الله للمرء مذهب)
 وأشرف من هذا اللفظاً ، وأبرع معنى ، ما شتم البيت على معنيين ومثليين كقول النابغة :
 (ولست مستبق احداً لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب)

فجاء بمثليين . وكقول عبيد بن الأبرص :

(الخير ابقى وان طال الزمان به « فهذا مثل قائم بنفسه ثم قال :
 » والشر أخبت ما أوعيت من زاد « فأتي بمثل ثان وكقول طرفة :
 (ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً وبأتيك بالآخسار من لم تزود)

فجاء بمثليين وقال الخطيب : « من بفعل الخير لا يعدم جوازيه »

فهذا مثل بأربع . وقوله : « لا يذهب العرف بين الله والناس » مثل سائر .
 ونحوه قول القطامي : « والناس من يلقى خيراً فائولون له = ما يشتهي » فهذا كلام
 كامل ثم قال : « ولأتم الخطي الهبل » فأتي بمثل آخر في بعض مصرع . ومما فيه
 ثلاثة أمثال قول بشار : « اليوم خمر » فهذا مثل « وبدؤ في غد خبر » مثل
 ثالث . « والدهر ما بين إناعام وإيَّاس » مثل ثالث .

وأما التشبيه فنحو قول امرئ القيس :

- (كأنت قلوب الطير رطباً ويا رباً لدى وكرها العناب والحشف^(١) البالي)
 وقول عنترة :
 (هزجاً يحبك ذراعه بذراعه قدح الكب على الزناد الأجدم)
 وقول طرفة :
 (يشق حباب الماء حيزومها به كما قسم الثرب المفايل باليد)
 وقول كعب بن زهير :
 (وليلة مشتاق كأنت نجومها تعرضن منها في طيالة خضر)
 وقول حميد بن ثور يصف فرخ الحمامة :
 (كأن على أشداه نور حنوة^(٢) إذا هو مد الجيد منها^(٣) ليطما)
 وقول عدي بن الرفاع :
 (يتعاوران من الغبار ملاءة سوداء محدثة هما نسجاها)
 (تطوى إذا علوا مكاناً ناشراً وإذا السنابك أسهلت نشرها)
 وقول آخر يصف عناقيد العناب :
 (يحملن أوعية المدام كأنما يحملنها باكارع النفران^(٤))
 وقول ادس بن حجر يصف الهلال :
 (كأنت ابن لياتها جانحاً فسيط^(٥) لدى الافق من خنصر)
 وقول ذي الرمة يصف الثريا :
 (وردت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء محلقى)
 وقول عبد الله بن الزبير الأسدي :
 (وقد خزم الغور الثريا كأنها به رابة بيضاء تحفقى للطعن)
 وأجد الناس يقدّمون قول الفرزدق :

(١) الردي من التمر . (٢) الحنوة نبت طيب الريح . (٣) لعل الصواب منه .
 (٤) النفران بكسر النون جمع النفر وهو طائر كالصفرور احمر المنقار وقيل هو البليل .
 (٥) الفسيط قلامة الظفر .

(والشيب ينهض في الشباب كأنه ليل يصبح بجانبه نهار)
وهذا من الكلام الذي سبق معناه لفظه ، ولهذا لا يرجح احد على تأمل الفاظه ونظمه ، فستبين عوارضه ، وترتيبه عندي غير مستقيم ، وتشبيهه مستحيل ، لانه وصف الشيب فذكر انه يبدو في الشباب ، ثم ترك ما ابتدأ به ، ووصف الشباب وشبهه بالليل ولم يجهي بالكلام على التقسيم المستوي ، ولم يضع التشبيه في ظاهر اللفظ موضعه ، وكان الذي نقضيه المقابلة الصحيحة ، وتوجيه على ما بنى عليه بيته لو ساعده الوزن ، ان يقول والشيب ينهض في الشباب كما ينهض نهار في جاني ليل ، لان النهار هو الذي يشبه السواد ، ولكنه لما لم يطرد له الوزن ترك ذكر ما ابتدأ به ، وعلق الكلام بالشباب ، واخرج التشبيه منكوساً .

واما الاستعارة والمبالغة فقد تقدم الكلام فيها وفي ايراد مثاليها .

واما المعنى الذي تلحقه زيادة تؤكد فحق قول امرئ القيس :

(اذاركبا الخيل واستلاموا تحرقت الارض واليوم قر)

فقلوه (واليوم قر) زيادة تم بها المعنى وكل ونحو قوله :

(وجيد كجيد الريم ليس بفاحش)

فقلوه (كجيد الريم) اراد طوله كما جرت عادات العرب في ان يشبهوا جيد المرأة اذا كان طويلاً بجيد الظبي ، فلما قال (ليس بفاحش) نفى عن جيدها ان يكون دقيقاً فيه انحاء لان فحش جيد الظبي انما هو لذلك ومثله قول طرفه :

(فسقى ديارك غير مفسدها)

لما ^(١) كل المعنى ولعيب عليه كما عيب على ذي الرمة قوله :

(الا فاسلي يا دارمي على البلى ولا زال منهالاً بجرعائك القطر)

فقل له اذا لم يزل القطر منهالاً عليها عفى آثارها ، ودرس معالمها ، وهذا العيب عندي غير لاحق به ، لانه تكلم على عادة الشعراء في سقيا ديار احبايهم ، وقد ابتدأ

(١) الارجح ان هذه الجملة جواب لجملة محذوفة سهواً ولعل التقدير (فلو لم يقل

غير مفسدها لما كل المعنى الخ .

بان دعا لها بالسلامة على البلي ، واذا سلمت على البلي سلمت على انهلال القطر . ومن سبيل الشاعر ان يجنب في شعره استعمال مذهب واحد من مذاهب الصناعة ، وان يجرى ان كان بذهب اليها الاخذ من أطراف ابوابها والاسهام^(١) لتصيدته في كل نوع من انواعها حتى لا يتخلص للتجنيس وحده ، ولا التطبيق وحده ، ولا لضرب من ضرور الصناعة ، منفرداً من دون غيره ، فانه اذا تجرأ ذلك عذبت الفاظه وأسمحت^(٢) ابياته . وتسببت حزون الشعر عليه ، وسالت احرار المعاني اليه ومعنى افردتها بنوع من انواعها نددت عن الأسماع فبجتها وثقلت على السن الرواة فلم تروها .

قد ذكرت من وجوه الصناعة وضرورها ما ذكرت واقول الآن : ان المختار من الشعر هو القريب البعيد ، الوحشي المستأنس ، الدمث الوعث ، البدوي الحضري ، الحبيب المتأبى ، الممنوع المتأبى ، على ان مذاهب العلماء في اختيار الشعر متباينة ، وآراءهم فيه متفاوتة ، واهواءهم مختلفة ، فمنهم من لا يميل الا الى ماسهل وانقاد ، وذل على اللسان ، ودل عند استماعه على المراد ، ومنهم من يميل الى ما انغلق معناه ، وخفي غرض قائله فيه ومغزاه ، وصعب استخراجاه وتعذر ، فلم ينقد الا بعد طول فكر ، ونظر ، وهم اصحاب المعاني . ويذهب قوم الى ان احسن الشعر ما كان مطابقاً للصدق وموافقاً للوصف ، وما كان بالحق اشبه ، والى الصواب اقرب ، و يروون :

(وان احسن بيت انت قائله بيت يقال اذا انشدته صدقا)

ويختار قوم ضد هذا المذهب ويذهبون الى ان الغلو في قول الشعر اصبوب ، وان الإيلاغ فيه اوجب ، والإفراط فيه احسن . حتى قال بعضهم : ان احسن الشعر اكذبه . وهذا مذهب اكثر المحدثين من عهد بشار ومن بعده .

وفصل القول ان الإغراق في وصف ما يوجد شيء منه مستحسن ، فلهذا قيل احسن الشعر الكذبة اما اذا لم يوجد منه شيء اصلاً كوصف الزنجي بقاء اللون وزهرته ومدح الرجل الأثمي بجودة الخط وسرعته فيه ، فلا يكون الا ذماً فكيف يحمد .

(الاسهام مصدر اسهم فلان كذا جعل له سهماً فيه . (٢) (اسمحت) اي لانت

بعد استصعاب .

وزهب أكثر شعراء المحدثين الى ان احسن الشعر ما كان أكثر صنعة . وان يتوخى من البلوغ في تجويد النهاية المطلوبة ، وقالوا لما كانت حدود الشعر اربعة : وهي اللفظ والمعنى والوزن والنقفة وجب ان يكسب احسن الالفاظ ، و بهز في احسن المعارض ، وان يتخير لها احسن المعاني ، وان يكون سهل العروض رشيق الوزن ، متخير القافية ، رائع الابتداء بديع الخروج ، وما تعدى هذا النعت وخلا منه سمي الشعر المرسل والوسط والسليم .

ويميل قوم من اهل اللغة والغريب الى الرصين من الشعر . والذي يجمع الغريب من المعاني . وهذا مذهب خلف الاحمر وابي عمرو والاصمعي . ومنهم من يذهب الى الوحشي من الشعر ، والى ما لم يتداول . ويقال ان المنصور امر بتدبيع هذا الفن منه فجمع له المفضل اختياره . ومنهم من يفضل الشعر بقائله ، فيختار أشعار الفرسان والسادات والاشراف ، ورؤساء الحروب ، ومن ذلك قول الصلتان العبدى :

(ويرفع من . شعر الفرزدق انه له باذخ لذوي الخبيسة رافع)
(جرير اشد الشاعرين شكيمه ولكن عليه الباذخات الفوارع)

وحدث علي بن العباس النوبختي قال رأيت الجعدي يوماً ومعني دفتر فقال : ماهذا قلت : شعر الشنفرى قال : والى ابن تمضي فقلت : الى ابي العباس ثعلب افراء عليه فقال : قد رأيت ابا عباسكم هذا منذ ايام عند ابن ثوابه ، فأرأيت نافذة الشعر ولا يميزاً الالفاظ ، ورأيت به استعجيد وينشد شيئاً وما هو بأفضل الشعر فقلت له : اما نقده وتميزه فهذه صناعة أخرى ، ولكنه اعرف الناس باعراب الشعر وغريبه فما كان ينشد قال قول الحارث بن وائلة :

(قومي هم قتلوا أمي اخي فاذا رميت بصيني سهمي)
(فلان عفوت لأ عفون جلالاً ولئن سطوت لأ وهن عظمي)

فقلت والله ما أنشد الا أحسن شعر في أحسن معنى ولفظ فقال : فأين الشعر الذي فيه عروق الذهب قلت : مثل ما ذا ؟ قال : مثل قول ابي ذؤاب بن ربهمة الاسدي :

(ان يقتلوك فقد همتك بهوهم ^(١) بعثية بن الحارث بن شهاب)
 (بأشدم كلباً على أعدائه وأعزهم فقداً على الأصحاب)

قال فاذا هو لا يجبه من الشعر الا ما وافق طبعه معناه ولفظه .

والشعر ايدكم الله علم من علوم العرب ، يشترك فيه الطبع والروية ، والدكاء
 والفطنة ، ثم تكون ادرية عادة وقوة لكل واحد من اسبابه ، ففى اجتمعت للشاعر
 هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان ، ولست
 أفضل في هذه القضية بين القديم والمحدث ، والجاهلي والمخضرم ، والاعرابي والمولد ،
 الا انى ارى حاجة المحدث الى الرواية اشد ، واجده الى كثرة الحفظ اوفر ، لان
 المطبوع الذكى لا يمكنه تبادل الفاظ العرب الاروائية ، ولا طريق الى الرواية الا السمع ،
 وملاك السمع الحفظ . ويجب للشاعر اذا اراد نظم قصيدة ان يخض المعنى الذي يريد
 بناء الشعر عليه في فكره ثراً ، ويعدله ما يكسوه من الألفاظ التي يجانسها ، والقوافي
 التي توافقها ، والوزن الذي يسلس القول عليه ، فاذا انفق له بيت يشاكل الغرض
 الذي رماه اثبته ، وشغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير ترتيب الشعر ، بل يعلق
 ما ينفق له نظمه ، وان لم يكن مناسباً لما قبله . واذا تكاملت له المعاني وكثرت
 الابهات ، تكون سلكاً لها ، ورباطاً لما تشئت منها . ثم يتأمل ما قد سح به طبعه ،
 ونتجته فكريته ، فيبالغ في انتقاده ، ويبدل اللفظ المستكره باللفظ السهل ، وان شغل
 قافية في معنى ما ، ثم انق له معنى يضاد الاول ، وكانت في المعنى الثاني اوقع منها
 في الاول ، عدل الى ما هو احسن ، وابطل البيت او نقض بعضه وطلب لمعناه
 قافية تشاكله ، واذا أسس شعره على الكلام البدوي الفصيح لم يخلط فيه الالفاظ
 الوحشية النافرة .

ولست آمره باجراء الشعر كله مجزئاً واحداً ، بل ارى ان يقسم الالفاظ على
 رتب المعاني فلا يكون غزله كافتخاره ، ولا مدح كوعيده ، ولا هجاء كاستبطائه ،
 ولا تعريضه كتمريضه ، بل يوفقى كلاً حقاً ، ويعطيه حظه ، فيتألف اذا نزل ،

(١) وفي نسخة ثلاث عروشهم .

ونفخ إذا افتخر . نعم ويجب ان يخاطب الملوك بما يستحقونه من جليل المخاطبات ، ويتوق حطها عن مراتبها ، لا يخلطها بالعامية ، ويصل كلامه على تصرفه في فنونه صلة لطيفة فيتخلص من الغزل الى المديح ، ومن المديح الى الشكوى ، ومن الشكوى الى الاستماعة ومن وصف الديار والآثار الى وصف الثياب والنوق ، ومن الرعود والبروق ، الى وصف الرياض والرواد ، ومن وصف الظلمان^(١) والاعيار ، الى وصف الخيل والأسلحة ، ومن وصف المفاز والثياب ، الى وصف الطرد^(٢) والصيد ، ومن وصف الليل والنجوم ، الى وصف المياه والموارد ، والآل والهواجر ، والحراي^(٣) والجنادب .

وللمعاني الفاظ تشاكلها فتحسن فيها ونفخ في غيرها فهي لها كالمعرض للجارية الحسناء التي يزداد الحسن^(٤) في بعض المعارض دون بعض ، فكم من معنى حسن قد شين بمعرضه الذي ابرز فيه ، وكم من معرض حسن قد ابتذل في معنى قبيح ألبسه ، والحنّة على شعراء زماننا اشدّ منها على من كان قبلهم ، لانهم قد سبقوا الى كل معنى بديع ، ولفظ فصيح ، وحيلة لطيفة ، وخلاصة ساحرة ، فان اتوا بما يقصر عن معاني من تقدم لم يلتق بالقبول وكان كالمطرح المملول .

وينبغي للشاعر في عصرنا ان لا يظهر شعره الا بعد ثقتنه بجودته ورشاقته وسلامته من العيوب التي نبه عليها ، ونهي عن استعمال نظائرها ، فليس يقتدى بالمسي ، وانما الاقتداء بالحسن .

وللشعر دواع تحت البطى وتبعث المتكف ، منها الطمع ، ومنها الشوق ، ومنها الطرب ، ومنها الغضب . وقال احمد بن يوسف لابي يعقوب الخزيمي : مدائحك لمحمد

-
- (١) الظلمان جمع ظليم وهو ذكر النعام والاعيار جمع عير وهو حمار الوحش .
 (٢) الطرد بفتح الراء مصدر طرد الصياد اي زاول الصيد يقال خرج بطرد حمّر الوحش اي بصيدها . (٣) الحراي جمع حرباء والجنادب جمع جنذب وهو ذكر الجراد . (٤) لعل الصواب حسنها والمعارض جمع معرض بالكسر وهو ثوب يتجلى فيه الجارية ليلة العرس او هو القميص الذي يعرض فيه العبد والجارية للبيع ومنه قولهم (الألفاظ معارض بض المعاني) .

ابن منصور أشعر من مرثييك وأجود . فقال : كنا يومئذ نعمل على الرجاء ، ونحن اليوم نعمل على الوفاء ، وبينهما بون بعيد .

ويقال انه لم يستدع شارد الشعر بمثل الماء الجاري ، والشرف العالي ، والمكان الحالي او الخالي . وقال عبد الملك لأرطاة بن سبية : هل نقول الآن شعراً فقال : ما أشرب ولا أطرب ، ولا أغضب ولا أرغب ، وانما يكون الشعر بواحدة من هذه . وقيل للشنفرى حين أسنّ أنشد : فقال : الانشاد على حين المسرة .

هذا والشعراء في الطبع مختلفون ، ففهم من يسهل عليه المديح ويسر عليه الهجاء ، ومنهم من يقيس عليه المرثي ، ويمتدح عليه الغزل . وكان الفرزدق زير نساء وكان مع ذلك لا يجيد النسيب ، وكان جرير عفيفاً وكان مع ذلك احسن الناس نسباً . وكان الفرزدق يقول : ما احوجه عفته الى صلابة شعري ، وما احوجني الى رقة شعره كما ترون .

والشعر كالبحر قد يفاض فيه على الدرر الثمينة النفيسة ، ويفاض فيه على الخرزات الخسيسة ، ولذلك قال بعض من قدمنا ذكره في شعر ذي الرمة انه نقط عروس ، وبغير ظباء ، ايداناً بانه لا يستمر بديعه ، ولا تطرد نكته ، ولو كان الشعر كله مستمراً النظام ، متساوي الاقسام ، لظهر الفضل ، وعرف العجز ، وسكت اهل النقص ، ولكن الفاضل ينظم الكلام الشريف ، ثم يقرون به ما يستحي من مثله ، فيقدر الناقص انه يجوز له ان يقول ، لانه يساويه في رديته ان قصير عنه في جوده . ثم يجيء نقاد السوء فيدسون المتوسط مع المبرز ، والسكيت مع المتوسط ، فنشبه الحال على من لم يكن ثرياً في بضاعته .

واعلم ان ملاك الامر ترك التكلف ، واطراح التعمل ، والاسترسال للطبع ، وتجنب الحمل عليه والعنف به واست اعني بهذا كل طبع ، بل المذهب الذي قد صقله الادب ، وشحذته الرواية ، وجلته الفطنة ، وألم الفصل بين الرديء والجيد ، وتصور امثلة الحسن والقبح ، والنقد والعيار غامضان وهما صناعة برأسها ، وهي غير العلم بغريب الشعر ولغاته ، ومعانيه واعرابه ، وقوافيه وأوزانه ، وهي ممنوعة الا على اهلها الذين صححت طباعهم ، وصفت قرائحهم ، وانقدت أذهانهم ، وأفنوا أعمارهم في خدمتها ،

وفرغوا أنفسهم لتحصيلاً ، فحصلت لهم الرواية والدرابة ، وراضوا الكلام ومارسوا قول الشعر ، وخدموا علمه ، ولزموا أهله ، ودفعوا إلى مضايقه وكشفوا عن حقائقه ^(١) ، ولاقوا فيه ^(٢) فرسانه وامراءه وميتلوا حروف الألفاظ ، وقابلوا صنوف المعاني .

ومذه الرحالة نقضي الاقناع ، ولا تحتمل الاشباع ، وانما نبذت إليك نبذاً ، وعرضت عليك لمعاً ، حتى لا تحكم من غير تثبيت ولا نقضي من غير تبين ، ولست اقول النبذ والمع تصغيراً لها ، بل تنبيهاً على قلة لفظها ، فاما المعنى المراد فاني اظن انها بلغت في صنعة الشعر ، اذا استكشفتها رائد هذا العلم وطالبه ، فوصل بمطالعها نظره ، واستخدم فيها فكره . وردت به على قلب سهل المشرع ، عذب المكرع ، وكانت له مادة يستمدحها . واما ما يجتذئ سبيله ، فان ايده الطبع ، ونصره الخاطر ، وأسعدته الهمة ، تقدم أضرابه بحول الله وقوته ، وفضله ورأفته . وهو حسبنا ونعم الوكيل . وصلواته على سيدنا محمد وآله اجمعين .

« انتهى قانون البلاغة »

وقد جاء في آخر الاصل ما نصه :

تم على أنامل أضعف عباد الله تعالى وأحوجهم الى النعيم عبد الله بن فضل الله ابن ابي نعيم . اطلع الله شأنه . في الأوائل من شوال سنة اربع وستمائة بمقام يوازغ .



(١) وفي هامش النسخة الاصلية زيادة قوله وانا اقول : وتسلقوا على شواقه .

(٢) وفي هامش الاصل ايضاً ما نصه : وانا اقول — لاقوا فيه معانيه الساحرة

لاقوا فيه الظاهرة ونظروا طائفة لا قائله واقتدوا بأساليب بيانهم ولم يقتدوا بقواليب عيانه حتى يكون فارس مضماره في اظهار مطلبه واضماره .

كتاب المنذر

- ٩ -

(لكن عينه أخفت كل مسعى) أضاءت أو أبطلت كل مسعى لان اخفق لازم و يجوز ان يقال : اخفق بها كل مسعى . (كانت الارباح تهب عليهم من كل جانب) الارباح او الارواح ولم يسمع ارباح في كلام البلغاء . (هبت عليه أعصار السياسة) هب عليه أعصار السياسة لانه مفرد مذكر وجمعه اعاصير « زواجر » . (بان لي ان السياسة الشرقية لاتزال على حالها) بين لي — يظن بعضهم ان بان بان ظهر ، و بان بين غاب في حين انه بالياء لكليها . (بعصاني قلبي) يعصيني قلبي — من باب ضرب . (لايتدانون الى هذه السفاسف) يتصوبون او يتسفلون . (يتحدث به الاغراب في مجالسهم) الغرباء — جمع غريب الا اذا كانت جمع غريب « بضمين » وهو الغريب ايضاً . (لا أريد قط ان اعود) لا أريد ان اعود ابداً اولن اعود — لان قط لاتستعمل الا في الماضي : ما رأيت قط او لم اره قط . (كانت السيف مشهراً فوق رأسه) مشهوراً . (يتعاهدون مع بعضهم) يعاهد بعضهم بعضاً او يتعاهدون يحذف مع بعضهم .

* * *

(الامرأة تخطي على مهل) المرأة تخطو — يحذف الهزة اما تخطي فعناه ركب وجاوز . (يتوجب عليه اداء الدين) يجب عليه او يتحتم عليه اداء او تأدية الدين — لان معنى توجب اكل مرة واحدة في النهار والليل . (يكرس وقته للعمل) يخصص — لان كرس غير عربية . (لا يزال مجدداً في سيره) لا يزال جاداً في سيره . (نهو القضايا ولغو الدعاوى) فصل القضايا وإلغاء الدعاوى . (اي متى يتم لنا ذلك) متى يتم — يحذف اي . (لنرى اذا كان ضرورياً) لنرى هل كان ضرورياً . (منعوا او باش الناس من الحضور) منعوا رعاة الناس او سفلتهم — او انه افصح . (وهو في العلم لا يوصف) يفوق الوصف . لان اللاشي لا يوصف ايضاً . (لانكران ان الامر كذا) لانكبر او لا انكار . ولم يرد النكران في مصادر هذا

الحرف . (عندما حظوت بلقائه دعيتته للغداء) حظيت بفتح الواو لانه واوي مثني .
والواو . (صادرت الحكومة خمس مسدسات) ضبطت الحكومة خمسة مسدسات .

(الحاكم وزوجته دعيا رجال الحكومة) دعوا بفتح الواو لانه واوي مثني .
(اما المال فيؤخذ من خلافهم) من غيرهم لان الخلاف مصدر خالف كالتخالف ولا يأتي
بمعنى غير وسوى . (هذه الصحف راضخة لأعظم ضريبة) مذعنة او خاضعة . لان
رضخ معناه كسر . (ولما أصرّبت على العمل) ولما أصررت على العمل . بفك الادغام .
(ما نحن في مقام ثناء لنصيحه درراً) لنصوغه درراً . (يتعهد بعدم عرقلة مساعيه)
يعاهده على عدم عرقلة مساعيه . (الحادث المنوه عنه) الحادث المنوه به . اذا قصد
تعظيمه والا فالحادث المذكور . (طالما رأينا به يفعل كذا) كثيراً ما رأينا به .
او هو افصح . (البرد القارس) البرد القارس — بالسين . (جرم الرشوى) جرم
الرشوة — بالتاء . (نال حظوى في عينيه) نال حظوة في عينيه . (يقم في المنزل
لوحده) وحده — يجذف اللام وهو منصوب دائماً على الحاليسة الا في مثل قولهم
« فلان يسبح وحده » فيضاف اليه .

(من من طلبت وعن من سالت) بفك الادغام رجوعاً الى الاصل وهو خطأ =
من وعن . (وقف مطرق الرأس) وقف مطرفاً — بجذف الرأس . (النقي به
صدفة) لقيه او التقاه مصادفة او صادفه وهو الاولى اما الصدفة فلم ترد في كلام البلغاء .
(بدت عليه مخائل الانفعال) بدت عليه مخايل التأثر — بالياء في مخايل لانها اصلية
وابدال التأثر بالتأثر بالانفعال . (استلفت الانظار) لفت الانظار — ولم يسمع وزن
استفعل من هذا الحرف . (سقامة الطبع والترتيب) سقم او سقام . (يشكو فيها
من سوء الحال) يشكو فيها سوء الحال . (عدد وفير من الناس) عدد وافر .
(منائر اللغة العربية) والاصح — مناوئ بالواو لانها اصلية . (ينبغي علينا ان نسير
ينبغي لنا او يجب علينا ان نسير « بدون ينبغي » . (الاكتراث بامور الدنيا) يقال

أكثر له لا به . (ارسله لعند أخيه) ارسله الى أخيه . (اثبتت عليه للحاكم)
شكته الى الحاكم .

(جاءت المرأة) الفصح في المرء والمرأة ان يكونا بالهمز عند التنكير وبدون
الهمز عند التعريف فنقول : امرأة وامرأة والمرء والمرأة . (نأفر الحروف مع بعضها)
نأفر الحروف بعضها والبعض الآخر . (ينظرون الى بعضهم بعضاً) ينظرون بعضهم
الى بعض . (يشون على بعضهم او على بعضهم بعضاً) يشون بعضهم على بعض .
(حفلة شيقة) الشيق وزن سيد المشتاق والصواب حفلة شائقة . (خطاب ممتع)
يعني مفيد متين في حين ان ممتع « بالتشديد » من متع اي طوّل . (انصرفوا
بكليتهم اليه) انصرفوا اليه — بجذف « بكليتهم » لان الانصراف فيه الاجماع .
(لا يمتاز عنه بشيء) لا يمتاز عليه بشيء — يقال : امتاز عنه « انفرده » وامتاز عليه —
فُضِّل . (كثرة الوفيات في البلد) بالتشديد والصواب الوفيات بالفتح والتخفيف
جمع وفاة . (مات بسبب مناوئته دواءً مسماً) مات لتناوله دواءً ساماً . (انامتأ كد
بانه عندك) انا موقن او متيقن انه او بانه عندك او هو أفصح . (كان مرضه
مخطراً) كان مرضه خطراً — بفتح فكسر .

(نشككت ميثمة المحكمة) أُلِف او عُقد مجلس القضاء . (جاء كل من المدعي
والمدعى عليه) جاء المدعي والمدعى عليه — بجذف « كل ومن » . (يؤجر بقيمة غالية)
قيمة الشيء قدره الحقيقي فلا تكون غالية او رخيصة والصواب : يؤجر ببذل غال .
(بموجب قرار المحكمة) بفتح الميم والصواب ضمها . (ثبت لديكم) — بضم الباء
والصواب فتحها . (تمت المزايدة الاخيرة) تم التزايد لاخير . (ان الاجار فاحش
جداً) ان الاجار او ان بدل الاجار فاحش جداً — لانه مصدر آجر « أفعّل » .
(اطلق سراحه) اطلقه او سرحه او خلى سبيله . (عريضة ممضية) عريضة ممضاة
— من أفضى . (هذه الامضاء ليست لي) هذا الامضاء ليس امضائي — لانه
مذكور . (تغريم كل من يتصيد عصفوراً بخمسين ليرة) تغريم من يتصيد عصفوراً

خمسین ليرة — بحذف كل والباء . (حكم ضدهً بكذا) حكم عليه بكذا . (الحكم الصادر بحقه) الحكم الصادر عليه . (صدر القرار بتوقيفه) بوقفه — من وقف الثلاثي . (ورقة الدعوتية) ورقة الدعوة . (ولما كان كذا وحيث كان كذا فقد حكم بكذا) لا يجوز استعمال « لما وحيث » في هذا المقام والصواب : وبما ان كذا — بباء السبب — او واذ ثبت ان كذا الخ وكل ذلك من تعابير القضاة والمحامين .

(نعلن لمواطنينا) نعلن بني الوطن او لبني الوطن — او نعلن لمواطنينا كذا — بحذف الالف — اسم فاعل من اوطن اي أقام بالوطن . اما واطن فمعناه اضمح وواطاً . (اهي بيضاء الصحيفة ام مبتذلة) أبيضاء الصحيفة هي ام مبتذلة — هذا اذا عني بيباض الصحيفة النقاوة والا فلا فرق بين بياضها « فراغها » والابتذال . (لكنني لم ازل محروماً من لقياه) لكنني لا ازال محروماً لقاءه — او ان اللقاء اولى لان في اللقيا معنى العثور على الشيء بعد ضياعه . (اغرقهم السيل العرم) اغرقهم سيل العرم — بالاضافة لان السيل هو جريان الماء لا المطر النازل من السماء والعرم « يفتح فكسر » الغيث الشديد . (استخدم الحمام الزاجل) استخدم حمام الزاجل — لانه مضاف اليه لانهت — يقال زجل الحمام ارسلها على بعد وهي حمام الزاجل والزجال اي حمام الرسل — يعود الطيران بالرسالة التي تعلق بعنقه الى حيث عود ان يطير فيذهب ثم يجي بالجواب .

(كتب خصيصاً لهذه المجلة) كتب خصوصاً او خاصة لهذه المجلة — لان وزن فاعيل لم يسمع فصيحاً من هذا الحرف — وابن الرقع لا بعد حجة بقوله :
(أصحابنا قصدوا الصبوح بسحرة واتى رسولهم اليه خصيصاً)
(قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه) فأتوا بطبخوا لي حبة وقميصاً)
وربما كانت من هفوات النسخ والاصل « خصوصاً » .
(فيما تبحث يا اخي ؟) فيما تبحث — بحذف الالف — لان الف ما الاستفهامية تسقط عند دخول حرف الجر عليها — ومثله : عمّ نسأل ولمّ نصحك والامّ « الي م »

تصبر وعلام « على م » تبكي . (لنا أسوة حسنة في كثير من النقاد) أسوة حسنة
بكثير من النقاد - بالباء لا بني - قال الشاعر :
(وان علاني من دوني فلا عجب لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل)
والاببدال جائز بالايجاز لا بالاسهاب عند الضرورة فيقال مثلاً في دققت فيه ،
دققت به و يقال في : اهدى اليه ، اهدى له - ولا يقال في : ذهبت به ، ذهبت
فيه ولا في : قال له ، قال اليه . والله اعلم . انتهى .
ابراهيم المنذر

آراء وافكار

كراسك الشارد

« والرحلة الأدهمية »

حضرة اخي الاستاذ المغربي أمتع الله الأدب بطول حياته :
قرأت ملاحظاتك على (الرحلة الأدهمية) بعد كلامك على (الكراس الشارد)
منها الذي عاد فالتأم مع إخوته والحمد لله . فأنا لي ملاحظات على ملاحظاتك بمنعني
ضيق الوقت عن الإطالة فيها . لكنني لا بد أن أمرُ عليها ولو بمقدار نغمة الطائر :
تعرضون على صاحب الرحلة في وصف فيض المياه في حلب وتكررون هذه
الملاحظة وتقولون ان الشهباء لم توصف بكثرة المياه .
والصحيح ان الماء الشروب في حلب لا يوصف بالكثرة اما المياه اللازمة لسقيا
الأشجار فان لم تكن كمياه دمشق فليست بقليلة . وبجانب حلب بساكن عظمى
ذهبت اليها مرة ووجدت جداول المياه متدفقة خلالها و « سمعتُ خرير الماء » كما
قال ابن حزمويه قاضي مصر في خبر ليس هنا موضعه .
تذكرون ان الدولة خضدت شوكة الحرافشة وتجهلوت ذلك في نحو سنة
(١١٥٠) هـ . ولا أظن ان الدولة قددرت علي خضد شوكة الاسراء بني الحرفوش

في ذلك العهد بل عهد الخلد يتأخر عن هذا التاريخ مائة سنة على الأقل .
قال مؤلف الرحلة في عبارة « وفاد لنا الدور » فحُثت انت نقول : لعلها « أوقد
لنا الدور » فانا أقول : لا ضرورة لهذا التوجيه بل يكون أراد ان المضيف جاء وبهده
مصباح فسار بين ايديهم . وانت ترى ان المؤلف مسترسل الى الاصطلاحات العامة .
لا هم له في مثانة التركيب ولا في احكام السجع بل كيفما طاحت راحت . ولعمري
لو لم يكن سيف الرحلة الأدهمية وكراسها الشارد من الجمل الركيكة والسجع البارد
الاقوله : [لما أردنا لبس الثياب . رأينا بقية فاحت منها روائح الطيب بلاراتياب]
فانظر الى الطيب الذي يحتمل الارتياب كأنه دليل غامض او برهان سوفسطائي .
ثم عند قوله « فوجدت بابه مقفولاً » لا نقول شيئاً ولا تستشهد بقول الشاعر :
(ولا اقول لباب الدار مغلوق) ولا تشير ^(١) الى انها لغة رديئة

ثم عند ذكر المؤلف لفظة (المفترجات) نقول : أراد بها مكان الفرجة . وهذا
لا ريب فيه . واكسك لا تكنفي بذلك حتي تضيف اليه قولك (اما المفترجات فلم
نسمعها بعد) بلي أيها الاستاذ ان لم تسمع بها انت فقد سمعنا بها نحن . ومن حفظ حجة
على من لم يحفظ . ففي بلادنا من جبل لبنان يقولون (المفترج) لبنت الخلا ^(٢) .

ثم يضبط المؤلف اسم احد أدباء صيدا (احمد البزرة) بالهاء والاصح انها بالياء .
وآل البزري في صيدا مشهورون امضاؤهم بالياء نسبة الى البزرة وانت لا تتعرض لهذا .
ثم انك كثيراً ما نتهكم بزوار القبور قبور الاولياء الصالحين ونقول انه منهي عنه في
السنة وتعرض في ذلك حتى على العلماء الجلة مثل سيدنا عبد الغني وأمثاله . فان كان

(١) التزمت الاختصار فتركت التعليق اللغوي لاسيما في اشرت عندما وصفت
(الكراس الشارد) الى ان المؤلف يتسامح في استعمال الكلمات العامة وما اكثرها في
كلامه فلو تتبعناها وعلقنا عليها لخرجنا عن موضوعنا الذي هو تلخيص رحلة .

المغربي

(٢) اذا قالوه بهذا المعنى لا يلزم منه ان يكونوا قالوه او استعملوه بمعنى (المنزلة)
وهذا الاستعمال الاخير هو محل النزاع . (المغربي)

مقصودك هو شد الرحال لتلك الزيارة فأنا^(١) معك في هذا لورود حديث مشهور فيه (لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا) . اما منع الزيارة بتاتا فهذا لم يكن اصلا بل أذن به الشارع (ص) للاعتاظ والاعتبار وأتذكر اني قرأت هذا في كلام الاستاذ صاحب المنار أفتكون سلفيا اكثر من صاحب المنار ؟ .

اما اعتراض المحقق الأخ السيد سليم الجندي عليك^(٢) في إدخال (الواو) على (بل) فلم أجد فيه ما يقال^(٣) . لكن اعتراضه في إدخالك (أل) على (غير) فقد قالوا فيه ان (غير) اسم وهي هنا متضمنة معنى (مغاير) فجاز إدخال (أل) عليها .

(١) لم اقصد الا الزيارة التي يكون فيها - شد رحال او يكون فيها استمداد نفع او ضرر من الميت فهذا ما أنكره . اما الزيارة لاجل الدعاء للميت او للاعتاظ والاعتبار فهي سنة وانكارها بدعة . (٢) اعتراضه علينا كان في تقريبه كتابنا (الأخلاق والواجبات) المنشور في (ص ٣٨١ مجلد ٧) من مجلة المجمع . (٣) كيف لم نجد فيه ما يقال أيها الأمير ! كأنك لا تجوز ان يقول لك فائل (اكرم زيدا) فنقول (بل وعمرا) فتكون (بل) حينئذ غير داخلة على (الواو) وانما هي داخلة على محذوف نقديره : بل اكرم زيدا وعمرا . ومن محاسن الصدف ان صديقنا الاب أنستاس انتقد ايضا دخول (بل) على (الواو) في الجزء الاخير من مجلته : فعاب قولهم (ليس فقط لم اكرم منافقين بل واغلبهم من مشاهير اللصوص) انتقد ليس فقط وهو حق ثم قال (وزادوا هذه الركعة سقما ان زادوا وراء (بل) حرف العطف فقالوا (بل واغلبهم) وكل هذا التركيب تنفر منه نفس العربي الحرا .

وليس هذا النفور صحيحا بالنسبة الى (بل والواو) فان المعنى هكذا (بل رأيتهم منافقين ورأيت اغلبهم من مشاهير اللصوص) فاختصر الكاتب وفي الاختصار بلاغ فقال (بل واغلبهم الخ) فالقاري يرى ان الاستاذ الجندي والايرشكيب ليسا وحدهما اللذين انتقدا دخول (بل على الواو) (بل و) العلامة الكرملي ايضا شاركهما في ذلك .

اغفر لي

وأما إنكار الاستاذ الجندي عليك جمع (مشهور) على (مشاهير) فقد جاء في كلام ابن خلدون فيما أنذكر وهو عن قرأ ودرى وسمع من اكابر الثقات فلعلمهم أجروها مجرى (مجانين) . وكان الاستاذ الشنقيطي الكبير يمنعها . ولكنه كان يمنع استعمالات كثيرة صارت من قلب اللغة فقد بلغني انه كان يمنع (مصلحة) . فهل يريد الاستاذ الجندي خفير اللغة النقية ان يمنع (المصلحة) ايضاً ؟ وهذا أصبح غير ممكن ولو اجتمعت جنود السموات والارض . لوزان : في ٣٠ تموز سنة ١٢٩٧

سكيب ارسلان
من اعضاء المجمع العلمي

نقدات

في تصفحي الجزء بن الثالث والرابع من مجلد السنة الحاضرة لمجلة المجمع العلمي الزاهرة ألفت الامير جعفر الحسني بنقل اسم المطهر بن طاهر المقدمي بصورة (الختار ابن طاهر المقدمي) ^(١) فلو عني في ضبط الاعلام وتصحيح المسودات العناية اللازمة لم يحدث مثل هذا التصحيف الذي قد نتج له سبباً غلط الترجمة او غلط الطبع . ولكن ماذا نقول في نقرض كتاب الموشع المرزباني الذي وشح ديباجته الاستاذ الرئيس ؟ فقد قال فيه ان المؤلف اخذ بالواسطة عن القاسم عبيد بن سلام الجمحي صاحب طبقات الشعراء (المطبوع في ليدن) ^(٢) .

في حين ان الذي ذكره المرزباني واكثر من ذكره هو محمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣٢ هـ ٨٤٦ م وكتابه طبقات الشعراء قد طبع في مصر سنة ١٣٣٨ هـ ١٩١٩ م وان لم يشر الطابع او المطبعة الى ذلك .

وقد كانت عرض صديقنا العلامة الجليل الاستاذ احمد تيور باشا في مقال مستفيض نشره في مجلة الهلال الفراء ^(٣) بذكر هذا الكتاب قبل طبعه بايام معدودات وعدة من نوادر المخطوطات .

(١) مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ٧ صفحة ١٤٧ . (٢) مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ٧ صفحة ١٤٠ . (٣) الهلال م ٢٨ ص ٣١٨ .

فهل هذه الطبقات أخرى للشعراء للقاسم عبيد بن سلام « الذي نظن انه قد
 تصحف عن ابي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٣ هـ ٨٣٧ م وفي ثبت كتيبه
 كتاب الشعراء) طبعت في ليدن او ان نفس كتاب محمد بن سلام الجمحي قد طبع
 مباشرةً وأعيد طبعه عن النسخة المصرية في ليدن وأُسب الى ابي عبيد .
 وعلى ذكر طبقات الشعراء نقول انه طبع في ليدن كتاب الشعر والشعراء وقيل طبقات
 الشعراء لابن محمد عبدالله بن مسلم^(١) بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ ٨٨٩ م .
 وفي خزانة كتب الآباء اليسوعيين في بيروت كتاب طبقات الشعراء لابن عبيدة
 معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢٠٩ هـ ٨٢٤ م وهو من النوادر ان لم يكن النسخة الوحيدة .
 وقد ذكره صاحب الفهرست باسم الشعر والشعراء .
 فهل لأر باب الوقوف ان يكشفوا لنا القناع عن هذا الالتباس خدمة للعلم
 والتحقيق .

عبد الله محمد

حيفا :



(١) في طبقات الادباء للأنباري مسلة وفي الفهرست لابن النديم وفيه وفيات
 الاعيان لابن خلكان مسلم .

مطبوعات حديثة

كتاب الدولة الاموية في الشام

« للسيد انيس زكريا النصولي طُبِعَ في مطبعة دار السلام ببغداد »

« عدد صفحانه ٣٥٦ »

بكاد لا يوجد مؤرخ عربي دونّ شيئاً من وقائع صدر الاسلام والفتوح الشامي الا اني ابحث مستفيض عن تاريخ الدولة الاموية التي أسسها معاوية على اثر تغلبه واستثنائه بالخلافة منذ توطأ مع عمرو بن العاص على مطالبة الامام علي (عم) بتسليم قتلة عثمان الخليفة الثالث الى ان كانت التحكيم المشؤوم وما تلاه من قتل علي ونازل الحسن ثم قتل الحسين فعبداً لله بن الزبير (رضهم) بحيث أصبحت المكتبة العربية طافحةً باخبار الأمويين والمروانيين جليلها وحقيبرها فلم اترك حاجة لمستزيد .

يبد ان الاسناد النصولي قد امتاز عن سواء بتحليل اسباب الشغناء ووصف شخصيات الزعماء والحكم على أخلاق كل من ناوأ معارضة وأعاقبه من آل البيت والصحب الكرام مع بيان وجوه النفاضل بين اولئك الأقطاب سائكاً في ذلك كله مسلك المتأخرين من الكتبة الذين لا يكتفون بسرد الوقائع بل بالتمحيص ولا استقراء بل يتبعونها بما اوحى لهم اجتهادهم من الأحكام على معيّنات ابطال الوقائع المبحوث عنها وما يفرصون به عن نياتهم ومقاصدهم في آرائهم وافعالهم ولولا ذلك لم يكن للكتاب ميزة خاصة بموضوعه بعد ان كُتِبَ فيه ما كتب قديماً وحديثاً .

لا شأن لي ولا للمجلة المجمع العلمي فيما بُثَّ هنالك من الآراء والمباحث التي اثارها بعض الحفاظ فانا أقتصر الآن على ما أراه جديراً بالنقد من أسلوب الانتشاء ونمط السبك مع الإلحاح الى ما عثرت عليه من الذهول اللغوي مليباً طلب مؤلفه الصريح الوارد في حاشية النسخة المهداة ومتوخياً افادة القراء فأقول :

جاء في مستهل الكتاب قوله — من أحق بتاريخ أمية من أبناء أمية ؟ ولم اعلم مراد المؤلف من هذه الجملة فان كان يريد — كما يتبادر الى الذهن — اننا نحن السوريين أبناء أمية فهو قول تنكره عليه وينكره معنا كل ذي إلمام بالتاريخ فان السوريين خليط

من عناصر وأجناس عديدة تغلبت فيها أكثرية عربية لا ترجع الى نسب خاص أو أسرة بعينها من آل يعرب بن قحطان . ثم جاء بعد ذلك قوله — من أحق بشاريح معاوية والوليد من أبناء معاوية والوليد ؟؟ وأردف الجملتين بثالثة وهي — فاقبلوا يا أبناء سورية الباسلة المتحدة المستقلة هذه الثمرة الصغيرة (انيس) — وفيه كلتا الجملتين من البعد عن الحقيقة والمخالفة للواقع ما لا يحتاج الى بيان .

وأغرب ما في الاسرار المؤلف ترك بقية الصفحة المعلق عليها تلك الفقرات الثلاث بإضاحاً استثنائياً للانتظار وايداناً بان في طياتها حكمة مستترة او مراً خطيراً حتم على القراء كشفه والاحاطة بهرأيه ولم أستطع ان افهم المراد من ذلك كله .

اما غلط الكتاب من حيث الجدل والسبك وطرز الانشاء فاليك انموذجات منه تدل عليه : جاء في وصف معاوية (ص ٣) « بمترف اعداؤه السياسيون بقوة شخصيته التي تسحر النفوس فتجذبها غير انهم يتألمون منه لانه جعل من الخلافة ملكاً ضخماً غمياً » وجاء في الصفحة الخامسة « ولعب كل من ابي الاعور السلمي وبسر بن اوطاة دوراً مهماً في فتح مصر » . وقال في الصفحة عينها « وبسر هذا رجل ذو شخصية غريبة الى ان يقول — وهو من أولئك البدو بين^(١) الذين لا تتخلل الرحمة قلوبهم » وجاء في الصفحة السادسة عند البحث عن معركة صفين « وهيئاً^(٢) الكتاب اي البروتوكول المبدئي لمؤتمر اذرح » . وقال في الصفحة عينها عن اليمينين انهم « اعظم جند اهل الشام وكانوا سيوف معاوية البتارة حين يحنه » . وقال المؤلف في محل آخر من تلك الصفحة ان الاتفاق مع القبائل العربية المتوطنة سورية منذ اجيال — دعامة كبيرة في سبيل دعوته^(٣) .

وقال في الصفحة السابعة عن اليمينين والقيسين « ان امتزاجهم مع سكان سورية رقت عقليتهم ونمّت افكارهم نوعاً » وهم « يرون في سورية وطناً ثانياً وقد كانوا ذوي ليونة وبران قابليين لكل تمجدد » . وقال عن اذرح (ص ١٩) « انها غنية

(١) يريد انه من البدو (خلاف الحضر) . (٢) الضمير هنا عائد الى ابي الاعور وحبیب بن مسلمة . (٣) الضمير هنا يعود الى معاوية .

بمياها في تلك البقاع الجرداء وورثة بطرا في اجتذابها القوافل حين مرورها الى شرقي الأردن» . وجاء في (ص ٢١) « ان علياً لم يدفع مندوبه لحضور المؤتمر ويخرج عليهم » . وفي (ص ٢٣) « ولو نسي له ^(١) ان يندع اباموسي لأثار الرأي العام عليه ولحوّل الافكار نحو علي سيما ^(٢) وقد شهد المعتزلة المحايدين والاربائة مندوب من العراق قرارات المؤتمر » . وفي (ص ٢٤) « والغلط القادح الذي ارتكبه الاشعري هو انه سوى بن علي امير المؤمنين ومعاوية حاكم الشام في المنزلة كما نص بذلك (برونوكول ^(٣) صفين) » . وفي (ص ٢٥) « الرجل ^(٤) الذي بدأ يرى فيه العالم الاسلامي الشخصية الكبيرة القادرة على توطيد السلا » . وفي (ص ٢٩) « عزم معاوية عزماً اكيداً طيلة ايامه على استئصال شأفة المعارضين للمركزية الاموية » وفي (ص ٣٦) « فاعتلى سليمان مرة منصة الخطابة وافتتح احدي جلساتهم » . وفي (ص ٤٢) « الاشتراك في التدبير على المركبة الاموية وبعبارة ثانية فقد خولته ^(٥) سلطة الحاكم المطلق او الديكتاتور في العراق » . وفي (ص ٤٦) « الجماعات التي ذرفت أعزّت دموعها » . وهو نمط لا يرضى عنه بلغاء العصر الذين يرون فرضاً واجباً الاحتفاظ بالخطط التي وضعها أمثال ابن المقفع والجاحظ وعمرو بن مسعدة والصاحب بن عباد وابن الاثير وابن خلدون وغيرهم من أئمة الانشاء وقهارة الكنيّة فانها امانة تسلمها الناطقون بالضاد من اولئك السلف ان تخلوا عنها أضاعوا لغتهم وروثق جمالها لاسيما ان هذا النسق المنفرد او البرازيلي يكاد يكون الى المالمطية أقرب ولست ادري كيف يجوز تأليف كتاب قيم باحث عن الدولة الاموية الصريحة العروبة بمثل هذه التراكيب الركيكة والفسج الواهن المحوك على منوال ليس بافرنجي صريح ولا عبري فصيح .

ولقد ورد في الكتاب الفاظ لم يستعملها احد من جهابذة الانشاء مع عدم الاضرار اليها في المواضع التي دجبت فيها لاسيما والبحث قائم عن دولة عربية مجتة قامت في صدر الاسلام

- (١) الضمير هنا يعود الى عمرو بن العاص . (٢) صوابها (لا سيما) كما لا يخفى .
 (٣) يريد عهدة صفين او وثيقة صفين . (٤) يريد بالرجل هنا معاوية . (٥) الضمير يعود الى عبد الله بن زياد .

اي في عهد تطال العرب الى استعمار الغرب حيثما لم تكن تلك الالفاظ معروفة حتي في الغرب
 كالدكتور (١) والبروتوكول (٢) مثلاً وقد تكررت هذه في جملة مواضع من الكتاب .
 ثم ورد (رضخت) بمعنى انقادت (ص ٢٩) والتبرم من الخضوع بدلاً من النص
 او التماس كما يقتضيه المقام (ص ٣٤) ونص التصريح بدلاً من التضييع صريحاً او ظهر
 من النص (٣٥) الى غير ذلك مما هو مستفيض في الكتاب . كان هنالك أغلاطاً مطبعية
 جمة أصحح أكثرها في جدول خاص وبقي منها شيء لا يغرب صوابه عن المتأملين .
 وفي الصفحة (٢٠) رواية عن ذي الرمة بيتان في مدح بلال بن أبي بردة وردا هكذا :
 (ابوك تلافى^(٣) الدين والدنيا^(٤) بعدما نادا^(٥)وا وبات الدين منقطع الكسر)
 (فشد^(٦) اصار الدين ايام اذرح ورد^(٧) حروباً قد لقم^(٨) الى عقر)
 وفي البيتين اختلال ظاهر .
 ثم ورود رواية عن كعب بن جعيل في مدح ابي موسى الاشعري :
 (كان ابا موسى عشية اذرح يضيف بلقان الحكيم و يواربه)
 وفي العجز اختلال عروضي يزول بمحذف العطف من (و يواربه) ولعله الصحيح
 واثبات الواو سهو مطبعي .

والذي تجلي لي من تضاعف الكتاب ان الكاتب ذكي الفؤاد نزوع الى الحرية
 واستقلال الفكر مشرب^(٩) بحب العلم شديد العناية بقوميته واحياء ما تركه لها السلف من
 مجد أثيل وتراث نبيل . وعندى انه لو تريت في معالجة التأليف الى ان تستحكم فيه ملكة
 الانشاء العربي كما يجب ان تكون وتزداد خبرته نضجاً واختياراً ومادة عمله فيضاً ونقاءً
 لاستطاع ان يدخل البيوت من ابوابها ويملا^(١٠) من محيطه فراغاً يعود عليه بالمجد التالذ والذكر
 الخالد . ولعله فاعل^(١١) بعد اليوم ان شاء الله .
 عضو المجمع العلمي العربي

سليم غنموري

(١) يريد به عبيد الله بن زياد عامل البصرة والكوفة . (٢) قد اطلقها المؤلف على
 معاهدة صفين بين الخلفيتين علي ومعاوية انظر الصفحة (٤٢) . (٣) صحتها (تلافى) .
 (٤) ربما كان الاصل (الامن) لا (الدنيا) ليستقيم الوزن .

مختارات ابن الشجري

« للشريف ابني السعادات هبة الله الشجري من علماء المائة الخامسة بعد الهجرة »

« ضبطها وشرحها الشيخ محمود حسن زناقي الطبعة الاولى في مطبعة الاتحاد »

« بمصر سنة ١٣٤٤ - ١٩٢٦ ص ٤٠ »

طبعت هذه المختارات سنة ١٣٠٦ بمصر طبعاً تجارياً وها قد طبعها الاستاذ زناقي طبعةً علمية معلقة عليها الحواشي النافعة شارحاً للغامض من الفاظها معتمداً في طبعته على نسخة مخطوطة في دارالكتب المصرية وقد طبعها طبعاً مشرقاً أصبح بعد الآن اعتماد الادباء عليه . وهذه المختارات حوت كثيراً من أجود قصائد العرب العرباء مثل قصائد لقيط بن يعمر الياضي وقعن بن ام صاحب وأعشى باهلة والطائي وبشامة بن عمرو والنمر بن توبل العكلى والشنفرى والغنوي والمتلمس وطرفة وزهير وبشر بن ابي خازم وعبيد بن الابرص . والآداب العربية تشكر الاستاذ الناشر على تحقيقه وتدقيقه وحبذا لو صحت همة علماء الادب اليوم فهدبوا من الطبعات التي طبعت بها الامهات وقوموا ميلها واعوجاجها .

م . ك



اعلام النبلاء

« بتاريخ حلب الشهباء »

تأليف الشيخ راغب الطباخ طبع في المطبعة العلمية بحلب سنة ١٣٤٥ - ١٩٢٦

(ص ٧١١) الجزء السابع

هذا هو الاخير من تاريخ الشهباء وفيه ٢٦٢ ترجمة ومجموع التراجم في الاجزاء الاربعة الاخيرة ١٣٩٨ ترجمة ومجموع صحائف الاجزاء السبعة ٤٠٣٥ صفحة كما قال المؤلف . وقد استند فيه على ١٦٥ مخطوطاً و ٥١٠ كتب مطبوعة . وطريقة المؤلف في التراجم أشبه بطريقة المرادي في سلك الدرر والبيطار في حلية البشر فكأنه اتم تلك السلسلة وتبع ذلك الأسلوب . وأسلوبها النقل والرواية بقبائل من التمهيص . وفي هذا الجزء ثمة أعيان القرن الثاني عشر الى نحو منتصف القرن الرابع عشر اي

(سنة ١٣٤٥) . وفيه تراجم كثير من الحلبيين يشكر المؤلف على ضم شتاتها . وقد أجاد في ترجمة من عرفهم أو ترجموا له ولو وفق الى ترجمة جمهورهم كما وفق في ترجمة المفتي العيسوي (ص ٦٣٧) لجاء الكتاب ممتعا كل الامتاع واحسن في ترجمته الأعلام المتأخرين . مثل ترجمة الشيخ بكري الزيري والشيخ احمد الزوبيني والشيخ بشير الغزي والشيخ محمد الزرقا وأمثالهم . وأجاد في تراجم بعض الموسيقيين المتأخرين وأطال في ترجمة من كان يكنى في ترجمتهم بأسطر معددة مثل محمود كامل باشا العيناي فانه خصه باربعة وثلاثين صفحة واستطرد الى صفحات من حوادث الحروب البمانية والبلغانية والحرب العالمية الكبرى فخرج عن موضوعه ولا بأول ذلك الا ارادة امتداح هذا الرجل التركي قلبا وقالباً وان ولد في حلب . ولونحن انصفناه على تهذيبه لانذكره الا انه خدم الغرض التركي للقضاء على كل ما هو عربي . ووددنا لو عربي هذا الكتاب من امتداح المؤلف من أفراد أسرته فقد أطال في الترجمة لم ، ومشاهير في الحلبيين عشرات كان ينبغي ان يضافوا الى آل بيته التجار او يعرى الكتاب من أمثال هذه التراجم . وهناك تفاصيل وتطويلات وعواطف لا نفع المطالع بحال بل تورثه مللاً ، وتزيد حجم الكتاب طولاً ، فان من يعرف أحكام البيع والشراء ، لا يبعد في العلماء ، ومن ينصرف الى مطالعة كتب القوم ، ان صح انصرفه اليها ، و يقضي حياته في المنامات والخيالات ، وذكر الكرامات والشطحات يجدر باهل هذا المجتمع ان يسكتوا عنه ، لا ان ينوهوا به ويعجبوا بعمله ويتناقلوا خرافاته وترهاته . عصرنا هذا غير القرون الحادي عشر والثاني عشر ، وعقلنا اذا فصرناه على ثقيل مثال عقلية تلك القرون ، وهي عند العقلاء من اهل لا تستحب ولا تحمد ، نكون قد ضيقنا محيطنا بهدنا ، وسجلنا الخطا طناً بانفسنا . والموضوع الذي كتب منشراً فيه الغث والسمين في اربعة آلاف صفحة ، يجب انصار التحقيق ان يكتب في خمسمائة صفحة منقحة وما كل شعر بروي ، ولا كل مجذوب معنوه او تاجر بسيط يترجم له . وكان الأليق ان يقضى عن بعض المترجمين صيانة للتأليف من العبث . والاوى في نظري ان يترجم لمن أثروا في المحيط الحلبي أثراً عظيماً مثل ابي الهدي الصيادي وهو معدود في الحلبيين بحسب مصطلح المؤلف بصور الاجيال المقبلة على حقيقته فانه ممن يترجمون ، والتاريخ يهجمه مثل هذا الرجل

أكثر من اهتمامه بالطبعة التي ترجم لها وما كانت في العبر ولا في الفير . هذا ما أراه
ولعلي لست على حق كبير فيما قلت ، وعسى أن يحل الرصيف الأديب نقداً في هذه في
هذا الجزء ، وما سلف من الأجزاء محلها من النظر ، وأن يعود إلى أنتقيج ما كتب في الطبعة
الثانية مكتفياً بالباب فقط ، فإني في مصنفه من المواد التاريخية المحلية التي جمعها
ما يُغضب بحفظه وإشكره التساريح على ندرته . والأدب في الجملة يثني على همته
الشماء في تلقط تاريخ الشهباء .

محمد كرد علي

الوسيط

« في الأدب العربي وتاريخه »

تأليف الاستاذين الشيخ أحمد الاسكندري والشيخ مصطفى عناني . الطبعة

الخامسة (١٣٤٣ هـ ١٩٢٥ م) مطبعة المعارف بمصر (ص ٣٩٥)

نكر بر طبع هذا الكتاب خمس مرات في بضع سنين أكبر دليل على نقاسته وشدة
حاجة الطلاب اليه ومؤلفاه من أئمة الأدب وخدمة المعارف في مصر واجتماعها على
تأليف هذا الكتاب دليل على روح جديد سري في مصر خصوصاً في التأليف فكثيراً
ما رأينا مؤخراً اثنين يجتمعان على وضع مصنف يكون احدهما مثبّعاً بالثقافة الفرنسية
والآخر بالانكليزية او الالمانية ولذلك أخذت التأليف والمترجمات تجود كثيراً في
وادي النيل .

والكتاب هذا عمل بموجب خطة رسمتها وزارة المعارف المصرية تكفل فيه المؤلفان
على أطوار الأدب واللغة منذ عرف تاريخهما الى عصرنا الحاضر بأسلوب رشيق ينم
عن تعاطيها تدريج هذا الفن زمناً حتى تمثل ما كتبه وهضاه وكل صفحة منه آية
في البلاغة وجمال الأسلوب وقد حكماً على كل عصر من عصور اللغة حكماً تنشر به النفوس
وتسبغها ، وحلبا الكتاب بالهوامش التي تفسر الغامض وتوضح المبهم العويص بحيث
لا يحتاج قارئه الى الرجوع الى شيء من كتب الأدب والتاريخ لحل ما ربما يعثر عليه
من الشعر والنثر وزاده رونقاً بصورات البلاد العربية ونموجات من الخطوط القديمة .

و قد وقع في هذا السفر الجليل بضع هنوات يرجى من فضلها اصلاحها في الطبقات
 القادمة . منها (ص ١٣٣) ان عبد الحميد بن يحيى الكاتب كان احد النقلة من اليونانية
 والمشهور ان ختنه كان يعرف اليونانية اما هو فلم نر في شيء مما اطلعنا عليه من كتب
 التاريخ والتراجم انه كان ينقل من اليونانية . ومنها (ص ١٩١) ان قرية الحميعة من
 اعمال عمان والحقيقة من اعمال معان وبين عمان ومعان مائتان وسبعة عشر كيلومتراً
 والحميعة من ارض الشراة على مقربة من وادي موسى . ومنها (ص ٢٢٠) قول المؤلفين
 ويعتبرون ان سنة ١٤٣ هي مبدأ النهضة العلمية العربية وقالوا في الحاشية : « وهي السنة
 التي حج فيها المنصور والنقي في المدينة بمالك بن انس وامره بتأليف كتاب الموطأ في
 الفقه والحديث وعند رجوعه الى الامصار ادعى بنفسه وبولائه الى العلماء بتدوين الكتب
 في كل فن » . وهذا الكلام لا يصح على اطلاقه لان التدوين حدث في الملة منذ القرن
 الاول والاوى ان يقال ان المنصور كان مجدد النهضة او معاوناً على تقويتها فان عبيد بن
 شربة ألف أخبار العرب وحمير في ايام معاوية بن ابي سفيان . و خالد بن يزيد وعمر بن
 عبد العزيز امرأ بنقل العلوم في دمشق على ما هو معروف . ومنها (ص ٢٧٨) قولها ان
 ابا العلاء المعري انتفع كثيراً من دار كتب آل عمار امرأ طرابلس الشام والصحيح ان
 ابا العلاء زار في أواخر القرن الرابع خزانة في طرابلس كانت فيها كتب موقوفة وخزانة
 بني عمار أنشئت حوالى منتصف القرن الخامس . ومنها (ص ٣٢٢) ان الاوربيين طبعوا
 في أواسط القرن الخامس عشر بالمطابع العربية التي اخترعوها لطبع الكتب العربية الجليلة في
 ايطاليا وفرنسا والصحيح ان علماء المشرقيات طبعوا أولاً في ايطاليا ثم في هولاندة والمانيا
 أوائل القرن السابع عشر ولم يعرف ان فرنسا طبعت في القرن الخامس عشر كتباً عربية
 بل عمدت الى ذلك في القرن الثامن عشر . ومنها ما هو غلط اجتهد (ص ٣٢٤) ان من
 أشهر جرائد السور بين التي كان لها جزيل الفضل على نشر العربية وتحبيب القارئ في
 القراءة جريدة الفلاح لصاحبها سليم حموي فان هذه لا تعد شيئاً في جانب الصحف التي
 كانت تصدر في مصر بالعربية مثل « مصباح الشرق » التي كانت صحيفة أدب رائع
 ويعرف ذلك من معارضة اعدادها باعداد الفلاح التي كان يكتبها بعض مجاوري الازهر
 فيما نظن وفيها من تطويل العبارة والبعد عن مناجي البلاء ما تشتمز منه نقوس الادباء لاول

نظر . ومنها اقتصارها على ذكر بعض من نشأوا في مصر فقط في الكتابة والشعر في العصر
الآخر مع ان محيط اللغة العربية لا ينهي حيث ينهي أفق مصر فهناك أناس خدموها
فأجزلوا خدمتها في العهد الأخير في الشام والعراق وهم احرباء ان يذكروا بكلمة ننو بها
بشأنهم مثل آل الألويسي في بغداد وآخرهم العلامة محمود شكري ومثل أحمد فارس
الشدياق صاحب التأليف الممتعة ومثل العلامة الشيخ طاهر الجزائري في دمشق وآل
البستاني وآل اليازجي في بيروت وغيرهم ومثل الشيخ محمد بيرم وخير الدين باشا التونسي
في تونس الى عشرات غيرهم من الائمة الذين نفخوا الآداب العربية بعلمهم وتأليفهم
وإصلاحهم . وعسى ان لانفعل الطبعة السادسة من زيادة من كانوا أعلام عصرهم في
في العلم والتأليف وإرجاع الآداب العربية الى رونقها القديم . ونعيد هنا التناء على
المؤلفين العظمين ونرجوا ان يكثروا في الامة العربية أمثالها ليخرجوا لها كتباً متمعة
كهذا الكتاب .

م . ك

— 3000 —

العصور القديمة

- « تأليف الدكتور جيمس هنري براسند استاذ تاريخ الشرق في جامعة »
« شيكاغو نقله الى العربية الاستاذ داود قريبات من اساتذة الجامعة »
« الاميركية في بيروت ، طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٩٢٦ »
(ص ٤٨٧)

هذا كتاب تمهيد لدرس التاريخ القديم واعمال الانسان الاول تكلم فيه مؤلفه
على الاوربيين الأقدمين وتاريخ مصر في أدوارها القديمة وبلاد بابل والاشور بين
والكلدانين ومادي وفارس والبرانيين واليونان والفرس والفينيقيين ورومية
والرومان وامبراطوريتهم واوليتهم وانقراضهم وانتصار البرابرة ونهاية العالم القديم كل
ذلك بجلاء ووضوح محلي برسوم ومصورات مفيدة تظهر بها عظمة تلك الامم القديمة
بما لم يخرج في جملته . اكتبه العلامة ماسبيرو في تاريخ المشرق وعربه العلامة
أحمد زكي باشا وتاريخ الحضارة للعلامة سنيوبوس وعربه كاتب هذه السطور .

وعبارة النافل جيدة توخى فيها السلاسة ومطابقة الاصل الانكليزي الا - في بعض
المواطن التي رأى فيها لعدم فائدتها للمطالع الشرقي . وكنا نود لو اثبتنا كما كتبها
المؤلف . ثم اننا لم نفهم مقصد المحرر في مقدمته في قوله « يميل المتطوفون من اخواننا
في الديار الاسلامية الى حساب كل ماسبق محيى النبي محمد ، كأنه مختص بعالم آخر
غير عالمنا الحاضر فلا يستحق ان يؤبه له كثيراً . ولا يخفى ان ذلك قاتل لفهم تاريخ
الشعوب الاسلامية فهماً صحيحاً . لان العمران والحضارة لم يبتدئا من عصر النبي
ومهما كانت التغيرات التي طرأت على احوال الشرق بعد ظهور النبي فان أسس الحياة
الاجتماعية ، وفكرة الحكومة الاساسية واصول الشريعة - جميع هذه وكثير غيرها
من مظاهر الحضارة الشرقية قد دخلت التمدن الاسلامي متحدة من أزمان قديمة
سبقت ظهور الاسلام بعد تعديل طفيف طراً عليها » . والمحرر هذا هو السيد
هرلدنسن احد اساتذة التاريخ في جامعة بروت الاميركانية . نعم لم نفهم مغزى قوله
هذا لانه لم يقل بهذا الفكر الذي رد عليه احد من المشتغلين بتاريخ الاسلام فيما نعلم
الا اذا كان ظفلاً من الأطفال او غيباً من الأغبياء . والمسلمون ما ادعوا انهم نزلوا
يحضارتهم من السماء فنشروها على الارض بل ادعوا انهم أخذوا الحضارات القديمة
وزادوا عليها ما وسعتهم الزيادة فيها وسلموها بامانة الى اهل الامم الحديثة . واذا كان
من يريدون التوسع في الكلام على حضارات الامم السالفة وتاريخها فان ذلك لا يتأتى
لمن يجب ان يكتب تاريخاً لا روايات خيالية عن تلك الامم البائدة خصوصاً وقد
رأينا ان لغات تلك الشعوب القديمة لم تكتشف الا في القرن التاسع عشر ومنها ما لم
يتأت اكتشافه حتى اليوم . فكيف يتأتى الايعجاب بهذه الحضارات وهي لم تحلف لنا
كتاباً ولا نصوصاً يصح الركون اليها في حين دوت مدنية الاسلام والعرب لقرب
عهدنا ولم يفقنا منها الا ما لا بال له . التاريخ القديم مجهول اكثره والتاريخ الاسلامي
معروف اكثره . اما اذا كان هذا المحرر يريد الخط من التاريخ الاسلامي فهذه
دعابة دينية لا دخل لها في التاريخ .

محمد كرد علي

حروب ابراهيم باشا المصري

« في سوريا والاناضول »

عني بنشرها الخوري بولس قرألي وعلق عليها الدكتور اسد رستم طبعته
بالمطبعة السورية بمصر الجديدة (ص ٦٧)

هذه مفكرات بعض وقائع ابراهيم بن محمد علي الكبير في فتح الشام في القرن
الماضي وهي لمصنف مجهول رجح السيد رستم ان كاتبها القس انطون الحلبي المدير
الانطوني وجدت في خزانة بطريركية الموارنة في بكركي وهي مكتوبة بلغة قريبة
من الفصحى كان على الناشر نقومها . وليس فيها من جديد اكثر مما عرف عن هذه
الوقائع ، لكن الباحثين يستأنسون بما حوت على كل حال . وقد قدمت الى صاحب
السمو الامير عمر طوسون سليل ذلك الفاتح المعظم . وقد قال الناشر بعد ان بالغ في ثنائه
الموارنة في خدمة ابراهيم باشا حتى كاد يقول ان النصر الذي كتب له على العثمانيين
هو من ثمرة انضمامهم اليه . ان هذا النصر الذي أحرزه الموارنة لمصلحة مصر بين
حلفائهم كلهم ثمتا غالبا فما كاد المصريون يجولون عن سوريا في سنة ١٨٤٠ حتى اخذ
الدروز يضمرون الشر للموارنة الى ان انفقوا مع الحكام العثمانيين وقاموا بمذابح سنّي
١٨٤٥ و ١٨٦٠ الهائلة التي فقد فيها الموارنة ثلث عددهم وخرب قسم كبير من بلادهم .
والمعروف ان الموارنة قبلوا بعد ذلك للمصر بين ظهر المجن بالدعاية الانكليزية وقاتلوا
جيش ابراهيم ونفي محمد علي كبراءهم الى السودان ، اما ان الدروز انفقوا مع العثمانيين
فقاموا بالمذابح وقتل ثلث الموارنة بذلك فهذه دعوى لا يقرها التاريخ وزعم لا يثبت
في محكمة العدل والانصاف .

م . ك



سيرة عمر بن عبد العزيز

« على مارواه الامام مالك بن أنس واصحابه »

تأليف ابي محمد عبيد الله بن عبد الحكم المتوفى سنة ٢١٤ هـ صححها وعلق عليها السيد احمد عبيد طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٤٦ - ١٩٢٧

(ص ١٩٨)

أجاد الاستاذ ناشر هذا الكتاب في إخراجه في هذه الصورة الجميلة من التحقيق والعناية . فقد اخذ الاصل عن نسخة قديمة من دمشق واستنسخ بالتصوير الشمسي صورة نسخة أخرى في دار كتب الامة بباريز وعارض كل ذلك على اصول معتبرة فدل بذلك على ذوق في النشر ضاهى به علماء المشرقيات في تدقيقهم ووضع الفهارس اللازمة للاستفادة من الكتاب . اما سيرة امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فهي من السير التي تلقى بسيرة الخلفاء الراشدين . وفي هذا السفر من كتبه وافكاره شيء كثير يأخذ منها المطالع حكماً ويتعلم ادباً وعلماً فهي حريصة بان تجعل في كل خزانة ، ويبدأ رسها العطاء والعلم لانها معالجة مربية . م . ك



الاعلام

« قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين في الجاهلية »

« والاسلام والعصر الحاضر ، تأليف السيد خير الدين الزركلي . الجزء »

« الاول من اربعة اجزاء طبع بالمطبعة العربية بمصر سنة ١٣٤٥ - ١٩٢٧ »

(ص ٤٠٠)

هذا كتاب تشتد حاجة الناس اليه لانه جمع ما تفرق من تراجم العرب الى يومنا هذا . واقتصر مؤلفه على المشهورين بالعلم والأدب او بالسياسة والامارة واكتفى باللباب ممن تستدعي الحال الكشف عن تراجمهم بحيث يسقط الباحث على من يريد الاطلاع على ترجمته في دقيقة واحدة وبعد هذا من واضع الكتاب من جميل الذوق في التأليف والعناية البالغة في البحث يحمد عليها المؤلف . وقد رجع في تأليفه الى مظان

كثيرة وبالغ في التنقيح والأخذ بالأرجح ، ومع هذا وعد ان يلحق كتابه بما يستدركه من الهفوات والزادات . وبالجمله فان هذا القاموس يهون على كل باحث سبيل الاطلاع على حياة من كان لهم شأن في المجتمع العربي . لاجرم ان شهرة صديقنا الاستاذ المؤلف في عالم الأدب تدعو الى الاقبال على هذا السفر النفيس الذي يشكره العلم على نشره على هذه الصورة الجميلة .

م . ك

الانتصار

« تأليف ابي الحسين عبدالرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي مع مقدمة »
« وتحقيق وتعليقات للدكتور زنجار ج الاستاذ بجامعة أبساله (السويد) »
« طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر في مطبعة دار الكتب المصرية »
« بالقاهرة سنة ١٣٤٤ - ١٩٢٥ ص ٢٥٢ (قطع الربع) »

أجاد الاستاذ ناشر هذا الكتاب وهو في « الانتصار والرد على ابن الروندي المحدث ما قصد به الكذب على المسلمين والطعن عليهم » وكانت النسخة الاصلية الوحيدة من مخطوطات استاذنا المرحوم الشيخ طاهر الجزائري اولاً ثم من مقننيات دار الكتب المصرية . ولطالما أراد استاذنا الوراقين والمؤلفين على طبع هذا السفر الفريد في بابيه لانه صورة من علم المعتزلة في عصر قوتهم حتى كتب شرف ذلك للعالم السويدي . وقد رجح ان المؤلف كان شامياً ونسخته هذه فرغ من نسخها سنة ٣٤٧ هـ قال : « ومن المعلوم ان ارقى المخطوطات تاريخاً مما هو مكتوب على الورق لا يتجاوز اول القرن الرابع ، فلا تكاد ترى نسخة أقدم من كتاب « غريب الحديث » لابي عبيد المعروض على الزايرين في مكتبة الجامع الازهر الذي تم نسخه سنة ٣٢١ » . وكلامه هذا غير موافق للصواب لان في خزانه دار الكتب بدمشق نسخة من كتاب الغريب في الحديث كثير منها أجوبة الامام احمد عن أسئلة ابي داود السجستاني كتبت على الورق سنة ست وستين ومائتين . ومقدمة الاستاذ الناشر التي استغرقت ٥٣ صفحة دليل آخر على عناية المستعربين من علماء المشرقيات باخراج كتب سلفنا للوجود ، وفهم ما ينشرون لخدمة العلم والأدب

وقد شفع الكتاب بتعليقات واستدراكات تشعر بما فطر عليه الغربيون من الغرام بالبحث والنقيب وختمه بفهرس الرجال والفرق فجاء الكتاب نسخة صحيحة ينفع بها . وأهم ملاحظتنا من عمل الاستاذ الناشر وضعه مقدمة الكتاب باللغة العربية ولو وضعها بأحدى لغات الافرنج لاقصص نفعها على من يحسن تلك اللغة وحرم قراء العربية فائدة ما فيها من التحقيق العلمي ، على ان علماء المشرقيات سواء عندهم أكانت المقدمة بالعربية او بغيرها لانهم يحسنون اكثر لغات الغرب ويعرفون العربية . وعسى ان يثقل مثاله في عمله غيره من المشتغلين بالمشرقيات العربية فيترجمون لما ينشرون بلغة الكتاب الاصيل ويهمشون ويحشون بها واذا كان في أنلام بعضهم شيء من الضعف في البيان العربي فيسهل عليهم الرجوع الى احد أدباء الشرق ليصلحوا ما يجب اصلاحه من الهفوات والعيبة .

م . ك



ارشاد الاريب الى معرفة الاديب

« المعروف بمجم الادباء او طبقات الادباء لياقوت الرومي »

عني بنشره السيد د . س مرجليوث — الجزء الرابع — الطبعة الاولى

طُبعت بمطبعة هدية بمصر سنة ١٩٢٧ (ص ٣٢٠)

لما تكلمنا على الجزء الاخير من هذا الكتاب (الجزء الخامس م ٧ ص ٢٣٣) قلنا ان هذا المعجم بقي ناقصاً بضعة حروف وها قد أظفر البحث صديقنا الاستاذ مرجليوث بهذا النقص في نسخة منه وجدها في حلب . وهذا الجزء يبتدي بالحسن وينتهي بعبد الله ففيه تراجم من اول اسمائهم حاء وخاء ودال وذال وراء وزاي وسين وشين وصاد وضاد وظاء وطاء وبضعة تراجم من اول العين وبذلك تم هذا الكتاب الممتع وقد حلاه الناشر كبعض الاجزاء السالفة بفهرسة اسماء الرجال وفهرسة اسماء الكتب . وقد ورد فيه ١٦٤ ترجمة ومن المشاهير تراجم ابن خالويه وابن الحجاج والواساني وابن الضحاك وابن شبل وابن رواحة والطغراني والوزير المغربي وابن ابي حصينة وابن البرغوث وابن العريف وحفصة بنت الحاج الركوفي وحمة بنت زياد وحبيدة بنت النعمان بن

بشير وحماد عجرد وابن القلانسي وخالد بن يزيد الأموي وخالد بن يزيد الكاتب والخليل بن احمد ودعبل وابن ميادة والسري الرفاء وحيص بهص وابو زيد الأنصاري وابن الدهان والأخفش والأشنداني وابو الوليد الباجي وصرع الغواني وسنان بن ثابت وابوحاتم السجستاني وسهل بن هرون وشبيب بن شبة وصاغد اللقوي وصالح بن عبد القدوس وابوفراس السلمي وابوالاسود الدؤلي وابن الخشاب وابن بري الخ . وقد لاحظنا في أكثر تراجم هذا الجزء اختصاراً لم يكن مألوفاً لياقوت ولعله كتبها ولم يعاود النظر فيها ، ثم ان كتابة ياقوت نُقِلَ فيها شخصيته سواء كتب في البلاد او الرجال وأكثر تراجم هذا الجزء من كتب تكاد تكون كلها متداولة ، وياقوت من عادته ان يأتي بما يعمد على غيره الا تيان به من المظان لكثرة مادته وعثوره على أسفار في مختلف الأمصار يوشك ان لا يظفر بها غيره من الباحثين ونعید هنا ما قلناه في كل جزء صدر من هذا الكتاب ان فضل الناشر فيما نشره لا يقل عن فضل المؤلف فيما ألف ونهني عالم العربية في جامعة اكسفورد على توفيقه في إتمام هذا السفر المفيد الذي جلا لنا أموراً كانت من قبل غامضة من تاريخ مديننا .

م . ك



المجموعة الاولى والثانية والثالثة

« من مقالات وخطب الاستاذ فكري اباضه بك الحامي »

طبعت في المطبعة العربية بمصر (ج ١ ص ١٨٤ ج ٢ ص ١٧٤ ج ٣ ص ١٦٨)
للاستاذ صاحب هذه المجموعة نمط خاص في الانشاء لا يكاد يدانيه فيه احد من أبناء العربية فهو بصوغ الجدة في قالب من الهزل بديع وبيدع فيه كل الابداع . وموضوعاته تدور حول شؤون سياسية واجتماعية عصرية . ينبعث منها النبوغ والعقل والأدب والظرف المنهجي . في أسلوب يقبله الخاصة ويمجبه العامة . فهو كاتب سري تسري كهر بائية أفكاره الى جميع الطبقات وتعلم منها وتفكره . فنهني الاستاذ فكري بك بهذه الدروس العامة التي ما يرح بلقيها على أمتة ويجودها من وراء الغاية ، ونعجب بهذه الهبة الالهية التي اختص بها وأضاف إليها هبة أخرى من

علمه وأدبه ولطف نادرته . ونحث القراء على مطالعة ما تخط يمينه الصانع فأنها جديرة بان نقننى ونؤدارس .
م . ك

— ❦ —

❦ تاريخ اليهود في بلاد العرب ❦ « في الجاهلية وصدر الاسلام »

تأليف الدكتور اسراييل ولفسون (ابو ذؤيب) استاذ اللغات السامية بدار العلوم في مصر طبع بمطبعة الاعتماد سنة ١٣٤٥ — ١٩٢٧ ص ١٨٩
قدم العلامة الدكتور طه حسين هذا المؤلف للجمهور بقوله في مقدمة الكتاب :
« انبل الى مصر وان له لثقافة متينة متنوعة قد اتقن من اللغات الاوربية الحية أرقاها وأمسها بالبحث العلمي التاريخي ولا سيما فيما يتصل بالمسائل الشرقية العربية وأنقن من اللغات السامية أغناها بالآثار القيمة في الدين والأدب والعلم ولم نقف ثقافته عند انقاف هذه اللغات بل درس من آدابها حظاً موفوراً فكان له مزاج معتدل من هذا القديم السامي والجديد الاوربي بعده أحسن اعداد للناول المسائل التاريخية والأدبية الرقيقة اذا تهيأت له مناهج البحث كما ألفها علماء اوربا في هذا العصر الحديث » ونحن نقول ان من أحرز مثل هذه الصفات التي تحولها حق البحث والدرس جدير بان يوجد موضوعه كل الإفادة .

تكلم المؤلف كلاماً ممتعاً مؤيداً بالشواهد على اليهود في بلاد الحجاز واليمن وعلى بطون يثرب وحوادثها وعلاقاتها باليهود وأحوال العرب الاجتماعية والدينية والسياسية في بلاد الحجاز قبيل ظهور الاسلام وماقامت به مكة ويثرب ازاء الحركة الاسلامية وعلى هجرة الرسول الى يثرب وإجلاله بني قينقاع والضير عنها وعلى غزوة بني قريظة وغزوة خيبر ثم على إجلاء اليهود عن البلاد الحجازية . هذه موضوعات هذا الكتاب الذي استقاه مؤلفه من مصادر عربية وعربية وانكليزية وفرنسية والمائة فكان محسناً في تنسيقه واستنتاجه معتدلاً في أحكامه ، جمع في هذا البحث الطريف بين القديم والحديث فجاء كتابه نموذج المؤلف المحقق في هذا العصر حري بكل متأدب ان يطالعه ويقننيه لانه من الكتب العلمية المثيرة .
م . ك

تاريخ فلاسفة الاسلام في المشرق والمغرب

« تأليف السيد محمد لطفي جمعة ، يقع في ٣٢٠ صفحة من قطع النصف »
 « طبع طبعاً حسناً بمطبعة المعارف في مصر »

للاستاذ محمد لطفي جمعة عدة تأليف وهذا الاخير هو أنفع ما قرأته له وأدعاها الى اغتباط المؤلف بثمار جهده ، فقد ذكر فيه أشهر فلاسفة العرب والاسلام وهم الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن باجه وابن طفيل وابن رشد وابن خلدون وإخوان الصفاء وابن الهيثم ومحيي الدين بن عربي وابن مسكويه وذلك بعد مقدمة شيقة أبان فيها الحقائق التي دونت في الكتاب اي أجوبة الاسئلة الثلاثة الآتية وهي : « أولاً هل لنا حقاً اجداد في الفكر والعقل ، ثانياً هل لهؤلاء الأجداد قيمة في ميدان العلم الحديث وابن كتبهم ، ثالثاً ما مكانتهم بين الفلاسفة الذين نقرأ تراجمهم ونرى صورهم » . وفي طيات الكتاب خير جواب يجب ان يفهمه شعوبية هذه الايام المتكالبون على الظهور في انقاص آثار السلف من عرب ومستعربين . وهالك بعض جمل وردت في هذا المال :

قال ارنست رينان « ألقى أرسطو على كتاب الكون نظرة صائبة ففسره وشرح غامضة ثم جاء ابن رشد فألقى على فلسفة أرسطو نظرة خارقة ففسرها وشرح غامضها »
 صفحة ١٥١ .

وقال روجير بيكون الفيلسوف الشهير في كتابه اللاتيني ايبوس ماجوس « ان ابن رشد فيلسوف منين متمق صحيح كثيراً من أغلاط الفكر الانساني وأضاف الى ثمرات العقول ثروة لا يسغنى عنها بسواها وأدرك كثيراً مما لم يكن قبله معلوماً لأحد وأزال الغموض من كثير من الكتب التي تناولها بحشه » صفحة ٢٢٣ .

وقال المؤلف في الصفحة ٢٣٢ « وقد أجمع العلماء على ان هذا الحكيم العربي المغربي الافريقي (ابن خلدون) هو من واضعي أساس علم الاجتماع الحديث » .

وقال في الصفحة ٢٣٨ ما خلاصه « سبق ابن خلدون اوغست كونت في شيئين الاول قوله بان الفلسفة هي علم الموجودات وهذا لم يقل به أرسطو المعلم الاول بل قاله

اوغست كوت بعد ابن خلدون بسنة قرون . والثاني قوله بان الاجتماع الانساني خاضع لقوانين وقواعد تدخله في حيز العلوم المنظمة فهو قد بنى علم الحكيم الاجتماعي بالعالم على شيئين : الاول مشاهدة الأُم واخبارها والثاني تصور القوانين السائدة على الاجتماع واكتشافها بفضل التجارب العقلية والاستنتاج الفكري . ولم يقل اوغست كوت بأكثر من هذا عندما شرح طريقته (السناسيتيك والديناميك) فان الخبرة والعلم يكشفان لنا عن الحقائق والعقل يكشف لنا عن الاسباب والعلل .

وقال ان ابن خلدون اول من اكتشف معنى كون التاريخ علماً اي ان كل حادثة تقتضي لحديثها فرض وجود شروط او ظروف معينة وبعبارة أخرى كلما اجتمعت طائفة من ظروف معينة في مدينة من المدنيات حدثت حوادث معينة . واي شيء أكثر من هذا فانه . وونتسكيو او اوغست كوت اذ من جاء بعدهما من علماء الاجتماع

وهكذا سرد المؤلف في تضاعيف الكتاب كثيراً من الجمل المشابهة لما ذكره بعد ان اطلع وقابل وحال واستنتج شأن المصنفين المتشبعين من الابحاث التي يصفون فيها . واتبع طريقة حسنة في سرد ما يختص بكل واحد من الفلاسفة العظام الذين ذكرهم فأورد اسم الفيلسوف وكنيته وبلده وتاريخ ولادته ووفاته ومصنفاته وما بقي منها وما فقد ومذاهبه في اضراب الفلسفة والبيئة التي عاش فيها وتأثير فلسفته وغير ذلك من الابحاث التي بوبها وحللها حتى صارت سهلة التناول حتى على غير الضليعين بهذه المواضع . ولا بد لي وانا اكتب في مجلة المجمع العلمي من ان ألفت نظر المؤلف الفاضل الى بعض هفوات لغوية كالتي في الصفحات التالية : (ج ، د ، ٩١ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٩ ، ١٦٣ ، ١٧٨ ، ٢٦١) .

والخلاصة ان أكبر نفع لهذا الكتاب الثمين هو تسهيل فهم مالأجدادنا العرب من الأثر في تقدم العقل البشري ، ولا ريب ان الوطنية الحققة في أنحاء البلاد العربية لا تقوم الا على تقييد أعمال السلف الصالح فجزى الله المؤلف عن الوطن العربي الأكبر خير جزاء .

عضو المجمع العلمي

مصطفى السراجي

الهدايا المصرية

ننشر فيما يلي أسماء الكتب التي أهدتها بعض الوزارات المصرية وغيرها الى مجمعنا العلمي :

أهدت النينا ووزارة الاشغال العامة مجموعة تتضمن تسعة عشر كتاباً منها :
(١) الدليل في موارد اعالي النيل . (٢) كتاب ما بين النهرين . (٣) كتاب ضبط النيل . (٤) تقرير لمقاومة حمى الملاريا . (٥) الآلات الرافعة . (٦) مذكرة عن تخطيط المدن الخ .

وأهدت النينا ايضاً وزارة الاوقاف مجموعة مؤلفة من اربعة واربعين كتاباً منها :
(١) مجموعة افرنسية كاملة من كراريس لجنة حفظ الآثار العربية . (٢) نسخة افرنسية من كتاب تاريخ مسجد السلطان حسن . (٣) الجزء الاول والثاني من كتاب الديور القربية من سوهاج . (٤) نسخة من كتاب الخزف (باللغة الافرنسية) .
(٥) نسخة من كتاب حفريات الفسطاط . (٦) الدليل الموجز باللغة العربية .
(٧) مجموعة من كارت بوستال . (٨) مجموعة من اللوحة الفوتوغرافية .

وأهدت وزارة الزراعة المصرية مجموعة تأتي على ذكر البعض منها :
(١) مجاميع من سني المجلة الزراعية . (٢) مجموعة كراريس في البقول . (٣) تقارير عن قسم الحشرات المضرة بالزراعة . (٤) تقارير عن المحافظة على صنف القطن .
(٥) عشرة تقارير عن وقاية النباتات . (٦) النشرات الفنية في الادوية الحشرية لاشجار الموالح في القطر المصري عددها ٣٢ . (٧) تقارير مجلس مباحث القطن عن سنة ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٢ و ١٩٢٣ .

وأهدى مجلس النواب المصري نسخة من كتاب مجموعة مضابط الانعقاد العادي الثاني للهيئة النيابية الثالثة للمجلس المشار اليه .
وأهدت لجنة الطبع والتأليف والترجمة المصرية مجموعة كتب مؤلفة من ٣٣ كتاباً منها :

(١) الجغرافيا الحديثة . (٢) رفاثيل . (٣) الأدب الجاهلي . (٤) الدروس

الجغرافية . (٥) تاريخ القرن التاسع عشر . (٦) تاريخ المسألة المصرية . (٧) القضاء الجنائي . (٨) علم الأخلاق . (٩) شرح قانون العقوبات . (١٠) تاريخ الآداب العربية « للاستاذ الزيات » . (١١) فلسفة ابن خلدون « للاستاذين طه حسين وعبد الله عنان . (١٢) بسائط الطيران . (١٣) فلسفة ارسطوطاليس ترجمة الاستاذ احمد لطفي السيد .

واهدى امير الشعراء احمد شوقي بك من ديوانه (الشوقيات) مائتي نسخة
فالشكر لهم جميعاً .



« علم بيان الكتب المخطوطة الموقوفة التي أبتاعها المجمع العلمي من كل »

« من الكتبيين السادة عبيد وهاشم والقصبياتي في تموز سنة ١٩٢٧ »

(١) نسخة واحدة من صحاح الجوهر في مجلد واحد كتبت سنة ٩٦٧ هـ

(٢) فتاوى الشيخ اسماعيل مجلد واحد جمعها ابراهيم بن محمد الشامي واسمها

(شفاء العليل بفتاوى الشيخ اسماعيل) كتبت في سنة ١٣٠٢ هـ بخط محمد رضا بن

الشيخ احمد الحلبي .

(٣) شرح الشمائل المسمى (باشراف الوسائل الى فهم الشمائل) لشهاب الدين

احمد بن حجر الهيثمي كتبت سنة ٩٩٥ هـ وهي مجلد واحد و بخط وسط .

(٤) شرح اللوامع الضيائية المسمى (بنخبة المطالع) في علم الفرائض لمؤلفها

(عبد الرحمن بن عبد الله الموقت) بجلد الشهباء . كتبها حسين بن محمد البالي

سنة ١٠٦٦ هـ والنسخة مقابلة على خط المؤلف .

(٥) شرح شذور الذهب لمحمد منصور اليافي . كتبها اسعد الحمصي سنة ١٢٧٢ هـ .

(٦) مجلد مخروم الاول في علم اصول الفقه . كتبه احمد بن عبد اللطيف

بدمشق سنة ١٠٠٥ هـ .

(٧) حاشية الاسقاطي على شرح الكنز للملا مسكين . مخرومة الآخر بوضع ورقات .

(٨) مجلد من كتاب (الروضة) اوله (الباب الثاني في أحكام الالتقاط) وآخره

(الباب الخامس في الشك في الطلاق) .

- (٩) مجلد من حاشية مولانا (نوح افندي) على (الدر المختار) اوله (كتاب الأيمان) وآخره (كتاب الغصب) .
- (١٠) مجلد شخصين خمساً وأربعين رسالة فقهية كلهم من تصنيف الشيخ عبد الغني النابلسي
- (١١) سنن الترمذي نسخة حسنة الخط كتبت سنة ١٠٩٩ .
- (١٢) الجزء الثاني من شرح (نور الدين بن بركات الشهير بالباقاني القادري الانصاري) للثقي الأبحر كتب سنة ١٢٠٠ هجرية (والمجلد الاول معروض للبيع في مكتبة القصيباتي) .
- (١٣) رسالة (حصول الرفق باصول الرزق) للسيوطي كتبت سنة ١٠٧٧ على يد ابراهيم بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز .
- (١٤) حاشية (مشارق الأنوار) الجزء الثالث من اوله (الباب الثالث) وفي آخر الكتاب هامشة للعالم التركي الشهير (بصحاف) يقول ان هوامش المكتوبة بأسلوب التعليقات في تلك النسخة بخط المؤلف نفسه .
- (١٥) نسخة من شرح (الفية ابن مالك) والشرح نظم لا نثر للبدر الغزي ؟ مخرومة الاول كتبها الشيخ هلال الظاهري سنة ٩٤٢ هـ (ومثلها نسخة كاملة عند السيد محمد الكتبي) .
- (١٦) فتاوى الحانوتي نسخة كاملة كتبها الشيخ احمد الحلبي (١٣٠١) .
- (١٧) الصنف الأول من كتاب (لطائف الاشارات في أسرار التنزيل) للقشيري كتبت سنة ٨٤٦ .
- (١٨) حصن الحصين من كلام سيد المرسلين للجزري .
- (١٩) الجزء الثاني من حاشية (دلائل الأسرار على الدر المختار) للشيخ خليل الشهير بالفتال الدمشقي بخط المؤلف (المتوفى سنة ١١٨٦) .
- (٢٠) نسخة من ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي .
- (٢١) حاشية الثفنازاني على العقائد النسفية .
- (٢٢) حاشية مولانا سعدي چايي على الهداية (النصف الاول منها) .

- (٢٣) شرح الألفية لابن أبي فاسم المسمي بالمرادي كملت سنة ٨٨٧ (نسخة قديمة عليها بخط المؤلف) .
- (٢٤) حاشية الغنيمي على شرح السعد على العقائد الذسفية مخرومة الاول .
- (٢٥) جامع الأسرار شرح المنار للشاطبي مخروم الاول كتبت سنة ٧٨٠ .
- (٢٦) الجزء الرابع من تفسير الرسعي ألف سنة ٦٣٥ وكتب سنة ٧٤٢ .
- (٢٧) معالم السنن لابي داود السجستاني .
- (٢٨) جزء في علم الحديث مخروم الاول والآخر .
- (٢٩) الجزء الثاني من معاني القرآن للزجاج اوله (سورة الانعام) .
- (٣٠) إمداد الفتاح شرح نور الايضاح كتبت سنة ١١٢٧ .
- (٣١) جزء من حاشية الخفاجي المسماة (غنابة القاضي و كفاية الراضي) حاشية على القاضي البضاوي مخرومة الآخر .
- (٣٢) الجزء الثاني من شرح الترتيب في الفرائض للشنشوري ألفها سنة ٨٤٢ .
- (٣٣) مجموعة في المنطق لتضمن شرح ديباجة القونوي وشرح قواعد على ايساغوجي الخ وهي سبع رسائل في المنطق .
- (٣٤) الجزء السادس والعشرون من البخاري من نسخة في ثلاثين جزء .
- (٣٥) الطريقة المحمدية نسخة مهمشة صحيحة .
- (٣٦) رسالة شرح غرامي صحيح للشيخ يحيى القراني .
- (٣٧) رسالة موضح الأوقات في ربع المقنطرات لمحمد بن كاتب سنات الوقت كتبت سنة ١١٨٤ .
- (٣٨) مجموعة رسائل في الصرف : المراح والمقصود وغيرهما .
- (٣٩) (العيون الغامرة على الخبسايا الرامزة) وهي شرح الخزرجية للدماميني ولا يوجد منه سوى بعض كراريس من اوله ويليها كتاب (نوادر الفروع) في الفقه مخروم الاول كتب او ألف سنة ٧١٠ .
- (٤٠) كتاب نفيس شرح في فن الحديث بخط مؤلفه محمدالمشهر بالحنفي كتبها ببلدة بخارى .

- (٤١) خمسة أجزاء مختلفة من أربعة القرآن الشريف احدها بخط نفيس ومذهبة .
- (٤٢) قطع من تفسير ابي السعود على سور مختلفة .
- (٤٣) قطعة من كتاب (الاحياء) مخروم .
- (٤٤) الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم مخروم ورقة من أوله .
- (٤٥) حاشية في علم النحو مخرومة الاول كُتبت سنة ٨٥٣ .
- (٤٦) التحقيق الباهر على الأشباه والنظائر الفقهية للناجي .
- (٤٧) كتاب حاشية على ايساغوجي لعمر بن صالح الفضي النوقاتي .
- (٤٨) كتاب لعل اسمه (البصائر) وهو مقسم الى فصول على حروف المعجم وكل فصل مفتتح بكلمات اولها ذلك الحرف وبعد سردها يعود فيذكرها كلمة كلمة معنونة ببصرة في كذا بصيرة في كذا ثم يشرح الكلمة بما يناسبها من الشعر والحديث واللغة والأدب فثارة يستغرق الشرح بضعة أسطر وثارة صفحة او اكثر وفصول الكتاب ننهي الى حرف اللام وبعد مخروم .
- (٤٩) شرح فعال كلمة النوحيد لاهم السيد ليس و يليها رسالة تسمي بالورقات في اصول الفقه . وتفسير بعض آيات البهزادي .
- (٥٠) شرح أدب البحث لامام الحرمين وحاشية عليه .
- (٥١) فتح النعال في النال للقري ولعلها بخط المؤلف كُتبت سنة ١٠٣٣ .
- (٥٢) منية المفتي في الفقه الحنفي كُتبت سنة ٨٧٧ .



الفهرس العام

« لما في هذا المجلد من المواد والموضوعات مرتباً على حروف المعجم »

صفحة	« حرف الالف »	صفحة
٢٨١ أعلام العراق (كتاب)	٢٣٩ الآثار (مجلة)	
٥٥٨ أعلام النبلاء (كتاب)	٩١ الآراء والمعتقدات (كتاب)	
١٢٢ اغناطيوس كرايشقوفسكي ترجمته بقله	١٨٧ آلام فرنر =	
٣٦٦ ألفاظ عربية لمعارف زراعية	٢٣١ الامير عمر طرسون (وصف مصنفاته)	
١٤٥ أناطول فرانس (محاضرة فيه)	١٤٢ اتجاه الموجات البشرية (كتاب)	
٥٦٦ الانصار (كتاب)	٤٣٣ اثر المستعربين من علماء المشرقيات	
٤٣٠ أيمان العرب في الجاهلية (كتاب)	في الحضارة العربية (محاضرة)	
« حرف الباء »	٩٥ أخبار الحق والمفكرين لابن الجوزي (كتاب)	
٢٧٤ بدرسن الدانيركي (ترجمته)	٣٨١ الأخلاق والواجبات (تقرظه)	
١٩٣ البلاغة سبيل الوزارة (محاضرة في عمرو بن مسعدة)	٣٨٣ أدب وتاريخ (كتاب)	
٤٧ بيروت (تاريخها وآثارها)	١٨٤ الأدب العربي (تاريخه)	
« حرف التاء »	٢٢٢ أدوارد مونته (ترجمته)	
٥٧٠ تاريخ فلاسفة الاسلام (كتاب)	١٤١ الأزهر (كتاب)	
٥٦٩ تاريخ اليهود في بلاد العرب (كتاب)	٢٣٣ إرشاد الاريب (جزؤه السابع)	
٤١٦ تبدل الحياة البيئية في الشرق الافصى (محاضرة)	٥٦٧ إرشاد الاريب (جزؤه الرابع)	
٥٢٩ نعمة اليتيمة (وصف مخطوط)	١٩٢ استندراك (في رحلة ناصر خسرو)	
٨٨ تحت راية القرآن (كتاب)	٥٢٧ أسرار الحياة الزوجية (كتاب)	
١٤٣ تحفة الأريب (كتاب)	٤٩ اسم الآلة بين النخلة واللغو بين	
٣٩٦ تصحيح نهاية الأرب	٥٦٥ الاعلام (معجم تراجم)	

صفحة	صفحة
« حرف الراء »	٧٩ تعليق على رحلة ناصر خسرو
٣٤٦ و ٢٩٩ رحلة الى حلب والشام	٣٣٥ تقويم العالم الاسلامي (كتاب)
(تلخيص مخطوط)	٦٢ تهذيب اللغة للأزهري
١٩٠ رفائيل (كتاب)	« حرف الجيم »
« حرف الزاي »	٢٣٦ جامع التصانيف الجديدة (كتاب)
٩٧ الزراعة (تاريخها محاضرة)	٥٨٢ جدول الخطأ والصواب
٣٤٧ زيارة مخطوط قديم	« حرف الحاء »
« حرف السين »	٤٨١ حاجة العلوم العربية الى التجديد
٣٣٠ سترسنن السويدي (ترجمته بقلمه)	(أطروحة)
٥٢٢ السنايل (كتاب)	٥٢٧ الحب والزواج (كتاب)
٥ سهل بن هرون (محاضرة)	٩١ الحديث (مجلة)
٩٠ سورة والسوريون (كتاب)	٤٥٧ حديث مع جلالة الملك فؤاد المعظم
« حرف الشين »	٥٦٤ حروب ابراهيم باشا المصري
١٢٩ الشام (نقد لما كتبه لامنس عنها)	(مفكرات عنها)
٤٦ شعراء النصرانية بعد الاسلام	« حرف الخاء »
٨٩ الشهاب الراصد (كتاب)	٥١٠ خطط الشام (جزؤه الرابع - نقيظه
« حرف الصاد »	ونقده)
٧٤ صالح قنباز (ترجمة حياته)	« حرف الدال »
« حرف الطاء »	٢٨٧ دار الآثار العربية (ما جاء عنها في
٢٨ طرابلس وآثارها	تقرير الحكومة الفرنسية)
« حرف العين »	٥٥٤ الدولة الأموية في الشام (كتاب)
١٧٢ عثرات الأفلام	« حرف الذال »
٢٣٨ و ٢٧٨ عدة الأديب (كتاب)	٩٦ ذكرى شكسبير (كتاب)
٣٣٧ عدة الكاتب (كتاب)	

صفحة	صفحة
٣٦٩ و ١٦٨ { كتابات تدمرية وتفسيرها	٣٣٦ عشرة إيام في السودان (كتاب)
٤٧٠ {	٥٦٢ العصور القديمة (كتاب)
٤٨ و ١٤٣ و ١٩٢ { كتب ورسائل	٢٣٧ عقلاء المجانين (كتاب)
٢٤٠ و ٢٨٨ و ٣٨٣ { (نقاريظ)	٢٨٥ علم الغريزة (كتاب)
٢٢٦ الكراس الشارد (كلام عليه)	٥٦٥ عمر بن عبد العزيز (كتاب)
٥٤٩ كراسك الشارد والرحلة الأدهمية	« حرف الغين »
٢٤١ الكرم وتأثيره في عالم الاجتماع (محاضرة)	٢٢٤ الغزالي (أهو بالتخفيف أو بالتشديد)
٢٣٩ الكشف (مجلة)	« حرف الفاء »
١٢٧ كلبان هوار (ترجمته)	١٣٢ فعال في اللغة (بحث لغوي)
« حرف الميم »	٥٦٨ فكري أباطة (مجموعة مقالاته وخطبه)
٢٣٥ مؤتمر الآثار الدولي في سورية	٥٧٧ الفهرس العام
وفلسطين (رسالة)	٥٨٠ فهرست الاعلام
٢٣٥ مبادي الفلسفة (كتاب)	٦١ الفيضان في العراق (قطعة شعرية)
٩٣ مبادي الفيزياء (كتاب)	« حرف القاف »
١ المجمع العلمي (جدول باسماء اعضائه)	٣٦ و ٦٦ و ١١٤ و ١٦٠ قانون البلاغة
١٧٣ ووصف جلسة له	٣١٥ و ٤٦٠ و ٤٩٧ { (رسالة مخطوطة
٤٣١ محاضرة عن ابن رشيق (كتاب)	٥٣٦ و نشرت تباعاً)
٥٥٨ مختارات ابن الشجري (كتاب)	٤٤ قبة جامع القيروان الكبير وسقوفه
٥٧٣ مخطوطات موقوفة (شراؤها)	« حرف الكاف »
٢٨٣ المرأة الحديثة وكيف نوسها (كتاب)	٢٣٨ كتاب الأخلاق (نقريظه)
٢٢٨ المرأة في شرع الاسلام (كتاب)	٢٨٤ كتاب الأخلاق لسميلز (نقريظه)
٩٢ مرقاة المترجم (كتاب)	٤٠٩ و ٤٦٥ { كتاب المذر في تصحيح
٢٧٨ مركز المرأة في قانون جمهوراني	٥٠٦ و ٥٤٥ { الأغلاط اللغوية
والقانون الموسوي (كتاب)	

صفحة	صفحة
٢٧٥ الننف (كتاب)	٤٧٥ مصر في المجمع العلمي العربي (وصف)
٢٣١ النشر في القراءات العشر (كتاب)	جلسة في المجمع
٥٥٢ نقدات	٥١٨ المعتمد (معجم لغوي ، نقر يظه ونقده)
٥٢٦ نهر الذهب في تاريخ حلب (جزؤه الثالث ، نقر يظه)	١٧٥ مفكرات في العهد الحميدي (كتاب افرنسي)
٣٣٥ نهلة الظلمات (كتاب)	١٧٤ مكتبة جامعة بومستن (مخطوطاتها)
« حرف الهاء »	١٣٦ ملقى السبيل (كتاب)
٤٣٢ و ٢٨٧ و ١٩١ و ١٤٤ هدايا كتب	٢١٩ مناقشة لغوية (مع الاب انتاس)
٥٧٢ و ٥٢٨ و ٥٢٤ للمجمع	٢٦٣ منشأ اللغات
٣٨٥ الهجنة في لهجة الحلبيين	٢٦٦ و ٣٥٩ موازنة بين ابي العلاء ودانتي
« حرف الواو »	٤٠٤ و ٤٩٠ او بين كتابيهما
٥٦٠ الوسيط (كتاب)	١٤٠ الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء (كتاب)
٣٢٣ الوضع العربي	« حرف النون »
« حرف الياء »	٢٨٩ النبات والحيوان (نبحث في بعض اصطلاحاتها)
٧٧ يوحنا اهتئين كرسكو (ترجمة حياته)	

— ٥٥٥ —

فهرست الاعلام

« اي اسماء كتاب المقالات المنشورة في هذا المجلد مرتبة على حروف المعجم »

صفحة	« حرف الالف »	صفحة
٣٢٣ و ٢٦٣ احمد الاسكندري		٤٠٩ و ٤٦٥
٤٨١ احمد امين		٥٠٦ و ٥٤٥
٥٢٧ و ٩٣ اسعد الحكيم	ابراهيم المنذر	

صفحة	صفحة
« حرف القاف »	٢٨٩ امين معلوف
٢٦٦ و ٣٥٩ و ٤٠٤ و ٤٩٠ قسطاكي حمصي	« حرف الجيم »
« حرف الكاف »	٥٢٩ جرجس منش
٣٨٥ كامل الغزي	٢٨ جرجي بني
« حرف الميم »	١٦٨ و ١٢٧ و ٤٤ { جعفر الحسني
٢٢٤ محمد بن ابي شنب	٤٧٠ و ٣٦٩ و
١٤٠ و ١٢٩ و ٨٨ و ٧٤ و ٤٦ و ٥	« حرف الراء »
٣٣٥ و ٢٣١ و ١٩٣ و ١٧٥	٦٢ و ٦١ رضا الشيببي
٥٦٠ و ٥٥٨ و ٤٥٧ و ٤٣٣	« حرف السين »
٥٦٦ و ٥٦٥ و ٥٦٤ و ٥٦٢	١٣٢ سالم رزق
٥٦٧ و ٥٦٨ و ٥٦٩	٣٨١ و ٣٣٧ سليم الجندي
٢٨٥ مرشد خاطر	٤٣٠ و ٢٧٥ و ٢٤١ { سليم غنوري
٥٢٦ و ٢٨٤ و ٢٣٨ مسعود الكواكي	٥٥٤ و ٤٣١ و
٩٧ و ١٣٦ و ٣٦٦ و ٥٧٠ مصطفى الشهابي	« حرف الشين »
٢٢٦ و ١٤٣ و ١٤٢ و ١٤١ و ٤٩	١٤٥ شفيق جبري
٢٨٣ و ٢٨١ و ٢٧٨ و ٢٣٧	« حرف العين »
٣٤٦ و ٣٣٦ و ٣٣٥ و ٢٩٥	٥١٠ و ٢٢٨ عارف الزكدي
٥٢٢ و ٥١٨ و ٣٩٦ و ٣٨٣	٥٥٢ و ١٩٢ و ٧٩ عبد الله مخلص
٥٢٤	٣٧٤ عيسى اسكندر المعلوف
	« حرف القاء »
	٤١٦ فروسين درويك

جدول الخطأ والصواب

ورد في أجزاء هذا المجلد بعض أغلاط مطبعية نهينا إليها فيما يلي :

في ص ٩ س ٣ لوضع صوابها لوجع . وفيها س ٩ وقبحت صوابها وحسنت . وفي ص ١٠ س ٦ التعمد صوابها التعمل . وفي ص ١٣ س ٨ ونظيب صوابها ونظب . وفي ص ١٤ س ٨ من أومه صوابها من كلامه . وفي ص ١٦ س ١١ ولا يشبعه صوابها ولا يقنعه . وفي ص ١٩ س ١ مستمربا صوابها مستمربا . وفيها س ٨ اغلق صوابها اعلن وفي ص ٢٢ س ١٢ بذلك صوابها بذكر . وفي ص ٢٧ س ١٠ تعمد صوابها تعمل . وفي ص ٣٩ س ١٠ صارا صوابها صارتا . وفي ص ٤٥ س ١٥ سنة ١٨٨ و ١٨٧ صوابها سنة ٨٧ و ٨٨ . وفي ص ٦٠ س ٣ صوابها حرب . وفي ص ٧٠ س ١ سهولة صوابها بسهولة . وفيها س ٢٣ لمعنى صوابها المعنى . وفي ص ١١٨ س ١٦ صاحبها صوابها صاحبها . وفي ص ١٢٩ س ٥ بعده صوابها بعد . وفي ص ١٥١ س ١٥ صحته : لقد ضاعفنا آلامنا وتمنا نقصها لما زبنا الخ . وفي ص ١٥٦ س ١٦ فالقند صوابها فالقند . وفي ص ١٥٧ س ١٣ النظر صوابها النظر . وفي ص ١٨٠ س ١٧ ونغير صوابها نغير . وفي ص ١٨٢ س ١٣ الضغط صوابها تضغط . وفي ص ١٨٥ س ١٢ صواب واقتطاف . وفي ص ١٨٦ س ٨ معاخرهم صوابها مفاخرهم . وفي ص ٢١٤ س ٢٣ السكرجة صوابها السكرجات . وفي ص ٢١٧ س ١٨ كان صوابها كانت . وفي ص ٢١٨ س ٨ رو : صوابها عمرو . وفي ص ٢٣٢ س ٢١ دخرت صوابها ادخرت . وفي ص ٢٤٣ س ٥ يزل صوابها يزول . وفي ص ٢٥٢ س ١٣ بال مال صوابها بالمال . وفي ص ٢٦٨ س ٥ العوب صوابها العرب . وفي ص ٢٦٩ س ١٦ ما اداها صوابها بما اداها . وفي ص ٢٧٠ س ١٢ عنا صوابها عما . وفيها س ١٥ فيها هازلا صوابها فيها الا هازلا . وفي ص ٢٧١ س ١٠ وحى صوابها أوحى . وفيها س ١١ صوره صوابها صورته . وفي ص ٢٨٢ س ٢ نيل الارب صوابها بلوغ الارب . وفي ص ٢٩٤ س ٢ أورمة صوابها أورمة . وفي ص ٣٠١ س ٢ الغناء صوابها الغناء . وفي ص ٣١٤ س ١٢ فقط صوابها فقد . وفي ص ٣١٥ س ٤

فكفوا صوابها تكفوا . وفي ص ٣١٦ س ٨ ابو صوابها ابي . وفي ص ٣٢٤ س ٨
مصور صوابها مصدر . وفي ص ٣٢٥ س ٢٣ بآخر عن آخر . وفي ص ٣٣٧ س ١٤
البرعني صوابها المبرغني . وفي ص ٣٤٨ س ٣ وغيني صوابها وغينيني . وفي ص ٣٦٣
س ١٢ فم صوابها فلم . وفي ص ٣٧٨ س ٩ الذي صوابها الذين . وفي ص ٣٨٢
س ١٥ وسمع صوابها وسميع . وفي ص ٣٨٦ س ٩ زحزتها صوابها زحزحتها . وفيها
س ٢٤ بعد صوابها بعض . وفي ص ٣٨٧ س ٩ الظهر صوابها الظهر . وفي ص ٣٨٨
س ١٣ تميل صوابها تمهبل . وفي ص ٣٩٥ س ٧ بالهم عن الأهم صوابها بالأهم عن
المهم . وفي ص ٣٩٧ س ١٢ الذات صوابها الذنب . وفي ص ٣٩٩ س ٩ له صوابها
عمله . وفي ص ٤٠٦ س ١٨ فاذا علمت ذلك ان صوابها فاذا علمت ذلك علمت ان الخ .
وفي ص ٤٠٧ س ١٣ ترجمة صوابها ترجمت . وفي ص ٤١١ س ١ جميع صوابها
جمع . وفيها س ١٣ دماسه صوابها دسامة . وفيها س ١٦ وجعلها صوابها وجمعها .
وفي ص ٤١٤ س ١٣ سورة صوابها سورة . وفي ص ٤١٥ س ٧ ثرغي البرود وثربد
العود صوابها ثرغي البروق وثربد العود . وفي ص ٤١٦ س ١٤ لنقطع صوابها لنقطع
وفيها س ٢٣ الاموية صوابها الامومة . وفي ص ٤٢٠ س ١١ الألي يتمتعون صوابها
الأولي يتمتعون . وفي ص ٤٢١ س ١ أطفالهن صوابها أطفالهم . وفي ص ٤٢٣ س ٦
تعليماً صوابها تعلماً . وفيها س ٦ استخالت صوابها استحال . وفي ص ٤٢٣ س ٢١ الولدان
الصواب الولدان . وفي صفحة ٤٢٤ سطر ١ ولبليغاً الصواب بليغاً . وفي صفحة ٤٣١
طر ٦ فلكانوا الصواب فكانوا . وفي صفحة ٤٤٧ سطر ١٤ تحارب الصواب تجارب
وسطر ١٤ وقاموس الصواب والقاموس . وفي صفحة ٤٥٨ سطر ٦ العملية
الصواب العلمية . وفيها سطر ١٢ أسس الصواب أسس . وفي صفحة ٤٦١ سطر ٦
وان سالموا الصواب او سالموا . وفي صفحة ٤٦٢ سطر ١٣ ثم: الصواب ثم . وفي صفحة
٤٦٤ سطر ١٤ عنده: الصواب عند من . وفي صفحة ٤٦٩ سطر ١٢ يعرفون الصواب
يعرفه . وفي صفحة ٤٧١ سطر ١٢ هذه: الصواب هذا . وفي صفحة ٤٧٣ سطر ٧
وكتب الصواب كتب . وفي صفحة ٤٧٧ سطر ٧ ويحاشكم الصواب وابتحاشكم . وفي
صفحة ٤٨٠ سطر ٢ بخزانة الصواب خزانة . وفي صفحة ٤٨٢ سطر ٨ لنبه الصواب